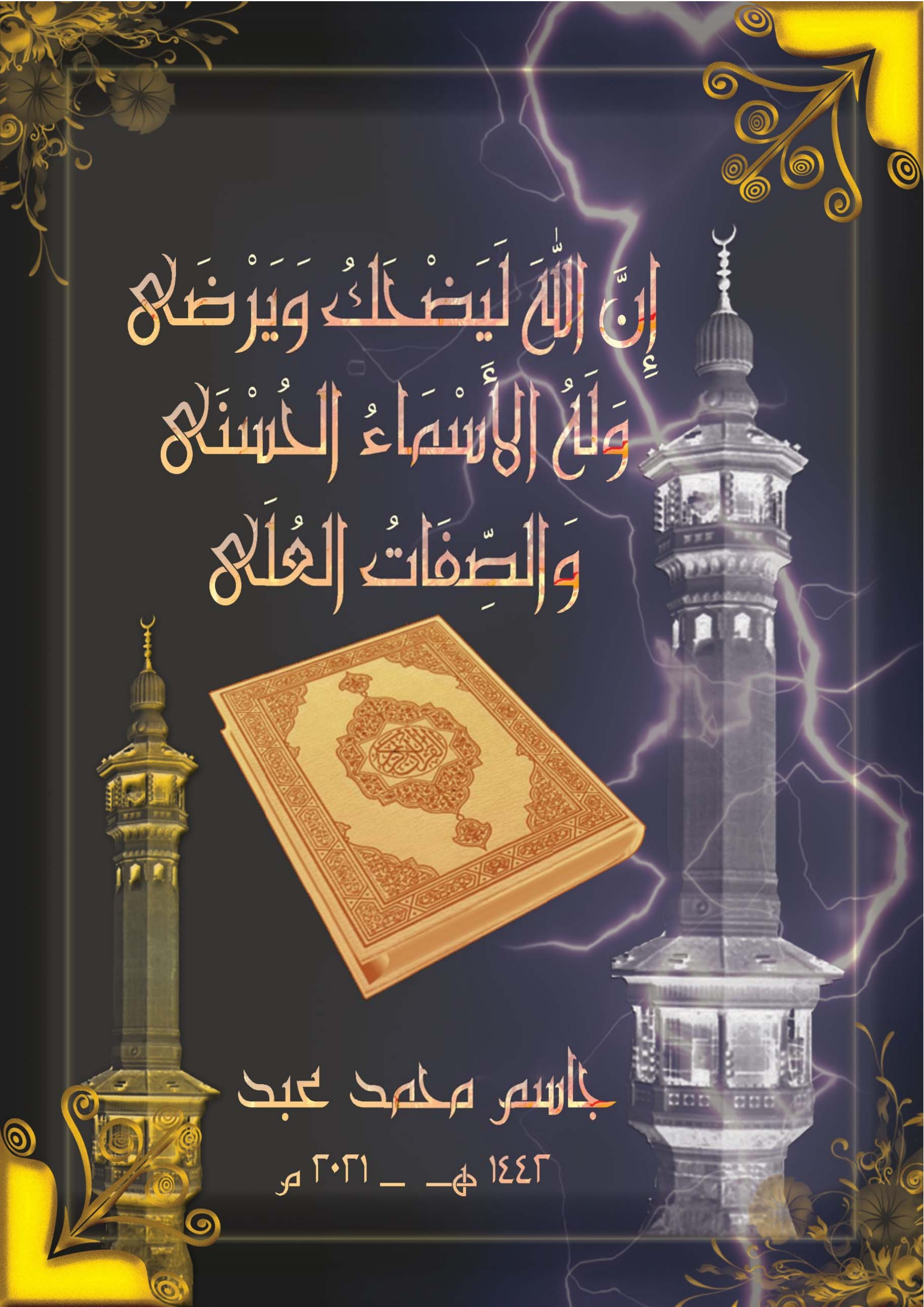


إنَّ اللهَ لَيَضْحَكُ وَيَرْضَى
وَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى
وَالصِّفَاتُ العُلَى
جاسم محمد عبد
١٤٤٢ هـ _ ٢٠٢١ م

إِنَّ اللهَ لَيَضْحَكُ، وَيَرْضَى وَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى وَالصِّفَاتُ العُلَى

جاسم محمد عبد

1442 هـ – 2021 م

تصميم الغلاف:





بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِناَ وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِناَ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هاَدِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ على إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيد، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ على إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

قال تعالى: ((يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ)) [آل عمران: ١٠٢]، وقال تعالى: ((يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا)) [النساء: ١]، وقال تعالى: ((يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۞ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا)) [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٍ وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ.

قال تعالى: ((وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا)) [طه: ١١٤]، وقال تعالى: ((رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ۞ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ۞ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ۞ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي)) [طه: ٢٥-٢٨].

(اَللّٰهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي وَارْزُقْنِي عِلْمًا تَنْفَعُنِي بِهِ)، (اللهم يا مُعَلِّمَ إبراهيمَ عَلِّمْني، وَيا مُفَهِّمَ سليمانَ فَهِّمْني).

قــال الله سبحــانه وتعــالى عزَّ وجلَّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨]، وهذه سورة الفاتحة التي يُقرأ بها في الصَّلاة؛ هي توحيد من أولها إلى آخرها؛ سواء كان توحيد الرُّبوبيَّة أو توحيد الأُلوهيَّة أو توحيد الأسماء والصفات؛ وتوحيد الأسماء والصفات: هو الركن الرابع من أركان الإيمان بالله تبارك وتعالى سبحانه عزَّ وجلَّ، وهو القسم الثالث من أقسام التَّوحيد؛ ومعناه الإيمان والاعتقاد الجازم بأسماء الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ وصفاته الواردة في كتابه، وفي سنّة رسوله صلى الله عليه وسلم، والإيمان بمعانيها وأحكامها، على وجه يليق بجلاله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، ولا تشبيه، والقاعدة في كل ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]؛ وذَكَرَ أهل العلم أنَّ هذا الإيمان والاعتقاد يورث العبد ثمرات وآثارًا عظيمة مباركة وفوائد جليلة، تجعل صاحبها يذوق حلاوة الإيمان، ويُنَزِّه الله سبحانه وتعالى عَزَّ وجَلَّ عن كلِّ عيبٍ ونقصٍ، ويزداد له محبةً وتعظيمًا وإجلالاً، ويثني عليه، ويخشاه، ويزداد أيمانا به، ويَمْتَلِئ قلبه من نور المعرفة بالله سبحانه وتعالى عَزَّ وجَلَّ، ويعبده على بصيرة، ويطيعه، ويبتعد عن معصيته، ولا ينازعه في صفاته، ويحرص على ألاَّ ينسى ربه ويترك ذكره، ويتعرف على الله سبحانه وتعالى عَزَّ وجَلَّ، ويستشعر صفاته؛ فيزداد إيمانه بالله يقينًا، ويقوى توحيده لله سبحانه وتعالى عَزَّ وجَلَّ، ويظل العبد دائم السؤال لربه سبحانه وتعالى عَزَّ وجَلَّ بأسمائه وصفاته؛ كما قال سبحانه وتعالى عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ

ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]؛ فيورثه ذلك؛ الفلاح والسعادة، وانشراح الصدر، والحياة الطيبة في الدنيا، ونعيم الجنة في الآخرة.

قال تعالى: ((بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ)) [الزمر: ٦٦]، وقال تعالى: ((وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ)) [النمل: ٤٠]، وعَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لا يشكر الله من لا يشكر الناس" [١]، وعَنْه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْراً، فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ" [٢].

الشكر كل الشكر لآبائنا وأمهاتنا كما ربّونا صغاراً وكان وما زال كل الفضل لهم علينا، اللّهم اغفر لهم وارحمهم وارض عنهم.

جزيل الشكر والتقدير والثناء والإمتنان لكلِّ مَن ساهم معنا ومد لنا يد العون وقام بتوجيهنا، وشاركَ معنا وأعانَ في إعدادِ ونَشْرِ هذا العمل.

اللّهم اغفر لنا ولهم وارحمنا وإياهم، واكتب لنا ولهم الأجر والثواب والمغفرة، واجزهم عنا خير الجزاء.

١ رواه أحمد (٢٧٨/٤) (١٨٤٧٢)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٥١٦/٦)، والمنذري في ((الترغيب والترهيب)) (١٠٣/٢): إسناده لا بأس به، وحسنه ابن مفلح في ((الآداب الشرعية)) (٣٣٢/١)، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٢٢٠/٥): رجاله ثقات.

٢ رواه أبو داود (١٦٧٢)، والنسائي (٨٢/٥)، وأحمد (٦٨/٢) (٥٣٦٥)، وابن حبان (١٩٩/٨) (٣٤٠٨)، والحاكم (٥٧٢/١)، والحديث سكت عنه أبو داود، وصححه النووي في ((المجموع)) (٢٤٥/٦)، وقال العراقي في ((تخريج الإحياء)) (إسناده صحيح).

اللَّهُمَّ افْتَحْ أَقْفَالَ قُلُوبِنَا لِذِكْرِكَ، وَأَتْمِمْ عَلَيْنَا نِعْمَتَكَ وَفَضْلَكَ، وَاجْعَلْنَا فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ.

وأخيراً؛ أسأل الله سبحانه وتعالى عَزَّ وجَلَّ وأتوسل إليه بأسمائه وصفاته أن أكون قد أصبتُ الحقَّ، وأن ينفع الله سبحانه وتعالى عَزَّ وجَلَّ بهذا العمل.

وَصَلِّي اللَّهُمَّ وسَلَّمَ وَبَارِكْ عَلَى نَبيِّنا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجمعين.

وكتبه

عشية ١٥ / جُمَادَى الآخِرَة / ١٤٤٢ هـ

الفقير إلى الله الراجي رحمة ربه وعفوه

جاسم محمد عبد

غفر الله له ولوالديه ولزوجته ولأهل بيته، ولكل من ساهم معه في هذا العمل، ولآبائهم وأمهاتهم وأزواجهم وذرياتهم، ولجميع المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات ...

العقيدة الصّحيحة

التَّوحِيد:

السَّلف يُطلِقون على العقيدة الصّحيحة عدة أسماء، ومن ذلك: "التَّوحيد" [٣].

٣ **التَّوحيد لغةً:** قـال ابن فـارس رحمـه الله: "التَّوحيد الواو والحاء والدال: أصل واحد، يدل على الانفراد"؛ [معجم مقاييس اللغة: ٦٨/٦]، وقال الجـوهري رحمه الله: الوحدة: الانفراد، تقول: رأيته وحده؛ [الصحاح في اللغة: ١٠٩/٢]، كذلك قال الأزهري رحمه الله قال الليث: الوَحَد: المنفرد؛ [تهذيب اللغة: ١٦٩/٢]، وقال أبو العباس: يحتمل أيضاً أن يكون الرجل في نفسه منفرداً كأنّك قلت رأيت رجلاً منفرداً، ثم وضعت وحده موضعه؛ [لسان العرب: ٤٤٦/٣]، ولا يضاف إلا في قولهم: فلان نسيب وحده، ويقال: وحده وأحده كما يقال ثناه وثلثه، ورجل وحد ووحِد ووحيد أي منفرد، وسأل عن الآحاد أهي جمع أحد؟ فقال: معاذ الله! ليس للأحد جمع ولكن إن جعلته جمع الواحد آحاد فهو محتمل كشاهد وأشهاد؛ [تاج العروس: ٣٧٦/٧]، والأحد أصله الوَحَد ويقال: الفرق بين الواحد والأحد أنّ الأحد بُني لنفي ما يُذكر معه من العدد، والواحد اسم لمفتتح العدد؛ [تاج العروس: ٢٦٤/٩]، وقال الأزهري وأما اسم الله جل ثناءه أحد فإنه لا يوصف شيء بالأحدية غيره، فلا يقال رجل أحد، ولا درهم أحد، كما يقال رجل وحد أي فرد؛ لأنّ أحداً صفة من صفات الله التي استأثر بها فلا يُشركه فيها شيء؛ [تهـذيب اللغة: ١٧١/٢]، والواحد في صفة الله معناه أنّه لا ثاني له؛ [تاج العروس: ٢٦٩/٩]، والتّوحيد مشتق من الفعل وَحد، أي جعله واحداً، وحد توحيد، وكذلك فإنّ التّوحيد يكون بالاعتقاد والقصد والإرادة والجوارح، وقال قوام السنة وهو إسماعيل الطلحي رحمه الله وكان من أئمّة أهل السنة: التّوحيد على وزن التفعيل مصدر وحدته توحيداً كما تقول كلمته تكليماً وهذا النوع يأتي متعدياً إلا أحرفاً {يعني: مواضع يسيرة جاءت لازمة} ولهذا الفعل معنيان: أحدهما تكثير الفعل وتكريره، والمبالغة فيه، فإذا قلت وحدت يعني: وحدت ووحدت ووحدت كما تقول كسَّرت وغلَّقت وفتَّحت، إذا أكثَرتُ من الفَتح والغَلق والكسر، فتقول: كسَّرت، وفتَّحت، وغلَّقت، أكثرت من القيام بالفعل، فإذاً وحَّدت أكثرت من القيام بالتّوحيد، والوجه الثاني وقوعه مرة واحدة كقوله: غديت فلان وعشَّيته وكلَّمته، فيُستعمل هنا على المرة الواحدة، ومعنى وحدته يعني جعلته منفرداً عما يشاركه أو يشبهه، والتشديد فيه للمبالغة، فإذاً: وحّد يوحد توحيداً، جعل الشيء واحداً؛ [الحجة في بيان المحجة: ٣٠٥/١-٣٠٦].

والتَّوحيد شرعاً: إفراد الله بربوبيته وإلاهيته وأسمائه وصفاته، وإن قلت: إفراد الله بأفعاله وأسمائه وصفاته وحقوقه كان ذلك وجيهاً.

التَّوحيد شرعاً:

"إفراد الله سبحــانه وتعــالى عزّ وجلّ بربوبيته وإلاهيته (أُلوهيته [عبادته]) وأسمائه وصفاته" [٤]، أو: "إفراد الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ بأفعاله وأسمائه وصفاته

٤ قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى: "ومن يتأمل دعوة الرُّسل عليهم الصلاة والسلام وحال الأمم الذين دعتهم الرُّسل يتضح له أنّ التَّوحيد الذي دعوا إليه ثلاثة أنواع، نوعان أقر بهما المشركون فلم يدخلوا بهما في الإسلام وهما: توحيد الرّبوبية وتوحيد الأسماء والصفات، أما توحيد الرّبوبية فهو الإقرار بأفعال الرّب من الخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة إلى غير ذلك من أفعاله سبحانه فإنّ المشركين قد أقروا بذلك واحتج الله عليهم به، لأنّه يستلزم توحيد العبادة ويقتضيه، ... والآيات في هذا المعنى كثيرة وكلها دالة على إقرارهم بأفعال الرّب سبحانه ولم يدخلهم ذلك في الإسلام، كما تقدم لعدم إخلاصهم العبادة لله وحده وذلك حجة عليهم فيما أنكروه من توحيد العبادة لأنّ الخالق لهذه الأشياء التي أنكروها هو المستحق لأن يعبد وحده لا شريك له. أما النوع الثاني وهو توحيد الأسماء والصفات فقد ذكر الله ذلك في آيات كثيرات ولم ينكره المشركون سوى ما ذكر عنهم من إنكار الرحمن في قوله تعالى: {وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ} [الرعد:٣٠]، وهذا منهم على سبيل المكابرة والعناد وإلا فهم يعلمون أنّه سبحانه هو الرحمن كما وجد ذلك في كثير من أشعارهم، ... والآيات في هذا المعنى كثيرة وكلها دالة على أنّ الله سبحانه له الأسماء الحسنى والصفات العلا وله الكمال المطلق في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله لا شريك له في ذلك. وقد أجمع سلف الأمة على وجوب الإيمان بكل ما جاء في كتاب الله عز وجل وسنَّة رسوله صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ الصحيحة من الأسماء والصفات وإقرارها كما جاءت، والإيمان بأنّ الله سبحانه موصوف بها على الحقيقة [لا على المجاز] على الوجه اللائق به لا شبيه له في ذلك ولا ند له ولا كفؤ ولا يعلم كيفيتها إلا هو سبحانه وهو الموصوف بمعانيها كلها على الكمال المطلق الذي لا يشابهه فيها أحد كما تقدم في قوله عز وجل: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى:١١] وهذا النوع حجة قاطعة على استحقاق ربنا سبحانه العبادة كالنوع الأول. أما النوع الثالث فهو توحيد العبادة وهو الذي جاءت به الرسل، ونزلت الكتب بالدعوة إليه، والأمر بتحقيقه وخلق الله من أجله الثقلين، وفيه وقعت الخصومة بين الرسل وأممهم، ... والآيات في هذا المعنى كثيرة وكلها تدل على أنّ الله سبحانه أرسل الرسل وأنزل الكتاب وخلق الخلق ليعبد وحده لا شريك له ويخص بالعبادة دون كل ما سواه". [أنواع التوحيد الذي بعث الله به الرسل عليهم الصلاة والسلام؛ نشرت ضمن كتاب محاضرات رابطة العالم الإسلامي للموسم الثقافي في حج عام ١٤٠٠ هـ ص ٧٩-٨٦، (مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز ٢/ ٣٠)].

وحقوقه" [٥]، فالإيمان بالله أركانه أربعة: "الإيمان بوجود الله تبارك وتعالى سبحانه عزّ وجلّ"، و"الإيمان بربوبيته"، و"الإيمان بأُلوهيته"، و"الإيمان بأسمائه وصفاته".
قال الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ: ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ)) [آل عمران: ٦٤]، وقال سبحانه وتعالى: ((وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)) [النساء: ٣٦]، وقال سبحانه وتعالى: ((أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ)) [الأعراف: ٥٤]، وقال سبحانه وتعالى: ((فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ)) [محمد: ١٩]، وقال سبحانه وتعالى: ((لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا)) [الكهف: ٣٨]، وقال تعالى عزّ وجلّ: ((قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ)) [الرعد: ١٦]، وقال تعالى عزّ وجلّ: ((تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ)) [الملك: ١]، وقال تعالى: ((قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا)) [الأنعام: ١٤]، وقال سبحانه وتعالى: ((إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ)) [الأنعام: ٥٧]، وقال سبحانه وتعالى عزّ وجلّ: ((اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى)) [طه: ٨]، وَقَالَ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "يا أيُّها الناسُ، قُولوا: لا إلهَ إلا اللهُ، تُفلِحوا" [٦]، وَلَمّا بَعَثَ النَّبِيُّ صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ مُعاذَ بْنَ جَبَلٍ إلى نَحْوِ أهْلِ اليَمَنِ قالَ لَهُ: "ادْعُهُمْ إلى شَهادَةِ أنْ لاَ إلَهَ إلّا اللَّهُ، وأنِّي رَسُولُ اللَّهِ، ... " [٧]، وفي رواية: "إنَّكَ تَقْدَمُ عَلى قَوْمٍ مِن أهْلِ الكِتابِ، فَلْيَكُنْ أوَّلَ ما تَدْعُوهُمْ إلى أنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعالى ... " [٨]، وأرسل

٥ سلسلة العقيدة الصحيحة؛ الشيخ مُحَمَّد صَالِح المُنَجِّد. [بتصرف].

٦ رواه أحمد: ١٦٠٢٣، وابن حِبَّان: ٦٥٦٢، وابن خزيمة: ١٥٩، والطبراني: ٤٥٨٤، وصححه الألباني في صحيح السيرة النبوية: ١/١٤٣].

٧ رواه البخاري: ١٣٩٥.

٨ رواه البخاري: ٧٣٧٢.

رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ بالتَّوحـــيد كتباً إلى الملــوك، كما أرســل إلى هِرَقْلَ: "... أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ ..." [9] ، وعلّمه صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ الوفود؛ فَإِنَّ وفْدَ عبدِ القَيْسِ لَمّا أَتَوُا النبيَّ صَلّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ: "أَتَدْرُونَ ما الإيمانُ باللَّهِ وحْدَهُ"، قالوا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: "شَهادَةُ أنْ لا إلَهَ إلّا اللَّهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ" [10]، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ" [11]، وَعن جَرِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: "بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ" [12] ، وهذه سورة الفاتحة التي يُقرأ بها في الصَّلاة هي توحيد من أولها إلى آخرها، سواء كان توحيد الرُّبوبيَّة أو توحيد الأُلوهيَّة أو توحيد الأسماء والصفات.

التَّوحيد عند أهل العلم ثلاثة أقسام [13]:

---

9 رواه البخاري: ٧، ومسلم: ١٧٧٣.

10 رواه البخاري: ٥٣.

11 رواه البخاري: ٣٩٢، ومسلم ٢٠.

12 رواه البخاري: ٢١٥٧.

13 مشروعية هذا التقسيم:

قال الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: (وقد دل استقراء القرآن العظيم على أنّ توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام: **الأول:** توحيده في ربوبيته. **الثاني:** توحيده جل وعلا في عبوديته. **النوع الثالث:** توحيده جل وعلا في أسمائه وصفاته). ["أضواء البيان"؛ للعلامة محمد الأمين الشنقيطي (٤١٠/٣)].

وقال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله: (هذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف أشار إليه ابن منده وابن جرير الطبري وغيرهما وقرره شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وقرره الزبيدي في تاج العروس، وشيخنا الشنقيطي في "أضواء البيان"، في آخرين رحم الله الجميع، وهو استقراء تام لنصوص الشرع، وهو مطرد لدى

أهل كل فن، كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى اسم وفعل وحرف، والعرب لم تفه بهذا، ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب، وهكذا من أنواع الاستقراء). ["**التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير"؛ للعلامة بكر أبو زيد (١٣٣ حاشية رقم ٢ ضمن الردود ط ١/ ١٤١٤ دار العاصمة - الرياض)**].

وهذا التقسيم موجود مع بداية التصنيف والتدوين لمسائل العقيدة ومن الأدلة على ذلك بعض النصوص الواردة عن السلف في بيان ذلك:

النص الأول: للإمام أبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري حيث قـــال: (....... وذلك أنّ أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء: **أحدها:** أن يعتقد العبد ربانيته ليكون بذلك مباينا لمذاهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعا. **والثاني:** أن يعتقد وحدانيته ليكون مباينا بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره. **والثالث:** أن يعتقده موصوفا بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفا بها من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه ...) ["**الإبانة"؛ (١٧٢/٢-١٧٣)**]. وكلامه هذا صريح في أنّ أصل الإيمان بالله وتوحيده مبني على هذه الأمور الثلاثة فسمى الأول اعتقاد الربانية والثاني اعتقاد الوحدانية والثالث اعتقاد اتصافه بالصفات العلى اللازمة لكمال الله سبحانه وتعالى.

والنص الثاني: للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن يحيى بن مندة رحمه الله حيث فصل وبوب في كتابه القيم: (كتاب التوحيد) في الأقسام الثلاثة للتوحيد فمن تبويباته: ١- ذكر ما وصف الله عز وجل به نفسه ودل على وحدانيته عز وجل وأنّه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. ٢- ذكر معرفة بدأ الخلق. ٣- ذكر معرفة أسماء الله عز وجل الحسنة التي تسمى بها وأظهرها لعباده للمعرفة والدعاء والذكر - وأبواب أخرى كثيرة فمن أراد الوقوف عليها فليرجع إلى الكتاب المذكور، ولذلك وصف الكتاب ومباحثه محققه الدكتور علي الفقيهي بقوله: (قسم المؤلف التوحيد إلى أربعة أقسام حيث جعل أسماء الله الحسنى قسما مستقلا ثم أتبعها بالصفات، وأقسام التوحيد الذي ذكرها هي: الوحدانية في الربوبية. توحيد الألوهية وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله. توحيد أسماء الله الحسنى. الصفات) ["**التوحيد (ابن مندة)"؛ (٣٣/١) تحقيق علي بن ناصر الفقيهي ط الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية. انظر في ذلك: ((القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد))، عبد الرزاق البدر، دار ابن عفان**].

وقد سبق هذين الإمامين إمام الأئمة أبو بكر بن خزيمة رحمه الله في تصنيف كتاب مستقل في توحيد المعرفة والإثبات وسماه كتاب (التوحيد وإثبات صفات الرّب عز وجل).

وسبق الجميع الإمام محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله في تصنيف كتاب التوحيد في الرد على الجهمية ضمن كتابه الجامع الصحيح المعروف بصحيح الإمام البخاري.

ومما يدل على أنّ لفظ التوحيد واعتبار أقسامه أمر متعاهد عليه عند السلف قديما افتتاح الإمام الطحاوي عقيدته بقوله: نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إنّ الله واحد لا شريك له ... ولا شيء مثله ولا شيء يعجزه ولا إله غيره ... ثم قال: (له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالق ولا مخلوق). **["العقيدة الطحاوية بشرح ابن أبي العز"؛ (٩٢) تحقيق أحمد شاكر ط دون/١٤١٣هـ].**

انظر: [قواعد في بيان حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة لعادل الشيخاني؛ ص ٩٧].

وقد سُئِل الشيخ عبد العزيز بن باز عن هذا التقسيم ومشروعيته فأجاب بما يلي: (الحمد لله، فهذا التقسيم مأخوذ من الاستقراء والتأمل لأنّ العلماء لما استقرؤوا ما جاءت به النصوص من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ظهر لهم هذا، وزاد بعضهم نوعا رابعا هو توحيد المتابعة، وهذا كله بالاستقراء فلا شك أنّ من تدبر القرآن الكريم وجد فيه آيات تأمر بإخلاص العبادة لله وحده، وهذا هو توحيد الألوهية، ووجد آيات تدل على أنّ الله هو الخلاق وأنّه الرزاق وأنّه مدبر الأمور، وهذا هو توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون ولم يدخلهم في الإسلام، كما يجد آيات أخرى تدل على أنّ له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وأنّه لا شبيه له ولا كفو له، وهذا هو توحيد الأسماء والصفات الذي أنكره المبتدعة من الجهمية والمعتزلة والمشبهة، ومن سلك سبيلهم. ويجد آيات تدل على وجوب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ورفض ما خالف شرعه، وهذا هو توحيد المتابعة، فهذا التقسيم قد عُلم بالاستقراء وتتبع الآيات ودراسة السنة، ومن ذلك: قول الله سبحانه: ((إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)) [الفاتحة: ٤]، وقوله عز وجل: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)) [البقرة: ٢١]، وقوله جل وتعالى: ((وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ)) [البقرة: ١٦٣]، وقوله سبحانه: ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ)) [الذاريات: ٥٦-٥٧]، وقوله سبحانه: ((إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)) [الأعراف: ٥٤]، وقال سبحانه: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)) [الشورى: ١١]، وقال عزّ وجلّ: ((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ)) [الإخلاص: ١-٤]، وقال جلّ شأنه: ((قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)) [آل عمران: ٣١]، وقال سبحانه: ((قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلا الْبَلاغُ الْمُبِينُ)) [النور: ٥٤]، والآيات الدالة على ما ذكر من التقسيم كثيرة. ومن الأحاديث: قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث معاذ رضي الله عنه المتفق على صحته: "حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا" [رواه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠)؛ من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه]، وقوله عليه

تـوحيد الرُّبـوبيَّة، وتـوحيد الأُلـوهيَّة [14] [تـوحيد العبادة]، وتـوحيد الأسماء والصفات [15]:

1. توحيد الرُّبوبيَّة: هو الاعتقاد الجازم بأنّ الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ وحده ربّ كل شيء ومليكه، لا شريك له، وهو الخالق وحده وهو مدبر العالم والمتصرف فيه، وأنّه خالق العباد ورازقهم ومحييهم و مميتهم، والإيمان

الصلاة والسلام: "من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار" [رواه البخاري (٤٤٩٧)؛ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه]، وقوله لجبريل عليه السلام لما سأله عن الإسلام قال: "أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة..." [رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩)؛ من حـديث أبي هريرة رضي الله عنه]، وقوله صلى الله عليه وسلم: "من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصا الله" [رواه البخاري (٢٩٥٧)، ومسلم (١٨٣٥)؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه]، وقوله عليه الصلاة والسلام: "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قيل يا رسول الله ومن يأبى؟ قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى" [رواه البخاري (٧٢٨٠)؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه]، والأحاديث في هذا الباب كثيرة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الإله هو المعبود المطاع فإنّ الإله هو المألوه، والمألوه هو الذي يستحق أن يعبد، وكونه يستحق أن يعبد هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب المخضوع له غاية الخضوع، وقال: فإنّ الإله هو المحبوب المعبود الذي تألهه القلوب بحبها وتخضع له وتذل له وتخافه وترجوه وتنيب إليه في شدائدها وتدعوه في مهماتها وتتوكل عليه في مصالحها وتلجأ إليه وتطمئن بذكره وتسكن إلى حبه، وليس ذلك إلا لله وحده، ولهذا كانت لا إله إلا الله أصدق الكلام، وكان أهلها أهل الله وحزبه، والمنكرون لها أعداءه وأهل غضبه ونقمته، فإذا صحت صح بها كل مسألة وحال وذوق، وإذا لم يصححها العبد فالفساد لازم له في علومه وأعماله. نسأل الله أن يوفق المسلمين جميعا من حكام ومحكومين للفقه في دينه والثبات عليه والنصح لله ولعباده، والحذر ما يخالف ذلك، إنّه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.) **[مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لعبد العزيز بن عبد الله بن باز - ٢١٥/٦]**.

١٤ بعضهم يعَبِّر بتوحيد العبادة وهذا أوضح بالنسبة لعامة الناس.

١٥ بعض العلمـــاء جعلوا توحيد الأسماء والصفات نوعين: توحيد الأسماء وتوحيد الصفات، كما جعل ذلك ابن المنذر رحمه الله. **[سلسلة العقيدة الصحيحة؛ الشيخ مُحَمَّد صَالِح المُنَجِّد]**.

بقضاء الله وقدره وبوحدانيته في ذاته، وخلاصته: هو توحيد الله بأفعاله من الخلق والرزق والإحياء والإماتة ونحو ذلك، قال الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)) [الفاتحة: ١]، وهذا النوع من التَّوحيد لم يخالف فيه كفار قريش، وأكثر أصحاب الملل والديانات؛ فكلهم يعتقدون أنّ خالق العالم هو الله وحده، وذلك لأنّ قلوب العباد مفطورة على الإقرار بربوبيته سبحانه وتعالى ولذا فلا يصبح معتقده موحداً؛ حتى يلتزم بالنّوع الثاني من أنواع التَّوحيد: توحيد الأُلوهيَّة.

٢. توحيد الأُلوهيَّة: ويسمى توحيد العبادة [١٦]؛وهو إفراد الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ بالعبادة (بأفعال العباد التعبُّدية) من صلاة وصوم وحج وزكاة ونذر وذبح ونحو ذلك؛ ومعناه الاعتقاد الجازم بأنّ الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ هو: الإله الحق ولا إله غيره، وكل معبود سواه باطل، وإفراده تعالى بالعبادة والخضوع والطاعة المطلقة، وألّا يشرك به أحد كائناً من كان، ولا يصرف شيء من العبادة لغيره؛ كالصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والدعاء، والاستعانة، والنذر، والذبح، والتوكل، والخوف والرجاء، والحب، والتوكل، والاعتصام، والاستعاذة، والاستغاثة، وغيرها من أنواع العبادة الظاهرة والباطنة، وأن يعبد الله بالحب والخوف والرجاء جميعا، وعبادته ببعضها دون بعض ضلال، وتوحيد الأُلوهيّة هو ما دعت إليه جميع الرسل، وإنكاره هو الذي أورد الأمم السابقة

١٦ ويُسمى: (توحيد العمل)، و(توحيد القصد)، و(توحيد الإرادة والطلب)؛ لأنّه قائم على إخلاص القصد في جميع العبادات، بإرادة وجه الله تعالى، وحده لا شريك له.

موارد الهلاك، وهو أول الدين وآخره وباطنه وظاهره، وهو أول دعوة الرسل وآخرها ولأجله أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وسُلت سيوف الجهاد، وفُرِّق بين المؤمنين والكافرين، وبين أهل الجنة وأهل النار، وهو معنى: "لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ" [١٧].

٣. توحيد الأسماء والصفات: وهذا هو الركن الرابع من أركان الإيمان بالله تبارك وتعالى سبحانه عزّ وجلّ، وهو القسم الثالث من أقسام التوحيد؛ ومعناه الاعتقاد الجازم بأنّ الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وهو متصف بجميع صفات الكمال، ومنزه عن جميع صفات النقص، متفرد بذلك عن جميع الكـائنات؛ وهو أن تصف الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، وتسميه بما سمى به نفسه، أو سماه به رسوله صلى الله عليه وسلم، دون تحريف الكلم عن مواضعه، ولا الإلحاد في أسمائه وآياته، مع اثبات لله ما أثبته لنفسه سبحانه وتعالى عزّ وجلّ، من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف، والقاعدة في كل ذلك قول الله تبارك وتعالى: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)) [الشورى: ١١].

---

١٧ "لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ": كلمة التوحيد الخالص، أعظم فريضة فرضها الله على عباده، ومعناها: لا معبود بحقٍ إلّا الله، وهي تتكون من ركنين أساسيين هما: النفي (ترك جميع أنواع المعبودات إلّا الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ) والإثبات (إفراد الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ وحده بجميع أنواع العبادات، على الوجه الذي شرعه على ألسنة رسله عليهم السلام).

وعلاقة أقسام التَّوحيد الثلاثة ببعضها علاقة وثيقة جداً وهي علاقة تلازُم وشمول وتضَمُّن، فتوحيد الرُّبوبية مثلاً مستلزِم لتوحيد الأُلوهية، فتوحيد الرُّبوبية مقدِّمةٌ وتوحيد الأُلوهية نتيجة، فَمَن أقر بتوحيد الربوبية وعلم أنّ الله سبحانه هو الرب وحده لا شريك له في ربوبيته، فهو المالك الخالق المتصرِّف المدبر المحيي المميت؛ لزمه من ذلك الإقرار أن يفرد الله بالعبادة وحده سبحانه وتعالى؛ لأنّه لا يصلح أن يعبد إلا من كان رباً خالقاً مالكاً مدبراً، وما دام كله لله وحده وجب أن يكون هو المعبود وحده، ولا يستحق العبادة إلا هو، ولهذا جرت سنّة القرآن الكريم على سوق آيات الرّبوبيّة مقرونة بآيات الدعوة إلى توحيد الألوهيّة، فإذاً توحيد الرُّبوبية يستلزم توحيد الأُلوهية، وأمّا توحيد الأُلوهية فهو متضَمِّن لتوحيد الرُّبوبية؛ لأنّ مَن عَبَدَ الله وحده لا شريك له، وأفرده ولم يشرك به شيئاً فهذا يدل ضمناً على أنّه قد اعتقد بأنّ الله هو ربّه ومالكه الذي لا ربّ غيره، ولذلك عَبَدَه، وهذا أمر يشاهده الموحد من نفسه، فكونه قد أفرد الله بالعبادة ولم يصرف شيئاً منها لغير الله، ما هو إلا لإقراره بتوحيد الرّبوبيّة، وأنّه لا ربّ، ولا مالك، ولا متصرف إلا الله وحده، وأما توحيد الأسماء والصفات فهو شامل للنّوعين جميعاً؛ لأنَه يقوم على إفراد الله بكل ما له من أسماء حُسنى وصفات عُليَا لا تنبغي إلا لَه سبحانه وتعالى، والتي من جملتها كونه ربٌّ واحدٌ لا شريك له، فاسم الرَّب لا ينصرف إلا إليه عند الإطلاق، إذا قلت الرَّبُّ بالإطلاق فلا ينصرف إلا لله فقط، فهو: الرَّب، الخالق، الرازق، الملك، وهذا هو توحيد الربوبية، ومن جملتها: الله، الغفور، الرحيم، التواب، وهذا هو توحيد الألوهيّة، فالأنواع الثلاثة متلازمة، ولا يَكمل توحيدُ عبدٍ إلا باجتماعها كاملةً فيه، ومن عَبَدَ الله وحدَه ولكن اعتقد أنَّ

هناك واحدٌ آخر عنده القُدرة مثل قدرة اللهِ، أو أنَّه ينفع أو أنَّه يضرُّ فهذا إنسانٌ مشرك، ومن أقرَّ بتوحيد الرُّبوبية والأُلوهية ولكنَّه عطَّل توحيد الأسماء، قال: لا ربَّ غيره، ولا أصلِّي إلا له، ثم قال: [لكن لا أُثبت له أسماءً وصفاتٍ، وأنازع فيها]؛ لم ينفعه توحيده في رُبوبيته وإلاهيته، ولا يَصحُّ توحيدٌ إلا بأن يؤمن بالأسماء والصفات، فمن كَفرَ ببعض وآمنَ ببعض فقد ضلَّ ضلالاً بعيدا، ولقد كانت دعوة الرسل الصحيحة أكثرها في توحيد الألوهية لكثرة الضُّلال فيه، ليس لأنّ الأنواع الأخرى غير مهمة. والقرآن كله دعوة للتوحيد؛ قال ابن القيم رحمه اللهُ: (كل سورة في القرآن هي متضمنة للتوحيد، بل نقول قولاً كلياً: إنّ كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه، فإنّ القرآن: إما خبر عن اللهِ وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي، وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة اللهِ لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم توحيده، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم). [18].

[18] ["تحذير أهل الإيمان"؛ (١٤٠/١) (ضمن مجموعة الرسائل المنيرية)، و"الكواشف الجلية عن معاني الواسطية"؛ للشيخ عبد العزيز السلمان (ص: ٤٢١-٤٢٢)، و"مدارج السالكين"؛ (٤٤٩/٣-٤٥٠)، و"معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات لمحمد بن خليفة التميمي؛ (ص: ٤٠)، و"سلسلة العقيدة الصحيحة"؛ الشيخ مُحَمَّد صَالِح المُنَجِّد]؛ {بتصرف}.

توحيد الأسماء والصفات

توحيد الأسماء والصفات:

هو الإيمان والاعتقاد الجازم بأسماء الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ وصفاته الواردة في كتابه، وفي سنّة رسوله صلى الله عليه وسلم، والإيمان بمعانيها وأحكامها، على وجه يليق بجلاله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، ولا تشبيه، والقاعدة في كل ذلك قول الله تبارك وتعالى: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)) [الشورى: ١١].

قواعد في أسماء الله تعالى وصفاته [١٩]

قواعد في أسماء الله تعالى:

القاعدة الأولى: أسماء الله تعالى كلها حسنى؛ أي بالغة في الحسن غايته وذلك لأنّها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه لا احتمالاً ولا تقديراً، والحسن في أسماء الله تعالى يكون باعتبار كل اسم على انفراده، ويكون باعتبار جمعه إلى غيره فيحصل بجمع الاسم إلى الآخر كمال إلى كمال.

١٩ ["القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى"؛ للشيخ العلامة ابن عثيمين رحمه الله]، و["ملخص لكتاب "القواعد المثلى في صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى؛ للشيخ العلامة ابن عثيمين رحمه الله"؛ د. فهد بن مبارك بن عبد الله الوهبي]؛ {بتصرف}.

القاعدة الثانية: أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف؛ أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني، وهي بالاعتبار الأول مترادفة لدلالتها على مسمى واحد وهو الله عز وجل، وبالاعتبار الثاني متباينة لدلالة كل واحد منها على معناه الخاص.

القاعدة الثالثة: أسماء الله تعالى إن دلت على وصف متعد تضمنت ثلاثة أمور: ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل، وثبوت الصفة التي تضمنتها لله عز وجل، وثبوت حكمها ومقتضاها، وإن دلت على وصف غير متعد تضمنت أمرين: ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل، وثبوت الصفة التي تضمنها لله عز وجل.

القاعدة الرابعة: دلالة أسماء الله تعالى على ذاته وصفاته تكون بالمطابقة وبالتضمن وبالالتزام: مثل لذلك بالـ "خالق": يدل على ذات الله وعلى صفة الخلق بالمطابقة، وعلى الذات وحدها أو على صفة الخلق وحدها بالتضمن، ويدل على صفة العلم والقدرة بالالتزام.

القاعدة الخامسة: أسماء الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها، لأنّ العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء فوجب الوقوف في ذلك على النص، ولأنّ تسميته تعالى بما لم يسم به نفسه أو إنكار ما سمى به نفسه، جناية في حقه تعالى فوجب سلوك الأدب في ذلك والاقتصار على ما جاء به النص.

القاعدة السادسة: أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين، لقوله صلى الله عليه وسلم: "أسألُكَ بِكُلِّ اسمٍ هوَ لَكَ، سمَّيتَ بهِ نفسَكَ، أو أنزلتَهُ في

كتابِكَ، أو علَّمتَهُ أحدًا مِن خلقِكَ، أوِ استأثَرتَ بهِ في عِلمِ الغَيبِ عندَكَ" [٢٠] ؛ وما استأثر الله به في علم الغيب لا يمكن لأحد حصره ولا الإحاطة به.

القاعدة السابعة: الإلحاد في أسماء الله تعالى هو الميل بها عما يجب فيها وهو أنواع:

- أن ينكر شيئاً منها أو ما دلت عليه من الصفات والأحكام [كما فعل أهل التعطيل]، لوجوب الإيمان بذلك.
- أن يجعلها دالة على صفات تشابه صفات المخلوقين [كما فعل أهل التشبيه].
- أن يسمي الله تعالى بما لم يسمّ به نفسه [كتسمية النصارى له: (الأب) والفلاسفة إياه: (العلّة الفاعلة)]، وذلك لأنّها توقيفية ففعل ذلك ميل بها عما يجب فيها، كما أنّ هذه الأسماء التي سموه بها باطلة ينزه الله تعالى عنها.
- أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام، لأنّها مختصة به {ولله الأسماء الحسنى} فتسمية غيره بها على الوجه الذي يختص بالله عز وجل ميل بها عما يجب فيها.

والإلحاد بجميع أنواعه محرم؛ لأنّه تعالى هدد الملحدين، ومنه ما يكون شركاً أو كفراً حسبما تقتضيه الأدلة الشرعية.

---

٢٠ حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني في تخريج الكلم الطيب: ١٢٤؛ أخرجه أحمد (٣٧١٢)، وابن حبان (٩٧٢)، والطبراني (١٠/٢١٠) (١٠٣٥٢) باختلاف يسير.

قواعد في صفات الله تعالى:

القاعدة الأولى: صفات الله تعالى كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه؛ ودليل ذلك:

- السمع [٢١]: "ولله المثل الأعلى" أي الوصف الأعلى.
- العقل [٢٢]: أنّ كل موجود حقيقة فلا بد أن تكون له صفة، إما صفة كمال أو صفة نقص، والثاني باطل بالنسبة إلى الرب الكامل المستحق للعبادة، ثم إنّه قد ثبت بالحس والمشاهدة أنّ للمخلوق صفات كمال وهي من الله تعالى فمعطي الكمال أولى به.
- الفطرة: لأنّ النفوس السليمة مجبولة مفطورة على محبة الله وتعظيمه وعبادته، وهل تحب وتعظم وتعبد إلّا من علمت أنّه متصف بصفات الكمال اللائقة بربوبيته وألوهيته؟

وإذا كانت الصفةُ نقصاً لا كمال فيها فهي ممتنعة في حق الله تعالى [كالموت والجهل والنسيان والعجز والعمى والصم ونحوها، وقد عاقب الواصفين بالنقص ونزه نفسه سبحانه عما يصفونه به من النقائص]، وإذا كانت الصفةُ كمالاً في حال ونقصاً في حال لم تكن جائزة في حق الله ولا ممتنعة على سبيل الإطلاق، بل تجوز في الحال

٢١ السمع: الأدلة السمعية: هي الكتاب والسنّة، وسميت سمعية؛ لأنها تتلقى بالسماع.

٢٢ العقل: الأدلة العقلية: هي ما تدرك بالعقل، ويقال أيضاً: النظر والأثر، والعقل والنقل، ومن المعلوم أنّ العقل الصريح [وهو السالم من الشبهات والشهوات] لا يخالف النقل الصحيح، وقد تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية عن ذلك في كتابه درء تعارض العقل والنقل.

التي تكون كمالاً وتمتنع في الحالة الأخرى، [وذلك كالمكر والكيد والخداع ونحوها].

القاعدة الثانية: باب الصفات أوسع من باب الأسماء؛ وذلك لأنّ كل اسم متضمن لصفة، ولأنّ من الصفات ما يتعلق بأفعال الله تعالى وأفعاله لا منتهى لها، فمن صفاته تعالى: المجيء والإتيان والأخذ والإمساك والبطش، فنصف الله تعالى بهذه الصفات على الوجه الوارد ولا نسميه بها، وإن كنا نخبر بذلك عنه ونصفه به.

القاعدة الثالثة: صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين:

- ثبوتية: ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه كالحياة والعلم، فيجب إثباتها لله حقيقة على الوجه اللائق به بدليل السمع والعقل.
- سلبية: ما نفاها الله سبحانه عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وكلها صفات نقص في حقه كالموت والنوم والجهل، فيجب نفيها عن الله تعالى مع إثبات ضدها على الوجه الأكمل، والنفي ليس بكمال إلا أن يتضمن ما يدل على الكمال لأنّ النفي عدم والعدم ليس بشيء، ولأنّه قد يكون لعدم قابلية المحل له مثل: (الجدار لا يظلم)، وقد يكون للعجز عن القيام به فيكون نقصاً، مثل نفي الموت عنه ونفي الظلم ونفي العجز عنه، لأنّ ذلك يتضمن كمال حياته وكمال عدله وكمال علمه

وقدرته، والصفة السلبية قد تتضمن أكثر من كمال مثل نفي العجز يتضمن كمال العلم والقدرة.

القاعدة الرابعة: الصفات الثبوتية صفات مدح وكمال فكلما كثرت وتنوعت دلالتها ظهر من كمال الموصوف بها ما هو أكثر؛ وبهذا تكون الصفات الثبوتية أكثر من السلبية مما أخبر الله بها؛ الصفات السلبية لم تذكر غالباً إلا في الأحوال التالية:

- بيان عموم كماله "ليس كمثله شيء"، "لم يكن له كفواً أحد".
- نفي ما ادعاه في حقه الكاذبون "أن دعوا للرحمن ولداً، وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً".
- دفع توهم نقص من كماله فيما يتعلق بهذا الأمر المعين "وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين"، "ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب".

القاعدة الخامسة: الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين:

- ذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها، كالعلم والقدرة والسمع والبصر.
- فعلية: هي التي بمشيئته، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها كالاستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا.

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين، كالكلام؛

فإنّه:

باعتبار أصله صفة ذاتية.

وباعتبار آحاده صفة فعلية لأنّه يتعلق بالمشيئة.

وكل صفة تعلقت بمشيئته فإنّها تابعة لحكمته وقد تكون الحكمة معلومة لنا وقد نعجز عن إدراكها لكننا نعلم علم اليقين أنّه سبحانه لا يشاء شيئاً إلا وهو موافق لحكمته.

القاعدة السادسة: يلزم في إثبات الصفات التخلي عن محذورين عظيمين:

- **التمثيل** [٢٣]: وهو اعتقاد المثبت أنّ ما أثبته من صفات الله تعالى مماثل لصفات المخلوقين، وهذا اعتقاد باطل بدليل:

السمع: قوله: "ليس كمثله شيء"، "أفمن يخلق كمن لا يخلق".

والعقل: من وجوه:

- أنّه قد علم بالضرورة أنّ بين الخالق والمخلوق تبايناً في الذات وهذا يستلزم أن يكون بينهما تباين في الصفات لأنّ كل موصوف تليق به، كما هو ظاهر في صفات المخلوقين المتباينة في الذوات، فإذا ظهر التباين في بين المخلوقات مع اشتراكها في الإمكان والحدوث، فظهور التباين بينها وبين الخالق أجلى وأقوى.
- أن يقال كيف يكون الرب الخالق الكامل من جميع الوجوه مشابهاً في صفاته للمخلوق المربوب الناقص المفتقر إلى من يكمله، وهل اعتقاد ذلك إلا تَنَقُّص لحق الخالق؟

---

٢٣ التشبيه كالتمثيل، وقد يفرق بينهما بأنّ التمثيل التسوية في كل الصفات والتشبيه التسوية في أكثر الصفات لكن التعبير بنفي التمثيل أولى لموافقة القرآن "ليس كمثله شيء".

فإنّ تشبيه الكامل بالناقص يجعله ناقصاً.

- أنّنا نشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية، فعلم بذلك أنّ الاتفاق في الاسم لا يلزم منه الاتفاق في الحقيقة.

- **التكييف**: وهو أن يعتقد المثبت أنّ كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا من غير أن يقيدها بمماثل، وهذا اعتقاد باطل بدليل:

- السمع: "لا يحيطون به علماً"، "ولا تقف ما ليس لك به علم" ولا علم لنا بالكيفية، فهو قفو لما ليس لنا به علم، وقول بما لا يمكننا الإحاطة به.
- العقل: فلأنّ الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته أو العلم بنظيره المساوي له أو الخبر الصادق عنه، وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله عز وجل فوجب بطلان تكييفها، وأيضاً: فإنّ أي كيفية تقدرها لصفات الله تعالى فالله أعظم وأجل من ذلك، وستكون كاذبا فيها لعدم العلم بذلك، والكيف غير معقول: وإذا كان كذلك ولم يرد به الشرع فقد انتفى عنه الدليلان الشرعي والعقلي فوجب الكف عنه.

القاعدة السابعة: صفات الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها، والكتاب والسنة يدلان على ثبوت الصفات من ثلاثة أوجه:

- التصريح بالصفة كالعزة والقوة ...

- تضمن الاسم لها: مثل الغفور متضمن للمغفرة، والسميع متضمن للسمع.
- التصريح بفعل أو وصف دال عليها كالاستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا والمجيء للفصل بين العباد يوم القيامة والانتقام من المجرمين، الدال عليها على الترتيب "الرحمن على العرش استوى"، "ينزل ربنا إلى السماء الدنيا"، "وجاء ربك والملك صفاً صفاً"، "إنّا من المجرمين منتقمون".

قواعد في أدلة الأسماء والصفات:

القاعدة الأولى: الأدلة التي تثبت بها أسماء الله تعالى وصفاته هي: كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ فلا تثبت أسماء الله تعالى وصفاته بغيرها، فما ورد إثباته وجب إثباته، وما ورد نفيه فيها وجب نفيه مع إثبات كمال ضده، وما لم يرد إثباته ولا نفيه فيهما وجب التوقف في لفظه فلا يثبت ولا ينفى؛ لعدم ورود الإثبات والنفي فيه، أما معناه فيفصل فيه، فإن أريد به معنى يليق بالله تعالى فيهو مقبول، وإن أريد به معنى لا يليق بالله تعالى وجب رده، ودليل ذلك:

- السمع: "وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا الله لعلكم ترحمون"... وغيرها من النصوص الدالة على وجوب الإيمان بما جاء في القرآن والسنة.

- العقل: إنّ تفصيل القول فيها يجب أن يمتنع أو يجوز في حق الله تعالى من أمور الغيب التي لا يمكن إدراكها بالعقل فوجب الرجوع فيه إلى ما جاء في الكتاب والسنة.

القاعدة الثانية: الواجب في نصوص القرآن والسنة إجراؤها على ظاهرها دون تحريف لا سيما نصوص الصفات حيث لا مجال للرأي فيها، ودليل ذلك:

- السمع: "نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين"، "قرآناً عربياً" وهذا يدل على وجوب فهمه على ما يقتضيه ظاهره باللسان العربي إلا أن يمنع منه دليل شرعي، وقد ذم الله اليهود على تحريفهم وبين أنّهم بتحريفهم من أبعد الناس عن الإيمان.
- العقل: فلأنّ المتكلم بهذه النصوص أعلم بمراده من غيره وقد خاطبنا باللسان العربي المبين، فوجب قبوله على ظاهره وإلا لاختلفت الآراء وتفرقت الأمة.

القاعدة الثالثة: ظواهر نصوص الصفات معلومة لنا باعتبار ومجهولة لنا باعتبار آخر؛ فباعتبار المعنى هي معلومة وباعتبار الكيفية التي هي عليها مجهولة، ودليل ذلك:

- السمع: "كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب"؛ والتدبر لا يكون إلا فيما يمكن الوصول إلى فهمه، ليتذكر الإنسان بما فهمه منه: "إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم

تعقلون"، وكون القرآن عربياً ليعقله من يفهم العربية يدل على أنّ معناه معلوم وإلا لما كان فرق بين أن يكون باللغة العربية أو غيرها، "وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون" وبيان النبي صلى الله عليه وسلم القرآن للناس شامل لبيانه لفظه وبيان معناه.

- العقل: لأنّه من المحال أن ينزل الله كتابه أو يتكلم الرسول صلى الله عليه وسلم بكلام، يقصد بهذا الكتاب وهذا الكلام أن يكون هداية للخلق ويبقى في أعظم الأمور وأشدها ضرورة مجهول المعنى، لأنّ ذلك من السفه الذي تأباه حكمة الله تعالى وقد قال عن كتابه "كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم".

القاعدة الرابعة: ظاهر النصوص ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني: وهو يختلف باختلاف السياق، وما يضاف إليه الكلام، مثل: لفظ القرية: يراد به القوم تارة "وإن من قرية إلا نحن مهلكوها"، ومساكن القوم تارة أخرى "إنا مهلكوا أهل هذه القرية"، ومثال الاختلاف بالإضافة اليد، وتركيب الكلام يفيد معنى على وجه، وآخر على وجه مثل: ما عندك إلا زيد، ما زيد إلا عندك، وقد انقسم الناس في ظاهر النصوص إلى ثلاثة أقسام:

- القسم الأول: من جعلوا الظاهر المتبادر منها معنى حقاً يليق بالله عز وجل وأبقوا دلالتها على ذلك وهم السلف أهل السنّة والجماعة.

وهذا هو المذهب الصحيح لوجهين:

١. أنّه تطبيق تام لما دل عليه الكتاب والسنة من وجوب الأخذ بما جاء فيهما من أسماء الله وصفاته.
٢. أن يقال: إنّ الحق إما أن يكون فيما قاله السلف أو فيما قاله غيرهم والثاني باطل ... .

- القسم الثاني: من جعلوا الظاهر المتبادر من نصوص الصفات معنى باطلاً لا يليق بالله؛ وهو التشبيه وأبقوا دلالتها على ذلك، وهؤلاء هم المشبهة، ومذهبهم باطل محرم من عدة أوجه:
  - أنّه جناية على النصوص وتعطيل لها عن المراد بها.
  - أنّ العقل دل على مباينة الخالق للمخلوق في الذات والصفات فكيف يحكم بدلالة النصوص على التشابه بينهما.
  - أنّ هذا المفهوم الذي فهمه المشبه من النصوص مخالف لما فهمه السلف منها فيكون باطلاً.

فإن قال المشبه أنا لا أعقل من نزول الله ويده إلا مثل ما للمخلوق من ذلك، والله تعالى لم يخاطبنا إلا بما نعرفه ونعقله، فجوابه من ثلاثة أوجه:

- أنّ الذي خاطبنا بذلك هو القائل "ليس كمثله شيء"، ونهى عباده أن يضربوا له الأمثال أو يجعلوا له أنداداً وكلامه يصدق بعضاً.

- كما أنّك تعقل ذاتاً لا تشبه الذوات فلتعقل له صفات لا تشبه الصفات، فإنّ القول في الصفات كالقول في الذات.
- أنّ في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية فالتباين بين الخالق والمخلوق أظهر وأعظم بل التماثل مستحيل.

- القسم الثالث: من جعلوا المعنى المتبادر من نصوص الصفات باطلاً لا يليق بالله وهو التشبيه، ثم إنهم من أجل ذلك أنكروا ما دلت عليه من المعنى اللائق بالله، وهم أهل التعطيل سواء أكان تعطيلهم عاماً في الأسماء، أو خاصاً في فيهما، أو في أحدهما، وهذا باطل من وجوه:
  - أنّه جناية على النصوص حيث جعلوها دالة على معنى باطل غير لائق بالله ولا مراد له.
  - أنّه صرف لكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم عن ظاهره.
  - أنّ صرف كلام الله وكلام رسوله عن ظاهره إلى معنى يخالف، قول على الله بغير علم وهو محرم، والصارف لكلام الله ورسوله عن ظاهره إلى معنى يخالفه قد قفا ما ليس له به علم، وقال على الله ما لا يعلم من وجهين:

١. أنّه زعم أنّه ليس المراد بكلام الله تعالى ورسوله كذا مع أنّه ظاهر الكلام.

٢. أنّه زعم أنّ المراد به كذا لمعنى أخر لا يدل عليه ظاهر الكلام.

- أنّ صرف نصوص الصفات عن ظاهرها مخالف لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها فيكون باطلاً.
- أن يُقال للمُعَطِّل ويُسأل أسئلة: هل أنت أعلم بالله من نفسه؟ هل ما أخبر به عن نفسه صدق وحق؟ هل تعلم كلام أفصح وأبين من كلام الله؟ هل تظن أن الله أراد أن يعمي الحق على الخلق في هذه النصوص ليستخرجوه بعقولهم؟ هذا باعتبار القرآن، أما باعتبار السنة فيقال له: هل أنت أعلم بالله من رسوله صلى الله عليه؟ هل ما أخبر به رسول الله عن الله صدق وحق؟ هل تعلم أنّ أحداً من الناس أفصح كلاماً وأبين من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ هل تعلم أنّ أحداً من الناس أنصح لعباد الله من رسول الله؟، فيقال له: إذا كنت تقر بذلك فلماذا لا يكون عندك الإقدام أو الشجاعة في إثبات ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم على حقيقته وظاهره اللائق بالله؟ وكيف يكون عندك ذلك في نفي حقيقته تلك وصرفه إلى معنى يخالف ظاهره بغير علم؟.

- أنّه يلزم على مذهب التعطيل لوازم باطلة وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم: ومن اللوازم:

- أنّهم لم يصرفوا نصوص الصفات عن ظاهرها إلا حيث اعتقدوا أنه مستلزم أو موهم لتشبيه الله تعالى بخلقه، وتشبيه الله تعالى بخلقه كفر؛ وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها، ومِن أَبْطَل الباطل: أن يجعل ظاهر كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم تشبيهاً وكفراً أو موهماً لذلك.
- أنّ كتاب الله لم يبين الله تعالى فيه ما يجب على العباد اعتقاده في أسمائه وصفاته وإنّما جعل ذلك موكولاً إلى عقولهم.
- أنّ النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدين وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها كان قاصرين أو مقصرين في معرفة وتبيين ما يجب لله تعالى من الصفات أم يمتنع عليه أو يجوز، إذ لم يرد عنهم صرف واحد فيما ذهب إليه أهل التعطيل في صفات الله وسموه تأويلاً.
- أنّ كلام الله ورسوله ليس مرجعاً للناس فيما يعتقدونه في ربهم وإلههم، إنّما المرجع تلك العقول المضطربة والمتناقضة.

- أنّه يلزم منه جواز نفي ما أثبته الله ورسوله، وذلك مِن أَبْطَل الباطل.

كل معطل ممثل وكل ممثل معطل؛ فالمعطل، تعطيله ظاهر، وأما تمثيله فلأنّه اعتقد أنّ إثبات الصفات يستلزم التشبيه فمثّل ثم عطّل وبتعطيله مثّله بالناقص، والممثل؛ تمثيله فظاهر، وأما تعطيله:

١. عطل النصوص لأنّه جعلها دالةً على التمثيل مع أنّه لا دلالة فيها على التمثيل وإنّما تدل على صفة تليق بالله عز وجل.
٢. عطل كل نص يدل على نفي مماثلة الله لخلقه.
٣. عطل الله تعالى عن كماله الواجب حيث مثله بالمخلوق الناقص.

الفرق الإسلامية الضالة في مجال الأسماء والصفات؛ أشهرها ثلاث فرق:

١. الجهمية، وهم أتباع الجهم بن صفوان، وهؤلاء ينكرون الأسماء والصفات جميعًا، فلا يثبتون لله سبحانه وتعالى اسماً ولا صفة.
٢. المعتزلة، وهم أتباع واصل بن عطاء، الذي اعتزل مجلس الحسن البصري؛ وهؤلاء يثبتون الأسماء، وينفون الصفات كلها.
٣. الأشاعرة، وهم أتباع أبي الحسن الأشعري، والماتريدية وهم أتباع أبي منصور الماتريدي، ومن تبعهم وهؤلاء يثبتون الأسماء وبعض الصفات وينفون بعضها؛ [الأشاعرة أثبتوا من الصفات سبعًا ونفوا ما عداها؛ (والصفات السبع هي: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام)، والماتريدية أثبتوا ثمان صفات؛ (يزيدون على الأشاعرة صفة التكوين إضافة إلى ما يثبته

الأشاعرة)]، والشبهة التي بنوا عليها جميعًا مذاهبهم: هي الفرار من تشبيه الله بخلقه بزعمهم؛ لأن المخلوقين يسمون ببعض تلك الأسماء، ويوصفون بتلك الصفات، فيلزم من الاشتراك في الاسم والصفة ومعناهما: الاشتراك في حقيقتهما، وهذا يلزم منه تشبيه المخلوق بالخالق في نظرهم، والتزموا حيال ذلك أحد أمرين: إما تأويل نصوص الأسماء والصفات على ظاهرها، كتأويل الوجه بالذات، واليد بالنعمة، وإما تفويض معاني هذه النصوص إلى الله، فيقولون: الله أعلم بمراده منها؛ مع اعتقادهم أنّها ليست على ظاهرها.

ثمرات الإيمان بأسماء الله وصفاته

من ثمرات الإيمان بأسماء الله وصفاته ما يلي:

ذكر أهل العلم أنَّ العلم بصفات الله عَزَّ وجَلَّ، والإيمان بها، وتدبرها، على ما يليق به سبحانه وتعالى عَزَّ وجَلَّ، وعلى منهج أهل السنة والجماعة، يورث ثمرات وآثارًا عظيمة مباركة وفوائد جليلة، تجعل صاحبها يذوق حلاوة الإيمان، وإليك بعضاً منها:

١. محبة الله سبحانه وتعالى عَزَّ وجَلَّ وتعظيمه، وتقديسه وتَنْزِيهه عن النقائص، ووصفه بصفات الكمال، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته، وعلم أنّ منها (القُدُّوس، السُّبُّوح)، وعلم أنّ الله سبحانه وتعالى عَزَّ وجَلَّ {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْء}؛ نَزَّهَ الله عَزَّ وجَلَّ عن كلِّ عيبٍ ونقصٍ، وازداد له محبةً وتعظيمًا، وكلما ازدادت معرفة الإنسان بالله سبحانه وتعالى عَزَّ وجَلَّ في صفاته وآياته، فلا شك أنّه يزدادُ محبةً وتعظيمًا له؛ قال العلامة ابن القيم رحمه الله: "فصل في الأسباب الجالبة للمحبة، والموجبة لها {وذكر منها}: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، ومشاهدتها ومعرفتها. وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومباديها. فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله: أحبَّه لا محالة. ولهذا كانت المعطلة والفرعونية والجهمية قطاع الطريق على القلوب بينها وبين الوصول إلى المحبوب" [٢٤]، وقال: "وهو سبحانه يحب صفاته وأسماءه، ويحب من يحبها" [٢٥]؛ فالله كريم يحب الكرماء، رحيم يحب

---

٢٤ مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين - ج ٣: الهمة – التوحيد؛ ص ١٨.

٢٥ الداء والدواء؛ ص ٤٧٩.

الرحماء، رفيق يحب الرفق، فإذا علم العبد ذلك؛ سعى إلى الاتصاف والتحلِّي بصفات الكرم والرحمة والرفق على ما يليق به؛ وهكذا في سائر الصفات التي يحب الله تعالى أن يتحلَّى بها العبد على ما يليق بذات العبد.

٢. الثناء على الله سبحانه وتعالى عَزَّ وجَلَّ بأسمائه الحسنى، وهذا من أفضل أنواع الذكر؛ قال سبحانه وتعالى عَزَّ وجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١].

٣. خشية الله سبحانه وتعالى عَزَّ وجَلَّ: قال الله تعالى عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]؛ قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "أي: إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنّه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال، المنعوت بالأسماء الحسنى كلما كانت المعرفة به أتمَّ، والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر" [٢٦]، وقال الشيخ عبد الله الجبرين رحمه الله: "كل من عرف كمال صفات ربه، وعرف عظمته، وجلاله، وكبرياءه، أوجب له الخوف، وهو أن يخاف بطشه وعقوبته" [٢٧].

٤. زيادة الإيمان وثباته: لزيادة الإيمان في قلب المسلم وثباته، أسباب متعددة، من أهمها: الإيمان بأسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، فالإيمان بهذه الأسماء الحسنى، والصفات العلى؛ تُدخل صاحبها في زمرة المؤمنين الموحِّدين، [وبها يتَميَّز المؤمن الحق الموحِّد المصدِّق لله ورسوله صلى الله عليه وسلم وبين ذاك الذي تجرَّأ عليهما، وحرَّف نصوصهما، واستدرك عليهما]؛ وكلما ازداد العبد

٢٦ تفسير ابن كثير؛ تفسير سورة فاطر.

٢٧ التعليقات الزكية على العقيدة الواسطية - ج ٢ ص ٤٠.

معرفةً بها ازداد إيمانًا؛ ولذا ينبغي أن يحرص المؤمن على بذل جهده في معرفته الله بأسمائه وصفاته وأفعاله على مذهب أهل السنة والجماعة، فهذه هي المعرفة النافعة التي تزيد من إيمانه، وتقوي صلته بالله عز وجل.

٥. هي قوت القلب وروحه، ولها آثار على القلب، وعلى سلوك العبد، ولا يمكن للإنسان أن يُحبَّ الله غاية المحبة، ويُعظمه غاية التعظيم إلا بمعرفة أسمائه وصفاته؛ فمن علم أنّ من صفات الله (الحياة، والبقاء)؛ علم أنّه يعبد إلهاً لا يموت، ولا تأخذه سنة ولا نوم، فأورثه ذلك محبة وتعظيماً وإجلالاً لهذا الرب الذي هذه صفته سبحانه وتعالى عَزَّ وجَلَّ.

٦. امتلاء القلوب من نور المعرفة بالله عز وجل: قال العلامة السعدي رحمه الله: (فإنَّ لمعرفته في قلوب أوليائه المؤمنين أنوارًا بحسب ما عرفوه من نعوت جلاله، وما اعتقدوه من صفات جماله، فكلُّ وصف من أوصافه له تأثير في قلوبهم، فإنَّ معرفة المولى أعظم المعارف كلِّها، والعلم به أجلّ العلوم، والعلم النافع كلُّه أنوار في القلوب، فكيف بهذا العلم الذي هو أفضل العلوم وأجلّها وأصلها وأساسها، فمعاني العظمة والكبرياء والجلال والمجد، تملأ قلوبهم من أنوار الهيبة والتعظيم والإجلال والتكبير، ومعاني الجمال والبر والإكرام: تملأها من أنوار المحبة والود والشوق، ومعاني الرحمة والرأفة والجود واللطف: تملأ قلوبهم من أنوار الحب النامي على الإحسان، وأنوار الشكر والحمد بأنواعه والثناء، ومعاني الألوهية: تملأها من أنوار التعبد، وضياء التقرُّب، وسناء التحبُّب، وإسرار التودُّد، وحرية التعلق التام بالله رغبة ورهبة، وطلبًا وإنابة، وانصراف القلب عن تعلقه بالأغيار كلِّها، ومعاني العلم والإحاطة والشهادة

والقرب الخاص: تملأ قلوبهم من أنوار مراقبته، وتوصلهم إلى مقام الإحسان الذي هو أعلى المقامات كلِّها؛ أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك، فكلُّ معنى ونعت من نعوت الرب يكفي في امتلاء القلب من نوره، فكيف إذا تنوّعت وتواردت على القلوب الطاهرة الزكية الذكية، وهنا يصدق على هذه القلوب القدسية انطباق هذا المثل عليها، وهو قوله: {مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ} [النور: ٣٥]؛ وهذا النور المضروب هو نور الإيمان بالله، وبصفاته وآياته مثله في قلوب المؤمنين مثل هذا النور الذي جمع جميع الأوصاف التي فيها زيادة النور، وهو أعظم مثل يعرفه العباد.

وقد دعا صلى الله عليه وسلم لحصول هذا النور فقال: "اللهم اجعل في قلبي نورًا، وفي سمعي نورًا، وفي بصري نورًا، وعن يميني نورًا، وعن شمالي نورًا، ومن فوقي نورًا، ومن تحتي نورًا، اللهم اجعلني نورًا" [رواه مسلم؛ رقم: ٧٦٣]، ومتى امتلأ القلب من هذا النور فاض على الوجه، فاستنار الوجه، وانقادت الجوارح بالطاعة راغبة. وهذا النور الذي يكون في القلب هو الذي يمنع العبد من ارتكاب الفواحش، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن" [رواه البخاري؛ رقم: ٢٤٧٥، ومسلم؛ رقم: ٥٧]، فأخبر أنَّ وقوع هذه الكبائر لا يكون ولا يقع مع وجود الإيمان ونوره، فكيف إذا

انضم إلى هذا النور محبته والإنابة إليه، فهنالك تمتلئ أقطار القلب وجهاتُه من الأنوار المتنوعة وفنونِ اللذات المتشابهة في الحسن والنعيم) [٢٨].

٧. عبادة الله سبحانه وتعالى عَزَّ وجَلَّ على بصيرة: قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: "الإيمان بالله تعالى يُثمر للمؤمنين ثمرات جليلة، منها: تحقيق عبادته بفعل ما أُمر به، واجتناب ما نُهي عنه" [٢٩]، وقال: "ولا يمكن أحدًا أن يعبد الله على الوجه الأكمل، حتى يكون على علم بأسماء الله وتعالى وصفاته، ليعبده على بصيرة؛ قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]، وهذا يشمل دعاء المسألة ودعاء العبادة" [٣٠].

٨. الطاعة والبعد عن معصية الله سبحانه وتعالى عَزَّ وجَلَّ: قال العلامة ابن جبرين رحمه الله: "فإنّك متى عرَفت الله تعالى بأسمائه وصفاته، كانت النتيجة من ذلك أنّك تطيعه، وأنّك تعبده، ومتى عرفت الرسل ووظائفهم، كان نتيجة هذه المعرفة هي أنّك تتبعهم وتسير على نهجهم، ومتى عرفت القرآن وحرمته، وأنّه منزل من لدن حكيم حميد، كان نتيجة ذلك أنّك تتلوه حق تلاوته، وتصدق ما جاء فيه من الأخبار السابقة واللاحقة وأحكامه، فطريقة السلف هي المثمرة لسعادة الدارين، أما طريقة هؤلاء فإنها تضعف تصديقهم بالأمور الغيبية، فيقل انتفاعهم بالقرآن والسنة، فتقل أعمالهم وامتثالهم لأوامر الله؛ لأنّ الأعمال تعتمد على العقيدة، فإذا كانت العقيدة راسخة في القلوب، أثر

---

٢٨ "فَتحُ الرَّحيم الملك العَلاَّم في عِلم العقائِد وَالتَّوحيْد وَالأخْلاَق وَالأحكام المستنبَطة من القرآن"؛ الشيخ العَلاَّمَة عَبْد الرَّحمن بنْ نَاصِرْ بِنْ عَبد الله السَّعديْ رحمهُ الله تعالى (١٣٠٧هـ - ١٢٧٦هـ)؛ ج ١ ص ٤٩-٥١.

٢٩ "شرح الأصول الثلاثة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب"؛ محمد بن صالح العثيمين؛ ص ٩١.

٣٠ القواعد المثلى في أسماء وصفات الله الحسنى؛ محمد بن صالح العثيمين؛ ص ٥.

ذلك في الجوارح، فعملت بطاعة الله، ومتى رأيت من يعصي الله ويجاهر بذلك، فإنّ ذلك يدل على ضعف عقيدته، وأنّه ما عرف الله حق معرفته بآياته ومخلوقاته، ما عرف عظمة من يعصيه، ما عرف الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وكماله وجلاله وكبريائه وعظمته، ما عرف واعتقد أنّ الله يثيب الطائع ويعذب العاصي، أو أنّه عرف ذلك ولكنّه لم يستحضره، وذلك لضعف عقيدته ولضعف إيمانه" [31]، وقال: "كيف يعصيه هذا الآدمي الضعيف، وكيف يخرج عن طواعيته، وكيف يبارزه بالمخالفة مع علمه بعظمة ربه وإلهه، ولهذا ورد عن أحد السلف أنّه قال: لا تنظر إلى صِغر المعصية، ولكن انظر إلى عظمة من تعصيه. فعلم العبد بعظمة الله، وتسميته بالأسماء الحسنى، واتِّصافه بالصفات العلى، يحجزه عن معصية خالقه، ويدفعه إلى طاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه" [32].

٩. الفلاح، والسعادة، وانشراح الصدر، والحياة الطيبة في الدنيا، ونعيم الجنة في الآخرة: قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: "فالحقيقة أنّ فلاح الإنسان وسعادته، وانشراح صدره هو بإيمانه، وإقراره بأسماء الله تعالى وصفاته وتعبده لله بها" [33]؛ فالإيمان بالأسماء الحسنى، والصفات العلى؛ لله سبحانه وتعالى عَزَّ وجَلَّ؛ يورث العبد السعادة والحياة الطيبة في الدنيا، ونعيم الجنة في الآخرة.

---

٣١ "التعليقات الزكية على العقيدة الواسطية"؛ الجزء الأول؛ ص٦٧.

٣٢ "التعليقات الزكية على العقيدة الواسطية"؛ الجزء الأول؛ ص ١٧٤-١٧٥.

٣٣ شرح الكافية الشافية؛ ابن عثيمين رحمه الله؛ ج١ ص٣٢.

١٠. ألّا ينازع العبدُ اللهَ في صفات (الحكم، والألوهية، والتشريع، والتحليل، والتحريم)؛ فلا يحكم إلّا بما أنزل الله، ولا يتحاكم إلّا إلى ما أنزل الله؛ فلا يحرِّم ما أحلَّ الله، ولا يحل ما حرَّم الله.

١١. أنّ العبد يحرص على ألاَّ ينسى ربه ويترك ذكره، فإنّ الله متصف بصفة (النسيان، والترك)؛ فالله قادرٌ على أن ينساه [أي: يتركه]، {نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ}، فتجده دائم التذكر لأوامره ونواهيه.

١٢. الإيمان بصفة (الكلام) وأنّ القرآن كلام الله يجعل العبد يستشعر وهو يقرأ القرآن أنه يقرأ كلام الله، فإذا قرأ: {يا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ}؛ أحسَّ أنّ الله يكلمه ويتحدث إليه، فيطير قلبه وجلاً، وأنّه إذا آمن بهذه الصفة، وقرأ في الحديث الصحيح أن الله سيكلمه يوم القيامة، ليس بينه وبينه ترجمان؛ استحى أن يعصي الله في الدنيا، وأعد لذلك الحساب والسؤال جواباً.

١٣. التعرف على الله سبحانه وتعالى عَزَّ وجَلَّ، فمن آمن بأسماء الله وصفاته ازداد معرفة بالله تعالى فيزداد إيمانه بالله يقينًا، ويقوي توحيده لله تعالى؛ فـ{بالإيمان بصفات (العلو، والفوقية، والاستواء على العرش، والنُّزُول، والقُرب، والدُّنُو)؛ يُعلم العبد أنّ الله سبحانه وتعالى عَزَّ وجَلَّ منـزه عن الحلول بالمخلوقات، وأنّه فوق كل شيء، مطَّلع على كل شيء، بائن عن خلقه، مستو على عرشه، وهو قريب من عبده بعلمه، فإذا احتاج العبد إلى ربه؛ وجده قريباً منه، فيدعوه، فيستجيب دعاءه، وينـزل إلى السماء الدنيا في الثلث الآخـر من الليل كما يليق به سبحانه، فيقول: من يدعوني فأستجب له، فيورث ذلك حرصاً عند

العبد بتفقد هذه الأوقات التي يخلو فيها مع ربه القريب منه، فهو سبحانه قريب في علوه، بعيد في دنوه}، و{بالإيمان بصفات (القهر، والغلبة، والسلطان، والقدرة، والهيمنة، والجبروت)؛ يُعلم أنّ الله سبحانه وتعالى عَزَّ وجَلَّ لا يعجزه شيء؛ فهو قادر على أن يخسف به الأرض، وأن يعذبه في الدنيا قبل الآخرة؛ فهو القاهر فوق عباده، وهو الغالب من غالبه، وهو المهيمن على عباده، ذو الملكوت والجبروت والسلطان القديم؛ فسبحان ربي العظيم}، و{إذا تدبر صفات الله من (العظمة، والجلال، والقوة، والجبروت، والهيمنة)؛ استصغر نفسه، وعلم حقارتها}، و{إذا علم أنّ الله مختص بصفة (الكبرياء)؛ لم يتكبَّر على أحد، ولم ينازع الله فيما خصَّ نفسه من الصفات}، و{إذا علم أنّ الله متصف بصفات (الغنى، والملك، والعطاء)؛ استشعر افتقاره إلى مولاه الغني، مالك الملك، الذي يعطي من يشاء ويمنع من يشاء}، و{إذا علم أنّ الله يتصف بصفات (القوة، والعزة، والغلبة)، وآمن بها؛ علم أنّه إنّما يكتسب قوته من قوة الله، وعزته من عزة الله؛ فلا يذل ولا يخنع لكافر، وعلم أنّه إن كان مع الله؛ كان الله معه، ولا غالب لأمر الله}، و{إذا آمن بصفة (الحب والمحبة) لله تعالى وأنّه سبحانه (رحيم ودود) استأنس لهذا الرب، وتقرَّب إليه بما يزيد حبه ووده له، "ولا يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه"، وسعى إلى أن يكون ممن يقول الله فيهم: "يا جبريل إني أُحبُّ فلاناً فأحبَّه، فيُحبُّه جبريل، ثم ينادي في السماء: إنّ الله يحبُّ فلاناً فأحبوه، فيُحبُّه أهلُ السماء ثم يوضع له القبول في الأرض"، وأنّ من أراد أن يكون محبوباً عند الله اتبع نبيه صلى الله عليه وسلم ((قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ

اللّٰهُ))، وحبُّ الله للعبد مرتبطٌ بحبِ العبدِ لله، وإذا غُرِست شجرةُ المحبة في القلب، وسُقيت بماء الإخلاص، ومتابعة الحبيب صلى الله عليه وسلم، أثمرت أنواعَ الثمار، وآتت أُكُلَها كلَّ حينٍ بإذن ربها}، و{إذا علم أنّ الله يسمعه؛ أورثه ذلك الخوف من الله عَزَّ وجَلَّ المطَّلع عليه الرقيب الشهيد، فلا يقول إلا خيراً، وإذا علم أنّ الله يراه؛ فلا يفعل إلا خيراً؛ فما بالك بعبد يعلم أنّ الله يسمعه، ويراه، ويعلم ما هو قائله وعامله، أليس حريٌّ بهذا العبد أن لا يجده الله حيث نهاه، ولا يفتقده حيث أمره؟! فإذا علم هذا العبد وآمن أنّ الله (يحبُّ، ويرضى)؛ عمل ما يحبُّه معبوده ومحبوبه وما يرضيه}، و{إذا آمن أنّ من صفاته (الغضب، والكره، والسخط، والمقت، والأسف، واللعن)؛ عمل بما لا يُغْضب مولاه ولا يكرهه حتى لا يسخط عليه ويمقته ثم يلعنه ويطرده من رحمته}، و{إذا آمن بصفات (الفرح، والبشبشة، والضحك)؛ أنس لهذا الرب الذي يفرح لعباده ويتبشبش لهم ويضحك لهم؛ ما عدمنا خيراً من ربٍّ يضحك}، و{إذا علم العبد وآمن بصفات الله من (الرحمة، والرأفة، والتَّوْب، واللطف، والعفو، والمغفرة، والستر، وإجابة الدعاء)؛ فإنّه كلما وقع في ذنب؛ دعا الله أن يرحمه ويغفر له ويتوب عليه، وطمع فيما عند الله من سترٍ ولطفٍ بعباده المؤمنين، فأكسبه هذا رجعة وأوبة إلى الله كلما أذنب، ولا يجد اليأس إلى قلبه سبيلاً، كيف ييأس من يؤمن بصفات (الصبر، والحلم)؟! كيف ييأس من رحمة الله من علم أنّ الله يتصف بصفة (الكرم، والجود، والعطاء)؟!}، و{إذا علم أنّ الله (السلام، والمؤمن)، ومتصف بصفة (الصِّدق)؛ فإنّه يشعر بالطمأنينة والهدوء النفسي؛ فالله هو السلام، ويحب السلام، فينشر السلام بين

المؤمنين، وهو المؤمن الذي أَمِنَ الخلقُ من ظلمه، وإذا اعتقد العبد أنّ الله متصف بصفة (الصَّدق)، وأنّه وعده إن هو عمل صالحاً جنات تجري من تحتها الأنهار؛ علم أنّ الله صادق في وعده، لن يخلفه، فيدفعه هذا لمزيدٍ من الطاعة، طاعة عبدٍ عاملٍ يثقُ في سيّده وأجيرٍ في مستأجره أنَّه موفيه حقَّه وزيادة}، و{إذا آمن العبد بصفات (الكيد، والمكر، والاستهزاء، والخداع) على ما يليق بذات الله وجلاله وعظمته؛ علم أن لا أحد يستطيع أن يكيد لله أو يمكر به، وهو خير الماكرين سبحانه، كما أنّه لا أحد من خلقه قادر على أن يستهزئ به أو يخدعه، لأنّ الله سيستهزئ به ويخادعه ومن أثر استهزاء الله بالعبد أن يغضب عليه ويمقته ويعذبه، فكان الإيمان بهذه الصفات وقاية للعبد من الوقوع في مقت الله وغضبه}.

١٤. أن يظل العبد دائم السؤال لربه سبحانه وتعالى عَزَّ وجَلَّ بأسمائه وصفاته كما قال سبحانه وتعالى عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فإنّ أذنب؛ سأله بصفات (الرحمة، والتَّوب، والعفو، والمغفرة) أن يرحمه ويتوب عليه ويعفو عنه ويغفر له، وإن خشي على نفسه من عدو متجهم جبار؛ سأل الله بصفات (القوة، والغلبة، والسلطان، والقهر، والجبروت)؛ رافعاً يديه إلى السماء، قائلاً: يا رب! يا ذا القوة والسلطان والقهر والجبروت! اكفنيه. فإن آمن أنّ الله (كفيل، حفيظ، حسيب، وكيل)؛ قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، وتوكل على (الواحد، الأحد، الصمد)، وعلم أنّ الله ذو (العزة، والشدة، والمحال، والقوة، والمنعة) مانعه من أعدائه، ولن يصلوا إليه بإذنه

تعالى، فإذا أصيب بفقر؛ دعا الله بصفات (الغنى، والكرم، والجود، والعطاء)، فإذا أصيب بمرض؛ دعاه لأنّه هو (الطبيب، الشافي، الكافي)، فإن مُنع الذُرِّيَّة؛ سأل الله سبحانه وتعالى عَزَّ وجَلَّ أن يرزقه ويهبه الذرية الصالحة؛ ومثال ذلك أن يقول: [اللهم إني أسألك بأنّك الرزاق فارزقني]، لأنّه هو (الرَّزَّاق، الوهَّاب) ... وهكذا فإنَّ من ثمرات العلم بصفات الله والإيمان بها سؤال الله سبحانه وتعالى عَزَّ وجَلَّ ودعاؤه بها.

١٥. أنّ صفات الله سبحانه وتعالى عَزَّ وجَلَّ الخبرية كـ (الوجه، واليدين، والأصابع، والأنامل، والقدمين، والساق، وغيرها) تكون كالاختبار الصعب للعباد، فمن آمن بها وصدق بها على وجه يليق بذات الله عَزَّ وجَلَّ بلا تمثيل ولا تحريف ولا تكييف، وقال: "كلٌّ من عند ربنا، ولا فرق بين إثبات صفة العلم والحياة والقدرة وبين هذه الصفات"، مَن هذا إيمانه ومعتقده؛ فقد فاز فوزاً عظيماً، ومن قدَّم عقله السقيم على النقل الصحيح، وأوَّل هذه الصفات، وجعلها من المجاز، وحرَّف فيها، وعطَّلها؛ فقد خسر خسراناً مبيناً، إذ فرَّق بين صفة وصفة، وكذَّب الله فيما وصف به نفسه، وكذَّب رسوله صلى الله عليه وسلم.

١٦. إذا آمنت أنّ لله سبحانه وتعالى عَزَّ وجَلَّ وجهاً يليق بجلاله وعظمته، وأنّ النظر إليه من أعظم ما ينعم الله على عبده يوم القيامة، وقد وعد به عباده الصالحين؛ سألت الله سبحانه وتعالى عَزَّ وجَلَّ النظر إلى وجهه الكريم، فأعطاكه، وأنّك إذا آمنت أنّ لله يداً ملأى لا يغيضها نفـقة، وأنّ الخير بين

يديه سبحانه؛ سألته مما بين يديه، وإذا علمت أنّ قلبك بين إصبعين من أصابع الرحمن؛ سألت الله أن يثبت قلبك على دينه ... وهكذا.

١٧. الوقاية من فتنة الدَّجَّال: قال الشيخ يوسف بن عبد الله الوابل: "هذه بعض الإرشادات النبوية التي أرشد إليها المصطفى صلى الله عليه وسلم أمَّته، لتنجو من هذه الفتنة العظيمة التي نسأل الله العظيم أن يعافينا ويعيذنا منها: التمسُّك بالإسلام، والتسلُّح بسلاح الإيمان، ومعرفة أسماء الله وصفاته الحسنى التي لا يشاركه فيها أحدٌ، فيعلم أنَّ الدَّجَّال بشر يأكل ويشرب، وأنّ الله تعالى منزَّه عن ذلك، وأنَّ الدَّجَّال أعور، والله ليس بأعور، وأنّه لا أحد يرى ربه حتى يموت، والدَّجَّال يراه الناس عند خروجه، مؤمنهم وكافرهم" [٣٤].

٣٤ "أشراط الساعة"؛ يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل؛ ص ٣٢٥.

{لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ}

إِنَّ اللهَ لَـيَضْحَكُ، وَيَفْرَحُ، وَيَتَبَشْبَشُ، وَيَوَدُّ، وَيُحِبُّ، وَيَرْضَى، وَيَعْجَبُ، وَيَمْشِي، وَيُهَرْوِلُ، وَيُبَاهِي، وَيَوَالِي، وَيَعْتَبُ، وَيَأْسَفُ، وَيَسْخَطُ، وَيَغْضَبُ [وَرَحْمَتُه تَغْلِبُ غَضَبَهُ]، وَيَمْقُتُ، وَيَبْغَضُ، وَيَكْرَهُ ...

الضَّحِكُ والفَرَحُ والبَشْبَشَةُ والوِدُّ والحُبُّ والرِّضَا والعَجَبُ والمَشْي والهَروَلَةُ والمُبَاهَاةُ والمُوَالاةُ والعَتَبُ والأَسَفُ والسّخَطُ والغَضَبُ والْمَقْتُ والبُغْضُ والكُرْهُ: من الصفات الثبوتية [٣٥] الخبرية [٣٦] الفعلية [٣٧] التي يجب الإيمان والاعتقاد الجازم بها لله عز وجل، على الوجه اللائق به سبحانه؛ بما لا يشبه صفات المخلوقين [٣٨]، واعلم أنَّ أهل السنّة والجماعة يؤمنون بهذه الصفات وغيرها من

٣٥ الثبوتية: ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه كالحياة والعلم، فيجب إثباتها لله حقيقة على الوجه اللائق به بدليل السمع والعقل.

٣٦ الخبرية: لا سبيل إلى إثباتها إلّا بالسمع والخبر عن الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ أو عن رسوله صلى الله عليه وسلم، وتسمى (صفات سمعية أو نقلية).

٣٧ الفعلية: هي التي بمشيئته، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها كالاستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا، وكل صفة تعلقت بمشيئته فإنها تابعة لحكمته وقد تكون الحكمة معلومة لنا وقد نعجز عن إدراكها لكننا نعلم علم اليقين أنّه سبحانه لا يشاء شيئاً إلا وهو موافق لحكمته.

٣٨ "**الإيمان بأسماء الله وصفاته**"، و"**توحيد الأسماء والصفات**": معناه الاعتقاد الجازم بأنّ الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وهو متصف بجميع صفات الكمال، ومنزه عن جميع صفات النقص،

صفات الله سبحانه تبارك وتعالى عزَّ وجلَّ الثابتة له بالكتاب أو السنّة الصحيحة؛ من غير تمثيل ولا تشبيه ولا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف، ويسلمون بذلك، ويقولون: كلٌّ من عند ربنا، والقاعدة في كل ذلك قول الله سبحانه تبارك وتعالى عزَّ وجلَّ: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)) [الشورى: ١١] [٣٩].

متفرد بذلك عن جميع الكائنات؛ وهو أن تصف الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، وتسميه بما سمى به نفسه، أو سماه به رسوله صلى الله عليه وسلم، دون تحريف الكلم عن مواضعه، ولا الإلحاد في أسمائه وآياته، مع اثبات لله ما أثبته لنفسه سبحانه وتعالى عزّ وجلّ، من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف، والقاعدة في كل ذلك قول الله تبارك وتعالى: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)) [الشورى: ١١].

٣٩ **مذهب أهل السنّة والجماعة في أسماء الله الحسنى:**

اتفق أهل السنة والجماعة على إثبات جميع أسماء الله تعالى الثابتة في القرآن وصحيح السنة، مع إثبات ما تضمنته تلك الأسماء من صفات الكمال على الوجه اللائق بذي العزة والجلال، وإثبات ما يتعلق بهذه الأسماء والصفات من أحكام ومقتضيات، وهذا الإثبات مما تواتر نقله عن أئمة أهل السنة سلفاً وخلفاً.

وأقوالهم في ذلك كثيرة مشهورة، وأما أدلتهم فهي ما جاء في الكتاب وصح في السنة من إضافة الأسماء الله، ومن تعداد تلك الأسماء، ويمكن أجمال عقيدة السلف وما تميزوا به:

- الإقرار بكل ما جاء في الكتاب وصح في السنة من أسماء الله الحسنى، والتوقف عليها دون زيادة ولا نقصان، ودون الخوض في إثبات الأسماء بمجرد العقل، مع الإقرار بكل ما ورد في صحيح السنة من الأسماء، سواء تواتر الحديث في ذلك أم لم يتواتر، ودون الأخذ بالأسماء التي لم ترد إلا في الأحاديث والأخبار الضعيفة.
- الإقرار بأنّ الله تعالى لم يزل ولا يزال متسمياً بتلك الأسماء، ومتصفاً بما دلت عليه من صفات الكمال، وأنّ الله هو الذي سمى بها نفسه، فالله سبحانه هو الذي تكلم بهذه الأسماء، وسمى بها نفسه، وهذا ما يعنيه أهل السنّة بقولهم: إنّ الأسماء أزلية لله.
- ومع الإقرار بجميع الأسماء، فإنّهم يقرون بجميع ما تضمنته تلك الأسماء من صفات كمال ونعوت جلال وجمال، فأسماء الله تعالى أعلامٌ وأوصافٌ، أعلامٌ باعتبار دلالتها على الذات، وأوصافٌ باعتبار دلالتها على الصفات فـ«أسماء الرب تبارك وتعالى دالة على صفات كماله فهي مشتقة من الصفات فهي أسماء وهي أوصاف وبذلك كانت حسنى إذ لو كانت ألفاظاً لا معاني فيها لم تكن حسنى، ولا كانت دالة على مدح ولا كمال» [مدارج السالكين لابن القيم (٢٨/١)، وانظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٤٣/٦)، بيان

تلبيس الجهمية له (١٠/٢)، جلاء الأفهام لابن القيم (١٧٢)، بـدائع الفـوائد (١٧١/١)، مدارج السالكين (١٢٥/١)، شفاء العليل (٢٧٠)، الصواعق المـرسلة (٩٣٨/٣)، القواعد المثلى (٢١)]، و«دلالة أسماء الله تعالى حق على حقيقتها مطابقةً، وتضمناً، والتزاماً، فدلالة اسمـه تعـالى :(الرحمن) على ذاته عز وجل مطابقة، وعلى صفة الرحمة تضمناً، وعلى الحياة وغيرها التزاماً، وهكذا سائر أسمائه تبارك وتعـالى» [معارج القبول (١١٩/١)، وانظر: بدائع الفوائد (١٧٠/١)، القواعد المثلى (٢٤، ٣٠)].

- ليس من أسماء الله اسم جامد لا معنى له، بل كل اسم من الأسماء الحسنى يدل على الذات وعلى ما تضمنه ذلك الاسم من صفة، وهذا معنى قول العلماء: إنّها مشتقة، بمعنى أنّها دالة على صفة له تعالى، وأنّها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى، ولم يريدوا بذلك أنّها متولدة منها تولد الفرع من أصله كما توهمه من نفى الاشتقاق، ولذلك كان القول الصواب أنّ اسم (الله) مشتق كسائر الأسماء، وليس جامداً كما ذهب إليه البعض [انظر في بيان اشتقاق أسماء الله: بدائع الفوائد (٢٦/١-٢٧، ١٧٠)، شفاء العليل (٢٧٧)، مدارج السالكين (٢٨/١)، معنى لا إله إلا الله للزركشي (١٠٦-١١٠)].
- أسماء الله ليست بمنحصرة في تسع وتسعين، بل ولا فيما استخرجه العلماء من القرآن والسنة، بل ولا فيما علمته الرسل والملائكة وجميع المخلوقين، إنما الذي يختص بالتسع والتسعين هو الحكم المذكور في الحديث: "من أحصاها دخل الجنة"، وهذا القول قد نقل عليه النووي الاتفاق، وذكر شيخ الإسلام أنه قول جمهور العلماء، وعليه مضى سلف الأمة وأئمتها، ولم يخالف فيه إلا بعض المتأخرين [انظر: شرح النووي على مسلم (٥/١٧)، المقصد الأسنى للغزالي (١٦٦)، مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٣٨١/٦)، (٤٨٢/٢٢) وقد بين فيه أدلة قول الجمهور فيه، ودرء تعارض العقل والنقل (٣٣٢/٣)، بدائع الفوائد (١٧٤/١)، تفسير ابن كثير (٣٥٧/٢)، فتح الباري لابن حجر (٢٢٠/١١)، تلخيص الحبير لابن حجر (١٧٤/٤)، معارج القبول (١١٧/١)، القواعد المثلى (٣٥)].

الإمام أبو حنيفة رحمه الله: قالَ: "لا يوصف الله تعالى بصفات المخلوقين، وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف، وهو قول أهل السنّة والجماعة وهو يغضب ويرضى ولا يقال: غضبه عقوبته ورضاه ثوباه، ونصفه كما وصف نفسه أحدٌ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، حيٌّ قادر سميع بصير عالم، يد الله فوق أيديهم ليست كأيدي خلقه ووجهه ليس كوجوه خلقه" [الفقه الأبسط ص ٥٦]، وقال: "لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء بل يصفه بما وصف به نفسه ولا يقول فيه برأيه شيئاً تبارك الله وتعالى رب العالمين" [شرح العقيدة الطحاوية؛ ج٢ ص٤٢٧؛ تحقيق: د. التركي، جلاء العينين ص ٣٦٨]، ولما سئُل عن النزول الإلهي قال: "ينزل بلا كيف" [عقيدة السلف أصحاب الحديث ص٤٢ ط دار السلفية، الأسماء والصفات للبيهقي ص ٤٥٦ وسكت عليه الكوثري، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٢٤٥، تخريج الألباني وشرح الفقه الأكبر للقاري ص ٦٠]،

وقال: "ولا يشبه شيئاً من الأشياء من خلقه ولا يشبه من خلقه لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته" [الفقه الأكبر ص ٣٠١]، وقال: "وصفاته الذاتية والفعلية، أما الذاتية فالحياة والقدرة والعلم والكلام والسمع والبصر والإرادة، وأما الفعلية فالتخليق والترزيق والإنشاء والإبداع والصنع وغير ذلك من صفات الفعل لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته" [الفقه الأكبر ص ٣٠١]، وقال: "ولم يزل فاعلاً بفعله والفعل صفة في الأزل والفاعل هو الله تعال والفعل صفة في الأزل والمفعول مخلوق وفعل الله تعالى غير مخلوق" [الفقه الأكبر ص ٣٠١]، وقال: "وصفاته بخلاف صفات المخلوقين يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا، ويسمع لا كسمعنا، ويتكلم لا ككلامنا" [الفقه الأكبر ص ٣٠٢]، وقال: "وله يد ووجه ونفس كما ذكره الله تعالى في القرآن، فما ذكره الله تعالى في القرآن، من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف، ولا يقال: إنّ يده قدرته أو نعمته؛ لأنّ فيه إبطالَ الصفة، وهو قول أهل القدر والاعتزال..." [الفقه الأكبر ص ٣٠٢]، وقال: "ومن وصف الله تعالى بمعنى من معاني البشر فقد كفر" [العقيدة الطحاوية بتعليق الألباني ص ٢٥]، وقال الملاَّ علي القاري بعد ذكره قول الإمام مالك: "الاستواء معلوم والكيف مجهول...": "اختاره إمامنا الأعظم [أي أبو حنيفة] وكذا كل ما ورد من الآيات والأحاديث المتشابهات من ذكر اليد والعين والوجه ونحوها من الصفات، فمعاني الصفات كلها معلومة وأما كيفيتها فغير معقولة؛ إذْ تَعقُّل الكيف فرع العلم لكيفية الذات وكنهها، فإذا كان ذلك غير معلوم؛ فكيف يعقل لهم كيفية الصفات. والعصمة النَّافعة من هذا الباب أن يصف الله بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يثبت له الأسماء والصفات وينفي عنه مشابهة المخلوقات، فيكون إثباتك منزهاً عن التشبيه، ونفيك منزَّهاً عن التعطيل. فمن نفى حقيقة الاستواء فهو معطل ومن شبَّهه باستواء المخلوقات على المخلوق فهو مشبِّه، ومن قال استواء ليس كمثله شيء فهو الموحِّد المنزه". [مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ج٨ ص٢٥١].

الإمام مالك بن أنس رحمه الله: أخرج الدارقطني عن الوليد بن مسلم قال: "سألت مالكاً والثوري والأوزاعي والليث بن سعد عن الأخبار في الصفات فقالوا: **أمروها كما جاءت**" [أخرج هذا الأثر الدارقطني في الصفات ص٧٥، والآجري في الشريعة ص٣١٤، والبيهقي في الاعتقاد ص١١٨، وابن عبد البر في التمهيد ١٤٩/٧]، وأخرج أبو نعيم عن جعفر بن عبد الله قال: "كنا عند مالك بن أنس فجاءه رجل فقال: يا أبا عبد الله، {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [سورة طه: الآية ٥] كيف استوى؟ فما وجد [جاء في لسان العرب ج٣ ص٤٤٦: وجد عليه في الغضب يجِدُ وجداً ومَوْجِدَة ووجداناً غضب، وفي حديث الإيمان: إنّي سائلك فلا تجد عليَّ أي لا تغضب من سؤالي] مالك من شيء ما وجد من مسألته، فنظر إلى الأرض، وجعل ينكت بعودٍ في يده علاه الرحضاء [يعني العرق] ثم رفع رأسه ورمى بالعود، وقال: "الكيف منه غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأظنك صاحب بدعة"، وأمر

به فأُخرج" [الحلية لابي نعـــيم ج٦ ص٣٢٥، عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني ص١٧-١٨، التمـــــــهيد ج٧ ص١٥١، الأسماء والصفات للبيهـــــــــقي ص٤٠٧، قـــــال الحافظ ابن حجر في الفتح ج١٣ ص٤٠٦، ٤٠٧: إسناده جيد. وصححه الذهبي في العلو ص١٠٣].

الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله: أورد ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية عن الشافعي أنّه قال: "القول في السُّنة التي أنا عليها ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم وأخذت عنهم مثل سفيان ومالك وغيرهما الإقرار بشادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله وأنّ الله تعالى على عرشه في سمائه يَقرُب من خلقه كيف شاء وأنّ الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء" [اجتماع الجيوش الإسلامية ص١٦٥، إثبات العلو ص١٢٤، وانظر مجموع الفتاوى ٤/١٨١-١٨٣، والعلو للذهبي ص١٢٠، ومختصره للألباني ص١٧٦]، وأخرج ابن عبدالبر عن يونس بن عبد الأعلى **[هو ينس بن ميسرة الصدفي قال عنه ابن حجر (ثقة من صغار العاشرة مات سنة ٢٦٤هـ) تقريب التهذيب ٢/٣٨٥، وانظر ترجمته في ذرات الذهب ٢/١٤٩، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ص٢٨]**؛ قال: "سمعت الشافعي يقول: "إذا سمعت الرجل يقول الاسم غير المسمى أو الشيء غير الشيء فاشهد عليه بالزندقة" **[الانتقاء ص٧٩، ومجموع الفتاوى ١٧٨/٦]**، وقـــال الشافعي في كتابه الرسالة: "والحمد لله ... الذي هو كما وصف به نفسه وفوق ما يصفه به خلقه" **[الرسالة ص٧ - ٨]**، وأورد الذهبي في السير عن الشافعي أنّه قال: "نثبت هذه الصفات التي جاء بها القرآن ووردت بها السُّنة وننفي التشبيه عنه كما نفى عن نفسه فقال: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: ١١]" **[السير للذهبي ج٢٠ ص٣٤١]**، وقال محمد بن إدريس الشافعي وقد سئل عن صفات الله عزَّ وجلَّ، وما ينبغي أن يؤمن به فقال: {لله تبارك وتعالى أسماء وصفات، جاء بها كتابه وأخبر بها نبيه صلى الله عليه وسلم أمته لا يسع أحداً من خلق الله قامت عليه الحجة أنّ القرآن نزل به وصح عنه بقول النبي صلى اللهُ عليه وسلم فيما روى عنه العدل فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو بالله كافر فأما قبل ثبوت الحجة عليه من جهة الخبر فمعذور بالجهل لأنّ علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالروية والفكر ونحو ذلك أخبار الله سبحانه وتعالى أتانا أنّه سميع وأنّ له يدين بقوله: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} [المائدة: ٦٤]، وأنّ له يميناً بقـــوله: {وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ} [الزمر: ٦٧]، وأنّ له وجهاً بقــــوله: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} [القصص: ٨٨]، وقوله: {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن: ٢٧]، وأنّ له قدماً بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "حتى يضع الرب عزَّ وجلَّ فيها قدَمه"؛ يعني جهنم؛ وأنّه يضحك من عبده المؤمن بقول النبي صلى الله عليه وسلم للذي قتل في سبيل الله: "إنّه لقي الله وهو يضحك إليه"، وأنّه يهبط كل ليلة إلى سماء الدنيا بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، وأنّه ليس بأعور بقول النبي صلى الله عليه وسلم، إذ ذكر الدجال فقال: "إنّه أعور وإنّ ربكم ليس بأعور"، وأنّ المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة بأبصارهم كما يرون القمر ليلة البدر وأنّ له إصبعاً بقول النبي صلى الله عليه

وسلم: "ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن عز وجل"، فإنّ هذه المعاني التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم، ما لا يدرك حقيقته بالفكر والروية فلا يكفر بالجهل بها أحد إلّا بعد انتهاء الخبر إليه بها فإن كان الوارد بذلك خبراً يقوم في الفهم مقام المشاهدة في السماع وجبت الدينونة على سامعه بحقيقته والشهادة عليه كما عاين وسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ولكن يثبت هذه الصفات وينفي التشبيه كما نفى ذلك عن نفسه تعـــالى ذكـــره فقال: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} [الشورى: ١١].} [**"طبقات الحنابلة" لأبـــي الحســـين ابـــن أبي يعلى، محمـــد بـــن محمد (المتوفى: ٥٢٦هـ) ج١ ص ٢٨٢-٢٨٣**]، {قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: "لله تعالى أسماء و صفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيه أمته، لا يسع أحدا من خلق الله قامت عليه الحجة ردها، لأن القرآن نزل بها، وصح عن رسول الله القول بها فيما روى عنه العدول، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر، أما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل، لأنّ علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالرؤية و الفكر، ولا يكفر بالجهل بها أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها، وتثبت هذه الصفات، وينفي عنها التشبيه كما نفى التشبيه عن نفسه، تعالى فقال سبحانه {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير}" [أخرجه ابن أبي حاتم في (آداب الشافعي) عـــن يونس بن عبد الأعلى كما في: إثبات صفة العلو، لابن قدامة المقدسي (١٢٤)، وأورده ابن قدامة في: ذم التأويل (٢٣)، وابن القيم في: اجتماع الجيوش الإسلامية (٥٩)، وأورد الذهبي في: العلو (١٦٦) الجملة الأولى منه، إلى قوله (ردها)، وانظر: معارج القبول (٣٦٥/١)]}].

قَالَ **الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله**: "ولا يوصف الله بشيءٍ أكثر ما وصف به نفسه، عزَّ وجلَّ" [**"كتاب المحنة"؛ لحنبل ص٦٨**]، وعن أبي بكر المروذي قال: سألت أحمد بن حنبل عن الأحاديث التي تردها الجهمية في الصفات والرؤية والإسراء وقصة العرش فصححها، وقـــال: "تلقتها الأمة بالقبول وتمر الأخبار كما جاءت". [**طبقات الحنابلة ٥٦/١**]، وأورد ابن الجوزي فـــي المناقب كتاب أحمد بن حنبل لمسدَّد وفيه: "صفوا الله بما وصف به نفسه، وانفُوا عن الله ما نفاه عن نفسه" [**سير أعلام النبلاء ج١٠ ص٥٩١، تهذيب التهذيب ج١٠ ص١٠٧**]، وقال الإمام أحمد: "نحن نؤمن بأنّ الله على العرش، كيف شاء، وكما شاء، بلا حد، ولا صفة يبلغها واصف أو يحده أحد؛ فصفات اللهِ منه وله، وهو كما وصف نفسه، لا تدركه الأبصار" [**درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ج٢ ص٣٠**].

إِنَّ اللَّهَ:

يَضْحَكُ (الضَّحِكُ).

يَفْرَحُ وَيَتَبَشْبَشُ (الفَرَحُ وَالبَشْبَشَةُ).

يَوَدُّ وَيُحِبُّ (الوِدُّ وَالحُبُّ).

يَرْضَى (الرِّضَا).

يَعْجَبُ (العَجَبُ).

يَمْشِي وَيُهَرْوِلُ (المَشِي وَالهَروَلَةُ).

يُبَاهِي (المُبَاهَاةُ).

يَوَالِي (المُوَالاةُ).

يَعْتَبُ وَيَأْسَفُ وَيَسْخَطُ وَيَغْضَبُ (العَتَبُ وَالأَسَفُ وَالسّخَطُ وَالغَضَبُ)؛ [وَرَحْمَتُه تَغْلِبُ غَضَبَهُ].

يَمْقُتُ وَيَبْغَضُ وَيَكْرَهُ (الْمَقْتُ وَالبُغْضُ وَالكُرْهُ).

... .

إِنَّ اللهَ لَيَضْحَكُ (الضَّحِكُ) [٤٠]

٤٠ قال الإمام ابن خزيمة: "باب: ذكر إثبات ضحك ربنا عزَّ وجلَّ: بلا صفةٍ تصفُ ضحكه جلَّ ثناؤه، لا ولا يشبَّه ضَحِكُه بضحك المخلوقين، وضحكهم كذلك، بل نؤمن بأنّه يضحك؛ كما أعلم النبي صلى الله عليه وسلم، ونسكت عن صفة ضحكه جلَّ وعلا، إذ الله عزَّ وجلَّ استأثر بصفة ضحكه، لم يطلعنا على ذلك؛ فنحن قائلون بما قال النبي صلى الله عليه وسلم، مصَدِّقون بذلك، بقلوبنا منصتون عمَّا لم يبين لنا ما استأثر الله بعلمه" [كتاب ((التوحيد)) (٢/٥٦٣)]؛ ومعنى قوله: (بلا صفةٍ تصفُ ضحكه) أي بلا تكييف لضحكه.

وقال أبو بكر مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ: {بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَضْحَكُ}: "اعْلَمُوا، وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ لِلرَّشَادِ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ: أَنَّ أَهْلَ الْحَقِّ يَصِفُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وَهَذَا مَذْهَبُ الْعُلَمَاءِ، مِمَّنِ اتَّبَعَ وَلَمْ يَبْتَدِعْ؛ وَلَا يُقَالُ فِيهِ: كَيْفَ؟ بَلِ التَّسْلِيمُ لَهُ، وَالْإِيمَانُ بِهِ؛ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَضْحَكُ، كَذَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَنْ صَحَابَتِهِ، وَلَا يُنْكِرُ هَذَا إِلَا مَنْ لَا يُحْمَدُ حَالُهُ عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِّ" ["الشريعة"؛ أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ)؛ ج ٢ ص ١٠٥١].

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام لما قيل له: هذه الأحاديث التي تروى؛ في: الرؤية، والكرسي، موضع القدمين، وضحك ربنا من قنوط عباده، وإنّ جهنم لتمتلئ ... وأشباه هذه الأحاديث؟ قال رحمه الله: "هذه الأحاديث حقٌّ لا شك فيها رواها الثقات بعضهم عن بعض" ["التمهيد" (٧/١٤٩-١٥٠)، و"الحجة في بيان المحجة لقوَّام السُّنَّة (١/٤٢٩، ٢/٤٥٦)، و"المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة" (١/٣١٥)، و"مجموع الفتاوى" لابن تيمية (٦/١٢١)، و"شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري" للغنيمان (٢/١٠٤). وانظر: كلام البغوي في صفة (الأصابع)، وكلام ابن كثير في صفة (السمع)].

ضحك الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ لا يشبه ضحك أحد من خلقه، كما هو الأصل العام المقطوع به، المجمع عليه، في كل ما ثبت لله جل جلاله من الأسماء والصفات؛ فإنّ ذلك كله لائق برب العالمين جل جلاله، يوصف به على وجه الكمال والجمال والجلال، لا يشبه في ذلك أحدا من خلقه، ولا يشبهه أحد من خلق؛ قال تعالى: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)) [الشورى: ١١]، فلا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل لصفات الله سبحانه، بل نثبتها كما جاءت في النصوص، ولا يجوز تأويلها عن ظاهرها ولا يجوز تشبيه الله بخلقه.

قال أبو إسماعيل الصابوني: "وكذلك يقولون في جميع الصفات (أي: الإثبات) التي نزل بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة والقدرة والعزة والعظمة والإرادة

والمشيئة والقول والكلام والرضا والسخط والحب والبغض والفرح والضحك ...": {{قال المصنف رحمه الله تعالى: [وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت به الأخبار الصحاح من السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة والقدرة والعزة والعظمة والإرادة والمشيئة والقول والكلام والرضا والسخط والحب والبغض والفرح والضحك وغيرها]؛ في نسخة: (والحياة واليقظة)، بدون: (والحب والبغض)، وهذه أحسن.

أما قوله: [من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين، بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى وقاله رسوله صلى الله عليه وسلم من غير زيادة عليه، ولا إضافة إليه، ولا تكييف له، ولا تشبيه، ولا تحريف، ولا تبديل، ولا تغيير، ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب وتضعه عليه بتأويل منكر مستنكر، ويجرونه على الظاهر، ويكلون علمه إلى الله تعالى، ويقرون بأنّ تأويله لا يعلمه إلا الله، كما أخبر الله عن الراسخين في العلم أنّهم يقولونه في قولـــه تعالى: {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوا الأَلْبَابِ} [آل عمران:٧].

وآيات الكتاب وأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم الصحيحة المنيرة الناطقة بهذه الصفات وغيرها كثيرة يطول الكتاب بإحصائها، وذكر اتفاق أئمة الملة وعلمائها على صحة تلك الأخبار الواردة بها، وأكثرها مخرج بالأسانيد الصحيحة في كتاب الانتصار، وشرطنا في أول هذا الكتاب الاختصار، والاقتصار على أدنى المقدار دون الإكثار برواية الأخبار وذكر أسانيدها الصحيحة عن نقلة الآثار، ومصنفي المسانيد الصحاح الكبار].

يقول المؤلف رحمه الله: وكذلك معتقد أصحاب الحديث: أنّهم في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن ووردت فيها الأخبار الصحاح يجرونها مجرىً واحداً، ويثبتون جميع الصفات كما يليق بجلال الله وعظمته، وينفون عنها التمثيل والتكييف، ويثبتون الصفات إثباتاً بلا تمثيل ولا تشبيه، وينفون عن الله مماثلة المخلوقين. وهم يثبتون الصفات، لا يعطلون كما تفعل المعطلة، ولا يمثلونها بصورة المخلوقين كما تفعل المشبهة.

قوله: (كذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار الصحاح) يعني: لا يشترط في ثبوت الصفة أن تأتي في القرآن وفي السنة، بل إذا أتت في القرآن أو في السنة وجب إثباتها.

قوله: (من السمع والبصر) قال تعالى: {وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} [الشورى:١١] هذا فيه إثبات صفة السمع والبصر.

قوله: (والعين) صفة العين ثابتة في حديث الدجال، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (وإن ربكم ليس بأعور، وإن المسيح الدجال أعور عينه اليمنى، كأن عينه عنبة طافية)، استدل العلماء بهذا الحديث على إثبات العينين لله، وأن لله تعالى عينين سليمتين بخلاف الدجال؛ فإن له عيناً واحدة، والعين الأخرى طافية كأنها عنبة طافية.

قوله: (والوجه) وكذلك إثبات الوجه قال تعالى: {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ} [الرحمن:٢٧]، والعلم: {وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} [النساء:١٣٤].

قوله: (والقوة) قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} [الذاريات:٥٨].

قوله: (والقدرة) قال الله تعالى: {وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [المائدة:١٢٠].

قوله: (والعزة) قال الله تعالى: {فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا} [فاطر:١٠]، {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ} [المنافقون:٨].

قوله: (والعظمة) لحديث: (العظمة إزاري والكبرياء ردائي).

قوله: (والإرادة) قال الله تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [البقرة:١٨٥] والإرادة تنقسم إلى قسمين: إرادة كونية قدرية ترادف المشيئة، وإرادة دينية شرعية ترادف المحبة.

قوله: (والمشيئة) قال الله تعالى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} [الإنسان:٣٠].

قوله: (والقول) قال الله تعالى: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ} [المائدة:١١٠].

قوله: (والكلام): {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} [النساء:١٦٤].

قوله: (والرضا): {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} [المائدة:١١٩].

قوله: (والسخط): {سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} [المائدة:٨٠].

قوله في نسخة أخرى: (والحياة واليقظة)، الحياة نعم ثابتة، قال تعالى: {هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة:٢٥٥] أما اليقظة فهذا يحتاج إلى دليل.

قوله: (والحب) قال تعالى: {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} [المائدة:٥٤].

قوله: (والبغض): (إن الله إذا أحب عبداً نادى جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، ويحبه جبريل وتحبه الملائكة، ويوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبداً نادى جبريل: إني أبغض فلاناً فأبغضه، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، فيبغضه أهل السماء ثم توضع له البغضاء في الأرض).

وفي الآية الكريمة يقول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ} [غافر:١٠] والمقت أشد البغض.

إذاً: الحياة ثابتة، أما اليقظة فيحتاج إلى دليل إثبات أنها من صفات الله، ولا أعلم دليلاً في الكتاب أو السنة فيه إثبات صفة اليقظة لله، إنما الحب والبغض والحياة.

قوله: (والفرح) الفرح صفة ثابتة لله: (لله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم يفقد راحلته في فلاة عليها طعامه ومتاعه)، إلى آخر الحديث.

قوله: (والضحك): (يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر ثم يدخلان الجنة)، قوله: (وغيرها).

أي أنّ أهل السنة والجماعة والسلف وأهل الحديث يثبتون الصفات التي وردت في القرآن العزيز أو في

السنة المطهرة، ومثل لهذه الصفات بالسمع والبصر والعينين والوجه والعلم والقوة والقدرة والعزة والعظمة والإرادة والمشيئة والقول والكلام والرضا والسخط والحياة والحب والبغض والفرح والضحك وغيرها.

قوله: (من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين) يعني: لا يقولون: إنّ سمع الخالق مثل سمع المخلوق، بل الله تعالى له صفات تليق بجلاله وعظمته، لا يماثل أحداً من خلقه.

قوله: (بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى وقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير زيادة ولا إضافة عليه).

يعني: يقفون عند النصوص من غير زيادة على قول الله وقول الرسول، ولا يضيفون إليها شيئاً، بل يقولون كما قالوا: أثبت الله لنفسه السمع نثبت السمع، أثبت الله لنفسه البصر نثبت البصر، وهكذا من غير زيادة عليه ولا إضافة إليه.

قوله: (ولا تكييف له)، لا يقولون: إن كيفية سمع الله كذا، إن بصره كيفيته كذا، لا يكيف ولا يشبه بصفات المخلوقين.

قوله: (ولا تحريف) لا يحرفون الصفات ويقولون: معنى اليد النعمة أو القدرة، فهذا تحريف وتبديل وتغيير، وهم لا يحرفون الألفاظ ولا المعاني.

الجهمية حرفت وقالوا: معنى ((اسْتَوَى)) استولى، ولهذا يقول العلماء: إن الجهمية شابهوا اليهود، فإن اليهود قال الله لهم: {وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ} [البقرة:٥٨] يعني: حط عنا يا الله ذنوبنا واغفرها لنا، وهم حرفوا وقالوا: حنطة، حرفوا في اللفظ والمعنى، وأمرهم الله أن يدخلوا سجداً فدخلوا يزحفون على أدبارهم.

والجهمية غيروا (استوى) وقالوا: استولى، ولهذا يقول العلماء: لام الجهمية مثل نون اليهود، لام الجهمية استولى زادوها في النص، ونون اليهود زادوها في النص.

أما أهل السنّة والجماعة فلا يحرفون ولا يغيرون ولا يبدلون كما تفعل الجهمية وكما يفعل اليهود؛ ولهذا قال المؤلف رحمه الله: (بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى وقاله رسوله من غير زيادة عليه ولا إضافة إليه ولا تكييف له ولا تشبيه ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير).

فهم لا يقولون: كيفية الصفة على كذا وكذا، ولا يقولون: تشبه صفة المخلوقين، ولا يحرفون اللفظ، ولا يحرفون المعنى، ولا يبدلون ولا يغيرون.

قوله: ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب، وتضعه عليه في تأويل المنكر).

فأهل السنة لا يزيلون لفظ الخبر عما تعرفه العرب، وتؤوله عليه بتأويل منكر، مثل تأويل الجهمية في (استوى) باستولى، هذا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب بتأويل منكر.

قوله: ويجرونه على الظاهر ويكلون علمه إلى الله، ويقرون بأنه تأويل لا يعلمه إلا الله، كما أخبر الله عن الراسخين

ما الذي يُضْحِكُ اللهُ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ؟

اللهُ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ يضحك متى شاء وليس لذلك حصر، فتعالى وتبارك الله سبحانه عزَّ وجلَّ أن يحيط أحد بمعرفته {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [سورة طه: ١١٠]، سبحانه وتعالى {يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [سورة الرحمن: ٢٩]، وقد وردت أدلة كثيرة من السنّة الصحيحة تدل على بعض المواطن التي يَضْحَكُ اللهُ عز وجل فيها [**وإذا ضحِك ربُّك إلى عبدٍ في الدنيا أو في موطنٍ؛ فلا حسابَ عليه**[٤١]، {**اللهُ تعالى يضحك إلى العبد (يضحك للعبد) وليس على العبد (ليس عليه)؛ معاذ الله**}]؛ ومن ذلك:

في العلم أنّهم يقولون في قوله عز وجل: {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا} [آل عمران:٧]) فالراسخون في العلم يؤمنون بالنصـوص ولا يمثلون ولا يكيفون ولا يشبهون، يقولون: {آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا} [آل عمران:٧] آمنا بالمتشابه وبالمحكم، ويعملون بالمحكم، ويؤمنون بالمتشابه، ولا يحرفون.

قوله: (وآيات الكتاب وأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم الصحيحة المنيرة الناطقة بهذه الصفات وغيرها كثيرة) يعني: الآيات والنصوص التي فيها إثبات الصفات سواء من الكتاب ومن السنة كثيرة، يطول الكتاب بإحصائها، لكن أنا أعطيك قاعدة هي: يجب على كل مسلم أن يثبت النصوص التي وردت في الكتاب وفي السنة إثباتاً بغير تكييف ولا تمثيل، لكن تنزيه الله عن مشابهة المخلوق من غير تعطيل للصفات، ولا تمثلها بصفات المخلوقين كما يفعل المشركون، ولا تعطل بأن تنفي الصفات كما نفتها المعطلة.

فكل نص في القرآن العزيز أو في السنة المطهرة جاء بإثبات صفة من صفات الله، أو اسم من أسماء الله، أو فعل من الأفعال أثبته لله، واجتنب أمرين باطلين: الباطل الأول: التمثيل بصفات المخلوقين، والباطل الثاني: تعطيل الصفة. إذاً: من مثل فقد شابه.}}؛ [شرح "عقيدة السلف وأصحاب الحديث، للإمام المحدث المفسر شيخ الإسلام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني"؛ عبد العزيز الراجحي؛ ص ٦: إثبات جميع الصفات الواردة في الكتاب والسنة من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف ولا تحريف.].

٤١ عن نعيم بن همار الغطفاني: أنَّ رجلًا سأل رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أيُّ الشهداءِ أفضلُ قال: "الذين إن يُلْقَوْا في الصفِّ لا يَلفِتون وجوهَهم حتى يُقتَلوا، أولئك يَنطلِقون في الغُرَفِ العُلا من الجنَّةِ، ويضحكُ إليهم ربُّهم، وإذا ضحِك ربُّك إلى عبدٍ في الدنيا فلا حسابَ عليه" [حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني؛ صحيح الترغيب ١٣٧١]، وفي رواية: "أفضلُ الشهداءِ الذين يُقاتِلونَ في الصفِّ الأولِ فلا يلْفتونَ وجوهَهم حتى

١. المَوْطِنُ الأَوَّلُ: **"يَضْحَكُ اللَّهُ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ يَدْخُلاَنِ الجَنَّةَ"**: فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ يَدْخُلاَنِ الْجَنَّةَ، يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسْتَشْهَدُ" [٤٢]، وفي رواية: "يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ كِلاَهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ"، فَقَالُوا: كَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: "يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيُسْتَشْهَدُ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسْلِمُ فَيُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيُسْتَشْهَدُ" [٤٣]، وفي رواية: "يَضْحَكُ اللَّهُ لِرَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ كِلاَهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ"، قَالُوا: كَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: "يُقْتَلُ هَذَا فَيَلِجُ الْجَنَّةَ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الآخَرِ فَيَهْدِيهِ إِلَى الإِسْلاَمِ ثُمَّ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُسْتَشْهَدُ" [٤٤]؛ وَاللهُ عَزَّ وجَلَّ واسِعُ الرَّحمةِ، جَزيلُ العَطاءِ لِمَن آمَنَ وعَمِلَ صالِحًا، فمهْما بَلَغتْ ذُنوبُ العَبدِ وكَثُرتْ خَطاياهُ، ثُمَّ تابَ وأنابَ إلى اللهِ؛ تابَ اللهُ عليه، وقَبِلَه وأجْزَلَ له المَثوبةَ، وفي هذا الحَديثِ يُخبِرُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ يَضحَكُ إلى رَجُلَيْنِ، ضَحِكًا يَليقُ به سُبحانَه وتَعالى [ولا يُشبِهُ ضَحِكَ المَخلوقينَ]، مِن غَيرِ تَأويلٍ أو تَعطيلٍ أو تَشبيهٍ؛ وذلك لأنَّ هذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ قَتَلَ أحَدُهما الآخَرَ، وعلى الرَّغمِ مِن ذلك يَجمَعُ اللهُ تعالى بيْنَهما في الجَنَّةِ؛ وذلك أنَّ القاتِلَ كان كافِرًا وقدْ قَتَلَ مُؤمِنًا، فماتَ المُؤمِنُ شَهيدًا في سَبيلِ اللهِ، فدَخَلَ الجَنَّةَ؛ كما وَعَدَ اللهُ تعالى الشُّهداءَ، ثُمَّ أسلَمَ القاتِلُ، وقاتَلَ في سَبيلِ اللهِ هو الآخَرُ، فاستُشهِدَ؛ فإنَّ

يُقتلوا، أولئك يتَلَبَّطونَ في الغَرفِ العُلى من الجنةِ، يضحكُ إليهم ربُّك، فإذا ضحِك ربُّك إلى عبدٍ في موطنٍ فلا حسابَ عليه" [حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني؛ صحيح الجامع ١١٠٧].

٤٢ أخرجه البخاري (٢٨٢٦).

٤٣ أخرجه مسلم (١٨٩٠ - ١٢٨).

٤٤ أخرجه مسلم (١٨٩٠ - ١٢٩).

اللّهَ يُلحِقُه بصاحِبِه الذي قَتَلَه في الجَنَّةِ، وهذا الفِعلُ كان سَبَبًا لِضَحِكِ اللّهِ عزَّ وجلَّ منهما في الآخِرةِ، وكَرَمُ اللّه سُبحانَه وتَعالى وفَضْلُه مُتنَوِّعٌ مِن وُجوهٍ لا تُعَدُّ ولا تُحصى.

٢. المَوْطِنُ الثَّانِي: "**يَضْحَكُ اللَّهُ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ للذي جاهد وصبر عند انكشاف الجيش؛** {الرجلُ يقاتلُ خلفَ الكتيبةِ} [٤٥] ".

٣. المَوْطِنُ الثَّالِثُ: "**يَضْحَكُ اللَّهُ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ للذي ترك شهوة النساء والراحة، وقام لصلاة الليل؛** [الرَّجُلُ يَقومُ من اللَّيلِ {يصلي في جوفِ الليلِ}]: {قيام الليل من الأفعال التي يضحك منها الربُّ عزَّ وجلَّ وهذه فضيلة عظيمة لمن يقوم من الليل}"، مع استحباب الصلاة على النبي صلى اللّه عليه وسلم عند قيام الليل، ولذلك بَوَّبَ ابن القيم رحمه اللّه في كتابه "جلاء الأفهام" (ص/٥٦٣) على ذلك بقوله: "الموطن السادس عشر من مواطن الصلاة عليه صلى اللّه عليه وسلم: إذا قام الرجل من نوم الليل"، [وفي هذا بيانٌ لفضيلة قيام العبد بالليل مخلصا لا يراه أحد، يركع ويسجد للّه عز وجل، لا يبتغي إلا مرضاة اللّه، فذلك من أفضل الأعمال].

٤. المَوْطِنُ الرَّابِعُ: "**يَضْحَكُ اللَّهُ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ للمسافر قام لصلاة الليل سحرا وقد هجع أصحابه؛** [الرَّجُلُ يَقومُ من اللَّيلِ {يصلي في جوفِ الليلِ}]: {قيام الليل من الأفعال التي يضحك منها الربُّ عزَّ وجلَّ وهذه فضيلة عظيمة لمن يقوم من الليل}" [٤٦].

---

٤٥ فإن قُتِل استُشْهِد، وإمّا أن ينصُرَه اللّهُ ويكفيَه وَيَبْقَى، فذاك الّذي يضحكُ اللّهُ إليه، [وفي هذا بيانٌ لفضيلة الجهاد في سبيل اللّه؛ فهو من أفضل الأعمال].

٤٦ مع استحباب الصلاة على النبي صلى اللّه عليه وسلم عند قيام الليل، ولذلك بَوَّبَ ابن القيم رحمه اللّه في كتابه "جلاء الأفهام" (ص/٥٦٣) على ذلك بقوله: "الموطن السادس عشر من مواطن الصلاة عليه صلى اللّه عليه وسلم: إذا قام الرجل من نوم الليل"؛ وفي هذا بيانٌ لفضيلة قيام العبد بالليل مخلصا لا يراه أحد، يركع ويسجد للّه عز وجل، لا يبتغي إلا مرضاة اللّه، فذلك من أفضل الأعمال.

٥. المَوْطِنُ الخَامِسُ: "يَضْحَكُ اللَّهُ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ للصفِّ في الصلاةِ، والقَومِ إذا صَفُّوا للصَّلاةِ {في الصلاةِ}".

٦. المَوْطِنُ السَّادِسُ: "يَضْحَكُ اللَّهُ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ للقَومِ إذا صَفُّوا لِلقِتالِ {في قتالِ العَدُوِّ}" [وفي هذا بيانٌ لفضيلة الجهاد في سبيل الله؛ فهو من أفضل الأعمال]؛ فَعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ثلاثةٌ يُحِبُّهم اللهُ، ويضحَكُ إليهم، ويستبشِرُ بهم: الَّذي إذا انكشفَتْ فئةٌ قاتلَ وراءَها بنَفسِه للهِ عزَّ وجلَّ فإمّا أن يُقتلَ، وإمّا أن ينصُرَه اللهُ ويكفيَه، فيَقولُ: {انظرُوا إلى عبدِي هذا كَيف صَبرَ لي بنَفسِه}، والَّذي لهُ امرأةٌ حسَنةٌ وفراشٌ ليّنٌ حسنٌ، فيقومُ من اللَّيلِ، فيقولُ: {يَذرُ شهوتَه ويذكُرُني، ولَو شاءَ رقدَ}، والَّذي إذا كان في سفَرٍ، وكان معهُ ركبٌ، فسهرُوا، ثمَّ هجَعُوا، فقامَ من السَّحَرِ في ضرّاءَ وسرّاءَ" [٤٧]، وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه: "إنَّ اللَّهَ ليَضحَكُ إلى رجُلَيْنِ: رجلٌ قامَ في ليلةٍ باردةٍ من فِراشِهِ ولحافِهِ ودثارِهِ فتوضَّأَ، ثمَّ قامَ إلى الصَّلاةِ، فيقولُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ لملائكتِهِ: ما حمَلَ عبدي هذا على ما صنَعَ؟ فيقولون: ربَّنا! رجاءَ ما عِندَكَ، وشفقَةً ممَّا عندَكَ. فيقولُ: فإنِّي قد أعطيتُهُ ما رجا، وأمَّنتُهُ ممَّا يخافُ"، وذكر بقيَّتَهُ [٤٨]، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: "إنَّ اللهَ لَيَضحَكُ إلى ثلاثةِ نَفَرٍ: رَجَلٍ قامَ في جَوفِ اللَّيلِ، فأحسَنَ الطُّهورَ وصلَّى، ورَجُلٍ نامَ وهو ساجِدٌ، ورَجُلٍ أحسَبُه كان في كَتيبةٍ فانْهَزَمَتْ، وهو على فَرَسٍ جَوادٍ لو شاءَ أنْ يَذهَبَ لَذَهَبَ" [٤٩]، وفي رواية: "إنَّ اللهَ لَيَضْحَكُ إلى ثلاثةٍ: الصفُّ في الصلاةِ، والرجلُ يصلي في جوفِ الليلِ، والرجلُ يقاتلُ خلفَ

---

٤٧ حَسَّنَه الشـــيخ الألباني؛ " صحيح الترغيب والترهيب" ٦٢٩؛ أخرجه الطبراني كما في "الترغيب والترهيب" للمنذري (٢٤٥/١)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (٩٨٣).

٤٨ صحيح لغيره: أخرجه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب الرقم: ٦٣٠.

٤٩ إسناده ضعيف: أخرجه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند: الرقم: ٢٨٥/١٨؛ أخرجه ابن ماجه (٢٠٠)، وأحمد (١١٧٦١) بنحوه، والبزار كما في ((مجمع الزوائد)) للهيثمي (٢٥٩/٢) واللفظ له.

الكتيبةِ" [٥٠]، وَعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثةٌ يَضحَكُ اللهُ إليهم: الرَّجُلُ يَقومُ من اللَّيلِ، والقَومُ إذا صَفُّوا للصَّلاةِ، والقَومُ إذا صَفُّوا لِلقِتالِ" [٥١]، وَعن ابنِ مسعودٍ رضِي اللهُ عنه، قال: "يضحكُ اللهُ إلى رجلَيْن، رجلٌ لَقي العدوَّ وهو على فرسٍ من أمْثَلِ خيلِ أصحابِه فانهزموا، وثبُت، فإن قُتِل استُشهِد، وإن بَقي فذاك الَّذي يضحكُ اللهُ إليه، ورجلٌ قام في جوْفِ اللَّيلِ لا يعلمُ به أحدٌ فتوضَّأ فأسبغ الوضوءَ، ثمَّ حمِد اللهَ ومجَّده، وصلَّى على النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، واستفتح القرآنَ، فذاك الَّذي يضحكُ اللهُ إليه، يقولُ: انظُروا إلى عبدي قائمًا لا يراه أحدٌ غيري" [٥٢].

---

٥٠ حديث ضعيف: أخرجه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع ١٦٥٦، وضعيف ابن ماجه ٣٥ [باختلاف يسير].

٥١ اسناده ضعيف: أخرجه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند الرقم: ١١٧٦١؛ أخرجه ابن ماجه (٢٠٠)، وأحمد (١١٧٦١) واللفظ له، وضعفه الشيخ الألباني بلفظ: "ثلاثةٌ يَضْحَكُ اللهُ إليهم: الرجلُ إذا قام بالليلِ يصلي، والقومُ إذا صَفُّوا في الصلاةِ، والقومُ إذا صَفُّوا في قتالِ العَدُوِّ" في [السلسلة الضعيفة الرقم: ٣٤٥٣؛ أخرجه أحمد (١١٧٧٨)، وأبو يعلى (١٠٠٤) باختلاف يسير، والبغوي في ((شرح السنة)) (٩٢٩) واللفظ له]، وفي [تخريج مشكاة المصابيح: ١١٨٥].

٥٢ روي هذا الحديث مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وموقوفا من كلام الصحابي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ رواه عبد الرزاق في "المصنف" ١٨٥/١١، ومن طريقه كل من الطبراني في "المعجم الكبير" ١٥٩/٩، وأبو نعيم في "حلية الأولياء" ٢٠٥/٤، ورواه النسائي في "السنن الكبرى" ٢١٧/٦، وفي "عمل اليوم والليلة" ص ٤٩٦؛ جميعهم من طريق أبي إسحاق [وهو السبيعي عمرو بن عبد الله] عن أبي عبيدة [وهو ابن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه]، عن ابن مسعود رضي الله عنه؛ وهذا إسناد رواته ثقات، غير أنّ تابعي الحديث: أبا عبيدة، لم يسمع من أبيه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، كما قرره غير واحد من أهل العلم، فالإسناد منقطع [جامع التحصيل ٢٠٤، تحفة التحصيل ١٦٥، تهذيب الكمال ٦١/١٤]، غير أنّ أبا عبيدة توبع على رواية ذلك عن أبيه؛ تابعه مرة الهمداني عن ابن مسعود، مرفوعا، بلفظ: "عَجِبَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ مِنْ رَجُلَيْنِ: رَجُلٍ ثَارَ عَنْ وِطَائِهِ وَلِحَافِهِ، مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ وَحَيِّهِ إِلَى صَلَاتِهِ، فَيَقُولُ رَبُّنَا: أَيَا مَلَائِكَتِي، انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي، ثَارَ مِنْ فِرَاشِهِ وَوِطَائِهِ، وَمِنْ بَيْنِ حَيِّهِ وَأَهْلِهِ إِلَى صَلَاتِهِ، رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي، وَرَجُلٍ غَزَا فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَانْهَزَمُوا، فَعَلِمَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْفِرَارِ، وَمَا لَهُ فِي الرُّجُوعِ، فَرَجَعَ حَتَّى أُهْرِيقَ دَمُهُ، رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي،

٧. المَوْطِنُ السَّابِعُ: **"يَضْحَكُ اللَّهُ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ لِمَنْ يُؤْثِرُ عَلَى نَفْسِهِ وَلَوْ كَانَ بِهِ خَصَاصَةٌ"**: فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ: مَا مَعَنَا إِلَّا المَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا؟"، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَنَا، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، فَقَالَ: هَيِّئِي طَعَامَكِ، وَأَصْبِحِي سِرَاجَكِ، وَنَوِّمِي صِبْيَانَكِ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً، فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا، وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا، وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلاَ يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلاَنِ، فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ. فَلَمَّا أَصْبَحَ ، غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ، أَوْ عَجِبَ، مِنْ فَعَالِكُمَا"، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ

وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَلَائِكَتِهِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي، رَجَعَ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَرَهْبَةً مِمَّا عِنْدِي، حَتَّى أُهَرِيقَ دَمُهُ" [رواه الإمام أحمد في "المسند" (٦٢/٧-٦٣) وغيره]، لكن رجح الإمام الدارقطني رحمه الله أنّ هذا الحديث موقوف من كلام ابن مسعود ، وليس مرفوعا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال رحمه الله :"يرويه عطاء بن السائب عن مرة، واختلف عنه: فرفعه حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، ووقفه خالد بن عبد الله، عن عطاء.... والصحيح هو الموقوف" ["العلل" (٢٦٧/٥)]، {وينظر: [مسند الإمام أحمد (٦٢/٧) ط الرسالة، تعليق المحققين]، و[جلاء الأفهام، لابن القيم، ط الشيخ مشهور سلمان (٥٦٣) تعليق المحقق]}، ولذلك قال السخاوي رحمه الله عن هذا الأثر: "إسناده صحيح؛ القول البديع؛ ص/٢٦٤"، وحديث أبي الدرداء رضي الله عنه قريب المعنى من هذا الحديث: {[قال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ثلاثةٌ يُحِبُّهُم اللهُ، ويضحَكُ إليهِم، ويستبشِرُ بِهِم: الَّذي إذا انكشفَتْ فئةٌ قاتلَ وراءَها بنَفسِهِ للهِ عزَّ وجلَّ فإمّا أن يُقتلَ، وإمّا أن ينصُرَه اللهُ ويكفيَه، فيَقولُ: {انظرُوا إلى عبدِي هذا كَيف صَبرَ لي بنَفسِهِ}، والَّذي لهُ امرأةٌ حسَنةٌ وفراشٌ ليّنٌ حسنٌ، فيقومُ من اللَّيلِ، فيقولُ: {يَذرُ شهوتَه ويذكُرُني، ولَو شاءَ رقَدَ}، والَّذي إذا كان في سفَرٍ، وكان معهُ ركبٌ، فسهِرُوا، ثمَّ هجَعُوا، فقامَ من السَّحَرِ في ضرّاءَ وسرّاءَ" [حسَّنَه الشيخ الألباني؛ " صحيح الترغيب والترهيب" ٦٢٩؛ أخرجه الطبراني كما في "الترغيب والترهيب" للمنذري (٢٤٥/١)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (٩٨٣)]}}.

المُفْلِحُونَ} [الحشر: ٩]" [٥٣]؛ فإنَّ مِن الأخْلاقِ الحَميدةِ، والمَعاني النَّبيلةِ، والصِّفاتِ الأصيلةِ، الَّتي حَثَّ عَلَيها القُرآنُ، وسَطَّرَها الصَّحابةُ الكِرامُ: خُلَقَ الإيثارِ. وفي هذا الحديثِ يَحكِي أبو هُرَيرَة رضِي اللّٰهُ عنه أنَّه أتى رَجُلٌ إلى النَّبيّ صلَّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ، ونَزَلَ ضَيفًا عليه يَشْكو حالَه وحاجتَه، فَبَعَثَ النَّبيُّ صلَّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ إلى نِسائِه واحِدةً تِلوَ الأُخْرى هَل عِندَها شَيْء، فكانَت كُلُّ واحِدة تَقولُ: "ما مَعَنا إلَّا الماءُ"، فَقالَ النَّبيُّ صلَّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ لِصَحابتِه الكِرامِ رِضْوانُ الله عَلَيهم أجْمَعينَ: "مَن يَضُمُّ أو يُضيِّفُ هَذا؟"، فَقالَ رَجُل مِن الأنْصارِ: أنا، فانْطَلَقَ بِه إلى امرَأتِه، فقالَ: أكْرِمي ضَيفَ رَسولِ اللّٰهِ صلَّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ، فَقالتْ: "ما عِنْدَنا إلَّا قوتُ صِبْياني"، أي: ما عِندَهم إلَّا عَشاءُ تِلكَ اللَّيْلةِ، فَقالَ لَها: "أكْرِمي ضَيْفَ رَسولِ اللّٰهِ صلَّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ، هَيِّئي طَعامَك، وأصْبِحي سِراجَك"، أي: أوْقِديه أو نوّريه، ونَوِّمي صِبيانَك إذا أرادوا عَشاءً. "فَهَيَّأت طَعامَها، وأصبَحَتْ سِراجَها، ونَوَّمَت صِبيانَها"، بِغَيرِ عَشاءٍ، ثُمَّ قامــتْ كَأنَّها تُصلِحُ سِراجَها فَأطْفَأَتْه، فَجَعَلَا يُريانِه أنَّهما يَأْكُلانِ، فَباتا طاوِيَين" جائِعَين مِن غَيْرِ عَشاء، "فَلَمَّا أصْبَحَ" الأنْصاريُّ "غَدا إلى رَسولِ اللّٰهِ صلَّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَ النَّبيُّ صلَّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ: "ضَحِكَ اللّٰهُ اللَّيْلةَ، أو عَجِبَ، مِن فِعالِكما". فَأنزَلَ اللّٰهُ: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: ٩]، وفي الحديث: إثْباتُ صِفةِ الضَّحِكِ لِلّٰهِ عَزَّ وجَلَّ إثْباتًا يَليقُ بِجَلالِه وكَمالِه مِن غَيرِ تَكْييف ولا تَحْريف ولا تَعْطيل.

٨. المَوْطِنُ الثَّامِنُ: "**يَضْحَكُ اللَّهُ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ لِأفضلِ الشهداءِ الذين يُقاتِلونَ في الصفِّ الأولِ فلا يلْفتونَ وجوهَهم حتى يُقتلوا**": فعن نعيم بن همار الغطفاني: أنَّ رجلًا سأل رسولَ اللّٰهِ صلَّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ: أيُّ الشهداءِ أفضلُ قال: "الذين إن يُلْقُوا في الصفّ لا يَلفِتون وجوهَهم حتى يُقتَلوا، أولئك يَنطلِقون في الغُرَفِ

٥٣ رواه البخاري (٣٧٩٨)، ومسلم (٢٠٥٤).

العُلا من الجنَّةِ، ويضحكُ إليهم ربُّهم، وإذا ضحِك ربُّك إلى عبدٍ في الدنيا فلا حسابَ عليه" [54]، وفي رواية: "أفضلُ الشهداءِ الذين يُقاتِلونَ في الصفِّ الأولِ فلا يلْفتونَ وجوهَهم حتى يُقتلوا، أولئك يتَلَبَّطونَ في الغَرفِ العُلى من الجنةِ، يضحكُ إليهم ربُّك، فإذا ضحِك ربُّك إلى عبدٍ في موطنٍ فلا حسابَ عليه" [55]؛ فأسْمى مَقاماتِ الشَّهادةِ هي الموتُ في سَبيلِ اللهِ؛ لتكونَ كلمةُ اللهِ هي العُليا، خاصَّةً الَّذي يُقاتِلُ في الصَّفِّ الأوَّلِ من هؤلاءِ، فإنَّ رُتبَتَهُ عِندَ اللهِ عَظيمةٌ؛ وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "أفضَلُ الشُّهَداءِ الَّذين يُقاتِلونَ في الصَّفِّ الأوَّل"؛ وذلِكَ أنَّ القَتْلَ في سَبيلِ اللهِ أفضَلُ أنْواعِ الشَّهاداتِ، ويَأتي مَن يُقتَلُ في الصَّفِّ الأوَّلِ أفضَلَهُم على الإطْلاقِ، لِما لهم مِن فَضلِ السَّبقِ إلى القِتالِ "فلا يَلفِتونَ وُجوهَهُم حتّى يُقتَلوا" بمَعْنى أنَّهم لا يُحوِّلونَها عن مَقصِدِهم، وهذا كِنايةٌ عن صِدقِ نِيَّتِهم، "أُولئِكَ يَتلبَّطونَ" يَتنَعَّمونَ، "في الغُرَفِ العُلا مِنَ الجَنَّةِ"، وهذا دَليلٌ على عُلُوِّ المَنزِلةِ والأجْرِ، "يَضحَكُ إليهم رَبُّكَ" إشارةً إلى رِضاهُ عزَّ وجلَّ، وهو ضَحِكٌ يَليقُ بذاتِهِ وجَلالِهِ دونَ تَكْييفٍ أو تَشبيهٍ، "فإذا ضَحِكَ ربُّكَ إلى عَبدٍ في مَوطِنٍ فلا حِسابَ عليه" تَأكيدٌ على أنَّه ليس عليهم حِسابٌ في الآخِرةِ، وفيه تَرغيبٌ في جِهادِ أهْلِ الطُّغْيانِ والكُفرِ بحَدِّ السَّيفِ.

٩. المَوْطِنُ التَّاسِعُ: **"ضَحِكُ اللهِ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ لِلصحابيين (سعد بن معاذ) وَ(طلحةَ بنَ البراءِ) رضِي اللهُ عنهما بعد وفاتهما"**؛ فلمَّا أُخْرِجَ سعدُ بنُ معاذٍ، صاحَت أمُّهُ، فقالَ رسولُ اللَّهِ: "يا أمَّ سعدٍ ألا يرقأُ دمعُك، ويذهبُ حزنُك، فإنَّ ابنَكِ أوَّلُ من ضحِكَ اللَّهُ لَهُ، واهتزَّ العرشُ" [56]، و"أنَّ رسولَ اللَّهِ أتى قبرَ طلحةَ بنِ

٥٤ حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني؛ صحيح الترغيب ١٣٧١.

٥٥ حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني؛ صحيح الجامع ١١٠٧.

٥٦ إسناده ضعيف: أخرجه الشيخ الألباني في تخريج كتاب السنة الرقم: ٥٥٩؛ أخرجه أحمد (٢٧٥٨١)، وابن أبي عاصم في ((السنة)) (٥٥٩) واللفظ له، والطبراني (١٨٥/٢٤) (٤٦٧).

البراءِ في قِطارٍ بالغَصبةِ، فصفَّ وصَففنا خلفَهُ وقالَ: اللَّهمَّ القَ طلحةَ تضحَكُ إليهِ، ويضحَكُ إليكَ" [57].

١٠. المَوْطِنُ العَاشِرُ: **"يَضْحَكُ اللَّهُ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ لِمَنْ يغمِسُ يَدَهُ فِي الْعَدُوِّ حَاسِرًا"**؛ فَعَن عَاصِمِ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ: أَنّ عَوْفَ بْنَ الْحَارِثِ، وَهُوَ ابْنُ عَفْرَاءَ قَالَ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ؛ مَا يُضْحِكُ الربّ مِنْ عَبْدِهِ؟ قَالَ: "غَمْسُهُ يَدَهُ فِي الْعَدُوّ حَاسِرًا"، فَنَزَعَ دِرْعًا كَانَتْ عَلَيْهِ فَقَذَفَهَا ثُمّ أَخَذَ سَيْفَهُ فَقَاتَلَ حَتَّى قتل [58]؛ **{الحديث الوارد في هذا المَوْطِنِ حديثٌ مُنْكَرٌ؛ ولعل الأحاديث الواردة في المَوْطِنِ الثَّانِي، والمَوْطِنِ السَّادِس، والمَوْطِنِ الثَّامِن، واستدلالاتها {دون أن يكون فيها نكارة ما}؛ تُغني عن هذا المَوْطِنِ، وتسد محله، واللّٰه أعلم}.**

١١. المَوْطِنُ الحَادِي عَشَرَ: **"يَضْحَكُ اللَّهُ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ، وَقُرْبِ غِيَرِهِ"**؛ فَعَنْ أَبِي رَزِينٍ العقيلي لقيط بن عامر: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ، وَقُرْبِ غِيَرِهِ"، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَ يَضْحَكُ الرَّبُّ؟، قَالَ: "نَعَمْ"، قُلْتُ: لَنْ نَعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا [59]، وفي رواية: "عَجِبَ رَبُّنا مِنْ قنوطِ عِبادِه وقُرب غِيَرِه؛ يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلينَ قَنِطينَ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ؛ يَعْلَمُ أَنَّ فرَجَكُمْ قَرِيبٌ" [60]؛ (حديث حسن: من حديث أبي رزين عند ابن

---

٥٧ إسناده ضعيف: أخرجه الشيخ الألباني في تخريج كتاب السنة الرقم: ٥٥٨.

٥٨ حديث مُنْكَر: أخرجه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم ٦٦٤٣؛ وقال عنه: مُنْكَر.

٥٩ حديث حسن؛ أخرجه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه الرقم: ٧٨/١، وأخرجه في السلسلة الصحيحة الرقم: ٢٨١٠؛ وقال عنه: حسن بمجموع الطرق.

٦٠ حسنه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى الرقم: ١٣٩/٣؛ شيخ الإسلام تارة يستعمل الحسن بمعنى حسن المعنى وتارة يستخدم الحسن ويريد به الحسن الاصطلاحي ولكن أكثر ما يستعمله بمعنى الحسن الاصطلاحي وأما الحسن من جهة المعنى فإنّه استعمله عدة مرات في أحاديث وحملت على أنّ المعنى حسن وليس حسنا على طريقة أهل الحديث. [شرح العقيدة الواسطية للشيخ صالح آل الشيخ؛ ص (٤١٧-٤٢٠)].

كثير في تفسيره، لقوله تعالى: {أم حسبتم أن تدخلوا الجنة} [البقرة: ٢١٤]، ولفظه: "عجب ربك" الحديث، وبدل "غيره": "غيثه"). والعجب: هو استغراب الشيء، ويكون ذلك لسببين: {السبب الأول: خَفاء الأسباب على هذا المستغرب للشيء المتعجَّب منه؛ بحيث يأتيه بغتة بدون توقع، وهذا مستحيل على الله تعالى؛ لأنّ الله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء}، {والثاني: أن يكون السبب فيه خروج هذا الشيء عن نظائره وعمّا ينبغي أن يكون عليه، بدون قصور من المتعجب؛ بحيث يعمل عملًا مستغربًا لا ينبغي أن يقع من مثله، وهذا ثابت لله تعالى؛ لأنّه ليس عن نقص من المتعجِّب، ولكنه عجب بالنظر إلى حال المتعجَّب منه}. وقوله: "عَجِبَ ربُّنا من قنوط عباده": القنوط: أشد اليأس. يعجب الرب عزَّ وجلَّ من دخول اليأس الشديد على قلوب العباد. "وقُربِ غِيَرِه": الواو بمعنى مع، يعني: مع قرب غيره. و(الغِيَر): اسم جمع غِيَرَة، كطِيَر: اسم جمع طِيَرَة، وهي اسم بمعنى التغيير، وعلى هذا؛ فيكون المعنى: وقرب تغييره. **{فيعجب الرب عزَّ وجلَّ، كيف نقنط وهو سبحانه وتعالى قريب التغيير، يغير الحال إلى حال أخرى بكلمة واحدة، وهي: كُنْ؛ فيكون}**. وقوله: "ينظر إليكم أَزِلين"؛ أي: ينظر الله إلينا بعينه. "أزِلين قَنِطين": الأزِل: الواقع في الشدة. و"قنطينَ": جمع قانط، والقانط: اليائس من الفرج وزوال الشدة. فذكر النبي صلى الله عليه وسلم حال الإنسان وحال قلبه، حاله أنه واقع في شدة، وقلبه قانط يائس مستبعد للفَرَجِ. "فيظل يضحك": يظل يضحك من هذه الحال العجيبة الغريبة؛ كيف تقنط من رحمة أرحم الراحمين الذي يقول للشيء: كنْ؛ فيكون؟. "يعلم أنّ فرجكم قريب"، أي: زوال شدتكم قريب [٦١]، وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، قَالَت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إنَّ

٦١ "شرح الواسطية"؛ العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى: (26-30/2)، و"شرح العقيدة الواسطية"؛ للشيخ صالح آل الشيخ؛ ص (٤١٧-٤٢٠). [بتصرف].

اللّٰهَ ليضحكُ مِن إياسِ العبادِ وقنوطِهم وقربِ الرحمةِ منهُم"، قالتْ عائشةُ: قلتُ يا رسولَ اللّٰهِ بأبِي أنتَ وأمِّي أَوَيضحكُ ربُّنا تعالى؟، قالَ: "والذِي نفسُ محمدٍ بيدهِ إنَّه ليضحكُ"، قلتُ لن يعدمَنا خيرًا إنْ ضحِكَ [٦٢]، وفي رواية: "إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ ليضحَكُ مِن إياسَةِ العبادِ وقنوطِهم، وقربِه منهُم"، قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ: بأبي أنتَ وأمِّي، أوَ يضحَكُ ربُّنا؟، قال: "إي، والَّذي نفسي بيدِه، إنَّهُ ليضحَك"، فقلتُ: إذًا لا يعدِمُنا منهُ خيرًا إذا ضحِكَ [٦٣]، وعن لقيط بن صبرة؛ أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ قَالَ: "إنِ اللَّهَ يضحَكُ من شفَقَتِكمْ وأَزْلِكُمْ وقربِ غِياثِكُمْ"، فقال الأعرابيُّ: ويضحَكُ ربُّنا يا رسولَ اللَّهِ؟، قالَ: "نَعَمْ"، فقال الأعرابيُّ: لن نعدِمَ يا رسولَ اللَّهِ من ربٍّ يضحكُ خيرًا، فضحِكَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ من قولِهِ [٦٤]، وفي رواية: أنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ قَالَ: "يُشْرِفُ عليكم أزلين مُشفِقينَ فيظَلُّ يضحَكُ قد علِم أنَّ غيرَكم إلي قريبٍ"، قال لَقيطٌ: لن نعدِمَ من ربٍّ يضحَكُ خيرًا [٦٥]، وفي رواية: "يشرِفُ عليكم أزلينَ مشفِقينَ فيظلُّ يضحَكُ، قد علم أنَّ غوثَكم إلى قريبٍ"، قال لقيطٌ: لن نُعدَمَ من ربٍّ يضحَكُ خيرًا [٦٦].

---

٦٢ إسناده واه: أخرجه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ٧٣٦/٦.

٦٣ أخرجه ابن خزيمة في كتاب "التوحيد" ٥٧٤/٢؛ [أشـــار في المقدمـــة أنه صح وثبت بالإسناد الثابت الصحيح].

٦٤ أخرجه ابن كثير في البداية والنهاية ٩٤/٦، ولبعضه شواهد.

٦٥ رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٤١/١٠؛ [روي من طريقين الأولى] إسنادها متصل ورجالها ثقات والإسناد الآخر مرسل.

٦٦ أخرجه ابن القيم في مختصر الصواعق المرسلة ٤٥٩؛ وقال عنه: "مشهور"، وأخرجه في زاد المعاد ٥٨٨/٣؛ بلفظ: ["يَشْرُفُ عليكمُ آزِلِينَ مُشْفِقِينَ، فيَظَلُّ يَضحَكُ، قد عَلِمَ أنَّ غَوْثَكُمْ إلى قريبٍ". قال لَقِيطٌ: فقلتُ: لن نَعْدَمَ مِن ربٍّ يَضحَكُ خيرًا يا رسولَ اللّٰهِ.]؛ وقال عنه: "هذا حديث كبير جليل تنادي جلالته وفخامته وعظمته على أنّه قد خرج من مشكاة النبوة".

١٢. المَوْطِنُ الثَّانِي عَشَرَ: **"يَضْحَكُ اللَّهُ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ لِمَنْ يَقول ويفعل أذكار الركوب، كما وردت في الحديثِ"**؛ فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِي الله عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْدَفَهُ عَلَى دَابَّتِهِ، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَيْهَا، كَبَّرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلاثًا، وَحَمِدَ اللهَ ثَلاثًا، وَسَبَّحَ اللهَ ثَلاثًا، وَهَلَّلَ اللهَ وَاحِدَةً، ثُمَّ اسْتَلْقَى عَلَيْهِ، فَضَحِكَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ، فَقَالَ: "مَا مِنَ امْرِئٍ يَرْكَبُ دَابَّتَهُ، فَيَصْنَعُ كَمَا صَنَعْتُ، إِلا أَقْبَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَضَحِكَ إِلَيْهِ، كَمَا ضَحِكْتُ إِلَيْكَ" [٦٧]، {قوله: "واحدة"، أي: مرة واحدة. "ثم استلقى عليه"، أي: مال بظهره إليه.}.

١٣. المَوْطِنُ الثَّالِثَ عَشَرَ: **"يَضْحَكُ اللَّهُ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ لِلشُّهداءِ، وهم ينظرون كيف يقضي بين خلقِه يوم القيامة"**؛ فَعَنْ أَبِي هريرة رضِي اللهُ عنه: أَنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قَالَ: "هم الشُّهداءُ يبعثهم اللهُ متقلّدِين أسيافَهم حولَ عرشِه، فأتاهم ملائكتُه من المحشرِ بنجائبَ من ياقوتٍ، أزِمَّتُها الدُّرُّ الأبيضُ، برحالِ الذَّهبِ، أَعِنَّتُها السُّندسُ والإستبرقُ، ونمارقُها ألينُ من الحريرِ، مَدُّ خُطاها مَدُّ أبصارِ الرجالِ، يسيرون في الجنَّةِ على خيولٍ، يقولون عند طولِ النُّزهةِ: انطلِقوا بنا (إلى رَبّنا) ننظر كيف يقضي بين خلقِه، يضحك اللهُ إليهم، وإذا ضحك اللهُ إلى عبدٍ في موطنٍ فلا حسابَ عليه" [٦٨].

١٤. المَوْطِنُ الرَّابِعَ عَشَرَ: **"يَضْحَكُ اللَّهُ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ لِلمؤمنين يَوْمَ الْقِيَامَةِ عندما يَتَجَلَّى لَهُمْ"**: فَعَن أَبِي الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، يُسْأَلُ عَنِ الْوُرُودِ، فَقَالَ نَجِيءُ نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كَذَا، وَكَذَا، انْظُرْ أَىْ ذَلِكَ فَوْقَ النَّاسِ -قَالَ- فَتُدْعَى

---

٦٧ إسناده ضعيف: رَوَاهُ أَحْمَدُ (٣٠٥٧) (٣٣٠/١)، وَفِيهِ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ الغساني الشامي، وَهُوَ ضَعِيفٌ، وعلي بن أبي طلحة لم يدرك ابن عباس؛ "مسند الإمام أحمد بن حنبل"؛ {أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني}؛ تحقيق: الشيخ شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون. {قال الهيثمي في المجمع (١٣١/١٠): رواه أحمد وفيه أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف}

٦٨ حديث ضعيف: ضعَّفَه الشيخ الألباني في ضعيف الترغيب ٨٥٤.

الأُمَمُ بِأَوْثَانِهَا وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ فَيَقُولُ مَنْ تَنْظُرُونَ فَيَقُولُونَ نَنْظُرُ رَبَّنَا. فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ. فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ -قَالَ- فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَهُ وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ -مُنَافِقٍ أَوْ مُؤْمِنٍ- نُورًا ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ وَحَسَكٌ تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يَطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ سَبْعُونَ أَلْفًا لاَ يُحَاسَبُونَ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَإِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ ثُمَّ كَذَلِكَ ثُمَّ تَحِلُّ الشَّفَاعَةُ وَيَشْفَعُونَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً فَيُجْعَلُونَ بِفِنَاءِ الْجَنَّةِ وَيَجْعَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَرُشُّونَ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ حَتَّى يَنْبُتُوا نَبَاتَ الشَّىْءِ فِي السَّيْلِ وَيَذْهَبُ حُرَاقُهُ ثُمَّ يَسْأَلُ حَتَّى تُجْعَلَ لَهُ الدُّنْيَا وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهَا مَعَهَا. [٦٩] ، ففي هذا الحديث؛ سُئِل جابرُ بنُ عبدِ اللهِ رضي الله عنهما عن الوُرودِ، أي: دخولِ النَّارِ، فأجاب: نأتي يومَ القِيامةِ، فتُدعَى الأُمَمُ بأوثانِها وما كانت تعبُدُ، أي: يُنادى على كلِّ أمَّةٍ مِن الأُممِ بما كانت تعبُدُه مِن الأوثانِ، ثمَّ يأتينا ربُّنا بعد ذلك فيقولُ: مَن تنظُرونَ؟ أي: مَن تَنتظِرون؟ فيُجيبون: ننتظِرُ ربَّنا، فيُخبِرُهم أنَّه ربُّهم، فيطلُبون النَّظرَ إلى وجهِه الكريمِ، فيتجلَّى لهم يضحَكُ، أي: يُعرِّفُهم نفْسَه وهو يضحَكُ، فينطلِقُ بهم ويتَّبِعونه، ويُعطي كلَّ إنسانٍ منهم، مُنافقٍ أو مؤمنٍ، نورًا، ثمَّ يتَّبِعونه عزَّ وجلَّ، وعلى جِسرِ جهنَّمَ كلاليبُ وحسَكٌ: مِثلُ الخطاطيفِ والأشواكِ، "والحسَكُ" نباتٌ له ثمرةٌ خشنةٌ تتعلَّقُ بأصوافِ الغنَمِ وأوبارِ الإبلِ، ورَقُه كورقِ الرِّجلةِ أو أدقُّ، وعندَ ورقِه شوكٌ. ثمَّ يُطفَأُ نورُ المُنافقين، ثمَّ يَنجو المُؤمنون؛ فلا يَستطيعُ المُنافقون العبورَ على الصِّراطِ، والنَّجاةَ مِن الخطاطيفِ الَّتي تُلقيهم في النَّارِ. فتنجو أوَّلُ زمرةٍ وجوهُهم كالقَمرِ ليلةَ البَدرِ، سبعون ألفًا لا يُحاسَبون، ثمَّ الَّذين يلونَهم كأضوأِ نجمٍ في السَّماءِ، ثمَّ كذلك. ثمَّ تَحِلُّ الشَّفاعةُ: فيمَن دخَل النَّارَ؛ ليخرُجوا منها، ويشفَعون حتَّى يخرُجَ مِن النَّارِ مَن

٦٩ رواه مسلم: ٣١٦ - ١٩١.

قال: لا إلهَ إلَّا اللهُ، وكان في قلبِه مِن الخيرِ ما يَزِنُ شَعيرةً، فيُجعَلون بفِناءِ الجنَّةِ، ويجعَلُ أهلُ الجنَّةِ يرشُّونَ عليهم الماءَ حتَّى ينبُتوا نباتَ الشَّيءِ في السَّيلِ، ويذهَبُ حُرَاقُه؛ أي: إنَّ أهلَ الجنَّةِ يرشُّون ماءً على مَن خرَج مِن النَّارِ بالشَّفاعةِ ودخَل الجنَّةَ، فتنبُتُ أجسادُهم المُحترقَةُ كما تنبُتُ البَذرةُ في الأرضِ عندما يمُرُّ عليها الماءُ. ثمَّ يَسأَلُ حتَّى تُجعَلَ له الدُّنيا وعشَرةُ أمثالِها معها، ثمَّ يَسأَلُ أحدُ الَّذين دخَلوا أو آخِرُ مَن يدخُلُ الجنَّةَ اللهَ مِن فضلِه، فيجعَلُ له اللهُ سبحانه وتعالى مِثلَ الدُّنيا بأَسرِها وعشَرةِ أضعافِها مُلكًا له في الجنَّةِ. وفي الحديثِ: اتِّباعُ كلِّ أمَّةٍ الإلهَ الَّذي كانت تعبُدُه. وفيه: ثبوتُ صِفةِ الضَّحِك وصِفةِ الإتيانِ وصفةِ التَّجلِّي لله عزَّ وجلَّ. وفيه: ثبوتُ رؤيةِ المُؤمنين لله عزَّ وجلَّ يومَ القيامةِ. وفيه: ثبوتُ الشَّفاعةِ، وأنَّ الجنَّةَ مَخلوقةٌ. وفيه: خَلاصُ المُؤمنين مِن المُنافِقينَ. وَعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: "يتجلَّى لنا ربُّنا عزَّ وجلَّ يومَ القيامةِ ضاحكًا"[٧٠]، وَعَن أَبي هريرة رضِي اللهُ عنه: "إذا كان يومُ القيامةِ جمع اللهُ الأَوَّلِينَ والآخِرينَ فيَجيءُ اللهُ تبارك وتعالى والمؤمنون على قومٍ فيَقِفُ عليهم فيقولُ هل تعرِفون ربَّكم فيقولون إن عَرَّفَنا نفسَه عَرَفْناهُ ويَرُدُّ عليهم ثلاثًا ويَرُدُّونَ عليه ثلاثًا إن عَرَّفَنا نفسَه عَرَفْناهُ فيَتَجَلَّى لهم يَضحكُ"[٧١]، فأعظمُ نَعيمٍ للمُؤمنينَ في الآخِرةِ هو رُؤيةُ رَبِّ العالَمين، وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم عن أحوالِ المؤمنين يومَ القِيامةِ وتَجلِّي اللهِ عزَّ وجلَّ لهم، فيقولُ: «إذا كان يَومُ القِيامةِ»، أي: إذا وقَعَ يومُ القِيامةِ وجاءَ «جَمَعَ اللهُ الأوَّلين والآخِرين»، أي: يَجمعُ اللهُ الخلائِقَ كلَّها، أوَّلَهم وآخِرَهم، «فيجيءُ اللهُ تبارك وتعالى» وهو مَجيءٌ حَقيقيٌّ

---

٧٠ حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة؛ الرقم: ٧٥٥؛ أخرجه أحمد (١٩٦٥٤)، والدارمي في ((الرد على الجهمية)) (١٨٠) مطولاً، وابن خزيمة في ((التوحيد)) (٥٧٦/٢) واللفظ له.

٧١ حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني في تخريج كتاب السنة؛ الرقم: ٦٣١؛ أخرجه ابن أبي عاصم في "السنة" (٦٣١) واللفظ له، وابن خزيمة في "التوحيد" (٥٧٥/٢)، والدارقطني في "رؤية الله" (٢٢).

يليقُ باللّٰهِ تعالى وكَمالِه؛ نُؤمِنُ به ولا نَعرِفُ كَيفيتَه ولا نُمَثِّلُه بخَلقِه سُبحانَه، «والمؤمنون على قَومٍ» وفي روايةِ ابنِ خُزيمةَ في التوحيدِ: «على كومٍ»، أي: على مكانٍ مرتفعٍ، «فيَقِفُ عليهم»، أي: على المؤمنين، وذلك بعدَ أنْ ذَهَب كلُّ قَومٍ خلْفَ ما يَعبُدون، وتَساقطوا في النارِ، كما جاء في الصَّحيحَينِ: «مَن كان يعبُدُ شيئا فلْيتَّبِعْ، فمنهم مَن يتَّبِعُ الشمسَ، ومنهم مَن يتَّبِعُ القمرَ، ومنهم مَن يتَّبِعُ الطواغيتَ، وتَبقى هذه الأُمَّةُ»، فيقول اللّٰهُ عزَّ وجلَّ للمؤمنين: «هل تَعرِفون ربَّكم؟»، أي: لماذا لا تتَّبِعون الناسَ؟ هل تَنتظِرون ربَّكم؟ وهل تَعرِفونه؟، «فيقولون: إنْ عرَّفَنا نفسَه عرفْناه»، أي: إذا جاءنا بصُورتِه التي نَعرِفُها من صِفاتِ الكَمالِ والجَلالِ التي وصفَها رسولُ اللّٰهِ صلَّى اللّٰه عليه وسلَّم عَرَفْناه. وقد جاءَ في الرِّواياتِ الأُخرى أنَّ رُؤيةَ المؤمنين للّٰه عزَّ وجلَّ في الآخِرةِ ستَقعُ مُتكرِّرةً أكثرَ مِن مَرَّةٍ، وإنَّما حُجِبَ عنهم تحقُّقُ رُؤيتِه أولًا بسَببِ مَن كان معهم مِن المنافقين الذين لا يَستحقُّونَ رُؤيتَه؛ فلمّا تَميَّزوا رُفِعَ الحِجابُ، ولا إشكالَ في حُصولِ الامتحانِ في الموقِفِ؛ لأنَّ آثارَ التكاليفِ لا تَنقطِعُ إلّا بعدَ الاستقرارِ في الجَنَّةِ أو النارِ. «ويردُّ عليهم ثلاثًا»، أي: يكرِّر عليهم السؤالَ ثلاثَ مراتٍ، «ويرُدُّون عليه ثلاثًا إنْ عرَّفَنا نفسَه عَرَفْناه»، أي: يرُدُّون بنَفْسِ الإجابةِ «فيَتجلّى لهم يَضحَكُ»، والمعنى: يُعرِّفُهم ربُّنا نفْسَه سبحانه، بصِفته التي يَعرِفونها، ويضحَكُ لهم ضَحِكًا يليقُ به سبحانه وتعالى، لثباتِهم، وعدمِ تردُّدِهم في معرفةِ خالقِهم. وفي الحديثِ: إثباتُ صِفاتِ الكلامِ، والضَّحِكِ للّٰه عزَّ وجلَّ. وفيه: الحثُّ على الإيمانِ والثباتِ عليه، وتَبشيرٌ للمؤمنِ بحظْوتِهِ عندَ اللّٰهِ في الآخرةِ، كما فيه إنذارٌ للعاصين. وفيه: ثُبوتُ رُؤيةِ المُؤمنِينَ رَبَّهم عزَّ وجلَّ في الآخِرةِ.

١٥. المَوْطِنُ الخَامِسَ عَشَرَ: **"يَضْحَكُ اللَّهُ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ لِآخِرِ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرِ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولاً"**: فَعَن أبي هريرة رضِي اللّٰهُ عنه في ذكرِ آخِرِ أهْلِ الجَنَّةِ دُخولًا: أنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ قَالَ: "... فيَقولُ: يا رَبِّ

أَدْخِلْنِي الجَنَّةَ، فيَقولُ اللَّهُ: ويْحَكَ يا ابْنَ آدَمَ، ما أَغْدَرَكَ، أليسَ قدْ أعْطَيْتَ العُهُودَ والمِيثَاقَ، أنْ لا تَسْأَلَ غيرَ الذي أُعْطِيتَ؟ فيَقولُ: يا رَبِّ لا تَجْعَلْنِي أشْقَى خَلْقِكَ، فَيَضْحَكُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ منه، ثُمَّ يَأْذَنُ له في دُخُولِ الجَنَّةِ، فيَقولُ: تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّى حتَّى إذَا انْقَطَعَ أُمْنِيَّتُهُ، قالَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: مِن كَذَا وكَذَا، أقْبَلَ يُذَكِّرُهُ رَبُّهُ، حتَّى إذَا انْتَهَتْ به الأمَانِيُّ، ..." [72]، وفي رواية: "... ثُمَّ يقولُ: أيْ رَبِّ، أدْخِلْنِي الجَنَّةَ، فيَقولُ اللَّهُ: أليْسَ قدْ أعْطَيْتَ عُهُودَكَ ومَوَاثِيقَكَ أنْ لا تَسْأَلَ غيرَ ما أُعْطِيتَ؟ فيَقولُ: ويْلَكَ يا ابْنَ آدَمَ ما أغْدَرَكَ، فيَقولُ: أيْ رَبِّ، لا أكُونَنَّ أشْقَى خَلْقِكَ فلا يَزَالُ يَدْعُو حتَّى يَضْحَكَ اللَّهُ منه، فَإِذَا ضَحِكَ منه، قالَ له: ادْخُلِ الجَنَّةَ، فَإِذَا دَخَلَهَا قالَ اللَّهُ له: تَمَنَّهْ، فَسَأَلَ رَبَّهُ وتَمَنَّى، حتَّى إنَّ اللَّهَ لَيُذَكِّرُهُ، يقولُ كَذَا وكَذَا، حتَّى انْقَطَعَتْ به الأمَانِيُّ، ..." [73]، وفي رواية: "... فيَقولُ: يا رَبِّ لا تَجْعَلْنِي أشْقَى خَلْقِكَ، فلا يَزَالُ يَدْعُو حتَّى يَضْحَكَ، فَإِذَا ضَحِكَ منه أذِنَ له بالدُّخُولِ فِيهَا، فَإِذَا دَخَلَ فِيهَا قيلَ له: تَمَنَّ مِن كَذَا، فَيَتَمَنَّى، ثُمَّ يُقَالُ له: تَمَنَّ مِن كَذَا، فَيَتَمَنَّى، حتَّى تَنْقَطِعَ به الأمَانِيُّ ..." [74]، وفي هذا الحديثِ، يُخبِرُ أبو هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عنه عن يومَ القيامةِ، حيثُ يَقضي اللهُ بيْن العِبادِ، ويَبْقى رجُلٌ بيْن الجنَّةِ والنَّارِ [وهو آخِرُ أهلِ النَّارِ دُخولًا الجنَّةَ]: ... فيَقولُ: يا ربِّ، قدِّمْني عندَ بابِ الجنَّةِ، فيَقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ له: أليس قد أعطَيْتَ العُهودَ والمِيثاقَ ألَّا تَسأَلَ غيرَ الَّذي كُنتَ سأَلْتَ؟ فيقولُ: يا ربِّ، أعطَيْتُ العهودَ، لكِنَّ كَرَمَك يُطمِعُني، لا أكونُ أشقَى خَلْقِك، إنْ أنتَ أبقَيْتَني على هذه الحالةِ ولا تُدخِلني الجنَّةَ، لَأكُونَنَّ أشْقى خَلقِك الَّذين دَخلوها، فيَضحَكُ اللهُ تعالى منه ضَحِكًا يَليقُ به سُبحانه وتعالَى مِن غَيرِ تأويلٍ أو تعطيلٍ أو تَشبيهٍ، ويقولُ

---

[72] رواه البخاري: ٨٠٦.

[73] رواه البخاري: ٧٤٣٧.

[74] رواه البخاري: ٦٥٧٣.

له ربُّنا: لَعلِّي إنْ صنَعْتُ لك ما تُرِيدُ تَطلُبُ غيرَ ذلك، وإنَّما قال اللهُ تعالى ذلك وهو عالِمٌ ما كان وما يكونُ؛ إظهارًا لنَقْضِ العهدِ مِن بَني آدَمَ. فيُقسِمُ الرَّجُلُ بعزَّةِ ربِّنا لا يَسأَلُ غيرَه، ويَأخُذُ اللهُ عليه العهودَ والأيمانَ بذلك، فيُقدِّمُه اللهُ إلى بابِ الجنَّةِ، فإذا بلَغَ بابَها فرَأى زَهْرتَها وما فيها مِن البَهجةِ والسُّرورِ تَحيَّر، فيَسكُتُ ما شاء اللهُ أنْ يَسكُتَ؛ حَياءً مِن ربِّه، ثمَّ يَسأَلُ ربَّه أنْ يُدخِلَه الجنَّةَ، فيَقولُ اللَّهُ عز وجل له: ويْحَكَ يا ابْنَ آدَمَ، ما أَغْدَرَكَ! وكَلِمةُ «ويْحَكَ» كَلِمةُ رَحمةٍ، كما أنَّ «وَيْلَك» كَلِمةُ عَذابٍ، وقيل: هما بمَعْنًى واحِدٍ. والغَدْرُ تركُ الوَفاءِ، وليس نَقضُ هذا العبدِ عَهْدَه جَهلًا منه، بلْ عِلمًا منه أنَّ نَقْضَ هذا العهدِ أَولى مِن الوفاءِ؛ لأنَّ سُؤالَ ربِّه أَولى مِن إبرارِ قَسَمِه. ثمَّ أخبرَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنَّ اللهَ يَأذَنُ له في دُخولِ الجنَّةِ، فيقولُ: تَمَنَّ، فيَتمنَّى، حتَّى إذا انقطعَتْ أُمنيَّتُه، بأنْ ذكَرَ لربِّه كلَّ ما يَطلُبُه ويَرجُوه، فيَقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ له: لك ما تَمَنَّيْتَ ومِثْلَه معه، وفي الحديثِ: إثباتُ بَعضِ الصِّفاتِ الخاصَّةِ بذاتِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وأهلُ السُّنةِ يُثبِتون للهِ عزَّ وجلَّ ما أَثْبَتَه لنفْسِه مِن غَيرِ تَمثيلٍ ولا تَكييفٍ، ومن غير تَعطيلٍ ولا تحريفٍ، ويُسلِّمون بذلك، ويقولون: آمنَّا به كلٌّ مِن عِندِ ربِّنا، وَعَن أبي هريرة رضِي اللهُ عنه في ذكرِ آخِرِ أهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا: أنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قَالَ: "... ثُمَّ يقولُ: أيْ رَبِّ، أدْخِلْنِي الجَنَّةَ، فيَقولُ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالَى له: أليسَ قدْ أعْطَيْتَ عُهُودَكَ ومَواثِيقَكَ أنْ لا تَسْأَلَ غيرَ ما أُعْطِيتَ؟ ويْلَكَ يا ابْنَ آدَمَ، ما أغْدَرَكَ، فيَقولُ: أيْ رَبِّ، لا أكُونُ أشْقَى خَلْقِكَ، فلا يَزالُ يَدْعُو اللَّهَ حتَّى يَضْحَكَ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالَى منه، فإذا ضَحِكَ اللَّهُ منه قالَ: ادْخُلِ الجَنَّةَ، فإذا دَخَلَها قالَ اللَّهُ له: تَمَنَّهْ، فَيَسْأَلُ رَبَّهُ ويَتَمَنَّى حتَّى إنَّ اللَّهَ لَيُذَكِّرُهُ مِن كَذا وكَذا، حتَّى إذا انْقَطَعَتْ به الأمانِيُّ، ..." [٧٥]، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ (عبد الله بن مسعود) رضى الله عنه: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا

٧٥ رواه مسلم: ١٨٢.

مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبْوًا، فَيَقُولُ اللَّهُ اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأَى، فَيَقُولُ اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى. فَيَقُولُ يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأَى، فَيَقُولُ اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا. أَوْ إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا. فَيَقُولُ تَسْخَرُ مِنِّي، أَوْ تَضْحَكُ مِنِّي وَأَنْتَ الْمَلِكُ". فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وَكَانَ يُقَالُ ذَلِكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً" [٧٦]، وفي رواية: "آخِرُ مَن يَدْخُلُ الجَنَّةَ رَجُلٌ، ... فيَقولُ: أيْ رَبِّ، أدْخِلْنِيها، فيَقولُ: يا ابْنَ آدَمَ ما يَصْرِينِي مِنْكَ؟ أيُرْضِيكَ أنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيا ومِثْلَها معها؟ قالَ: يا رَبِّ، أتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وأَنْتَ رَبُّ العالَمِينَ؟"، فَضَحِكَ ابنُ مَسْعُودٍ، فقالَ: ألا تَسْأَلُونِي مِمَّ أضْحَكُ فقالوا: مِمَّ تَضْحَكُ، قالَ: هَكَذا ضَحِكَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ،

---

٧٦ رواه البخاري: ٦٥٧١. في هذا الحديثِ بيانٌ مِن النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم لِعِظَم رحمةِ اللهِ تعالى وكَرَمِه على عِبادِه، فذَكَر حالَ آخِرِ أهلِ الجنَّةِ دخولًا لها فقال: «إنِّي لَأَعْلَمُ» بما علَّمه اللهُ «آخِرَ أهلِ النارِ خروجًا منها، وهو نفْسُه آخِرُ أهلِ الجنَّةِ دخولًا، ولقِلَّة عَمَلِه يَخرُج من النارِ أو الصِّرَاطِ وهو يَحبُو، فيَسقُط فيَحبُو، فلمَّا نُجِّيَ من النارِ قال اللهُ تعالى له: اذْهَبْ فادخُلِ الجنَّةَ، فيأتيها، فيُخَيَّلُ إليه أنَّها مَلْأَى (لكثرةِ مَن يراهم فيها، ولِمَا يَجهَلُه مِن اتِّساعِها)، فيَرجِع فيقول: يا ربِّ، وجدتُها مَلْأَى، فيقول: اذْهَبْ فادخُل الجنَّة، فيأتيها فيُخيَّلُ إليه أنَّها مَلْأَى، فيرجِع فيقول: يا ربِّ، وجدتُها مَلْأَى، فيقول: اذهَبْ فادخُلِ الجنَّةَ؛ فإنَّ لك مِثْلَ الدُّنيا وعَشَرةَ أمثالِها، أو: إنَّ لك مِثْلَ عَشَرَةِ أمثالِ الدُّنيا، فلم يتصوَّرْ كيف سيكونُ له مِثلُ هذا النعيمِ في هذه الجنَّةِ الَّتي خُيِّل له أنَّها مَلْأَى، فقال لشِدَّةِ الذُّهولِ: تَسْخَرُ مِنِّي، أو: تَضْحَكُ منِّي وأنتَ المَلِكُ؟! فظنَّ أنَّ اللهَ تعالى يَسْخَرُ منه؛ لِمَا كان منه مِن تَقصيرٍ استوجَبَ كونَه آخِرَ أهلِ الجنَّةِ دُخولًا، قال ابنُ مَسعود رَضِيَ الله عنه: فلقد رأيتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ضَحِك حتَّى بدَتْ نَواجِذُه، تعجُّبًا وسُرورًا، والنواجِذُ من الأسنان: هي الضَّوَاحِكُ، وهي الَّتي تَبدُو عند الضَّحِك، ثُمَّ قال أحدُ رواة هذا الحديثِ: وكانَ يُقال- أي: نقلًا عن الصَّحابةِ رَضِيَ اللهُ عنهم أو غيرِهم من أهلِ العِلمِ، وقائِل المقالةِ المذكورةِ هو النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، كما ثبَت ذلِك في مسلمٍ، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، وأوَّله: «أَدْنَى أهلُ الجنةِ منزلةً رجلٌ صَرَفَ اللهُ وجهَه عن النَّارِ...» وساق القِصَّة-: ذلك أَدْنَى أهلِ الجنَّةِ مَنزلةً.

فقالوا: مِمَّ تَضْحَكُ يا رَسولَ اللهِ؟، قالَ: "مِن ضَحِكِ رَبِّ العالَمِينَ حِينَ قالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وأَنْتَ رَبُّ العالَمِينَ؟ فيَقولُ: إنِّي لا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، ولكِنِّي علَى ما أشاءُ قادِرٌ" [٧٧]، ففي هذا الحديثِ بَيانٌ لعظمةِ اللهِ ورحمتِهِ وجَزيلِ عطائِهِ لِعبدِه، وفيه يقولُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: آخِرُ مَنْ يَدخلُ الجَنَّةَ رجلٌ، أي: يَبقى من أهلِ الجنَّةِ رجلٌ يكونُ من شأنِهِ قَبلَ دُخولِها؛ ... فيقولُ الرَّجُلُ: أي رَبِّ، أَدْخِلْنِيها، أي: يَطلبُ الرَّجُلُ من اللهِ عزَّ وجلَّ أنْ يُدخِله الجنَّةَ؛ فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ له: يا ابنَ آدمَ، ما يَصْرِينِي منكَ؟ أي: ما يقطعُ مَسْألتَك، والمعنى: أيُّ شيءٍ يُرضِيك ويَقطُع السُّؤالَ بَيني وبينَك، وما الَّذي تُطلُبه حتَّى تَقْنَعَ به وتَكُفَّ عن مَسْألتِك لي؟! قال اللهُ تعالى له: أيُرضيكَ أنْ أُعطيكَ الدُّنيا ومِثْلَها معها، أي: مِثْلَ نعيمِ الدُّنيا بأَسْرِها ومُلْكِها وأَزِيدُ

---

٧٧ رواه مسلم: ٣١٠ – ١٨٧: عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "آخِرُ مَن يَدْخُلُ الجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهْوَ يَمْشِي مَرَّةً، ويَكْبُو مَرَّةً، وتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فإذا ما جاوَزَها التَفَتَ إلَيْها، فقالَ: تَبارَكَ الذي نَجَّانِي مِنْكِ، لقَدْ أعْطانِي اللَّهُ شيئًا ما أعْطاهُ أحَدًا مِنَ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ، فَتُرْفَعُ له شَجَرَةٌ، فيَقولُ: أيْ رَبِّ، أدْنِنِي مِن هذِه الشَّجَرَةِ فَلأَسْتَظِلَّ بظِلِّها، وأَشْرَبَ مِن مائِها، فيَقولُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: يا ابْنَ آدَمَ، لَعَلِّي إنْ أعْطَيْتُكَها سَأَلْتَنِي غَيْرَها، فيَقولُ: لا، يا رَبِّ، ويُعاهِدُهُ أنْ لا يَسْأَلَهُ غَيْرَها، ورَبُّهُ يَعْذِرُهُ لأنَّهُ يَرَى ما لا صَبْرَ له عليه، فيُدْنِيهِ مِنْها، فَيَسْتَظِلُّ بظِلِّها، ويَشْرَبُ مِن مائِها، ثُمَّ تُرْفَعُ له شَجَرَةٌ هي أحْسَنُ مِنَ الأُولَى، فيَقولُ: أيْ رَبِّ، أدْنِنِي مِن هذِه لأَشْرَبَ مِن مائِها، وأَسْتَظِلَّ بظِلِّها، لا أسْأَلُكَ غَيْرَها، فيَقولُ: يا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعاهِدْنِي أنْ لا تَسْأَلَنِي غَيْرَها، فيَقولُ: لَعَلِّي إنْ أدْنَيْتُكَ مِنْها تَسْأَلُنِي غَيْرَها، فيُعاهِدُهُ أنْ لا يَسْأَلَهُ غَيْرَها، ورَبُّهُ يَعْذِرُهُ لأنَّهُ يَرَى ما لا صَبْرَ له عليه، فيُدْنِيهِ مِنْها فَيَسْتَظِلُّ بظِلِّها، ويَشْرَبُ مِن مائِها، ثُمَّ تُرْفَعُ له شَجَرَةٌ عِنْدَ بابِ الجَنَّةِ هي أحْسَنُ مِنَ الأُولَيَيْنِ، فيَقولُ: أيْ رَبِّ، أدْنِنِي مِن هذِه لأَسْتَظِلَّ بظِلِّها، وأَشْرَبَ مِن مائِها، لا أسْأَلُكَ غَيْرَها، فيَقولُ: يا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعاهِدْنِي أنْ لا تَسْأَلَنِي غَيْرَها، قالَ: بَلَى يا رَبِّ، هذِه لا أسْأَلُكَ غَيْرَها، ورَبُّهُ يَعْذِرُهُ لأنَّهُ يَرَى ما لا صَبْرَ له عليها، فيُدْنِيهِ مِنْها، فإذا أدْناهُ مِنْها فَيَسْمَعُ أصْواتَ أهْلِ الجَنَّةِ، فيَقولُ: أيْ رَبِّ، أدْخِلْنِيها، فيَقولُ: يا ابْنَ آدَمَ ما يَصْرِينِي مِنْكَ؟ أيُرْضِيكَ أنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيا ومِثْلَها معها؟ قالَ: يا رَبِّ، أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وأَنْتَ رَبُّ العالَمِينَ؟"، فَضَحِكَ ابنُ مَسْعُودٍ، فقالَ: ألا تَسْأَلُونِي مِمَّ أضْحَكُ فقالوا: مِمَّ تَضْحَكُ، قالَ: هَكَذا ضَحِكَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فقالوا: مِمَّ تَضْحَكُ يا رَسولَ اللهِ؟، قالَ: "مِن ضَحِكِ رَبِّ العالَمِينَ حِينَ قالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وأَنْتَ رَبُّ العالَمِينَ؟ فيَقولُ: إنِّي لا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، ولكِنِّي علَى ما أشاءُ قادِرٌ".

لك ضِعْفَهُ، فقال العبدُ: يا رَبِّ، أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وأنتَ رَبُّ العالمينَ؟! وإنَّما قال ذلك على سبيلِ الفرحِ والاسْتِبْشارِ؛ فلم يَضبِطِ لِسانَه بسببِ الدَّهْشَةِ والفرحِ بما عَرَضَ عليه اللهُ عزَّ وجلَّ. فضَحِكَ عبدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ؛ فقال لأصحابِه: أَلَا تسألوني: مِمَّ أضحكُ؟ فسأله أصحابُه: مِمَّ تضحكُ؟ قال ابنُ مَسْعُودٍ: هكذا ضَحِكَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، أي: عندما انتهى من قولِ الحديثِ؛ فقال أصحابُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: مِمَّ تضحكُ يا رسولَ اللهِ؟ قال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: من ضَحِكِ رَبِّ العالمينَ حين قال الرَّجُلُ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وأنتَ رَبُّ العالمينَ؟ والضَّحِكُ من اللهِ تعالى ومن رسولِه وإنْ كانا مُتَّفِقَيْنِ في اللَّفْظِ فإنَّهما مُتَبايِنانِ في المعنى؛ فإنَّ صِفاتِ اللهِ لا تُشابه صِفاتَ المَخْلوقينَ فهو ضَحِكٌ يَليقُ بكمالِه وجلالِه سُبحانَه وتعالى، وإنَّما ضَحِكَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم اسْتِعْجابًا وسُرورًا بما رأى من كمالِ رحمةِ اللهِ ولُطفِهِ على عبدِه المُذنبِ وكمالِ الرِّضا عنه، وأمَّا ضَحِكُ ابنِ مَسْعُودٍ فكان اقْتِداءً برسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم. ثُمَّ يقولُ اللهُ تعالى للرَّجُلِ: إنِّي لا أَسْتَهْزِئُ منكَ، أي: إنِّي لا أقول لك ذلك ولن أُعطِيك، ولكنِّي على ما أشاءُ قادِر، أي: قادِر على أنْ أعطيك مِثْلَ نَعيمِ الدُّنيا وضِعْفَ ذلك ولن يَنْقُصَ من مُلكي شيءٌ. وفي الحديثِ: أنَّ المُعَذَّبينَ في النَّارِ من أُمَّةِ التَّوحيدِ غير مُخَلَّدينَ في النَّارِ وسيخرُجون منها عندما يأذن اللهُ بذلك، وفيه: بَيانٌ لِعِظَمِ نَعيمِ أهلِ الجنَّةِ في الآخِرةِ مُقارنَةً بأهلِ الدُّنيا إذْ أقلُّهم نَعيمًا له مِثْلَيْ نَعيمِ أهلِ الدُّنيا.

والمؤمن يقابل صِفَةَ الضَّحِكِ بالقبول، والرضى والتسليم، فيستنير بها قلبه، ويتسع لها صدره، ويمتلئ بها سروراً ومحبة، فينزلها من قلبه منزلة الغذاء، أعظم ما كان إليه فاقة، ومنزلة الشفاء، أشد ما كان إليه حاجة؛ فيشتد بها فرحه، ويعظم بها غناه، وتقوى بها معرفته، وتطمئن

إليها نفسه، ويسكن إليها قلبه، فيرجو من الله كل خير، وينفتح له الأمل في كل خير، ويتفاءل أعظم تفاؤل، ويستبشر خيراً.

نسأل الله أن نكون ممن يضحك الله لهم في الدنيا والآخرة.

إِنَّ اللهَ لَيَفْرَحُ وَيَتَبَشْبَشُ (الفَرَحُ وَالبَشْبَشَة) [78]

ما الذي يُفْرِحُ اللهُ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ؟

اللهُ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ يَفْرَحُ متى شاء وليس لذلك حصر، فتعـالى وتبارك الله سبحانه عزَّ وجلَّ أن يحيط أحد بمعرفته {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [سورة طه: ١١٠]، سبحانه وتعالى {يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [سورة الرحمن: ٢٩]، وقال الشيخ محمد خليل الهرَّاس عند شرحه للحديث [قوله صلى الله عليه وسلم: لله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن التائب من أحدكم براحلته. {متفق عليه}]: "وفي هذا الحديث إثبات صفة الفرح لله عزَّ وجلَّ، والكلام فيه كالكلام في غيره من الصفات؛ أنه صفة حقيقية لله عزَّ وجلَّ، على ما يليق به، وهو من صفات الفعل التابعة لمشيئته تعالى وقدرته، فيحْدُث له هذا المعنى المعبَّر عنه بالفرح عندما يُحدِثُ عبدُهُ

---

٧٨ نؤمن بأنّه سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ يفرح؛ كما أعلم النبي صلى الله عليه وسلم، ونسكت عن صفة فرحه جلَّ وعلا، إذ الله عزَّ وجلَّ استأثر بصفة فرحه، لم يطلعنا على ذلك؛ فنحن قائلون بما قال النبي صلى الله عليه وسلم، مصَدِّقون بذلك، بقلوبنا منصتون عمَّا لم يبين لنا مما استأثر الله بعلمه، وأَهْلُ الْحَقِّ يَصِفُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وَهَذَا مَذْهَبُ الْعُلَمَاءِ، مِمَّنِ اتَّبَعَ وَلَمْ يَبْتَدِعْ؛ وَلَا يُقَالُ فِيهِ: كَيْفَ؟ بَلِ التَّسْلِيمُ لَهُ، وَالْإِيمَانُ بِهِ؛ وفرح الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ لا يشبه فرح أحد من خلقه، كما هو الأصل العام المقطوع به، المجمع عليه، في كل ما ثبت لله جل جلاله من الأسماء والصفات؛ فإنّ ذلك كله لائق برب العالمين جل جلاله، يوصف به على وجه الكمال والجمال والجلال، لا يشبه في ذلك أحدا من خلقه، ولا يشبهه أحد من خلق؛ قال تعالى: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)) [الشورى: ١١]، فلا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل لصفات الله سبحانه، بل نثبتها كما جاءت في النصوص، ولا يجوز تأويلها عن ظاهرها ولا يجوز تشبيه الله بخلقه.

[الهامش رقم ٤٠ ص ٥٢؛ بتصرّف]؛ انظر: [الهامش رقم ٤٠ ص ٥٢].

وممَّن أثبت صفة (الفرح) من السلف: الدارمي، وابن قتيبة، وأبو يعلى الفراء.

التوبةَ والإنابَةَ إليه، وهو مستلزمٌ لرضاه عن عبده التائب، وقبوله توبته" [٧٩]، [**وإذا كان الفرح في المخلوق على أنواع؛ فقد يكون فرح خفة وسرور وطرب وقد يكون فرح أشر وبطرٍ؛ فالله عزَّ وجلَّ مُنَزَّه عن ذلك كله، ففرحهُ لا يشبه فرح أحد من خلقه؛ لا في ذاته، ولا في أسبابه، ولا في غاياته؛ فسببه كمال رحمته وإحسانه التي يحب من عباده أن يتعرَّضوا لها، وغايته إتمام نعمته على التائبين المنيبين**]؛ وأمّا تفسير الفرح بلازمه، وهو الرضا، وتفسير الرضا بإرادة الثواب؛ فكل ذلك نفيٌ وتعطيلٌ لفرحه ورضاه سبحانه، أوجبه سوءُ ظنِّ هؤلاء المعطِّلة بربهم، حيث توهَّموا أن هذه المعاني تكون فيه كما هي في المخلوق، تعالى الله عن تشبيههم وتعطيلهم" [٨٠].

قال ابن قتيبة: "قوله: يتبشبش، هو من البشاشة، وهو (يتفعَّل)" [٨١]، قال أبو يعلى الفراء تعقيباً على كلام ابن قتيبة: "فحمل الخبر على ظاهره، ولم يتأوله" [٨٢]، وقال قبل ذلك بعد أن تكلم عن إثبات صفة الفرح لله تعالى: "... وكذلك القول في البشبشة؛ لأن معناه يقارب معنى الفرح، والعرب تقول: رأيت لفلان بشاشة وهشاشة وفرحاً، ويقولون: فلان هش بش فرح، إذا كان منطلقاً، فيجوز إطلاق ذلك كما جاز إطلاق الفرح"، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "لفظ البشبشة جاء أيضاً أنَّه يتبشبش للداخل إلى المسجد؛ كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم، وجاء في الكتاب والسنة ما يُلائم ذلك ويُناسبه شيءٌ كثير فيُقال لمن نفى ذلك: لمَ نفيتَه؟ ولِمَ نفيتَ هذا المعنى؛ وهو وصف كمال لا نقص فيه؟ ومن يتصف به أكمل ممَّن لا يتصف به؟ وإنَّما النقص فيه أن يحتاج فيه إلى غيره، والله تعالى لا يحتاج إلى أحد في شيء، بل هو فعَّال لما يُريد" [٨٣].

---

٧٩ شرح العقيدة الواسطية؛ محمد بن خليل حسن هراس: ج ١ ص ١٩٩.

٨٠ شرح العقيدة الواسطية؛ محمد بن خليل حسن هراس: ج ١ ص ١٩٩.

٨١ ((غريب الحديث)) (١/١٦٠).

٨٢ ((إبطال التأويلات)) (١/٢٤٣).

٨٣ ((النبوات)) (ص١٦٣).

وقد وردت أدلة من السنّة الصحيحة تدل على بعض المواطن التي يَفْرَحُ اللهُ عز وجل فيها وَيَتَبَشْبَشُ، ومن ذلك:

١. المَوْطِنُ الأَوَّلُ: **"اللَّهُ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ أشَدُّ فرَحًا بِتوبةِ عبدِهِ حِينَ يَتوبُ إليه"**: ففي الحديث عَنْ عبد الله بن مسعود، رضى الله عنه، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال: "لَلَّهُ أفْرَحُ بتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِن رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلًا وبِهِ مَهْلَكَةٌ، ومعهُ راحِلَتُهُ، عليها طَعامُهُ وشَرابُهُ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنامَ نَوْمَةً، فاسْتَيْقَظَ وقدْ ذَهَبَتْ راحِلَتُهُ، حتّى إذا اشْتَدَّ عليه الحَرُّ والعَطَشُ أوْ ما شاءَ اللَّهُ، قالَ: أرْجِعُ إلى مَكانِي، فَرَجَعَ فَنامَ نَوْمَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فإذا راحِلَتُهُ عِنْدَهُ." [٨٤]، وَفـــي رواية: "لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ المُؤْمِنِ، مِن رَجُلٍ في أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلِكَةٍ، معهُ راحِلَتُهُ، عَلَيْها طَعامُهُ وَشَرابُهُ، فَنامَ فاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَطَلَبَها حتّى أَدْرَكَهُ العَطَشُ، ثُمَّ قالَ: أَرْجِعُ إلى مَكانِيَ الذي كُنْتُ فِيهِ، فأنامُ حتّى أَمُوتَ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ على ساعِدِهِ لِيَمُوتَ، فاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ راحِلَتُهُ وَعَلَيْها زادُهُ وَطَعامُهُ وَشَرابُهُ، فاللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ العَبْدِ المُؤْمِنِ مِن هذا براحِلَتِهِ وَزادِهِ". وفي رواية: بهذا الإسْنادِ، وَقالَ: مِن رَجُلٍ بِداوِيَّةٍ مِنَ الأرْضِ. وفي رواية: لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ المُؤْمِنِ [٨٥]، وعَنْ أَنَسٍ رضى الله عنه، قَالَ قَالَ رَسُولُ

٨٤ حديث صحيح: صحيح البخاري ٦٣٠٨؛ [أورده في صحيحه وذكر له متابعة وعلق عليه]؛ «لَلَّهُ» بلام التوكيد «أَفْرَحُ» بصِيغة التفضيل «بتوبةِ العبدِ» من مَعصِيَتِه «مِن رَجُلٍ نَزَلَ منزِلًا»، أي: مكانًا «وبه مَهْلَكَةٌ»، أي: مَظِنَّة الهلاك، وفي روايةٍ: «بِدَوِّيَّةٍ مَهْلَكَةٍ»، والدَّوِّيَّةُ: هي الأرضُ القَفْرُ والفَلاةُ الخاليَة، أي: البَرِّيَّةُ والصَّحْراء الَّتي لا نباتَ فيها، «ومعه راحِلَتُه»، أي: ما يَركَبُه من الدَّوابِّ «عليها طعامُه وشرابُه، فوَضَع رأسَه فنام نَوْمةً، فاستَيقظ وقدْ ذهبَتْ راحلتُه، حتّى اشتدَّ عليه الحرُّ والعَطَش أو ما شاء اللهُ» مِن أنواعِ البلاءِ الأُخرى «قال» لنَفسِه بعدَ مُحاولةِ البَحثِ عن الرّاحلةِ: «أَرجِعِ إلى مكاني» يعني: الَّذي نام فيه؛ ينتظِر الموتَ «فرَجَع فنام نَوْمةً، ثُمَّ رفَع رأسَه، فإذا راحلتُه عندَه»، وفي روايةٍ: «فاللهُ أشدُّ فَرَحًا بتوبةِ العَبدِ المؤمنِ من هذا»، أي: مِن فَرَحِ هذا الرجلِ «براحِلَتِه وزادِه»، وفي روايةٍ أنَّه قال: «اللَّهُمَّ أنت عبدِي وأنا ربُّك، أَخْطأَ مِن شِدَّةِ الفرَحِ، فاللهُ أشدُّ فرحًا بتوبةِ عبدِه من ذلك الرجل».

٨٥ حديث صحيح: صحيح مسلم ٢٧٤٤.

اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "اللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضِ فَلاَةٍ" [٨٦]، وَفِي رواية: قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلاَةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ . أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ" [٨٧]، وَفِي رواية: "لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ إِذَا اسْتَيْقَظَ عَلَى بَعِيرِهِ قَدْ أَضَلَّهُ بِأَرْضِ فَلاَةٍ" [٨٨]، وَخَطَبَ النُّعْمانُ بنُ بَشِيرٍ، فَقالَ: لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِن رَجُلٍ حَمَلَ زادَهُ وَمَزادَهُ على بَعِيرٍ، ثُمَّ سارَ حتّى كانَ بفلاةٍ مِنَ الأرْضِ، فأدْرَكَتْهُ القائِلَةُ، فَنَزَلَ، فَقالَ: تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ، وانْسَلَّ بَعِيرُهُ، فاسْتَيْقَظَ فَسَعى شَرَفًا فَلَمْ يَرَ شيئًا، ثُمَّ سَعى شَرَفًا ثانِيًا فَلَمْ يَرَ شيئًا، ثُمَّ سَعى شَرَفًا ثالِثًا فَلَمْ يَرَ شيئًا، فأقْبَلَ حتّى أَتى مَكانَهُ الذي قالَ فِيهِ، فَبيْنَما هو قاعِدٌ إذْ جاءَهُ بَعِيرُهُ يَمْشِي، حتّى وَضَعَ خِطامَهُ في يَدِهِ، فَلَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بتَوْبَةِ العَبْدِ، مِن هذا حِينَ وَجَدَ بَعِيرَهُ على حالِهِ [٨٩]، وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قَالَ رَسُولُ

---

٨٦ حديث صحيح: صحيح البخاري ٦٣٠٩. ففي الحديثين: إثباتُ صِفةِ الفَرحِ للهِ عزَّ وجلَّ، على ما يَليقُ بكمالِه وجلالِه؛ {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١].

٨٧ حديث صحيح: صحيح مسلم ٢٧٤٧.

٨٨ حديث صحيح: صحيح مسلم ٢٧٤٧ - ٨.

٨٩ حديث صحيح: صحيح مسلم ٢٧٤٥.

في هذا الحديثِ يَضرِبُ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَثَلًا لشِدَّةِ فَرَحِ اللهِ سُبحانَه وتَعالى بتَوْبَةِ عَبدِه بِرجُلٍ كان في أَرْضِ فَلاةٍ، أي: البَرِّيَّةِ والصَّحراءِ الَّتي لا نَباتَ بها، فلَيْسَ حَولَه أَحدٌ، لا ماءَ ولا طعامَ ولا أُناسَ، فأَدركَتْه القائلَةُ، أي: وَقْتُ القَيلولَةِ، والقَيْلولَةُ هي الاستِراحَةُ نِصفَ النَّهارِ، وإنْ لم يَكُنْ مَعها نَومٌ، فنَزَلَ فَقال، أي: استَراحَ وَقْتَ القَيْلولَةِ تَحتَ شَجرةٍ. فغَلَبَتْه عينُه، أي: نامَ. وانسَلَّ بَعيرُه، أَيْ: ذَهَب في خُفْيَةٍ، فاستيقَظَ فسَعى شَرفًا، والشَّرَفُ: المكانُ العالي، فلم يَر شيئًا، ثُمَّ سَعى شَرَفًا ثانيًا فلم يَرَ شيئًا، ثُمَّ سَعى شَرَفًا ثالثًا فلم يَرَ شيئًا، فجَعَلَ يَطلُبُ بَعيرَه فلم يَجِدْه، فأَقْبَلَ حتّى أَتى مَكانَه الَّذي قال فيه يَنتَظِرُ الموتَ، قَدْ يَئِسَ من بَعيرِه، ومِن

اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "يقولُ اللَّهُ تعالى: واللهِ لَلَّهُ أفْرَحُ بتوبةِ عبدِهِ من أحدِكمْ يَجِدُ ضالَّتَهُ بالفلاةِ، ومَنْ تقرَّبَ إليَّ شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إليه ذِراعًا، ومَنْ تقرَّبَ إليَّ ذِراعًا، تقرَّبتُ إليه باعًا، وإنْ أقبَلَ إليَّ يمْشِي، أقبلْتُ إليه أُهَرْوِلُ" [٩٠]، وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "كيفَ تَقُولونَ بِفَرَحِ رَجُلٍ انْفَلَتَتْ منه راحِلَتُهُ، تَجُرُّ زِمامَها بِأَرْضٍ قَفْرٍ ليسَ بِها طَعامٌ ولا شَرابٌ، وَعَلَيْها له طَعامٌ وَشَرابٌ، فَطَلَبَها حتّى شَقَّ عليه، ثُمَّ مَرَّتْ بِجِذْلِ شَجَرَةٍ فَتَعَلَّقَ زِمامُها، فَوَجَدَها مُتَعَلِّقَةً

حَياتِه؛ لأنَّ طعامَه وشَرابَه على بَعيرِه، فبَيْنَا هو كَذلكَ إذْ جاءَه بَعيرُه يَمشي، حتّى وَضَعَ خِطامَه في يَدِه، يَعني: أنَّ البَعيرَ جاءَ مِن نَفْسِه حتّى وَضعَ الخِطامَ في يَدِ صاحِبِه، والخِطامُ هو ما يُوضَعُ عَلى خَطْمِ الجَمَلِ، أي: عَلى أنْفِه ليُقادَ به، ففَرِحَ الرجُلُ فرحًا عظيمًا؛ فقد فَرِحَ بالحياةِ بَعدَ الموتِ؛ ولهذا أَخَذَ بالخِطامِ فقال: (اللَّهمَّ أَنتَ عَبدِي وأَنا رَبُّكَ)، أَرادَ أن يُثنيَ على اللهِ فيَقولَ: (اللَّهمَّ أنت رَبِّي وأنا عَبدُك)، لكنْ مِن شِدَّةِ فَرَحِه أَخْطأَ.

٩٠ حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع ٨١٣٨؛ أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) باختلاف يسير.

يقولُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «واللهِ»، أيْ: يُقسِمُ باللهِ عزَّ وجلَّ، «لَلَّهُ أَفْرَحُ بتَوبةِ عَبْدِهِ»، أيْ: إنَّ اللهَ يَفرَحُ برُجوعِ العَبْدِ المُذْنِبِ إليه تائبًا نادِمًا على ذَنْبِه أشدَّ مِن فَرَحِ «أَحَدِكم يَجِدُ ضالَّتَه بالفَلاةِ»، والفَلاةُ: الصَّحراءُ، والمعنى: أنَّه يَجِد ناقَتَه بعدَ فَقْدِها وعليها مَتاعُهُ وطَعامُهُ وشَرابُهُ وتيقُّنٍ مِن الهلاكِ؛ فكيف يكونُ فَرَحُه إذا رجعتْ إليه ناقتُهُ؟!. «ومَن تقرَّبَ إليَّ شَبْرًا تَقرَّبتُ إليه ذِراعًا»، أيْ: مَن تَقرَّبَ إلى اللهِ بقَدْرِ شَبْرٍ تَقرَّبَ اللهُ إليه بأكْثرَ وأَفْضلَ منه، فيتقرَّب منه بقَدْرِ الذِّراعِ، وهكذا «ومَن تقرَّب إليَّ ذِراعًا، تقرَّبتُ إليه باعًا»، والباعُ: مدُّ اليَدين والذِّراعين بما في ذلك عَرْضُ الصَّدْرِ، «وإذا أَقْبَل إليَّ يَمْشي، أَقْبَلَتُ إليه أُهَرْوِلُ»، أيْ: وإنْ أَتى العبدُ يَمشي إلى اللهِ في طَريقِ الهِدايةِ والرَّشادِ، فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُقبِلُ إليه ويُهرولُ.

والفَرَحُ والتَّقرُّبُ والهَرْولةُ كلُّ ذلك حقٌّ على ما يَليقُ بذاتِ اللهِ عزَّ وجلَّ، ليس لها مُشابَهةٌ بصِفاتِ البَشَرِ؛ فمِن عَقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ أتْباعِ السَّلفِ الصَّالحِ: الأَخْذُ بظاهرِ أَمْثالِ هذا الحديثِ، مع إمرارِها كما جاءتْ مِن غيرِ تأويلٍ ولا تَحريفٍ؛ فليسَ تَقرُّبُه إلى عبْدِه مِثلَ تَقرُّبِ المخلوقِينَ إلى غيرِه، وليس مَشيُه كمَشيِهم، ولا هرولتُه كهرولتِهم، بل هو أمرٌ يليقُ باللهِ سبحانه كسائرِ الصِّفاتِ؛ فالصفاتُ كالذّاتِ ويجبُ إثباتُها له سبحانه مع الإيمانِ والاعتقادِ بأنَّها أكمَلُ الصِّفاتِ وأعلاها، وأنَّها لا تُشابِهُ صِفاتِ الخلقِ كما قال عزَّ وجلَّ: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١].

بِهِ؟ قُلْنا: شَدِيدًا، يا رَسُولَ اللهِ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: أَما واللَّهِ لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ، مِنَ الرَّجُلِ بِراحِلَتِهِ" [91]، وهذه الأحاديث تبين كال رحمة الله جل وعلا ورأفته بعباده؛ حيث يحب رجوع العاصي إليه هذه المحبة العظيمة، هارب من الله، ثم وقف ورجع إلى الله، يفرح الله به هذا الفرح العظيم، "وهذا أمر عظيم إلى الغاية، فإذا كانت التوبة بهذه المنزلة، كيف لا يكون صاحبها معظماً عند الله؟!" [92]، ويفيدنا أن نحرص على التوبة غاية الحرص، كلما فعلنا ذنباً؛ تبنا إلى الله، فأنت إذا علمت أن الله يفرح بتوبتك هذا الفرح الذي لا نظير له؛ لا شك أنك سوف تحرص غاية الحرص على التوبة [93].

٢. المَوْطِنُ الثَّانِي: **"اللَّهُ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ يتبشبَشُ للرجلِ المسلمِ يتوطَّن المساجدَ للصَّلاةِ والذِّكرِ"**: ففي الحديث عَنْ أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ النبي صلى

---

٩١ حديث صحيح: صحيح مسلم ٢٧٤٦.

إنَّ اللهَ يُحبُّ التّائبينَ ويَدعو عِبادَه إلى التَّوبةِ ويُرَغِّبُهم فيها؛ وفي هذا الحديثِ يُعلِّمُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أَصحابَه ذلِك على طريقةِ السُّؤالِ والجواب؛ فيقولُ: كَيفَ تَقولونَ بفَرَحِ رَجلٍ انْفَلَتَتْ مِنه راحلَتُه، أي: فُكَّ رِباطُ ناقتِه، فذَهبَت تَجُرُّ زِمامَها، أي: مِقوَدَها وَهُو ما تُقادُ به البَعيرُ، بأَرضٍ قفرٍ، قَد فَسَّرها بقَولِه: ليس بها طَعامٌ ولا شرابٌ، وعلى هَذه الرّاحلةِ طَعامُه وشَرابُه، فطَلَبَها، أي: بَحثَ عَنها فلَمْ يَعثُرْ عليها حتّى شَقَّ عليه كَثرةُ البَحثِ عَنها وأَجهدَه ذلك؛ خاصَّةً أنَّه لا طَعامَ معه ولا شَرابَ يَتقوّى به على البَحثِ عَنها، ثُمَّ مَرَّت راحلَتُه بجِذْلِ شَجرةٍ، أي: أَصلِها القائِم، فتَعلَّقَ زِمامُها بِهذا الجِذْلِ، فَوجدَها صاحِبُها وَهِيَ مُتعلِّقةٌ به، كيفَ تقولونَ في هَذا؟ قالوا: شَديدًا، أي: يَفرَحُ فَرحًا شديدًا، يا رَسولَ اللهِ! فَقالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: أَما واللهِ، لَلهُ أَشدُّ فَرحًا بتَوبةِ عَبدِه مِن الرَّجلِ براحلَتِه.

وفي الحديثِ: فَضلُ التَّوبَةِ وأنَّ اللهَ يَرضاها منَ العَبدِ ويُحِبُّها ويَفرحُ لها.

وفيه: سَعةُ رَحمةِ اللهِ تعالى.

وفيه: إثباتُ صِفةِ الفَرحِ للهِ عزَّ وجلَّ على ما يَليقُ به.

٩٢ شرح حديث أبي بكر ص: ٥٣، لشيخ الإسلام رحمه الله.

٩٣ شرح العقيدة الواسطية؛ ص: ٤٠٥.

اللَّه عليه وسلم قال: "ما توطَّنَ رجلٌ مسلمٌ المساجدَ للصَّلاةِ والذِّكرِ إلَّا تبشبشَ اللَّهُ لَهُ كما يتبشبشُ أَهلُ الغائبِ بغائبِهِم إذا قدمَ عليهم"[٩٤]، وفي رواية: "لا يَتوضَّأُ أحدُكُمْ فيُحْسِنُ وُضوءَهُ فيُسْبِغُهُ، ثُمَّ يأتي المسجدَ لا يريدُ إلَّا الصَّلاةَ فيه، إلَّا تَبَشْبَشَ اللَّهُ إليهِ، كما يَتَبَشْبَشُ أهلُ الغائبِ بطَلعَتِهِ"[٩٥]، وفي رواية: "لا يوطِّنُ الرجلُ المسجدَ

---

٩٤ حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه ٦٥٩؛ أخـــرجه ابن ماجه (٨٠٠) واللفظ له، وأحمد (٨٣٥٠).

المَساجِدُ بُيوتُ اللهِ في الأرضِ، وفيها تُقامُ الصَّلواتُ والجَماعاتُ، وللمُكوثِ فيها والتعلُّقِ بها فَضْلٌ عظيمٌ وأجْرٌ كبيرٌ، وفي هذا الحديثِ بيانٌ لبعضِ فَضائلِ عُمّارِ المساجِد، وكرَمِ اللهِ لهم، وفيه يقولُ أبو هُريرةَ رضِيَ اللهُ عنه: قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «ما توطَّنَ رجُلٌ مُسلِمٌ المسجِدَ للصَّلاةِ والذِّكرِ»، أي: اعتاد الذَّهابَ إلى المَساجِدِ، وجعَلَ المسجِدَ كالوطَنِ له يألَفُه ويُقيمُ به ويرتاحُ إليه، «إلّا تَبَشْبَشَ اللهُ له مِن حينِ يخرُجُ مِن بيتِه»، أي: فرِحَ به وأقبَلَ عليه وتلقّاه ببِرِّه وإكْرامِه، والبَشْبَشةُ في حقِّ اللهِ تعالى صِفةٌ فِعليَّةٌ ثابتةٌ للهِ عزَّ وجلَّ، ومعناه قريبٌ من معنى الفَرَحِ، وهو وَصْفُ كَمالٍ لا نَقْصَ فيه، والتَّبَشْبُشُ مِن اللهِ سُبحانَه يشمَلُ في معناه: إظهارَ الأفعالِ المرضيةِ للعبْدِ، وتلقِّيه ببِرّه وتقريبَه وإكْرامَه، ويُوَفِّقُه للطّاعةِ، ويغمُرُه بالرَّأفةِ والرَّحمةِ، وهذا كسائرِ ما وُصِفَ اللهُ- جلَّ ذِكْرُه- به مِن أوصافِ ذاتِه وفِعْلِه ممّا يقَعُ مُشترَكًا بينَه وبينَ خلْقِه؛ فيكونُ له منه معناه الَّذي يَصِحُّ في وَصْفِه ويليقُ بحُكْمِه دونَ مُشابهَةِ المخلوقينَ، «كما يَتَبَشْبَشُ أهْلُ الغائبِ بغائبِهم إذا قدِمَ عليهم»، والتَّبَشْبُشُ بالإنسانِ: المَسرَّةُ به والإقبالُ عليه، وهو مِن معنى البَشاشةِ لا مِن لفْظِها، وهذا مِن التَّرغيبِ في إتيانِ المَساجِدِ، ومَن حبَسَ نفْسَه في المساجِدِ على الطّاعةِ فهو مُرابطٌ لها في سَبيلِ اللهِ، مُخالِفٌ لهواها، وهذا من أفضلِ أنواعِ الصَّبرِ والجِهادِ؛ ولذلك كان حريًّا بهذا الفَضلِ.

وفي الحديثِ: تبشيرُ مُعتادِ المساجِدِ ومُستوطِنِها للصَّلاةِ والذِّكرِ.

٩٥ حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب ٣٠٣.

كان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يَحرِصُ على أنْ يَدُلَّ أصحابَه رضِيَ اللهُ عنهم على الخَيرِ، وفي هذا المعنى يَقولُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «لا يَتوضَّأُ»، أي: إذا توضَّأَ، «أحدُكم فيُحْسِنُ وُضوءَه، ويُسْبِغُه»، أي: يأتي به على أكْمَلِ وجْهٍ مِن سُنَنٍ وآدابٍ، ويُعطي كُلَّ عُضوٍ حقَّه مِن الماءِ، «ثمَّ يأتي المسجدَ لا يُرِيدُ إلّا الصَّلاةَ فيه»، أي: يَخرُجُ إلى المسجدِ بهذا الوضوءِ لا يَقصِدُ مِن خُروجِه إلّا الصَّلاةَ، «إلّا تَبَشْبَشَ اللهُ إليه»، أي: فَرِحَ به، وأقبَلَ عليه، وتلقّاه ببِرِّه وإكْرامِه، والبَشْبَشةُ في حقِّ اللهِ تعالى صِفةٌ فِعليَّةٌ ثابتةٌ للهِ عزَّ وجلَّ، ومعناها قَريبٌ مِن معنى الفَرَحِ، وهو وَصْفُ كَمالٍ لا نَقْصَ فيه، والتَّبَشْبُشُ مِن اللهِ سُبحانَه يَشمَلُ في معناهُ: إظهارَ الأفعالِ

للصلاةِ أوْ لذكرِ اللهِ؛ إلّا تَبَشْبَشَ اللهُ بهِ، كما يتبشبشُ أهلُ الغائبِ إذا قدمَ عليهِمْ غائبُهُمْ" [96]، وفي رواية: "ما من رجلٍ كان توطَّن المساجدَ، فشغله أمرٌ أو عِلَّةٌ ثم عاد إلى ما كان إلا يتبَشْبَشُ اللهُ إليه كما يَتَبَشْبَشُ أهلُ الغائبِ بغائبِهم إذ أقدم" [97].

المُرْضِيَةِ للعبْدِ، وتَلَقِّيه ببِرِّه، وتَقريبَه وإكْرامَه، وأنْ يُوَفِّقَه للطّاعةِ، ويَغمُرَه بالرَّأْفةِ والرَّحمةِ، وهذا كسائرِ ما وُصِفَ اللهُ جلَّ ذِكْرُه به مِن أوصافِ ذاتِه وفِعْلِه؛ ممّا يقَعُ مُشتَرَكًا بينَه وبينَ خَلْقِه؛ فيكونُ له منه معناه الّذي يَصِحُّ في وَصْفِه ويَليقُ بحُكْمِه من غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ بالمخلوقينَ، «كما يَتَبَشْبَشُ أهْلُ الغائبِ بطَلْعتِه»، أي: بغائبِهم إذا قَدِمَ عليهم، والتَّبَشْبُشُ بالإنسانِ: المَسرَّةُ به والإقبالُ عليه، وهو مِن معنى البَشاشةِ لا مِن لفْظِها.

وفي الحديثِ: الحثُّ على إسباغِ الوضوءِ والترغيبُ فيه، وفيه: الحثُّ على خروجِ المسلمِ للمسجدِ مُتَوَضِّئًا.

٩٦ حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني في صحيح صحيح الموارد ٢٦٦.

٩٧ حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب ٣٢٧.

المَساجِدُ بُيوتُ اللهِ في الأرضِ، وفيها تُقامُ الصَّلواتُ والجماعاتُ، والتَّعلُّقُ بها له فَضْلٌ عظيمٌ وأجْرٌ كبيرٌ، وفي هذا الحديثِ بَيانٌ لبعضِ فَضائلِ عُمّارِ المساجِدِ، وكرَمِ اللهِ لهم، وفيه يقولُ أبو هُريرةَ رضِيَ اللهُ عنه: قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «ما مِن رجُلٍ كان تَوطَّنَ المساجِدَ»، أي: اعتادَ الذَّهابَ إلى المَساجِدِ، وجعَلَ المسجِدَ كالوطَنِ له؛ يَألَفُه، ويُقيمُ به، ويَرتاحُ إليه، «فشَغَلَهُ أمْرٌ أو عِلَّةٌ، ثمَّ عاد إلى ما كان، إلّا يَتبشبَشُ اللهُ إليه»، أي: يَفْرَحَ به ويُقبِلَ عليه ويَتلقّاهُ ببِرّه وإكْرامِه، والبَشْبَشةُ في حَقّ اللهِ تعالى صِفةٌ فِعليَّةٌ ثابتةٌ للهِ عزَّ وجلَّ، ومعناها قَريبٌ مِن معنى الفرَحِ، وهو وَصْفُ كَمالٍ لا نَقْصَ فيه، والتَّبَشْبُشُ مِن اللهِ سُبحانَه يَشمَلُ في معناهُ: إظهارَ الأفعالِ المُرضِيَةِ للعبْدِ، وتَلقِّيه ببِرّه وتَقريبِه وإكْرامِه، وتوفيقِه للطّاعةِ، وغِشيانِه بالرَّأفةِ والرَّحمةِ، وهذا كسائرِ ما وُصِفَ اللهُ- جلَّ ذِكْرُه- به مِن أوصافِ ذاتِه وفِعْلِه ممّا يقَعُ مُشتَرَكًا بيْنه وبيْن خَلْقِه؛ فيكونُ له منه معناهُ الَّذي يَصِحُّ في وَصْفِه ويَليقُ بذاتِه دونَ مُشابَهةِ المخلوقينَ، «كما يَتَبَشْبَشُ أهْلُ الغائبِ بغائبِهم إذا قَدِمَ»، أي: يَفرَحون برُجوعِه إليهم، والتَّبَشْبُشُ بالإنسانِ: المَسرَّةُ به والإقبالُ عليه، وهذا مِن التَّرغيبِ في إتيانِ المَساجِدِ، ومَن حبَسَ نفْسَه في المساجِدِ على الطّاعةِ فهو مُرابِطٌ لها في سَبيلِ اللهِ، مُخالِفٌ لهَواها، وهذا مِن أفضَلِ أنواعِ الصَّبرِ والجِهادِ؛ ولذلك كان حَرِيًّا بهذا الفَضلِ، وقد مدَحَ اللهُ عُمّارَ المَساجِدِ في قولِه: {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيها اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ والْآصالِ * رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقامِ الصَّلاةِ وَإِيتاءِ الزَّكاةِ يَخافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ والْأَبْصارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ واللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ} [النور: ٣٦ - ٣٨].

وفي الحَديثِ: تَبشيرٌ عَظيمٌ لمُعتادِ المساجِدِ ومُستوطِنِها للصَّلاةِ والذِّكْرِ.

إِنَّ اللهَ لَيَوَدُّ وَيُحِبُّ (الوِدُّ وَالحُبُّ) [98]

ما الذي يَوَدُّهُ اللهُ وَيُحِبُّهُ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ؟

الحُبُّ صفةٌ فِعْلِيَّةٌ ثابتةٌ لله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ بالكتاب والسنة، والدليل من الكتاب: قوله تعالى: {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الـمُحْسِنِينَ} [البقرة: ١٩٥]، وقوله: {فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَه} [المائدة: ٥٤]، والدليل من السنة: حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يومَ خَيْبَرَ: "لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُفْتَحُ علَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ ورَسولَهُ، ويُحِبُّهُ اللَّهُ ورَسولُهُ" [99]، وحديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قالَ: سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يقولُ: "إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العَبْدَ التَّقِيَّ، الغَنِيَّ، الخَفِيَّ" [100]، فأهل السنة والجماعة يثبتون صفة الحب والمحبة لله عزَّ وجلَّ، على ما يليق به، وليس هي إرادة الثواب؛ كما يقول المؤولة. كما يثبت أهل السنة لازم المحبة وأثرها، وهو إرادة الثواب وإكرام من يحبه سبحانه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إنَّ الكتاب والسنة وإجماع المسلمين أثبتت محبة الله لعباده المؤمنين ومحبتهم له، كقوله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ وقوله: يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ}، وقوله: {أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ}، وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على إثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين ومحبتهم له وهذا أصل دين الخليل إمام الحنفاء عليه

---

٩٨ في كل ما ثبت لله جل جلاله من الأسماء والصفات؛ فإنّ ذلك كله لائق برب العالمين جل جلاله، يوصف به على وجه الكمال والجمال والجلال، لا يشبه في ذلك أحدا من خلقه، ولا يشبهه أحد من خلق؛ قال تعالى: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)) [الشورى: ١١]، فلا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل لصفات الله سبحانه، بل نثبتها كما جاءت في النصوص، ولا يجوز تأويلها عن ظاهرها ولا يجوز تشبيه الله بخلقه. {انظر: [الهامش رقم ٤٠ ص ٥٢]}.

٩٩ حديث صحيح: رواه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٦).

١٠٠ حديث صحيح: رواه مسلم ٢٩٦٥.

السـلام" [١٠١]، ويوصف اللّٰه عزَّ وجلَّ بأنه الوَدُود، الذي يَوَدُّ ويحبُّ عباده الصالحين ويودونه، وهذا ثابت بالكتاب العزيز، و(الوَدُودُ) من أسمائه تعالى. والدليل: قوله تعالى: {وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ} [هود: ٩٠]، وقوله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَهُوَ الْغَفُورُ الوَدُود} [البروج: ١٤]، والوِدُّ والمَوَدَّة: الحب والمحبة، والوَدُودُ: المُحِبُّ [١٠٢]. قال أبو القاسم الزجاجي: "الوَدُودُ: فيه قولان: أحدهما: أنه فعولٌ بمعنى فاعلٍ؛ كقولك: غفورٌ بمعنى غافر، وكما قالوا: رجلٌ صَبورٌ بمعنى صابر، وشَكورٌ بمعنى شاكر، فيكون الوَدُودُ في صفات اللّٰه تعالى عزَّ وجلَّ على هذا المذهب أنه يودُّ عبادهُ الصالحينَ ويُحبهم، والودُّ والمودةُ والمحبة في المعنى سواءٌ؛ فاللّٰه عزَّ وجلَّ ودودٌ لأوليائه والصالحين من عباده، وهو مُحِبٌّ لهم. والقول الآخر: أنه فعولٌ بمعنى مفعولٍ؛ كما يقال: رجل هيوبٌ؛ أي: مهيبٌ، فتقديره: أنه عزَّ وجلَّ مودودٌ؛ أي: يوده عباده ويحبونه وهما وجهان جيدان. وقد تأتي الصِّفة بالفعل للّٰه عزَّ وجلَّ ولعبده، فيقال: العبد شكور للّٰهِ؛ أي: يشكر نعمته، واللّٰه عزَّ وجلَّ شكورٌ للعبد؛ أي: يشكر له عمله؛ أي: يجازيه على عمله، والعبد توابٌ إلى اللّٰه من ذنبه، واللّٰه تَوَّابٌ عليه؛ أي: يقبل توبته ويعفو عنه" [١٠٣]، وقال ابن القيم: "الوَدُودُ المُتَوَدِّدُ إلى عباده بنعمه الذي يَوَدُّ من تاب إليه وأقبل عليه وهو الوَدُودُ أيضاً أي المحبوب قال البخاري في (صحيحه) الوَدُودُ: الحبيب. والتحقيق أنَّ اللفظ يدل على الأمرين على كونه وادًّا لأوليائه ومَوْدُوداً لهم فأحدهما بالوضع والآخر باللزوم فهو الحبيب المحب لأوليائه يحبهم ويحبونه" [١٠٤].

واللّٰه سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ يَوَدُّ وَيُحِبُّ متى شاء وليس لذلك حصر، فتعالى وتبارك اللّٰه سبحانه عزَّ وجلَّ أن يحيط أحد بمعرفته {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ

---

١٠١ مجموع الفتاوى (٢ / ٣٥٤).

١٠٢ انظر: (لسان العرب).

١٠٣ اشتقاق أسماء اللّٰه؛ ص ١٥٢.

١٠٤ التبيان في أقسام القرآن؛ ص: ٥٩، وانظر: تفسير غريب القرآن؛ ص ١٨؛ لابن قتيبة.

عِلْمًا} [سورة طه: ١١٠]، سبحانه وتعالى {يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [سورة الرحمن: ٢٩]، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: "الأسباب الجالبة للمحبة، والموجبة لها وهي عشرة:

- أحدها: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به، كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه، ليتفهم مراد صاحبه منه.
- الثاني: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة.
- الثالث: دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب، والعمل والحال، فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.
- الرابع: إيثار محابّه على محابّك عند غلبات الهوى، والتسنُّم إلى محابّه وإن صعب المرتقى.
- الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها ومعرفتها وتقلُّبه في رياض هذه المعرفة. فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة. ولهذا كانت المعطلة والفرعونية والجهمية قطاع الطريق على القلوب بينها وبين الوصول إلى المحبوب.
- السادس: مشاهدة بره وإحسانه وآلائه، ونعمه الباطنة والظاهرة، فإنها داعية إلى محبته.
- السابع: وهو من أعجبها، انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى، وليس في التعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات.
- الثامن: الخلوة به وقت النزول الإلهي، لمناجاته وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.
- التاسع: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما ينتقي أطايب الثمر، ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام، وعلمت أنّ فيه مزيدا لحالك، ومنفعة

لغيرك.

- العاشر: مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل.

فمن هذه الأسباب العشرة؛ وصل المحبون إلى منازل المحبة، ودخلوا على الحبيب، وملاك ذلك كله أمران: استعداد الروح لهذا الشأن، وانفتاح عين البصيرة، وبالله التوفيق" [١٠٥]، وقد وردت أدلة كثيرة من الكتاب والسنّة الصحيحة تدل على بعض هذه الأسباب والأعمال والمواطن الجالبة لمحبة الله ووده سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ؛ ومن ذلك:

١. المَوْطِنُ الأَوَّلُ: **"محبّة العبد لله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)"**: قَالَ اللّٰه سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [سورة المائدة: ٥٤]، فمحبة الله للعبد {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} (وتوبته عليه {ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا}، ورضاه عنه [رضا الله يسبق رضا العبد] {رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}) تأتي أولاً، ومحبة الله تعالى رأس الإيمان، وأساس العبودية لله جل وعلا، وقد أثنى الله بها على المؤمنين فقال سبحانه: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ } [سورة البقرة: ١٦٥]، ومن أحب الله تعالى، أحب كلامه، وتتبع أوامره ونواهيه.

٢. المَوْطِنُ الثَّانِي: **"متابعة النبيّ صلى الله عليه وسلم"**: قَالَ اللّٰه سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ} [سورة آل عمران: ٣١]، فما لم يكن في زمانه صلى الله عليه وسلم دينًا، فليس بدين؛ وقد أمَرَنا الله عز وجل بمتابعة رسولنا صلى الله عليه وسلم وطاعته والاقتداء به، وعدم الخروج عن سنَّته، وإلا ضللنا ضلالًا بعيدًا، وكنا من الأخسرين أعمالًا،

---

١٠٥ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم الجوزية ج ٣ ص ١٧ - ١٨.

وقد نُهينا أعظم النهي وأشده عن مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم واتباع أهوائنا وما أُحدِث في الدين مِن بِدع، وكما يجب على المسلم أن يوحِّد المعبود جلَّ وعلا؛ فلا يعبد غيره، ولا يقصد سواه، وهو ما تضمنه قولنا: "لا إله إلا الله"، فكذلك يجب على المسلم أن يوحِّد المتبوع، فلا متبوع إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه المُبلِّغ عن الله ما شرعه لعباده، وهو معنى قولنا: "محمد رسول الله" صلى الله عليه وسلم، فليس عبدًا لله مَن لم يلتزم بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم مِن ربه، ولم يتبع منهجه ولم يطبق شرعَه، وإن أقرَّ بأن الله خالقه ورازقه، فلقد أقرَّ بذلك مِن قبله المشركون، ولم يكونوا به مؤمنين، ولم يَخرجوا عن كونهم مشركين؛ لأنهم لم يؤمنوا بالله إلهًا معبودًا ومشرِّعًا حكيمًا، ولم يؤمنوا برسوله صلى الله عليه وسلم نبيًّا متبوعًا ورسولًا مبلِّغًا عن رب العالمين، والعبادة والطاعة لله عز وجل لا تقبل إلا إذا توفر فيها ركنان: الإخلاص لله عز وجل والمتابعة لأمر النبيّ صلى الله عليه وسلم في أداء العبادة، وقد أمر الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ في كتابه بالطاعة والاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في كل الجوانب والمجالات، قال تعالى: {مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا} [سورة النساء: ٨٠]، ومن ذلك طاعته ومتابعته والاقتداء به في أداء العبادات والطاعات والمناسك والحدود؛ ومن أمثلة ذلك في الوضوء: عَن عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عنه، قَالَ: رَأَيْتُ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ تَوَضَّأَ نَحْوَ وضُوئِي هذا ثُمَّ قَالَ: "مَن تَوَضَّأَ وُضُوئِي هذا، ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ لا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ فِيهِما بشيءٍ، إلَّا غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ" [١٠٦]، وفي الصّلاة: عَن مالك بن الحويرث رَضِيَ اللَّهُ عنه، عن النبيّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، قَالَ: "وصَلُّوا كما رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، وإذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أحَدُكُمْ، ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أكْبَرُكُمْ" [١٠٧]، وفي

١٠٦ حديث صحيح: أخرجه البخاري ١٩٣٤، ومسلم ٣ - ٢٢٦؛ ومعنى قوله: "نحو وضوئي"، أي: مثل وضوئي.

١٠٧ حديث صحيح: أخرجه البخاري ٦٠٠٨، ومسلم ٢٩٢ - ٦٧٤.

المناسك {أي مناسك الحج}: عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عنْهما، قَالَ: رَأَيْتُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يَرْمِي علَى رَاحِلَتِهِ يَومَ النَّحْرِ، ويقولُ: "لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فإنِّي لا أَدْرِي لَعَلِّي لا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هذِه" [١٠٨]، فهذه الأحاديث وغيرها تأمرنا بالحرص على تبيّن سنته صلى الله عليه وسلم، واتباعها والتزامها، حتى تقع عباداتنا على صورتها الأتم والأكمل، فإنّ الحرص على الدقة في أداء العبادات يجب أن يكون في منزلة أعلى مما يحرص عليه الناس من أمور معاشهم ودنياهم، وهذا يلزم كل مسلم ومسلمة يريدان محبة الله عز وجل الحرص على تعلم طريقة وضوء النبي صلى الله عليه وسلم، وأن يصليا لله عز وجل على طريقته صلى الله عليه وسلم، والتي نقلها لنا الصحابة في كتب السُنّة؛ لينالا هذا الأجر، وينالا محبة الله عز وجل، وكذلك الحرص على متابعة النبي صلى الله عليه وسلم في المناسك {أي مناسك الحج}، وفي الحدود كعقوبة الزنا، وفي الدعاء، والسبيل إلى اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في العبادات والشعائر والمعاملات هو تعلمها بشكل صحيح، [وليعلم أنّ المتابعة لا تتحقق إلا إذا كان العمل موافقاً للشريعة في أمور ستة [١٠٩]:

الأول: السبب فإذا تعبد الإنسان لله عبادة مقرونة بسبب ليس شرعيّاً فهي بدعة مردودة على صاحبها، مثال ذلك أن بعض الناس يحيي ليلة السابع والعشرين من رجب بحجة أنها الليلة التي عرج فيها برسول الله صلى الله عليه وسلّم فالتهجد عبادة ولكن لما قرن بهذا السبب كان بدعة؛ لأنه بنى هذه العبادة على سبب لم يثبت شرعاً. وهذا الوصف ـ موافقة العبادة للشريعة في السبب ـ أمر مهم يتبين به ابتداع كثير مما يظن أنه من السنة وليس من السنة.

الثاني: الجنس فلا بد أن تكون العبادة موافقة للشرع في جنسها فلو تعبد إنسان لله

١٠٨ حديث صحيح: صحيح مسلم: ٣١٠ - ١٢٩٧.

١٠٩ الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع؛ العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى.

بعبادة لم يشرع جنسها فهي غير مقبولة، مثال ذلك أن يضحي رجل بفرس، فلا يصح أضحية؛ لأنه خالف الشريعة في الجنس، فالأضاحي لا تكون إلا من بهيمة الأنعام، الإبل، البقر، الغنم.

الثالث: القدر فلو أراد إنسان أن يزيد صلاة على أنها فريضة فنقول: هذه بدعة غير مقبولة لأنها مخالفة للشرع في القدر، ومن باب أولى لو أن الإنسان صلى الظهر مثلاً خمساً فإن صلاته لا تصح بالاتفاق.

الرابع: الكيفية فلو أن رجلاً توضأ فبدأ بغسل رجليه، ثم مسح رأسه، ثم غسل يديه، ثم وجهه فنقول: وضوءه باطل؛ لأنه مخالف للشرع في الكيفية.

الخامس: الزمان فلو أن رجلاً ضحى في أول أيام ذي الحجة فلا تقبل الأضحية لمخالفة الشرع في الزمان. وسمعت أن بعض الناس في شهر رمضان يذبحون الغنم تقرباً لله تعالى بالذبح وهذا العمل بدعة على هذا الوجه لأنه ليس هناك شيء يتقرب به إلى الله بالذبح إلا الأضحية والهدي والعقيقة، أما الذبح في رمضان مع اعتقاد الأجر على الذبح كالذبح في عيد الأضحى فبدعة. وأما الذبح لأجل اللحم فهذا جائز.

السادس: المكان فلو أن رجلاً اعتكف في غير مسجد فإن اعتكافه لا يصح؛ وذلك لأن الاعتكاف لا يكون إلا في المساجد ولو قالت امرأة أريد أن أعتكف في مصلى البيت. فلا يصح اعتكافها لمخالفة الشرع في المكان. ومن الأمثلة لو أن رجلاً أراد أن يطوف فوجد المطاف قد ضاق ووجد ما حوله قد ضاق فصار يطوف من وراء المسجد فلا يصح طوافه لأن مكان الطواف البيت قال الله تعالى لإبراهيم الخليل: {وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ} [سورة الحج: ٢٦].

فالعبادة لا تكون عملاً صالحاً إلا إذا تحقق فيها شرطان: الأول: الإخلاص ـ الثاني: المتابعة، والمتابعة لا تتحقق إلا بالأمور الستة الآنفة الذكر].

٣. المَوْطِنُ الثَّالِثُ: **"الاستغفار والتوبة"**: قَالَ اللهُ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ} [سورة هود: ٩٠]: "{وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ}: عما اقترفتم من الذنوب، {ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ}: فيما يستقبل من أعماركم، بالتوبة النصوح، والإنابة إليه بطاعته، وترك مخالفته، {إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ}: لمن تاب وأناب، يرحمه فيغفر له، ويتقبل توبته ويحبه، ومعنى الودود، من أسمائه تعالى، أنّه يحب عباده المؤمنين ويحبونه؛ [تفسير السعدي]"، وقَالَ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ} [سورة البقرة: ٢٢٢]: "{إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ} أي: من ذنوبهم على الدوام؛ [تفسير السعدي]".

٤. المَوْطِنُ الرَّابِعُ: **"المؤاخاة والمحبة في اللهِ"**: قَالَ اللهُ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا} [سورة آل عمران: ١٠٣]، وقد جاءت الآيات والأحاديث والنصوص الشرعية بالترغيب في الإخوة في اللهِ، وإقامة العلاقة بين المؤمن وأخيه على أساس الدين، والتمسك بحبل اللهِ، وقد قال اللهُ تعالى في الحديث القدسي: "حقَّتْ مَحَبَّتِي على المُتَحابِّينَ فِيَّ، وحقَّتْ مَحَبَّتِي على المُتَناصِحِينَ فِيَّ، وحقَّتْ مَحَبَّتِي على المتباذلِينَ فِيَّ، وهُمْ على مَنابِرَ من نُورٍ، يَغْبِطُهُمُ النبيُّونَ والشهداءُ والصِّدِّيقُونَ" [١١٠]، فالمتحابون في اللهِ على منابر من نور، يغبطهم الأنبياء والصديقون

[١١٠] حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب ٣٠١٩؛ أخرجه أحمد (٢٢٨٣٤)، وابن حبان (٥٧٧) باختلاف يسير، والطبراني (٢٠/٨٨) (١٦٨) مختصراً.

فمِن الصِّفاتِ العظيمةِ الَّتي تُرضِي اللهَ المحبَّةُ فيه، والمحبَّةُ في اللهِ تَكونُ خالِصةً مِن الأغراضِ الدُّنيَويَّةِ، فهي تَكونُ لِوَجهِ اللهِ تَعالى، وفي هذا الحديثِ بَيانٌ لِعَظيمِ أجْرِ المُتحابِّينَ في اللهِ، فيَرْوي التَّابعيُّ أبو مُسلمٍ الخَوْلانيُّ: "قُلتُ لِمُعاذِ بنِ جَبَلٍ: واللهِ إنِّي لأُحِبُّكَ لِغَيرِ دُنيا أرجو أنْ أُصيبَها مِنكَ، ولا قَرابةَ بيْني وبيْنَك، قال: فلأيِّ شَيءٍ؟ قُلتُ: للهِ"، أي: أنَّ هذه المحبَّةَ محبَّةُ قُلوبٍ خالِصةٍ لا تَتعلَّقُ بأيِّ شَيءٍ من أُمورِ الدُّنيا التي يَتقارَبُ النَّاسُ من أجْلِها "قالَ: فجَذَب حَبْوتي"، وهي مَوضِعُ مَعقِدِ الثِّيابِ من وَسَطِ الجَسَدِ "ثُمَّ قالَ: أَبْشِرْ إنْ كُنتَ

والشهداء على هذه المكانة، فهنيئاً لهم بهذه المكانة، على هذا العمل وهو الحب في الله تعالى، ومن فضائل الحب في الله: محبة الله تعالى للمتحابين فيه، والمتحابون في الله تعالى في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، والحب في الله من أسباب دخول الجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أنَّ رَجُلًا زارَ أخًا له في قَرْيَةٍ أُخْرى، فأرْصَدَ اللَّهُ له، على مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمّا أتى عليه، قالَ: أيْنَ تُرِيدُ؟ قالَ: أُرِيدُ أخًا لي في هذِه القَرْيَةِ، قالَ: هلْ لكَ عليه مِن نِعْمَةٍ تَرُبُّها؟ قالَ: لا، غيرَ أنِّي أحْبَبْتُهُ في اللهِ عزَّ وجلَّ، قالَ: فإنِّي رَسولُ اللهِ إلَيْكَ، بأنَّ اللَّهَ قدْ أحَبَّكَ كما أحْبَبْتَهُ فِيهِ" [111]، وفي الحديث القدسي: "حقَّتْ مَحبَّتِي على المُتَحابِّينَ فِيَّ، وحقَّتْ مَحبَّتِي على

صادِقًا، فإنِّي سَمِعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، يقولُ: "المُتَحابُّونَ في اللهِ" وهُم الَّذين كانتْ قُلوبُهم مُجتمِعةً على المَحبَّةِ في ذاتِ اللهِ تَعالى، وكان سبَبُ حُبِّهم هو إجْلالُ اللهِ وتَعْظيمُه، فلا يُحِبُّون إلَّا ما يُحِبُّه اللهُ، "في ظِلِّ العَرشِ يومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ"، فيُوقِفُهم اللهُ تَحتَ عَرشِهِ ويَستَظِلُّونَ به من حَرِّ المَوقِفِ يَومَ القيامةِ في ذلِكَ اليَومِ الَّذي تَدْنو فيه الشَّمسُ مِن رُؤوسِ العِبادِ، ويَشتَدُّ عليهم حَرُّها، "يَغبِطُهُم بمَكانِهِم النَّبيُّونَ والشُّهَداءُ"، والغِبْطةُ هي أنْ يتَمنَّى الإنسانُ نِعْمةً على ألَّا تَزولَ عن صاحِبِها، وقيَل: هي الاستِحْسانُ، والمَعْنى: أنَّ الأنبياءَ والشُّهَداءَ يَستحسِنونَ أحْوالَ هؤلاءِ المُتَحابِّينَ لِقُرْبِهم من اللهِ تَعالى، قال أبو مُسلِمٍ الخَوْلانيُّ: "ولَقيتُ عُبادةَ بنَ الصَّامِتِ، فحَدَّثْتُهُ بحَديثِ مُعاذِ بنِ جَبَلٍ، فقالَ: سَمِعتُ رسولَ اللهِ يقولُ عن ربِّهِ تَبارَكَ وتَعالى: حقَّتْ مَحبَّتي على المُتَحابِّينَ فيَّ"، وهُم قَومٌ تَحابُّوا بنُورِ اللهِ من غَيرِ أرحامٍ، ولا أنْسابٍ، "وحقَّتْ مَحبَّتي على المُتَناصِحينَ فيَّ"، فيَبذُلُ بَعضُهم لِبَعضٍ النَّصيحةَ الخالِصةَ الصَّادِقةَ، ومِن ذلك التنبيهُ على فِعلِ المأموراتِ وترْكِ المنهيَّاتِ مَحبَّةً في اللهِ، "وحقَّتْ مَحبَّتي على المُتَباذِلينَ فيَّ" الَّذين يُنفِقونَ أمْوالَهم في طاعةِ اللهِ سُبْحانَهُ، وكما أمَرَهُم اللهُ، ويُنفِقونَها عن مَحَبَّةٍ للهِ ورضًا بأوامِرِهِ، "وهُم على مَنابِرَ من نُورٍ" والمِنبَرُ هو ما يُجلَسُ عليه في المَحافلِ، وهذه المَنابِرُ يومَ القيامةِ تكونُ مِن نُورٍ، فتكونُ في أجمَلِ صُورةٍ، وأحسَنِ مَنظَرٍ وأَبْهاهُ، "يَغبِطُهُم النَّبيُّونَ، والشُّهَداءُ والصِّدِّيقونَ"، وهذا يدُلُّ على عَظيمِ مَكانِهِم، ورِفْعةِ مَنزِلَتِهم بحيث يَتمنَّاها أعظَمُ النَّاسِ أجْرًا من النَّبيِّينَ والشُّهَداءِ والصِّدِّيقينَ.

وفي الحَديثِ: حَثٌّ على التَّحابِّ في اللهِ، ومِن أجْلِهِ لا مِن أجْلِ أغْراضٍ دُنيويَّةٍ زائلةٍ.

وفيه: أنَّ التناصُحَ بيْنَ المسلِمينَ يُورِثُ مَحبَّةَ اللهِ.

١١١ حديث صحيح: صحيح مسلم ٣٨ - ٢٥٦٧.

المُتَناصِحينَ فِيَّ، وحقَّتْ مَحبَّتِي على المتباذِلينَ فِيَّ، وهُمْ على مَنابِرَ من نُورٍ، يَغْبِطُهُمْ النبيُّونَ والشهداءُ والصِّدِّيقُونَ" [112]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ في ظِلِّهِ يَومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ: ... ورَجُلانِ تَحابَّا في اللهِ اجْتَمَعا عليه وتَفَرَّقا عليه، ... " [113]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "إنَّ اللَّهَ يقولُ يَومَ القِيامَةِ: أيْنَ المُتَحابُّونَ بجَلالِي، اليومَ أُظِلُّهُمْ في ظِلِّي يَومَ لا ظِلَّ إلّا ظِلِّي" [114]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله

في هذا الحديثِ يُخبر النبيُّ صلى الله عليه وسلم أنَّ رجلًا زارَ أخًا له، أي: أرادَ زِيارةَ أخيهِ المسلمِ في اللهِ، في قَريةٍ أُخرى، أي: غيرِ مكانِ الزّائرِ؛ فَأَرصدَ اللهُ له على مَدرجَتِه، أي: أعدَّ وهيَّأَ أو أَقعَدَ في طريقِهِ ملكًا، فلمّا أتى الرَّجلُ على الملَكِ؛ سألَه الملَكُ: أينَ تُريدُ؟ فَأجابَه: أُريدُ أخًا، أي: زِيارةَ أخٍ لي في هذه القَرْيةِ؛ فَسألَهُ الملَكُ: هلْ لكَ عليه، أي: على الْمَزورِ مِن نِعمةٍ تَرُبُّها؟ أي: تقومُ بإصلاحِها وإتمامِها، أي: هلْ هو مَملوكُكَ أو ولدُكَ أو غيرُهما ممَّنْ هو في نَفقتِكَ وشفقتِكَ؛ لِتحسنَ إليه، و«تَرُبُّها» مِن رَبَّ فلانٌ الضَّيْعَةَ، أي: أَصلَحَها وأتَمَّها؛ فَأجابَه الرَّجلُ: لا، غيرَ أنِّي أَحببْتُه في اللهِ، أي: ليس لي داعيةٌ إلى زيارته إلّا مَحبَّتي إيّاه في طَلَبِ مَرضاةِ اللهِ؛ قالَ الملَكُ لِلرَّجلِ: فَإنِّي رسولُ اللهِ إليكَ بأنَّ اللهَ قدْ أحبَّكَ كما أحببْتَه فيه، أي: إنَّ اللهَ أحبَّكَ لِمحبَّتِكَ صاحبَكَ في اللهِ.

في الحديثِ: إثباتُ صفةِ الحبِّ والمحبَّةِ للهِ عزَّ وجلَّ، على ما يَليقُ به.

وفيه: فضلُ المحبَّةِ في اللهِ عزَّ وجلَّ. وفيه: فضيلةُ زيارةِ الصّالحينَ. وفيه: أنَّ الآدميّينَ قد يَرونَ الملائكةَ.

112 حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب ٣٠١٩؛ أخرجه أحمد (٢٢٨٣٤)، وابن حبان (٥٧٧) باختلاف يسير، والطبراني (٨٨/٢٠) (١٦٨) مختصراً.

113 متفق عليه؛ أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم ٩١ - ١٠٣١.

114 حدبث صحيح: رواه مسلم برقم ٣٧ - ٢٥٦٦.

في هذا الحديثِ يُبَيِّنُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقولُ يومَ القيامةِ، أي: على رؤوسِ الأشهادِ؛ تَعظيمًا لِبعضِ العِبادِ مِنَ العِبادِ أينَ المتحابُّونَ بِجلالي؟ أي: بِسببِ عَظمتي ولِأَجْلِ تعظيمي، أوِ الَّذِينَ يكونُ التَّحابُ بينهم؛ لِأجْلِ رِضا جَنابِي وجزاءِ ثَوابِي؛ اليومَ أُظِلُّهم في ظِلِّي يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلِّي، والمرادُ منه ظِلُّ العرْشِ- كما في حديثٍ آخَرَ، وفي الحديثِ: سؤالُ اللهِ تعالى عَنِ الْمُتحابّينَ مع عِلمِه بِمكانِه،؛ لِيُنادِيَ بِفضْلِهم في ذلكَ الموقِفِ. وفيه: حَثُّ اللهِ على التَّحابِّ في جَلالِه. وفيه: فَضْلُ المحبَّةِ في اللهِ عزَّ وجلَّ.

عليه وسلم قَالَ: "لا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حتّى تُؤْمِنُوا، ولا تُؤْمِنُوا حتّى تَحابُّوا، أوَلا أدُلُّكُمْ على شيءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تَحابَبْتُمْ؟ أفْشُوا السَّلامَ بيْنَكُمْ" [115]، وقد بين النبي صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ أنّ من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان، إذن تحق عليه محبة الله، ويكون على منبر من نور، ويكون تحت ظل العرش، ويكون قد أخذ بأوثق عرى الإيمان، ويكون في جلال الله تعالى، ويكون استكمل الإيمان إذا كانت محبته لأخيه في الله، فهي علاقة عظيمة، ومقابلها كبير، شديدة التأثير، وفضلها عظيم، وما تحابَّ اثنان في الله تعالى إلا كان أفضلها أشدهما حباً لصاحبه، فهنيئاً لك يا عبد الله، يا من أحببت في الله، كلما اشتدت محبتك لأخيك، كلما ازددت من الله قرباً، وازدادت محبة الله لك، ومن سره أن يجد حلاوة الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا لله، وإذا أحب أحدكم صاحبه، فليأته في منزله، فليخبره أنّه يحبه لله كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد، ثم إنّ هناك فائدة مهمة جداً لقضية الحب في الله، وهي أنّ المرء مع من أحب، فيحشر إذن معه.

٥. المَوْطِنُ الخَامِسُ: **"الإكثار من النوافل"** [116]: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ قَالَ

---

١١٥ حدبث صحيح: رواه مسلم برقم ٩٣ - ٥٤.

السَّلامُ أوَّلُ أسْبابِ التآلُفِ ومِفتاحُ استِجْلابِ المودَّةِ، وفي إفْشائِهِ أُلْفةٌ لِلمُسلِمينَ بعضُهُم لِبعْضٍ وإظهارُ شِعارِهم المَمَيَّزِ لهم مِن غَيرِهم، وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، أنَّه لَن يدخُلَ الجنَّةَ إلّا المؤمِنونَ، فيَقولُ: لا تدْخلونَ الجنَّةَ حتى تُؤمِنوا، ولا تُؤمِنوا حتى تحابُّوا، أيْ: لا يكتَمِلُ إيمانُكم حتّى يُحبَّ بعضُكُمْ بَعضًا، ثُمَّ يَقولُ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: أوَ لا أدُلُّكمْ عَلى شَيءٍ سَهلٍ يَسيرٍ إذا فَعَلْتُموهُ تحابَبْتم؟ أفْشُوا السَّلامَ بَينكُمْ؛ فاللهُ عزَّ وجَلَّ جعلَ إفْشاءَ السَّلامِ سببًا لِلمَحبَّةِ، والمحَبَّةَ سببًا لِكَالِ الإيمانِ؛ لأنَّ إفْشاءَ السَّلامِ سبَبٌ للتَّحابِّ والتوادِّ، وهوَ سببُ الألفةِ بينَ المسلِمينَ المسبِّبُ لِكالِ الدِّينِ وإعْلاءِ كَلمةِ الإسلامِ. وفي التَّهاجُرِ والتقاطُعِ والشَّحْناءِ التفرقةُ بينَ المسلِمينَ، وفي الحديثِ: الأمرُ بإفْشاءِ السَّلامِ لِما فيهِ من نَشْرِ المحبَّةِ والأمانِ بينَ الناسِ، وفيه: إرْشادُ النَّبيِّ لأمَّتِه إلى أسبابِ الفَوزِ والنَّجاةِ ودُخولِ الجنَّةِ.

١١٦ أحب شيء إلى الله أن تتقرب إليه بفعل ما افترضه عليك، وهذا في جميع الأبواب، فبعد الإسلام الصلوات الخمس، وهي أعلى الواجبات، وأعظم القربات، وفي باب النفقات يأتي في مقدمتها الزكوات المفروضات،

رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إنَّ اللَّهَ قالَ: مَن عادى لي ولِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ" [١١٧]، فالقائم بالفرائض محب، والقائم بالنوافل بعدها محبوب، وإذا كان

وفي باب الصيام صوم رمضان، ثم بعد ذلك "حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا"، وهذه الفرائض عليها قوام الدين، وهي أعمدته التي يقوم عليها بناؤه، فإن تركتها هدمت دينك أو ركنا من أركانه، وكل من هذه الواجبات جعل الله له نوافل من جنسه، غير أنّه لا تقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة، وهذه الفرائض مهما حاول الإنسان إكمالها وإتمامها والإتيان بها على وجهها، فلا بد أن يعتريها نقص ويدخل عليها خلل، إما كمًّا بنسيان بعضها، أو تركه زمن الصبا قبل التوبة والمواظبة، وإما في صفاتها وهيئاتها وأركانها وسننها، أو في خشوعها وصدق النية فيها والإخلاص لله تعالى فيها، وقد دل على وجود هذا الخلل حديث عمار بن ياسر في المسند قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إنَّ العبدَ لَيصلِّي الصَّلاةَ ما يُكتُبُ لَهُ منْها إلّا عُشرُها، تُسعُها، ثمنُها، سُبعُها، سُدسُها، خمسُها، ربعُها، ثلثُها، نصفُها" [حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني في صفة الصلاة ٣٦]، ويوم القيامة أول ما يحاسب الله عليه عباده الفرائض والواجبات، فإن كانت تامة كتبت له تامة، وإن كان انتقص منها شيئا، قال الله عزّ وجلّ: انظروا هل لعبدي من تطوع، فإن كان له تطوع، قال أتموا لعبدي فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال على ذلك، وأول فائدة من فوائد المحافظة على النوافل هي إتمام الفرائض وجبر نقصها، قال ابن تيمية رحمه الله: "من قصر في أداء الفوائت، فليكثر من النوافل؛ فإنّ الله يحاسب بها يوم القيامة". (جامع المسائل: ١٠٩/٤). ولهذا كان ترك السنن والمداومة على تفويتها خذلانًا وقلة دين، ومخالفةً لهدي الصحابة والسابقين: يقول ابن حجر: "كان صدر الصحابة ومن تبعهم يواظبون على السنن مواظبتهم على الفرائض، ولا يفرقون بينهما في اغتنام ثوابهما". قال ابن عقيل الحنبلي رحمه الله: "الاستمرار على ترك السنن خذلان". قال ابن قاسم (٢ /٢١١): "تركها يدل على قلة الدين". قال شيخ الإسلام ابن تيمية:"من أصر على ترك السنن الرواتب دل ذلك على قلة دينه، وردت شهادته".

١١٧ حديث صحيح: صحيح البخاري ٦٥٠٢.

يَحكي أبو هُرَيرَة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ قال: مَن عادى؛ أي: آذى، لي وليًّا، وهو مَن يتولّى اللهُ سبحانه وتعالى أمْرَه ولا يَكِلُه إلى نفْسه لحظةً، بل يتولّى الحقُّ رعايتَه، أو هو

من فوائد المداومة على السنن والنوافل جبر نقص الفرائض وصيانة الدين من النقص، فإنّ لها أيضًا منافع أخرى كثيرة منها:

- **النوافل سياج لحفظ الفرائض:** فالنوافل سياجٌ منيع للمكتوبات، ومن حافظ عليها عَظم قدر الفرائض في قلبه، فهي لها كالحمى، والصيانة والحفظ، من داوم عليها وحافظ عليها، كان أكثر محافظة على الفرائض، ولا تفوت الفرائض إلا على من ضيع النوافل، وقلّ أن يترك عبدٌ النوافل تركًا تاما إلا امتحن بتركِ الفرائض. يقول الإمام العابد يونس بن عبيد:"ما استخف رجل بالتطوع إلا استخف بالفريضة" [118]، وقال الإمام ابن حجر العسقلاني رحمه الله: "ملازَمة الاقتَصار على الفرائضِ وتَركُ التَنفُل يفضِي إلى إيثارِ البطالة، وعدمِ النشاطِ إلى العبادة" [119].
- **عظم أجرها وكبير ثوابها:** قال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٦١]، وقال رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "رَكْعَتا

الذي يتولّى عبادةَ الله وطاعته، فعباداته تَجري على التَّوالي من غير أنْ يتخلَّلها عصيان، فقد آذنتُه أي: أعلَمتُه بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضتُ عليه؛ أي: أوجبتُه عليه، وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنَّوافل مع الفرائض كالصَّلاة والصِّيام؛ حتى أُحبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعه الذي يَسمَع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطِش بها، ورِجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينَّه ما سأل، ولئنِ استعاذني لأُعيذنَّه ممّا يخاف، وما تردَّدتُ عن شيءٍ أنا فاعله تردُّدي عن نفْسِ المؤمن؛ وليس هذا التردد من أجل الشك في المصلحة، ولا من أجل الشك في القدرة على فعل الشيء، بل هو من أجل رحمة هذا العبد المؤمن، ولهذا قال في نفس الحديث: يكره الموت، وأكره إساءته، ولا بد له منه؛ يَكره الموت؛ لِما فيه من الألمِ العظيم، وأنا أكره مَساءَتَهُ؛ لِما يَلْقى المؤمن من الموتِ وصُعوبته. في الحديث: النَّهي عن إيذاء أولياء الله. وفيه: التَّرغيب في حبِّ أولياء الرَّحمن، والاعتراف بفضلهم. وفيه: أنَّ أحبَّ الأعمالِ فِعلُ الفرائض، وأفضلُ القُرُبات بَعدَها فِعلُ النَّوافل.

١١٨ المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود - ج ٧ ص٣٢١.

١١٩ فتح الباري (٩/١٣٤).

الفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وَما فِيها" [120]، وقال صلى الله عليه وسلم: "مَن صامَ رَمَضانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِن شَوّالٍ، كانَ كَصِيامِ الدَّهْرِ" [121]، وقال صلى الله عليه وسلم: "مَن تَصَدَّقَ بعَدْلِ تَمْرَةٍ مِن كَسْبٍ طَيِّبٍ، ولا يَقْبَلُ اللَّهُ إلّا الطَّيِّبَ، وإنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُها بيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيها لِصاحِبِهِ، كما يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حتّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ" [122].

- **تفتح لصاحبها أبواب المغفرة:** النوافل تفتح أبواب المغفرة، وتيسر طريق السعادة، وبها تقضى الحاجات، وتقال العثرات، ويستجاب الدعاء، وتزول الأمراض والأدواء، وينزل صاحبها في رحاب الجنة؛ فمن توضّأ وأحسن الوضوء ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيمانا واحتسابا غُفر له ما تقدم من ذنبه، والعمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، وصوم يوم عرفة يكفّر السنة التي قبله والتي بعده، وصوم يوم عاشوراء يكفر السنة التي قبله.
- **توصل صاحبها إلى الجنة:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ لِبِلالٍ: عِنْدَ صَلاةِ الفَجْرِ: "يا بلالُ حَدِّثْنِي بأَرْجى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ في الإسْلامِ، فإنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بيْنَ يَدَيَّ في الجَنَّةِ"، قالَ: ما عَمِلْتُ عَمَلًا أرْجى عِندِي: أنِّي لَمْ أتَطَهَّرْ طَهُورًا، في ساعَةِ لَيْلٍ أوْ نَهارٍ، إلّا صَلَّيْتُ بذلكَ الطُّهُورِ ما كُتِبَ لي أنْ أُصَلِّيَ" [123].

---

١٢٠ حديث صحيح: صحيح مسلم ٩٦ - ٧٢٥. قال أهل العلم: هما الركعتان قبل الفريضة.

١٢١ حديث صحيح: صحيح مسلم ٢٠٤ - ١١٦٤.

١٢٢ حديث صحيح: صحيح البخاري ١٤١٠.

١٢٣ حديث صحيح: صحيح البخاري ١١٤٩. دَفَّ نَعْلَيْكَ: يعني تحريكَ.

في الوُضوءِ والصَّلاةِ طَهارةٌ للظاهرِ والباطنِ، وحِرصُ المسلِمِ على هاتَينِ الشَّعيرتَينِ العَظيمتَينِ طَريقٌ لعُلوِّ دَرَجتِه ومَنزلتِه في الدُّنيا والآخِرةِ، وفي هذا الحديثِ يَسأَلُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بِلالَ بنَ رَباحٍ رَضيَ اللهُ عنه عن عمَلِ التطوُّعِ الذي يَرْجو أنَّه الأكثَرُ ثَوابًا مِن اللهِ تعالى بعْدَ أنْ أسْلَمَ، ثمَّ بيَّن له النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ سَببَ سُؤالِه ذلك، بأنَّه سَمِع دَفَّ نَعْلَيهِ بيْن يَدَيْه، أي: سَمِعَ صَوتَ مَشْيِه أمامَه بنَعْلَيه في الجنَّةِ، والدَّفُّ معناهُ:

- **النوافل طريق محبة الرحمن:** "ومَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ"، ولو لم يرد في المحافظة على النوافل والسنن إلا هذا الحديث لكان حريًا على كل مسلم أن يسعى إليها، وأن يداوم عليها ويتمسك بها، فليس شيء في الوجود أعظم من أن يحبك الله، فمن أحبه الله فماذا فقد؟ ومن أبغضه الله فماذا وجد؟، وأثر هذه المحبة وثمرتها -فضلًا أن تورثه محبة أهل السماء وأهل الأرض- هو ما ذكره الله تعالى في هذا الحديث: "فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَ بِي لَأُعِيذَنَّهُ" [١٢٤]، فمن أحبه الله أدناه إليه، وقربه منه، وأعانه على طاعته، وشغله بذكره، ووفقه وسدده، ورقّاه من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان، فيصير يعبد الله كأنّه يراه، فيمتلئ قلبه بمعرفة ربه، ومحبته، وتعظيمه، وخوفه ومهابته، وإجلاله، فإذا امتلأ القلب بذلك زال منه كل تعلق بكل ما سوى الله، ولم يبقَ للعبد تعلق بشيء من هواه، ولا إرادة إلا ما يريده منه ربه ومولاه، فحينئذ لا ينطق العبد إلا بذكره، ولا يتحرك إلا بأمره، فإن نطق نطق بالله، وإن سمع سمع بالله، وإن نظر

الحرَكةُ، وهذه شَهادةٌ مِن النبيّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لبِلالٍ رَضيَ اللهُ عنه بأنَّه مِن أهلِ الجَنَّةِ، وقد سَأَلَه صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ هذا السُّؤالَ بعْدَ صَلاةِ الفجْرِ، وفي هذا إشارةٌ إلى أنَّ ذلك وَقَعَ في رُؤيا مَنامٍ منه صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ لِما في رِوايةِ مُسلمٍ: «فإنِّي سَمِعْتُ اللَّيلةَ»؛ لأنَّ عادتَه صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّه كان يَقُصُّ ما رآهُ على أصحابِه بعْدَ صَلاةِ الفَجرِ، وكذلِك يقصُّ عليه أصحابُه ما رأَوْه، فأجابَ بِلالٌ رَضيَ اللهُ عنه النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وبيَّن له هذا العمَلَ، وهو أنَّ مِن عادتِه أنَّه لا يَتطهَّرُ طُهورًا -يَقصِدُ الوُضوءَ مِن الحدَثِ، أو الاغتسالَ ورفْعَ الجَنابةِ- في أيّ وَقتٍ مِن لَيلٍ أو نَهارٍ؛ إلّا صلّى بذلك الطُّهورِ ما استطاعَ أنْ يُصلّيَه، فبلَغَ به هذا العملُ المَبلغَ العَظيمَ الّذي ذكَرَه النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ ولعلَّ مِن الحِكمةِ في ذلِك: أنَّ الصَّلاةَ عقِبَ الطُّهورِ أقرَبُ إلى اليَقينِ في الطَّهارةِ.

وفي الحديثِ: بَيانٌ لفَضيلةِ التَّنفُّلِ بالصَّلاةِ بعْدَ الوُضوءِ أو الغُسلِ. وفيه: عَظيمُ مُجازاةِ اللهِ عزَّ وجلَّ لعِبادِه على اليَسيرِ مِن أعمالِهم. وفيه: مَنقبةُ بِلالٍ وفَضْلُه رَضيَ اللهُ عنه.

١٢٤ حديث صحيح: صحيح البخاري ٦٥٠٢.

نظر بالله، أي بتوفيق الله له في هذه الأمور؛ فلا يسمع إلا ما يحبه الله، ولا يبصر إلا ما يرضي الله، ولا يبطش بيده ولا يمشي برجله إلا فيما يرضي ربه ومولاه.

٦. المَوْطِنُ السَّادِسُ: "الصبر"[١٢٥]: قَالَ اللَّهُ تَعَالى عَزَّ وَجَلَّ: {وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ

١٢٥ "فإن الله سبحانه جعل الصبر جواداً لا يكبو، وصارما لا ينبو، وجنداً لا يهزم، وحصناً حصينا لا يهدم ولا يثلم، فهو والنصر أخوان شقيقان، فالنصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، والعسر مع اليسر، وهو أنصر لصاحبه من الرجال بلا عدة ولا عدد، ومحله من الظفر كمحل الرأس من الجسد. ولقد ضمن الوفي الصادق لأهله في محكم الكتاب أنه يوفيهم أجرهم بغير حساب، وأخبر أنه معهم بهدايته ونصره العزيز وفتحه المبين، فقال تعالى: {وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}، فظفر الصابرون بهذه المعية بخير الدنيا والآخرة وفازوا بها بنعمة الباطنة والظاهرة، وجعل سبحانه الإمامة في الدين منوطة بالصبر واليقين، فقال تعالى وبقوله اهتدى المهتدون: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}، وأخبر أن الصبر خير لأهله مؤكداً باليمن فقال تعالى: {وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ}، وأخبر أن مع الصبر والتقوى لا يضر كيد العدو ولو كان ذا تسليط، فقال تعالى: {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ}، وأخبر عن نبيه يوسف الصديق أنّ صبره وتقواه وصلاه إلى محل العز والتمكين فقال: {إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}، وعلق الفلاح بالصبر والتقوى فعقل ذلك عنه المؤمنون فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}، وأخبر عن محبته لأهله وفي ذلك أعظم ترغيب للراغبين فقال تعالى: {وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ}، ولقد بشر الصابرين بثلاث كل منها خير ما عليه أهل الدنيا يتحاسدون فقال تعالى: {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}، وأوصى عبادة بالاستعانة بالصبر والصلاة على نوائب الدنيا والدين فقال تعالى: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ}، وجعل الفوز بالجنة والنجاة من النار لا يحظى به الا الصابرون فقال تعالى: {إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ}، وأخبر أن الرغبة في ثوابه والإعراض عن الدنيا وزينتها لا ينالها ألا أولو الصبر المؤمنون فقال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ}، وأخبر تعالى أن دفع السيئة بالتي هي أحسن تجعل المسيء كأنه ولي حميم فقال: {وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}، وأن هذه الخصلة لا يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم، وأخبر سبحانه مؤكدا بالقسم {إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}، وقسم خلقه قسمين أصحاب ميمنة وأصحاب مشأمة وخص أهل الميمنة أهل التواصي بالصبر

رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ} [سورة آل عمران: ١٤٦]، وقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزُّمَر: ١٠]، وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ" [١٢٦]، وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم الصبر بأنّه ضياء: والضياء هو النور المصحوب بالإحراق كنور الشمس، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وهو يتكلم عن منهج السلف في الأخلاق والسلوك: "يأمرون بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضا بمر القضاء، ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال"، وحُسن الخُلق يقوم على أربعة أركان؛ أولها: الصبر [١٢٧]، ومن حُسْن

والمرحمة وخص بالانتفاع بآياته أهل الصبر وأهل الشكر تمييز لهم بهذا الحظ الموفور فقال في أربع آيات من كتابه: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} وعلق المغفرة والأجر بالعمل الصالح والصبر وذلك على من يسره عليه يسير فقال {إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ}، وأخبر أن الصبر والمغفرة من العزائم التي تجارة أربابها لا تبور فقال: {وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ} وأمر رسوله بالصبر لحكمه وأخبر أن صبره انما هو به وبذلك جميع المصائب تهون فقال {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا}، وقال: {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ}، والصبر آخيّة المؤمن التى يجول ثم يرجع إليها وساق إيمانه الذي اعتماد له الإ عليها فلا ايمان لمن لا صبر له وان كان فإيمان قليل في غاية الضعف وصاحبه ممن يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ولم يحظ منهما الإ بالصفقة الخاسرة فخير عيش أدركه السعداء بصبرهم وترقوا إلى أعلى المازل بشكرهم فساروا بين جناحى الصبر والشكر إلى جنات النعيم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء واله ذو الفضل العظيم" [عدة الصابرين؛ لابن القيم: ص ٣ – ٥].

١٢٦ حديث صحيح: رواه البخاري ١٤٦٩، ومسلم ١٢٤ - ١٠٥٣.

١٢٧ "فأما الصـــــبر فهـــو حبس النفس، يحبس النفس عن الأخلاق السيئة، ويصابر صاحبه على الأخلاق الحسنة" [مدارج السالكين؛ لابن القيم: ٢٩٤/٢].

الخُلق في معاملة الخالق: {تلقي اقداره بالصبر والرضى [128] }، والصبر ثلاثة أنواع: {صبر على طاعة الله بالجهاد واداء الحقوق} و{صبر عن معاصي الله بالكف عمّا حرم الله قولا وعملا} و{الصبر على قضاء الله وقدره، مما يصيب الناس من جراح أو قتل أو مرض أو غير ذلك}، والصبر له فضائل، منها: الثواب العظيم في الآخرة، ومحبة الله سبحانه وتعالى، والجنة لمن صبر على البلاء في الدنيا، وتحقق معية الله للصابرين، وهو خير عطاء من الله للمؤمن، ولذة الإيمان وحلاوته لمن صبر على ترك المعاصي، وللصابر ثلاث بشائر بشر الله بها {أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}، ومن أعظم فوائد الصبر الاستقامة على شرع الله والثبات على الدين والحذر من سوء الخاتمة والوقاية من الانحرافات والسلامة من الشرور، والناس في مقام الصبر أربعة أصناف: {الصنف الأول: من يصبر على طاعة الله ويصبر عن معصية الله وهذا أعلى الأصناف}، و{الصنف الثاني: من يصبر على طاعة الله فيواظب على الفرائض ولا يصبر عن معصية الله فيرتكب الفواحش فهذا ظالم لنفسه ولا يدخل في الفضل العظيم للصبر}، و{الصنف الثالث: من يصبر عن المعصية فلا يغشى الفواحش لسمو نفسه عن الرذائل ولا يصبر على الطاعة فيفرط في الفرائض فهذا مسيئ وهو على شفا هلكة وسوء خاتمة}، و{الصنف الرابع: من لا يصبر على طاعة الله فيترك الفرائض ولا يصبر عن معصية الله فيغشى الفواحش فهذا شر الأصناف وقد باع دينه بعرض من الدنيا وتعرض لسخط الله وعذابه وهذا حال أهل الفجور}.

٧. المَوْطِنُ السَّابِعُ: "الصدقة": **الصَّدقة سببٌ في محبة الله تَعَالى عَزَّ وَجَل للعبد؛ لأَنَّ**

---

١٢٨ الرضا والصبر على المقدور: حسن الخلق مع الله نحو اقداره أن ترضى بما قدره الله لك وأن تطمئن إليه وان تعلم أنّ الله سبحانه وتعالى ما قدره لك الا بحكمة وغاية محمودة يستحق عليها الحمد والشكر، وعلى هذا فإنّ حسن الخلق مع الله نحو اقداره هو أن الانسان يرضى ويستسلم ويطمئن ولهذا امتدح الله الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

الصدقة من باب الإحسان، والله يحب العبد المحسن، قال تَعَالى عَزَّ وَجَل: {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [سورة البقرة: ١٩٥]، وللصدقة العديد من الفوائد والآثار العظيمة، ومنها: استظلال العبد المتصدِّق يوم القيامة بظلِّ صدقته في الآخرة، وجبر النقص الحاصل في زكاة الفريضة، فيُجبر النقص في الفرائض بالأعمال التي من جنس هذه الفريضة، والصَّدقة من جنس الزكاة فكلاهما عبادات مالية تتعلق بدفع حاجة الفقير، والصدقة سببٌ في تكفير السيِّئات والخطايا، فالصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماءُ النار، والصدقة سببٌ في دخول الجنة والعتق من النار، وسببٌ في ستر العبد ورفع الكربات عنه يوم القيامة؛ وذلك لما لها من رفع الكُرُبات عن المكروبين وقضاء حوائجهم، فكان جزاء من يتصدق من جنس عمله، والصدقة سببٌ في رحمة الله للعبد، **وهي سببٌ في محبة الله للعبد؛ لأنَّ الصدقة من باب الإحسان، والله يحب العبد المحسن**، وهي سببٌ في الحصول على الثّواب العظيم والأجر المضاعف من الله تعالى، وسببٌ في تزكية المال وتطهيره، ووسيلةٌ لتطهير النفس البشرية من الذنوب ومن البخل الشح، وسببٌ في دفع البلاء ورفع الأمراض البدنية عن المتصدق والشفاء منها، والصدقة سببٌ في نشر السعادة والسرور في قلوب المساكين، ويُعَد إدخال السرور على المؤمنين من أفضل الأعمال، والصدقة سببٌ في زيادة المال والبركة فيه، ووسيلةٌ في دفع الابتلاءات والعواقب السيّئة عن المُتصدِّق، إذ تعد الصدقة من صنائع المعروف، ووسيلةٌ في تخفيف انتشار الفقر، فهي تُعطى لكل من المحتاجين من الفقراء والمساكين والغارمين وفي الرقاب وتُصرف لمصالح المسلمين، وبالتالي تتألّف قلوب الفقراء، وتحل الأزمات والمصالح العامة للمحتاجين، وهي وسيلةٌ لشكر الله على نعمة المال، وطريقةٌ في نيل محبة الله ومحبة الخلق، وسببٌ في زيادة صلة العباد بعضهم ببعض، وتقوية الروابط الاجتماعية، وفي نشر الفضائل في المجتمع، ونشر الود والرحمة بين أفراده، وهي دليلٌ على ثقة العبد

ربه، وحُسن الظن بالله "[129].

٨. المَوْطِنُ الثَّامِنُ: **"الولاء والبراء"** [130]: لن تتحقق كلمة التوحيد في الأرض إلا بتحقيق الولاء لمن يستحق الولاء، والبراء ممن يستحق البراء منه. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [سورة المائدة: آية ٥١]؛ يقول الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله: "إنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم ـ أي الولاء والبراء ـ بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده"، ولعقيدة الولاء والبراء مكانة عظيمة في الشرع تتضح من الوجوه التالية:

- أنّها جزء من معنى الشهادة، وهو قولك: "لا إله" من قوله: "لا إله إلا الله" فإنّ معناها البراء من كل ما يعبد من دون الله، وكثرة ورودها في الكتاب والسنة يدل على أهميتها، يقول الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله: "إنّه ليس في كتاب الله تعالى

١٢٩ كتاب صدقة التطوع في الإسلام: سعيد بن وهف القحطاني؛ ص ٦-١٤ [بتصرّف].

١٣٠ الولاء لغة: يطلق على عدة معان، منها المحبة، والنصرة، والاتباع، والقرب من الشيء والدنو منه. جاء في لسان العرب: الموالاة. كما قال ابن الأعرابي: أن يتشاجر اثنان فيدخل ثالث بينهما للصلح، ويكون له في أحدهما هوى فيواليه أو يحابيه. ووالى فلان فلانا: إذا أحبه. والموالاة ضد المعاداة، والولي ضد العدو. قال تعالى: {يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا} [سورة مريم: ٤٥]. والموالاة من والى القوم. الولي: القرب والدنو. والموالاة: المتابعة [الولاء والبراء؛ الفوزان: ٨٧ – ٨٨]. والولاء شرعا: هو موافقة العبد ربه فيما يحبه ويرضاه من الأقوال والأفعال والاعتقادات والذوات، فسمة وليُّ الله هو محبته لما يحب الله. ورضاه بما يرضي الله، وعمله بذلك كله، وميله إليه على وجه الملازمة له [المدخل: ١٩١].

البراء لغة: يطلق على معان كثيرة منها البعد. والتنزه، والتخلص، والعداوة. قال ابن العربي: برئ إذا تخلص، وبرئ إذا تنزه وتباعد، وبرئ إذا أعذر وأنذر، ومنه قوله تعالى: {بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [سورة التوبة: ١]. وليلة البراءة يتبرأ القمر من الشمس، وهي أول ليلة من الشهر [الولاء والبراء؛ الفوزان]. والبراء شرعا: هو موافقة العبد ربه فيما يسخطه ويكرهه ولا يرضاه من الأقوال والأفعال والاعتقادات والذوات، فسمة البراء الشرعي هو البغض لما يبغضه الله على وجه الملازمة، والاستمرار على ذلك [المدخل: ١٩١].

حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم ـ أي الولاء والبراء ـ بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده".

- أنّها شرط في الإيمان كما قال الله سبحانه وتعالى: {تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} [المائدة: ٨٠ - ٨١].
- أنّ هذه العقيدة أوثق عرى الإيمان [١٣١]، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أوثقُ عُرى الإيمانِ: الموالاةُ في اللهِ، والمُعاداةُ في اللهِ، والحبُّ في اللهِ، والبُغضُ في اللهِ عزَّ وجلَّ" [١٣٢].
- أنّها سبب لتذوق القلب حلاوة الإيمان، ولذة اليقين، لما جاء عنه صلى الله عليه وسلم أنّه قال: "ثَلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ حَلاوَةَ الإيمانِ: أنْ يَكونَ اللَّهُ ورَسولُهُ أحَبَّ إلَيْهِ ممّا سِواهُما، وأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلّا لِلَّهِ، وأَنْ يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ في الكُفْرِ كما يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النّارِ" [١٣٣].

---

١٣١ يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب: "فهل يتم الدين أو يقام علم الجهاد، أو علم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بالحب في الله والبغض في الله، والمعاداة في الله والموالاة في الله، ولو كان الناس متفقين على طريقة واحدة، ومحبة من غير عداوة ولا بغضاء، لم يكن فرقانا بين الحق والباطل، ولا بين المؤمنين والكفار، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان". [رسالة أوثق عرى الإيمان (ص: ٣٨)].

١٣٢ حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع ٢٥٣٩.

١٣٣ حديث صحيح: أخرجه البخاري ١٦، ومسلم ٦٧ - ٤٣.

هذا حَديثٌ عَظيمٌ، وأصلٌ مِن أُصولِ الإسلامِ، وفيه يُرشِدُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم إلى ثِلاثِ خِصالٍ مِن أعْلى خِصالِ الإيمانِ؛ مَن كمَّلَها فقدْ وجَدَ حَلاوةَ الإيمانِ؛ فالإيمانُ له حَلاوةٌ وطَعمٌ يُذاقُ بالقُلوبِ، كما تُذاقُ حَلاوةُ الطَّعامِ والشَّرابِ بالفَمِ، وكما أنَّ الجَسدَ لا يَجِدُ حَلاوةَ الطَّعامِ والشَّرابِ إلّا عندَ صِحَّتِه، فكذلك القَلبُ إذا سَلِمَ مِن مرَضِ الأهواءِ المُضلَّةِ والشَّهواتِ المُحرَّمةِ، وجَدَ حَلاوةَ الإيمانِ، ومتى مَرِضَ وسَقِمَ لم يَجِدْ حَلاوةَ الإيمانِ، بلْ قدْ يَستحْلِي ما فيه هَلاكُه مِن الأهواءِ والمعاصي. ومَن وجَدَ حَلاوةَ الإيمانِ استلذَّ الطّاعاتِ، وآثَرَها

- أنّها الصلة التي على أساسها يقوم المجتمع المسلم، وعدم تحقيقها قد يدخل في الكفر، وهي الصلة الباقية بين الناس يوم القيامة، قال سبحانه: {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ} [سورة البقرة: ١٦٦]؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله {وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ}؛ قال: المودة، وقال سبحانه تعالى: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} [سورة المائدة: ٥١]، وقال صلى الله عليه وسلم: "يا أبا هريرةَ! كُنْ وَرِعًا تَكُنْ من أَعْبَدِ الناسِ، وارْضَ بما قسم اللهُ لكَ

على أغراضِ الدُّنيا، وتحمَّلَ المشاقَّ في سَبيلِ اللهِ تعالى. فالخَصلةُ الأُولى: أنْ يكونَ اللهُ ورسولُه أحَبَّ إليه ممّا سِواهما، ومَحبَّةُ اللهِ تَنشأُ مِن مَعرفةِ أسمائِه وصِفاتِه، والتَّفكيرِ في مَصنوعاتِه، وما فيها مِن الحِكَمِ والعَجائبِ، وتَحصُلُ مِن مُطالَعةِ نِعَمِه على العِبادِ؛ فإنَّ ذلك كلَّه يدُلُّ على كَمالِه وقُدرتِه، وحِكمتِه وعِلمِه ورَحمتِه، ومَحبَّةُ العبدِ لِخالقِه سُبحانه وتعالى تَقودُ العبْدَ إلى الْتزامِ شَريعتِه وطاعتِه، والانتهاءِ عمّا نَهى عنه. ومَحبَّةُ الرَّسولِ صلى الله عليه وسلم تابعةٌ لمَحبَّةِ اللهِ، ويَلزَمُ مِن تلك المحبَّةِ اتِّباعُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم في أوامِرِه ونواهيه، كطاعةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، ويَجِبُ أنْ تكونَ مَحبَّةُ الرسولِ صلى الله عليه وسلم في قلْبِ كلِّ مسلمٍ أعظَمَ مِن مَحبَّتِه لنفْسِه، ومَحبَّتِه لأبيهِ وأُمِّه، وابنِه وبِنتِه، وزَوجتِه، وصَديقِه وأقارِبِه، والناسِ أجمعينَ.والخَصلةُ الثّانيةُ: أنْ يُحِبَّ المرءَ لا يُحِبُّه إلّا للهِ؛ فهذا حَثٌّ على التَّحابِّ في اللهِ، وهو مِن أَوثقِ عُرى الإيمانِ، فليستِ المحبَّةُ مِن أجْلِ تَبادُلِ مَنافعَ وتَحصيلِ أغراضٍ دُنيويَّةٍ، وإنَّما جمَعَ بيْنَهما الحُبُّ في اللهِ، ويَلزَمُ مِن تلك المحبَّةِ نفْعُ المسلمِ لأخيه المسلمِ، وتَرْكُ إيذائِه، كما في حَديثِ الصحيحَينِ: «المُسلِمُ أخو المُسلِمِ، لا يَظلِمُه، ولا يُسْلِمُه، ومَن كان في حاجةِ أخيه كان اللهُ في حاجتِه، ومَن فرَّجَ عن مُسلِمٍ كُرْبةً، فرَّجَ اللهُ عنه كُربةً مِن كُرُباتِ يَومِ القيامةِ، ومَن ستَرَ مُسلِمًا ستَرَه اللهُ يَومَ القِيامةِ».والخَصلةُ الثّالثةُ: أنْ يَكرَهَ المسلمُ أنْ يَعودَ في الكُفْرِ، كما يَكرَهُ أنْ يُقذَفَ في النّارِ؛ فإذا رسَخَ الإيمانُ في القلْبِ، وتحقَّقَ به، ووجَدَ العبْدُ حَلاوتَه وطَعْمَه؛ أحَبَّه، وأحَبَّ ثَباتَه ودَوامَه، والزِّيادةَ منه، وكَرِهَ مُفارقتَه، وكانتْ كَراهتُه لمُفارقتِه أعظَمَ عندَه مِن كَراهةِ الإلقاءِ في النّارِ، فإذا وجَدَ العبْدُ حلاوةَ الإيمانِ في قَلْبِه أحَسَّ بمَرارةِ الكُفرِ والفُسوقِ والعِصيانِ. قيل: وإنَّما قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم هذا تَحذيرًا وتَخويفًا للصَّحابةِ؛ لأنَّهم كانوا كُفّارًا فأسلَموا، وكان في بَعضِ النُّفوسِ حُبُّ ما كان في الزَّمانِ الماضي، فبيَّنَ لهم صلى الله عليه وسلم أنَّ العَودَ إلى الكُفْرِ كإلْقاءِ الرجُلِ نفْسَه في النارِ؛ لأنَّ عاقِبةَ الكُفّارِ دُخولُ نارِ جهنَّمَ، ونقْضُ التَّوبةِ والرُّجوعُ مِنَ التَّوبةِ إلى المعصيةِ أيضًا كإلْقاءِ الرجُلِ نفْسَه في نارِ جهنَّمَ، وهذا مِن عِظَمِ ذَنبِ الكُفْرِ والعَودةِ إليه.

تَكُن من أَغْنى الناسِ، وأَحِبَّ للمسلمينَ والمؤمنينَ ما تُحِبُّ لنفسِكَ وأهلِ بيتِكَ، واكْرَهْ لهم ما تَكْرَهُ لنفسِكَ وأهلِ بيتِكَ تَكُنْ مؤمنًا، وجاوِرْ مَن جاوَرْتَ بإحسانٍ تَكُنْ مُسْلِمًا، وإياكَ وكثرةَ الضَّحِكِ؛ فإنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ فسادُ القلبِ" [134]، وقال سبحانه: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} [سورة الحجرات: ١٠].

- ما ثبت من الأجر لمن اتصف بالحب في الله فقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه: "المتحابونَ فِيَّ على منابرَ مِنْ نورٍ، يَغْبِطُهُمُ بِمَكانِهِمْ النبيونَ والصديقونَ والشهداءُ" [135]، وقال صلى الله عليه وسلم: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ في ظِلِّهِ، يَومَ لا ظِلَّ إلّا ظِلُّهُ: ... ورَجُلانِ تَحابّا في اللَّهِ اجْتَمعا عليه وتَفَرَّقا عليه" [136].
- ما دل عليه الشرع من تقديم هذه الصلة على سواها كما قال سبحانه: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ} [سورة التوبة: ٢٤].
- أنّه بتحقيق هذه العقيدة تنال ولاية الله، فَعَن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال صلى الله عليه وسلم: "من أحبَّ للهِ وأبغض للهِ وأعطى للهِ ومنع للهِ فقد استكمل الإيمانَ" [137]، وقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَتَقَطَّعَتْ بِهِمْ

---

١٣٤ حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع ٧٨٣٣.

١٣٥ حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع ٤٣٢١؛ أخرجه أحمد (٢٢٨٣٤)، وابن حبان (٥٧٧)، والحاكم (٧٣١٥) مطولاً باختلاف يسير.

١٣٦ حديث صحيح: أخرجه البخاري ٦٦٠، ومسلم ٩١ - ١٠٣١.

١٣٧ حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ٣٨٠؛ أخرجه أبو داود (٤٦٨١)، والطبراني (١٥٩/٨) (٧٦١٣)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٣١٤/٦).

الإخْلاصُ شرْطُ قَبولِ الأعْمالِ، وعَلامةُ كَمالِ الإيمانِ؛ فمَنْ أخلَص كلَّ طاعاتِه لِلَّهِ تعالى، طالِبًا منه الأجرَ والثَّوابَ لا لِطَلَبِ سُمعةٍ ورِياءٍ فإنَّه يَكمُلُ إيمانُه، وفي هذا الحَديثِ يقولُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «من أَحَبَّ للهِ، وأَبْغَضَ للهِ»، أي: أحَبَّ وأَبْغَضَ بما يُقرِّبُ مِن طاعةِ اللهِ، فيُخرِجُ حظَّ النَّفسِ مِن الحُبِّ والكُرهِ للغيرِ، إلّا بما يُرضي اللهَ عزَّ وجلَّ، «وأعطى للهِ»، أي: ما كان مِن إنفاقٍ كصَدَقةٍ وهَديَّةٍ، لا يُرِيدُ بها إلّا وجهَ اللهِ عزَّ وجلَّ، فيُعطي في مَرضاةِ اللهِ مَن يُحبُّهم اللهُ ويُحبُّونَ اللهَ، وفي الحديثِ القُدسيّ الذي رواه أحمدُ: «حَقَّتْ

الأَسْبَابُ) قَالَ: الْمَوَدَّةُ. قوله: "فإنما تنال ولاية الله بذلك" أي توليه لعبده، و"ولاية" بفتح الواو لا غير: أي الأخوة والمحبة والنصرة، وبالكسر: الإمارة، والمراد هنا الأول، وإذا تولى الله لا خوف عليه أبداً؛ لأنّ الله مولاه، فالولاء في الله: هو محبة الله، ونصرة دينه، ومحبة أوليائه ونصرتهم، والبراء هو بغض أعداء الله ومجاهدتهم، وعلى ذلك جاءت تسمية الشارع الحكيم للفريق الأول: بأولياء الله، وسمى الفريق الثاني: أولياء الشيطان.

٩. المَوْطِنُ التَّاسِعُ: **"الجهاد والقتال في سبيل الله صفاً"**: قَالَ اللَّهُ تَعَالى عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ} [الصف: ٤] [١٣٨]، فالله تَعَالى عَزَّ وَجَلَّ يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا، وهذا حث من الله لعباده على الجهاد في سبيله وتعليم لهم كيف يصنعون وأنّه ينبغي لهم أن يصفوا في الجهاد صفا متراصا متساويا، من غير خلل يقع في الصفوف، وتكون صفوفهم على نظام وترتيب

مَحبَّتي للذين يَتباذَلون مِن أجْلي»، «ومَنَعَ للهِ»، أي: وأمْسَكَ وامْتنَع عن إنفاقِ مالِهِ في غيرِ ما أمَر به اللهُ عزَّ وجلَّ، وكان إمساكُه طلبًا لرِضا اللهِ وليس منعًا لِهوًى في نفْسِه كالشُّحِّ والبُخْلِ، «فقد استَكمَل إيمانَه»، أي: يكون إيمانُهُ كاملًا لا نقْصَ فيه إذا اتَّصَفَ بهذه الصفاتِ، ومَن جعَل حَياتَه كلَّها للهِ، كان جَزاؤُه أنَّه كَمُلَ إيمانُه. وإنَّما خَصَّ الأفعالَ الأربعةَ؛ لأنَّها حُظوظٌ نَفْسانيَّةٌ؛ إذْ قلَّما يُمحِّصُها الإنسانُ للهِ تعالى، فإنْ قدَرَ على مِثلِ تلك الأمورِ أنْ يَجعَلَها للهِ تعالى، كان على غيرِها أقدَرَ.

١٣٨ قال سعيد بن جبير في قوله {إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا} قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقاتل العدو إلا أن يصافهم، وهذا تعليم من الله للمؤمنين. قال: وقوله: {كأنهم بنيان مرصوص} ملتصق بعضه في بعض، من الصف في القتال.

وقال مقاتل بن حيان و: ملتصق بعضه إلى بعض.

وقال ابن عباس: {كأنهم بنيان مرصوص} مثبت، لا يزول، ملصق بعضه ببعض.

وقال قتادة: {كأنهم بنيان مرصوص} ألم تر إلى صاحب البنيان، كيف لا يحب أن يختلف بنيانه؟ فكذلك الله عز وجل يحب أن لا يختلف أمره، وإن الله صف المؤمنين في قتالهم وصفهم في صلاتهم، فعليكم بأمر الله، فإنه عصمة لمن أخذ به. أورد ذلك كله ابن أبي حاتم.

به تحصل المساواة بين المجاهدين والتعاضد وإرهاب العدو وتنشيط بعضهم بعضا، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حضر القتال، صف أصحابه، ورتبهم في مواقفهم، بحيث لا يحصل اتكال بعضهم على بعض، بل تكون كل طائفة منهم مهتمة بمركزها وقائمة بوظيفتها، وبهذه الطريقة تتم الأعمال ويحصل الكمال، فهذا إخبار منه تعالى بمحبة عباده المؤمنين إذا اصطفوا مواجهين لأعداء الله في حومة الوغى، يقاتلون في سبيل الله من كفر بالله، لتكون كلمة الله هي العليا، ودينه هو الظاهر العالي على سائر الأديان، وقَالَ اللَّهُ سُبحَانَهُ وتَعَالى عَزَّ وَجَلَّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [سورة المائدة: ٥٤]، فإنّ لله عبادا مخلصين، ورجالا صادقين، قد تكفل الرحمن الرحيم بهدايتهم، ووعد بالإتيان بهم، وأنّهم أكمل الخلق أوصافا، وأقواهم نفوسا، وأحسنهم أخلاقا، أجلُّ صفاتهم أنّ الله {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} فإنّ محبة الله للعبد هي أجل نعمة أنعم بها عليه، وأفضل فضيلة، تفضل الله بها عليه، وإذا أحب الله عبدا يسر له الأسباب، وهون عليه كل عسير، ووفقه لفعل الخيرات وترك المنكرات، وأقبل بقلوب عباده إليه بالمحبة والوداد. ومن لوازم محبة العبد لربه، أنّه لا بد أن يتصف بمتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا، في أقواله وأعماله وجميع أحواله، كما قال تعالى: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} كما أنّ من لازم محبة الله للعبد، أن يكثر العبد من التقرب إلى الله بالفرائض والنوافل، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عن الله: "وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، ولا يزال [عبدي] يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أُحبه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه". ومن لوازم محبة الله معرفته

تعالى، والإكثار من ذكره، فإن المحبة بدون معرفة بالله ناقصة جدا، بل غير موجودة وإن وجدت دعواها، ومن أحب الله أكثر من ذكره، وإذا أحب الله عبدا قبل منه اليسير من العمل، وغفر له الكثير من الزلل. ومن صفاتهم أنّهم {أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} فهم للمؤمنين أذلة من محبتهم لهم، ونصحهم لهم، ولينهم ورفقهم ورأفتهم، ورحمتهم بهم وسهولة جانبهم، وقرب الشيء الذي يطلب منهم وعلى الكافرين بالله، المعاندين لآياته، المكذبين لرسله - أعزة، قد اجتمعت هممهم وعزائمهم على معاداتهم، وبذلوا جهدهم في كل سبب يحصل به الانتصار عليهم، قال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ وَمِن رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} وقال تعالى: {أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} فالغلظة والشدة على أعداء الله مما يقرب العبد إلى الله، ويوافق العبد ربه في سخطه عليهم، ولا تمنع الغلظة عليهم والشدة دعوتهم إلى الدين الإسلامي بالتي هي أحسن. فتجتمع الغلظة عليهم، واللين في دعوتهم، وكلا الأمرين من مصلحتهم ونفعه عائد إليهم. {يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} بأموالهم وأنفسهم، بأقوالهم وأفعالهم. {وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ} بل يقدمون رضا ربهم والخوف من لومه على لوم المخلوقين، وهذا يدل على قوة هممهم وعزائمهم، فإنّ ضعيف القلب ضعيف الهمة، تنتقض عزيمته عند لوم اللائمين، وتفتر قوته عند عذل العاذلين. وفي قلوبهم تعبد لغير الله، بحسب ما فيها من مراعاة الخلق وتقديم رضاهم ولومهم على أمر الله، فلا يسلم القلب من التعبد لغير الله، حتى لا يخاف في الله لومة لائم. ولما مدحهم تعالى بما من به عليهم منَّ الصفات الجليلة والمناقب العالية، المستلزمة لما لم يذكر من أفعال الخير -أخبر أن هذا من فضله عليهم وإحسانه لئلا يعجبوا بأنفسهم، وليشكروا الذي مَنَّ عليهم بذلك ليزيدهم من فضله، وليعلم غيرُهم أن فضل الله تعالى ليس عليه حجاب، فقال: {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} أي: واسع الفضل والإحسان، جزيل المنن، قد عمت رحمته كل شيء، ويوسع على أوليائه من فضله، ما

لا يكون لغيرهم، ولكنّه عليم بمن يستحق الفضل فيعطيه، فالله أعلم حيث يجعل رسالته أصلا وفرعا.

١٠. المَوْطِنُ العَاشِرُ: "قيام الليل": قيام الليل من العبادات التي لها فضائل تعود على العبد بالنَّفع في دُنياه وآخرته، وقد كثُرت النصوص التي تحثُّ على قيام الليل وتدعو إليه في الكتاب والسنّة النبويّة؛ فقد أمر به الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وسلم فقَالَ اللَّهُ تَعَالى عَزَّ وَجَلَّ: {وَمِنَ اللّيْلِ فَتَهَجّدْ بِهِ نَافِلَةً لّكَ عَسَىَ أَن يَبْعَثَكَ رَبّكَ مَقَاماً مّحْمُوداً} [سورة الإسراء: ٧٩]، وممّا ورد في الثناء على هذه العبادة وعلى فاعليها، قوله تعالى: {وَعِبَادُ الرّحْمَنِ الّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُواْ سَلاَماً * وَالّذِينَ يِبِيتُونَ لِرَبّهِمْ سُجّداً وَقِيَاماً} [سورة الفرقان: ٦٣-٦٤]، وحث عليها النبي صلى الله عليه وسلم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "أَفْضَلُ الصِّيامِ، بَعْدَ رَمَضانَ، شَهْرُ اللهِ المُحَرَّمُ، وأَفْضَلُ الصَّلاةِ، بَعْدَ الفَرِيضَةِ، صَلاةُ اللَّيْلِ" [١٣٩]، ولقيام الليل فضائل عظيمة وجليلة، يُذكَر منها ما يأتي:

١. أثنى الله تعالى على مَن يقومون الليل، ووعدهم بالجزاء الوافي؛ قال تعالى: {تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا*فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [سورة السجدة: ١٦-١٧].

٢. عناية النبيّ صلى الله عليه وسلم بقيام الليل حتى تفطرت قدماه؛ فعن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنْ كانَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم لَيَقُومُ لِيُصَلِّيَ حتّى تَرِمُ قَدَماهُ - أَوْ ساقاهُ - فيُقالُ له فيَقولُ: "أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا" [١٤٠].

---

١٣٩ حديث صحيح: أخرجه مسلم ٢٠٢ – ١١٦٣.

١٤٠ حديث صحيح: أخرجه البخاري ١١٣٠.

كان رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أعرَفَ الناسِ باللهِ عزَّ وجلَّ، وأخْشاهم له، وأعبَدَهم له، وقد كان صلى الله عليه وسلم دائمَ العِبادةِ للهِ عزَّ وجلَّ في لَيلِه ونَهارِه، وفي هذا الحديثِ بيانٌ لحالِ النبيّ صلى الله عليه وسلم في العِبادةِ واجتهادِه فيها؛ فإنَّه صلى الله عليه وسلم كان يَقومُ مِن اللَّيلِ حتّى تَرِمَ قَدَماهُ، أي: تَتورَّمَ وتَنتفِخَ، ولَمّا

٣. تربّي جيل الصحابة الأُوَل على قيام الليل، وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يُحذّر من تَركه؛ فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قالَ لي رَسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "يا عَبْدَ اللَّهِ، لا تَكُنْ مِثْلَ فُلانٍ؛ كانَ يَقُومُ اللَّيْلَ، فَتَرَكَ قِيامَ اللَّيْلِ!" [١٤١].

٤. قيام الليل من أعظم أسباب دخول الجنة، ومن أسباب رفع الدرجات في غرف الجنة؛ فعن عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لمَّا قدمَ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليَهِ وسلَّمَ المدينةَ، انجَفلَ النَّاسُ قبلَهُ، وقيلَ: قد قدمَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليَهِ وسلَّمَ، قد قدمَ رسولُ اللَّهِ، قد قدمَ رسولُ اللَّهِ ثلاثًا، فَجِئْتُ في النَّاسِ، لأنظرَ، فلمَّا تبيَّنتُ

سُئِل عن سَببِ هذا الاجتهادِ وقد غَفَر اللهُ له ذَنْبه، قال: أفلا أكونُ عَبْدًا شَكورًا؟، فمَن عَظُمَتْ عليه نِعَمُ اللهِ، وجَبَ عليه أنْ يَتلقّاها بعَظيمِ الشُّكرِ، لا سيَّما أنبيائِه وصَفْوتِه مِن خَلْقِه الَّذين اختارَهم، وخَشيةُ العِبادِ للهِ على قَدْرِ عِلْمِهم به؛ فمعنى قولِه صلى الله عليه وسلم: «أفلا أكونُ عبدًا شَكورًا»، أي: كيف لا أشكُرُه وقد أنعَمَ علَيَّ وخصَّني بخيرَيِ الدّارينِ؟!. {وفي الحديثِ: أخْذُ الإنسانِ على نفْسِه بالشِّدَّةِ في العِبادةِ وإنْ أضرَّ ذلك ببَدنِه، لكنْ يَنْبغي ألّا يُؤدِّيَ ذلك إلى المَلَلِ والسآمةِ، وفيه: الحثُّ على مُقابَلةِ نِعَمِ اللهِ عزَّ وجلَّ بمَزيدٍ مِن الاجتهادِ في العِبادةِ}.

١٤١ حديث صحيح متفق عليه: أخرجه البخاري ١١٥٢، ومسلم ١٨٥ - ١١٥٩، بلفظ: [يَا عَبْدَ اللهِ، لا تَكُنْ بمِثْلِ فُلَانٍ كانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ].

أَحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ أدوَمُها وإنْ قَلَّ، وعلى العَبدِ أنْ يَصبِرَ نفْسَه في طَريقِ الطاعةِ، ويَأخُذَها بالرِّفقِ؛ حتّى لا تَضعُفَ أو تَمَلَّ، فتَنقطِعَ عن العبادةِ، وفي هذا الحديثِ يَذكُرُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم رجُلًا لعَبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ رَضيَ اللهُ عنهما أنَّه كان يَقومُ اللَّيلَ ثمَّ ترَكَ القِيامَ، ويُحذِّرُه مِن الإفراطِ والتَّشديدِ على نَفْسِه؛ حتّى لا يَترُكَ قِيامَ اللَّيلِ كما ترَكه هذا الرَّجلُ؛ لأنَّ المُقبِلَ على اللهِ عزَّ وجلَّ بالعملِ إذا ترَكه مِن غَيرِ عُذرٍ، كان كالمُعرِضِ بعْدَ الوصْلِ؛ فهو مُعرَّضٌ للذَّمِّ، وأيضًا فإنَّ دَوامَ العملِ وإيصالَه ربَّما حَصَل للعبدِ به في عَمَلِه الماضي ما لا يَحصُلُ له فيه عندَ قَطعِه؛ فإنَّ اللهَ يُحِبُّ مُواصلةَ العملِ ومُداومتَه، ويَجزي على دَوامِه ما لا يَجْزي على المُنقطِعِ منه، {وفي الحديثِ: فَضيلةُ الدَّوامِ على ما اعتادَهُ المرْءُ مِن الخيرِ مِن غَيرِ تَفريطٍ أو إفراطٍ. وفيه: التَّحذيرُ مِن قَطْعِ أعمالِ التَّطوُّعِ والنَّوافلِ. وفيه: الحثُّ على قِيامِ اللَّيلِ. وفيه: جَوازُ ذِكرِ الشَّخصِ بما فيه مِن عَيبٍ إذا قُصِد بذلك التَّحذيرُ مِن فِعلِه}.

وجهَهُ، عرفتُ أنَّ وجهَهُ ليسَ بوَجهِ كذَّابٍ، فَكانَ أَوَّلُ شيءٍ سَمِعْتُهُ تَكَلَّمَ بِهِ، أن قالَ: "يا أيُّها النَّاسُ أفشوا السَّلامَ، وأطعِموا الطَّعامَ، وصِلوا الأرحامَ، وصلُّوا باللَّيلِ، والنَّاسُ نيامٌ، تدخلوا الجنَّةَ بسَلامٍ" [١٤٢]، وقالَ رَسُولُ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم: "إنَّ في الجنةِ غُرَفًا يُرى ظاهِرُها من باطِنِها، وباطِنُها من ظاهِرِها"، فقال أبو مالِكٍ الأَشْعَرِيُّ: لِمَنْ هيَ يا رسولَ اللّٰهِ؟ قال: "لِمَنْ أَطابَ الكَلامَ، وأَطْعَمَ

---

١٤٢ حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه ٢٦٤٨.

كان النَّبيُّ صلَّى اللّٰهُ علَيه وسلَّم يُرَبِّي النَّاسَ على الفَضائلِ والمكارِمِ حتَّى يكونَ المجتمعُ مُتحابًّا متعاوِنًا؛ كما بيَّن أنَّ مكارِمَ الأخلاقِ لها أجْرٌ عظيمٌ عند اللّٰهِ، وفي هذا الحديثِ يقولُ عبدُ اللّٰهِ بنُ سلَامٍ رَضي اللّٰهُ عنه: "لَمَّا قدِم"، أي: جاء وهاجَر "النَّبيُّ صلَّى اللّٰهُ علَيه وسلَّم المدينةَ، انجفَلَ النَّاسُ قِبَلَه"، أي: اتَّجه النَّاسُ ناحيتَه وذهَبوا إليه مُسْرِعين، "وقيل: قد قَدِم رَسولُ اللّٰهِ صلَّى اللّٰهُ علَيه وسلَّم، قد قدِم رسولُ اللّٰهِ، قد قدِم رسولُ اللّٰهِ ثلاثًا، فجِئتُ في النَّاسِ؛ لِأنظُرَ، فلمَّا تبيَّنتُ وجْهَه"، أي: رأيتُ مَلامحَه، "عرَفتُ أنَّ وجْهَه ليس بوجْهِ كذَّابٍ"؛ لِما يَبدو عليه مِن النُّورِ والجمالِ والهَيبةِ الصَّادقةِ، "فكان أوَّلُ شيءٍ سمعتُه تكلَّم به، أنْ قال: يا أيُّها النَّاسُ، أَفشوا السَّلامَ"، والمقصودُ بإفشاءِ السَّلامِ نشْرُه والإكثارُ منه، والسَّلامُ اسمٌ مِن أسماءِ اللّٰهِ عزَّ وجلَّ، وإفشاءُ السَّلامِ طريقٌ موصِلٌ للمحبَّةِ بين المسلِمين، والسَّلامُ هو التَّحيَّةُ المباركَةُ في هذه الأمَّةِ، وقد جعَل النَّبيُّ صلَّى اللّٰهُ علَيه وسلَّم مِن خيْرِ الأقوالِ في البِرِّ والإكرامِ إفشاءَ السَّلامِ الَّذي يَعُمُّ ولا يَخُصُّ، مَن عرَف ومَن لمْ يَعرِفْ، حتَّى يكونَ خالِصًا للّٰهِ تعالى. "وأطعِموا الطَّعامَ" ويَعُمُّ الإطعامُ ويَدخُلُ فيه ما يكونُ بالصَّدقةِ والهديَّةِ والضِّيافةِ. "وصِلُوا الأرحامَ"، والأرحامُ: هم كلُّ مَن ترَبِطُك بهم رَحِمٌ أو قَرابةٌ مِن جِهةِ الأبِ أو الأمِّ، وقد حثَّ القرآنُ الكريمُ على صِلَتِهم، وحَذَّر أشَدَّ التَّحذيرِ مِن قَطْعِهم، قال تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١]. "وصَلُّوا باللَّيلِ، والنَّاسُ نِيامٌ"، أي: صَلُّوا النَّوافلَ؛ مِن القِيامِ والتَّهجُّدِ في اللَّيلِ كما يَقولُ اللّٰهُ تعالى واصِفًا عِبادَه المؤمنين: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا} [السجدة: ١٦]، ويَنبَغي الحِرصُ على قيامِ اللَّيلِ والأخذُ بالأسبابِ المعينَةِ على ذلك، ومنها: البُعدُ عن المعاصي والذُّنوبِ، والإقلالُ مِن الأكلِ قَبلَ النَّومِ، وقولُه: "تَدخُلوا الجنَّةَ بسَلامٍ"، أي: تكونُ الجنَّةُ جَزاءً لِمَن فعَل هذه الخِصالَ مُخلِصًا فيها للّٰهِ عزَّ وجلَّ. {وفي الحديثِ: الحثُّ على نَشْرِ السَّلامِ تحيَّةً وسُلوكًا بين النَّاسِ، والتَّراحُمِ بين النَّاسِ بفِعلِ الخِصالِ الحَميدةِ، وفيه: الأمرُ بصِلَةِ الأرحامِ وعدمِ قطعِها، وفيه: بيانُ أهمِّيَّةِ صلاةِ النَّوافلِ باللَّيلِ}.

الطَّعامَ، وباتَ قائِمًا والناسُ نِيامٌ" [١٤٣].

٥. قيام الليل من علامات المُتّقين المُحْسِنِينَ المستحقين لمحبة الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ ورحمته وجنته، فهم يتّقون بقيام الليل عذابَ الله سبحانه تعالى، ويرجون أن تكون لهم الجنّة، وهي صفة من صفات عباد الرحمن الصالحين؛ قال تعالى عزَّ وجلَّ: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [سورة الذاريات: ١٥-١٨]، وقد مدح الله عزَّ وجلَّ أهل قيام الليل في جملة عباده الأبرار [عباد الرحمن]، وشهد لهم بالإيمان الكامل، وفضَّلَ الله تعالى الذين يقومون الليل على غيرهم من الناس بالأجر والمكانة عنده، ونفى التسوية بينهم وبين غيرهم ممن لم يتصف بوصفهم، فقال عزَّ وجلَّ: {وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً} [سورة الفرقان: ٦٤]، وقال سبحانه وتعالى: {إِنَّمَا

---

١٤٣ حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب ٩٤٦.

الجنَّةُ هي أسْمى ما يَطلُبُ المُسلِمُ من ربِّه عزَّ وجلَّ؛ فدُخولُها هو الفَوْزُ المُبينُ؛ لذلك كان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم كثيرًا ما يُرغِّبُ أصْحابَه فيها، ويَصِفُها لهم، ويُوضِّحُ لهم بعْضَ نَعيمِها حتى يَجْتَهِدوا في الظَّفَرِ بها، وفي هذا الحديثِ وصفٌ لبعضِ ما فيها وللأعمالِ التي تكونُ سببًا في الفوزِ به، حيثُ يقولُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «إنَّ في الجنَّةِ غُرَفًا» جمْعُ غُرْفَةٍ وهي الحُجْرةُ، «يُرى ظاهِرُها من باطِنِها، وباطِنُها من ظاهِرِها»، أي: أنَّها غُرَفٌ شفّافةٌ يَرى مَن بداخِلِها مَنْ خارِجَها، ويَرى مَن خارِجَها مَنْ بداخِلِها، كأنْ تكونَ من زُجاجٍ أو أَلْماسٍ أو دُرٍّ وياقوتٍ، ولا يَعلَمُ حَقيقَتَها إلّا اللهُ، فقال الصحابيُّ الجليلُ أبو مالِكٍ الأشْعريُّ رضِيَ اللهُ عنه: «لِمَنْ هي يا رسولَ اللهِ؟»، أي: لِمَنْ تلك الغُرَفُ التي يُرى ظُهورُها من بُطونِها، وبُطونُها من ظُهورِها؟ والتَّقْديرُ: ما هي الأعْمالُ التي إذا أتى بها صاحِبُها في الدُّنْيا ظَفر وفازَ بها في الآخِرَةِ؟ فقال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «هي لِمَن أطابَ الكلامَ»، أي: لِمَن تكلَّم بطِيبِ الكَلامِ، وترَكَ قَبيحَه وشَرَّه، وهذه كِنايَةٌ عن حُسْنِ الخُلُقِ، «وأَطْعَمَ الطَّعامَ»، أي: وأَطْعَمَ الجَوْعى من الفُقراءِ والمَساكينِ، وهذه كِنايَةٌ عن الصَّدَقةِ والإنْفاقِ، «وباتَ قائِمًا والناسُ نيامٌ»، أي: وحافَظَ على قِيامِ اللَّيلِ والتَّهجُّدِ للهِ عزَّ وجلَّ، والناسُ في غَفْلةٍ نائِمونَ. {وفي الحديثِ: أنَّ الحِرْصَ على العِباداتِ، والزيادَةَ فيها سَبَبٌ لنَيْلِ الدَّرَجاتِ العُلْيا في الجنَّةِ}.

يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ * تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [سورة السجدة: ١٥-١٧]، وقال تعالى: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} [سورة الزمر: ٩].

٦. قيام الليل مُكَفِّر للسيئات ومنهاة للآثام؛ فعن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "عليكم بقيامِ الليلِ؛ فإنَّه دَأْبُ الصالحينَ قبلَكم، وهو قُرْبةٌ إلى ربِّكم، ومَكْفَرةٌ للسِّيِّئاتِ، ومَنْهاةٌ عن الإثمِ" [١٤٤].

٧. قيام الليل أفضل الصلاة بعد الفريضة؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "أَفْضَلُ الصِّيامِ، بَعْدَ رَمَضانَ، شَهْرُ اللهِ المُحَرَّمُ، وأَفْضَلُ الصَّلاةِ، بَعْدَ الفَرِيضَةِ، صَلاةُ اللَّيْلِ" [١٤٥]، فلا تكون ثمرة قيام الليل في الآخرة فقط؛ فالذي يقوم الليل يشعر بحلاوة، ولَذّة، وراحة، وسكينة في الدُّنيا أيضاً.

٨. شرف المؤمن وعِزّه قيام الليل، فهو إثبات حُبّه لله تعالى، وإخلاصه له، وإيمانه به، فيُجازيه الله، فيرفع مكانته ومنزلته؛ فعَنْ جابر بن عبد الله وسهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم: قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "أتاني جبريلُ، فقال: يا مُحمَّدُ! عِشْ ما شِئتَ فإنَّك مَيِّتٌ، وأحبِبْ من شِئتَ فإنَّكَ مُفارِقُه، واعمَل ما شِئتَ فإنَّك مَجْزِيٌّ بهِ، واعلَم أنَّ شرفَ المؤمنِ قيامُه باللَّيلِ، وعِزُّه استِغناؤُه عن

١٤٤ حديث حسن: حسّنه الشيخ الألباني في إرواء الغليل ٤٥٢؛ أخرجه الترمذي بعد حديث (٣٥٤٩)، وابن خزيمة (١١٣٥)، والطبراني (١٠٩/٨) (٧٤٦٦) باختلاف يسير.

١٤٥ حديث صحيح: أخرجه مسلم ٢٠٢ - ١١٦٣.

النّاسِ" [١٤٦].

٩. قيام الليل يستحقّ أن يُغبَط عليه صاحبه، لعظيم ثوابه فهو خير من الدنيا وما فيها؛ فعَنْ عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "لا حَسَدَ إلّا في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتاهُ اللَّهُ القُرْآنَ فَهو يَتْلُوهُ آناءَ اللَّيْلِ وآناءَ النَّهارِ، ورَجُلٌ آتاهُ اللَّهُ مالًا فَهو يُنْفِقُهُ آناءَ اللَّيْلِ وآناءَ النَّهارِ" [١٤٧]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "لا حَسَدَ إلّا في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ القُرْآنَ، فَهو يَتْلُوهُ آناءَ اللَّيْلِ، وآناءَ النَّهارِ، فَسَمِعَهُ جارٌ له، فقالَ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ ما أُوتِيَ فُلانٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ ما يَعْمَلُ، ورَجُلٌ آتاهُ اللَّهُ مالًا فَهو يُهْلِكُهُ في الحَقِّ، فقالَ رَجُلٌ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ ما أُوتِيَ فُلانٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ ما يَعْمَلُ" [١٤٨].

١٠. قيام الليل سببٌ لتحقيق رحمة الله تعالى والحصول عليها؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال صلى الله عليه وسلم: "رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قامَ من الليْلِ فصَلّى وأيْقظَ امْرَأَتَهُ فصَلَّتْ فإِنْ أَبَتْ نضحَ في وجْهِها الماءَ. رَحِمَ اللَّهُ امْرأَةً قامَتْ من

---

١٤٦ حديث حسن: حسّنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع ٧٣.

١٤٧ حديث صحيح: صحيح البخاري ٧٥٢٩.

١٤٨ حديث صحيح: صحيح البخاري ٥٠٢٦.

يُشِير النبيُّ صلى الله عليه وسلم في هذا الحديثِ إلى أنَّ الحَسَدَ أنواعٌ مختلِفة: فمِنه: {حَسَدٌ مذمومٌ محرَّم شرعًا، وهو أنْ يتمنّى المرءُ زوالَ النِّعمة عن أخيه.}، ومنه: {حَسَدٌ محمودٌ مستحَبٌّ شرعًا، وهو أنْ يرى نِعمةً دِينيَّةً عند غيرِه فيتمنّاها لنفسِه من غيرِ تمنّي زوالِها عن صاحبِها، وهو ما عَناه النبيُّ صلى الله عليه وسلم بقوله: «لا حَسَدَ إلا في اثنتَيْن»}، أي: أنَّ الحسدَ تختلِف أنواعُه وأحكامُه بحَسَبِ اختلافِ أنواعِه، ولا يكون محمودًا إلّا في أمرَيْن؛ فالأول: «رجلٌ علّمه اللهُ القرآنَ فهو يَتْلُوه آناءَ الليلِ وآناءَ النَّهارِ»، أي: يَتْلُوه في ساعاتِ الليل والنهار، «فسَمِعه جارٌ له فقال: لَيْتني أُوتِيتُ مِثْلَ ما أُوتِيَ فُلانٌ، فعَمِلت مِثلَ ما يَعمل»، يعني: فرَتَّلْتُه وقرأتُه مِثل هذا الرجل، «ورجلٌ آتاه الله مالًا فهو يُهلِكه في الحقِّ»، أي: يُنْفِقه كلَّه في الطاعاتِ والبِرّ، «فقال رجلٌ: لَيْتني أُوتِيتُ مِثْلَ ما أُوتِيَ فلانٌ، فعَمِلت مِثْلَ ما يَعمل».

الليلِ فصلَّتْ وأيقظَتْ زَوْجَها فصلّى، فإنْ أبى نَضَحَتْ في وجهِهِ الماءَ" [١٤٩].

١١. قيام الليل فيه خير وفضل للمؤمن في أيّ وقت من أوقات الليل، إلّا أنّ الثُّلث الأخير من الليل هو أفضل الأوقات وأشرفها؛ إذ يتجلّى الله سبحانه وتعالى في هذا الوقت على السماء الدُّنيا؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال صلى الله عليه وسلم: "يَنْزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالى كُلَّ لَيْلَةٍ إلى السَّماءِ الدُّنْيا، حِينَ يَبْقى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فيَقولُ: مَن يَدْعُونِي فأسْتَجِيبَ له، مَن يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَن يَسْتَغْفِرُنِي فأغْفِرَ له" [١٥٠]، وقيام هذه الساعة فيه خير كثير، ويمتدّ هذا الوقت

---

١٤٩ حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع ٣٤٩٤؛ أخـــرجه أبو داود (١٤٥٠) واللفظ له، والنسائي (١٦١٠)، وابن ماجه (١٣٣٦)، وأحمد (٧٤٠٤).

قِيامُ اللَّيلِ شَرفُ المؤمِن، وهو أفضلُ الصَّلاةِ بعدَ الفَريضةِ، وقد رغَّب فيه الشرعُ الحنيفُ وبيَّن عظيمَ أجرِه وكثيرَ فَضلِه، وفي هذا الحديثِ: يقولُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «رَحِمَ اللهُ رجلًا قامَ مِن اللَّيلِ فصَلّى»، أي: يَدْعُو النبيُّ صلى الله عليه وسلم بالرَّحمةِ لِمَن قامَ فِي جُزءٍ مِن اللَّيلِ وصلّى بعضَ الرَّكَعاتِ، «وأيْقَظَ امرَأَتَه فصلَّتْ»، أي: أيقَظ زوجتَه لتصلِّيَ قِيامَ اللَّيلِ، «فإنْ أَبَتْ»، أي: فإنِ امتَنَعَتْ تَكاسُلًا بسببِ النَّومِ، «نَضَحَ فِي وجهِها الماءَ»، أي: رَشَّ بعضَ الماءِ عليها لِتَنشيطِها، وَهذا إشارةٌ إلى التلطُّفِ مَعَ الزَّوجةِ عِنْدَ إيقاظِها حَتّى تَستجِيبَ، ثُمَّ دعا صلى الله عليه وسلم بالرَّحمَةِ للمرأةِ الَّتي تَقُومُ اللَّيلَ فِي قولِه: «رَحِمَ اللهُ امرأةً قامَتْ مِنَ اللَّيلِ فصَلَّتْ»، أي: قامَتْ فِي جُزءٍ مِنَ اللَّيلِ وَصَلَّتْ بعضَ الرَّكعاتِ، «وأيقَظت زوجَها»، أي: لِيُصَلِّيَ قِيامَ اللَّيلِ، «فإنْ أَبى»، أي: امتَنَعَ عن الاستيقاظِ والقيامِ تكاسُلًا بسببِ النَّومِ، «نَضَحَتْ فِي وجهِه الماءَ»، أي: رَشَّتْ فِي وجهِه الماءَ بِقَصدِ تَنشِيطِه، وَهذا إشارةٌ إلى التلطُّفِ مَعَ الزَّوجِ عِنْدَ إيقاظِه حَتّى يَستجِيبَ. {وفي الحديثِ: حثُّ الأسرةِ على أن يُنَشِّطَ بعضُها بعضًا في أداءِ العِباداتِ وأعمالِ التطوُّعِ}.

١٥٠ حديث صحيح متفق عليه: أخرجه البخاري ٧٤٩٤، ومسلم ١٦٨ - ٧٥٨.

الثلُثُ الأخيرُ منَ الليلِ أفضلُ أوقاتِ اللَّيلِ؛ تَصْفو فيه النُّفوسُ، وتَطيبُ فيه العِبادةُ، ويُستَجابُ فيه الدُّعاءُ، خصَّه اللهُ تعالى بالنُّزولِ فيه إلى السَّماءِ الدُّنيا، وتَفضَّلَ على عِبادِه فيه، وأفاضَ الخيرَ على مَن طلَبه، وفي هذا الحَديثِ بيَّن النبيُّ صلى الله عليه وسلم أنَّ اللهَ تَبارَك وتعالى يَنزِلُ كلَّ لَيلةٍ حِينَ يَبْقى الثُّلثُ الأخيرُ مِن اللَّيل، وهو نُزولٌ يَليقُ به جلَّ جَلالُه؛ فإنَّه يَجِبُ الإيمانُ بما ورَدَ في ذلك -وأمثالِه- عنِ اللهِ عزَّ وجلَّ مِن غَيرِ تَكْييفٍ ولا تَعْطيلٍ، ومِن غيرِ تحريفٍ ولا تمثيلٍ، فيَنزِلُ ربُّنا سُبحانَه إلى السَّماءِ الدُّنيا، وهي السَّماءُ الأُولى القَريبةُ منَ

المبارك حتى طلوع الفجر، وفي ذلك دليل على رحمة الله تعالى ولُطفه بعباده؛ ليتَّسِع لهم وقت مُناجاته، وليسألوه من خيرَي الدُّنيا والآخرة، وفي ذلك حَثٌّ للعباد على استغلال هذا الوقت في الدُّعاء، والاستغفار؛ ابتغاء استجابة الله تعالى، وقد وعد الله سبحانه وتعالى مَن قام ليل رمضان؛ إخلاصاً له، واحتساباً للأجر من عنده، وإيماناً به، بالتوبة والمغفرة؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال صلى الله عليه وسلم: "مَن قامَ رَمَضانَ إيمانًا واحْتِسابًا، غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ" [151]، ومَن قام مع الإمام مُصلّياً في ليلة، وبَقِي حتى فرغَ الإمام من الصلاة،

الأرضِ والعِبادِ، ويُنادي سُبحانَه في عِبادِه ويقولُ: مَن يَدْعوني فأسْتَجيبَ له؟ ومَن يَسألُني فأُعطيَه، ومَن يَستغفِرُني فأغفِرَ له؟، والدُّعاءُ، والسُّؤالُ، والاستغفارُ إمّا بمعنًى واحدٍ، فذِكرُ الثَّلاثةِ للتَّوكيدِ. وإمّا لأنَّ طلَبَ العبْدِ لا يَخْلو مِن أنْ يكونَ طَلَبًا لدفْعِ المَضارِّ أو جَلْبِ المنافعِ، والمَضارُّ والمَنافعُ إمّا دُنيويَّةٌ وإمّا دِينيَّةٌ؛ فكرَّرَ الثَّلاثةَ لِتَشمَلَها جَميعَها، وخَصَّ اللهُ عزَّ وجلَّ الثُّلُثَ الأخيرَ مِن اللَّيلِ بالنُّزولِ فيه؛ لأنَّه وَقتُ خَلوةٍ وغَفلةٍ واستِغراقٍ في النَّومِ واستلذاذٍ به، ومُفارقةُ اللَّذَّةِ والرّاحةِ صَعبةٌ على العِبادِ؛ فمَن آثَرَ القِيامَ لمُناجاةِ ربِّه والتَّضرُّعِ إليه في غُفرانِ ذُنوبِه، وفَكاكِ رَقبتِه مِن النّارِ، وسَأله التَّوبةَ في هذا الوقتِ الشّاقِّ، على خَلوةِ نفْسِه بلَذَّتِها، ومُفارقةِ راحتِها وسَكَنِها- فذلك دَليلٌ على خُلوصِ نيَّتِه، وصِحَّةِ رَغبتِه فيما عندَ ربِّه، فضُمِنت له الإجابةُ الَّتي هي مَقرونةٌ بالإخلاصِ وصِدقِ النِّيَّةِ في الدُّعاءِ؛ إذ لا يَقبَلُ اللهُ دُعاءً مِن قلْبٍ غافلٍ لاهٍ؛ فلذلك نبَّهَ اللهُ عِبادَه إلى الدُّعاءِ في هذا الوقتِ، الَّذي تَخْلو فيه النفْسُ مِن خَواطرِ الدُّنيا؛ لِيَستشعِرَ العبدُ الإخلاصَ لرَبِّه، فتَقَعَ الإجابةُ منه تعالى؛ رِفقًا مِن اللهِ بخَلقِه، ورَحمةً لهم. {وفي الحَديثِ: بَيانُ فضْلِ الثُّلثِ الأخيرِ مِن اللَّيل، وفضلِ الصَّلاةِ، والدُّعاءِ فيه}.

151 حديث صحيح متفق عليه: أخرجه البخاري ٣٧، ومسلم ١٧٣ - ٧٥٩.

شَهرُ رَمضانَ مِن مَواسمِ الخيرِ الَّتي تَحمِلُ النَّفحاتِ الَّتي أُمِرْنا أنْ نَتعرَّضَ لها ونَنْهَلَ مِن خيرِها، ومِن فضائلِ هذا الشَّهرِ الكريمِ ما ذُكِر في هذا الحَديثِ ممّا يَترتَّبُ على قِيامِه، والمقصودُ به صَلاةُ التَّراويحِ، حيثُ قال صلى الله عليه وسلم: «مَن قامَ رمضانَ إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدَّمَ مِن ذنبِه»، أي: مَن فعَلَ ذلك تَصديقًا بالمعبودِ الآمِرِ له، وعِلمًا بفَضيلةِ هذا القِيامِ، ومُحتسِبًا جَزيلَ أجْرِه، لا يُريدُ إلّا اللهَ تعالى وحْدَه، لا يَقصِدُ رُؤيةَ النّاسِ ولا غيرَ ذلك ممّا يُخالِفُ الإخلاصَ؛ كان جزاءُ ذلك غُفرانَ ما تقدَّمَ مِن ذُنوبِه السّابقةِ، غيرَ الحُقوقِ الآدميَّةِ المتعلِّقةِ بأموالِهم أو أعراضِهم أو أبدانِهم؛ فهذه لا تَسقُطُ إلّا بِرِضاهُم؛ فعلى الإنسانِ أنْ يَطلُبَ المسامحةَ

ثمّ انصرف، كتبَ الله له أجر تلك الليلة قِياماً، كما أنّ إحياء ليالي رمضان بالقيام، وخصوصاً العَشر الأخيرة منها، من سُنّة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وأخصُّ الخير أن يُوفَّق المُسلم إلى قيام ليلة القَدر؛ فإن قامها مُؤمناً، مُحتسباً، راجياً رحمة الله، فقد غفر الله تعالى له ما تقدَّم من ذَنبه.

١٢. قراءة القرآن في قيام الليل غنيمة عظيمة؛ فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقَنْطَرِينَ" [١٥٢]، وقد ذكر المنذري معلقاً على هذا الحديث: "قال الحافظ من سورة {تبارك الذي بيده الملك} إلى آخر القرآن ألف آية والله أعلم" [١٥٣]، فمن قام بسورة تبارك إلى آخر القرآن فقد قام بألف آية.

ممَّن له عليه حقٌّ، أو يُؤدِّيَ الحقوقَ إلى أهلِها.وقد وقَعَ الجزاءُ هنا بصِيغةِ الماضي «غُفِرَ» مع أنَّ المَغفرةَ تكونُ في المستقبَلِ؛ للإشعارِ بأنَّه مُتيقَّنُ الوقوعِ، مُتحقِّقُ الثُّبوتِ، فضْلًا مِن اللهِ تعالى على عِبادِه. {وفي الحديثِ: الحثُّ على قِيامِ شَهرِ رَمضانَ وبَيانُ عَظيمِ أجْرِ ذلك}.

١٥٢ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترغيب ٦٣٩؛ أخرجه أبو داود (١٣٩٨)، وابن خزيمة (١١٤٤)، وابن حبان (٢٥٧٢).

مجموع آيات جزئي عمَّ وتبارك ٩٩٥ آية [ولو أُضيفت إليها آيات سورة الفاتحة التي ستتكرر قراءتها في كل ركعة؛ لكان المجموع يتجاوز الـ ١٠٠٠ آية وهو المطلوب]، ولن يستغرق منك قراءتها سوى ٦٠ دقيقة [٧٥ دقيقة على أقصى تقدير]، يُكتب لك بها قنطارٌ من الأجر وهو خيرٌ من الدنيا وما فيها، وتُكتَب عند الله من الْمُقَنْطِرِينْ، ولو قُمت الليل بِمِائَةِ آيَةٍ لكُتِبْتَ مِنَ الْقَانِتِينَ، ولو قُمت الليل بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ تُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ. {(الْمُقَنْطِرِينَ)؛ أي: هم الذين أعطوا قِنْطاراً من الأجر، والقنطار مقدار كبير من الذهب، وأكثر أهل اللّغة على أنّه أربعة آلاف دينار، وقيل: إنَّ القِنطار مِلْء جِلْد ثَور ذَهباً، وقيل: ثمانون ألفاً، وقيل: هو جُمْلة كثيرة مجهولة من المال.} [انظر "النهاية في غريب الحديث" لابن الأثير.]، والمراد من الحديث تعظيم أجر من قام بألف آية.

١٥٣ الترغيب والترهيب؛ المنذري؛ عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري، ج١ ص٢٤٨.

١١. المَوْطِنُ الحَادِي عَشَرَ: "**الإحسان**"[١٥٤]: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ: {وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ} [البقرة: ١٩٥]، ومن فوائد الإحْسَان، أنَّه:

١. طريق إلى رحمة الله؛ قال تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [سورة الأعراف: ٥٦].

٢. طريق إلى محبّة الله؛ قال الله سبحانه وتَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ: {وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [سورة آل عمران: ١٣٤].

---

١٥٤ {الإحسان بكل بساطة هو الإتقان}، و{الإحسان الإتيان بالمطلوب شرعا على وجه حسن}، و{الإحسان بذل المعروف لعباد الله من قول أو فعل أو مال أو جاه}، و{الإحسان ضد الإساءة، وهو فعل ما هو حسن وجميل، وترك ما هو سيء وقبيح}، وحقيقة الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك، وأن تبذل ما تستطيعه من النفع والخير للبلاد والعباد، يقول ابن القيم رحمه الله في كتابه "مدارج السالكين": (منزلة الإحسان هي لب الإيمان وروحه وكماله). والإحسان صفة من صفات الله عز وجل فهو سبحانه المحسنُ في خلقه، المحسن إلى مخلوقاته، بيده الخير كله، وله ينسب الفضل كله، هو الذي خلق الخلق فأحسنه وجمّله وأبدعه على غير مثال سابق؛ وهو سبحانه المحسن المنعم على عباده؛ فقد أنعم سبحانه على العباد وأحسن إليهم بنعم لا تعد ولا تحصى، فأيُّ إحسان إلا إحسانه، وأي إنعام إلا إنعامه، وأي كرم إلا كرمه، وأي جود إلا جوده، وأي فضل إلا فضله، وأي لطف إلا لطفه، وأي عطاء إلا عطاؤه، وأي بِرٍّ إلا بره، وخَلقَ الإنسانَ في أحسن تقويم وصوّره فأحسن صورته، وامتدّ إليه إحسانُه وهو نطفة في ظلمات ثلاث، وعَمَّه بإحسانه طفلاً، وأنبته نباتاً حسناً، ورباه بنعمه وأحسن مثواه، وأحسن إليه شاباً يافعاً وعاقلاً راشداً، وشيخاً مسناً، ووصى الإنسان بوالديه إحساناً، وأمره الله تعالى بالإحسان مع كل شيء وإلى كل شيء، وفي كل شيء، ورتب عليه عظيم الأجر، وبديع القدر، ووافر الإكرام، وقد ندب الله المحسنُ الكريم عباده إلى هذه الشيم الفاضلة، والأفعال الحميدة، وهو أولى بها منهم وأحق. والإحسان يكون في العبادة [بأن يأتي بها على الوجه المشروع دون زيادة ولا نقصان، كما أمَرَ الله وكما بيَّن رسول الله صلى الله عليه وسلم]، ويكون في الأقوال والأفعال والأخلاق والمعاملات ...، والإحسان إلى الخلق {إلى الوالدين والأقارب، والأصحاب، والخادم والجار والمحتاج والمسكين وابن السبيل واليتيم وإلى الخلق كلهم ...}؛ بحسن الخلق، وصدق التعامل، وبذل النصيحة، وتفريج الكربة، وإعانة الضعيف، وإغاثة الملهوف، وإطعام الجائع، والتصدق على المحتاج، وإرشاد التائه، وتعليم الجاهل، والتيسير على المعسر، والإصلاح بين الناس...

٣. طريق إلى معيّة الله؛ قال تَعَالى عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} [النحل: ١٢٨]، ومَن كان الله معه فإنَّه لا يخاف بأسًا ولا رهقًا.

٤. طريق إلى رِضَا الله؛ قال تَعَالى عَزَّ وَجَلَّ: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} [التوبة: ١٠٠].

٥. طريق إلى الجنة؛ قال الله سبحانه وتَعَالى عَزَّ وَجَلَّ: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس: ٢٦]، وقال عز وجل: {فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ} [المائدة: ٨٥].

٦. سبب في نيل العلم والفقه في الدين؛ فقد قال تَعَالى عَزَّ وَجَلَّ: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [سورة يوسف: ٢٢].

٧. سبب في حصول إحسان الله تعالى إلى عبده؛ فأول المستفيدين من الإحسان هم المحسنون أنفسهم، إليهم يعود نفعه في العاجل والآجل؛ قال سبحانه وتَعَالى عَزَّ وَجَلَّ: {إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا} [الإسراء: ٧]، وقال سبحانه وتَعَالى عَزَّ وَجَلَّ: {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} [الرحمن: ٦٠]، فمَن أحسنَ عمله أحسن الله جزاءه، ومن أحسن إلى العباد أحسن إليه رب العباد.

٨. سبب في صلاح الذرية؛ قال سبحانه وتَعَالى عَزَّ وَجَلَّ عن إبراهيم عليه السلام: {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [الأنعام: ٨٤].

٩. طريق إلى عظيم الأجر وجزيل الثواب في الآخرة والأمن مِن الخوف والحزن؛ قال سبحانه وتَعَالى عَزَّ وَجَلَّ: {بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} [سورة البقرة: ١١٢]، وقال سبحانه

وتَعَالى عَزَّ وَجَلَّ: {وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [سورة هود: ١١٥]، وقال سبحانه وتَعَالى عَـزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً} [الكهف: ٣٠].

١٠. للإحْسَان ثمرة عظيمة تتجلَّى في تماسك بنيان المجتمع، وحمايته مِن الخراب والتَّهلكة ووقايته مِن الآفات الاجتماعيَّة، وهو وسيلة المجتمع للرُّقي والتَّقدُّم، وإذا كان صنوه، أي: العدل وسيلة لحفظ النَّوع البَشَريّ فإنَّ الإحْسَان هو وسيلة تقدمه ورقيِّه؛ لأنَّه يؤدِّي إلى توثيق الرَّوابط وتوفير التَّعاون، وهو وسيلة لإزالة ما في النُّفوس مِن الكدر وسوء الفهم وسوء الظَّنّ ونحو ذلك.

١١. الإحْسَان في عبادة الخالق يمنع عن المعاصي؛ قال ابن القيِّم: (فإنَّ الإحْسَان إذا باشر القلب منعه عن المعاصي، فإنَّ مَن عبد الله كأنَّه يراه، لم يكن كذلك إلَّا لاستيلاء ذكره ومحبَّته وخوفه ورجائه على قلبه، بحيث يصير كأنَّه يشاهده، وذلك سيحول بينه وبين إرادة المعصية، فضلًا عن مواقعتها، فإذا خرج مِن دائرة الإحْسَان، فاته صحبة رفقته الخاصَّة، وعيشهم الهنيء، ونعيمهم التَّام، فإن أراد الله به خيرًا أقرَّه في دائرة عموم المؤمنين) [١٥٥].

١٢. الإحْسَان إلى النَّاس سببٌ مِن أسباب انشراح الصَّدر؛ فالذي يحسن إلى النَّاس ينشرح صدره، ويشعر بالرَّاحة النَّفسيَّة، وقد ذكر ابن القيِّم في (زاد المعاد) أنّ الإحْسَان مِن أسباب انشراح الصَّدر، فقال: (... إنَّ الكريم المحسن أشرح النَّاس صدرًا، وأطيبهم نفسًا، وأنعمهم قلبًا، والبخيل الذي ليس فيه إحسان أضيق النَّاس صدرًا، وأنكدهم عيشًا، وأعظمهم همًّا وغمًّا) [١٥٦].

١٥٥ الجواب الكافي؛ ٥٥-٥٦.

١٥٦ زاد المعاد في هدي خير العباد؛ (٢/٢٢).

١٣. الإحْسَان إلى النَّاس يطفئ نار الحاسد؛ (إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحْسَان إليه، فكلَّما ازداد أذًى وشرًّا وبغيًا وحسدًا ازددت إليه إحسانًا، وله نصيحةً، وعليه شفقةً، وما أظنُّك تصدِّق بأنَّ هذا يكون، فضلًا عن أن تتعاطاه، فاسمع الآن قوله عزَّ وجلَّ: {وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [فصِّلت: ٣٤-٣٦]، وقال: {أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} [القصص: ٥٤]... هذا مع أنَّه لا بدَّ له مع عدوِّه وحاسده مِن إحدى حالتين، إمَّا أن يملكه بإحسانه فيستعبده وينقاد له ويذلُّ له، ويبقى مِن أحبِّ النَّاس إليه، وإمَّا أن يفتِّت كبده ويقطع دابره إن أقام على إساءته إليه، فإنَّه يذيقه بإحسانه أضعاف ما ينال منه بانتقامه ومَن جرَّب هذا عرفه حقَّ المعرفة، والله هو الموفق المعين بيده الخير كلِّه لا إله غيره، وهو المسؤول أن يستعملنا وإخواننا في ذلك بمَنّه وكرمه) [١٥٧].

١٤. الإحْسَان سبيل إلى زيادة الفضل والخير والإكرام من الرحمن الرحيم؛ قال سبحانه عزَّ وجلَّ: {وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ} [البقرة: ٥٨].

١٢. المَوْطِنُ الثَّانِي عَشَرَ: **"التَّطَهُّر"**: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة: ٢٢٢] [١٥٨]، وقال سبحانه عزَّ وجلَّ: {لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ

١٥٧ بدائع الفوائد؛ لابن القيِّم (٢/٢٤٣-٢٤٤).

١٥٨ "{وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} أي: المتنزهين عن الآثام وهذا يشمل التطهر الحسي من الأنجاس والأحداث؛ ففيه مشروعية الطهارة مطلقا، لأن الله يحب المتصف بها، ولهذا كانت الطهارة مطلقا، شرطا لصحة الصلاة والطواف، وجواز مس المصحف، ويشمل التطهر المعنوي عن الأخلاق الرذيلة، والصفات القبيحة، والأفعال الخسيسة"؛ [تفسير السعدي].

ٱلۡمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]، قال الزمخشري رحمه الله في أساس البلاغة: (وطَهُرَ واطَّهَّر وتطهَّر، وقد طهرت طُهورًا وطَهورًا، وما عندي طَهور أتطهر به؛ أي: وَضوء أتوضَّأ به، واطلب لي ماءً طَهورًا: بليغًا في الطَّهارة لا شبهة فيه، وامرأة طاهرٌ، ونساء طواهر، وطَهُرَت من الحيض، وهي ذاتُ طُهر، وهُنَّ ذوات أطهار.... وقال: ومن المجاز: تَطهَّر من الإثم: تنزَّه منه، وطهَّرهُ اللهُ، وهو طاهرُ الثياب: نزه من مدانس الأخلاق، والتوبة طهور للمذنب) [١٥٩]، فالمطَّهِّرون والمتطهِّرون كلمتان تنحدران من نفس الأصل، ولكن الفرق في أنَّ المطَّهِّرين أبلغ، وتدلُّ على المبالغة والمداومة على الطهارة، في حين أنَّ التَّطهرَ يكونُ في أوقات معينة، فيكون قبل بعض العبادات؛ كالصَّلاة والطواف مثلاً، وهو إما بالوضوء أو بالغسل، يقول الخازن في تفسيره: "إنَّ طهارة الظاهر إنما يحصل لها أثر عند الله جل جلاله إذا حصلت الطهارة الباطنية من الكفر والمعاصي، وقيل: يحتمل أنه محمول على كلا الأمرين؛ يعني: طهارة الباطن من الكفر والنفاق والمعاصي، وطهارة الظاهر من الأحداث والنجاسات بالماء، والله يحب المطَّهِّرين: فيه مدح لهم وثناء عليهم والرضا عنهم، بما اختاروه لأنفسهم من المداومة على محبة الطهارة" [١٦٠]، ولأنَّ للتطهُّر مكانةً عظيمة عند الله جل جلاله بما يحويه من معانٍ سامية؛ فإنَّ الله تعالى يُحبُّ كثيره وقليله؛ فلهذا جاء في كتاب الله العزيز أنَّ الله جل جلاله يحب المطَّهِّرين مثلما جاء أنّه يحب المتَطهِّرين، ولقد جعل الله جل جلاله التَّطهر نصف الإيمان؛ لعظمته وأهميته، فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمانِ، والحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ المِيزانَ، وسُبْحانَ اللهِ والحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ -أَوْ تَمْلأُ- ما بيْنَ السَّمواتِ والأرْضِ، والصَّلاةُ نُورٌ، والصَّدَقَةُ بُرْهانٌ، والصَّبْرُ ضِياءٌ، والْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ، أوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النّاسِ يَغْدُو فَبايِعٌ نَفْسَهُ

---

١٥٩ أساس البلاغة، الزمخشري، ج١، ص٣٩٩.

١٦٠ لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين البغدادي (الخازن)، ج٣، ص١٥٠.

فَمُعْتِقُها، أوْ مُوبِقُها" [١٦١]، وإنَّ المطَّهرين والمتَطهِّرين بالماء إنما يعبِّرون عن مدى حرصهم على النَّقاء والظُّهور بمظهر لائق عندما يقفون بين يدي خالقهم جل جلاله، والإصرار على ذلك، بالرغم من أن رخصةً في التخفيف مُقرَّة في الشرع أصلاً، فإنَّ فرصتهم في الاستنجاء بالحجارة أو بغيرها قائمة، فربما كان الإصرار على التطهُّر والمداومة عليه واحدًا من أسباب حبِّ الله جل جلاله لهم، ومن رحمة الله بعباده أنْ جعل الطهارة يسيرة، وجعل أجرها عظيمًا، فالغسل من الجنابة يطهِّرُ المرء، فإنْ غاب الماء أو خشي الهلكة، فصعيد الأرض بديل ورخصة ورحمة، وفرك المني من الثوب بعد جفافه يطهره، والوضوء من الحدث الأصغر يُطَهِّرُ المرء، وفي الغسل والوضوء تيسير عجيب،

---

١٦١ حديث صحيح: صحيح مسلم ١ - ٢٢٣.

هذا حديثٌ عظيمٌ، وأصْلٌ مِن أصولِ الإسلامِ، يَذْكُرُ فيه النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم كُلَّ ما يُهِمُّ المسلمَ في حَياتِهِ وآخِرتِهِ؛ ففيه يُخبرُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أنَّ «الطُّهورَ»، أي: الوُضوءَ، والطَّهارةُ أصْلُها النَّظافةُ والتَّنزُّهُ. «شَطْرُ الإيمانِ»، أي: نِصْفُهُ، والمرادُ أنَّ الأجْرَ في الوُضوءِ يَنتهي إلى نِصْفِ أجْرِ الإيمانِ؛ لِما في الإيمانِ مِن نظافةِ النَّفسِ والقَلْبِ، ولِما في الطَّهارةِ مِن نَظافةِ الجَسَدِ، «والحمدُ للهِ تَملَآنِ الميزانَ»، أي: إنَّهما يُوزنانِ ويَملآنِ الميزانَ بالأجرِ والثوابِ، فترجَحُ كِفَّتُهما، «وسُبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ تَملَآنِ ما بَيْنَ السَّمَواتِ والأرضِ»، أي: إنَّ أجْرَ ذِكرَهُما يَملَأُ ما بَيْنَ السَّمواتِ والأرضِ؛ لاشْتمالِهما على تنزيهِ اللهِ تعالى في قوله: «سُبحانَ اللهِ»، والتَّفْويضِ والافْتِقارِ إلى اللهِ في قوله: «الحَمْدُ للهِ»، «والصَّلاةُ نورٌ»، أي: يُهْتدى بها إلى الطَّريقِ يومَ القِيامةِ كما يُهتدى بالنُّورِ في الدُّنيا، «والصَّدَقةُ بُرهانٌ»، أي: دَليلٌ على إيمانِ المؤْمِنينَ واخْتلافِهِمْ عَنِ المنافِقِينَ، «والصَّبْرُ ضِياءٌ»، أي: الصبرُ على طاعةِ اللهِ تعالى والصبرُ عن معصيتِه والصبرُ أيضًا على النائباتِ وأنواعِ المكارهِ في الدُّنيا؛ كلُّ هذا ضِياءٌ لصاحبِه، و«الصبر»: الوُقوفُ مع البلاءِ بِحُسْنِ الأدبِ، «والقُرْآنُ حُجَّةٌ لكَ أو علَيْكَ»، أي: بتِلاوتِه والعملِ به يُصبحُ حُجَّةً مع صاحبِه يومَ القيامةِ، وبِتَرْكِه دونَ عملٍ أو تلاوةٍ يُصبحُ حُجَّةً وخُسْرانًا على صاحبِه، «كلُّ النّاسِ يَغْدُو فَبايِعٌ نَفْسَه فَمُعْتِقُها أَوْ مُوبِقُها»، أي: كلُّ إنسانٍ يَسعى بنفسِه إلى طاعةِ اللهِ فيكونُ مُنقِذًا لها مِنَ النّار، أو يَسعى بنفسِه إلى طاعةِ الشَّيطانِ وهَواه فُيوبِقُها، أي: يُهلِكها بدُخولها النارَ. {وفي الحديثِ: فضلُ الوُضوءِ والطَّهارةِ وبيانُ ما لهما مِن الأَجْرِ. وفيه: بيانُ بعضِ الأقوالِ والأعمالِ الإيمانيَّةِ التي تُعتِقُ صاحبَها من النّارِ. وفيه: تنبيهٌ على أنَّ الإنسانَ يُؤخَذُ بجريرةِ عملِه؛ فليعملْ لنَفْسِه ما أرادَ...}.

كل هذا في الطهارة الحسية، أمّا الطهارة الروحية، فهي الأصل، وهي المراد، فحين تكون النفس خبيثة، وتمتلئ بالشهوات الشيطانية، والشبهات الشركية، والحقد والكيد، وتمني هلاك الآخرين، فلا معنى للثوب النظيف والجلد النظيف، ومن فوائد وفضائل الطهارة:

١. طريق إلى محبّة الله؛ قال تَعَالى عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة: ٢٢٢]، وقال سبحانه عزَّ وجلَّ: {لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ} [التوبة: ١٠٨].

٢. كمال الوضوء جزءٌ من الإيمان؛ فعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمانِ، والْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ المِيزانَ، وسُبْحانَ اللهِ والْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ -أَوْ تَمْلأُ- ما بيْنَ السَّمواتِ والأرْضِ، والصَّلاةُ نُورٌ، والصَّدَقَةُ بُرْهانٌ، والصَّبْرُ ضِياءٌ، والْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ، أوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النّاسِ يَغْدُو فَبايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُها، أوْ مُوبِقُها" [١٦٢].

٣. المحافظة على الوضوء تدلّ على الإيمان؛ فعَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمْ الصَّلَاةَ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ" [١٦٣].

---

١٦٢ حديث صحيح: صحيح مسلم ١ - ٢٢٣.

١٦٣ حـــديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ في ابن ماجه ٢٢٦.

أمَرَ الإسلامُ بالتَّوسُّطِ في كلِّ الأمورِ، كما أمَرَ بعَمَلِ الطّاعاتِ بقَدْرِ الاستطاعةِ دونَ تكلُّفٍ أو تشدُّدٍ. وفي هذا الحديثِ يقولُ ثَوبانُ رضِيَ اللهُ عَنه: قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «اسْتَقيموا»، وهذا أمرٌ بالاستِقامةِ على الطَّريقِ المستقيمِ طريقِ الهُدى، ورُوِي في تفســـــيرِ قـــوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا} [فصلت: ٣٠] أنَّ الاستِقامَةَ هي الإقامةُ على قَولِ: لا إلهَ إلّا اللهُ، بإيفاءِ حَقِّه، وأداءِ أوامِرِه، والانتهاءِ عمّا نَهى عنه، والرِّضا بما يَكونُ مِنه، ويَحتمِلُ أن يَكونَ مَعنى قَوْلِه: «اسْتَقيموا»، عَلى ما أقرَرْتُم في الذَّرِّ الأوَّلِ

٤. خروج الخطايا وغفران الذنوب وتكفير السيئات الماضية؛ فعَنْ عَبْدِ اللّٰهِ الصُّنَابِحِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم: "إذا توضَّأَ العبدُ المؤمنُ فتمضْمَضَ خَرجتِ الخَطايا من فيه، فإذا اسْتَنْثَر خَرجَتِ الخَطايا من أنْفِه، فإذا غَسَلَ وجْهَهُ خَرَجَتِ الخَطايا من وجْهِهِ، حتى تَخْرُجَ من تحتِ أَشْفارِ عَينَيْهِ، فإذا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَتِ الخطايا من يديه، حتى تَخْرُجَ من تحتِ أظْفارِ يَدَيْهِ فإذا مَسَحَ بِرأسِه خَرَجَتِ الخَطايا من رأْسِهِ حتى تَخْرُجَ من أُذُنَيْهِ، فإذا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتِ الخَطايا من رِجَلَيْهِ حتى تَخْرُجَ من تَحتِ أظْفارِ رِجْلَيْهِ ثُم كان مَشْيُهُ إلى المسْجِدِ وصلاتُه له نافِلَةً" [١٦٤]، وعن أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه

حينَ أجبتُم رَبَّكم عزَّ وجلَّ بقَولِكم حين قال لَكم: {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ}، أي: اسْتَقيموا عَلى قَولِكم: «بَلى»، «ولَن تُحْصوا»، أي: ولن تَستطيعوا أن تَعُدُّوا وتَستكمِلوا كلَّ وُجوهِ الخيرِ والطّاعات، بِحَولِكم وقُوَّتِكم، ولا بِاجتِهادِكم واسْتِطاعَتِكم، بل لنْ تُطيقوه، وأحرى ألّا تُطيقوهُ، وإنْ بَذَلتم مَجْهودَكم. وقيل: المعنى لَن تُحْصوا ثَوابَها، وكلُّ ذلك يتَطلَّبُ الاستقامةَ مع الاستعانةِ باللهِ وحُسْنِ الرَّجاءِ فيه مع الخوفِ مِنه. ثُمَّ قال صلى الله عليه وسلم: «واعْلَموا أنَّ خيرَ أعمالِكم الصَّلاةُ»؛ لِما فيها مِن الإقبالِ على اللهِ والخُشوعِ والتَّذلُّلِ له بالوجهِ والأعضاءِ والجوارِحِ خاشِعةً للهِ، وهي مِن أفضَلِ الأعمالِ، وأَتَمِّها دَلالةً عَلى الاسْتِقامَةِ، والانقِطاعِ إليه عَمّا سِواه، والإقبالِ عَلَيه، والانصِرافِ عمّا سِواه، والاشتِغالِ بِه عمَّن دونَه، «ولا يُحافِظُ على الوضوءِ إلّا مؤمِنٌ»، أي: ولا يُحافِظُ مُسلِمٌ على إدامةِ الوضوءِ والطَّهارةِ مِن الحَدَثِ، إلّا وقد اكتَمَل إيمانُه وتصديقُه؛ لأنَّ الوضوءَ من أشرفِ الطاعاتِ، وفيه مَشقَّة، وخاصَّةً في الشّتاءِ وفي حِينِ الشُّغلِ؛ فلا يحافظُ عليه إلا مُصدِّقٌ باللهِ وبرسُلِه وبفَضيلةِ ما أُمِرَ به. {وفي الحديثِ: الحثُّ على الاستِقامةِ على الطَّريقِ المستقيمِ معَ طلَبِ العونِ مِن اللهِ. وفيه: أنَّ المحافظةَ على الوضوءِ مِن شِيَمِ المؤمنين. وفيه: أنَّ المحافظةَ على الصَّلاةِ مِن أفضَلِ الأعمالِ الدّالَّةِ على الاستقامةِ}.

١٦٤ حـــديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ٤٤٩؛ أخرجه النسائي (١٠٣) واللفظ له، وابن ماجه (٢٨٢)، وأحمد (١٩٠٩١)، ومالك في «الموطأ» (٣٠)؛ وفي رواية: "إذا تَوضَّأَ العبدُ المؤمنُ ، فتمضمضَ خرجتِ الخطايا من فيهِ ، فإذا استَنثرَ خرجتِ الخطايا من أنفِه فإذا غسلَ وجهَه خرجتِ الخطايا من وجهِه حتَّى تخرجَ من تحتِ أشفارِ عينيهِ فإذا غسلَ يدَيه خرجتِ الخطايا من يدَيهِ حتَّى تخرجَ من تحتِ أظفارِ يدَيهِ فإذا مسحَ برأسِه خرجتِ الخطايا من رأسِه حتَّى تخرجَ من أُذُنيهِ فإذا غسلَ رجليهِ خرجتِ الخطايا من رجليهِ حتَّى تخرجَ من تحتِ أظفارِ رجليهِ ثمَّ كانَ مشيُه إلى المسجدِ وصلاتُه نافلةً لَه" [حـــديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "أَيُّمَا رَجُلٍ قَامَ إِلَى وَضُوئِهِ يُرِيدُ الصَّلَاةَ، ثُمَّ غَسَلَ كَفَّيْهِ؛ نَزَلَتْ خَطِيئَتُهُ مِنْ كَفَّيْهِ مَعَ أَوَّلِ قَطْرَةٍ، فَإِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ؛ نَزَلَتْ خَطِيئَتُهُ مِنْ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ مَعَ أَوَّلِ قَطْرَةٍ. فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ،

الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح النسائي ١٠٣؛ أخرجه النسائي (١٠٣) واللفظ له، وابن ماجه (٢٨٢)، وأحمد (١٩٠٩١)، ومالك في «الموطأ» (٣٠)].

للوضوءِ والمحافظةِ عليه فضلٌ عظيمٌ، وثوابٌ جَزيلٌ، وفي هذا الحديثِ يُبيِّنُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فضائِلَ كلِّ فِعلٍ مِن أفعالِ الوُضوءِ، فيقولُ: "إذا توضَّأ العبدُ المؤمنُ"، أي: إذا توضَّأ وأتى بالوُضوءِ على الوجهِ الأكملِ له، وأعطى كلَّ عضوٍ حقَّه من الماءِ، وهو الإسباغُ مع مُراعاةِ الآدابِ بلا إسرافٍ، وهذا فِعلُ المؤمنِ، والإيمانُ شرْطٌ فيمَن يَحصُل له الأجرُ، "فتَمضمَض، خرَجَتْ الخطايا من فيه"، أي: خرجَت الذُّنوبُ الَّتي ارتكَبَها بفَمِه مثلَ الأقوالِ المحرَّمةِ؛ مِثلَ: المواعدةِ على المعصيَةِ، وتَذوُّقِه لِمَا نُهي عن أكْله وشُربِه، وتلفُّظه بالسيِّءِ مِن القولِ كالسَّبِّ ونَحوِه، وغيرِ ذلك من الصَّغائرِ، "فإذا استنثَر خرجَتِ الخَطايا من أنفِه"، أي: خرجَتِ الذُّنوبُ الَّتي لها عَلاقةٌ بالأنفِ مِثلَ شَمِّ المحرَّماتِ، "فإذا غسَلَ وجهَه خرجَت الخَطايا من وَجهِه" كالنَّظرِ إلى ما لا يَحِلُّ قصدًا، "حتَّى تَخرجَ من تحتِ أشفارِ عَينَيْه"، والأشفارُ هي حروفُ العينِ الَّتي ينبُت عليها الشَّعرُ، والشَّعرُ يُسمَّى الهُدْبَ، وخُصَّت العينُ بالذِّكرِ هنا؛ لأنَّ كلًّا من الفمِ والأنفِ والأُذنِ له طَهارةٌ مَخصوصةٌ خارجةٌ عن طَهارةِ الوجهِ؛ فكانت مُتكفِّلةً بإخراجِ خطاياه، بخِلافِ العَينِ، فإنَّه ليس لها طَهارةٌ إلَّا في غَسْلِ الوجهِ، فخُصَّت خَطيئَتُها بالخروجِ عندَ غَسلِه دون غيرِها ممَّا ذُكِرَ، ويَحتمِلُ أنَّه إشارةٌ إلى عِظَمِ ما يَفعلُه الوضوءُ بالوجهِ حتَّى إنَّه لا يَتركُ أثرًا للذُّنوبِ وإنْ صَغُرت ودقَّ موضعُ وجودِها، "فإذا غسل يَديْهِ"، أي: إلى المِرفَقينِ، "خرجَتِ الخَطايا من يديْه حتَّى تخرُجَ من تحتِ أظفارِ يَديْهِ"، أي: تَخرُج الخَطايا الَّتي ارتكَبَها بيدِه كاللَّمسِ لما لا يجوزُ، أو البَطشِ ظُلمًا، "فإذا مَسَحَ بِرأسِه خَرجتِ الخَطايا من رأسِه حتَّى تخرُجَ من أُذنيْه"، كالاستِماعِ إلى ما لا يَحِلُّ، كالأغاني، والأحاديثِ التي يُعصَى اللهُ بها، مِن الغِيبةِ والنَّميمةِ والتَّجسُّسِ وغيرِ ذلك، "فإذا غَسَل رِجليْه خرجَت الخَطايا من رجليْه حتَّى تخرجَ من تحت أظفارِ رجليْه"، أي: خرجَت الخَطايا الَّتي ارتكَبها بِرجليه كالمشيِ فيما لا يَنبَغي. "ثمَّ كان مشيُه إلى المسجدِ وصَلاتِه"، سواء كانتْ صَلاةَ فَريضةٍ أو غيرِها، "نافلةً له"، أي: تكونُ زائدةً على تَكفيرِ السَّيِّئاتِ وهي لرَفعِ الدَّرجاتِ، أو زائدةً عن تَكفيرِ سيِّئاتِ أعضاءِ الوضوءِ؛ فهي لِسيِّئاتٍ أُخَرَ إنْ وُجِدت، وإلَّا فهي لتَخفيفِ الكَبائرِ، ثمَّ لرفْعِ الدَّرجاتِ. وهذا التَّكفيرُ يشمَلُ صَغائرَ الذُّنوبِ دُون كبائِرِها؛ فإنَّ الكبائرَ لا يُكفِّرُها إلَّا التوبةُ. {وفي الحديثِ: بيانُ فضلِ الوُضوءِ، والحثُّ عليه. وفيه: بيانُ عظيمِ فَضلِ اللهِ على عِبادِه، وإعطائِهم من فَضلِه بغُفرانِ الذُّنوبِ مع كلِّ غَسْلِ كلِّ عُضوٍ من أعضاءِ الوضوءِ}.

وَرِجْلَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ؛ سَلِمَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ هُوَ لَهُ، وَمِنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ، كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، فَإِذَا قَامَ إِلَى الصلَاةِ، رَفَعَه اللّٰهُ عزَّ وجلَّ بِهَا دَرَجَةً، وَإِنْ قَعَدَ، قَعَدَ سَالِمًا" [١٦٥]، وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِي اللّٰهُ عَنهُ قَالَ: قالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ، حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ" [١٦٦]، وهذا الثواب يكون لمن توضأ وأحسن الوضوء.

٥. تفتح أبواب الجنة الثمانية لمن يحافظون على الوضوء وأذكاره؛ فعَنْ عقبة بن عامر

---

١٦٥ حـــديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ٢٧٢٤.

الوُضوءُ من أعْظَمِ أسْبابِ طَهارةِ المُسْلِمِ الحِسِّيَّةِ والمَعْنويَّةِ؛ فإنَّه يُطَهِّرُهُ ظاهرًا بالماءِ، وباطنًا بتَكْفيرِ الذُّنوبِ والخَطايا، ثم تأتي الصَّلاةُ لتُرَقِّيَهُ في دَرَجاتِ النَّعيمِ. وفي هذا الحديثِ يقولُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «أيُّما رَجُلٍ»، والمُرادُ الرَّجُلُ والمَرْأةُ، وإنَّما خَرَجَ الكلامُ مَخْرَجَ الغالبِ في التعبيرِ عن المجموعِ بالذُّكورِ، «قام إلى وُضوئِهِ»، أي: توجَّه إلى الوُضوءِ بالماءِ «يُريدُ الصَّلاةَ»، أي: كان وُضوؤُهُ هذا؛ لأجْلِ الصَّلاةِ، «ثم غَسَلَ كَفَّيْهِ، نَزَلَتْ خَطيئتُه من كَفَّيْهِ مع أوَّلِ قَطْرةٍ»، أي: يَغْفِرُ اللهُ له ذُنوبَهُ التي اكْتَسَبَها بكَفَّيْهِ مع نُزولِ أوَّلِ قَطْرةِ ماءٍ، وهكذا في باقي أعْضاءِ الوُضوءِ؛ كُلَّما غَسَلَ عُضْوًا غَفَرَ اللهُ له الذي اقْتَرَفَهُ هذا العُضْوُ، «فإذا غَسَلَ وجْهَهُ، نَزَلَتْ خَطيئَتُهُ من سَمْعِهِ وبَصَرِهِ مع أوَّلِ قَطْرَةٍ؛ فإذا غَسَلَ يَدَيْهِ إلى المِرْفَقَيْنِ» والمِرْفَقُ: المِفْصَلُ الذي في مُنْتَصفِ الذِّراعِ، «وَرِجْلَيْهِ إلى الكَعبينِ» والكَعْبُ: هو العَظْمُ البارِزُ عندَ مُلْتَقى السّاقِ والقَدَمِ، «سَلِمَ من كلِّ ذَنْبٍ هو له ومن كلِّ خَطيئةٍ كهَيْئَتِهِ يوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»، أي: محا اللهُ عنه ذُنوبَه وأعمالَه الفاسِدَةَ وهو خاصٌّ بغُفْرانِ ما دُونَ الكَبائِرِ؛ لأنَّ لتَكْفيرِ الكبيرةِ شأْنًا آخَرَ؛ فإنَّها لا تُغفَرُ إلّا بالتوبةِ أو بعَفوِ اللهِ تعالى، «فإذا قامَ إلى الصَّلاةِ»، أي: بهذا الوُضوءِ، «رَفَعَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ بها دَرَجَةً»، أي: أعْطاهُ اللهُ مَنْزِلَةً رَفيعةً عاليةً في الجَنَّةِ، أو زادَهُ بها حَسَنَةً، «وإنْ قَعَدَ»، أي: لم يَقُمْ إلى الصَّلاةِ بهذا الوُضوءِ، «قَعَدَ سالِمًا»، أي: من الخَطايا. ويَنْبَغي للمُتَطَهِّرِ أنْ يَسْتَحْضِرَ مع غَسْلِ أعْضائِهِ ذُنوبَه وخَطاياه، ويَعْزِمَ على التَّوْبَةِ منها، فيُطَهِّرَ بدنَهُ ظاهرًا وباطنًا، ويَصْلُحَ للوُقوفِ بين يَدَيِ اللهِ عزَّ وجلَّ. {وفي الحديثِ: فَضْلُ الوُضوءِ وأنَّه يُكفِّرُ الذُّنوبَ}.

١٦٦ حديث صحيح: صحيح مسلم ٣٣ - ٢٤٥.

في هذا الحَديثِ يَقولُ عُثْمانُ بنُ عَفّانَ رَضيَ اللّٰهُ عنه: إنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ: مَن تَوضَّأَ فأحسَنَ الوُضوءَ، أي: أجادَه مَع مُراعاةِ سُنَنِه وَآدابِه، خَرجَتْ خَطاياهُ مِن جَسدِهِ، وهو تَصويرٌ لِبَراءتِه عَنِ الذُّنوبِ كُلِّها، وهذا خاصٌّ بالصَّغائرِ. حتّى تَخرُجَ مِن تَحتِ أظفارِه، أي: حتّى تَخرُجَ جَميعُ ذُنوبِه الَّتي اكتَسبَها مِن تَحتِ أظفارِه. {في الحَديثِ: فَضلُ الوُضوءِ وأنَّه يُكفِّرُ الذُّنوبَ. وفيه: الحثُّ عَلى مُراعاةِ آدابِ وَسُنَنِ الوُضوءِ}.

رضي الله عنه قال: كانَتْ علَيْنا رِعايَةُ الإبِلِ فَجاءَتْ نَوْبَتي فَرَوَّحْتُها بعَشِيٍّ فأدْرَكْتُ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قائِمًا يُحَدِّثُ النّاسَ فأدْرَكْتُ مِن قَوْلِهِ: "ما مِن مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، مُقْبِلٌ عليهما بقَلْبِهِ ووَجْهِهِ، إلّا وجَبَتْ له الجَنَّةُ" قالَ: فَقُلتُ: ما أجْوَدَ هذِه! فإذا قائِلٌ بيْنَ يَدَيَّ يقولُ: الَّتي قَبْلَها أجْوَدُ، فَنَظَرْتُ فإذا عُمَرُ، قالَ: إنِّي قدْ رَأَيْتُكَ جِئْتَ آنِفًا، قالَ: "ما مِنكُم مِن أحَدٍ يَتَوَضَّأُ فيُبْلِغُ، أوْ فيُسْبِغُ، الوَضُوءَ ثُمَّ يقولُ: أشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلّا اللَّهُ وأنَّ مُحَمَّدًا عبدُ اللهِ ورَسولُهُ؛ إلّا فُتِحَتْ له أبْوابُ الجَنَّةِ الثَّمانِيَةُ يَدْخُلُ مِن أيِّها شاءَ". وفي رواية: فَذَكَرَ مِثْلَهُ غيرَ أنَّه قالَ: "مَن تَوَضَّأَ فقالَ أشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلّا اللَّهُ وحْدَهُ لا شَرِيكَ له وأَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسولُهُ" [١٦٧].

١٦٧ حديث صحيح: صحيح مسلم ١٧ - ٢٣٤.

رحمةُ اللهِ واسعةٌ، ومُكافأةُ اللهِ عزَّ وجلَّ لعِبادِهِ تأتي من أقلِّ القليلِ، وفي هذا الحديثِ يحكي عُقْبَةُ بنُ عامِرٍ رَضِيَ اللهُ عنه، فيقولُ: كانتْ علينا رِعايةُ الإبِلِ، أي: نتبادلُ رِعايتَها؛ إشارةً إلى أنَّهم لم يكنْ معهم خَدَمٌ يَرْعَوْنَ لهم إبِلَهم؛ فجاءتْ نَوْبَتي، أي: دَوْري في الرِّعايةِ، فَرَوَّحْتُها بِعَشِيٍّ، أي: رَدَدْتُ الإبِلَ إلى مَراحِها في آخِرِ النَّهار، فلمّا انتهى عُقْبَةُ من رِعايته للأبِلِ، يقول: فأدركتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، أي: وَجدْتُه، قائِمًا يُحدِّث النّاس، أي: يَخطُب فيهم، فأدركتُ من قولِه، أي: من خُطبتِه: ما من مُسلمٍ يتوضَّأُ فيُحسِن وضوءَه، أي: يُسبغ وضوءَه ويُعطي كلَّ عُضوٍ حقَّه من الماءِ، ثُمَّ يقوم فيُصلِّي رَكعتَينِ مُقبِلٌ عليهما بقَلبِه ووجهِه، أي: يُخلِص ويَخشَع فيهما للهِ تعالى، إلّا وَجَبَتْ له الجَنَّةُ، أي: كان حقًّا على اللهِ بفعلِه هذا أنْ يُدخِله الجَنَّة، فقال عُقْبَةُ مُعْجَبًا ومُسْتَحْسِنًا تلك البُشْرى: ما أَجْوَدَ هذه! يعني: ما أجودَ هذه الكلمةَ أو البِشارةَ، وجَودتُها جَمعُها بين سُهولةِ العملِ وعظيمِ الأجرِ. قال: فإذا قائِلٌ بين يَدَيَّ، أي: رَجلٌ جالِسٌ من أمامِه يُكلِّمه، يقول: الَّتي قَبلَها، أي: الكلمةُ الَّتي قَبلَ الَّتي سَمِعتَها، أَجْوَدُ، أي: لِما فيها من الخيرِ والأجرِ، قال عُقْبَةُ: فنظرتُ فإذا عُمَرُ، أي: هو الَّذي يَجلِسُ أمامي ويَتكلَّم معي، قال له عُمَرُ: إنِّي قد رأيتُك جِئْتَ آنِفًا، أي: حضرتَ من قريبٍ ولم تَسمعْ كلَّ ما قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم، فأخبرَه عُمَرُ بقول النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: ما منكم من أحدٍ يتوضَّأُ فيبلُغ، أو فيُسْبِغ الوُضوءَ، أي: يُتِمُّه ويُعطي كلَّ عُضوٍ حقَّهُ من الماءِ، ثُمَّ يقول: أشهدُ أنْ لا إله إلّا الله، أي: لا مَعْبودَ بِحقٍّ إلّا الله، وأنَّ مُحَمَّدًا عبدُ الله ورسولُه، إلّا، أي: إلّا كان الجزاءُ، أنْ فُتِحَتْ له أبوابُ الجَنَّةِ الثَّمانيةُ، يَدخلُ من أَيِّها شاءَ، أي: من أبوابِ الجنَّة أراد أنْ يَدخُل دخلَ. {وفي الحديثِ: عَظيمُ فَضلِ اللهِ تعالى بإعطائِه

٦. أهل الجنة يحلَّون بحلية الجنة؛ أساور من ذهب وفضة ونحو ذلك، فبلوغ حلية المؤمن يوم القيامة على قدر إحسان وضوئه؛ فعَنْ سلمة بن دينار المدني أَبِي حَازِمٍ قَالَ: "كُنْتُ خَلْفَ أَبِي هُرَيْرَةَ وهو يَتَوَضَّأُ لِلصَّلاةِ، فَكَانَ يَمُدُّ يَدَهُ حتّى تَبْلُغَ إِبْطَهُ فَقُلتُ له: يا أَبا هُرَيْرَةَ ما هذا الوُضُوءُ؟ فقالَ: يا بَنِي فَرُّوخَ أَنْتُمْ هاهُنا؟ لو عَلِمْتُ أَنَّكُمْ هاهُنا ما تَوَضَّأْتُ هذا الوُضُوءَ، سَمِعْتُ خَلِيلِي صلى الله عليه وسلم يقولُ: تَبلُغُ الحِلْيَةُ مِنَ المُؤْمِنِ، حَيْثُ يَبْلُغُ الوَضُوءُ" [١٦٨]، وقَالَ الْقَاضِي عِيَاض: وَإِنَّمَا

الأجْرَ الكَبيرَ على العَملِ اليَسير. وفيه: فَضلُ الوُضوءِ والذِّكرِ الواردِ بَعدَه، وفَضلُ الرَّكعتَينِ بعدَ الوُضوءِ بالصِّفةِ المذكورةِ، والحثُّ على ذلِك. وفيه: حِرْصُ الصَّحابةِ على الخَيرِ مِنْ تَعلُّم العلمِ ونَشْره}.

١٦٨ حديث صحيح: صحيح مسلم ٤٠ - ٢٥٠، وفي صحيح النسائي: "كنتُ خلفَ أبي هريرةَ وَهوَ يتوضَّأُ للصَّلاةِ، وَكانَ يغسلُ يدَيهِ حتّى يبلغَ إبطيهِ فقلتُ يا أبا هريرةَ ما هذا الوضوءُ فقالَ لي: يا بني فرُّوخَ ! أنتُم ها هنا؟ لَو علمتُ أنَّكم ها هنا ما توضَّأتُ هذا الوُضُوءَ سمعتُ خليلي صلى الله عليه وسلم يقولُ: تبلغُ حليةُ المؤمنِ حيثُ يبلغُ الوضوءُ" [حـــديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الأَلْبَانِيُّ فِي صحيح النسائي ١٤٩]

الوُضوءُ والطَّهارةُ من شَعائرِ المؤمنينَ، وأثَرُ الوُضوءِ يظهَرُ على المسلمين نورًا يومَ القيامةِ، وبه يَعرِفُهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم عندَ حَوْضِهِ، وفي هذا الحديثِ يقولُ أبو حازِمٍ الأشجعيُّ: «كُنْتُ خَلْفَ أَبِي هُرَيْرَةَ، وهوَ يَتَوَضَّأُ للصَّلاةِ، فَكانَ يَمُدُّ يَدَهُ حَتّى تَبْلُغَ إِبْطَه»، أي: كانَ يغْسِلُ يديْهِ وذِراعيْهِ إلى آخِرِهما إلى أن يبلُغَ الإبْطَيْنِ؛ مبالغةً ورغبةً في غسل أطولِ جُزءٍ من الذِّراعَيْنِ، فقلتُ لهُ: «يا أَبا هُرَيْرَةَ، ما هذا الوُضُوءُ؟»، أي: ما هذا الوُضوءُ الغُريبُ الذي لم نَعهَدْهُ؟ فقالَ أبو هُريرةَ: «يا بَنِي فرُّوخَ، أَنْتُم هاهُنا؟ لو عَلِمْتُ أَنَّكُمْ هاهُنا ما تَوَضَّأْتُ هذا الوُضوءَ»، أي: لو أعلمُ أنَّ أحدًا يَراني ما توضَّأتُ هذا الوضوءَ [لأنّ فيه فتنة لبعض الناس]؛ وبَنو فرُّوخَ: هم العَجَمُ، وقيلَ: إنَّ فرُّوخَ مِن ولدِ إبراهيمَ عليهِ السَّلامُ وهُو أخو إسماعيلَ وإسحاقَ، ومن ولدِهِ العَجَمُ [قَالَ صَاحِب الْعَيْن هو الخليل بن أحمد الفراهيدي: (فرُّوخ) بَلَغَنَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ وَلَد إِبْرَاهِيم صلى الله عليه وسلم مِنْ وَلَدٍ كَانَ بَعْد إِسْمَاعِيل وَإِسْحَاق، كَثُرَ نَسْلُه وَنَمَا عَدَدُه، فَوَلَدَ الْعَجَمَ الَّذِينَ هُمْ فِي وَسَطِ الْبِلَاد، وأَرَادَ أَبُو هُرَيْرَة هُنَا: الْمَوَالِي، وَكَانَ خِطَابُهُ لِأَبِي حَازِم. {شرح النووي على مسلم (٣/ ١٤٠)}]. ثم قالَ أبو هُرَيْرةَ: "سمِعتُ خلِيلي صلى الله عليه وسلم يقولُ: «تبلغُ الحِليةُ منَ المؤمنِ حَيْثُ يبلغُ الوُضوءُ»، والمقصودُ أنَّ المؤمنَ يُحلّى في الجنَّةِ وتكونُ هذه الحِليةُ إلى حيثُ يبلُغُ الوضوءُ، فتبلُغُ الحليةُ في اليدينِ إلى المِرْفقَيْنِ؛ لأنَّ الوضوءَ يبلُغُ إلى المِرْفَقينِ؛ فكان مرادُ أبي هريرةَ أنْ يَبلُغَ بوضوئه أبعدَ ما يَستطيعُ من أعضائه، ليَبلُغَ به الحِليةَ في الجَنَّةِ.

أَرَادَ أَبُو هُرَيْرَة بِكَلَامِهِ هَذَا أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمَنْ يُقْتَدَى بِهِ إِذَا تَرَخَّصَ فِي أَمْرٍ لِضَرُورَةٍ، أَوْ تَشَدَّدَ فِيهِ لِوَسْوَسَةٍ، أَوْ لِاعْتِقَادِهِ فِي ذَلِكَ مَذْهَبًا شَذَّ بِهُ عَنْ النَّاسِ أَنْ يَفْعَلَهُ بِحَضْرَةِ الْعَامَّةِ الْجَهَلَة، لِئَلَّا يَتَرَخَّصُوا بِرُخْصَتِهِ لِغَيْرِ ضَرُورَة، أَوْ يَعْتَقِدُوا أَنَّ مَا تَشَدَّدَ فِيهِ هُوَ الْفَرْضُ اللَّازِم[169]، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ غُرّاً مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ"[170]، وفي رواية: قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَعْرِفُنَا يَوْمَئِذٍ قَالَ: "نَعَمْ لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لأَحَدٍ مِنَ الأُمَمِ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ"[171]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَتَى الْمَقْبُرَةَ فَقَالَ: "السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لاَحِقُونَ وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا". قَالُوا أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ؟ يَا

---

169 شرح النووي على مسلم (٣/ ١٤٠).

170 حديث صحيح متفق عليه: أخرجه البخاري ١٣٦ واللفظ له، ومسلم ٢٤٦.

جَعَل اللهُ تعالى للمُؤمنِينَ سِماتٍ وصِفاتٍ تُميِّزُهم عن غَيرِهمْ في الآخِرةِ، وبها يَعرِفُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أتْباعَه يَومَ القِيامةِ، كعَلاماتِ الإيمانِ والإسلامِ، ومِثلِ أَثَرِ الوُضوءِ الذي يكونُ نُورًا ظاهرًا على أعضاءِ الوُضوءِ. وفي هذا الحديثِ يَحكي نُعَيْمٌ المُجْمِرُ أنَّه صَعِدَ مع أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عنه على ظَهْرِ المَسجِدِ النَّبويّ، فتَوضَّأَ وُضوءًا كاملًا وأسْبَغَه، وأعْطى كلَّ عُضْوٍ حَقَّه مِن الماءِ والغَسلِ، ثمَّ أخبَرَ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم بَشَّر أُمَّتَه الذين اسْتَجابوا له بأنَّ اللهَ تعالى يُميِّزُهم بعَلامةٍ يومَ القِيامةِ، ويُنادَوْنَ على رُؤوسِ الأشهادِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِن آثارِ الوُضوءِ، والغُرَّةُ: بَياضٌ في الجَبهةِ، والمرادُ بها هنا النُّورُ الكائنُ في وُجوهِ أُمَّةِ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ، والتَّحجيلُ: بَياضٌ في السّاق، والمرادُ به هنا أيضًا النُّورُ؛ فإنَّ الوُضوءَ يَترُكُ أثرًا في الوجْهِ والسّاقِ واليَدينِ يكونُ بَياضًا ونُورًا يومَ القِيامةِ، تَختصُّ به هذه الأُمَّةُ مِن بيْنِ الأُمَمِ، ولَمّا كان للوُضوءِ هذا الأثرُ، أوْصى أبو هُريرةَ رَضيَ اللهُ عنه بإطالةِ الغُرَّةِ، فقال: «فمَنِ اسْتَطاعَ مِنكُمْ أنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ، فلْيَفعَلْ»، ولْيُطِلِ الغُرَّةَ والتَّحجيلَ، واقتَصَرَ على ذِكرِ الغُرَّةِ لدَلالتِها على الأُخرى. وقيل: اقتَصَرَ على ذِكرِ الغُرَّةِ دونَ التَّحجيلِ؛ لأنَّ مَحلَّ الغُرَّةِ أشرَفُ أعضاءِ الوُضوءِ، وأوَّلُ ما يقَعُ عليه النَّظرُ مِن الإنسانِ، على أنَّ في رِوايةِ مُسلمٍ ذِكرَ الأمْرينِ، ولَفظُه: «فلْيُطِلْ غُرَّته وتَحجيلَه».

171 حديث صحيح: أخرجه مسلم ٣٦ - ٢٤٦.

رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ" . فَقَالُوا كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: "أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلاً لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَىْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلاَ يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟". قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: "فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ أَلاَ لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلاَ هَلُمَّ. فَيُقَالُ إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا" [١٧٢].

---

١٧٢ حديث صحيح: أخرجه مسلم ٣٩ - ٢٤٩.

جَعَل اللهُ تعالى للمُؤمنِينَ سِماتٍ وصِفاتٍ تُميِّزُهم عن غَيرِهِمْ في الآخِرةِ، وبها يَعرِفُ النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم أتْباعَه يومَ القِيامةِ، كعَلاماتِ الإيمانِ والإسلامِ مثلِ أثرِ الوُضوءِ الذي يكونُ نورًا ظاهرًا على أعضاءِ الوُضوءِ، وفي هذا الحديثِ يقولُ أبو هُريرةَ رضيَ الله عنه: "إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم أتى المَقْبَرَةَ"، أي: مكانَ القُبورِ الذي يُدفَن فيه المسلمونَ في البقيعِ، فحَيَّا الأمواتَ وقالَ: «السَّلامُ عَلَيْكمْ دارَ قومٍ مُؤمنينَ، وإنَّا إن شاءَ اللهُ بِكمْ لاحِقونَ»، أي: أنتمْ سَبَقْتم الأحياءَ في الموتِ لانقضاءِ آجالِكمْ، ونحنُ الأحياءُ سنلْحَقُ بكمْ إن شاءَ الله حين تَنقضي آجالُنا في الدُّنيا، ثم قالَ النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم: «ودِدتُ أنَّا قَدْ رَأَيْنا إخْوَانَنا»، وهذا تَمَنٍّ من النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم بأنْ يرَى ويلْقى إخوانَه الذينَ لم يأتوا بعدُ، وهذا تَوضيحٌ بأنَّ من لقِيَهُ النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم فهوَ مِنْ أصحابِهِ، أما مَن لم يرَه منَ المسلمينَ فهُم إخْوةٌ في الدِّينِ والإسلامِ. فقال الصِّحابةُ رضي اللهُ عنهم: "كيفَ تعرفُ مَنْ لم يأتِ بعدُ مِن أمَّتِكَ يا رَسولَ اللهِ؟"، أي: كيفَ تعرِفُهم في الآخِرةِ، وأنتَ لم ترَهم في الدُّنيا؟ فقالَ النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم: «أرَأيتَ لو أنَّ رجلًا لهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلةٌ بينَ ظَهْرَيْ خَيلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ ألا يَعرِفُ خَيلَهُ؟" الغُرَّةُ هيَ البياضَ في الوَجهِ، والتَّحْجيلُ هو البَياضُ في الأقدامِ، والخَيلُ البُهْمُ الدُّهْمُ، أي: السَّوداء، فإذا اختلَطَتْ هذه الخيولُ تَميَّزَ بعضُها عن بعضٍ بِبيَاضِ الغُرَّةِ والتَّحْجيلِ، فكذَلكَ المُسلِمونَ يومَ القيامةِ؛ "فإنَّهمْ يأتونَ غُرًّا مُحَجَّلينَ مِنَ الوُضوءِ، وأَنا فرَطُهُمْ على الحَوْضِ"، أي: وأنا سابِقُهُم ومتقدِّمهم على الحوضِ يومَ القيامةِ، وهو حوضُ النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم الذي يَسقي فيه الواردينَ عليهم مِن أُمَّتِه. "ألَا ليُذادَنَّ رِجالٌ عَنْ حَوْضي كما يُذادُ البَعِيرُ الضَّالُّ"، أي: سوفَ تُبعِد الملائكةُ وتَطرُدُ عنِ الحوضِ أُناسٌ وهُم مُقبلونَ علَيه ومُتوجِّهونَ إليه، وهمْ من المسلِمينَ، كما يَمْنَع ويَطرُد صاحبُ الإبلِ الجملَ الذي ليس من إبلِه، وهو يُزاحِمها في الطَّعامِ والشَّرابِ، «أُنادِيهِمْ: ألا هَلُمَّ!"، أي: أُنادِيهمْ ليأتوا إلى الحوضِ، قَبل أن أعرِفَ لماذا يُطرَدونَ؟ فيُقالُ: إنَّهم قدْ بدَّلوا بعدَكَ. أي: غيَّروا الدِّينَ أو حرَّفوه وانحرفوا بعدَك عنِ الحقِّ، فأقولُ: «سُحقًا سُحقًا»، أي: بُعْدًا لهم وهُو دُعاءٌ من النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم علَيهمْ بالإبعادِ عن حَوضِه أو

٧. بالوضوء في البيت والذهاب إلى المسجد رفعة الدرجات؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مَنْ بُيُوتِ اللهِ؛ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللهِ، كَانَتْ خَطْوَتَاهُ إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً، وَالْأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً" [١٧٣].

٨. إنّها كتاب في عليين؛ فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ مُتَطَهِّرًا إِلَى صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ؛ فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْحَاجِّ الْمُحْرِمِ، ومَن خرجَ إلى تسبيحِ الضُّحى لا ينصبُه إلّا إيّاهُ فأجرُه كأجرِ المعتمرِ وصلاةٌ على أثرِ صلاةٍ لا لغوَ بينهما كتابٌ في علّيّينَ" [١٧٤]، وفي رواية: "مَن مَشى إلى صَلاةٍ مَكتوبةٍ وهو مُتطهِّرٌ، كان له كأجْرِ الحاجِّ المُحرِمِ، ومَن مَشى إلى سُبْحةِ الضُّحى، كان له كأجْرِ المُعتمِرِ، وصَلاةٌ على إثْرِ صَلاةٍ لا لَغوَ بيْنَهما كِتابٌ في عِلّيّينَ، وقال أبو أُمامةَ: الغُدوُّ والرَّواحُ إلى هذه المساجدِ مِن

عن الرَّحمةِ. {وفي الحديثِ: زيارةُ المقبرةِ، وما يُقالُ عندها. وفيه: حبُّ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم لأتْباعِه وشَوقُه إليهم. وفيه: فَضلُ الوُضوءِ. وفيه: بيانُ جَزاءِ التَّبديلِ والانحرافِ عن دِينِ اللهِ، وأنَّه سبَبٌ للإبعادِ عن حوض النبي صلَّى الله عليه وسلَّم يَومَ القِيامةِ}.

١٧٣ حديث صحيح: صحيح مسلم ٢٨٢ - ٦٦٦.

لمّا كانتِ الصَّلاةُ مِن أَفضلِ الأَعمالِ، كانَ للمَشْيِ لها فضلٌ عظيمٌ، ويَعظُم هذا الفضلُ إذا كانَ المَشْيِ في طهارةٍ، كما بيَّنَ هذا الحديثُ، حيثُ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن تَطهَّر في بيتِه» بأيِّ نوعٍ مِن أنواعِ الطَّهارَةِ، «ثمَّ مَشى إلى بيتٍ مِن بيوتِ اللهِ»، أي: خرَجَ قاصِدًا مَسجدًا مِن المَساجدِ، «ليَقضيَ فريضةً مِن فرائضِ اللهِ»، أي: ليُؤدِّي صلاةً مِن الصَّلواتِ التي فرَضَها اللهُ عزَّ وجلَّ كانتْ «خُطوَتاه»، مُثنّى خُطوة- بالضمِّ- وهي ما بَينَ القَدَمينِ، أو خَطْوة- بالفَتْح- واحدُ الخَطْو، وهو رفْعُ القدَمِ للسَّير، «إحداهُما تَحطُّ خطيئةً»، أي: تَمحو ذنبًا، وتَغفِرُ إثمًا، وتُكفِّرُ خَطيئةً «والأُخرى ترفَعُ درجةً»، أي: والخُطْوةُ الأُخرى تَستوجِبُ حسَنةً ترفَعُ منزلتَهُ العاليَةَ في الجنَّةِ. {وفي الحديثِ: فضْلُ السَّيرِ إلى المَسجْدِ لأداءِ المَكتوبَةِ}.

١٧٤ حــديثٌ حسنٌ: حسَّنَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح أبي داود ٥٥٨؛ أخرجه أبو داود (٥٥٨) واللفظ له، وأحمد (٢٢٣٠٤).

الجِهادِ في سَبيلِ اللهِ" [175].

١٣. المَوْطِنُ الثَّالِثَ عَشَرَ: **"التّقوى"** [176]: قَالَ اللَّهُ تَعَالى عَزَّ وَجَلَّ: {بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ

١٧٥ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ شعيب الأرنؤوط تخريج المسند ٢٢٣٠٤؛ أخرجه أبو داود (٥٥٨)، وأحمد (٢٢٣٠٤) واللفظ له.

يُرشِدُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم في هذا الحَديثِ إلى فَضلِ الذَّهابِ إلى المساجِدِ لأداءِ صَلاةِ الجَماعةِ، ويُبيِّنُ الثَّوابَ المُعَدَّ لِمَن اعتادَ الذَّهابَ إليها، فيُخبِرُ أبو أُمامةَ الباهِليُّ رضِيَ اللهُ عنه عن النَّبيّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قالَ: «مَن مَشى إلى صَلاةٍ مَكْتوبةٍ» خرَجَ من بَيتِهِ، أو سُوقِهِ، أو شُغلِهِ قاصِدًا صَلاةَ الفَريضةِ في المَسجِدِ، «وهو مُتطهِّرٌ» بالوُضوءِ أو الاغتِسالِ لِمَن عليه غُسلٌ، «كان له كأجْرِ الحاجّ المُحرِمِ»يَستوفي أجْرَ مَن قَدَّمَ حَجَّةً، وشُبِّه بالحاجّ المُحرِمِ لِكَونِ التَّطهُّرِ من الصَّلاةِ بمَنزِلةِ الإحْرامِ من الحجِّ؛ لعَدَمِ جَوازِهِما بدُونِهِما ثُمَّ إنَّ الحاجَّ إذا كان مُحرِمًا كان ثوابُهُ أتمَّ، فكذلِكَ الخارِجُ إلى الصَّلاةِ إذا كان مُتطهِّرًا كان ثوابُهُ أفضَلَ، «ومَن مَشى إلى سُبْحةِ الضُّحى» يُريدُ به صَلاة الضُّحى، وكُلُّ صَلاةٍ يَتطوَّعُ بها فهي تَسبيحٌ وسُبْحةٌ، «كان له كأجْرِ المُعتَمِرِ»، فيَسْتَوفي أجْرَ من قَدَّمَ عُمْرةً، «وصَلاةٌ على إثْرِ صَلاةٍ» وانتَظَرَ الصَّلاةَ بعدَ الصَّلاةِ حتى يؤديها، «لا لَغْوَ بيْنَهما» يعني لم يَشغَلْهُ شيءٌ من شَواغِلِ الدُّنيا عنها، بل يجتهِدُ في الذِّكرِ والدُّعاءِ، «كِتابٌ في عِلّيينَ»، أي: إنَّ مُداوَمةَ الصَّلاةِ بعدَ الصَّلاةِ من غَيرِ تَخلُّلِ ما يُنافيها من الباطِلِ، عمَلٌ مَكْتوبٌ تَصعَدُ به الملائِكةُ المُقرَّبونَ إلى عِلّيينَ لكَرامةِ المُؤمِنِ وعَمَلِهِ الصّالحِ، وإشارةٌ إلى رَفعِ دَرَجةِ الصَّلاةِ وقَبولها، وعِلّيونُ: عُلوٌّ في عُلوٍ مضاعف، كأنَّه لا نِهاية له. قال أبو أُمامةَ رضِيَ اللهُ عنه: «الغُدُوُّ والرَّواحُ إلى هذه المساجِدِ من الجِهادِ في سَبيلِ اللهِ»، والغُدُوُّ هو الوَقتُ بيْنَ صَلاةِ الصُّبحِ إلى شُروقِ الشَّمسِ، والرَّواحُ مِن زَوالِ الشَّمسِ إلى اللَّيلِ، والمَقْصودُ ليس هَذَينِ الوَقتَينِ بخُصوصِهِما، وإنَّما المَقْصودُ المُداوَمةُ على الذَّهابِ إلى المَسجِدِ، والمَعْنى: أنَّ مَنِ اعتادَ الذَّهابَ إلى المَساجِدِ؛ فإنَّ اللهَ تَعالى يَكتُبُ له بذلِكَ أجرَ المُجاهِدِ في سَبيلِ اللهِ تَعالى. {وفي الحَديثِ: حَثٌّ على شُهودِ الجَماعاتِ، والمُواظَبةِ على حُضورِ المَساجِدِ للصَّلواتِ}.

١٧٦ التقوى في اللّغة: الصيانة والحذر والحماية والحفظ. "لسان العرب".

وفي الشرع: "كمال توقي الإنسان عمّا يضره يوم القيامة، وذلك بفعل المأمورات وتجنب المحرمات والمنهيات" [غرائب القرآن؛ للنيسابوري]، وقيل: "التقوى أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تراه فإنه يراك" [وهذا تعريف الإحسان]، وقال علي رضي الله عنه: "التقوى ترك الإصرار على المعصية، وترك الاغترار بالطاعة" [تفسير الرازي]، وقال أيضاً: "الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل"، وقيل: "أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية" [المحرر الوجيز]، وقيل: "ألاّ يراك (الله) حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك" [روح المعاني للألوسي]، وقال ابن كثير رحمه الله: "وأصل التقوى التوقي ما يكره،

وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} [آل عمران: ٧٦] [١٧٧]، وقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالتقوى، فقال سبحانه وتَعَالى عَزَّ وَجَلَّ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعْ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً} [الأحزاب: ١]، كما أمر بها

لأن أصلها وقوى من الوقاية"، وقال طلق بن حبيب: إذا وقعت الفتنة فأطفئوها بالتقوى. قالوا: يا أبا علي: وما التقوى؟ قال: "أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله، على نور من الله، تخشى عقاب الله" [جامع العلوم وتصنيف ابن أبي شيبة]، وقال بعض السلف: "لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس" [تهذيب مدارج السالكين]، وقال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: "وقد قيل إنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل أبي بن كعب عن التقوى، فقال له: أما سلكت طريقاً ذا شوك. قال: بلى. قال: فما عملت. قال: شمرت واجتهدت. قال: فذلك التقوى، وقد أخذ هذا المعنى ابن المعتز فقال: خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى، واصنع كماشٍ فوق أرض الشوك يحذر ما يرى، لا تحقرن صغيرة إنّ الجبال من الحصى"، وقال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: "عن عبد الله -هو ابن مسعود- {اتقوا الله حق تقاته}، قال: أن يُطاع فلا يُعصى، وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر"، وحقيقة التقوى فعل المأمورات واجتناب المنهيات، فالتقوى هي أن يجعل الإنسان بينه وبين عذاب الله وعقابه وقاية، وذلك بفعل المأمورات وترك المحظورات، فكل من فعل ما أمره الله به وانزجر عما نهاه الله عنه فقد اتقى ربه، والناس يتفاوتون في التقوى بحسب التزامهم بذلك، فكلما زاد إيمان الشخص زاد تقواه، وكلما ضعف إيمانه ضعف تقواه، والإيمان يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي. وقال الإمام ابن القيم في "الرسالة التبوكية" (ص١٥): حقيقة التقوى: العمل بطاعة الله إيمانًا واحتسابًا، أمرًا ونهيًا، فيفعل ما أمره الله به إيمانًا بالأمر وتصديقًا بوعده، ويترك ما نهى الله عنه إيمانًا بالنهي، وخوفًا من وعيده، ثم ذكر أثر طلق بن حبيب السابق، ثم قال: وهذا من أحسن ما قيل في حد التقوى. وقال الحافظ ابن رجب في "جامع العلوم والحكم"، تحت الحديث الثامن عشر: وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقايةً تَقيه منه. ونَقَلَ عن عمر بن عبد العزيز: أنه قال: ليس تقوى الله بصيام النهار، ولا بقيام الليل، والتخليط فيما بين ذلك، ولكن تقوى الله ترك ما حرَّم الله، وأداء ما افترض الله، فمن رزق بعد ذلك خيرًا، فهو خير إلى خير.

١٧٧ العهد يشمل العهد الذي بين العبد وبين ربه، وهو جميع ما أوجبه الله على العبد من حقه، ويشمل العهد الذي بينه وبين العباد، والتقوى تكون في هذا الموضع، ترجع إلى اتقاء المعاصي التي بين العبد وبين ربه، وبينه وبين الخلق، فمن كان كذلك فإنّه من المتقين الذين يحبهم الله تعالى، المتقين الذين أعدت لهم الجنة، وكانوا أفضل خلق الله وأجلهم. [تفسير السعدي؛ بتصرف].

المؤمنين خصوصاً، فقال سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢]، وقال سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً} [الأحزاب: ٧٠-٧١]، وقال سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [الحشر: ١٨]، وأمر الله جميع الخلق بتقواه، فقال تعالى: {وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ} [النساء: ١٣١]، وقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} [النساء: ١]، وأخبر سبحانه وتَعَالى عَزَّ وَجَلَّ أن التقوى هي خير الزاد للآخرة قال تعالى: {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى} [البقرة: ١٩٧]، والتقوى شأنها عظيم، ونفعها عميم، لها فضائل لا تحصى، وثمراتٌ لا تعد، ولها أهمية كبرى، وثمرات جليلة، وفضائل عظيمة، وأسرار بديعة، وهي طريق النجاة، وسلم الوصول، ومنهاجُ القاصدين، ومطية الصالحين في سيرهم إلى رب العالمين، ومما ورد في فضائل وثمار التقوى وآثارها [وهو غَيْضٌ من فيض ونقطةٌ من بحر]:

١. التقوى خير لباس يتزين به العبد؛ قال تعالى: {يَابَنِيَ آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلّهُمْ يَذّكّرُونَ} [الأعراف: ٢٦]. لباس التقوى العمل الصالح، وامتثال الأوامر واجتناب النواهي، أن يراك الله حيث أمرك ولا يراك حيث نهاك.
٢. المتقون هم أولياء الله؛ قال سبحانه وتعالى: {أَلآ إِنّ أَوْلِيَآءَ اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتّقُونَ} [يونس: ٦٢-٦٣]، وقال تعالى: {إِنّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ اللّهِ شَيْئاً وَإِنّ الظّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَاللّهُ وَلِيّ الْمُتّقِينَ} [الجاثية: ١٩]، فالمتقون هم أصحاب الولاية حقاً.

٣. الفوز بمعية الله تعالى، ومن كان معه الله فمن عليه؛ قال تعالى: {وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} [البقرة: ١٩٤]، وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} [النحل: ١٢٨].

٤. الفوز بمحبة الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ؛ قال تعالى: {بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} [آل عمران: ٧٦]، والآيةُ دليلٌ أوفى على أنّ التقوى من أسباب نيل حب الله تعالى، ووالله الذي لا إله غيرُه لو لم يكن للتقوى من الفضائل إلا نيل حب الله تعالى لكفى بذلك فضلاً وكفى بذلك فوزاً عظيما، لأنّ نيلَ حب الله تعالى "هو منتهى أملُ العبد وأقصى غايته وغايةُ النهاية"، "وأنت إذا نِلت حبَ الله تعالى فقد فُزْتَ بمعيةِ الله تعالى، ومن كان معه الله فمن عليه؟، وكانت جوارحك معصومةً من الزلل ومُوَفقَةٌ لصالح العمل، وأحبك أهل السماء وكنت مقبولاً بين الناس في الأرض"، و"إذا نِلت حب الله تعالى وفقك الله لفعلِ المأمور وترك المحظور وأن تتذكر البعث والنشور"، و"إذا نِلت حب الله تعالى جعلك تخشى الرحمن وتمثل القرآن وعصمك من العصيان والخذلان واستحواذ الشيطان"، و"إذا نِلت حب الله تعالى وفقك لحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وأن تذكر الموت والبلى فتستحي من الله حق الحياء" بفضل الله تعالى ، وتأمل في الحديثين الآتيين بعين البصيرة وأمْعِنِ النظر فيهما واجعل لهما من سمعك مسمعا وفي قلبك موقِعاً عسى الله أن ينفعك بما فيهما من غرر الفوائد، ودرر الفرائد: {فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:إِنَّ اللَّهَ قَالَ: "مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي

لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ" [178] }، إذا أحبك الله فزت بمعية الله تعالى فصارت أعضاءك معصومةً من الزلل موفقةً لصالح العمل، {وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ" [179] }.

١٧٨ حديث صحيح: صحيح البخاري ٦٥٠٢.

يَحكي أبو هُرَيرَة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ قال: مَن عادى؛ أي: آذى، لي وليًّا، وهو مَن يتولّى اللهُ سبحانه وتعالى أمْرَه ولا يَكِلُه إلى نفْسه لحظةً، بل يتولّى الحقُّ رعايتَه، أو هو الذي يتولّى عبادةَ الله وطاعته، فعباداته تَجري على التَّوالي من غير أنْ يتخلَّلها عصيان، فقد آذنتُه أي: أعلَمتُه بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضتُ عليه؛ أي: أوجبتُه عليه، وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنَّوافل مع الفرائض كالصَّلاة والصِّيام؛ حتى أُحبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعه الذي يَسمَع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطِش بها، ورِجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينَّه ما سأل، ولئنِ استعاذني لأُعيذنَّه ممّا يخاف، وما تردَّدتُ عن شيءٍ أنا فاعله تردُّدي عن نفْسِ المؤمن؛ وليس هذا التردد من أجل الشك في المصلحة، ولا من أجل الشك في القدرة على فعل الشيء، بل هو من أجل رحمة هذا العبد المؤمن، ولهذا قال في نفس الحديث: يكره الموت، وأكره إساءته، ولا بد له منه؛ يَكره الموت؛ لِما فيه من الألمِ العظيم، وأنا أكره مَساءَتَهُ؛ لِما يَلْقى المؤمن من الموتِ وصُعوبته. {في الحديث: النَّهي عن إيذاء أولياء الله. وفيه: التَّرغيب في حبِّ أولياء الرَّحمن، والاعتراف بفضلهم. وفيه: أنَّ أحبَّ الأعمالِ فِعلُ الفرائض، وأفضلُ القُرُبات بَعدَها فِعلُ النَّوافل}.

١٧٩ حديث صحيح متفق عليه: أخرجه البخاري ٦٠٤٠، ومسلم ١٥٧ - ٢٦٣٧، وفي رواية: "إذا أحَبَّ اللَّهُ العَبْدَ نادى جِبْرِيلَ: إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فأحْبِبْهُ، فيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فيُنادِي جِبْرِيلُ في أهْلِ السَّماءِ: إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فأحِبُّوهُ، فيُحِبُّهُ أهْلُ السَّماءِ، ثُمَّ يُوضَعُ له القَبُولُ في الأرْضِ" [حديث صحيح متفق عليه: صحيح البخاري ٣٢٠٩؛ أخرجه البخاري ٦٠٤٠، ومسلم ١٥٧ - ٢٦٣٧].

في هذا الحَديثِ بَيانُ فَضلِ تَحصيلِ مَحبَّةِ اللهِ تعالى وما يَترتَّبُ عليها مِنَ الجَزاءِ في الدُّنيا، فَضلًا على ما يَترتَّبُ عليها مِن نَعيمِ الآخِرةِ؛ فيُبيِّنُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أنَّه سُبحانَه وتعالى إذا أحَبَّ عَبدًا -بسَببِ طاعَتِه له- نادى الحَقُّ تَبارَكَ وتعالى جِبريلَ عليه السَّلامُ، وقال: إنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلانًا، فأحْبِبْه، فيُحِبُّه جِبريلُ، ثمَّ يُنادي

٥. التوفيق للعلم فالتقوى مِفتاح العلم؛ لقوله تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٨٢]، فيعلمكم الحلال والحرام ومصالحكم وحفظ أموالكم وما أمركم وما نهاكم عنه ويعلمكم كل ما تحتاجون إليه، ومن أسباب نقصان العلم ونقص الحفظ وذهاب المسائل وعدم انفتاح النفس للعلم وعدم الحماسة للعلم؛ المعاصي فهي تصد النفس عن العلم. ومن أسباب تحصيل العلم وانفتاح الذهن والقلب والحماس له؛ التقوى، فتقوى الله هي مِفتاحُ مغاليقِ القلوب والعقول، وتقوى الله وسيلةٌ إلى حصول العلم، قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: (إنما قَصر بنا عن علمٍ ما جهلنا؛ تقصيرُنا في العمل بما عَلِمنا. ولو عَمِلْنا ببعض ما عَلِمْنا؛ لأورثنا عِلْمًا لا تقوم به أبدانُنا، قال الله تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمْ اللَّهُ}) [180].

٦. الهداية للصواب والتفريق بين الحق والباطل؛ لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الأنفال: ٢٩]، أي: عِلْمًا تُفَرِّقون به بين الحقائقِ، والحقِّ والباطل [181]، فهذا وَعْدٌ من الله تعالى بأنَّ مَن اتَّقاه -بِفِعْلِ أوامرِه وترك زواجِرِه- جَعَلَ في قلبه نوراً يَفهم به ما يُلقى إليه، وجَعَلَ له فَيْصَلاً يَفْصِلُ به بين الحق والباطل، ووفَّقه

جِبريلُ في أهلِ السَّماءِ: إنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلانًا فأَحِبُّوه، فيُحِبُّه أهلُ السَّماءِ، والمُرادُ بأهلِ السَّماءِ المَلائِكةُ، ثمَّ يُوضَعُ له القَبولُ في الأرضِ عِندَ أكثَرِ مَن يَعرِفُه مِنَ المُؤمِنينَ، ويَبْقى له ذِكرٌ صالحٌ، ويُقالُ: مَعناه: يُلقي في قُلوبِ أهلِها مَحَبَّتَه مادِحينَ له، فتَميلُ إليه القُلوبُ وتَرضى عنه. وصِفةُ المَحبَّةِ ثابِتةٌ للهِ سُبحانَه على ظاهِرِها على ما يَليقُ بجَلالِ اللهِ سُبحانَه وتعالى، وحُبُّ جِبريلَ والمَلائكةِ يَحتَمِلُ وَجهَيْنِ؛ أحَدُهما: استِغفارُهم له، وثَناؤُهم عليه، ودُعاؤُهم، والوَجْهُ الآخَرُ: أنَّ مَحَبَّتَهم على ظاهِرِها المَعروفِ مِنَ المَخلوقينَ، وهو مَيلُ القَلبِ إليه، واشتياقُه إلى لِقائِه، وسَبَبُ حُبِّهم إيّاه كَونُه مُطيعًا للهِ تَعالى، مَحبوبًا منه.

١٨٠ تفسير القرطبي ١٣/ ٣٢٤.

١٨١ تفسير السعدي ص ٩٦١.

لمعرفة الحقِّ من الباطل، والهدى والضلال، والحلال والحرام، فكان ذلك سبب نَصره ونَجاته ومَخْرجه من أمور الدنيا، وسعادته يوم القيامة، وتَكْفير ذنوبه وسترها عن الناس؛ بل ينال المُتَّقي أجراً عظيماً، وثواباً جزيلاً. [١٨٢]

٧. تكفير الذنوب والسيئات، وزيادةِ الحسنات والمغفرة وتعظيم أجر المتقين؛ لقوله تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً} [الطلاق: ٥].

٨. المخرج من كل ضيق وكرب، والرزق من حيث لا يحتسب المتقي؛ قال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَمَن يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ} [الطلاق: ٢-٣]، فالله تعالى يَسُوق الرِّزقَ للمُتَّقِي من وجهٍ لا يحتسبه، ولا يشعر به.

٩. تيسير الأمور بتيسير الله الذي لا يُضَاهَى؛ لقوله تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً} [الطلاق: ٤].

١٠. التقوى سبب قبول العمل، الذي هو منتهى أمل العبد وأقصى غايتة وغاية النهاية؛ قال تعالى: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} [المائدة: ٢٧]، وهم الذين (يكون عملُهم خالِصاً لوجه الله، مُتَّبِعين فيه لِسُنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم) [١٨٣]. قال عامر: (لَحَرْفٌ في كتاب الله أُعْطاه أحبُّ إليَّ من الدنيا جميعاً. فقيل له: وما ذاك يا أبا عمرو؟ قال: أنْ يجعلني اللهُ من المتقين؛ فإنّه قال: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنْ الْمُتَّقِينَ}) [١٨٤]. وأمَّا غير المُتَّقين، فيُقال لهم: {أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ} [التوبة: ٥٣]، فما منا من أحدٍ إلا منتهى أمله وأقصى غايتة وغاية النهاية أن يتقبل الله عمله وأن لا يكون في

١٨٢ انظر: تفسير ابن كثير ٤/٤٣؛ تفسير السعدي ص ٣١٩.

١٨٣ تفسير السعدي ص ٢٢٨.

١٨٤ الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/١٠٦.

جملة من قال الله سبحانه وتعالى فيه: {وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَآءً مَّنثُوراً} [الفرقان: ٢٣]، وجَاءَ سَائِلٌ إِلَى ابْنِ عُمَرَ فَقَالَ لِابْنِهِ أَعْطِهِ دِينَارًا فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْكَ يَا أَبَتَاهُ فَقَالَ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ تَقَبَّلَ مِنِّي سَجْدَةً وَاحِدَةً أَوْ صَدَقَةَ دِرْهَمٍ وَاحِدٍ لَمْ يَكُنْ غَائِبٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الْمَوْتِ، أَتَدْرِي مِمَّنْ يَتَقَبَّلُ اللَّهُ {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}، وعن فضالة بن عبيد قال: لأن أكون أعلم أنّ الله قد تقبل مني مثقال حبة من خردل أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها؛ لأنّ الله يقول: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}.

١١. التقوى وِقايةٌ من الذنوب، وسبب لحسن العاقبة والمآب، ومَنجاةٌ من المهالك ومن عذاب الدنيا والآخرة، وللحصول على المنزلة العالية يوم القيامة، ودخول الجنة؛ قال الله سبحانه وتعالى: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنْ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ} [سورة الأعراف: ٢٠١]، يُخبر تعالى عن عباده المتقين أنّهم إذا مسَّهم طائِفٌ من الشيطان بالوسوسةِ أو الهمّ بالمعصية أو ارتكابِها؛ تذكَّروا عِقابَ الله، وجزيلَ ثوابه، فتابوا وأنابوا، واستعاذوا بالله تعالى، ورجعوا إليه من قريب، {فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ} أي: قد استقاموا، وصَحَوا ممَّا كانوا فيه [١٨٥]، وقال تعالى: {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [القصص: ٨٣]، وقال تعالى: {وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ} [ص: ٤٩]، وقال سبحانه وتعالى عزّ وجلّ: {وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يتَّقُونَ} [فصلت: ١٨]، وقال تعالى: {الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ} [الزخرف: ٦٧]، وقال تعالى: {ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً} [مريم: ٧٢]، فإذا (مَرَّ الخلائِقُ كلُّهم على النار، وسَقَطَ فيها مَنْ سَقَطَ من الكفار، والعُصاةِ ذوي المعاصي بِحَسَبِهم؛ نجّى اللهُ تعالى المؤمنين المُتَّقين

١٨٥ تفسير ابن كثير، (٣/ ٥٣٤).

منها بِحَسَبِ أعمالهم. فجَوَازُهم على الصِّراط وسرعتُهم بِقَدْرِ أعمالهم التي كانت في الدنيا) [186]، وقال تعالى: {وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى} [الليل: ١٧]، وقال تعالى: {زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ۘ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [البقرة: ٢٢٢]، وقال سبحانه وتعالى: {إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ} [سورة القلم: ٣٤]، وقال تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} [سورة آل عمران: ١٣٣]، وقال تعالى: {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ * وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوا بِمَفَازَتِهِمْ لاَ يَمَسُّهُمْ السُّوءُ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} [الزمر: ٦٠-٦١]. (لَمَّا ذَكَرَ حالةَ المُتكبِّرين، ذَكَرَ حالةَ المتقين، فقال: {وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ}، أي: بنجاتهم؛ وذلك لأنَّ معهم آلَةَ النجاة، وهي تقوى الله تعالى، التي هي العُدَّة عند كلِّ هولٍ وشدة) [187].

١٢. حصول الفلاح؛ لقوله تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [البقرة: ١٨٩].

١٣. الحصول على الهداية والانتفاع بالقرآن؛ قال سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} [البقرة: ٢].

١٤. الحفظ من الشيطان ووساوسه؛ قال سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ} [الأعراف: ٢٠١].

١٥. الحفظ من كيد الكفار؛ قال سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً} [آل عمران: ١٢٠].

١٦. انتفاء الخوف والحزن وزوالهما؛ قال سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {فَمَنِ اتَّقَىٰ

١٨٦ تفسير ابن كثير ٢٥٦/٥.

١٨٧ تفسير السعدي ص ٧٢٨.

وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [الأعراف: ٣٥].

١٧. التقوى سببٌ لِجَلْبِ بَرَكات السماء والأرض، والبركة تكثير القليل، الكثرة، الزيادة، الخير، العافية؛ قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ} [الأعراف: ٩٦]، أي: لو آمنوا بقلوبهم إيماناً صادِقاً صدَّقَتْه الأعمالُ، واتقوا اللهَ تعالى؛ لَفَتَحَ عليهم بركاتٍ السماء والأرض، فأرسلَ السماءَ عليهم مِدراراً، وأنبتَ لهم من الأرض ما به يعيشون، في أَخْصَبِ عَيشٍ وأغزَرِ رِزق.[١٨٨]

١٨. حفظ الأبناء من بعدهم؛ قال تعالى: {وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواّ اللّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً} [النساء: ٩]، فأرشد اللهُ الآباء الذين يخشون ترك ذرية ضعاف بالتقوى في سائر شؤونهم لكي يحفظ أبناءهم، ويغاثون بالرعاية الإلهية بل يحفظ فروع الفروع..!، قال تعالى: {وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً} [الكهف: ٨٢]، والأمر المهم هو: {وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً}.

١٩. التقوى نورٌ يُضيءُ الطريق؛ قال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الحديد: ٢٨]. قال ابن عثيمين رحمه الله: (وفي هذا دليلٌ على أن التقوى من أسباب حصول العلم، وما أكثر الذين يَنْشُدون العلم، وينشدون الحِفْظ، ويطلبون الفهم؛ فنقول: إنَّ تحصيله يسير، وذلك بتقوى الله عز وجل وتحقيقِ الإيمان، الذي هو مُوجِبُ العلم، فاعملْ بما عَلِمْتَ؛ يحصلْ لك عِلْمُ ما

---

١٨٨ انظر: تفسير السعدي ص ٢٩٨.

لم تعلم، فتقوى الله عز وجل من أسباب زيادة العلم ولا شك، ولهذا قال: {وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ} أي: تَسِيرون به، أي: بسببه سَيْراً صحيحاً، يوصِلُكم إلى الله عز وجل)[189].

٢٠. التقوى عُنوانُ الكرامة، وبالتقوى يُصبح المرءُ كريماً عند الله تعالى؛ قال سبحانه: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: ١٣]. فالمُتَّقون درجات، وعلى حسب تفاوتهم في التقوى؛ يتفاضلون في الكرامة عند الله تعالى. فأكرُمهم عند الله أشدُّهم اتِّقاءً له؛ بأداء الفرائض واجتناب المعاصي، والله عليمٌ بالمتقين، خبير بهم[190].

٢١. البشرى للمُتقين فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ؛ لقوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [يونس: ٦٣-٦٤].

٢٢. الشهادة لهم بالصدق؛ قال سبحانه وتعالى: {لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} [البقرة: ١٧٧].

٢٣. قبول الصدقة منهم؛ قال سبحانه وتعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} [المائدة: ٢٧].

---

١٨٩ تفسير ابن عثيمين ١٥/٥٥.

١٩٠ قوت القلوب، لأبي طالب المكي (٢/ ٨٣).

٢٤. التقوى خَيرُ زاد؛ قال تعالى: {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ} [البقرة: ١٩٧]. أمَرَ اللهُ تعالى بالتَّزود لسفر الحج، وأمَّا الزاد الحقيقي المستمر نفعُه لصاحبه في دنياه وأُخراه، فهو زاد التقوى، الذي هو زادٌ إلى دار المتقين الجنة، وهو المُوصِلُ لأكملِ لَذَّة، وأجلِّ نعيم، فهذا مدحٌ للتقوى [١٩١].

٢٥. تكريمُ الله تعالى للمتقين؛ قال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا} [مريم: ٨٥]. يَحشر اللهُ تعالى المتقين إلى موقف القيامة مُكَرَّمين، مُبَجَّلين مُعَظَّمين، وُفُوداً إليه، والوافِدُ لا بد أنْ يكون في قلبه من الرجاء، وحُسْنِ الظنِّ بالوافِدِ إليه ما هو معلوم. فالمُتَّقون يَفِدون إلى الرحمن، راجين منه رحمتَه، وعَظِيمَ إحسانه، والفوزَ بعطاياه في دار رضوانه، واثِقين بفضله سبحانه [١٩٢].

٢٦. الجنةُ دار المُتقين؛ فالقرآن مليءٌ بالآيات الدالة على أنَّ أهل الجنة هم أهلُ التُّقى؛ من مثل قوله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ} [النحل: ٣٠-٣١]؛ وقوله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ} [القمر: ٥٤-٥٥]، وقوله وتعالى عزَّ وجلَّ: {إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا} [النبأ: ٣١]، أي: إن للمتقين مَنجَى من النار إلى الجنة، ومخلصا منها لهم إليها، وظفرا بما طلبوا.

٢٧. عز الفوقية للمتقين على الخلق؛ قال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ۘ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [البقرة: ٢١٢]، أي: فوق الذين كفروا يوم

١٩١ تفسير السعدي ص ٩١.

١٩٢ تفسير السعدي ص ٥٠٠.

القيامة، بإدخال المتقين الجنة، وإدخال الذين كفروا النار، والله يعطي الذين اتقوا يوم القيامة من نعمه وكراماته وجزيل عطاياه، بغير محاسبة منه لهم على ما منّ به عليهم من كرامته.

٢٨. ومن شرف التقوى أن الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ أمر بالتعاون من أجلها؛ قال سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ} [المائدة: ٢].

اللهم آتِ نُفوسَنا تقواها، وزَكِّها أنتَ خيرُ مَنْ زكَّاها، أنتَ وليُّها ومَولاها.

١٤. المَوْطِنُ الرَّابِعَ عَشَرَ: **"التوكل على الله"**: قَالَ اللَّهُ سبحانه وتَعَالى عَزَّ وَجَلَّ: {فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: ١٥٩] [١٩٣]، والتوكل على الله من أهمّ أعمال القلوب، وهو من

---

١٩٣ إنّ التوكل على الله عبادةٌ أمر الله بها عباده المؤمنين، وحقيقته تكون بالثقة بما عند الله عز وجل وصدق الاعتماد عليه واللجوء إليه في جميع الأمور وترك الاختيار لله تبارك وتعالى؛ [فاختيار الله عز وجل وتدبيره للعبد أفضل من تدبير العبد لنفسه فهو الأعلم بمصلحته وأرحم به من نفسه وهو القادر على نفعه]، واليأس بما في أيدي الناس، والثقة بأنّ الله جالب المصالح ودافع المضارّ، وتحقيق التوكل لا ينافي الأخذ بالأسباب، فكما أنّ التوكل عبادةٌ فالأخذ بالأسباب عبادةٌ أيضاً، فالمسلم يأخذ بالأسباب التي قدرها الله تبارك وتعالى. قال سعيد بن جبير رحمه الله: "التوكل على الله نصف الإيمان". والتوكل عمل قلبي ليس من أعمال الجوارح قال الإمام أحمد رحمه الله: "التوكل عمل القلب". وقد أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين بالتوكل فقال: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ} [الشعراء: ٢١٧-٢١٩]، وقال تعالى: {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق: ٣]. وقد ورد في السنة الأمر بالتوكل وعظم منزلته، فقال صلى الله عليه وسلم: "لو أنَّكم كنتُم توَكلونَ على اللهِ حقَّ توَكلِه لرزقتُم كما يرزقُ الطَّيرُ تغدو خماصًا وتروحُ بطانًا" [حديث صحيح صححه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي ٢٣٤٤؛ أخرجه الترمذي (٢٣٤٤) واللفظ له، وابن ماجه (٤١٦٤)، وأحمد (٢٠٥)؛ فقد حَثَّ الشَّرعُ على التوكُّلِ على اللهِ تعالى والأَخْذِ بالأسبابِ، وأنْ يكونَ المسلِمُ مُستعينًا باللهِ تعالى معترِفًا بأنَّ اللهَ بيدِه كلُّ شيءٍ، وأنَّه هو الَّذي يقدِّرُ الأشياءَ. وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «لو أنَّكم كُنتم تَوكَّلون على اللهِ حقَّ توكُّلِه»، أي: لو حقَّقتُم معنى التَّوكُّلِ على اللهِ، واعتمَدتُم عليه بصِدقٍ، وأخَذتُم بما تيَسَّر لكم مِن أسبابٍ، وعَلِمتم أنَّ اللهَ بيَدِه العطاءُ والمنعُ، وأنَّ تكَسُّبَكم

العبادات التي يؤجَر عليها صاحبها، كما أنّه سببٌ في زيادة إيمان العبد، وهو صفةٌ من صفات المؤمنين؛ لقول الله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [الأنفال: ٢]، يقول سهل بن عبد الله: "من طعَن في الاكتساب، فقد طعَن في السُّنَّة، ومن طعَن في التوكل، فقد طعن في الإيمان"، ويقول ابن عباس: "التوكّل جماع الإيمان، والدليل على أهمّيّة التوكل على الله أن الله أمر به نبيّه والأنبياء من قبله"، وللتوكل على الله فضائل

وسعيَكم مِن أسبابِ اللهِ، وليسَت قوَّتُكم هي الرَّازِقةَ لكم، «لَرُزِقتُم»، أي: لرزَقَكم اللهُ ويسَّر لكم الأسبابَ، «كما يرزُقُ الطَّيرَ»، أي: كما يَأتي بالرِّزقِ إلى الطَّيرِ عندما «تَغدو»، أي: تذهَبُ بُكرةً في أوَّلِ نَهارِها، «خِماصًا»، أي: جِياعًا وبطونُها فارِغةٌ، «وتروحُ»، أي: وتأتي في آخِرِ النَّهارِ إلى بَياتِها «بِطانًا»، أي: وقد مُلِئَتْ بُطونُها بالطَّعامِ، وهذا نوعٌ مِن أنواعِ الأسبابِ في السَّعيِ لطلَبِ الرِّزقِ دون التَّواكُلِ والتَّكاسُلِ، والجلوسِ والزُّهدِ الكاذِبِ في الدُّنيا، لكنْ يَنبَغي على العبدِ الأخذُ بأسبابِ الرِّزقِ مع اليَقينِ في اللهِ وعدَمِ الانشغالِ بالدُّنيا عن الآخرَةِ.]، والتوكل على الله معناه في الأصل أن يفوض العبد أمره لله ويسلم حاله له وأن يعتمد على ربه في قضاءِ حاجته ويثق به. قال ابن عباس رضي الله عنهما: "التوكل هو الثقة بالله، وصدق التوكل أن تثق في الله وفيما عند الله، فإنه أعظم وأبقى ما لديك في دنياك". وقال الإمام أحمد رحمه الله: "وجملة التوكل تفويض الأمر إلى الله جل ثناؤه والثقة به". وقال ابن رجب رحمه الله: "هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها". ومن مقتضى التوكل وشرط صحته العمل بالأسباب النافعة المأذون بها شرعاً؛ لأن الشارع الحكيم ربط بين التوكل والعمل بالأسباب، فلا يُجزئ التوكل، ولا ينفع العبد إلا بالأخذ بالأسباب، ولا تنافي مطلقاً بين التوكل والعمل بالأسباب. قال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} [الملك:١٥]، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ} [النساء من الآية:٧١].

فحقيقة التوكل في المفهوم الشرعي إذن؛ اعتماد القلب على الله مع تعاطي الأسباب بالجوارح فهذان هما رُكنا التوكل لا يصح التوكل إلا بهما. أما الاعتماد على الله والإعراض عن الأسباب فقدح في الشرع ونقص في العقل وأما الاقتصار فقط على العمل بالأسباب دون الاعتماد على الله فشرك في الأسباب. قال ابن القيم رحمه الله: "فإن تركَها عجزاً ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصولِ ما ينفع العبد في دينه ودنياه ودفع ما يضرّه في دينه ودنياه ولا بد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب وإلا كان معطلاً للحكمة والشرع فلا يجعل العبد عجزه توكلاً ولا توكله عجزاً".

وثمرات عظيمة في الدنيا والآخرة لا يدركها إلا من فوض أمره لله سبحانه، ومن ثمرات وفضائل التوكل على الله [194]:

١. تحقيق الإيمان؛ قال الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ: {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [المائدة: ٢٣].

٢. كفاية الله المتوكل جميع شؤونه؛ لقول الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} [الزمر: ٣٦]، وقال سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق: ٣]، قال ابن القيم: "أي كافيه ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه ولا يضره إلا بأذى لا بد منه: كالحر والبرد والجوع والعطش وأما أن يضره بما يبلغ به مراده فلا يكون أبداً" [195].

٣. يورث محبة الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ للعبد؛ لقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: ١٥٩].

٤. يقوي العزيمة والثبات على الأمر؛ قال سبحانه وتعالى عزّ وجلّ: {فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} [آل عمران: ١٥٩]، وقال تعالى: {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [التوبة: ٥١]، وأورد ابن كثير في تفسيره: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا وقعتمْ في الأمرِ العظيمِ فقولوا: {حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}" [196].

٥. يقي من تسلُّط الشيطان؛ قال تعالى: {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [النحل: ٩٩]، وفي حديث: "إذا خرج الرجلُ من بيتِهِ فقال:

---

١٩٤ التوكل على الله؛ أ. د. سليمان بن قاسم بن محمد العيد [بتصرف].

١٩٥ المجموع القيم من كلام ابن القيم في الدعوة والتربية وأعمال القلوب؛ منصور بن محمد المقرن؛ ج١ ص ٣٣٥-٣٣٦.

١٩٦ حديث ضعيف جدا، ضعّفه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة ٧٠٠٢؛ أخرجه ابن مردويه كما في «تفسير القرآن» لابن كثير ١٧٠/٢.

بِسْمِ اللهِ، توكلتُ على اللهِ، لا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ. قال: يُقالُ حِينَئِذٍ: هُدِيتَ وكُفِيتَ ووُقِيتَ، فتَتَنَحّى له الشياطينُ، فيقولُ شيطانٌ آخَرُ: كيف لك برجلٍ قد هُدِيَ وكُفِيَ ووُقِيَ؟" [197].

٦. من أسباب دفع السحر والحسد والعين؛ قال تعالى: {وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ} [يوسف: ٦٧].

٧. يورث الرضا بالقضاء؛ قال ابن القيم: "فإنّه إذا توكل حق التوكل، رضِي بما يفعله وكيلُه".

٨. سبب في دخول الجنة بلا حساب ولا عذاب؛ لحديث ابن عباس في السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب [198].

---

١٩٧ حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود ٥٠٩٥؛ أخرجه أبو داود (٥٠٩٥) واللفظ له، والنسائي في «السنن الكبرى» (٩٩١٧) باختلاف يسير.

١٩٨ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: خَرَجَ عَلَيْنَا النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ: عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النبيُّ معهُ الرَّجُلُ، والنبيُّ معهُ الرَّجُلَانِ، والنبيُّ معهُ الرَّهْطُ، والنبيُّ ليسَ معهُ أحَدٌ، ورَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَرَجَوْتُ أنْ تَكُونَ أُمَّتِي، فقِيلَ: هذا مُوسَى وقَوْمُهُ، ثُمَّ قيلَ لِي: انْظُرْ، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فقِيلَ لِي: انْظُرْ هَكَذَا وهَكَذَا، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فقِيلَ: هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ، ومع هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بغيرِ حِسَابٍ فَتَفَرَّقَ النَّاسُ ولَمْ يُبَيَّنْ لهمْ، فَتَذَاكَرَ أَصْحَابُ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَقالوا: أَمَّا نَحْنُ فَوُلِدْنَا في الشِّرْكِ، ولَكِنَّا آمَنَّا باللَّهِ ورَسولِهِ، ولَكِنْ هَؤُلَاءِ هُمْ أَبْنَاؤُنَا، فَبَلَغَ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَقَالَ: هُمُ الَّذِينَ لا يَتَطَيَّرُونَ، ولَا يَسْتَرْقُونَ، ولَا يَكْتَوُونَ، وعلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ فَقَامَ عُكَّاشَةُ بنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا يا رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ: نَعَمْ فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا؟ فَقَالَ: سَبَقَكَ بهَا عُكَاشَةُ. [حديث صحيح؛ أخرجه البخاري؛ صحيح البخاري ٥٧٥٢]، وفي صحيح مسلم: "يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِن أُمَّتي سَبْعُونَ أَلْفًا بغيرِ حِسابٍ، قالوا: مَن هُمْ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: هُمُ الَّذِينَ لا يَسْتَرْقُونَ، ولا يَتَطَيَّرُونَ، ولا يَكْتَوُونَ، وعلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ". [حديث صحيح؛ أخرجه مسلم؛ صحيح مسلم ٢١٨].

يَحكي ابنُ عَبَّاس رضي اللَّه عنهما، أنَّهُ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم عُرِضَتْ عليه الأُمَمُ، فجعَلَ يَمُرُّ النَّبيُّ ومعه الرَّجُلُ، والنَّبيُّ ومعه الرَّجُلانِ، والنَّبيُّ ومعه "الرَّهطُ"، وهوَ ما دونُ العَشَرةِ مِن الرِّجالِ، والنَّبيُّ يَمُرُّ لَيسَ مَعَهُ أحَدٌ

٩. هم أول من يدخل الجنة؛ لحديث ابن عباس في السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نَحْنُ الآخِرُونَ الأوَّلُونَ يَومَ القِيامَةِ، ونَحْنُ أوَّلُ مَن يَدْخُلُ الجَنَّةَ، بَيْدَ أنَّهُمْ أُوتُوا الكِتابَ مِن قَبْلِنا، وأُوتِيناهُ مِن بَعْدِهِمْ، فاخْتَلَفُوا، فَهَدانا اللَّهُ لِما اخْتَلَفُوا فيه مِنَ الحَقِّ، فَهذا يَوْمُهُمُ الذي اخْتَلَفُوا فِيهِ، هَدانا اللَّهُ له، قالَ: يَوْمُ الجُمُعَةِ، فالْيَومَ لَنا، وغَدًا لِلْيَهُودِ، وبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصارى" [199]، وفي رواية: "نحن الآخِرونَ السّابِقونَ يومَ القيامةِ، أوَّلُ زُمرةٍ مِن أُمَّتي يَدخُلون الجنَّةَ سَبعونَ أَلْفًا لا حِسابَ عليهم، صورةُ كُلِّ رَجُلٍ منهم على صورةِ القَمرِ لَيلةَ البَدرِ، ثم الذين يَلونهم على أشَدِّ ضَوءِ كَوكَبٍ في السَّماءِ، ثم هم بَعدَ ذلك مَنازِلُ" [200].

مِمَّنْ أخبَرَهُم عن اللَّهِ؛ لِعَدَمِ إيمانِهِم. ثُمَّ رَأى صلَّى اللَّه عليه وسلَّم سَوادًا يَسُدُّ "الأُفُقَ" وَهيَ: نَواحي السَّماءِ والأرضِ، فَرَجا أنْ تَكونَ أُمَّتَه، فَقيلَ: هذا موسى وَقَومُه، ثُمَّ قيلَ له انظر فَرَأى سَوادًا كَثيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَقيلَ له: انظُر هَكَذا وَهَكَذا، فَنَظَرَ فَرَأى سَوادًا كَثيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَقيلَ له: هَؤُلاءِ أُمَّتُكَ الَّذينَ آمَنوا بِكَ، وَمَعَ هَؤُلاءِ سَبعونَ ألفًا يَدخُلونَ الجَنَّةَ بِغَيرِ حِساب، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ ولَم يُبَيِّن لهم صلَّى اللَّه عليه وسلَّم السَّبعونَ ألفًا، فَتَذاكَرَ أصحابُ النَّبيِّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم، فَقالوا: أمَّا نَحنُ فَوُلِدْنا في الشِّركِ، ولكِنَّا آمَنَّا بِاللَّهِ وَرَسولِهِ، وَلكِنْ هؤلاءِ هُم أبناؤُنا الَّذينَ وُلِدوا في الإسلامِ، فَبَلَغَ قَولُهُم النَّبيَّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم، فَقالَ الدَّاخِلونَ الجَنَّةَ بِغَيرِ حِسابٍ هُم الَّذينَ "لا يَتَطَيَّرونَ"، أي: لا يَتَشاءَمونَ، "وَلا يَكْتَوونَ"، أي: لا يَطلُبونَ مِن أحَدٍ أن يَكويَهُم إذا مَرِضوا، "وَلا يَسْتَرْقونَ"، أي: لا يَطلُبونَ مِن أحَدٍ أن يَقرَأَ عليهم؛ لِأَنَّهُم مُعتَمِدونَ عَلى اللَّهِ؛ ولأنَّ الطَّلَبَ فيه شَيءٌ مِن الذُّلِّ. وعلى رَبِّهِم يَتَوَكَّلونَ، أي: يُفَوِّضونَ أَمْرَهم إلَيه تعالى، في تَرتيبِ الأسبابِ عَلى المُسَبِّباتِ، أو يَتْرُكونَ ذلك مُطلَقًا على ظاهِرِ اللَّفظِ. فَقامَ عُكَّاشةُ بنُ مِحْصَنٍ فَقالَ: أَمِنهُم أنا يا رَسولُ اللَّهِ؟ قالَ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم: نَعَمْ، أنتَ مِنهُم، فَقامَ آخَر فَقالَ: أَمِنهُم أنا يا رَسول اللَّهِ؟ فَقالَ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم: سَبَقَك بِها عَكَّاشةُ. {في الحَديثِ: أنَّ تَرْكَ الرُّقيةِ والكَيِّ تَوَكُّلًا عَلى اللَّهِ تَعالى أفضَلُ مِن فِعْلِهما. وفيه: النَّهيُ عَن الطِّيَرةِ. وفيه: فَضيلةُ موسى عليه السَّلامُ وَقَومِه. وفيه: إخبارُهُ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم عَن الغَيبِيَّاتِ}.

١٩٩ حديث صحيح متفق عليه: أخرجه مسلم ٢٠ – ٨٥٥، والبخاري ٨٧٦.

٢٠٠ حديث صحيح: صححه الشيخ شعيب الأرنؤوط في تخريج المسند ١٠٥٤٨؛ أخــرجه البخاري (٣٣٢٧)، ومسلم (٢٨٣٤)، والترمذي (٢٥٣٧)، وابن ماجه (٤٣٣٣) مطولاً باختلاف يسير، وأحمد (١٠٥٤٨) واللفظ له.

١٠. دخول الجنة بوجوه مضيئة على صفة القمر؛ حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ علَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، والذينَ علَى إثْرِهِمْ كَأَشَدِّ كَوْكَبٍ إضَاءَةً، قُلُوبُهُمْ علَى قَلْبِ رَجُلٍ واحِدٍ، لا اخْتِلَافَ بيْنَهُمْ ولَا تَبَاغُضَ، لِكُلِّ امْرِئٍ منهمْ زَوْجَتَانِ، كُلُّ واحِدَةٍ منهما يُرَى مُخُّ سَاقِهَا مِن ورَاءِ لَحْمِهَا مِنَ الحُسْنِ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وعَشِيًّا، لا يَسْقَمُونَ، ولَا يَمْتَخِطُونَ، ولَا يَبْصُقُونَ، آنِيَتُهُمُ الذَّهَبُ والفِضَّةُ، وأَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، ووَقُودُ مَجَامِرِهِمُ الأُلُوَّةُ - قالَ أَبُو اليَمَانِ: يَعْنِي العُودَ-، ورَشْحُهُمُ المِسْكُ. [201]

٢٠١ حديث صحيح: أخرجه البخاري؛ صحيح البخاري ٣٢٤٦.
كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَصِفُ الجنَّةَ وما فيها مِن النَّعيمِ؛ حثًّا للنَّاسِ على الاجتهادِ في الطَّاعاتِ حتَّى يَنالوا الجنَّةَ، كما كان يُبيِّنُ أسبابَ الأسبقيَّةِ في دُخولِها. وفي هذا الحديثِ يَصِفُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أهلَ الجنَّةِ جَميعًا بالحُسنِ والجمالِ، وأنَّهم يَتفاوَتونَ في ذلك حسَبَ دَرَجاتِهم وأعمالِهم؛ فأوَّلُ طائفةٍ تَدخُلُ الجنَّةَ تكونُ كالقمَرِ لَيلةَ البدْرِ، وهي لَيلةُ الرَّابعَ عشَرَ حِين تكمُلُ استدارتُه، ويتِمُّ نُورُه، فيكونُ أكثرَ إشراقًا، وأعظَمَ حُسنًا وبَهاءً. وفي رِوايةٍ عندَ البُخاريِّ: «يَدخُلُ الجنَّةَ مِن أُمَّتي سَبْعون ألْفًا تَضِيءُ وُجوهُهم إضاءَةَ القمَرِ لَيلةَ البدْرِ». أمَّا الطَّائفةُ الثَّانيةُ فإنَّها تُشبِهُ في صُورتِها أقْوى الكواكبِ نُورًا وضِياءً، وقد ورَدَ في هذا المعْنى ما يَقْتضي ما هو أبلَغُ مِن ذلك؛ فروى التِّرمذيُّ مِن حَديثِ سَعْدِ بنِ أبي وقَّاصٍ رَضيَ اللهُ عنه مرفوعًا: «لو أنَّ رجُلًا مِن أهْلِ الجنَّةِ اطَّلَع، فبَدا أساورُه؛ لَطمَسَ ضَوءَ الشَّمسِ، كما تَطمِسُ الشَّمسُ ضَوءَ النُّجومِ». أمَّا صِفاتُهم النَّفسيَّةُ والخُلقيَّةُ، فهمْ كما وصَفَهم صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: على قَلْبِ رجُلٍ واحدٍ، أي: في غايةِ الاجتماعِ والاتِّفاقِ، حتَّى كأنَّ قُلوبَهم جميعًا قلْبٌ واحدٌ، لا اختِلافَ بيْنهم ولا تَباغُضَ؛ فإنَّ نُفوسَهم صافيةٌ نقيَّةٌ خاليةٌ مِن العَداوةِ والبَغضاءِ، عامرةٌ بالحُبِّ والمودَّةِ؛ لطَهارةِ قُلوبِهم عن الأخلاقِ الذَّميمةِ، وفي رِوايةِ مُسلمٍ: «ثمَّ هم بعْدَ ذلك مَنازِلُ»؛ أي: إنَّ دَرَجاتِهم في إشراقِ اللَّونِ مُتفاوِتةٌ بحَسبِ عُلوِّ دَرَجاتِهم، وتَفاوُتِ فضْلِهم. وأخبَرَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنَّ لكلِّ واحدٍ منهم زَوجتينِ، وفي الصَّحيحينِ: «أنَّهما مِن الحُورِ العِينِ»، وأنَّهما في غايةِ الحُسنِ والصَّفاءِ، حتَّى إنَّه يَرى الرَّائي مُخَّ ساقِها مِن وَراءِ اللَّحمِ؛ مِن الحُسنِ، فهي -لِصَفاء جَسدِها، ورِقَّة بَشَرَتِها- جِسمٌ شفَّافٌ يَكشِفُ عمَّا بداخِلِه، فيَرى النَّاظرُ إليها مُخَّ عِظامِ ساقِها مِن وَراءِ لَحمِها؛ قال تعالَى: {كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ} [الرحمن: ٥٨]. ثمَّ أخبَرَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنَّ أهْلَ الجنَّةِ يُسبِّحونَ اللهَ بُكرةً وعَشيًّا، أي: في أوَّلِ النَّهارِ وآخِرِه مُتلذِّذينَ بالتَّسبيحِ، والمرادُ أنَّهم يُسبِّحونَ في وقْتِهما؛ وإلَّا فلا بُكرةَ في الجنَّةِ ولا عَشيَّةَ، أمَّا

١١. الثبات على الحق؛ قال سبحانه وتعالى: {فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ} [النمل: ٧٩].

١٢. يطرد التطيُّر؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطيرة شرك". قال ابن مسعود: وَمَا مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ.[٢٠٢]

١٣. يورث الصبر والتحمل؛ قال سبحانه وتعالى: {الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [النحل: ٤٢]: ذكر وصف أوليائه فقال: {الَّذِينَ صَبَرُواْ} على أوامر الله وعن نواهيه، وعلى أقدار الله المؤلمة، وعلى الأذية فيه والمحن {وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} أي: يعتمدون عليه في تنفيذ محابّه، لا على أنفسهم. وبذلك تنجح

هذا التَّسبيحُ فإنَّه ليس عن تَكليفٍ؛ وإنَّما يُلهَمونَه كما يُلهَمونَ النَّفَسَ. ولا يَمرَضونَ فيها، ولا يَمْتخِطونَ ولا يَبصُقونَ؛ لأنَّ اللهَ طَهَّرَ أهلَ الجنَّةِ مِن هذه الأقذارِ، وبَعضُ آنِيَتِهم مِن فِضَّةٍ، وبَعضُها مِن ذَهَبٍ، وأمشاطُهم مِن الذَّهبِ الخالِصِ، ووَقُودُ مَجامِرِهم الأَلُوَّةُ؛ يعني أنَّ بَخُورَهم الَّذي تتَّقدُ به مَجامرُهم هو العُودُ الهِنديُّ، الَّذي هو مِن أطيبِ الطِّيبِ وأزكى البَخورِ، ورَشْحُهُمُ الَّذي يَعرَقونَه هو المِسْكُ، فالطَّعامُ الَّذي يَأكُلونه يَخرُجُ منهم عَرَقًا تَفوحُ منه رائحةٌ ذَكيَّةٌ كَرائحةِ المِسكِ، كما جاء في حَديثِ مُسلمٍ عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضيَ اللهُ عنهما، قال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «يَأكُلُ أهلُ الجنَّةِ فيها ويَشرَبون، ولا يَتغوَّطون ولا يَتمخَّطون ولا يَبولونَ، ولكنْ طَعامُهم ذلك جُشاءٌ كرَشْحِ المِسكِ». (وفي الحديثِ: أنَّ أهْلَ الجنَّةِ يَتنعَّمون بكلِّ مَظاهرِ النَّعيمِ والتَّرَفِ. وفيه: أنَّ الجنَّةَ مُطهَّرةٌ عن الأقذارِ. وفيه: دَليلٌ على دُخولِ أهْلِ الجنَّةِ إليها جَماعةً بعْدَ جَماعةٍ، وقد صُرِّحَ به في قولِه تعالَى: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا} [الزمر: ٧٣]).

٢٠٢ حديث صحيح صححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب ٣٠٩٨؛ أخرجه أبو داود (٣٩١٠) واللفظ له، والترمذي (١٦١٤)، وابن ماجه (٣٥٣٨)، وأحمد (٣٦٨٧).

الطِّيَرةُ هي التشاؤُمُ بالشيءِ وقد ذكَرَها النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديثِ ثلاثًا مُحذِّرًا مِنها، فقال: «الطِّيَرةُ شِركٌ الطِّيَرةُ شِركٌ .. ثلاثًا»، وإنَّما كانتِ الطِّيَرةُ شِركًا؛ لأنَّها من أعمالِ أهلِ الشِّركِ، ولأنَّها سوءُ ظنٍّ في اللهِ عزَّ وجلَّ. وقولُه: (وما مِنّا إلّا)، أي: ما منّا أحدٌ إلّا يَعترِيه التطيُّرُ، ولكنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُذهب عنه هذا الفِعلَ الذي هو مِن شِيَمِ أهل الجاهليَّةِ بالتوكُّلِ على اللهِ وحْدَه، مع فِعلِ الأسبابِ ثم تَرْكِ الأمرِ للهِ سُبحانَه وهو يُقدِّره حيثُ شاءَ وكيفَما شاءَ. {وفي الحديثِ: الأمرُ بالتوكُّلِ على اللهِ وحدَه وتعلُّق القلبِ به سُبحانَه}.

أمورهم وتستقيم أحوالهم، فإن الصبر والتوكل ملاك الأمور كلها، فما فات أحدا شيء من الخير إلا لعدم صبره وبذل جهده فيما أريد منه، أو لعدم توكله واعتماده على الله [٢٠٣].

١٤. يورث النصر والتمكين؛ قال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [آل عمران: ١٦٠].

١٥. يُورث سعة الرزق؛ قال صلى الله عليه وسلم: "لو أنَّكم توَكَّلتم على اللهِ حقَّ توَكُّلِهِ، لرزقَكم كما يرزقُ الطَّيرَ، تغدو خماصًا، وتروحُ بطانًا" [٢٠٤]، وفي رواية: "لو أنَّكم كنتم توَكلونَ على اللهِ حقَّ توَكلِه لرزقتُم كما يرزقُ الطَّيرُ تغدو خماصًا وتروحُ بطانًا" [٢٠٥].

١٦. من أقوى الأسباب لدفع أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم، فمن تعرض للأذى والظلم

---

٢٠٣ تفسير السعدي.

٢٠٤ حديث صحيح صححه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه ٣٣٧٧؛ أخرجه الترمذي (٢٣٤٤) باختلاف يسير، وابن ماجه (٤١٦٤)، وأحمد (٣٧٠) واللفظ لهما.

٢٠٥ حديث صحيح صححه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي ٢٣٤٤؛ أخرجه الترمذي (٢٣٤٤) واللفظ له، وابن ماجه (٤١٦٤)، وأحمد (٢٠٥).

حَثَّ الشَّرعُ على التوكُّلِ على اللهِ تعالى والأخْذِ بالأسبابِ، وأنْ يكونَ المسلمُ مُستعينًا باللهِ تعالى معترِفًا بأنَّ اللهَ بيدِه كلُّ شيءٍ، وأنَّه هو الَّذي يقدِّرُ الأشياءَ. وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «لو أنَّكم كُنتم تَوَكَّلون على اللهِ حقَّ توكُّلِه»، أي: لو حقَّقتُم معنى التَّوكُّلِ على اللهِ، واعتمَدتُم عليه بصِدقٍ، وأخَذتُم بما تيَسَّر لكم مِن أسبابٍ، وعَلِمتم أنَّ اللهَ بيَدِه العطاءُ والمنعُ، وأنَّ تَكَسُّبَكم وسعيَكم مِن أسبابِ اللهِ، وليسَت قوَّتُكم هي الرَّازِقةَ لكم، «لَرُزِقتُم»، أي: لرزَقَكم اللهُ ويسَّر لكم الأسبابَ، «كما يرزُقُ الطَّيرَ»، أي: كما يَأتي بالرِّزقِ إلى الطَّيرِ عندما «تَغدو»، أي: تذهَبُ بُكرةً في أوَّلِ نَهارِها، «خِماصًا»، أي: جِياعًا وبطونُها فارِغةٌ، «وتروحُ»، أي: وتأتي في آخِرِ النَّهارِ إلى بَياتِها «بِطانًا»، أي: وقد مُلِئَتْ بُطونُها بالطَّعامِ، وهذا نوعٌ مِن أنواعِ الأسبابِ في السَّعيِ لطلَبِ الرِّزقِ دون التَّواكُلِ والتَّكاسُلِ، والجلوسِ والزُّهدِ الكاذِبِ في الدُّنيا، لكنْ يَنبَغي على العبدِ الأخذُ بأسبابِ الرِّزقِ مع اليَقينِ في اللهِ وعدَمِ الانشغالِ بالدُّنيا عن الآخرَةِ.

فلجأ إلى الله تعالى وقال: "حسبنا الله ونعم الوكيل"، أتاه العون من الله تعالى والنصر مهما طال زمن أو قصر وقد أرشدنا الله إلى الاعتصام به والتوكل عليه إذا ادلهمت علينا الخطوب وضاقت علينا الأمور وبين أنّ العاقبة للمتقين فقال تعالى: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ} [آل عمران: ١٧٣-١٧٤].

١٧. يطرد داء العُجب والكِبر؛ فالمتوكل على الله يتسم بسمت التواضع، وتبرز هذه السمة عنده نتيجة لتواضعه لله عزّ وجل بعبادته، وإطاعة أمره، ورؤية ما يراه الله، وليس ما تراه نفسه، لأنّ الباعث على طاعة الله عنده باعث المحبة لله عزّ وجلّ والثقة به، فتواضعه لله عزّ وجلّ تواضع اطمئنان وأمن، كما أنّه يتواضع للدين بقبوله بكل ما جاء به النبيّ صلى الله عليه وسلم قبول اطمئنان؛ علاوة على تواضعه لإخوانه المسلمين [٢٠٦].

١٨. من أقوى الأسباب في جلْب المنافع ودفع المضار؛ قال ابن رجب رحمه الله: "هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها" [٢٠٧]، قال الله تعالى: {فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ} [النمل: ٧٩]، قال السعدي: "أي: اعتمد على ربك في جلب المصالح ودفع المضار، وفي تبليغ الرسالة، وإقامة الدين، وجهاد الأعداء".

١٩. الثقة بالله، وعدم اليأس، والثبات على الحق، وصدق الجهاد، والإقدام على معالي الأمور، ويورث قوة القلب وشجاعته، وارتياحه وسكونه، وثباته وتحدّيه

---

٢٠٦ التوكل وعلاقته ببعض سمات الشخصية لدى طالبات الجامعة الإسلامية بغزة؛ رسالة ماجستير مقدمة من الطالبة: تغريد شريف نصر الداية؛ إشراف الدكتور: سامي أبو إسحاق؛ ص٧٢ [بتصرف].

٢٠٧ جامع العلوم والحكم ٣/٣٤٦.

للأعداء، ويورث الأمل وطُمَأنينة النفس والقوة الروحية؛ فالمتوكل على الله شجاع قوي بالله إن سُئِلَ عن علم صدع بالحق، ولم يخشَ إلا الله، وفوض أمره لله، وأيقن أنه لن يصيبه ضر إلا بأمر كتبه الله عليه، فلا يخاف الشيطان وأوليائه متأسِّياً بتوكل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كاده الكفار، ففي الحديث الصحيح عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ رضي الله عنهما قال: "حَسْبُنا اللَّهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ، قالَها إبْراهِيمُ عليه السَّلامُ حِينَ أُلْقِيَ في النّارِ، وقالَها مُحَمَّدٌ صلّى اللهُ عليه وسلَّم حِينَ قالوا: {إنَّ النّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فاخْشَوْهُمْ فَزادَهُمْ إيمانًا وَقالُوا حَسْبُنا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} [آل عمران: ١٧٣]" [٢٠٨]، وفي الحديث: "منْ سرَّهُ أنْ يكونَ أقوى الناسِ؛ فلْيتوكلْ على اللهِ" [٢٠٩].

١٥. المَوْطِنُ الخَامِسَ عَشَرَ: **"العدل والقسط"** [٢١٠]: قَالَ اللَّهُ سبحانه وتَعَالى عَزَّ وَجَلَّ:

---

٢٠٨ حديث صحيح: أخرجه البخاري؛ صحيح البخاري ٤٥٦٣.

مِن صِدقِ الإيمانِ أنْ يَتيقَّنَ المؤمنُ أنَّ اللهَ هوَ كافيه فيما أهمَّه وألَمَّ بِه، وأنَّه نِعْمَ الكافي لِذلكَ، ويَتمثَّلُ هذا في القَولِ بِصدقٍ: حَسبُنا اللهُ ونِعْمَ الوَكيلُ؛ فهوَ حَسبُنا وكافينا ونِعمَ المَولى ونِعمَ النَّصيرُ. وفي هذا الحَديثِ يَقولُ ابنُ عَبّاسٍ: «حَسبُنا اللَّهُ ونِعمَ الوَكيلُ»، أي: هوَ الكافي في الشُّؤونِ كُلِّها؛ فَما مِن سوءٍ إلّا هو قادرٌ على أنْ يُبعِدَه، وَما مِن خَيرٍ إلّا هوَ قادرٌ أنْ يُقرِّبَه. قالَها، أي: قال هذه الجملة «حَسبُنا اللَّهُ ونِعمَ الوَكيلُ» إبراهيمُ عليه السَّلامُ حينَ أُلْقيَ في النّارِ يَعني: عِندَما رَماهُ قَومُه في النّارِ بَعدَ أنْ حَطَّمَ أصنامَهُم، فَكانَتِ النّارُ بَردًا وسَلامًا عليه، وقالَها مُحَمَّدٌ صلّى اللهُ عليه وسلَّم حينَ قالوا: إنَّ النّاسَ قَد جَمعوا لَكُمْ فاخْشَوْهُمْ فَزادَهُم إيمانًا وَقالوا حَسبُنا اللَّهُ ونِعْم الوَكيلُ، وَكانَ ذَلكَ عَقِبَ غَزوَةِ أُحدٍ؛ حَيثُ قيلَ: إنَّ المُشركينَ سَيَرجِعونَ إليكُمْ لِيُكمِلوا حَربَهُم، فَقالَ النَّبيُّ صلّى اللهُ عليه وسلَّم: حَسبُنا اللهُ ونِعمَ الوَكيلُ، فَكفاهُ اللهُ ذَلكَ؛ فمَنِ انتَصَرَ بِاللهِ نَصرَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ، ومَن تَوكَّلَ على اللهِ فهوَ حَسبُه. {وفي الحديثِ: أهميَّةُ التوكُّلِ الصّادقِ على اللهِ تعالى، وحُسنِ اللُّجوءِ إليه وأنَّ فيه النجاة}.

٢٠٩ حديث ضعيف جداً: ضعّفه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة ٤٦٠٢.

٢١٠ معنى العدل لغةً: {العدل خلاف الجور، وهو القصد في الأمور، وما قام في النفوس أنه مستقيم، مِن عَدَلَ يَعْدِلُ فهو عادل من عُدولٍ وعَدْلٍ، يقال: عَدَلَ عليه في القضية فهو عادِلٌ. وبسط الوالي عَدْلَهُ [الصحاح في اللغة؛ للجوهري (١٧٦٠/٥)، لسان العرب؛ لابن منظور (٤٣٠/١١)، القاموس المحيط؛ للفيروزآبادي (ص١٠٣٠)،

{وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ} [الحجرات: ٩]، وقال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل: ٩٠]، وقال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} [النساء: ٥٨]، يقول ابن القيم: (إنّ الله سبحانه أرسل رسله وأنزل كتبه؛ ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به الأرض والسموات، فإذا ظهرت أمارات العدل، وأسفر وجهه بأي طريق كان؛ فثم شرع الله ودينه، والله سبحانه أعلم وأحكم وأعدل أن يخصَّ طرق العدل وأماراته وأعلامه بشيء، ثم ينفي ما هو أظهر منها وأقوى دلالة وأبين أمارة فلا يجعله منها، ولا يحكم عند وجودها وقيامها بموجبها، بل قد بيَّن سبحانه بما شرعه من الطرق أن مقصوده إقامة العدل بين عباده، وقيام الناس بالقسط، فأي طريق استخرج بها العدل والقسط فهي من الدين وليست مخالفة له) [٢١١]، وأرسل الله سبحانه وتعالى رسله وأنزل معهم ميزان العدل؛ ليقوم الناس بالقسط، وما ذلك إلا لأهميته، قال سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} [الحديد: ٢٥]،

المصباح المنير؛ للفيومي (٣٩٦/٢)]}، ومعنى العدل اصطلاحًا: {العدل هو: (أن تعطي من نفسك الواجب وتأخذه) [الأخلاق والسير؛ لابن حزم (ص ٨١)، وقيل هو: (عبارة عن الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب عما هو محظور دينًا) [التعريفات؛ للجرجاني (ص ١٤٧)]، وقيل هو: (استعمال الأمور في مواضعها، وأوقاتها، ووجوهها، ومقاديرها، من غير سرف، ولا تقصير، ولا تقديم، ولا تأخير) [تهذيب الأخلاق؛ المنسوب للجاحظ (ص ٢٨)]}.

الفرق بين العدل والقسط: {(القسط: هو العدل البيّن الظاهر، ومنه سمي المكيال قسطًا، والميزان قسطًا؛ لأنه يصور لك العدل في الوزن حتى تراه ظاهرًا، وقد يكون من العدل ما يخفى، ولهذا قلنا: إن القسط هو النصيب الذي بينت وجوهه، وتقسط القوم الشيء تقاسموا بالقسط) [الفروق اللغوية؛ لأبي هلال العسكري (ص ٤٢٨)]}.

٢١١ الطرق الحكمية ص ١٩.

وللعدل فضائل وثمرات وفوائد، منها:

١. بالعدل يستتب الأمن في البلاد، وتحصل الطمأنينة في النفوس، ويشعر الناس بالاستقرار، وبذلك يُقضى على المشكلات الاجتماعية والاضطرابات التي تحدث في الدول، بسبب الظلم.

٢. بالعدل يعم الخير في البلاد؛ فالعدل سبب في حصول الخير والبركة إذا كان منتشرًا بين الولاة، وبين أفراد المجتمع، يقول ابن الأزرق: "إنَّ نية الظلم كافية في نقص بركات العمارة فعن وهب بن منبه قال: إذا هم الولي بالعدل أدخل الله البركات في أهل مملكته حتى في الأسواق والأرزاق وإذا هم بالجور أدخل الله النقص في مملكته حتى في الأسواق والأرزاق" [٢١٢]، فقيام العدل في الأرض كالمطر الوابل، بل هو خير من خصب الزمان كما قيل، فمن كلامهم: "سلطان عادل خير من مطر وابل، وقالوا عدل السلطان خير من خصب الزمان، وفي بعض الحكم: ما أمحلت أرض سال عدل السلطان فيها ولا محيت بقعة فاء ظله عليها" [٢١٣].

٣. ظهور رجحان العقل به؛ قيل لبعضهم: مَن أرجح الملوك عقلًا، وأكملهم أدبًا وفضلًا؟ قال: من صحب أيامه بالعدل، وتحرَّز جهده من الجور، ولقي الناس بالمجاملة، وعاملهم بالمسألة، ولم يفارق السياسة، مع لين في الحكم، وصلابة في الحقِّ، فلا يأمن الجريء بطشه، ولا يخاف البريء سطوته [٢١٤].

٤. العدل أساس الدول والملك وبه دوامهما؛ فبالعدل يدوم الملك، ويستقر الحاكم في حكمه، و(في بعض الحِكم: أحقُّ الناس بدوام الملك وباتصال الولاية،

---

٢١٢ بدائع السلك؛ لابن الأزرق (٢٢٧/١).

٢١٣ بدائع السلك؛ لابن الأزرق (٢٣٢/١).

٢١٤ بدائع السلك؛ لابن الأزرق (٢٣١/١).

أقسطهم بالعدل في الرعية، وأخفهم عنها كلًّا ومؤونة، ومن أمثالهم: من جعل العدل عُدَّة طالت به المدة) [٢١٥].

٥. من قام بالعدل نال محبة الله سبحانه؛ قال تعالى: {وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الحجرات: ٩].

٦. بالعدل يحصل الوئام بين الحاكم والمحكوم.

٧. بالعدل يسود في المجتمع التعاون والتماسك.

٨. من قام بالعدل فإنّه ينال منزلة التقوى؛ قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المائدة: ٨]؛ أي: كلما حرصتم على العدل واجتهدتم في العمل به، كان ذلك أقرب لتقوى قلوبكم، فإن تم العدل كملت التقوى [٢١٦].

٩. المُقْسِطِونَ عِنْد الله عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزّ وَجَلّ؛ فعَنْ عَبْد الله بْنِ عَمْرو رَضيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: "إِنّ المُقْسِطِينَ عِنْد الله عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزّ وَجَلّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ

---

٢١٥ بدائع السلك؛ لابن الأزرق (٢٣١/١).

٢١٦ أي {يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ} بما أُمِرُوا بالإيمان به، قوموا بلازم إيمانكم، بأن تكونوا {قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ} بأن تنشط للقيام بالقسط حركاتكم الظاهرة والباطنة. وأن يكون ذلك القيام لله وحده، لا لغرض من الأغراض الدنيوية، وأن تكونوا قاصدين للقسط، الذي هو العدل، لا الإفراط ولا التفريط، في أقوالكم ولا أفعالكم، وقوموا بذلك على القريب والبعيد، والصديق والعدو. {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ} أي: لا يحملنكم بغض {قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُواْ} كما يفعله من لا عدل عنده ولا قسط، بل كما تشهدون لوليكم، فاشهدوا عليه، وكما تشهدون على عدوكم فاشهدوا له، ولو كان كافرا أو مبتدعا، فإنّه يجب العدل فيه، وقبول ما يأتي به من الحق، لأنه حق لا لأنه قاله، ولا يرد الحق لأجل قوله، فإنّ هذا ظلم للحق. {اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} أي: كلما حرصتم على العدل واجتهدتم في العمل به، كان ذلك أقرب لتقوى قلوبكم، فإن تم العدل كملت التقوى. {إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} فمجازيكم بأعمالكم، خيرها وشرها، صغيرها وكبيرها، جزاء عاجلا، وآجلا. [تفسير السعدي].

يَمِينٌ، الّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا" [٢١٧].

١٦. المَوْطِنُ السَّادِسَ عَشَرَ: **"حسن الخلق"** [٢١٨]: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

٢١٧ حديث صحيح؛ رواه مسلم: صحيح مسلم ١٨٢٧.

يُبيّن النبيُّ صلى الله عليه وسلم أنَّ العادِلِينَ في حُكمِهم وخِلافَتِهم في أَهليهم وفِيمَن ولّاهم اللهُ عليه؛ عند الله، مُقرَّبون إليه ومُكرَّمون لَدَيْهِ؛ مُرتَفِعون على مَنابِرَ (وهي الأماكِن العالِيَةُ الغالِيَةُ) مِن نُورٍ، أي: خُلِقَتْ مِن نُورٍ؛ عن يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وكِلْتا يَدَيْهِ سُبحانَه يَمِينٌ. وقد رَوى مُسلِم في صحيحِه من حديثِ عبدِ الله بنِ عُمَرَ رضي اللهُ عنه مرفوعًا: " يَطوِي الله عَزَّ وجَلَّ السَّمواتِ يومَ القيامةِ، ثُمَّ يَأخُذُهُنَّ بيدِه اليُمنى، ثُمَّ يقولُ: أنا المَلِكُ! أين الجبّارون؟ أين المتكبِّرون؟ ثُمَّ يَطوِي الأَرَضِينَ بشِمالِه، ثُمَّ يقول... "، فالله سُبحانَه تُوصَفُ يَداه باليَمِين والشِّمالِ مِن حيثُ الاسْمِ، كما في حديثِ ابنِ عُمَرَ، وكِلْتاهُما يَمِينٌ مُبارَكَةٌ مِن حيثُ الشَّرَفِ والفضلِ، كما في هذا الحديثِ. {في الحديثِ: فضلُ العَدْلِ في الأهلِ، وكذلك في الأولاد، وكذلك أيضًا في كلِّ مَن ولّاك الله عليه. وفيه: ثُبوتُ صِفَةِ اليَدَيْنِ لله عزَّ وجلَّ}.

٢١٨ معنى الأخلاق لغة: جمع خلق، والخُلُق -بضمّ اللام وسكونها- هو الدِّين والطبع والسجية والمروءة، وحقيقته أن صورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها [القاموس المحيط؛ للفيروزآبادي ص ٨٨١، لسان العرب؛ لابن منظور ٨٦/١٠]، وقال الرَّاغب: (والخَلْقُ والخُلْقُ في الأصل واحد... لكن خص الخَلْق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخص الخُلْق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة) [مفردات ألفاظ القرآن الكريم؛ للراغب الأصفهاني ص ٢٩٧].

معنى الأخلاق اصطلاحًا: عرَّف الجـــــرجـــاني الخلق بأنَّه: (عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورويَّة، فإن كان الصادر عنها الأفعال الحسنة كانت الهيئة خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي مصدر ذلك خلقًا سيئًا) [التعريفات؛ للجرجاني ص ١٠١]، وعرفه ابن مسكويه بقوله: (الخلق: حال للنفس، داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا رويَّة، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعيًّا من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب، ويهيج من أقل سبب، وكالإنسان الذي يجبن من أيسر شيء، أو كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه، أو يرتاع من خبر يسمعه، وكالذي يضحك ضحكًا مفرطًا من أدنى شيء يعجبه، وكالذي يغتمُّ ويحزن من أيسر شيء يناله. ومنها ما يكون مستفادًا بالعادة والتدرب، وربما كان مبدؤه بالرويَّة والفكر، ثم يستمر أولًا فأولًا، حتى يصير ملكة وخلقًا) [التعريفات؛ للجرجاني ص ١٠١]، وقد عرف بعض الباحثين الأخلاق في نظر الإسلام بأنّها عبارة عن (مجموعة المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني، التي يحددها الوحي، لتنظيم حياة الإنسان، وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه) [التربية

الأخلاقية الإسلامية؛ لمقداد يالجين (ص ٧٥) كما في ((نضرة النعيم)) لمجموعة باحثين (ص ٢٢)].

فالخُلق كما يقول أهل العلم: هو صورة الإنسان الباطنة؛ ومنها صورة حسنة ومنها صورة سيئة، ومنها ما بين ذلك، وهذا ما يعبر عنه بالخُلق، وكما يكون الخُلق طبيعة فإنه يكون كسبا، بمعنى أنّ الإنسان كما يكون مطبوعا على الخُلق الحسن الجميل قد يحصل على الخُلق عن طريق الكسب والمرونة، فالأخلاق الفاضلة تكون طبعا وتكون تطبعا، ولكن الطبع بلا شك أحسن من التطبع، لأنّ الخُلق إذا كان طبيعيا صار سجية للإنسان وطبيعة له لا يحتاج في ممارسته الى التكلف، ولا يحتاج في ممارسته الى التصنع، ولكن هذا فضل الله يؤتيه من يشاء، ومن حرم هذا "أي من حرم الخلق"، على سبيل الطبع فإنّه يمكنه أن يناله على سبيل التطبع وذلك بالمرونة والممارسة، وحُسْن الخُلق يكون: في معاملة الخالق {بتلقي اخبار الله تعالى عزّ وجلّ بالتصديق، وتلقي احكامه بالتنفيذ والتطبيق، وتلقي اقداره بالصبر والرضى}، وفي معاملة الخَلق {بكف الأذى، وبذل الندى، وطلاقة الوجه}. وقد روي عن السلف تفسير حسن الخلق، فعن الحسن قال: "حسن الخلق الكرم والبذلة والاحتمال"، وعن الشعبي قال: "حسن الخلق البذلة والعطية والبشر الحسن"، وعن عبد الله بن المبارك قال: "هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى"، وقال الإمام أحمد: "حسن الخلق أن لا تغضب ولا تحقد"، وعنه أنّه قال: "حسن الخلق أن تحتمل ما يكون من الناس"، وقال إسحاق بن راهويه: "هو بسط الوجه وأن لا تغضب"، ونحو ذلك قال محمد بن نصر، وقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: "حسن الخلق كظم الغيظ لله وإظهار الطلاقة والبشر إلا للمبتدع والفاجر، والعفو عن الزالين إلا تأديبا، وإقامة الحد، وكف الأذى عن كل مسلم ومعاهد إلا تغيير منكر وأخذا بمظلمة لمظلوم من غير تعد" [جامع العلوم والحكم؛ ابن رجب الحنبلي - ٣: ٥٤٣ - ٥٤٤؛ بتصرف]، وقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: "حَقِيقَةُ حُسْنِ الْخُلُقِ بَذْلُ الْمَعْرُوفِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَطَلَاقَةُ الْوَجْهِ"، وقال القاضي عياض: "هو مخالطة الناس بالجميل والبشر، والتودد لهم، والإشفاق عليهم، واحتمالهم، والحلم عنهم، والصبر عليهم في المكاره، وترك الكبر والاستطالة عليهم، ومجانبة الغلظ والغضب، والمؤاخذة"، وسئل بعض العلماء عن علامات حسن الخلق فقال: "هو أن يكون كثير الحياء قليل الأذى كثير الصلاح صدوق اللسان، قليل الكلام كثير العمل، قليل الزلل قليل الفضول، براً وصولاً وقوراً صبوراً شكوراً رضياً حكيماً رفيقاً عفيفاً شفيقاً، لا لعاناً ولا سباباً ولا نماماً ولا مغتاباً ولا عجولاً ولا حقوداً ولا بخيلاً ولا حسوداً، بشاشاً هشاشاً يحب في الله ويبغض في الله ويرضى في الله ويغضب في الله فهذا هو حسن الخلق"، وحُسن الخُلق يقوم على أربعة أركان، قال ابن القيم: "أولا: الصبر، ثانياً: العفة، ثالثاً: الشجاعة، ورابعاً: العدل، وأما الأخلاق السافلة فمجتمعة في أربعة أركان: الجهل، والظلم، والشهوة، والغضب".

ويقول السفاريني: "حسن الخلق القيام بحقوق المسلمين، وهي كثيرة منها: أن يحب لهم ما يحب لنفسه، وأن يتواضع لهم ولا يفخر عليهم ولا يختال، فإنّ الله لا يحب كل مختال فخور، ولا يتكبر ولا يعجب فإنّ ذلك من

"إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ الخُلُقِ دَرَجَاتِ قَائِمِ اللَّيْلِ وصَائِمِ النَّهَارِ" [٢١٩]، وصاحب الخلق الحسن من أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقربهم إليه مجلسا يوم القيامة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ مِن أحبِّكم إليَّ وأقربِكُم منِّي مجلسًا يومَ القيامةِ أحاسنَكُم أخلاقًا" [٢٢٠]، ومن فضائل وثمرات وفوائد الأخلاق الحسنة:

١. الأخلاق الحسنة من أسباب دخول الجنة؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا زعيمٌ ببيتٍ في رَبَضِ الجنَّةِ لمن تَرَكَ المِراءَ وإن كان مُحِقًّا، وببيتٍ في

عظائم الأمور، وأن يوقر الشيخ الكبير، ويرحم الطفل الصغير، ويعرف لكل ذي حق حقه مع طلاقة الوجه وحسن التلقي ودوام البشر ولين الجانب وحسن المصاحبة وسهولة الكلمة، مع إصلاح ذات بين إخوانه وتفقد أقرانه وإخوانه، وأن لا يسمع كلام الناس بعضهم في بعض وأن يبذل معروفه لهم لوجه الله لا لأجل غرض مع ستر عوراتهم وإقالة عثراتهم وإجابة دعواتهم، وأن يحلم عن من جهل عليه ويعفوا عن من ظلم" [غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب؛ محمد بن أحمد بن سالم السفاريني؛ ج١ / ٣٧٠].

وحسن الخلق يكون بمخالطة الناس، وبمعاملتهم بما تحب أن يعاملوك به مما هو مباح شرعا وفي حدود شريعة الله، وبأن تحمل نفسك وتكلفها على معاشرتهم بجميل المعاشرة، من طلاقة الوجه وسلامة الصدر والسماحة والحلم والصبر والصدق والرحمة والعفة والزهد والكيس والنشاط والمروءة والإخلاص والأناة والحياء والجود والكرم والشجاعة والعزيمة والثبات والعدل والإنصاف والبرّ والوفاء بالعهد والإيثار والشكر والأمانة والقناعة والاستقامة وكظم الغيظ والعفو والصفح والرفق والشفقة وخفض ولين الجانب والتواضع، وعدم ظن السوء بهم، والستر عليهم، وتنفيس كربهم، والتيسير عليهم، وإزالة الأذى عن طريقهم، والتواضع لهم، ومحبتهم، ودلالتهم على الخير، والدعاء لهم بظهر الغيب، وعيادة مريضهم، وكفالة يتيمهم، والتودد إلى كبيرهم وصغيرهم، والتلطف في سياستهم، وكف الأذى عنهم، وتحمّل أذاهم، ومقابلة الإساءة بالإحسان، وحِفظ حُقُوق الجَار والكفّ عن أذاه، وإصلاح ذات البين، وأن يملك نفسه عند الغضب، ونحو ذلك، ومن حسن الخُلق صلة الرحم، ومجاملة الزوجة والأهل ومعاشرتهم والتوسعة عليهم، والإحسان إلى البنات، وإلى أهل داره، وإلى الأقارب والأصحاب والأصدقاء بقدر ما يمكنه في حدود شريعة الله حتى يكون أحب الناس إليهم، ومن حسن الخُلق اِرْضَاء الزَّوجَةِ لِزَوجِهَا، ومن حسن الخُلق الرحمة بالحيوان. [انظر: سَنَابِلُ الْحَسَنَاتِ؛ الأَعْمَالُ ذَوَاتُ الأُجُورِ المُضَاعَفَاتِ: جاسم محمد عبد؛ ص ٥٧-٦٦، ٧٥، ٧٨، ٧٩].

٢١٩ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترغيب ٢٦٤٣.

٢٢٠ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترمذي ٢٠١٨.

وسطِ الجنةِ لمَن تركَ الكذبَ وإن كان مازحًا، وببيتٍ في أعلى الجنّةِ لمن حَسُنَ خُلُقُه" [٢٢١]، وسُئِلَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ عَن أَكثَرِ ما يُدخِلُ الناس النار؟ قال: "الفمُ والفَرْجُ". وسُئلَ عن أكثرِ ما يُدْخِلُ النّاسَ الجنَّةَ؟ قال: "تَقوى اللهِ، وحُسْنُ الخُلُقِ" [٢٢٢].

---

٢٢١ حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترغيب ٢٦٤٨ وصحيح أبي داود ٤٨٠٠.

حُسنُ الخلقِ يَرقى بِصاحِبه إلى أعلى المراتبِ في الدُّنيا والآخِرةِ، وفي هذا المعنى يقولُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «أنا زَعِيمٌ»، أي: ضامِنٌ وكفيلٌ، «بِبَيتٍ»، أي: قَصرٍ، «في رَبَضِ الجنَّةِ»، أي: نواحِيها وأطرافِها، «لِمَنْ تَرَكَ المِراءَ»، أي: الجِدالَ، «وإن كانَ مُحِقًّا»، أي: فِيما يقولُ؛ وهذا لِما فيهِ من الحِفاظِ على النفوسِ وما يَتسبَّبُ فيهِ المِراءُ من خِلافٍ وشَقٍّ للصفوفِ. «وبِبَيتٍ في وسطِ الجنَّةِ لِمَن تركَ الكذِبَ»، والكذبُ هو الإخْبارُ بِخلافِ الواقعِ، «وإنْ كانَ مازِحًا»، أي: هازِلًا لا يقصدُ الجِدَّ. «وبِبَيتٍ في أعلى الجنَّةِ»، وهي أعلى الدَّرَجاتِ، «لِمَن حسَّنَ خُلقه»، أي: للذي يُحسن خُلقَه مع اللهِ عزَّ وجلَّ بالرِّضا بقضاءِ اللهِ وقَدرِه، والصَّبرِ والحمدِ عندَ البَلاءِ، والشُّكرِ له عندَ النِّعمةِ والعطاءِ، ويكونُ حَسَنَ الخُلقِ مع الناسِ بكفِّ الأذى عنهم، وبَذْلِ العطاءِ لهم، وطلاقةِ الوَجهِ مع الصَّبرِ على آذاهم.

٢٢٢ حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترغيب ١٧٢٣؛ أخرجه الترمذي (٢٠٠٤)، وابن ماجه (٤٢٤٦)، وأحمد (٧٨٩٤) باختلاف يسير. وفي رواية: {سُئِلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ: ما أكثرُ ما يُدخلُ الناسَ الجنةَ؟ قال: "تقوى اللهِ، وحُسْنُ الخُلُقِ". قيل: ما أكثرُ ما يُدْخِلُ الناسَ النارَ؟ قال: "الأَجْوَفانِ: الفمُ والفرجُ". [حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الموارد ١٦١٥؛ أخرجه الترمذي (٢٠٠٤)، وابن ماجه (٤٢٤٦)، وأحمد (٩٠٨٥) باختلاف يسير]}، وفي رواية: {سُئِلَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ عن أَكْثرِ ما يُدخلُ النَّاسَ الجنَّةَ؟ فقالَ: "تَقوى اللَّهِ وحُسنُ الخلُقِ"، وسُئِلَ عن أَكْثرِ ما يُدخِلُ النَّاسَ النَّارَ، قالَ: "الفَمُ والفَرجُ". [حديثٌ إسناده حسنٌ: حَسَّنَ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ إسناده فِي صحيح الترمذي ٢٠٠٤؛ أخرجه الترمذي (٢٠٠٤) واللفظ له، وابن ماجه (٤٢٤٦)، وأحمد (٩٠٨٥)]}.

اهتمَّ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم اهتِمامًا شديدًا بتَعليمِ أُمَّتِه الأمورَ الَّتي تُقرِّبُ النَّاسَ مِن رَبِّهم عزَّ وجلَّ، وتُحسِّنُ عَلاقاتِهم بَعضِهم ببعضٍ، ووعَظَنا بذلك، وكان صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يَجمَعُ المواعِظَ البليغةَ في الكَلِماتِ القليلةِ. وفي هذا الحديثِ يقولُ أبو هُريرةَ رَضِي اللهُ عنه: "سُئِلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عن أكثرِ ما يُدخِلُ النَّاسَ الجنَّةَ؟"، أي: أكثرِ شيءٍ مِن الأقوالِ أو الأفعالِ أو الأحوالِ الَّتي تُقرِّبُ العبد إلى ربِّه عزَّ وجلَّ، وتَجعَلُه يَفوزُ بدُخولِ الجنَّةِ، "فقال"، أي: النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: "تَقْوى اللهِ"، أي: أكثَرُ شيءٍ يُقرِّبُ العبدَ

٢. الأخلاق الحسنة سبب في محبة الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ لعبده؛ وقد ذكر الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ محبته لمن يتخلق بالأخلاق الحسنة، والتي منها الصبر والإحسان والعدل وغير ذلك، فقد قال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [البقرة: ١٩٥]، وقال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} [آل عمران: ١٤٦]، وقال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِين} [المائدة: ٤٢]، وقال رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "أحَبُّ

مِن ربِّه عزَّ وجلَّ، ويَجعَلُه يَفوزُ بِرِضا اللهِ عزَّ وجلَّ، ويُدخِلُه الجَنَّةَ أن يتَّقِيَ اللهَ عزَّ وجلَّ في أقوالِه وأفعالِه وأحوالِه، والتَّقوى هي الخوفُ مِن اللهِ مع مُراقَبتِه جلَّ جلالُه، "وحُسنُ الخُلقِ"، أي: وأكثرُ شيءٍ أيضًا يُقرِّبُ العبدَ مِن ربِّه عزَّ وجلَّ ويَجعلُه يَفوزُ بِرِضا اللهِ عزَّ وجلَّ، ويُدخِلُه الجَنَّةَ بعدَ التَّقوى- أن يَكونَ حَسَنَ الخُلقِ، وأن يُعامِلَ النَّاسَ بخُلقٍ حسَنٍ؛ بحيثُ لا يُؤذِي أحَدًا بقولٍ أو فعلٍ، ولا يَنطِقُ إلَّا بما يُرضي اللهَ عزَّ وجلَّ، فيكونُ المعنى أنَّ أكثَرَ أسبابِ السَّعادةِ الأبَديَّةِ الجَمْعُ بينَ تَقْوى اللهِ وحُسنِ الخلقِ. "وسُئِل"، أي: النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم، "عن أكثَرِ ما يُدخِلُ النَّاسَ النَّارَ"، أي: أكثَرِ شيءٍ يَكونُ سببًا في دخولِ النَّارِ سواءٌ مِن الأقوالِ أو الأفعالِ أو الأحوالِ؟ "قال"، أي: النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم: "الفَمُ"؛ وذلك لأنَّه رُبَّما كان سَبيلًا لأكلِ الحرامِ، والنُّطقِ بالحرامِ، فيَكونُ فيه هلاكُ الإنسانِ، مع أنَّ الفمَ يُمكِنُ أن يَكونَ سَبيلًا إلى الجنَّةِ؛ لأنَّه مُشْتَمِلٌ عَلَى اللِّسَانِ، وَبه يتِمُّ حِفْظُ أَمْرِ الدِّينِ كُلِّه، وإذا أَكَل الحَلالَ فهذا رأسُ التَّقْوى، "والفَرْجُ"؛ وذلك لأنَّه ربَّما كان سبيلًا لارتِكابِ الفَواحِشِ، والوُقوعِ في المُحرَّماتِ، فكان مِن أكثَرِ الأشياءِ سببًا في هَلاكِ العبدِ، ودُخولِه النَّارَ، مع أنَّ صَوْنَه مِنْ أَعْظَمِ مَراتِبِ الدِّينِ كما قال تَعالى عن المفلِحين مِن المؤمِنين: {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ} [المؤمنون: ٥]، فيَصيرُ معنى هذا أنَّ أكثرَ أسبابِ الشَّقاوةِ السَّرمَديَّةِ الجَمْعُ بينَ عدَمِ حفظِ الفمِ وما فيه، وعدَمِ حِفظِ الفَرجِ عن الفواحشِ. وفي "تَقْوى اللهِ" إشارَةٌ إلى حُسْنِ المُعامَلَةِ معَ الخالِقِ بأنْ يَأتِيَ جَميعَ ما أَمَرهُ به، ويَنتهِيَ عَمَّا نَهى عنه، وفي "حُسْن الخُلُقِ" إشارَةٌ إلى حُسْنِ المُعامَلَةِ معَ الخَلْقِ، وهاتَانِ الخَصْلَتانِ مُوجِبَتانِ لِدُخولِ الجَنَّةِ، ونَقيضُهُما النَّارُ، فأَوقَعَ الفَمَ والفَرْجَ مُقابِلًا لَهُما. {وفي الحديثِ: اهتِمامُ الصَّحابةِ رضِيَ اللهُ عنهم بالسُّؤالِ عمَّا يُنجِّيهم في الدُّنيا والآخِرةِ. وفيه: الحثُّ على اتِّقاءِ اللهِ وتَحسينِ الخُلقِ؛ لأنَّهما من أسبابِ دُخولِ الجَنَّةِ. وفيه: التَّحذيرُ مِن خُطورةِ الفمِ والفرجِ؛ حيث إنَّهما من أسبابِ دُخولِ النَّارِ}.

عبادِ اللهِ إلى اللهِ أحسَنُهُمْ خُلُقًا" [٢٢٣].

٣. الأخلاق الحسنة من أسباب محبة الرسول صلى الله عليه وسلم لصاحبها؛ قال رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إنَّ مِن أحبِّكم إليَّ وأقربِكُمْ منّي مجلسًا يومَ القيامةِ أحاسنَكُمْ أخلاقًا، وإنَّ مِن أبغضِكُمْ إليَّ وأبعدِكُمْ منّي يومَ القيامةِ الثَّرثارونَ والمتشدِّقونَ والمتفَيهقونَ، قالوا: يا رسولَ اللَّهِ، قد علِمنا الثَّرثارينَ والمتشدِّقينَ فما المتفَيهقونَ؟ قالَ: المتكَبِّرونَ" [٢٢٤].

---

٢٢٣ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ١٧٩؛ أخرجه الطبراني (١٨٢/١) (٤٧٣)، والحاكم (٨٢١٤). وفي رواية: {كنا جلوسًا عند النَّبيّ صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ كأنما على رؤوسنا الطيرُ ما يتكلم منا مُتكلِّمٌ إذ جاءه أناسٌ فقالوا من أَحَبُّ عبادِ اللهِ إلى اللهِ تعالى قال: "أَحسنُهم خُلُقًا" [حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترغيب ٢٦٥٢؛ أخرجه ابن ماجه (٣٤٣٦)، وأحمد (١٨٤٥٤) باختلاف يسير مطولاً]}.

حُسنُ الخُلُقِ يَرْقى بِصاحِبِه إلى أعلى المراتِبِ في الدُّنيا والآخِرةِ، وفي هذا الحديثِ يَقولُ أُسامةُ بنُ شَريكٍ رَضيَ اللهُ عنه: «كُنّا جُلوسًا عِندَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، كأنَّما على رُؤوسِنا الطَّيرُ»، بمَعنى جَلَسْنا ساكِنينَ مُتأدِّبينَ مُتَواضِعينَ، بحيثُ يَكادُ يَقعُدُ الطَّيرُ على رُؤوسِنا مِنَ السَّكَنِ والطُّمأنينةِ التي كُنّا عليها، «ما يَتكَلَّمُ مِنّا مُتكَلِّمٌ، إذْ جاءَه أُناسٌ، فقالوا: مَن أحَبُّ عِبادِ اللهِ إلى اللهِ تَعالى؟»، وهذا سُؤالٌ عن أكثَرِ النّاسِ حُبًّا، أو أحَبِّ المَحبوبينَ الذين يُحِبُّهمُ اللهُ سُبحانَه أكثَرَ مِن غَيرِهم، «قالَ: أحسَنُهم خُلُقًا»، وهذه صِفةٌ لِلشَّخصِ الذي يُحِبُّه اللهُ، وهو الذي حَسُنَ خُلُقُه، سَواءٌ فيما بَينَه وبَينَ اللهِ، بأنْ يُلَبِّيَ كُلَّ أوامِرِه ونَواهيهِ، أو فيما بَينَه وبَينَ النّاسِ مع اختِلافِ طَبائِعِهم وما يَتحَمَّلُه مِنهم ممّا ثَقُلَ عليه مِن أخلاقِ غَيرِه، وخُصوصًا تِلكَ الصِّفاتِ التي رُبَّما يَتميَّزُ بها الإنسانُ عن غَيرِه؛ كالصَّبرِ عِندَ المَكارِه، وبَذلِ الخَيرِ فيهم؛ حتى يَكونَ مُفيدًا في المُحيطِ الذي يَعيشُ فيه، فحُسنُ الخُلُقِ ليس بأنْ يَكُفَّ أذاه عنِ النّاسِ فَقَطْ، بل يَسْعى لِدَفعِ الأذى الذي يَقَعُ عليهم مِن غَيرِه، وكَمالُ الإيمانِ يُوجِبُ حُسنَ الأخلاقِ مع كُلِّ الخَلقِ. وهذا ليس على الإطلاقِ، ولكِنَّه نَوعٌ مِنَ التَّفضيلاتِ التي ذَكَرَها النبيُّ صلى الله عليه وسلم في أحاديثَ مُتعَدِّدةٍ يَتناسَبُ كُلٌّ مِنها مع الحالِ والمَقامِ. وفي هذا الحديثِ: الحَضُّ على التَّحَلِّي بمَكارِمِ الأخلاقِ.

٢٢٤ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترمذي ٢٠١٨.

كان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أحسَنَ النّاسِ خُلقًا، وقد أمَر بحُسنِ الخُلقِ، وبَيَّن أنَّ صاحِبَ الخُلقِ الحَسنِ له فَضلٌ كبيرٌ، وأجرٌ عظيمٌ، وفي هذا الحديثِ يقولُ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لأصحابِه ولأُمَّتِه: «إنَّ مِن

٤. مكارم الأخلاق أثقل شيء في الميزان يوم القيامة؛ قال رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "ما من شيءٍ في المِيزانِ أَثْقلُ من حُسنِ الخُلُقِ" [٢٢٥].

أحَبِّكم»، أي: مِن أكثَرِ النّاسِ حُبًّا أو أحَبِّ المَحبوبين، «إليَّ» في الدُّنيا، «وأقرَبِكم منّي مَجلِسًا»، أي: منزِلةً، يومَ القِيامةِ أحاسِنَكم" جمعُ أحسَنَ، أي: أفضَلَكم وأجمَلَكم «أخلاقًا»، أي: أصحابَ الخُلُقِ الحسَنِ الجامِعِين للأخلاقِ الجَميلةِ الحسَنةِ بأنواعِها، «وإنَّ من أبغَضَكم إليَّ»، أي: أكثَرَ مَن أكرَهُهم مِن النّاسِ في الدُّنيا، «وأبعَدَكم منّي» مَجلِسًا ومَنزِلةً، «يومَ القيامةِ الثَّرثارون»، الَّذين يُكثِرون الكَلامَ ويتكَلَّفون فيه بغيرِ حقٍّ بالسَّجعِ والحَشْوِ وغيرِه، ويُرَدِّدونه كثيرًا، «والمتشدِّقون» الَّذين يتوسَّعون في الكلامِ، ويَلْوون ألسِنتَهم به، ويَفتخِرون به بغيرِ حقٍّ، وقيل: معناه: الَّذين يَستهزِئون بالناسِ بلَيِّ أشْداقِهم، والشِّدقُ هو جانِبُ الفمِ، «والمتفيهِقون»، مِن الفَهْقِ وهو الامتِلاءُ والاتِّساعُ، أي: الَّذين يتوسَّعون في الكلامِ ويَفتَحون به أفواهَهم وهذا لكِبْرِهم ورُعونتِهم، «قالوا»، أي: الحاضِرون مِن أصحابِ النَّبيّ صلى الله عليه وسلم للنَّبيّ صلى الله عليه وسلم: «يا رسولَ اللهِ، قد عَلِمْنا» وفَهِمنا مَعنى الثَّرثارينَ وأنَّهم هم الَّذين يُكثِرون الكلامَ ويتكَلَّفون فيه، ومعنى المتشدِّقين وأنَّهم هم الَّذين يتكلَّمون بمِلْءِ أشداقِهم تَفاصُحًا واستعظامًا لكلامِه، «فما» معنى «المتفيهِقون؟ قال» رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «المتكبِّرون» الَّذين يتَكبَّرون على النّاسِ بكَلامِهم وبالاستِعلاءِ عليهم بفَصاحتِهم في أقوالِهم وبيانِ عَظمتِهم في أفعالِهم. {وفي الحديثِ: بيانُ فضلِ الخُلقِ الحسَنِ. وفيه: التَّحذيرُ من التَّكلُّفِ في الكلامِ أو تَرديدِه والتَّفاخرِ به؛ لِيَميلَ بقلوبِ النّاسِ وأسماعِهم إليه. وفيه: أنَّ الشَّخصَ الواحِدَ قد يَجتمِعُ فيه المحبَّةُ والبُغضُ؛ فيَكونُ مَحبوبًا من وجهٍ، مبغوضًا من وجهٍ آخَرَ}.

٢٢٥ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ٥٧٢١؛ أخرجه أبو داود (٤٧٩٩)، وأحمد (٢٧٥١٧) باختلاف يسير، والترمذي (٢٠٠٢) مطولاً، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٠) واللفظ له. {وفي رواية: "ما مِن شيءٍ يوضَعُ في الميزانِ أثقلُ من حُسنِ الخلقِ، وإنَّ صاحبَ حُسنِ الخلقِ ليبلُغُ بِهِ درجةَ صاحبِ الصَّومِ والصَّلاةِ". [حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترمذي ٢٠٠٣؛ أخرجه أبو داود (٤٧٩٩)، وأحمد (٢٧٥١٧) مختصراً، والترمذي (٢٠٠٣) واللفظ له]}.

لحُسنِ الخُلُقِ أجرٌ كبيرٌ، وهو يرفَعُ صاحِبَه إلى أعلى الدَّرَجاتِ والمنازِلِ في الدُّنيا والآخِرةِ، وقد بعَث اللهُ تعالى نبيَّه صلى الله عليه وسلم هاديًا ومُبشِّرًا ونَذيرًا، ولِيُتمِّمَ مَكارِمَ الأخلاقِ. وفي هذا الحديثِ يَقولُ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «ما مِن شيءٍ»، أي: لا يُوجَدُ شَيءٌ مِن أفعالِ البِرّ والإحسانِ، «يُوضَعُ» بصِيغةِ المفعولِ، أي: يضَعُه اللهُ تَعالى أو يَأمُرُ الملائكةَ بوَضعِه، «في الميزانِ» وهو ميزانُ الأعمالِ يومَ القيامةِ، وهو ميزانٌ حقيقيٌّ له كِفَّتانِ حِسيَّتانِ، «أثقَلُ» في كِفَّةِ الحسَناتِ، «مِن حُسْنِ الخُلقِ»، أي: مِن ثَوابِ الأخلاقِ الحسَنةِ؛ لأنَّها سببُ كلِّ خيرٍ، وتؤدّي إلى المعامَلاتِ والأفعالِ الحسَنةِ معَ الغيرِ مِن الأقاربِ والأجانبِ، والأخلاقُ هي

٥. الأخلاق الحسنة تضاعف الأجر والثواب؛ قال رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إنَّ الرجلَ لَيُدرِكُ بحُسنِ خُلُقِه، درجاتِ قائمِ الليلِ صائمِ النَّهارِ" [٢٢٦]، وقال رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ المسلِمَ المسَدَّدَ لَيُدْرِكُ درجَةَ الصوّامِ القَوّامِ بآياتِ اللهِ، بِحُسْنِ خُلُقِهِ وكَرَمِ ضَرِيبَتِهِ [٢٢٧] " [٢٢٨].

أوصافُ الإنسانِ الَّتي يُعامِلُ بها غيرَه، «وإنَّ صاحِبَ حُسنِ الخلقِ لَيَبلُغُ به»، أي: يَصِلُ بحُسنِ خُلقِه «درَجةَ»، أي: مَنزِلةَ «صاحِبِ الصَّومِ والصَّلاةِ»، أي: المُكثِرِ مِن صيامِ النَّفْلِ وصلاةِ التَّطوُّعِ؛ وذلك لأنَّ صاحِبَ الخلقِ الحسَنِ لا يَحمِلُ غيرُه أثقالَه، ويتَحمَّلُ هو أثقالَ غيرِه وخُلقَهم. هذا وقد اختُلِفَ في كيفيَّةِ وَزنِ الأعمالِ ووَضعِها في الميزانِ؛ وأقربُ الأقوالِ: أنَّ الأعمالَ تُجسَّدُ ثمَّ تُوزَنُ، وقيل: إنَّ الأعمالَ بنَفسِها وقِيمتِها هي الَّتي تُوزَنُ، وقيل: إنَّما تُوزَنُ الصُّحفُ المدوَّنةُ فيها الأعمالُ، وقيل: إنَّ الذي يُوزَنُ هو العاملُ نفْسُه بمقدارِ إيمانِه وعَملِه، لا بضَخامةِ جِسمِه، وقيل: إنَّ كُلًّا مِن العامِلِ وعَمَلِه وصَحيفةِ عَمَلِه يُوزَنُ؛ جمعًا بين الأحاديثِ في ذلك، كما في حَديثِ البِطاقةِ، وكيفيَّةُ وزْنِ الأعمالِ تكونُ كيفَ شاءَ اللهُ سبحانَه وتعالى.

وفي الحديثِ: الحثُّ على حُسنِ الخُلقِ. وفيه: إثباتُ الميزانِ يومَ القيامةِ.

٢٢٦ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ١٦٢٠. {وفي رواية: "إن المؤمنَ لَيُدْرِكُ بحُسْنِ خُلُقِه درجةَ الصائمِ القائمِ". [حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح أبي داود ٤٧٩٨]}.

في هذا الحديثِ يقولُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم: إنّ المؤمِنَ لَيُدركُ بحُسنِ خُلقِه دَرجةَ الصّائمِ القائمِ؛ وذلك لأنَّ الذي يُحسِّن خُلقَه مع الناسِ مع اختِلافِ طَبائعِهم يُجاهِدُ نفوسًا كثيرةً، وذلك بكَفِّ الأذى عنهم، وبَذْلِ العَطاءِ لهم، وطلاقةِ الوَجهِ مع الصَّبرِ على آذاهم، والصائمُ القائمُ يُجاهِدُ نفسَه؛ لذلكَ يُدركُ المؤمنُ بحُسنِ خلُقِه دَرجةَ- أي: منزلةَ وثوابَ- الصائمِ، أي: المتطوّعِ بالصَّومِ بالنهارِ، القائمِ، أي: المتهجِّد بالليل؛ فالصّائمُ القائمُ عِندَه من التَّعبِ والمشقَّةِ لقيامِه الليلَ بصَلاةِ التطوُّعِ، بعدَ صِيامِه للنَّهار؛ فكونُ صاحِبِ حُسنِ الخُلقِ يكون في دَرجةِ هؤلاء إنَّما هو لمُجاهدتِه الناسَ بحُسنِ المعاملةِ فيهم وإنْ قَسَوْا عليه؛ فيكون الصبرُ مِفتاحَه فيهم.

وفي هذا الحديثِ: الحضُّ على العَملِ بمكارمِ الأخلاقِ وأحسنِها.

٢٢٧ ضريبته: طبيعته وسجيته.

٢٢٨ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ١٩٤٩.

حُسْنُ الخُلُقِ يرْقى بصاحِبِهِ إلى أعْلى المراتِبِ في الدُّنْيا والآخِرَةِ، كما يُبيِّن هذا الحديثُ، وفيه يقولُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «إنَّ المُسْلِمَ المُسدَّدَ»، والمرادُ بالمسدّدِ المُقتصِدُ والمُعْتدِلُ في أُمورِه، أو هو المُوفَّقُ الذي وفَّقه ربُّه لحُسْنِ الخُلُقِ، وطاعةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وطاعةِ رسولِهِ صلى الله عليه وسلم «لَيُدْرِكُ»، أي: يبْلُغُ، «دَرجة

٦. الأخلاق الحسنة من خير أعمال العباد؛ قال رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "عليْكَ بحسْنِ الخلُقِ، وطولِ الصمْتِ، فوالذي نَفْسِي بيدِهِ ما تَجَمَّلَ الخلائِقُ بِمِثْلِهِما" [٢٢٩]، وفي رواية: "عليك بحُسنِ الخُلقِ، وطولِ الصَّمتِ، فوالذي نفسي بيدِه ما عمِل الخلائقُ بمثلِهما" [٢٣٠].

٧. الأخلاق الحسنة تزيد في الأعمار وتُعَمِّر الديار؛ فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، قالت: قال رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "أنَّه مَن أُعطِيَ [حَظَّهُ مِنَ] الرِّفْقِ؛ فقد أُعْطِيَ حَظَّه مِن خَيرِ الدُّنيا والآخِرَةِ، وصِلَةُ الرَّحِمِ وحُسْنُ الجِوارِ- أو: حُسْنُ الخُلُقِ- يُعَمِّرانِ الدِّيارَ، ويَزِيدانِ في الأعمارِ" [٢٣١]، وفي رواية: "أنَّه مَن أُعطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفقِ، فقد أُعطِيَ حَظَّهُ مِن خَيْرِ الدُّنيا والآخِرَةِ. وصِلَةُ الرَّحِمِ، وحُسْنُ الخُلُقِ، وحُسْنُ الجِوارِ، يُعَمِّرُ الدِّيارَ، ويَزِيدانِ في الأعمارِ" [٢٣٢].

الصَّوَّامِ القَوّامِ بآياتِ اللهِ»، أي: مَن يُداوِمُ على صوْمِ النَّهارِ وقِيامِ اللَّيْلِ بالقُرْآنِ، وذلك «بحُسْنِ خُلُقِهِ وكَرَمِ ضَرِيبَتِهِ»، أي: أنَّ طبيعتَهُ كريمةٌ وسمحةٌ وسهلةٌ؛ والمعنى: أنَّ الذي يُحسِّن خُلُقَهُ مع الناسِ مع اختِلافِ طَبائعِهم يُجاهِدُ نفوسًا كثيرةً؛ وذلك بكَفِّ الأذى عنهم، وبَذْلِ العَطاءِ لهم، وطلاقةِ الوَجهِ مع الصَّبرِ على آذاهم، والصائمُ القائمُ يُجاهِدُ نفسَه؛ لذلكَ يُدرِكُ المؤمنُ بحُسْنِ خُلُقِه دَرجةَ -أي: منزلةَ وثوابَ- الصائمِ المتطوّعِ بالصَّومِ القائِمِ باللَّيْلِ؛ فالصّائمُ القائمُ عِندَه من التَّعبِ والمشقَّةِ لقيامِه الليلَ بصَلاةِ التطوُّعِ، بعدَ صِيامِه للنَّهار؛ فكونُ صاحِب حُسْنِ الخُلقِ في دَرجةِ هؤلاءِ إنَّما هو لمُجاهدتِه الناسَ بحُسنِ المعاملةِ فيهم، وإنْ قَسَوْا عليه؛ فيكون الصبرُ مِفتاحَه فيهم. {وفي هذا الحديثِ: الحَضُّ على العَملِ بمكارمِ الأخلاقِ وأحسنِها}.

٢٢٩ حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَهُ الشيخ الأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ٤٠٤٨.

٢٣٠ حديثٌ حسنٌ لشواهده: حَسَّنَهُ الشيخ الأَلْبَانِيُّ لشواهده فِي السلسلة الصحيحة ١٩٣٨؛ أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٥٥٤)، وابن أبي عاصم في «الزهد» (٢)، وأبو يعلى (٣٢٩٨).

٢٣١ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترغيب ٢٥٢٤.

٢٣٢ حديثٌ إسناده صحيحٌ: صَحَّحَ الشيخ الأَلْبَانِيُّ إسناده فِي السلسلة الصحيحة ٥١٩.

الرِّفقُ واللِّينُ في الأمرِ كلِّه مِن الخيرِ العَظيمِ، وعاقِبتُه جميلةٌ ومحمودةٌ، وبه يُدركُ الإنسانُ ما لا يُدرِكُه بالشِّدَّةِ. وفي هذا الحديثِ يقولُ الرَّسولُ صلى الله عليه وسلم: «إنَّه مَن أُعطِيَ حظَّه مِن الرِّفقِ»، أي: نَصيبَه مِن اللُّطفِ واللِّينِ والسَّماحَةِ في تَعامُلِه مع النّاسِ، «فقد أُعطِيَ حظَّه مِن خيرِ الدُّنيا والآخرةِ»، أي: الرِّفقُ خيرٌ

٨. الأخلاق الحسنة علامة على كمال الإيمان؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خُلُقًا، وخيارُكم خيارُكم لنسائِهم" [٢٣٣]، وفي حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه، قال: أتيتُ رسولَ اللَّهِ

كلِّه؛ فإنَّ العبْدَ يَرفُقُ بالنّاسِ في الدُّنيا، فيَرفُقُ اللهُ به في الآخرةِ جزاءً وِفاقًا، «ومَن حُرِمَ حظَّهَ مِن الرِّفقِ»، أي: مُنِعَ نَصيبَه مِن اللُّطفِ واللِّينِ والسَّماحَةِ في تَعامُلِه مع النّاسِ، «فقد حُرِمَ حظَّه مِن الخيرِ»؛ فبِهِ تُدرَكُ الدُّنيا والآخرةُ، وبِفَوتِه يَفوتانِ؛ لأنَّ عَكْسَه العُنفُ، وهو أمرٌ غيرُ محمودٍ، ولا يَحصُلُ به خيرٌ في الدُّنيا ولا في الآخرةِ، فمَن أعطاهُ اللهُ الرِّفقَ، فَلْيَحمَدِ اللهَ على ما أعطاهُ مِن الخيرِ؛ إذ بالرِّفقِ يَنالُ مَطالِبَ الدِّينِ والدُّنيا، «وصِلَةُ الرَّحِمِ» بالبِرِّ والإحسانِ إلى الأهْلِ والأقاربِ، «وحُسنُ الخُلقِ»، أي: ومُعامَلةُ الخلْقِ بأفضلِ الأخلاقِ، «وحُسنُ الجِوارِ»، أي: بمَنْعِ الأذى عن الجارِ وإيصالِ النَّفعِ إليه، «يُعمِّرانِ الدِّيارَ»، أي: بالبركةِ والخيرِ، «ويَزيدانِ في الأعمارِ» بالبركةِ فيها؛ بحيث يُوفِّقُه اللهُ لعمَلِ الخيرِ الكثيرِ والطّاعاتِ ذاتِ الفضْلِ العظيمِ، أو الزِّيادةُ حقيقيةٌ بتَطويلِ العُمرِ، وظاهرُ الحديثِ يُعارِضُ قولَه تعالى: {فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ} [الأعراف: ٣٤]، والجمْعُ بيْنهما مِن وَجهينِ:

أحدِهما: أنَّ هذه الزِّيادةَ كِنايةٌ عن البركةِ في العُمرِ بسَببِ التَّوفيقِ إلى الطّاعةِ وعِمارةِ وقْتِه بما يَنفَعهُ في الآخرةِ، وصِيانتِه عن تَضْييعِه في غيرِ ذلك، وحاصِلُه: أنَّ هذه الأعمالَ الطَّيِّبةَ تكونُ سببًا للتَّوفيقِ للطّاعةِ والصِّيانةِ عن المعصيةِ، فيَبْقى بعْدَه الذِّكرُ الجميلُ، فكأنَّه لم يَمُتْ.

ثانيهما: أنَّ الزِّيادةَ على حَقيقتِها، وذلك بالنِّسبةِ إلى عِلْمِ المَلَكِ المُوكَّلِ بالعُمرِ، وأمّا الأوَّلُ الَّذي دلَّت عليه الآيةُ فبالنِّسبةِ إلى عِلْمِ اللهِ؛ كأنْ يُقالَ للمَلَكِ مثلًا: إنَّ عُمرَ فُلانٍ مِئةٌ إنْ وصَلَ رَحِمَه، وسِتُّونَ إنْ قطَعَها، وقد سبَقَ في عِلْمِ اللهِ أنَّه يَصِلُ أو يَقطَعُ؛ فالَّذي في عِلْمِ اللهِ لا يَتقدَّمُ ولا يتأخَّرُ، والَّذي في عِلْمِ المَلَكِ هو الَّذي يُمكِنُ فيه الزِّيادةُ والنَّقصُ، وإليه الإشارةُ بقولِه سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {يَمْحُو اللَّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ} [الرعد: ٣٩]. {وفي الحديثِ: الحثُّ على الرِّفقِ، وأنَّه أقصرُ الطُّرقِ للوُصولِ إلى الخيرِ. وفيه: بَيانُ الأثرِ العظيمِ للطّاعاتِ}.

٢٣٣ حديثٌ حسنٌ صحيحٌ: قال الشيخ الأَلْبَانِيُّ "حسنٌ صحيحٌ" فِي صحيح الترغيب ١٩٢٣ وصحيح الترمذي ١١٦٢؛ أخرجه أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢)، وأحمد (٢/ ٤٧٢) واللفظ له.

لقد حَثَّ الإسلامُ على التخلُّقِ بالأخلاقِ الحَسنةِ، ورفَع شأنَها، وبيَّن أهميتَها ومكانتَها العُظمى، وأيضًا حثَّ على العِشرةِ الطيّبةِ للأهلِ ومُعاملتِهم بالمعروفِ. وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «أكمَلُ المؤمنينَ إيمانًا»، أي: أكثرُهم اتِّصافًا بصِفاتِ الإيمانِ ومِن أكثرِهم تزوُّدًا مِن الطّاعاتِ، «أحسَنُهم خُلقًا»، أي: الَّذي

صلى الله عليه وسلم فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ! مَن معَكَ على هذا الأمرِ؟! قالَ: "حرٌّ وعبدٌ"، قُلتُ: ما الإسلامُ؟! قالَ: "طيبُ الكلامِ، وإطعامُ الطَّعامِ". قلتُ: ما الإيمانُ؟! قالَ: "الصَّبرُ والسَّماحَةُ". قالَ: قلتُ: أيُّ الإسلامِ أفضلُ؟! قالَ: "مَن سلِمَ المسلِمونَ مِن لسانِهِ ويدِهِ". قالَ: قلتُ: أيُّ الإيمانِ أفضلُ؟! قالَ: "خُلُقٌ حسنٌ"... [٢٣٤]، وفي رواية: أتيتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فقلتُ: يا رسولَ اللهِ من تَبِعك على هذا الأمرِ؟ قال: "حرٌّ وعبدٌ" قلتُ: ما الإسلامُ؟ قال: "طِيبُ الكلامِ وإطعامُ الطعامِ" قلتُ: ما الإيمانُ؟ قال: "الصبرُ والسماحةُ" قال: قلتُ: أيُّ الإسلامِ أفضلُ؟ قال: "من سلِم المسلمون من لسانِه ويدِه" قلتُ: أيُّ الإيمانِ أفضلُ؟ قال: "خُلُق حسنٌ" قال: قلتُ: أيُّ الصلاةِ أفضلُ؟ قال: "طولُ القنوتِ" قال: قلتُ: أيُّ الهجرةِ أفضلُ؟ قال: "أن تهجرَ ما كره ربُّك عزَّ وجلَّ" قال: قلتُ: فأيُّ الجهادِ أفضلُ؟ قال: "من عُقِر جوادُه وأُهريق دمُه" قال: قلتُ: أيُّ الساعاتِ أفضلُ؟ قال: "جوفُ الليلِ الآخِرِ" ... [٢٣٥].

١٧. المَوْطِنُ السَّابِعَ عَشَرَ: **"مَوَاطِنٌ مُتَفَرِّقَةٌ أُخْرَى"**: وهي في الغالب يمكن إدراجها ضمن

يَتَّثِلُ بالخُلُقِ الحسَنِ بينَ النّاسِ جميعًا، فيُحسِنُ خلُقَه مع اللهِ عزَّ وجلَّ بالرِّضا بقَضاءِ اللهِ وقدَرِه، والصَّبرِ والحمدِ في البلاءِ، والشُّكرِ عندَ النِّعمةِ، ويكونُ حَسَنَ الخُلقِ مع النّاسِ بكفِّ الأذى عنهم، وطَلاقةِ الوجهِ، والإحسانِ إليهم، وبَذْلِ العَطاءِ فيهم، مع الصَّبرِ على أذاهم؛ فكمالُ الإيمانِ يُوجِبُ حُسْنَ الخُلقِ، والإحسانَ إلى النّاسِ كافَّةً. «وخيارُكم»، أي: أفضَلُكم وأحسَنُكم، «خيارُكم لِنسائِهم»، وفي روايةِ الترمذيّ «ألطفُهم بأهْلِه»، أي: في حُسنِ خلُقِه معهنَّ في المعاملةِ والمعاشَرةِ، والمرادُ مِن النِّساءِ: أهلُه مِن النِّساءِ كزَوجتِه وبَناتِه وأخواتِه وقَريباتِه؛ لأنَّهنَّ مَحَلُّ الرَّحمةِ لضَعفِهنَّ. {وفي الحديثِ: الحثُّ والتَّرغيبُ في حُسنِ الخُلقِ. وفيه: الحثُّ والتَّرغيبُ في حُسنِ مُعاملةِ النِّساءِ. وفيه: إثباتُ أنَّ الإيمانَ يَزيدُ ويَنقُصُ}.

٢٣٤ حديثٌ إسناده ضعيفٌ: ضَعَّفَ الشيخ الأَلْبَانِيُّ إسناده فِي تخريج مشكاة المصابيح ٤٣؛ أخرجه أحمد (١٩٤٥٤)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٣٠٠) باختلاف يسير.

٢٣٥ حديثٌ إسناده ضعيفٌ: ضَعَّفَ الشيخ الأَلْبَانِيُّ إسناده فِي السلسلة الصحيحة ٩١/٢؛ أخرجه أحمد (١٩٤٥٤) واللفظ له، وعبد بن حميد في «مسنده» (٣٠٠) باختلاف يسير.

بعـض المَوَاطِـنِ السابقة؛ ولكن تم إدراجها وسـردها هنا بصـورة منفصـلة للفائدة، ومنها:

١. إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العَبْدَ التَّقِيَّ، الغَنِيَّ، الخَفِيَّ: عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قالَ: سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يقولُ: "إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العَبْدَ التَّقِيَّ، الغَنِيَّ، الخَفِيَّ" [٢٣٦].

٢. إنَّ اللهَ يُحِبُّ أنْ تُؤتى رُخَصُه، كما يُحِبُّ أنْ تُؤتى عزائمُه، وكما يكرهُ أن تُؤتى معصيتُه: قال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "إنَّ اللهَ يُحِبُّ أنْ تُؤتى رُخَصُه، كما يُحِبُّ أنْ تُؤتى عزائمُه" [٢٣٧]، وقال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "إن اللهَ

---

٢٣٦ حديث صحيح: رواه مسلم ١١ - ٢٩٦٥. {كانَ سَعْدُ بنُ أَبِي وَقّاصٍ في إبِلِهِ، فَجاءَهُ ابنُهُ عُمَرُ، فَلَمّا رَآهُ سَعْدٌ قالَ: أَعُوذُ باللَّهِ مِن شَرِّ هذا الرّاكِبِ، فَنَزَلَ فَقالَ له: أَنَزَلْتَ في إبِلِكَ وَغَنَمِكَ، وَتَرَكْتَ النّاسَ يَتَنازَعُونَ المُلْكَ بيْنَهُمْ؟ فَضَرَبَ سَعْدٌ في صَدْرِهِ، فَقالَ: اسْكُتْ، سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يقولُ: إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العَبْدَ التَّقِيَّ، الغَنِيَّ، الخَفِيَّ. [حديث صحيح؛ رواه مسلم ١١ - ٢٩٦٥].

في هَذا الحديثِ أنَّ سَعدَ بنَ أبي وَقّاصٍ كانَ في إبِلِه يَرعاها فَجاءَه ابنُه عُمرُ فلمّا رَآه سَعدُ، قال: أَعوذُ باللهِ مِن شَرِّ هَذا الرّاكبِ؛ حَذرًا إنْ كانَ آتيه بأَمرٍ فيه شرٌّ لَه. فقال له ابنُه: أَنَزَلْتَ في إبِلكَ وغنَمِك وتَركْتَ النّاسَ يَتنازَعون المُلكَ بَينَهم؟ فضَرَبَ سَعدٌ في صَدرِه وذَكَرَ لَه قَولَ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، فقال: سَمِعتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يَقولُ: (إنَّ اللهَ يُحبُّ العَبدَ التَّقيَّ الغنيَّ الخَفيَّ)، والتَّقيُّ هو الآتي بِما يَجبُ عَليه المُجتنِبُ لِما يَحرُمُ عليه، والغَنيُّ، أي: غَنيُّ النَّفسِ؛ فصاحِبُ القَناعةِ هُو الغَنيُّ ولَيس كَثيرَ المالِ؛ فإنَّ الغِنى غِنى النَّفْسِ والخَفيُّ، أي: الخامِلُ المُنقطِعُ إلى العِبادةِ والاشتِغالِ بأُمورِ نَفسِه، والإشارَةُ بالخَفيِّ إلى خُمولِ الذِّكْرِ والشُّهرةِ عندَ النّاسِ، فالغالِبُ عَلى الخاملِ السَّلامَةُ.

٢٣٧ حديـثٌ صـحيـحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الأَلْبَانِيُّ في أصل صفة الصلاة ٢/٥٢٣، وفي صحيح الترغيب ١٠٦٠. الدِّينُ يُسرٌ لا عُسرٌ، وقدْ أقرَّ اللهُ سُبحانه وتعالى أحكامًا مُؤكَّدةً، وأحَبَّ مِن عِبادِه أنْ يَفعلُوها، كما أنَّه سُبحانه خفَّفَ عنهم، ورفَعَ الحرَجَ في أوقاتِ الضِّيقِ والضَّرورةِ، واللهُ سُبحانَه يُحِبُّ مِن عِبادِه المؤمنينَ أنْ يأْخُذوا بِتَخفيفِه ورُخَصِه، وهذا الحديثُ يُوضِّحُ ذلك، حيثُ يقولُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: «إنَّ اللهَ يُحِبُّ أنْ تُؤتى رُخَصُه»، والرُّخَصُ هي التَّخفيفاتُ في الأحكامِ والعِباداتِ، والتسهيلُ فيها على المُكَلَّفِ لِعُذْرٍ، ومَحبَّةُ اللهِ لها؛ لِما فِيها مِن دَفْعِ التكبُّرِ والترفُّعِ عنِ استباحةِ ما أباحَهُ الشرعُ؛ فإنَّ مَن استكْبَرَ وأنِفَ ممّا أباحَهُ الشرعُ

يُحبُّ أن تُؤتى رُخصُه كما يكرهُ أن تُؤتى معصيتُه" [238].

٣. إنَّ اللهَ يحبُّ أن يُحلَفَ به: قال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "احلِفوا باللهِ وبَرُّوا واصدُقوا، فإنَّ اللهَ يحبُّ أن يُحلَفَ به" [239].

٤. إنَّ اللهَ كريمٌ يُحبُّ الكُرماءَ، جوادٌ يُحبُّ الجَوْدَةَ، يُحِبُّ مَعاليَ الأخلاقِ، ويَكرَهُ سَفْسافَها، ويحبُّ الجمالَ، ويحبُّ مَعاليَ الأمورِ، ويكرهُ سَفسافَها: قال رَسولُ

وترفَّعَ عنه، فسَدَ دِينُه، «كما يُحِبُّ أنْ تُؤتى عَزائمُه» والعزائمُ هي الأُمورُ واجبةُ الفِعلِ؛ لأنَّ أمْرَ اللهِ في الرُّخَصِ والعزائمِ واحدٌ، وهذا للتَّحذيرِ مِن التنطُّعِ في الدِّينِ، والأخذِ بالتَّشديدِ في جميعِ الأُمورِ؛ فإنَّ دِينَ اللهِ يُسرٌ. وفي هذا تَطييبٌ لِقُلوبِ الضُّعفاءِ الذين يأْخُذون بالرُّخَصِ لِعِلَّةٍ عِندَهم؛ حتى لا يَنتهيَ بهم ضَعفُهم إلى اليأْسِ والقُنوطِ مِن القُدرةِ على فِعْلِ العزائمِ، فيَتْرُكوا الـميسورَ مِن الخيرِ عليهم؛ لِعَجْزِهم عن الوصولِ لِـمُنتهى دَرجاتِ العزائمِ، وهذا الحديثُ يُوافِقُ قولَه تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [البقرة: ١٨٥]، وهذا في عامَّةِ أُمورِ الدِّينِ.

٢٣٨ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الأَلْبَانِيُّ فِي إرواء الغليل ٥٦٤.

الدِّينُ يُسرٌ لا عُسرٌ، وقد أقرَّ اللهُ سبحانَه وتعالى أحكامًا مُؤكَّدةً، وأحَبَّ مِن عِبادِه أنْ يَفعَلُوها، كما أنَّه سبحانَه خفَّفَ عنهم، ورفَعَ الحرَجَ في أوقاتِ الضِّيقِ والضَّرورةِ، واللهُ سبحانَه يُحِبُّ مِن عِبادِه المؤمنينَ أنْ يأْخُذوا بتَخفيفِه ورُخَصِه، وهذا الحديثُ يُوضِّحُ ذلك؛ حيثُ يقولُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: «إنَّ اللهَ يُحِبُّ أنْ تُؤتى رُخَصُه»، والرُّخَصُ هي التَّخفيفاتُ في الأحكامِ والعِباداتِ، والتسهيلُ فيها على الـمُكلَّفِ لِعُذْرٍ، ومَحبَّةُ اللهِ لها؛ لِما فيها مِن دَفْعِ التكبُّرِ والترفُّعِ عنِ استباحةِ ما أباحَهُ الشرعُ؛ فإنَّ مَن استكْبَرَ وأَنِفَ ممَّا أباحَهُ الشرعُ وترَفَّعَ عنه، فسَدَ دِينُه، والإتيانُ بالرُّخصةِ يَدفعُ عن النفسِ تكبُّرَها، ويَقهَرُها على قَبولِ ما جاءَ به الشرعُ؛ فإنَّه سُبحانَه يُحبُّ أنْ تُؤتى رُخَصُه «كما يَكرَهُ أنْ تُؤتى معصيتُه» بارتكابِ المحرَّماتِ؛ فإنَّه سبحانَه يُثيبُ على إتيانِ الرُّخصِ بشروطِها، كما يُعاقِبُ على ارتكابِ المعاصي. وفي هذا تطييبٌ لقُلوبِ الضُّعفاءِ الذين يأْخُذونَ بالرُّخصِ لِعِلَّةٍ عِندَهم؛ حتى لا ينتهيَ بهم ضعفُهم إلى اليأسِ والقنوطِ مِن القُدرةِ على فعلِ العزائمِ، فيترُكوا الميسورَ مِن الخيرِ عليهم لعجزِهم عن الوصولِ لمُنتهى درجاتِ العزائمِ، وهذا الحديثُ يُوافِقُ قولَه تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [البقرة: ١٨٥]، وهذا في عامَّةِ أمورِ الدِّينِ.

٢٣٩ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ٢١١؛ أخرجه الجرجاني في «تاريخ جرجان» (٥٩٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢٦٧/٧) واللفظ له، والديلمي في «الفردوس» (٣٣٣)، من حديث ابن عمر.

اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "إنَّ اللهَ يُحِبُّ مَعاليَ الأخلاقِ، ويَكرَهُ سَفْسافَها" [240]، وقال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "إنَّ اللهَ جميلٌ يحبُّ الجمالَ، ويحبُّ مَعاليَ الأمورِ، ويكرهُ سَفسافَها" [241]، وقال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "إنَّ اللهَ كريمٌ يُحبُّ الكُرَماءَ، جوادٌ يُحبُّ الجَوَدَةَ، يُحبُّ معاليَ الأخلاقِ، ويكرَهُ سَفْسافَها" [242]، وفي رواية: "إنَّ اللهَ كريمٌ يُحبُّ الكرمَ، يُحبُّ معاليَ الأخلاقِ،

---

٢٤٠ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ١٨٨٩.

٢٤١ حديثٌ إسناده لا بأس به في الشواهد: أخرجهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي السلسلة الصحيحة ١٦٧/٤، وقال عنه: إسناده لا بأس به في الشواهد.

أَرْشَدَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ أُمَّتَه إلى مَعالِي الأُمورِ في الأقوالِ والأفعالِ، وحذَّرَها مِن رَذائلِها، كما في هذا الحَديثِ، حيثُ يَقولُ: «إنَّ اللهَ جميلٌ»، أي: إنَّ اللهَ سُبحانه جَميلُ الذّاتِ والأفعالِ، وله صِفاتُ الجَمالِ والكَمالِ، «يُحِبُّ الجَمالَ»، أي: ويُحِبُّ مِن عِبادِه الاتِّصافَ بالجَمالِ في كلِّ شُؤونِهم، ويُحِبُّ أنْ يَرى أثَرَ نِعمتِه على عبْدِه مِن غَيرِ إسرافٍ ولا مَخيلةٍ، «ويُحِبُّ مَعاليَ الأُمورِ»، أي: يحبُّ الأمورَ عاليةَ الشأنِ ورفيعةَ القدْرِ التي ترفعَ قدْرَ صاحبِها، مِثلَ: عِزَّةِ الإيمانِ وقوَّتِه، والامتثالِ للهِ والرَّسولِ، «ويَكرَهُ سَفْسافَها»، أي: رَديئَها وحَقيرَها والتوافهَ التي تُنبئُ عن الخِسَّةِ والدناءةِ، وعدمِ المروءةِ، مِثلَ: الإصرارِ على الذُّنوبِ، والغِيبَةِ والنميمةِ، وتدَخُّلِ المرءِ فيما لا يَعنِيه. والاهتمامُ بالمَلبسِ، والمأكلِ، والمشرَبِ، وحُسْنِ المظهر في حُدودِ الشرعِ ليس مِن سَفْسافِ الأمورِ، لكن لا يَنبغي أنْ يكونَ ذلك أكبرَ همِّ المسلمِ، أو يَصِلَ به إلى حَدِّ التَّرفِ والإسرافِ، أو يكونَ على حِسابِ دِينه وأخلاقِه. {وفي الحديثِ: إثباتُ صِفةِ الحُبِّ للهِ سُبحانَه وصِفةِ الكُرهِ كذلِك. وفيه: الحَثُّ على الاتِّصافِ بالجَمالِ المادِّيِّ والمعنويِّ. وفيه: الإرشادُ إلى الحِرصِ على فِعْلِ معالي الأمورِ في الدِّينِ والحياةِ، والابتعادِ عن الأفعالِ الدَّنيئةِ}.

٢٤٢ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ١٨٠٠.

حَثَّ الإسلامُ على التَحَلّي بالصِّفاتِ الطَّيِّبةِ والجَميلةِ، التي يُحِبُّها اللهُ سُبحانَه ويَرضاها نَبيُّه صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ. وفي هذا الحَديثِ يَقولُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: «إنَّ اللهَ كَريمٌ»، والكَريمُ اسمٌ مِن أسماءِ اللهِ تَعالى الحُسنى، وهو يَتضَمَّنُ صِفَةَ الكَرَمُ على ما يليقُ بكَمالِ اللهِ تعالى، «يُحِبُّ الكُرَماءَ»، أي: يُحِبُّ عِبادَه الكُرَماءَ الذين يُكرِمونَ غَيرَهم مِن عِبادِ اللهِ، وهو سبحانَه «جَوادٌ»، أي: كَثيرُ الجُودِ والعَطاءِ لِعِبادِه؛ فيَفيضُ عليهم بالرَّحَماتِ والغُفرانِ والأرزاقِ، وغَيرِ ذلك مِنَ النِّعَمِ التي لا تُعَدُّ، «يُحِبُّ الجَوَدةَ»، وهم أصحابُ البَذلِ والإنفاقِ، والذين يَتَّصِفونَ بسُهولةِ البَذلِ والإنفاقِ وتَجَنُّبِ ما لا يُحمَدُ مِنَ الأخلاقِ، وفي ذلك دَلالةٌ على أنَّ اللهَ سَيُثيبُ

ويكرَهُ سَفْسافَها" [٢٤٣]، وفي رواية: "إنَّ اللهَ تعالى جَميلٌ يحبُّ الجَمالَ، ويحبُّ مَعالِي الأَخلاقِ، ويكرَهُ سَفسافَها" [٢٤٤]، وفي رواية: "إنَّ اللهَ تعالى جَوادٌ يحبُّ الجُودَ، ويحبُّ مَعالِي الأَخلاقِ، ويكرَهُ سَفسافَها" [٢٤٥]، وقال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "إنَّ اللهَ جميلٌ يحبُّ الجمالَ، ويحبُّ أن يَرى أثرَ نعمتِه على عَبدِه، ويُبغِضُ البؤسَ والتَّباؤسَ" [٢٤٦]، وقال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "لا يَدْخُلُ

أصحابَ تلك الصِّفاتِ بأفضَلَ ممّا أنفَقوا وبذَلوه لِغَيرِهم. ويُحِبُّ سُبحانَه وتعالى «معاليَ الأخلاقِ» وهي الأخلاقُ عاليةُ الشَّأنِ، ورَفيعةُ القَدْرِ التي تَرفَعُ قَدْرَ صاحِبِها، مِثلَ: عِزَّةِ الإيمانِ وقُوَّتِه، والامتِثالِ للهِ والرَّسولِ، «ويَكرَهُ سَفْسافَها» مِنَ الأخلاقِ رَديئَها وحَقيرَها، والتَّوافِهَ التي تُنبِئُ عن الخِسَّةِ والدَّناءةِ، وعَدَمِ المُروءةِ، مِثلَ: الإصرارِ على الذُّنوبِ، والغِيبةِ والنَّميمةِ، وتَدَخُّلِ المَرءِ فيما لا يَعنِيه. ولَيسَتْ صِفاتُ اللهِ كصِفاتِ الخَلقِ؛ فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ ليس كَمِثلِه شَيءٌ، وهو السَّميعُ البَصيرُ، ولكِنْ مَن تَخلَّقَ بِشَيءٍ مِن صِفاتِه ومَعاني أسمائِه الحُسْنى، كانَ مَحبوبًا له مُقَرَّبًا عِندَه. وفي الحَديثِ: إثباتُ صِفةِ المَحبَّةِ للهِ تَعالى، وبَيانُ بَعضِ أسبابِ نَيلِ مَحبَّتِه سُبحانَه.
وفيه: الإرشادُ إلى الحِرصِ على فِعلِ مَعالي الأُمورِ في الدِّينِ والحَياةِ، والابتِعادِ عنِ الأفعالِ الدَّنيئةِ.

٢٤٣ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ١٨٠١.

٢٤٤ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ١٧٤٣.

٢٤٥ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ١٧٤٤.

٢٤٦ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ١٧٤٢.

أرشدَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ أُمَّتَه إلى معالي الأُمورِ مِن الأقوالِ والأفعالِ، وحَذَّرَها مِن رَذائلِها، وشريعةُ الإسلامِ السَّمحةُ شَريعةُ الجَمالِ والتَّوازنِ في كُلِّ شَيءٍ. وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: «إنَّ اللهَ جَميلٌ»، أي: إنَّ اللهَ سُبحانه جَميلُ الذّاتِ والأفعالِ، وله صِفاتُ الجَمالِ والكَمالِ، «يُحِبُّ الجَمالَ»، أي: ويُحِبُّ مِن عِبادِه الاتِّصافَ بالجَمالِ في كُلِّ شُؤونِهم، «ويُحِبُّ أنْ يَرى أَثَرَ نِعمتِه على عبْدِه»، أي: إذا أعْطى اللهُ عبْدًا مِن عِبادِه نِعمةً مِن نِعَمِ الدُّنيا، فلْيُظهِرْها في نفْسِه، بأنْ يلْبَسَ لِباسًا يَليقُ بحالِه؛ لإظهارِ نِعَمِ اللهِ عليه، وليس للإسرافِ ولا المَخيلةِ. «ويُبغِضُ البُؤسَ»، أي: إظهارَ الذِّلَّةِ ورَثاثةِ الحالِ للنّاسِ، «والتَّباؤُسَ»، وهو إظهارُ الحاجةِ والتَّفاقُرِ على غَيرِ الحقيقةِ بإظهارِ التَّمسكُنِ والشِّكايةِ؛ لأنَّ ذلك يُؤدِّي إلى احتِقارِ النّاسِ له، وازدرائِهم إيّاهُ، وشَماتةِ أعدائِه، مع ما في ذلِكَ مِن كُفرانِ نِعمةِ اللهِ، وعدَمِ شُكرِها وأداءِ حَقِّها بإظهارِها على نَفْسِه؛ فإنَّ الاهتِمامَ بالمَلبَسِ والمأكلِ والمشْرَبِ، وحُسنِ المظهرِ في حُدودِ الشَّرعِ أمرٌ محمودٌ، وهو مِن الجَمالِ الذي يُحبُّه اللهُ سُبحانَه، مع مُراعاةِ ألّا يكونَ شَيءٌ من ذلك كلِّه على حِسابِ دِينِه وأخلاقِه؛

الجَنَّةَ مَن كانَ في قَلْبِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ مِن كِبْرٍ" قالَ رَجُلٌ: إنَّ الرَّجلَ يُحِبُّ أنْ يَكونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا ونَعْلُهُ حَسَنَةً، قالَ: "إنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمالَ، الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ، وغَمْطُ النّاسِ" [٢٤٧].

٥. **إنَّ اللَّهَ يُحبَّ أن يَرى أثرَ نعمتِه على عبدِه:** قال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "إنَّ اللَّهَ يُحبَّ أن يَرى أثرَ نعمتِه على عبدِه" [٢٤٨]، وقال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه

فإذا كان ذلك كذلك فإنَّ التباؤسَ بغيرِ حَقٍّ يُعدُّ قُبحًا في حقِّ المؤمنِ.

وفي الحديثِ: إثباتُ صِفةِ الجمالِ والمَحبَّةِ والبُغضِ للهِ عزَّ وجلَّ.

٢٤٧ حديثٌ صحيحٌ: صحيح مسلم ١٤٧ - ٩١.

الكِبرُ والتكبُّرُ والتعاظُمُ على النّاسِ مِن الصِّفاتِ التي تدُلُّ على فسادِ القُلوبِ، وفي هذا الحديثِ يُوضِّحُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ سُوءَ عاقِبةِ الكِبرِ، ويُصوِّبُ بعضَ المفاهيمِ عندَ الناسِ المتعلِّقةِ بحُسنِ الهَيئةِ، فيقولُ: «لا يدْخُل الجَنَّةَ مَن كانَ في قلبِه مِثْقالَ ذرَّةٍ مِن كِبرٍ»، أي: لا يُدخِلُ اللهُ أحدًا الجَنَّةَ وفي قَلبِهِ وَزنُ ذرَّةٍ مِن الكِبرِ، وهو التعاظُمُ والمُباهاةُ على الناسِ، والذَّرَّةُ هي الغُبارُ الدَّقيقُ الذي يظهرُ في الضَّوءِ، أو هي النَّمْلةُ الصَّغيرةُ، وهو يدُلُّ على أنَّ أقلَّ القليلِ مِن الكبرِ إذا وُجِدَ في القلبِ كانَ سببًا لعدَمِ دُخولِ الجنَّةِ. قالَ رجلٌ للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: «إنَّ الرجلَ يحبُّ أنْ يكونَ ثوبُهُ حَسنًا ونَعلُه حَسنةً»، أي: هلْ يُعدُّ حبُّ الإنسانِ أن يكونَ ذا هيئةٍ ومَظهرٍ حَسنٍ مِن الكِبرِ؟ فقالَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: «إنَّ اللهَ جَميلٌ يحِبُّ الجَمالَ»، أي: هذا مِن النَّظافةِ، والجَمالِ الذي يحبُّهُ اللهُ ولا يُبغِضُه ما دامَ لم يورِثْ في القلبِ ترفُّعًا على الناسِ، وإنَّما هو مِن بَيانِ نِعمةِ اللهِ عليهِ، ثمَّ قالَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ موضِّحًا: «الكِبرُ بَطَرُ الحقِّ وغَمْطُ الناسِ»، أي: مَعنى الكبرِ المقصودِ هوَ بَطرُ الحقِّ: أي رفْضُ الحقِّ والبعدُ عنهُ، وغَمْطُ الناسِ، أي: احتِقارُهم.

وفي الحديثِ: النهيُ عنِ التكبُّرِ والتعاظُمِ على الناسِ، والنهيُ عن رفَضِ الحقِّ والبُعدِ عنه.

٢٤٨ حديثٌ حسنٌ صحيحٌ: قال الشيخ الألْبَانِيُّ "حسنٌ صحيحٌ" في صحيح الترمذي ٢٨١٩.

خلَقَ اللهُ سُبحانَه الخَلْقَ وهيَّأَ لهم أسبابَ الحَياةِ والرِّزقِ من عندِه، وعلَّمنا النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ كيف نَشكُرُ نِعَمَ اللهِ تعالى وفضْلَه علينا؛ بأنْ نُظْهِرَ هذه النِّعمَ من بابِ الإقرارِ بها دُونَ رياءٍ، كما أمَرَنا بعدمِ البُخْلِ والشُّحِّ على النَّفْسِ. وفي هذا الحديثِ يقولُ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: «إنَّ اللهَ يحِبُّ أنْ يَرى أثَرَ نِعْمتِه على عبْدِه»، أي: يحِبُّ أنْ يُظهِرَ العبْدُ فضْلَ اللهِ عليه بما رزَقَه من مالٍ أو جاهٍ، بأنْ يلبَسَ ثِيابًا تليقُ بحالِه؛ من النَّفاسةِ والنَّظافةِ، مع مُراعاةِ القَصْدِ وترْكِ الإسرافِ، وهذا من بابِ شُكْرِه على نِعَمِه، والاستِعانةِ بها على طاعتِه، واتِّخاذِها طريقًا إلى جنَّتِه، وهذا أفضلُ من الزُّهدِ فيها، والتَّخلِّي عنها، ومُجانبةِ أسبابِها؛ فأمّا إنْ شغَلَتْه

وَسَلَّمَ: "كُلوا واشرَبوا وتَصدَّقوا والْبَسوا ما لم يخالِطْهُ إسرافٌ أو مَخيَلَةٌ"[٢٤٩].

٦. إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العُطاسَ: قال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العُطاسَ، ويَكْرَهُ التَّثاؤُبَ، فإذا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ، فَحَقٌّ على كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أنْ

عنِ اللهِ تعالى، فالزُّهدُ فيها أفضلُ، وإنْ لم تَشْغَلْه وكان شاكرًا للهِ فيها، فحالُه أفضلُ، ويَزهُد بتَرْكِ تَّعلُّقِ قلْبِه بها والطُّمأنينةِ إليها. وهذه الرِّوايةُ يوضِّحُها حديثٌ آخَرُ أخرَجَه ابنُ ماجه، وفيه: أنَّه صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ قال: «كُلوا واشْرَبوا وتصدَّقوا والْبَسوا، ما لم يُخالِطْه إسرافٌ أو مَخِيلةٌ»، أي: افْعَلوا كلَّ ذلك من أموالِكم، ولا حرَجَ عليكم فيما أباحه اللهُ عَزَّ وجَلَّ وفصَّلَته السُّنَّةُ النَّبويَّةُ، وهذا كما قال تعالى: {وَكُلُوا واشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأعراف: ٣١]، وقال سبحانه وتعالى: {والَّذِينَ إذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوامًا} [الفرقان: ٦٧]، وهو جامِعٌ لفَضائلِ تَدْبيرِ الإنسانِ لنفْسِه، وفيه تَدبيرُ مَصالحِ النَّفْسِ والجسَدِ في الدُّنيا والآخرةِ. {وفي الحديثِ: اتِّخاذُ نِعمةِ اللهِ طريقًا إلى شُكْرِه بإظهارِها. وفيه: بَيانُ سَعةِ الإسلامِ وتَيسيرِه على النّاسِ في المُباحاتِ، دونَ إفراطٍ مُخِلٍّ بالمالِ أو النَّفسِ، أو الدُّنيا والآخرةِ}.

٢٤٩ حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَهُ الشيخ الأَلْبَانِيُّ في صحيح ابن ماجه ٢٩٢٠؛ أخرجه النسائي (٢٥٥٩)، وابن ماجه (٣٦٠٥) واللفظ له، وأحمد (٦٦٩٥).

لقد نظَّم الشَّرعُ الحكيمُ أمورَ الناسِ كلَّها، وجاء بما فيه مَصلحتُهم، وأحَلَّ لهم الطَّيِّباتِ وحرَّم عليهم الخبائثَ، وأباح لهم التَّمتُّعَ بالحياةِ ومَلذّاتِها، لكنْ دونَ إفراطٍ أو نسيانٍ لحقوقِ اللهِ والعبادِ. ... وفي هذا الحديثِ يقولُ عبدُ اللهِ بنُ عمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللهُ عنهما: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: «كُلوا واشْرَبوا وتَصدَّقوا والْبَسوا»، أي: افعَلوا كلَّ ذلك مِن أموالِكم، ولا حرَجَ عليكم فيما أباحه اللهُ عزَّ وجلَّ وفصَّلَته السُّنَّةُ النَّبويَّةُ، «ما لم يُخالِطْه إسرافٌ»، وهو الإفراطُ ومُجاوَزةُ الحَدِّ، «أو مَخِيلةٌ» وهي: الزَّهْوُ والتَّكبُّرُ والإعجابُ بالفِعلِ أو النَّفسِ، وهذا الحديثُ مُوافِقٌ لمعنى قولِه سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَكُلُوا واشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأعراف: ٣١]، وقولِه سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {والَّذِينَ إذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوامًا} [الفرقان: ٦٧]، وهو جامِعٌ لفَضائلِ تَدبيرِ الإنسانِ لنَفسِه، وفيه تدبيرُ مَصالحِ النَّفْسِ والجسَدِ في الدُّنيا والآخِرةِ؛ فإنَّ السَّرَفَ في كلِّ شيءٍ يُضِرُّ بالجسَدِ، ويُضِرُّ بالمعيشةِ؛ فيُؤدِّي إلى الإتلافِ، ويُضِرُّ بالنَّفسِ إذ كانَت تابعةً للجسَدِ في أكثرِ الأحوالِ، والمَخِيلةُ تُضِرُّ بالنَّفسِ حيثُ تُكسِبُها العُجبَ، وتُضِرُّ بالآخِرةِ حيث تُكسِبُ الإثمَ، وبالدُّنيا حيث تُكسِبُ المَقْتَ مِن النّاسِ. ... {وفي الحديثِ: بيانُ سَعَةِ الإسلامِ وتَيسيرِه على النّاسِ في المباحاتِ، دونَ إفراطٍ مُخِلٍّ بالمالِ أو النَّفسِ أو الدُّنيا والآخرةِ. وفيه: الحثُّ على التَّرشيدِ للنَّفسِ والتَّحكُّمِ في شَهواتِها}.

يُشَمِّتَهُ، وأَمّا التَّثاؤُبُ: فإنَّما هو مِنَ الشَّيْطانِ، فَلْيَرُدَّهُ ما اسْتَطاعَ، فإذا قالَ: ها، ضَحِكَ منه الشَّيْطانُ" [٢٥٠].

٧. إنَّ اللَّهَ يُحبُّ سَمحَ البَيعِ، سَمحَ الشِّراءِ، سَمحَ القَضاءِ: قال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "إنَّ اللَّهَ يُحبُّ سَمحَ البَيعِ، سَمحَ الشِّراءِ، سَمحَ القَضاءِ" [٢٥١].

٨. إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يحبُّ ثلاثَةً {الرَّجُلُ يَلْقى العَدوَّ في جَماعةٍ مِن أصحابِه المُقاتِلينَ المُجاهِدينَ فيَفدي أصحابَه برَقَبتِه ورُوحِه؛ والقَومُ يُسافِرونَ فيَطُولُ سَيرُهم باللَّيلِ، فيَنزِلونَ فيَتنَحّى أحَدُهم ويَأخُذُ جانِبًا لِنَفْسِه فيُصَلِّي وهم نيامٌ، كَأنَّه يَحرُسُهم، والرَّجُلُ يَكُونُ له الجارُ السُّوءُ يُؤذِيه جارُه فيَصبِرُ على أذاهُ حتى يُفَرِّقَ اللّهُ بَينَه وبَينَ جارِه السَّيِّءِ بمَوتِ أحَدِهما أو تَرْكِه لِلمَكانِ إلى مَكانٍ آخَرَ}: فعن أبي ذر

---

٢٥٠ حديثٌ صحيحٌ: صحيح البخاري ٦٢٢٣.

في هذا الحديثِ يُخبرُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ أنَّ اللهَ يُحبُّ العُطاسَ ويَكره التَّثاؤُبَ؛ والسَّببُ في ذلك أنَّ العُطاسَ يدلُّ على النَّشاطِ والخِفَّةِ؛ ولهذا تجدُ الإنسانَ إذا عطَسَ نَشِطَ، واللهُ سبحانه وتعالى يُحبُّ الإنسانَ النَّشيطَ الجادَّ، والتَّثاؤبُ إنَّما يكونُ مع ثِقَلِ البدنِ وامتلائِه وعند استرخائه لِلنَّومِ ومَيلِه إلى الكسلِ؛ ولأجلِ ذلك المعنى صار العُطاسُ محمودًا يُحبُّه الله، والتَّثاؤبُ مذمومًا يكرهُه اللهُ تعالى؛ لأنَّ العُطاسَ يُعينُ على الطّاعاتِ، والتثاؤبَ يُثبِّطُ عَنِ الخَيراتِ وقضاءِ الواجباتِ. ثم أخبَرَ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ أنَّ مِن حقوقِ المسلِمِ على المسلِمِ أنَّه إذا عَطَسَ أنْ يُشمِّتَه، وتَشميتُ العاطسِ أنْ يقولَ له: يَرحمُكَ اللهُ، أمّا التَّثاؤبُ فينبغي على المسلِمِ أنْ يَكظِمَه ويَرُدَّه ما استطاع؛ لأنَّه إذا قال ها يَعني فَعلَ التَّثاؤبَ وفتَحَ فمَه به ضَحِك الشَّيطانُ منه؛ لأنَّهُ نالَ مقصودَه ورأى ثمرةَ تحريضِه على كثرةِ الأكْلِ والكسلِ.

٢٥١ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترمذي ١٣١٩.

السُّهولَةُ واللِّينُ في مُعاملَةِ النّاسِ في جميعِ نواحِي الحياةِ مِن محاسِنِ الأَخْلاقِ الَّتي حثَّتْ عليها الشَّريعةُ الإسلاميَّةُ، وأثنَتْ على فاعِلِها. وفي هذا الحديثِ يقولُ الرَّسولُ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: «إنَّ اللهَ يُحِبُّ سَمْحَ البيْعِ»، أي: مَن كان سهلًا في بيْعِه غيرَ عَسِرٍ فيه، «سَمْحَ الشِّراءِ»، أي: مَن كان سهلًا إذا اشترَى مِن غيرِه، «سَمْحَ القَضاءِ»، أي: كان سَهلًا في مُطالبَتِه غيرَه بمالِه، فلا يُعسِّرُ عليه، وإنْ كان عليه مالٌ فلا يُؤخِّرُ الوَفاءَ مع القُدْرةِ؛ فتلك الصِّفاتُ يُحِبُّها اللهُ في المعاملَةِ بين النّاسِ، فلا يَفعَلُها إلّا مَن وفَّقه اللهُ سبحانه وتعالى.

وفي الحديثِ: الحَثُّ على السُّهولةِ والتَّيسيرِ في المعامَلاتِ بين النّاسِ.

الغفاري رضي الله عنه، قال: "ثلاثةٌ يُحبُّهمُ اللهُ، وثلاثةٌ يَشنَؤُهمُ اللهُ: الرجُلُ يلْقى العَدُوَّ في فِئَةٍ فيَنصِبُ لهُمْ نَحْرَهُ حتى يُقتَلَ أو يُفتَحَ لأصحابِهِ؛ والقوْمُ يُسافِرُونَ فيَطولُ سَراهُمْ حتى يُحِبُّوا أنْ يَمَسُّوا الأرْضَ فيَنزِلُونَ؛ فيَتنحّى أحدُهمْ فيُصلّي حتى يُوقِظَهُمْ لِرحيلِهِمْ، والرجُلُ يَكونُ لهُ الجارُ يُؤذِيهِ جارُهُ فيَصبِرُ على أذاهُ حتى يُفرّقَ بينهُما موتٌ أو ظَعْنٌ، والّذينَ يَشنؤُهمُ اللهُ: التّاجِرُ الحلّافُ، والفقيرُ المُختالُ؛ والبَخيلُ المنّانُ" [252]، وفي رواية: "أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يحبُّ ثلاثَةً ويُبْغِضُ ثلاثَةً قال: فما أَخالُني أَكْذِبُ على رسولِ اللهِ. قال: فقُلْتُ: فمَنْ هؤلاءِ الثَّلاثَةُ الذينَ يحبُّهُمُ اللهُ عزَّ وجلَّ؟ قال: رجلٌ غَزا في سبيلِ اللهِ صابِرًا مُحْتَسِبًا فقاتَلَ حتى قُتِلَ، وأنْتُمْ تَجِدونَهُ عندَكُمْ مكتوبًا في كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ، ثُمَّ تَلا: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ قُلْتُ: ومَنْ؟ قال: رجلٌ كان لهُ جارُ سُوءٍ يُؤْذِيهِ فيصبرُ على أَذاهُ حتى يَكْفِيَهُ اللهُ إِيّاهُ بِحَياةٍ أَوْ مَوْتٍ فذكرَ الحديثَ" [253]، وفي رواية: "إنَّ اللهَ يحبُّ ثلاثةً، ويُبغِضُ ثلاثةً فذكر الحديث إلى أن قال: قلتُ: فمن الثلاثةُ الذين يُبغِضُهم اللهُ؟ قال: المختالُ الفخورُ وأنتم تجدونه في كتابِ اللهِ المنَزّلِ: إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ والبخيلُ المنّانُ، والتاجرُ أو البائعُ الحلّافُ" [254].

---

252 حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ٣٠٧٤؛ أخرجه أحمد (٢١٣٧٨)، والبزار (٣٩٠٨)، والطبراني (١٥٢/٢) (١٦٣٧) باختلاف يسير.

253 حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترغيب ٢٥٦٩.

254 حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترغيب ١٧٩١.

كانَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يُرَبِّي أصحابَه على الفَضائِلِ والبُعدِ عنِ الرَّذائِلِ، وكَثيرًا ما كانَ يُحَذِّرُهم مِن سَيِّئِ الصِّفاتِ وقَبيحِ الأعمالِ، وكانَ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ شَديدَ الحِرصِ على كُلِّ ما يُقَرِّبُهم مِنَ الآخِرةِ. وفي هذا الحَديثِ يَقولُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: إنَّ اللهَ يُحِبُّ ثَلاثةً، ويُبغِضُ ثَلاثةً"، ثَلاثةَ أصنافٍ مِنَ الناسِ، «فذَكَرَ الحَديثَ»، وتَمامُه كما عِندَ الطَّبَرانيِّ وغَيرِه أنَّه ذَكَرَ الثَّلاثةَ الذين يُحِبُّهم اللهُ، وهم: «الرَّجُلُ يَلْقى العَدوَّ

٩. إنَّ اللهَ يحبُّ الرفقَ في الأمرِ كلِّهِ: فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ على رَسولِ اللهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ فَقالوا: السّامُ عليْكُمْ، فَقالَتْ عائِشَةُ: بَلْ عَلَيْكُمُ السّامُ واللَّعْنَةُ، فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: "يا عائِشَةُ إنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ في الأمْرِ كُلِّهِ" قالَتْ: أَلَمْ تَسْمَعْ ما قالوا؟ قالَ: "قدْ قُلتُ وَعلَيْكُمْ". وفي روايةٍ: "قدْ قُلتُ عليْكُمْ" وَلَمْ يَذْكُرُوا الواوَ [٢٥٥]، وفي رواية: أنَّ اليَهُودَ أتَوُا النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فقالوا: السَّامُ عَلَيْكَ، قالَ: "وعلَيْكُمْ" فَقالَتْ عَائِشَةُ: السَّامُ عليكُمْ، ولَعَنَكُمُ اللَّهُ وغَضِبَ عليْكُم، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "مَهْلًا يا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بالرِّفْقِ، وإيَّاكِ والعُنْفَ، أوِ الفُحْشَ" قالَتْ: أوَلَمْ تَسْمَعْ ما قالوا؟ قَالَ: "أوَلَمْ تَسْمَعِي ما قُلتُ، رَدَدْتُ عليهم،

في فِئةٍ»، في جَماعةٍ مِن أصحابِه المُقاتِلينَ المُجاهِدينَ «فيَنصُبُ لهم نَحرَه»، كأنَّه يَفدي أصحابَه برَقَبَتِه ورُوحِه؛ فيَتقدَّمُ لِلعَدوِّ «حتى يُقتَلَ أو يُفتَحَ لِأصحابِه»، والصِّنفُ الثاني: «والقَومُ يُسافِرونَ فيَطُولُ سُراهم»، وهو سَيرُهم باللَّيلِ، «حتى يُحِبُّوا أن يَمَسُّوا الأرضَ»؛ لِلرّاحةِ والنَّومِ «فيَنزِلونَ» عن دَوابِّهم «فيَتنَحّى أحَدُهم» ويأخُذُ جانِبًا لِنَفسِه «فيُصَلِّي» وهم نيامٌ، كأنَّه يَحرُسُهم، «حتى يُوقِظَهم» في الصَّباحِ، أو بَعدَ نَومِهم «لِرَحيلِهم» وذَهابِهم مِن ذلك المَكانِ، والصِّنفُ الثالِثُ: «والرَّجُلُ يَكُونُ له الجارُ» السُّوءُ «يُؤذِيه جارُه فيَصبِرُ على أذاهُ حتى يُفَرِّقَ بَينَهما مَوتٌ أو ظَعنٌ»، بمعنى: حتى يُفَرِّقَ اللهُ بَينَه وبَينَ جارِه السَّيِّئِ بمَوتِ أحَدِهما أو تَرْكِه لِلمَكانِ إلى مَكانٍ آخَرَ. «قُلتُ: فمَنِ الثَّلاثةُ الذين يُبغِضُهمُ اللهُ؟» وهمُ الذين يَكرَهُهمُ اللهُ، ومَن كَرِهَه يُعذِّبُه ويُحِلُّه دارَ الهَوانِ، وأوَّلُ الذين يُبغِضُهمُ اللهُ: «المُختالُ الفَخورُ»، وهو المُتكَبِّرُ المُتغَطرِسُ الذي يَتكَبَّرُ على الخَلقِ بلا داعٍ، ولا رادِعٍ، «وأنتم تَجِدونَه في كِتابِ اللهِ المُنَزَّلِ: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} [لقمان: ١٨]، "والبَخيلُ المَنّانُ»، وهو الذي يَبخَلُ بمالِه، ولا يُنفِقُ منه -كما يُحِبُّ اللهُ- بالصَّدَقاتِ وعَمَلِ البِرِّ، وإذا أنفَقَ منه شَيئًا فإنَّه يَمُنُّ على الآخِذِ، «والتّاجِرُ أوِ البائِعُ الحَلّافُ»، الذي يُكثِرُ الحَلِفَ على سِلعَتِه وهو كاذِبٌ، ولَفظةُ (الحَلّافُ)، صِيغةُ مُبالَغةٍ؛ فأفادَ ذلك أنَّه اعتادَ هذا الأمرَ وأكْثَرَ منه في تِجارَتِه؛ لِيُنفِقَ سِلعَتَه بالأيْمانِ؛ فيَتَهاوَنُ بأيْمانِ اللهِ، ويُغَرِّرُ المشتَريَ. وفي الحَديثِ: إثباتُ صِفَتَيِ الحُبِّ والبُغضِ للهِ عَزَّ وجَلَّ. وفيه: بَيانُ فَضيلةِ الإحسانِ إلى الجارِ، والصَّبرِ على أذاه. وفيه: بَيانُ فَضلِ الجِهادِ والتَّضحيةِ بالنَّفسِ في سَبيلِ اللهِ. وفيه: تَحذيرٌ مِنَ الأخلاقِ السَّيِّئةِ، مِثلَ البُخلِ والكَذِبِ والحَلِفِ الكاذِبِ.

٢٥٥ حديثٌ صحيحٌ متفقٌ عليه؛ أخرجه مسلم (٢١٦٥)، والبخاري (٦٩٢٧).

فيُسْتَجَابُ لِي فيهم، ولَا يُسْتَجَابُ لهمْ فِيَّ" [٢٥٦]، وفي روايةٍ: كانَ اليَهُودُ يُسَلِّمُونَ على النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يقولونَ: السّامُ عَلَيْكَ، فَفَطِنَتْ عائِشَةُ إلى قَوْلِهِمْ، فَقالَتْ: عَلَيْكُمُ السّامُ واللَّعْنَةُ، فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: "مَهْلًا يا عائِشَةُ، إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ في الأمْرِ كُلِّهِ" فَقالَتْ: يا نَبِيَّ اللَّهِ، أوَلَمْ تَسْمَعْ ما يقولونَ؟ قالَ: "أوَلَمْ تَسْمَعِي أنِّي أرُدُّ ذَلِكِ عليهم، فأقُولُ: وعلَيْكُمْ" [٢٥٧].

---

٢٥٦ حديثٌ صحيحٌ: صحيح البخاري ٦٤٠١.

الرِّفقُ بالنَّاسِ واللِّينُ معهم مِن جَواهِرِ عُقودِ الأخلاقِ الإسلاميَّةِ، وهي مِن صِفاتِ الكَمالِ، واللهُ سُبحانَه وتَعالى رفيقٌ، يُحِبُّ مِن عِبادِه الرِّفقَ. وفي هذا الحديثِ تُخبِرُ أُمُّ المُؤمِنينَ عائِشَةُ رضِيَ اللهُ عنها -كما في روايةِ الصَّحيحِ-: "أنَّ اليهودَ أَتَوُا النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقالوا: السامُ عليك"، أي: يُوهِمون النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ومَن معه أنَّهم يُلْقون عليهم تَحيَّةَ الإسلامِ، والحقيقةُ أنَّهم يَدْعون عليهم، والسامُ: الموتُ والهَلكةُ، فرَدَّ عليهم النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وقال: "وعليكم"، أي: أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قد فَطِنَ لقولِهم وكان معنى جوابِه: وعليكم مِثْلُ ما قُلتُم من الدُّعاءِ، فقالت عائِشَةُ رضِيَ اللهُ عنها: "السامُ عليكم، ولَعَنَكم اللهُ وغَضِبَ عليكم"، أي: رَدَّتْ عائِشَةُ بمِثلِ لَفظِهم وكَلامِهم، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: "مَهلًا، يا عائِشَةُ عليك بالرِّفقِ"، أي: تمهَّلي واصْبِري وترَفَّقي في الأمْرِ، "وإيَّاكِ والعُنفَ والفُحشَ"، أي: يُحذِّرُها النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم من التَّعدِّي عليهم بمِثلِ قَولِهم، والعُنفُ: الشِّدَّةُ عندَ الأخْذِ والرَّدِّ، ويُقصَدُ بالفُحشِ: التَّعدِّي في القولِ والجوابِ، لا الفُحشُ الَّذي هو مِن رَديءِ الكلامِ، وفي روايةٍ للبُخاريِّ: "إنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفقَ في الأمْرِ كُلِّه"، أي: يُحِبُّ أنْ يتَّصِفَ عبدُه بلِينِ الجانبِ والأَخذِ بالسَّهلِ؛ فلا يكونُ فَظًّا ولا غليظًا، فالرِّفقُ تتأتَّى به الأغراضُ، وتسهُلُ به المقاصِدُ ما لا تتأتَّى وتسهُلُ بغيرِه، قالت عائِشَةُ للنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: "أَوَلَمْ تسمَعْ ما قالوا؟"، أي: تُنبِّهُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لقَولِهم، فقال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: أَوَلَمْ تَسمَعي ما قُلتُ؟" إشارةٌ إلى قولِه المُتقدِّمِ: (وعليكم) "رَدَدتُ عليهم"، أي: هذا كان رَدِّي عليهم، والفَرقُ بين رَدِّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ورَدِّ عائِشَةَ أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم جَزاهم على قدْرِ فَعلَتِهم دون أنْ يفحُشَ في القَولِ، وأمَّا عائِشَةُ رضِيَ اللهُ عنها فقد زادتْ في المعنى، وتعَدَّتْ وجَعَلَتِ الغِلظَةَ هي السَّبيلُ في الرَّدِّ، "فيُستجابُ لي فيهم، ولا يُستجابُ لهم فيَّ"؛ فأوضَحَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنَّ اللهَ لا يَستجيبُ لهم في المُسلِمينَ إذا دعا اليهودُ عليهم، وأنَّه يَستَجيبُ للمُسلِمينَ فيهم إذا دَعَوْا على اليهودِ. {وفي الحديثِ: بيانُ تحايُلِ اليَهودِ وتَغْييرِهم في الكَلامِ بما يُوهِمُ المعنى المقصودَ وعكْسَه. وفيه: مُجازاةُ المُعْتَدي بمِثلِ اعتِدائِه في القَولِ أو الفِعلِ، ومُعامَلتِه بمِثلِ حيلَتِه}.

٢٥٧ حديثٌ صحيحٌ: صحيح البخاري ٦٣٩٥.

١٠. إنَّ اللهَ يحبُّ الغنيَّ الحليمَ المُتَعففَ: قال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "لا يُؤمنُ عبدٌ حتّى يأمنَ جارُهُ بوائِقَهُ، ومنْ كان يُؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ؛ فلْيُكرِمْ ضَيفَهُ، ومنْ كان يُؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فليقلْ خيرًا أو ليسكُتْ، إنَّ اللهَ يحبُّ الغَنيَّ الحليمَ المُتَعففَ، ويبغضُ البذيءَ الفاجرَ السّائلَ الملحَ" [٢٥٨].

١١. إنَّ اللهَ يُحِبُّ الحياءَ، والسِتْرَ: قال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "إنّ اللهَ ستيرٌ يحبُ السترَ" [٢٥٩]، وفي رواية: أنّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ رأى رجلًا

٢٥٨ حديثٌ صحيحٌ لغيره: قال عنه الشيخ الأَلْبَانِيُّ: صحيح لغيره، فِي صحيح الترغيب ٨١٩.
أوْصى النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ أُمَّتَه بمَكارِمِ الأخلاقِ والبُعدِ عنِ الرَّذائلِ والسَّفاسفِ، ومِن ذلك ما جاءَ في هذا الحديثِ؛ حَيثُ يَروي أبو هُريرةَ رضِيَ اللهُ عنه: أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ قال: «لا يُؤمِنُ عَبْدٌ حتّى يأمَنَ جارُه بوائقَهُ»، البَوائقُ: جَمْعُ بائقةٍ، وهي الغائِلةُ، والدّاهيةُ، والفَتْكُ، والشُّرورُ، والمُرادُ: أنَّ المُؤمِنَ لا يَبلُغُ الإيمانَ الكاملَ حتّى يمنَعَ أذاهُ وضرَرَهُ عن جاره، «ومَن كان يُؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ»، أي: مَن كان يُؤمِنُ باللهِ الَّذي خَلَقَهُ إيمانًا كامِلًا اعتقادًا وعملًا، وذلك بأنْ يَشهَدَ أنَّه لا إله إلّا اللهُ، وأنَّ مُحمدًا رسولُ اللهِ، ويلتزِمَ بأركانِ الإيمانِ ومجموعِ خِصالِه مِن القولِ والعَملِ، ويُؤمِنُ باليومِ الآخِرِ الَّذي إليهِ مَعادُه، وفيه مُجازاتُه بعَمَلِه، وذلك يَتضمَّنُ: الإيمانَ بوُقوعِه، وأنَّ اللهَ تعالى يَبعَثُ مَن في القُبورِ، والإيمانَ بما ذُكِرَ في اليومِ الآخِرِ من الحَوضِ والشَّفاعةِ، والصِّراطِ، والجنَّةِ والنارِ، وأنَّ الناسَ يُحشَرونَ يومَ القِيامةِ حُفاةً عُراةً غُرلًا وغيرِ ذلك. والمقصودُ بهذه الصِّيغةِ: الحثُّ والإغراءُ على التزامِ الأمرِ أو النَّهيِ الآتِي في الحديثِ، وهو قولُه: «فلْيُكرِمْ ضَيفَه»، وإكرامُ الضَّيفِ يكونُ بطَلاقةِ الوجْهِ، وطِيبِ الكَلامِ، والإطعامِ ثَلاثةَ أيّامٍ، بما حَضرَهُ مِن غَيرِ تَكلُّفٍ؛ لئلّا يُثقِلَ عليه وعلى نفْسِه، وبعدَ الثلاثةِ يُعَدُّ مِن الصَّدقةِ. «ومَن كان يُؤمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ، فلْيَقُلْ خيرًا أو لِيَسكُتْ»، يعني: إذا أراد أنْ يَتكلَّمَ فَلْيتفكَّرْ قَبلَ كلامِه؛ فإنْ علِمَ أنَّه لا يترتَّبُ عليه مَفسدةٌ، ولا يَجُرُّ إلى مُحرَّمٍ ولا مَكروهٍ، فَلْيتكلَّمْ، وإنْ كان مُباحًا فالسَّلامةُ في السُّكوتِ؛ لئلّا يَجُرَّ المباحُ إلى مُحرَّمٍ أو مكروهٍ. ثم قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: «إنَّ اللهَ يُحِبُّ الغَنِيَّ»، والمُرادُ به غَنِيُّ النَّفْسِ، «الحَليمَ»، أي: العاقِلَ، «المُتعفِّفَ»، أي: الَّذي لا يَطلُبُ حَرامًا، ولا يَسأَلُ النّاسَ حاجتَهُ، «ويُبغِضُ البذيءَ الفاجرَ»، أي: الَّذي لا حَياءَ له، أو فاحِشَ القَولِ وبَذيءَ اللِّسانِ، «السّائلَ المُلِحَّ»، أي: الَّذي يُلِحُّ في سُؤالِه النّاسَ، سواءٌ أُعطِيَ أو لم يُعطَ. {وفي الحديثِ: الحثُّ على إكرامِ الضَّيفِ، وعلى التعفُّفِ والحِلمِ. وفيه: التحذيرُ من الفُحشِ والبَذاءةِ. وفيه: إثباتُ صِفةِ المحبَّةِ والبغض للهِ تعالى}.

٢٥٩ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الأَلْبَانِيُّ فِي إرواء الغليل ٢٣٣٥.

يَغْتَسِلُ بالبَرازِ، فصَعِدَ المنبرَ، فحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه، وقال: "إن اللهَ عزَّ وجلَّ حليمٌ حييٌّ، سِتِّيرٌ، يُحِبُّ الحياءَ، والسِتْرَ، فإذا اغتسَلَ أحدُكم فلْيَسْتَتِرْ" [٢٦٠].

١٢. إنَّ اللهَ يُحِبُّ العَفوَ: عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: قال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "قولي: اللهمَّ إنَّك عفوٌّ تُحبُّ العفو فاعْفُ عني" [٢٦١]، قال رَسولُ

---

٢٦٠ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح النسائي ٤٠٤.

الحياءُ خُلُقُ الإسلامِ، وكان النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يُعلِّمُ أمَّتَه الحياءَ، ويُبعِدُهم عن عاداتِ الجاهليَّةِ الَّتي ليس فيها تبَذُّلٌ وعدمُ تحرُّجٍ، وأنَّه ينبغي البُعدُ عن النّاسِ والتَّستُّرَ والتَّحرُّزَ عندَ كَشفِ العورةِ. وفي هذا الحديثِ يَحكي يَعْلى بنُ أميَّةَ رَضِي اللهُ عَنه: «أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ رأى رجلًا يَغتسِلُ بالبَرازِ»، أي: إنَّه يَقِفُ عُريانًا مكشوفًا، والبَرازُ: أماكنُ قَضاءِ الحاجةِ، والمرادُ به: الفضاءُ والأماكنُ الواسعةُ الَّتي لا يُوجَدُ بها أحدٌ، «فصَعِد المنبَرَ»، أي: يَخطُبُ في النّاسِ، «فحَمِد اللهَ وأثنى عليه، وقال: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ حليمٌ»، أي: مِن صفاتِه الحِلْمُ، وهو: الصَّفحُ وعدمُ المعاجَلةِ بالعقوبةِ، «حَيِيٌّ» مِن الحياءِ، «سَتِيرٌ»، أي: يَسْتُرُ العيوبَ والفضائحَ، «يُحِبُّ الحياءَ»، أي: يُحِبُّ مِن عبدِه أن يتَّصِفَ بالحياءِ، وهو: صِفةُ مدحٍ في النَّفسِ، تَحمِلُ صاحِبَها على فِعلِ كلِّ خيرٍ كان، وتَرْكِ ما يُذَمُّ ويُعابُ، وهو خُلقٌ يَمنَحُه اللهُ تعالى للعَبدِ، يَمنَعُه مِن ارتكابِ القبائحِ والرَّذائلِ، ويَدفَعُه على فِعلِ الفَضائلِ، «والسَّتْرَ»، أي: ويُحِبُّ اللهُ عزَّ وجلَّ أنْ يَستُرَ العَبدُ على نفْسِه مَعايِبَه ومَعايِبَ أخيه المسلِمِ، «فإذا اغتسَل أحَدُكم»، أي: أراد أنْ يَغتسِلَ ويَكشِفَ عورتَه، «فلْيَستتِرْ»، أي: يجعَلْ بينَه وبين أعيُنِ النّاسِ حائِلًا يَمنَعُهم مِن الاطِّلاعِ على عَورتِه. {وفي الحديثِ: إثباتُ صِفةِ الحِلمِ والحَياءِ والسَّترِ للهِ عزَّ وجلَّ بما يَليقُ بذاتِه وجَلالِه، في غَيرِ مُشابَهةٍ للعبادِ، والتَّحلِّي بصِفتَيِ الحَياءِ والسَّترِ. وفيه: الحَثُّ على الأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المنكَرِ باللِّسانِ}.

٢٦١ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ٤٤٢٣؛ أخرجه الترمذي (٣٥١٣)، وابن ماجه (٣٨٥٠) باختلاف يسير، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٧١٢)، وأحمد (٢٥٤٩٥) واللفظ لهما.

مِن عظيمِ مِنَنِ اللهِ تعالى على أُمَّةِ محمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ أنْ جعَلَ لها في أيّامِ دَهرِها نَفحاتٍ؛ لِيَتعرَّضوا لها، ولِيَفوزوا فيها بعطايا مِن اللهِ؛ لأنَّ الأمَّةَ أعمارُها قَصيرةٌ، وآجالُها محدودةٌ، ومِن تلك النَّفَحاتِ الجليلاتِ ليلةُ القدْرِ التي هي خيرٌ مِن ألْفِ شَهرٍ، كما أخبَرَ اللهُ تعالى في كتابِه. وفي هذا الحديثِ أنَّ عائشةَ رضِيَ اللهُ عنها سألَتْ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ عن لَيلةِ القَدْرِ، فقالت: «إنْ وافَقْتُها»، أي: إنْ أدرَكْتُ ليلةَ القدْرِ، كما في رِوايةِ التِّرمذيِّ وابنِ ماجه، ولَيلةُ القَدْرِ في العشْرِ الأواخِرِ مِن شَهرِ رمضانَ، وتكونُ في اللَّيالي الوِتريَّةِ، وتُعرَفُ لمَن أحْياها وأقامَها بعلاماتِها؛ ومنها: أنَّها ليلةٌ صافيةٌ، لا حارَّةٌ ولا باردةٌ، وتَطلُعُ الشَّمسُ عقِبَها لا شُعاعَ

اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "إنَّ اللهَ تعالى عفوٌّ يُحِبُّ العَفوَ" [٢٦٢].

١٣. إنَّ اللهَ يُحِبُّ الوِتْرَ: قال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "إنَّ اللهَ وترٌ، يحبُّ الوترَ" [٢٦٣]، وعن عليٍّ رضي الله عنه، قال الوِتْرُ ليس بِحَتْمٍ كصلاتِكم المكتوبةِ ولكنْ سَنَّ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ وقالَ: "إنَّ اللهَ وِترٌ يُحِبُّ الوِتْرَ، فأَوْتِرُوا يا أهلَ القُرآنِ" [٢٦٤].

لها مُنتشرَ في الآفاقِ، وسُمِّيَت بذلك؛ لِعظَمِ قَدْرِها؛ لنُزولِ القرآنِ والملائكةِ فيها، وقيل: لأنَّ الذي يُحْيِيها يكونُ له قَدْرٌ بذلك، وقيل: القدْرُ مأخوذٌ مِن التَّضييقِ، والذي يُرادُ هنا إخفاءُ يَومِها عن الناسِ، وقيل: لتَقديرِ أفعالِ السَّنةِ بها؛ فتُكتَبُ فيها أقدارُ تلك السَّنةِ، ويَحتمِلُ أنْ يكونَ اللَّفظُ مأخوذًا مِن بعضِ تلك المعاني أو كلِّها، «فبِمَ أدْعو؟» أي: ما يَفضُلُ مِن الدُّعاءِ في تلك اللَّيلةِ؟ فأرشَدَها النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ إلى أفضَلِ أنواعِ الدُّعاءِ في تلك اللَّيلةِ، وهو: «اللَّهمَّ إنَّك عفُوٌّ»، والعفْوُ هو التَّجاوُزُ عن السَّيِّئاتِ، «تُحِبُّ العفْوَ»، أي: تُحِبُّ ظُهورَ هذه الصِّفةِ، «فاعْفُ عنِّي»، أي: تجاوَزْ عنِّي واصفَحْ عن زَلَلي؛ فإنِّي كثيرُ التَّقصيرِ، وأنت أَولى بالعفْوِ الكثيرِ، وعفْوُ اللهِ تعالى يكونُ في الدُّنيا والآخرةِ، وهذا مِن آدابِ الدُّعاءِ؛ أنْ يُثْنِيَ العبدُ على ربِّه سُبحانَه بصِفةٍ تُناسِبُ طلَبَه، وهذا الدُّعاءُ مِن جوامعِ الكلِمِ، ومَن دَعا به حاز خَيرَيِ الدُّنيا والآخرةِ. {وفي الحديثِ: إثباتُ صِفَةِ العفْوِ والمَحبَّةِ للهِ تعالى كما يَليقُ بجَلالِه. وفيه: الحثُّ على الدَّعواتِ المباركاتِ لا سيَّما في الأوقاتِ الفاضلاتِ. وفيه: بيانُ لحِرْصِ عائشةَ رضِيَ اللهُ عنها على التَّعلُّمِ مِن هَدْيِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، وعلى مَعرفةِ أبوابِ الخيرِ}.

٢٦٢ حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَه الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ١٧٧٩.

٢٦٣ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترغيب ٥٩٥.

٢٦٤ حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَه الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي سنن الترمذي ٤٥٣.

الوِترُ هو آخِرُ صلاةٍ يُصلِّيها المسلِمُ بعدَ التَّنفُّلِ في صَلاةِ اللَّيلِ، ويكونُ بِرَكَعاتٍ فَرديَّةِ العدَدِ؛ فيَصِحُّ بركعةٍ أو ثلاثٍ وخَمسٍ، وهكذا. وفي هذا الحديثِ يقولُ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عنه: «الوِترُ ليس بحَتْمٍ»، أي: صلاةُ الوترِ ليسَتْ بفَرْضٍ واجبٍ، «كصَلاتِكم المكتوبةِ»، أي: بمِثلِ فَرضيَّةِ الصَّلَواتِ الخمسِ، «ولكن سَنَّ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ»، أي: ولكنَّها سُنَّةٌ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، وقال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: «إنَّ اللهَ وِترٌ»، أي: فَردٌ واحدٌ في ذاتِه، «يُحِبُّ الوترَ»، أي: يُحِبُّ مِن عَبدِه أن يُوتِرَ في الصَّلاةِ، فيُثيبَه ويَأجُرَه عليها؛ «فأوتِروا يا أهلَ القرآنِ»، أي: يعني: المؤمِنين المصدِّقين به، والمعتَنِين بحِفْظِه وتلاوتِه، وقد يُرادُ بالوترِ في هذا الحديثِ قيامُ اللَّيلِ، فإنَّ الوترَ يُطلَقُ عليه؛ فلذا خَصَّ الخِطابَ بأهلِ القرآنِ تأكيدًا،

١٤. إنَّ اللهَ يحبُّ الغَيْرةَ في رِيبةٍ، والخُيَلاءَ {أنْ يتَخَيَّلَ العَبدُ بنَفْسِه للهِ} عِندَ القِتالِ، وبالصَّدَقةِ: قال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "إنَّ مِن الغَيْرةِ ما يُحِبُّ اللهُ، ومنها ما يُبغِضُ اللهُ، ومِن الخُيَلاءِ ما يُحِبُّ اللهُ، ومنها ما يُبغِضُ اللهُ، فأمّا الغَيْرةُ التي يُحِبُّ اللهُ؛ فالغَيْرةُ في رِيبةٍ، وأمّا التي يُبغِضُ اللهُ، فالغَيْرةُ في غَيرِ الرِّيبةِ، وأمّا الخُيَلاءُ التي يُحِبُّ اللهُ أنْ يتَخَيَّلَ العَبدُ بنَفْسِه للهِ عِندَ القِتالِ، وأنْ يتَخَيَّلَ بالصَّدَقةِ" [٢٦٥]، وقال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "أنَّ من الغيرةِ ما يُحبّ اللهُ ومن الغِيْرةِ ما يُبغضُ اللهُ ومن الخُيلاءِ ما يحبُ اللهُ ومنها ما يُبغضُ اللهُ فأما الغيرةُ التي يحبُ اللهُ فالغيرةُ على الرّيبةِ. وأما الغِيرةُ التي يُبغضُ اللهُ فالغيرةُ في غيرِ الريبةِ" [٢٦٦]، وفي رواية: "منَ الغَيرةِ ما يحبُّ اللَّهُ ومنها ما يُبغِضُ اللَّهُ، فأمّا الَّتي يحبُّها اللَّهُ فالغيرةُ في الرِّيبةِ، وأمّا الغيرةُ الَّتي يُبغِضُها اللَّهُ فالغَيرةُ في غيرِ ريبةٍ، وإنَّ منَ الخُيَلاءِ ما يُبغضُ اللَّهُ، ومنها ما يحبُّ اللَّهُ، فأمّا الخيلاءُ الَّتي يحبُّ اللَّهُ فاختيالُ الرَّجلِ نفسَهُ عندَ القتالِ، واختيالُهُ عندَ الصَّدَقةِ، وأمّا الَّتي يبغضُ اللَّهُ فاختيالُهُ في البغيِ والفخرِ" [٢٦٧].

على أنَّ الأَوْلى لهم صَلاتُه وعدَمُ تركِه، وقد قيل غيرُ ذلك؛ بأنَّ تَخصيصَه أهلَ القُرآنِ بالأمرِ فيه يدُلُّ على أنَّ الوترَ غيرُ واجبٍ على الجَميعِ، ولو كان واجبًا لكان عامًّا، وأهلُ القُرآنِ في عُرْفِ النّاسِ هم القُرّاءُ والحُفّاظُ، دونَ العوامِّ، ويدُلُّ على ذلك أيضًا قولُ ابنِ مسعودٍ للأعرابيِّ في رِوايةٍ أخرى لَمّا سأَله عمّا يقولُه النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ في الوترِ: «ليس لك ولا لأصحابِك» وقولُ عليٍّ رضِيَ اللهُ عنه: «الوِترُ ليس بحَتمٍ».

٢٦٥ حديثٌ حسنٌ لغيره: قال عنه الشيخ شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره، في تخريج المسند ٢٣٧٤٧؛ أخرجه أبو داود (٢٦٥٩)، والنسائي (٢٥٥٨)، وأحمد (٢٣٧٤٧) واللفظ له.

٢٦٦ حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَه الشيخ الأَلْبَانيُّ في إرواء الغليل ١٩٩٩.

٢٦٧ حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَه الشيخ الأَلْبَانيُّ في صحيح أبي داود ٢٦٥٩.

بيَّن النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ لنا كلَّ ما يُشكِل علينا في أحكامِ دِينِنا، وأوضَح لنا أنَّ بعضَ الأُمورِ يَختلِف حُكمُها باختلافِ الأحوالِ والظُّروفِ، ومِن ذلك: الغَيْرَة، والخُيَلاءُ. وفي هذا الحَديثِ يقولُ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: «مِنَ الغَيْرَةِ»، أي: الحَمِيَّةُ والأَنَفَةُ «ما يُحِبُّ اللهُ، ومِنها ما يُبغِضُ اللهُ»، أي: هي نوعان: فمنها

١٥. إنَّ اللهَ يُحِبُّ العامِلَ إذا عَمِلَ عملًا أنْ يُحْسِنَه ويُتقِنَهُ: قال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "يُحِبُّ اللهُ العامِلَ إذا عَمِلَ أن يُحْسِنَ" [٢٦٨]، وقال صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "إنَّ اللهَ تعالى يُحِبُّ منَ العامِلِ إذا عَمِلَ أن يُحْسنَ" [٢٦٩]، وقال صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "إنَّ اللهَ تعالى يُحِبُّ إذا عمِلَ أحدُكمْ عملًا أنْ يُتقِنَهُ" [٢٧٠].

١٦. أَحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ: الإيمانُ باللهِ، وصِلَةُ الرَّحِمِ، والأمرُ بالمعروفِ، والنهيُ عن المنكرِ، والصَّلاةُ علَى وقْتِها، وبرُّ الوالِدَيْنِ، والجِهادُ في سَبيلِ اللَّهِ، وأنْ تَمُوتَ ولسانُكَ رَطْبٌ من ذكرِ اللهِ، والعمل الصالح في العشر الأول من ذي الحجة، وأَحَبُّ الصيامِ إلى اللهِ صيامُ داودَ، وأحبُّ الصلاةِ إلى اللهِ صلاةُ داودَ، وأحَبُّ الأعْمالِ إلى اللهِ تَعالى أدْوَمُها، وإنْ قَلَّ، وأحبُّ الناسِ إلى اللهِ أنْفَعُهُمْ لِلنّاسِ، وأحبُّ الأعمالِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ سُرُورٌ يدْخِلهُ على مسلمٍ، أوْ يكْشِفُ عنه

الحَسَنُ الَّذِي يُحِبُّه اللهُ، ومنها القَبيح الَّذِي يُبغِضُه اللهُ، «فأمّا الَّتي يُحِبُّها اللهُ فالغَيْرَةُ في الرِّيبَةِ»، أي: يَغارُ الرَّجُلُ إذا رأى مِن مَحارِمِه أو غيرِهِم فِعلًا مُحرَّمًا، فيَنزعِجُ مِن ذلك، ويَمنَعُهم منه، «وأمّا الغَيْرَةُ الَّتي يُبغِضُها اللهُ فالغَيْرَةُ في غيرِ رِيبَةٍ» كأَنْ يَغارُ الرجلُ إذا رأى أُمَّه تزوَّجَتْ أو غيرَ ذلك ممّا هو حلال، فيَنزعِج مِن ذلك، ويُرِيدُ مَنْعَه، «وإنَّ مِن الخُيَلاءِ»، أي: التكبُّرِ والفَخْرِ «ما يُبغِضُ اللهُ، ومنها ما يُحِبُّ اللهُ»، أي: هي نوعان: منها الحَسَنُ الَّذِي يُحِبُّه اللهُ، ومنها القَبيحُ الَّذِي يُبغِضُه اللهُ، «فأمّا الخُيَلاءُ الَّتي يُحِبُّ اللهُ فاختيالُ الرَّجُلِ بنفسِه عندَ القِتالِ»، أي: التَّبختُرُ والزَّهوُ عندَ مُلاقاةِ العَدُوِّ لإغاظتِهم وإخافتِهم وتثبيطِهم، «واختيالُه عندَ الصَّدَقةِ»، أي: يَفرَحُ بما يُعْطِيهِ لِلفَقيرِ مِنَ الصَّدقاتِ، والخُيلاءُ في الصَّدَقةِ أنْ تَهزَّهُ الأَرْيَحِيَّةُ والسَّخاءُ فيُعطِيها طَيِّبةً بها نفْسُه، فَلا يَسْتكْثِرُ كثيرًا ولا يُعطِي منها شَيئًا إلّا وهو يَحْسَبُه قليلًا، «وأمّا الَّتي يُبغِض اللهُ فاختيالُه في البَغْيِ»، أي: يمجِّد نفسَه بظُلمِه غيرَه بأخذِ مالِه وغيرِ ذلك، «والفَخْرُ»، أي: أن يَذكُرَ المرءُ مِن صفاتِه ونَسَبِه ومالِه ونحوِ ذلك لِمُجرَّدِ الفخرِ أمامَ النّاسِ. {وفي الحَديثِ: تربيةٌ نبويَّةٌ عظيمةٌ بوضعِ الأُمورِ في نِصابِها، والتصرُّفِ في كلِّ موقفٍ بما يُلائِمُه}.

٢٦٨ حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَه الشيخ الأَلْبَانِيُّ في صحيح الجامع ٨٠٣٧.

٢٦٩ حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَه الشيخ الأَلْبَانِيُّ في صحيح الجامع ١٨٩١.

٢٧٠ حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَه الشيخ الأَلْبَانِيُّ في صحيح الجامع ١٨٨٠.

كُرْبَةً، أوْ يقْضِي عنهُ دَيْنًا، أوْ تَطْرُدُ عنهُ جُوعًا، وأَحَبُّ البِلادِ إلى اللهِ مَساجِدُها، وأحبَّ الأسماءِ إلى اللهِ: عبدُ اللهِ، وعبدُ الرحمنِ، وأحَبُّ الطعامِ إلى اللهِ ما كَثُرَتْ عليه الأَيْدِي، وأَحَبُّ العملِ إلى اللهِ تعالى الحالُّ المُرْتَحِلُ: فعن رجل من خثعم: قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ! أيُّ الأعمالِ أَحَبُّ إلى اللهِ؟ قال: "الإيمانُ باللهِ" قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ! ثم مَهْ؟ قال: "ثم صِلَةُ الرَّحِمِ" قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ! ثم مَهْ؟ قال: "ثم الأمرُ بالمعروفِ، والنهيُ عن المنكرِ" قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ! أيُّ الأعمالِ أبغضُ إلى اللهِ؟ قال: "الإشراكُ باللهِ" قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ! ثم مَهْ؟ قال: "ثم قطيعةُ الرَّحِمِ" قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ! ثم مَه؟ قال: "ثم الأمرُ بالمنكرِ، والنهيُ عن المعروفِ" [٢٧١]، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: سَأَلْتُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: أيُّ العَمَلِ أحَبُّ إلى اللَّهِ؟ قالَ: "الصَّلَاةُ علَى وقْتِهَا"، قالَ: ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ: "ثُمَّ برُّ الوالِدَيْنِ"، قالَ: ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ: "الجِهادُ في سَبيلِ اللَّهِ"، قالَ: حدَّثَني بهِنَّ، ولَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزادَنِي. [٢٧٢]، وعن

---

٢٧١ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الأَلْبَانِيّ في صحيح الترغيب ٢٥٢٢؛ أخرجه أبو يعلى (٦٨٣٩)، وفي رواية: "أَحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ إيمانٌ باللهِ، ثم صِلَةُ الرَّحِمِ، ثم الأمرُ بالمعروفِ والنَّهيُ عن المنكرِ. وأبغضُ الأعمالِ إلى اللهِ الإشراكُ باللهِ ثم قطيعةُ الرَّحِمِ" [حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَه الشيخ الأَلْبَانِيّ في صحيح الجامع ١٦٦؛ أخرجه أبو يعلى (٦٨٣٩)].

٢٧٢ حديثٌ صحيحٌ: صحيح البخاري ٥٢٧.

كان الصَّحابَةُ رَضيَ اللهُ عنه -لِحِرصِهم على ما يُقَرِّبُ مِن رِضا اللهِ عَزَّ وجلَّ- كَثيرًا ما يَسألونَ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عن أفضَلِ الأعمالِ، وأكثَرِها قُربةً إلى اللهِ تَعالى، فكانت إجاباتُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ تَختَلِفُ باختِلافِ أشخاصِهم وأحوالِهم، وما هو أكثَرُ نَفعًا لِكُلِّ واحِدٍ منهم. وفي هذا الحَديثِ يَسأَلُ عَبدُ اللهِ بنُ مَسعودٍ رَضيَ اللهُ عنه النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أيُّ العَمَلِ أحَبُّ إلى اللهِ؟ فأجابَه النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بأنَّ أحَبَّ الأعمالِ إلى اللهِ تعالَى المَرضِيَّةِ لَدَيْه الصَّلاةُ في أوَّلِ وَقتِها، وذلك بأنْ يُحافِظَ المُسلِمُ على أدائِها بَعدَ سَماعِه الأذانَ، وذِكْرُ الأفضليَّةِ هنا لِلحَضِّ والحَثِّ على الإسراعِ إلى الصَّلاةِ، وعَدَمِ التَّكاسُلِ والتَّأخيرِ في أدائِها، ولِأنَّ في أدائِها في أوَّلِ الوَقتِ دَليلًا على الحِرصِ عليها، وعلى أنَّ المُسلِمَ يَعرِفُ حَقَّ اللهِ، ويُحافِظُ عليه، ويُؤدِّيه

عبد اللّٰه بن عباس رضي اللّٰه عنهما: قال صَلَّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ: "ما مِن أيّامٍ العملُ الصّالحُ فيها أحبُّ إلى اللَّهِ من هذِهِ الأيّام [يعني أيّامَ العشرِ]"، قالوا: يا رسولَ اللَّهِ، ولا الجِهادُ في سبيلِ اللَّهِ؟ قالَ: "ولا الجِهادُ في سبيلِ اللَّهِ، إلّا رَجلٌ خرجَ بنفسِهِ ومالِهِ، فلم يرجِعْ من ذلِكَ بشيءٍ" [٢٧٣]، وعن معاذ بن جبل رضي اللّٰه

إذا وَجَبَ عليه في وَقتِه، دُونَ تَأْجيلٍ أو تَسويفٍ، ولا يَدخُلُ فيمَن قال اللّٰهُ تعالَى فيهم: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ} [الماعون: ٤، ٥] وهُمُ الذين يُؤَخِّرونَ الصَّلاةَ عن وَقتِها، أو حتى يَخرُجَ وَقتُها. ثم سَأَلَه ابنُ مَسعودٍ رَضيَ اللّٰهُ عنه: أيُّ العَمَلِ أحَبُّ إلى اللّٰهِ تعالَى بَعدَ الصَّلاةِ؟ فأخبَرَه صلَّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ أنَّه بِرُّ الوالِدَيْنِ؛ بالإحسانِ إليهما، والقِيامِ بخِدمَتِهما، وتَركِ عُقُوقِهما. ولَمَّا كان ابنُ مَسعودٍ له أُمٌّ؛ احتاجَ إلى ذِكْرِ بِرِّ والِدَيْه بَعدَ الصَّلاةِ؛ لِأنَّ الصَّلاةَ حَقُّ اللّٰهِ، وحَقُّ الوالِدَيْنِ يَأتي بَعدَ حَقِّ اللّٰهِ عَزَّ وجَلَّ، كما قال تَعالى: {أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} [لقمان: ١٤]. ثم سَأَلَ ابنُ مَسعودٍ رَضيَ اللّٰهُ عنه: أيُّ العَمَلِ أحَبُّ إلى اللّٰهِ تعالَى بَعدَ بِرِّ الوالِدَيْنِ؟ فأخبَرَه صلَّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ أنَّه الجِهادُ في سَبيلِ اللّٰهِ؛ لِإعلاءِ كَلِمةِ اللّٰهِ عَزَّ وجَلَّ، وإظهارِ شَعائِرِ الإسلامِ بالنَّفْسِ والمالِ.والمَقصودُ: أنَّ أفضَلَ الأعمالِ القِيامُ بحُقوقِ اللّٰهِ التي فَرَضَها على عِبادِه فَرْضًا، وأفضَلُها: الصَّلاةُ لِوَقتِها، ثم القِيامُ بحُقوقِ عِبادِه، وآكَدُها بِرُّ الوالِدَيْنِ، وذِروةُ سَنامِ العَمَلِ هو الجِهادُ في سَبيلِ اللّٰهِ. والحِكمةُ في تَخصيصِ هذه الأشياءِ الثلاثةِ بالذِّكرِ «الصَّلاةِ على وَقتِها، وبِرِّ الوالِدَيْنِ، والجِهادِ»؛ قيل: لأنَّ هذه الثلاثةَ أفضَلُ الأعمالِ بَعدَ الإيمانِ، فمَن ضَيَّعَ الصَّلاةَ -التي هي عِمادُ الدِّينِ، مع العِلمِ بفَضيلَتِها- كان لِغَيرِها مِن أمْرِ الدِّينِ أشَدَّ تَضييعًا، وأشَدَّ تَهاوُنًا واستِخفافًا، وكذا مَن تَرَكَ بِرَّ والِدَيْه فهو لِغَيرِ ذلك مِن حُقوقِ الناسِ أشَدُّ تَرْكًا، وكَذا الجِهادُ في سَبيلِ اللّٰهِ؛ مَن تَرَكَه -مع قُدرَتِه عليه عِندَ تَعَيُّنِه عليه- فهو لِغَيرِ ذلك مِنَ الأعمالِ التي يُتَقَرَّبُ بها إلى اللّٰهِ تعالَى أشَدُّ تَرْكًا. ثمَّ أخبَرَ ابنُ مَسعودٍ رَضيَ اللّٰهُ عنه أنَّه لَوِ استَزادَ النبيَّ صلَّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ وطَلَبَ منه أنْ يَذكُرَ أعمالًا أكثَرَ مِن ذلك، ما امتَنَعَ النبيُّ صلَّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ أنْ يُخبِرَه بأفضَلِ الأعمالِ. {وفي الحَديثِ: بَيانُ حِرصِ الصَّحابةِ وابنِ مَسعودٍ رَضيَ اللّٰهُ عنه على طَلَبِ المَعالي مِنَ الأعمالِ.وفيه: الحَضُّ على الصَّلاةِ في أوَّلِ وَقتِها، وعلى بِرِّ الوالِدَيْنِ، وعلى الجِهادِ في سَبيلِ اللّٰهِ تعالَى}.

٢٧٣ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الأَلْبَانِيُّ فِي صحيح أبي داود ٢٤٣٨، وفي رواية للإمام البخاري: "ما العَمَلُ في أيّامٍ أفْضَلَ منها في هذه"، قالوا: ولا الجِهادُ؟ قالَ: "ولا الجِهادُ، إلّا رَجُلٌ خَرَجَ يُخاطِرُ بنَفْسِه ومالِه، فَلَمْ يَرْجِعْ بشَيءٍ" [حديثٌ صحيحٌ: صحيح البخاري ٩٦٩].

مِن رَحمةِ اللّٰهِ عزَّ وجلَّ بعِبادِه أنْ مَنَّ عليهم بأيامٍ مُبارَكةٍ، يُضاعِفُ لهم فيها الأجرَ، ويُعطي فيها جَزيلَ الثَّوابِ؛ رَحمةً منه وكرَمًا، ومنها: الأيامُ العَشرُ الأُوَلُ مِن ذي الحِجَّةِ. وفي هذا الحَديثِ يُرشِدُ النبيُّ صَلَّى اللّٰهُ عليه وسلَّمَ

عنه، قال: قُلْتُ أيُّ الأعمالِ أحبُّ إلى اللهِ قال: "أنْ تَمُوتَ ولسانُكَ رَطْبٌ من ذكرِ اللهِ" [٢٧٤]، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: قال صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "أَحَبُّ الصيامِ إلى اللهِ صيامُ داودَ، وكان يصوم يومًا، ويفطر يومًا، وأحبُّ الصلاةِ إلى اللهِ صلاةُ داودَ، كان ينام نصفَ الليلِ، ويقومُ ثُلُثَه، وينامُ سُدَسَه" [٢٧٥]،

إلى فَضْلِ العملِ الصّالحِ في العَشْرِ الأوائلِ مِن ذي الحِجَّةِ، ويُبيِّنُ أنَّ أجرَ العَملِ الصّالحِ فيها يَتضاعَفُ ما لا يَتضاعَفُ في سائرِ الأيّامِ؛ فعلى المُسلِمِ أنْ يَغتنِمَها ويُكثِرَ فيها الطاعاتِ، ومِن أجَلِّ الطاعاتِ فيها ذِكرُ اللهِ عزَّ وجلَّ، وأعظمُ الذِّكرِ قِراءةُ القُرآنِ، والتَّكبيرُ والتَّهليلُ والتَّحميدُ، وفي مُسنَدِ أحمدَ وغيرِه: أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال: «ما مِن أيّامٍ أعظمُ عِندَ اللهِ ولا أحَبُّ إليه مِن العَملِ فيهِنَّ مِن هذه الأيّامِ العَشرِ؛ فأَكْثِروا فيهِنَّ مِن التَّهليلِ، والتَّكبيرِ، والتَّحْمِيد». ويَشملُ العَملُ الصالحُ الفَرائضَ والواجِباتِ وكلَّ أعْمالِ البِرِّ والمَعروفِ وأعمالَ التَّطوُّعِ مِن العِباداتِ؛ مِن صَلاةٍ وصَدَقةٍ وصِيامٍ وبالأخصِّ صِيامُ يومِ عَرفةَ؛ فكلُّ ما فُعِلَ مِن فرْضٍ في العَشرِ فهو أفْضلُ مِن فرْضٍ فُعِلَ في غيرِه، وكذا النَّفْلُ في العَشرِ أفضلُ مِن النَّفْلِ في غيرِها، كما يَشمَلُ أيضًا ترْكَ المنهيّاتِ والمنكَراتِ؛ فمَنْ ترَكَ المعصيةَ في هذه الأيّامِ فلا شكَّ أنَّ أجْرَه أفضلُ مِن ترْكِه للمَعصيةِ في غيرِها. فسَأَلَ الصَّحابةُ رَضيَ اللهُ عنهم النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عن الجِهادِ في غَيرِ هذه الأيّامِ العَشْرِ؛ هلِ العَملُ الصّالحُ فيها يَفضُلُه أيضًا؟ وإنَّما اختصَّ سُؤالُهم عن الجِهادِ لِما تقرَّرَ عِندَهم أنَّه مِن أفضلِ الأعمالِ؛ ولذلِك وُزِنَ به أيّامُ ذِي الحِجَّةِ، فأجاب النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: نَعَم؛ يَفضُلُ العَمَلُ الصّالحُ في هذِه الأيّامِ الجِهادَ في غَيرِها، إلّا رجُلٌ خرَجَ مُخاطِرًا بنفْسِه ومالِه في سَبيلِ اللهِ، ففَقَدَ مالَه وفاضَتْ رُوحُه في سَبيلِ اللهِ؛ فهذا الجِهادُ بهذه الصُّورةِ هو الذي يَفضُلُ على العَملِ الصالحِ في هذه الأيّامِ المبارَكاتِ، وهذا بَيانٌ لفَخامةِ جِهادِه، وتَعظيمٌ له بأنَّه قد بَلَغَ مَبلَغًا لا يَكادُ يَتفاوَتُ بشَرَفِ الأيّامِ والأزمانِ وعَدَمِ شَرَفِها. وظاهِرُ هذا الحديثِ أنَّ هذه العَشَرةَ أفضَلُ مِن العَشرِ الأواخِرِ مِن رَمضانَ. وقيل: إنَّ عَشْرَ ذي الحِجَّةِ هي الأفضلُ أيّامًا، وعشْرَ رَمَضانَ هي أفضَلُ لَيالٍ؛ لوُجودِ لَيلةِ القَدْرِ فيها. {وفي الحديثِ: بَيانُ عِظَمِ فضْلِ العَشْرِ الأوائلِ مِن ذي الحِجَّةِ على غَيرِها مِن أيّامِ السَّنةِ. وفيه: تَعظيمُ أمْرِ الشَّهادةِ في سَبيلِ اللهِ وبذْلِ النَّفسِ والمالِ معًا، وأنَّ هذه هي أعْلى مراتبِ الجِهادِ. وفيه: أنَّ العَملَ المفضولَ في الوَقتِ الفاضلِ يَلتحِقُ بالعمَلِ الفاضلِ في غَيرِه مِن الأوقاتِ}.

٢٧٤ حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَه الشيخ الأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترغيب ١٤٩٢.

٢٧٥ حديثٌ صحيحٌ: متفق عليه؛ صَحَّحَهُ الشيخ الأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترمذي صحيح الجامع ١٧٠؛ أخرجه الإمام البخاري (٣٤٢٠) واللفظ له، ومسلم ١٨٩ - ١١٥٩، من حديث عبد الله بن عمرو. وفي رواية: أنَّ رَسولَ اللهِ

وعــن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، قال صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "أَحَبُّ الأَعْمالِ إلى اللهِ تَعالى أدْوَمُها، وإنْ قَلَّ". قالَ: وكانَتْ عائِشَةُ إذا عَمِلَتِ العَمَلَ لَزِمَتْهُ [٢٧٦]، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: قال صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ:

صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ له: "أَحَبُّ الصَّلاةِ إلى اللَّهِ صَلاةُ داوُدَ عليه السَّلامُ، وأَحَبُّ الصِّيامِ إلى اللَّهِ صِيامُ داوُدَ، وكانَ يَنامُ نِصْفَ اللَّيْلِ ويقومُ ثُلُثَهُ، ويَنامُ سُدُسَهُ، ويَصُومُ يَوْمًا، ويُفْطِرُ يَوْمًا". [حديثٌ صحيحٌ: صحيح البخاري ١١٣١].

الإقبالُ على اللهِ عزَّ وجلَّ بالعمَلِ الصالحِ، والاجتهادِ في العِبادةِ باللَّيلِ والنَّهارِ؛ سَمْتُ الصالحينَ الأبرارِ، وقد وجَّهَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أُمَّتَه لأخْذِ النَّفْسِ بما تُطيقُ، وكان أنبياءُ اللهِ همُ القُدوةَ في هذا الشَّأنِ. وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بأفضلِ كَيفيَّةٍ في قِيامِ اللَّيلِ وصَومِ النّافلةِ، وهما قِيامُ نَبيِّ اللهِ داودَ عليه السَّلامُ وصَومُه؛ فأمّا قِيامُه فكان يَنامُ نصْفَ اللَّيلِ الأوَّلَ، ثمَّ يَقومُ ثُلثَ اللَّيلِ، ثمَّ يَنامُ سُدسَه الأخيرَ، وأمّا صِيامُه فكان يَصومُ يَومًا ويُفطِرُ يومًا، فهذا أكثَرُ ما يكونُ القِيامُ والصِّيامُ محبوبًا للهِ عزَّ وجلَّ، ومِن ثَمَّ يَنالُ صاحبُه عليه أعْلى الدَّرجاتِ، وإنَّما صارتْ هذه الطَّريقةُ أحَبَّ إلى اللهِ مِن أجْلِ الأخذِ بالرِّفقِ على النُّفوسِ الَّتي يُخشى منها السَّآمةُ والمَلَلُ الَّذي هو سَببٌ إلى تَرْكِ العِبادةِ، واللهُ يُحِبُّ أنْ يُديمَ فضْلَه، ويُواليَ إحسانَه أبدًا، وإنَّما كان ذلك أرفَقَ؛ لأنَّ النَّومَ بعدَ القِيامِ يُريحُ البدَنَ، ويُذهِبُ ضرَرَ السَّهرِ وذُبولَ الجِسمِ، بخِلافِ السَّهرِ إلى الصَّباحِ، وفيه مِن المصلحةِ أيضًا: استِقبالُ صَلاةِ الصُّبحِ وأذكارِ النَّهارِ بنَشاطٍ وإقبالٍ، وأنَّه أقرَبُ إلى عدَمِ الرِّياءِ؛ لأنَّ مَن نام السُّدسَ الأخيرَ أصبَح ظاهرَ اللَّونِ، سَليمَ القُوى؛ فهو أقربُ إلى أنْ يُخفيَ عمَلَه الماضيَ على مَن يَراهُ. وصِيامُ يَومٍ وإفطارُ يَومٍ أفضَلُ مِن صِيامِ الدَّهرِ كلِّهِ؛ إذْ بصِيامِ الدَّهرِ يَضعُفُ البَدَنُ، ويَقصُرُ المُسلِمُ عن أداءِ الحُقوقِ لأصْحابِها، ومِن جِهةٍ أُخرى فإنَّ سَرْدَ الصِّيامِ طَوالَ العامِ تَأْلَفُه النَّفْسُ وتَعْتادُه، فيَفقِدُ الصِّيامُ أثَرَهُ في تَهذيبِ نفْسِ الصّائمِ، أمّا إعْطاءُ النَّفْسِ يومًا وحِرمانُها آخَرَ، فهو أشَدُّ عليها وأقْوى في تَهذيبِها، وبذلِكَ يكونُ الصَّومُ أنفَعَ لصاحِبِه، وأحَبَّ إلى اللهِ تعالى. وفي رِوايةِ الصَّحيحَينِ بيَّنَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ السَّبَبَ في تَفضيلِ صِيامِ نَبيِّ اللهِ داودَ على غَيرِه، فقالَ: «كان يَصومُ يَومًا ويُفطِرُ يَومًا، ولا يَفِرُّ إذا لاقى»، فلا يَفِرُّ مِن العَدوِّ إذا لَقِيَه في الحربِ؛ لقُوَّةِ نفْسِه بما أبقى فيها في غَيرِ إنهاكٍ وإضعافٍ لها بصَومٍ. {وفي الحديثِ: الاقتداءُ بالأنبياءِ قبْلَ نبيِّنا مُحمَّدٍ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ في العِباداتِ. وفيه: الحَثُّ على قِيامِ اللَّيلِ، وصِيامِ التَّطوُّعِ. وفيه: أنَّ صَومَ يَومٍ وفِطرَ يَومٍ أحَبُّ إلى اللهِ تعالى مِن غَيرِه، وإنْ كان أكثَرَ منه}.

٢٧٦ حديثٌ صحيحٌ: متفق عليه؛ صحيح مسلم ٧٨٣؛ أخرجه البخاري (٦٤٦٥)، ومسلم ٢١٨ - ٧٨٣. وفي رواية للإمام البخاري: أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كانَ يَحْتَجِرُ حَصِيرًا باللَّيْلِ فيُصَلِّي عليه، ويَبْسُطُهُ بالنَّهارِ فَيَجْلِسُ

"أحبُّ الناسِ إلى اللهِ أنْفَعُهُمْ لِلنّاسِ، وأحبُّ الأعمالِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ سُرُورٌ يدْخِلُهُ على مسلمٍ، أوْ يكْشِفُ عنهُ كُرْبَةً، أوْ يقْضِي عنهُ دَيْنًا، أوْ تَطْرُدُ عنهُ جُوعًا، ولأنْ أَمْشِي مع أَخٍ لي في حاجَةٍ أحبُّ إِلَيَّ من أنْ اعْتَكِفَ في هذا المسجدِ، يعني مسجدَ المدينةِ شهرًا، ومَنْ كَفَّ غضبَهُ سترَ اللهُ عَوْرَتَهُ، ومَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، ولَوْ شاءَ أنْ يُمْضِيَهُ أَمْضاهُ مَلأَ اللهُ قلبَهُ رَجاءً يومَ القيامةِ، ومَنْ مَشى مع

عليه، فَجَعَلَ النّاسُ يَثُوبُونَ إلى النَّبيّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فيُصَلُّونَ بصَلاتِهِ حتّى كَثُرُوا، فأَقْبَلَ فَقالَ: "يا أيُّها النّاسُ، خُذُوا مِنَ الأعْمالِ ما تُطِيقُونَ؛ فإنَّ اللَّهَ لا يَمَلُّ حتّى تَمَلُّوا، وإنَّ أحَبَّ الأعْمالِ إلى اللَّهِ ما دامَ وإنْ قَلَّ" [حديثٌ صحيحٌ: صحيح البخاري ٥٨٦١].

جعَلَ اللهُ تعالى الأعمالَ الصّالحةَ مُتفاضِلةً، وأفضَلُها هي التي يَستمِرُّ عليها صاحِبُها ويُداوِمُ عليها. وفي هذا الحديثِ تُخبِرُ أُمُّ المؤمنينَ عائِشةُ رضِيَ اللهُ عنها أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كان يَحتَجِرُ حَصِيرًا، أي: يَتَّخِذُه كالحُجْرَةِ ويَجعَلُه حاجزًا بيْنه وبيْن غيرِه باللَّيلِ، وكان ذلك في ساحةِ مَسجِدِ النبيّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، فيُصلِّي خلْفَه، ويَبسُطُه بالنَّهارِ فيَجلِسُ عليه، فلمّا رآه النّاسُ جعَلوا يَثُوبُونَ -أي يَرجِعون- إلى النَّبيّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فيُصَلُّونَ بِصَلاتِه حتّى كَثُروا، فأَقْبَل صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ على النّاسِ، فقال: «يا أيُّها الناسُ، خُذُوا مِن الأعمالِ ما تُطِيقون»، أي: أدُّوا منها ما في استطاعتِكم؛ وهذا أمرٌ عامٌّ لا يَختَصُّ بالصَّلاةِ، بل في جميعِ أعمالِ البِرّ، وعليه يكونُ المعنى: فاشتَغِلوا مِن الأعمالِ بما تَستطيعون المُداوَمةَ عليه، وافعَلوا ما تَقدِرون عليه مِن الصِّيامِ والقيامِ، ولا تَشُقُّوا على أنفُسِكم؛ «فإنَّ اللهَ لا يَمَلُّ حتّى تَمَلُّوا»، أي: فإنَّ اللهَ لا يَمَلُّ مِن ثَوابِك حتّى تَمَلَّ مِن العَمَلِ، «وإنَّ أَحَبَّ الأعمالِ إلى اللهِ»، أي: التي تُقرِّبُ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ، وتكونُ سَببًا في نَيلِ فَضلِهِ وثَوابِهِ «ما دام» واستَمرَّ في حَياةِ العامِلِ، «وإنْ قَلَّ»؛ لأنَّه يَستمِرُّ، بخلافِ الكثيرِ الشّاقِّ، فالمواظَبةُ على العملِ القليلِ أمرٌ حسَنٌ؛ لأنَّها تُكثِّرُها، وتَجعَلُ صاحِبَها دائمَ الصِّلةِ بالعمَلِ الصّالحِ. وقولُه: «فَواللهِ لا يَمَلُّ اللهُ حتّى تَمَلُّوا». في هذا دَليلٌ على إثباتِ صِفةِ المَلَلِ للهِ تعالى، لكنَّ ملَلَ اللهِ ليس كمَلَلِ المخلوقِ؛ فمَلَلُ المَخلوقِ نقْصٌ؛ لأنَّه يدُلُّ على سَأَمِه وضَجَرِه مِن هذا الشَّيءِ، أمّا مَلَلُ اللهِ فهو كَمالٌ وليس فيه نقْصٌ، وهو كسائرِ الصِّفاتِ التي نُثبِتُها للهِ على وَجْهِ الكمالِ، وإنْ كانت في حقِّ المَخلوقِ ليست كَمالًا. ومِن العُلماءِ مَن قال أنه يُرادُ به بَيانُ أنَّه مهما عَمِلْتَ مِن عمَلٍ فإنَّ اللهَ يُجازِيك عليه، فاعمَلْ ما بَدا لك؛ فإنَّ اللهَ لا يَمَلُّ مِن ثَوابِك حتّى تَمَلَّ مِن العمَلِ. ومنهم من قال أنّ هذا لا يَستلزِمُ ثُبوتَ المَلَلِ للهِ عزَّ وجلَّ. {وفي الحَديثِ: بَيانُ شَفقتِه ورَأفتِه بأُمَّتِه صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ. وفيه: أنَّ العَملَ القليلَ الدّائمَ خَيرٌ مِن الكثيرِ المُنقطِعِ. وفيه: الحثُّ على الاقتصادِ في العبادةِ واجتنابِ التعمُّقِ}.

أَخِيهِ في حاجَةٍ حتى تتَهَيَّأَ لهُ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يومَ تَزُولُ الأَقْدامِ، [وإِنَّ سُوءَ الخُلُقِ يُفْسِدُ العَمَلَ، كما يُفْسِدُ الخَلُّ العَسَلَ]" [277]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال

277 حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الألْبَانِيُّ في السلسلة الصحيحة ٩٠٦؛ أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٠٢٦)، وأبو الشيخ في «التوبيخ والتنبيه» (٩٧) باختلاف يسير.

كان الصَّحابةُ رضِيَ اللهُ عنهم -لحرصِهم على الطَّاعاتِ وما يُقرِّبُ مِن رِضا اللهِ عزَّ وجلَّ- كثيرًا ما يسأَلون النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عن أفضَلِ الأعمالِ، وأكثرِها قُربةً إلى اللهِ تَعالى، فكانت إجاباتُ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم تختلِفُ باختلافِ أشخاصِهم وأحوالِهم، وما هو أكثرُ نفعًا لكلِّ واحدٍ منهم. وفي هذا الحديثِ يقول النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: "أحَبُّ الناسِ إلى اللهِ أنفعُهم للناسِ"، أي: أكثَرُ مَن يَنتفِعُ الناسُ بهم، وهذا لا يَقتصِرُ على النَّفعِ المادِّيِّ فَقَطْ، ولكنَّه يمتَدُّ ليشمَلَ النَّفعَ بالعِلمِ، والنَّفعَ بالرَّأْيِ، والنَّفعَ بالنَّصيحَةِ، والنَّفعَ بالمَشورةِ، والنَّفعَ بالجاهِ، والنَّفعَ بالسُّلطانِ، ونحوَ ذلك، فكُلُّ هذه من صُوَرِ النَّفعِ التي تجعَلُ صاحِبَها يشرُفُ بحُبِّ اللهِ له، "وأحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ سُرورٌ يُدخِلُه على مُسلِمٍ"، أي: أنَّ أحَبَّ الأعمالِ: هي السَّعادَةُ التي تُدخِلُها على قَلبِ المُسلِمِ، وهذا يَختلِفُ باختِلافِ الأحوالِ والأفرادِ، فقد يتحقَّقُ السُّرورُ في قلْبِ المُسلِمِ بسُؤالِ أخيه عنه، وقد يتحقَّقُ بزيارةِ أخيه له، وقد يتحقَّقُ بهدِيَّةِ أخيه له، وقد يتحقَّقُ بأيِّ شَيءٍ سِوى ذلك، الأَصْلُ أنْ تُدخِلَ السُّرورَ عليه بأيِّ طريقةٍ استطَعْتَ، "أو يَكشِفُ عنه كُربَةً"، والكُربَةُ: هي الشِّدَّةُ العظيمةُ التي تُوقِعُ صاحِبَها في الهَمِّ والغَمِّ، فمَنِ استطاعَ أنْ يَكشِفَ عن أخيه كُرُبَه، ويَرفَعَ عنه غَمَّه، فقد وُفِّقَ بذلك إلى أفضَلِ الأعمالِ، "أو يَقضي عنه دَينًا"، أي: تَقْضي عن صاحِبِ الدَّينِ دَينَه؛ وذلك فيمن يَعجَزُ عن الوفاءِ بدَينِه، "أو تطرُدُ عنه جُوعًا"، أي: بإطعامِه أو إعطائِه ما يقومُ مَقامَ الإطعامِ، "؛ ولَأَنْ أَمشِيَ معَ أخٍ لي في حاجَةٍ أحَبُّ إليَّ مِن أنْ أَعتكِفَ في هذا المسجِدِ، يعني: مسجِدَ المدينَةِ شَهرًا"، ففي قولِه هذا إشارةٌ إلى فضْلِ المشْيِ مع المُسلِمينَ في قَضاءِ حوائِجِهم، وتَيسيرِ العَقَباتِ لهم، حتى جاوَز هذا الفضْلُ الاعتكافَ في مسجِدِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ولا يَدُلُّ هذا إلَّا على عَظيمِ فضْلِ السَّعيِ بين المُسلِمينَ لقَضاءِ حوائجِهم، "ومَن كَفَّ غَضَبَه سَتَرَ اللهُ عَورَتَه"، وفيه إرشادٌ إلى ما يَجِبُ أنْ يأخُذَ المُسلِمُ به نفسَه وقتَ الغَضَبِ، من كَفِّ الغَضَبِ وكظْمِ الغَيظِ، وأنَّ عاقِبَةَ ذلك طَيِّبةٌ، وهي سَترُ اللهِ عزَّ وجلَّ لعَورَتِه، "ومَن كَظَمَ غيظَه، ولو شاءَ أنْ يُمضِيَه أمضاهُ مَلأَ اللهُ قلْبَه رَجاءً يومَ القيامَةِ"، وهذا فضْلُ مَن كَظَمَ غيظَه للهِ، مع استطاعَتِه أنْ يُمضِيَ غيظَه، ولكِنَّه كَظَمَه ومَنَعَه للهِ؛ ولأنَّ هذا الأمرَ عزيزٌ على النَّفسِ، فكان فضْلُه عظيمًا، "ومَن مَشى معَ أخيه في حاجَةٍ حتى تتهيَّأَ له"، أي: حتى تُقْضى له، "أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَه يوم تَزولُ الأقدامُ"، أي: ثَبَّتَ اللهُ قَدَمَه يومَ القيامَةِ على الصِّراطِ. ثم قال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: "وإنَّ سُوءَ الخُلُقِ يُفسِدُ العَمَلَ، كما يُفسِدُ الخَلُّ العَسَلَ"، خَتَمَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بهذه العِباراتِ، وهذا الإرشادِ، بعدَ أنْ أرشَدَ السائِلَ إلى أحَبِّ الأعمالِ إلى اللهِ تَعالى، وكأنَّه أرادَ أن يقولُ

صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "أَحَبُّ البِلادِ إلى اللهِ مَساجِدُها، وَأَبْغَضُ البِلادِ إلى اللهِ أَسْواقُها" ٢٧٨، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: قال صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "إن أحبَّ الأسماءِ إلى اللهِ: عبدُ اللهِ، وعبدُ الرحمنِ" ٢٧٩، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: قال صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "أحَبُّ الطعامِ إلى اللهِ ما كَثُرَتْ

له: إنْ فَعَلتَ هذه الأعمالَ الصالِحَةَ، فإيَّاك أنْ يَفوتَك حُسْنُ الخُلُقِ؛ فإنَّ سوءَ الخُلُقِ يُفسِدُ الأعمالَ الصالِحَةَ، فَسادًا عَظيمًا، كما يفسُدُ العَسَلُ إذا وُضِعَ عليه الخَلُّ، فعليكَ -إذنْ- أنْ تَجتنِبَ سوءَ الخُلُقِ؛ فإنَّ سوءَ الخُلُقِ يُحبِطُ الأعمالَ، ويُضيعُ الثَّوابَ. {وفي الحديثِ: الحثُّ على مَكارِمِ الأخلاقِ والتَّحذيرُ من سُوءِ الخُلُقِ}.

٢٧٨ حديثٌ صحيحٌ: صحيح مسلم ٢٨٨ – ٦٧١.

المساجدُ محلُّ نُزولِ رَحمةِ اللهِ عزَّ وجلَّ وفضلِه، وعلى العَكسِ مِن ذلكَ الأَسواقُ؛ فهيَ محلُّ أفعالِ الشَّيطانِ مِن الطَّمَعِ والغَفلَةِ؛ لذا كانتِ المَساجِدُ أحبَّ البِلادِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ لأنَّها بيتُ الطَّاعَةِ، ومَخصوصةٌ بالذِّكرِ، فَلا أحدَ أظلَمُ مِن رجلٍ منَعَ مساجدَ اللهِ أن يُذكَرَ فيها اسمُه، أُسِّستْ على تقوى اللهِ عزَّ وجلَّ يُقرأ فيها القُرآن، يُنشَر فيها العِلمُ، وقد أضافها اللهُ لنفسِه إضافةَ تَشريفٍ وتعظيمٍ، فقال: {وَأَنَّ الْمَساجِدَ لِلَّهِ} [الجن: ١٨]، وكانتِ الأسواقُ أبغضَ البِلادِ إلى الله عزَّ وجلَّ؛ لكَثرةِ الحَلِفِ الكاذِبِ فيها، والغشِّ والخِداعِ، والغَفلةِ عن ذكرِ اللهِ- سُبحانه وتَعالى- وإخلافِ الوَعدِ، وسُوءِ المُعامَلةِ، وغيرِ ذلكَ ممّا في مَعناه؛ فالمرادُ بمحبَّة المساجد محبَّةُ ما يقَعُ فيها مِن الطّاعاتِ، والمُرادُ ببُغضِ الأَسواقِ بغْضُ ما يقَع فيها مِن الذُّنوبِ والآثامِ.

٢٧٩ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترمذي ٢٨٣٤، وفي رواية: "تَسَمَّوْا بأسماءِ الأنبياءِ، وأحبُّ الأسماءِ إلى اللهِ عبدُ اللهِ، وعبدُ الرحمنِ، وأصدُقُها حارثٌ، وهَمّامٌ، وأقبَحُها حَرْبٌ، ومُرَّةٌ" [حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الأَلْبَانِيُّ فِي صحيح أبي داود ٤٩٥٠؛ وقال: {صحيح دون قوله: تسموا بأسماء الأنبياء}].

لقدْ أَوْصى النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بِكلِّ ما هوَ جميلٌ وحَسنٌ، ومِنها اختِيارُ الأسماءِ الحَسَنةِ، والبُعدُ عن القَبيحِ، وفي هذا يقولُ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: تَسمَّوْا بأسماءِ الأنبياءِ؛ وذلك لأنَّهم همُ القدوةُ الصالحةُ ولِما في التَّسميةِ بهمْ مِن تَذكيرٍ ودَعوةٍ للأجيالِ المتعاقِبةِ، فيُحفظُ دِينُ اللهِ بها. ثم قال صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «وأحبُّ الأسماءِ إلى اللهِ عبدُ اللهِ، وعبدُ الرحمنِ»؛ وذلك لأنَّ فيهِما النداءَ بالعُبوديَّةِ للهِ وحدَه. «وأصدَقُها»، أي: أكثَرُ الأسماءِ مُطابقةً لمعانيها، «حارِثٌ»، ومَعناهُ: الكاسبُ، «وهمّامٌ»، وهو الذي يَهمُّ بالأمرِ، ويعزِمُ عليه. قالَ: «وأقبحُها حَربٌ، ومُرَّةُ»؛ وذلك لِما في الحربِ من بَشاعةِ القتلِ والتَّدميرِ، وما في مُرَّة مِن المرارةِ التي تَأباها الطِّباعُ، ولعلَّ اختِيارَ النبيّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ودعوتَه للأسماءِ الحَسنةِ والبُعدَ عن الأسماءِ القبيحةِ مِن بابِ الفَألِ الحسَنِ، وليسَ من التطيُّرِ والتشاؤُمِ من الأسماءِ القبيحةِ.

عليه الأَيْدِي" [٢٨٠]، وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: قال صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "أَحَبُّ العملِ إلى اللهِ تعالى الحالُّ المُرْتَحِلُ"، قال: وما الحالُّ المُرْتَحِلُ؟ قال: "الذي يَضْرِبُ من أولِ القرآنِ إلى آخِرِهِ، كُلَّما حَلَّ ارْتَحَلَ" [٢٨١].

وقد تقرَّر عند أهل العلم أنّ محبة الله تعالى لعبده ناشئةٌ من محبة هذا العبد لربه سبحانه؛ لأنّه لم يخلق على الحقيقة إلا ليعرف الله فيحبه، ويتفانى في التقرُّب إليه بما أمر به، وتجنُّب ما نهى عنه، وهذه مرتبة لا يبلغها إلا موفق؛ يقول الشيخ السعدي رحمه الله: "ومحبة الله هي روح الأعمال، وجميع العبودية الظاهرة والباطنة ناشئةٌ عن محبة الله، ومحبة العبد لربه فضلٌ من الله وإحسان، وليست بحول العبد ولا قوّته، فهو تعالى الذي أحبَّ عبده، فجعل المحبَّة في قلبه، ثم لما أحبَّه العبد بتوفيقه، جازاه الله بحبٍّ آخر" [٢٨٢]، فإذا أحبَّكَ الله سدَّدَكَ، وكان النور الذي يُنير طريقك، والهداية التي تبلغ بها مُرادك، وبحبّه لك، يستجيب دعاءك؛ قال تعالى في الحديث القدسي: "إنَّ اللَّهَ قالَ: مَن عادى لي وليًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ" [٢٨٣]،

٢٨٠ حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَه الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ١٧١؛ أخرجه أبو يعلى (٢٠٤٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٣١٧).

٢٨١ حديثٌ ضَعيفٌ: ضَعَّفَه الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي السلسلة الضعيفة ١٨٣٤؛ أخرجه الترمذي (٢٩٤٨).

٢٨٢ كتاب تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي - النافع النور الهادي الواحد الواسع الودود ص٢٤٣.

٢٨٣ حديثٌ صحيحٌ؛ أخرجه البخاري ٦٥٠٢.

قال ابن بطال رحمه الله: "وجه ذلك أنّه لا يحرك جارحة من جوارحه إلا لله وفي الله، فجوارحه كلها تعمل بالحق، فمن كان كذلك، لم ترد له دعوة" [٢٨٤].

وكثيرةٌ هي الإشارات والعلامات التي يستدلّ المؤمن من خلالها على محبّة الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ له، ومنها ما يأتي:

١. إيثار محبّة الله على حبّ النفس [٢٨٥]، وتسخير العبد جوارحَه لله تعالى [٢٨٦]، وتمكين

يَحكي أبو هُرَيرَة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ قال: مَن عادى؛ أي: آذى، لي وليًّا، وهو مَن يتولّى اللهُ سبحانه وتعالى أمْرَه ولا يَكِلُه إلى نفْسه لحظةً، بل يتولّى الحقُّ رعايتَه، أو هو الذي يتولّى عبادةَ الله وطاعته، فعباداته تَجري على التَّوالي من غير أنْ يتخلَّلها عصيان، فقد آذنتُه أي: أعلَمتُه بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضتُ عليه؛ أي: أوجبتُه عليه، وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنَّوافل مع الفرائض كالصَّلاة والصِّيام؛ حتى أُحبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعه الذي يَسمَع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطِش بها، ورِجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينَّه ما سأل، ولئنِ استعاذني لأُعيذنَّه ممّا يخاف، وما تردَّدتُ عن شيءٍ أنا فاعله تردُّدي عن نفْسِ المؤمن؛ وليس هذا التردد من أجل الشك في المصلحة، ولا من أجل الشك في القدرة على فعل الشيء، بل هو من أجل رحمة هذا العبد المؤمن، ولهذا قال في نفس الحديث: "يكره الموت، وأكره إساءته، ولابد له منه"؛ يكره الموت؛ لِما فيه من الألمِ العظيم، وأنا أكره مَساءَتَهُ؛ لِما يَلْقى المؤمن من الموتِ وصُعوبته. {في الحديث: النَّهي عن إيذاء أولياء الله. وفيه: التَّرغيب في حبِّ أولياء الرَّحمن، والاعتراف بفضلهم. وفيه: أنَّ أحبَّ الأعمالِ فِعلُ الفرائض، وأفضلُ القُرُبات بَعدَها فِعلُ النَّوافل}.

٢٨٤ شرح ابن بطال على صحيح البخاري ٢١٢/١٠.

٢٨٥ يستطيع المسلم أن يُحقّق مرتبة إيثار الله تعالى؛ بمخالفة هوى النفس ونزواتها، ووسوسة الشيطان وشرّها، وقهرهما، ويُعَدّ ذلك عبادة في حَدّ ذاتها، وهذه الصفة من صفات النبيّين عليهم السلام.

٢٨٦ يُسخّر العبد جوارحَه لله تعالى، ووصول العبد إلى هذه المرحلة يوصله إلى مرحلة الولاية، وهو في هذه الدرجة لا يسمح لحَواسّه إلّا أن تُستعمَل فيما يُحبّه الله تعالى؛ فلا يستعمل يدَيه في الأخذ والعطاء إلّا بما يُرضي الله تعالى، ولا يسمع بأذنَيه إلّا ما أحبّه الله تعالى، ولا يمشي برجلَيه إلّا إلى ما يُحبه الله تعالى، ولا يرى بعينَيه إلّا ما يُحبّه الله تعالى؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ اللَّهَ قالَ: مَن عادى لي ولِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ

القلب من حب لقاء الله تعالى [٢٨٧].

٢. محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم واتِّباعه: فلا يتصور حب لله من دون حب لرسوله صلى الله عليه وسلم الذي عرَّفنا بربِّنا، وبلَّغنا رسالته، وبيَّن لنا الطريق إليه؛ قال الله سبحانه وتعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [آل عمران: ٣١]، قال الحسن البصري رحمه الله: "زعم قوم

سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ" [حديثٌ صحيحٌ: صحيح البخاري البخاري ٦٥٠٢].

٢٨٧ فالمؤمن لا يهاب الموت، ولا يخاف الفوت، ولا يرهب القبر، ولا يجزع من البعث والنشر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَن أحَبَّ لِقاءَ اللَّهِ أحَبَّ اللَّهُ لِقاءَهُ، ومَن كَرِهَ لِقاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقاءَهُ"، قالَتْ عائِشَةُ أوْ بَعْضُ أزْواجِهِ: إنّا لَنَكْرَهُ المَوْتَ، قالَ: "ليسَ ذاكِ، ولَكِنَّ المُؤْمِنَ إذا حَضَرَهُ المَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوانِ اللَّهِ وكَرامَتِهِ، فليسَ شيءٌ أحَبَّ إلَيْهِ ممّا أمامَهُ، فأحَبَّ لِقاءَ اللَّهِ وأَحَبَّ اللَّهُ لِقاءَهُ، وإنَّ الكافِرَ إذا حُضِرَ بُشِّرَ بعَذابِ اللَّهِ وعُقُوبَتِهِ، فليسَ شيءٌ أكْرَهَ إلَيْهِ ممّا أمامَهُ، كَرِهَ لِقاءَ اللَّهِ وكَرِهَ اللَّهُ لِقاءَهُ" [حديثٌ صحيحٌ: صحيح البخاري ٦٥٠٧].

لا شكَّ أنَّ الدُّنيا دارُ فَناءٍ، وأنَّ الآخرةَ هي دارُ البقاءِ، وأنَّنا في الدُّنيا كعابرِ سبيلٍ، وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أحبَّ لقاءَ اللهِ أحبَّ اللهُ لقاءَه، ومَن كرِهَ لقاءَ اللهِ كرِهَ اللهُ لِقاءَه»، ومحبَّةُ اللِّقاءِ هي إيثارُ العبدِ الآخرةَ على الدُّنيا، وعدمُ حُبِّ طولِ القيامِ في الدُّنيا، والاستعدادُ لِلارتحالِ عنها، والمرادُ بِاللِّقاءِ: المصيرُ إلى الدّارِ الآخرةِ وطلَبُ ما عند اللهِ وليس الغرضُ به الموتَ؛ لأنَّ كُلًّا يكرُهه فَمَنْ تركَ الدُّنيا وأبغضَها أحبَّ لقاءَ اللهِ، ومَنْ آثَرَها وركَنَ إليها كَرِهَ لقاءَ اللهِ، وقدِ استشكلتْ أُمُّ المؤمنينَ عائشةُ رضِي اللهُ عنها قولَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أحبَّ لقاءَ اللهِ»؛ لأنَّ الموتَ لا يُحبُّه أحدٌ بِطبيعةِ خِلقةِ النّاسِ وما جُبِلوا عليه، فبيَّن لها صلى الله عليه وسلم أنَّ المقصودَ ليسَ ذلك، بَلِ المقصودُ أنَّ المؤمنَ إذا جاءَه الموتُ فإنَّه يرى البُشرى مِنَ اللهِ سبحانه وتعالى لِما ينتظرُه عنده مِن حُسنِ الجزاءِ، فلا يكونُ شيءٌ أحبَّ إليه مِن ذلك، فأحبَّ لِقاءَ اللهِ وأحبَّ اللهُ لقاءَه، وأمّا الكافرُ فإنَّه إذا جاءَه الموتُ يرى ما وعدَه ربُّه مِنَ العذابِ والنَّكالِ حقًّا أمامَ عينَيْه، فلا يكونُ شيءٌ أكرَهَ إليه مِن ذلك، فكرِهَ لقاءَ اللهِ وكرِهَ اللهُ لِقاءَه.

وفي الحديثِ: أنَّ المجازاةَ مِن جِنسِ العملِ؛ فإنَّه قابَلَ المحبَّةَ بِالمحبَّةِ والكراهةَ بِالكراهةِ.

وحبّ العبد للقاء الله في الجنّة، فكلّ محبوب يتشوّق دائماً إلى رؤية محبوبه ولقائه، ولا يتعارض هذا الحبّ مع كراهة المؤمن للموت؛ لأنّ لقاء الله تعالى الذي يُحبّه المؤمن يأتي بعد الموت؛ أي في جنّة الخُلد.

أنهم يحبُّون الله، فابتلاهم الله بهذه الآية"، وقال ابن كثير رحمه الله: "هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادَّعى محبَّة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنّه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي".

٣. حُبُّ مَنْ يحبُّه الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ من عباده المصطفين الأخيار؛ كحُبِّ الرسول صلى الله عليه وسلم، وصحابته، وأولياء الله الصالحين، وليس ذلك حبًّا مع الله سبحانه وتعالى؛ بل هو من تمام حب الله سبحانه وتعالى؛ لأنّه حب لأجل الله سبحانه وتعالى، وفي الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ؛ قال ابن القيم رحمه الله: "فأصل العبادة محبَّة الله؛ بل إفراده بالمحبَّة، وأن يكون الحبُّ كله لله، فلا يحبُّ معه سواه؛ وإنما يحبُّ لأجله وفيه، كما يحبُّ أنبياءه، ورسله، وملائكته، وأولياءه، فمحبَّتنا لهم من تمام محبَّته، وليست محبَّةً معه" [٢٨٨]، فالذي يبغض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا حَظَّ له في محبَّة الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ، والذي يُنكِر وجود الملائكة، لا حظَّ له في محبَّة الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ، والذي يتَّهم أولياء الله بالجهل، لا حظَّ له في محبَّة الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ ... وهكذا.

٤. الحماية من الدنيا، والاقتدار على ترك حبها، والتنزُّه عن الانشغال بملذَّاتها وشهواتها؛ وهذه منقبة عظيمة، لا يُؤتاها إلا من غلبت محبة الله ورسوله في قلبه محبةَ ما سواهما، ولقد أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجلٌ، فقال: يا رسولَ اللَّهِ دلَّني على عَملٍ إذا أَنا عَمِلْتُهُ أحبَّني اللَّهُ وأحبَّني النّاسُ، فقالَ رسولُ اللَّهِ صلّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ: "ازهَد في الدُّنيا يحبَّكَ اللَّهُ وازهد فيما في أيدي النّاسِ يحبُّوكَ" [٢٨٩]، فإن فاتك من الدنيا شيء، فلا تأسَ عليه، ما دامت معك محبة الله لك، التي قد تمنعك أحيانًا الدنيا لما يريده تعالى لك من رفعة عما يتخاصم الناس من أجله، وتنزه عما يتقاتل الناس في سبيله،

---

٢٨٨ مدارج السالكين، لابن القيم، ٩١/١.

٢٨٩ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الأَلْبَانِيُّ في صحيح ابن ماجه ٣٣٢٦.

قال صلى الله عليه وسلم: "إنَّ اللهَ تعالى لَيحمي عبدَه المؤمنَ من الدنيا، وهو يُحبُّه، كما تحمون مريضَكم الطعامَ والشرابَ تخافون عليه" [٢٩٠]، قال المناوي رحمه الله: "إنما يحميه لعاقبة محمودة، وأحوال سديدة مسعودة" [٢٩١]، فالله يحمي العبد الذي يُحبّه من فِتن الدُّنيا، كالأموال، والزخارف، والزينة، وغيرها؛ بأن يمنعها عنه كما يمنع الإنسان قريبَه المريض من الماء إذا طلب منه الطبيب ذلك؛ لأنّ فيه ضرراً عليه، وما يقع للعبد من حرمان في بعض ما يراه النّاس خيراً هو في حقيقته خيرٌ أراده الله لعبده، وقد لا يعلم المرء علّة المنع أو ما ادّخره الله تعالى له جزاءً لصبره، كما أنّ منع الله النّعمة عن بعض عباده المتّقين ليس سخطاً عليهم، بل حبّاً لهم ورفعاً لدرجاتهم، فقد تكون الدنيا مشغلة لك عن عبادة ربك، أو صارفة لك عن مراقبته، أو مزيغة لك عن طريقه، وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: "ابتُلينا معَ رسولِ اللَّهِ صلّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ بالضَّرّاءِ فصَبَرنا، ثمَّ ابتُلينا بالسَّرّاءِ بعدَهُ فلم نصبِرْ" [٢٩٢]، ويقول صلى الله عليه وسلم: "أربعٌ إذا كنَّ فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حِفظُ أمانةٍ،

---

٢٩٠ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ١٨١٤.

٢٩١ فيض القدير شرح الجامع الصغير - المناوي - ج ٢ - الصفحة ٣٣٠.

٢٩٢ حديثٌ إسناده صحيح: قال عنه الشيخ الْأَلْبَانِيُّ: إسناده صحيح؛ فِي صحيح الترمذي ٢٤٦٤.

إنَّ اللهَ إذا أحبَّ قومًا ابتَلاهم؛ لذا فالابتلاءُ عَلامةُ خيرٍ، والبلاءُ يَكونُ بالسَّرّاءِ والضَّرّاءِ، وقد ابتُلِيَ الصَّحابةُ رضِيَ اللهُ عنهم بكِلَتيهما. وفي هذا الحديثِ يقولُ عبدُ الرَّحمنِ بنُ عوفٍ: «ابتُلينا»، أي: اختُبِرنا مِن اللهِ سبحانه وتعالى «مع رسولِ اللهِ صلّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ بالضَّرّاءِ»، أي: بالاحتياجِ والفقرِ والخوفِ وشدَّةِ الحالِ، «فصبَرْنا»، أي: فما كان مِنّا إلّا أنْ وفَّقنا اللهُ للصَّبرِ على ذلك رغْمَ قَسْوةِ ذلك في الظّاهرِ مُقارَنةً بيُسرِ الحالِ، «ثمَّ ابتُلينا بعدَه»، أي: ثمَّ بعدَ ذلك اختُبِرنا مِن اللهِ سبحانه وتعالى «بالسَّرَّاءِ»، أي: بسَعةِ الدُّنيا والرِّزقِ، «فلَم نَصبِرْ»، أي: لم نَتصرَّفِ التصرُّفَ الحسَنِ مِن الشُّكرِ كما يَنبَغي لتِلْك النِّعمةِ، وهذا مِن النَّظرِ إلى عظيمِ فَضلِ اللهِ على عِبادِه والاعتِراف بتَقصيرِ النَّفْسِ، والمعنى: أنَّه يَنبغي ألّا يَركَنَ المسلمُ إلى المنحةِ وليحذَرَ زوالَها، فيُواظِب على شُكرِها باستعمالها في الطاعةِ والبُعد عن المعصيةِ. {وفي الحديثِ: صُعوبةُ الابتِلاءِ بالسَّرّاءِ، والإشارةُ إلى أنَّ الصَّبرَ عليها والقيامَ بشُكرِها أتمُّ وأصعبُ من الصَّبرِ على الابتلاءِ بالضَّراءِ}.

وصدقُ حديثٍ، وحُسنُ خليقةٍ، وعِفَّةٌ في طُعمةٍ" [٢٩٣]، وليس معنى هذا أن تتنزَّه عن المباح من الدنيا، فتترك أسباب العيش، وتفضِّل التقشُّف ولُبس البالي والمرقَّع، إنما المقصود التحذير من أن تشرئبَّ الأعناق إلى هذه الدنيا الفانية، وتمتلئ بها العيون حتى تصير الشغل الأعلى، والهدف الأسمى؛ ولذلك حذَّر النبي صلى الله عليه وسلم أُمَّته من مغبَّة الافتتان بالمال الذي سيبتلي الله به أُمَّته، فقال: "إنَّ لكلِّ أمَّةٍ فتنةً وفتنَةُ أمَّتي: المالُ" [٢٩٤]، وحذَّر صلى الله عليه وسلم من أن تؤدي كثرة الأموال إلى

---

٢٩٣ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترغيب ١٧١٨؛ أخرجه أحمد (٦٦٥٢)، وابن وهب في «الجامع» (٥٤٦). {وفي رواية: "أربعٌ إذا كنَّ فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا، صدْقُ الحديثِ، وحفْظُ الأمانةِ، وحُسْنُ الخُلقِ، وعفَّةُ مَطْعَمٍ" [حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ٨٧٣]}.

حُسْنُ الخُلُقِ يرْقى بصاحِبِهِ إلى أعْلى المراتِبِ في الدُّنْيا والآخِرَةِ، ومَن رُزِقَ حُسنَ الخُلُقِ فلا عليه ممّا فاتَه مِن الدُّنيا، كما يقولُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم في هذا الحديثِ: «أرْبعٌ»، أي: خِصالٍ وصِفاتٍ، «إذا كُنَّ فيك»، أي: اتَّصفَ المُسْلمُ وتخلَّق بهن، «فلا عليك ما فاتَك من الدُّنْيا»، أي: لا بأْسَ بما يَضيعُ من الدُّنْيا من مُتعٍ، إنْ كان المُسْلمُ بتلك الصفاتِ، ويَحْتمِلُ: أنه لا بأْسَ بما يفوتُ من الدُّنْيا إذا كان الفائِتُ منها ما يترتَّبُ من معاملاتٍ بتلك الخِصالِ، الأُولى: «صِدْقُ الحديثِ»، أي: التزامُ الصِّدْقِ في القَوْلِ والإخبارِ بأيِّ شيءٍ، والثانيةُ: «وحِفْظُ الأمانةِ»، وحِفظُ الأماناتِ يكونُ في الأموالِ والأعمالِ، والثالثة: «وحُسْنُ الخُلُقِ»، أي: الَّذي يَمْتَثِلُ بالخلُقِ الحسنِ بيْن النّاسِ جميعًا؛ فيُحَسِّنُ خُلُقَه مع اللهِ عزَّ وجَلَّ بالرِّضا بقَضاءِ اللهِ وقدَرِه، والصَّبرِ والحمدِ عندَ البلاءِ، والشُّكرِ عندَ النِّعمةِ، ويكونُ حَسَنَ الخلُقِ مع النّاسِ؛ بكَفِّ الأَذى عنهم، وطَلاقةِ الوَجهِ، ولِينِ الكَلامِ، والإحسانِ إليهم، وبَذْلِ العَطاءِ فيهم، مع الصَّبرِ على أذاهُم؛ فكَمالُ الإيمانِ يُوجِبُ حُسْنَ الخُلقِ، والإحسانَ إلى النّاسِ كافَّةً، والرابعةُ: «وعِفَّةُ مَطْعَمٍ»، أي: التزامُ الحَلالِ في المَأْكلِ والمَشْربِ؛ لأنَّه أكثرُ ما يطْلُبُه الناسُ، ويعُمُّ كلَّ ما يَنْتفِعُ به الإنسانُ كالمَلْبسِ والمَسْكَنِ.

٢٩٤ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترمذي ٢٣٣٦.

المالُ فِتنةٌ؛ فمَن استخدمَه في طاعةِ اللهِ وسخَّره في مَرضاتِه كان المالُ نِعمةً ساعدَتْه في بلوغِ الجنَّةِ، ومَن استغلَّه في مَعصيةِ اللهِ وعَمِل فيه بما لا يُرضيه كان المالُ نِقمةً تسوقُه إلى النّارِ. وفي هذا الحديثِ يَقولُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «إنَّ لكلِّ أمَّةٍ فِتنةً»، أي: لا بدَّ لكلِّ أمَّةٍ مِن الأمَمِ مِن ابتلاءٍ واختِبارٍ بشيءٍ تُفتتَنُ به ويمايِزُ بين صفوفِها، والمقصود هنا بالفِتنةِ الشَّيءُ الَّذي يَضِلُّ به الإنسانُ ويَزيغُ عن طَريقِ الحقِّ، فربَّما كان المالُ فتنةً إذا أبعَد صاحِبَه عن طاعةِ اللهِ، وربَّما كان الجاهُ فِتنةً إذا أعان على الظُّلمِ والبَغيِ وضياعِ الحُقوقِ، وربَّما كانتِ النِّساءُ

التنافس فيها، وقصر الهمة على تحصيلها، فقال صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "فأَبْشِرُوا وأَمِّلُوا ما يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ لا الفَقْرَ أَخْشَى علَيْكُمْ، ولَكِنْ أَخَشَى علَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كما بُسِطَتْ علَى مَن كانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كما تَنَافَسُوهَا وتُهْلِكَكُمْ كما أَهْلَكَتْهُمْ" [٢٩٥]، قال

فِتنةً إذا أوقعَتِ الإنسانَ في مَراتعِ الشَّهوةِ والآثامِ، «وفِتنةُ أمَّتي: المالُ»، أي: وضلالُ أمَّتي سيكونُ في المالِ؛ وذلك في الحِرصِ على جَمعِه وعدمِ المبالاةِ مِن حلالٍ أو مِن حرامٍ، وصَرفِه في المعاصي والفواحِشِ، وعدمِ إخراجِ حقِّ اللهِ فيه؛ وذلك كما كانت فِتنةُ بني إسرائيلَ في النِّساءِ فأضلَّتهم النِّساءُ وأوقعَتْهم في الفواحِشِ والرَّذائلِ، فالنَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يُوضِّحُ أنَّ فِتنةَ أمَّتِه وابتلاءَها واختبارَها وضلالَها سَيكونُ مِن جِهةِ المالِ، لا مِن جِهةِ النِّساءِ أو الجاهِ والسُّلطانِ كالأُمَمِ السابقة. وفِتنةُ المالِ هي إحْدى الفِتنِ التي ذَكرَها النبيُّ صلى الله عليه وسلم ونبَّه على خَطرِها وحذَّرَ منها أُمَّتَه، ومِن ذلك ما في صَحيحِ البُخاريِّ، أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم: «قال ما تَركتُ بَعدِي فِتنةً أضرَّ على الرِّجالِ مِن النِّساءِ"، ولعلَّ تَخصيصَ فِتنةِ المالِ بأنَّها فِتنةُ هذه الأُمَّةِ دون غيرِها مِن الفِتنِ: أنَّ المالَ هو الفِتنةُ التي تُوصلُ إلى الوقوعِ في غيرِها من الفِتن أو إلى كثيرٍ منها، كما في الصَّحيحينِ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((واللهِ ما أخافُ عليكم أنْ تُشرِكوا بَعْدي، ولكنْ أخافُ عليكم أن تَنافَسوا فيها فتَهلِكوا كما هلَك مَن كان قَبْلكم»؛ فأخْبَرَ أنَّ التنافُسَ على المالِ والدُّنيا سببٌ في الهلاكِ. {وفي الحديثِ: التَّحذيرُ مِن فِتنةِ المالِ التي تَشغَلُ عن طاعةِ اللهِ وتُلهي عن المعروفِ، ولا يُعمَلُ فيه بما أرادَ اللهُ}.

٢٩٥ حديثٌ صحيحٌ متفق عليه؛ أخرجه البخاري ٣١٥٨، ومسلم ٦ - ٢٩٦١.

الفَقرُ والغِنى مِحْنَتانِ مِنَ اللهِ تَعالى، وبَلِيَّتانِ يَبْلو بهما أخيارَ عِبادِه؛ لِيَظهَرَ صَبرُ الصَّابِرينَ، وشُكرُ الشَّاكِرينَ، وقد كان صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَستَعيذُ مِنَ الفَقرِ، ويُحذِّرُ مِن فِتنةِ الغِنى والمالِ. وفي هذا الحديثِ يَروي عَمرُو بنُ عَوفٍ المُزَنيُّ رَضيَ اللهُ عنه أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أرسَلَ أبا عُبَيدةَ بنَ الجَرَّاحِ رَضيَ اللهُ عنه إلى البَحرَيْنِ لِيَأْتِيَ بجِزْيَتِها، وهي المالُ المَفروضُ على المَجوسِ مِن أهلِها، مُقابِلَ تَركِهم أحياءً وحِمايَتِهم بعْدَ أنْ صَالحَهم على ذلك، وكانتِ البَحرَيْنُ في القَديمِ تُطلَقُ على ما يَشمَلُ حاليًّا كُلًّا مِنَ البَحرَيْنِ، والأحساءِ والقَطيفِ، شَرقَ المَملكةِ العَربيَّةِ السُّعوديَّةِ، وقد فُتِحتْ سَنةَ ثَمانٍ مِنَ الهِجرةِ، وقد أقَرَّ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عليها عامِلَها المُنذِرَ بنَ ساوَى، ثم لَمَّا ماتَ أمَّرَ عليهمُ العَلاءَ بنَ الحَضرَميِّ. فلَمَّا جاء أبو عُبَيدةَ رَضيَ اللهُ عنه بهذا المالِ، كان ذلك في وَقتِ صَلاةِ الفَجرِ، فحَضَرَ النَّاسُ الصَّلاةَ، فلَمَّا صلَّى النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وانصَرَفَ مِنَ الصَّلاةِ وتَوجَّهَ إلى النَّاسِ، تَعَرَّضَ الأنصارُ له كأنَّهم سَأَلوه بالإشارةِ لِمَعرِفَتِهم بكَرَمِ أخلاقِه؛ لِيَقسِمَ بيْنَهم ما جاء به أبو عُبَيدةَ؛ لِأنَّهم أرهَقَتْهُمُ الحاجةُ والفاقةُ التي كانوا عليها، وليس حِرصًا على الدُّنيا، ولا رَغبةً فيها، فعَلِمَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ما يُريدونَ، فتَبسَّمَ، وقال: «أظُنُّكم قدْ سَمِعتُم أنَّ أبا عُبَيدةَ قد جاءَ بشَيءٍ؟»

ابن بطال رحمه الله: "فيه أن زهرة الدنيا ينبغي لمن فُتحت عليه أن يحذَر من سوء عاقبتها، وشر فتنتها، فلا يطمئن إلى زخرفها، ولا ينافس غيره فيها" [٢٩٦]، ومتى ما علم المؤمن أن المال ابتلاء وفتنة، رغب فيما عند الله من الأجر، واستعد بماله لسؤال القبر، فما أهلك كثيرًا من الناس اليوم إلا حب الدنيا وملذَّاتها، وما أعشى أبصارهم إلا زينتها وزخرفها، أما أن يفتح الله عليك الدنيا، فتستعمل ما أوتيت في حقِّه، وتراقب الله في إنفاقه، فذلك حسن محمود.

٥. الابتلاء بالشدائد والمحن، والتمحيص بالمصائب والإحن [٢٩٧]؛ قال الله سبحانه وتعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [الأنبياء: ٣٥]، وحياة الإنسان بعامة قائمة على الابتلاء؛ قال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} [الإنسان: ٢]، وقال تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ} [البلد: ٤]؛ أي: في مكابدة ومعاناة في هذه الدنيا، التي قال عنها علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "ما أصف من دار أولها عناء، وآخرها

قالوا: أجَلْ يا رَسولَ اللهِ، قال: «فأبشِروا وأمِّلوا»، أي: ارجوا ما يَسُرُّكم، وهذا تَهوينٌ منه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عليهم ما هُم فيه مِنَ الشِّدَّةِ، وبِشارةٌ لهم بتَعجيلِ الفَتحِ عليهم. ثمَّ أقسَمَ لهم قائِلًا: «فوَاللهِ لا الفَقرَ أخشى عليكم، ولكِنْ أخْشى عليكمْ أنْ تُبسَطَ عليكمُ الدُّنيا»، والمُرادُ به الغِنى وكَثْرةُ المالِ، كما بُسِطَتْ على مَن كان مِنَ الأُمَمِ التي قَبْلكم، فتَتَسابَقوا إلى تَحصيلِها، فتُؤَدِّيَ إلى هَلاكِكم؛ بسَبَبِ التَّنازُعِ عليها، والرُّكونِ إليها، والاشتِغالِ بها عنِ الآخِرةِ، كما حدَثَ مع الأُمَمِ مِن قبْلِكم. وفي هذا إنذارٌ بما سيَقَعُ، وقد وَقَعَ ما أخبَرَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؛ إذْ فُتِحتِ الدُّنيا بعْدَه وبُسِطتْ، وحَصَلَ التَّحاسُدُ والتَّقاتُلُ وما هو مَعروفٌ ممَّا يَشهَدُ بمِصداقِ خَبَرِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ. {وفي الحديثِ: أنَّ طَلَبَ العَطاءِ مِنَ الإمامِ لا غَضاضةَ فيه. وفيه: البُشرى مِنَ الإمامِ لِأتباعِه، وتَوسيعُ أمَلِهم منه. وفيه: أنَّ المُنافَسةَ في الدُّنيا قد تَجُرُّ إلى هَلاكِ الدِّينِ}.

٢٩٦ كتاب شرح صحيح البخاري لابن بطال؛ ج١٠ ص ١٥٥.

٢٩٧ الابتلاء: هو الاختبار والامتحان؛ قال ابن منظور: "ابتلاه الله: امتحنه، والاسم: البَلْوى، والبلوة، والبِلْية، والبليَّة، والبلاء".

فناء" [٢٩٨]، ولكنه فناء يعقبه حساب وجزاء. فكم غني ابتلاه الله بالفقر! وكم صحيح ابتلاه الله بالسقم! وكم قوي ابتلاه الله بالضَّعف! وكم رفيع ابتلاه الله بالخمول والوضع! وهذه سنة الله في خلقه، ليعلم الصادق من الكاذب، وليعلم الصابر من الجازع؛ قال تعالى: {أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} [العنكبوت: ٢-٣]، وقال تعالى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} [البقرة: ٢١٤]، وما دام الإنسان مختلطًا بغيره، محتكًّا ببني جنسه، فلينتظر البلاء والامتحان، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "المؤمنُ الَّذي يخالطُ النّاسَ ويصبرُ على أذاهم أعظمُ أجرًا منَ المؤمنِ الَّذي لاَ يخالطُ النّاسَ ولاَ يصبرُ على أذاهم" [٢٩٩]،

---

٢٩٨ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "ما أصف من دار أولها عناء، وآخرها فناء، في حلالها حساب وفي حرامها عقاب، من صح فيها ما أمن، ومن مرض ندم ومن استغنى فتن، ومن افتقر فيها حزن!" [الذخائر والعبقريات؛ عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن سيد بن أحمد البرقوقي؛ (٢٧١/١)].

٢٩٩ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح ابن ماجه ٣٢٧٣؛ أخرجه ابن ماجه ٤٠٣٢ واللفظ له، وأحمد ٥٠٢٢ باختلاف يسير، {وفي رواية: "المسلِمُ إذا كانَ مخالطًا النّاسَ ويصبِرُ على أذاهم خيرٌ منَ المسلمِ الَّذي لا يخالطُ النّاسَ ولا يصبرُ على أذاهم" [حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترمذي ٢٥٠٧].

لَمّا كانَت مُخالَطةُ النّاسِ سَبيلًا إلى نَشْرِ الأخلاقِ الحسَنةِ والفضائلِ وأَخْذِ الأُسْوةِ جعَل النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم الخَيريَّةَ لِمَن يُخالِطُ النّاسَ على الَّذي يَعتزِلُهم. وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «المسلِمُ إذا كان مُخالِطًا النّاسَ»، أي: موجودًا بينَهم ويتَعامَلُ معَهم ويؤثِّرُ فيهم ويتَأثَّرُ بهم التأثُّرَ الحسَنَ، «ويَصبِرُ على أذاهم»، أي: ويَصبِرُ على ما يُصيبُه مِنهم مِن مَكروهٍ وأذًى، ويُقابِلُ السَّيِّئةَ بالحسَنةِ، ويَعْفو ويصفَحُ، «خيرٌ»، أي: أفضَلُ حالًا وأكثرُ ثوابًا وأعظَمُ أجرًا، «مِن المسلِمِ الَّذي لا يُخالِطُ النّاسَ ولا يَصبِرُ على أذاهم»، أي: مِن المسلِمِ الذي اعتزَلَ النّاسَ وبَعُد عنهم فلم يُساكِنْهم ولم يُعاشِرْهم ولم يُعامِلْهم، وذلك لأنَّ الَّذي يُخالِطُ النّاسَ ويتَعامَلُ معَهم يَجِدُ مِن البلاءِ والأذى ما لا يَجِدُه المعتزِلُ، فإن صبَر على ذلك كان له عظيمُ الأجرِ والثَّوابِ.

وفيه: فضلُ مُخالَطةِ النّاسِ ومُعامَلتِهم على اعتزالِهم والبُعدِ عنهم.

والابتلاء عام في أولياء الله وخُلَصائه، وما يزال منطلقًا صعودًا وانحدارًا بحسب منسوب الإيمان قوةً وضعفًا؛ قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: سُئِلَ رسولُ اللهِ أيُّ الناسِ أشدُّ بلاءً؟ قال: "الأنبياءُ ثم الأمثَلُ فالأمثلُ يُبتَلى الناسُ على قدرِ دِينِهم فمن ثَخُنَ دِينُه اشتدَّ بلاؤه ومن ضعُف دِينُه ضعُفَ بلاؤه وإنَّ الرجلَ ليصيبُه البلاءُ حتى يمشيَ في الناسِ ما عليه خطيئةٌ"[300]، ومن حكم ابتلاء المؤمنين:

- تمحيص الله لهم، وتخليص صفِّهم من الدخلاء والانتهازيين، ممن يوهمون الناس بصدق عبادتهم، وخلوص عقيدتهم، حتى إذا ابتلوا، سقطوا في أول اختبار،

---

٣٠٠ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترغيب ٣٤٠٢، {وفي رواية: "قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، أيُّ النّاسِ أشدُّ بلاءً؟ قال: "الأنبياءُ ثمَّ الأمثلُ فالأمثَلُ، فيُبتلى الرَّجلُ على حسْبِ دينِه، فإن كانَ في دينِهِ صلبًا اشتدَّ بلاؤُهُ، وإن كانَ في دينِهِ رقَّةٌ ابتليَ على حسْبِ دينِه، فما يبرحُ البلاءُ بالعبدِ حتّى يترُكَهُ يمشي على الأرضِ ما عليهِ خطيئةٌ" [حديثٌ حسنٌ صحيحٌ: أخرجهُ الشيخ الأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترمذي ٢٣٩٨، وقال عنه: حسن صحيح]}.

جعَل اللهُ ابتلاءَ العبادِ بالمصائبِ والبلايا كفّاراتٍ للذُّنوبِ ومَحوًا للسَّيِّئاتِ؛ وذلك أنَّ اللهَ إذا أحَبَّ عبدًا ابتَلاه لِيَغفِرَ له ذُنوبَه، حتّى إذا لَقِيَه لم يَكُنْ عليه خَطيئةٌ. وفي هذا الحديثِ يقولُ سعدُ بنُ أبي وقّاصٍ رضِيَ اللهُ عَنه: «قلتُ: يا رسولَ اللهِ، أيُّ النّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟»، أي: مَن أثقَلُ النّاسِ ابتِلاءً وأَشَدُّهم مَصائِبَ وبَلايا؟ «قال»، أي: النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «الأنبياءُ»، أي: أَشَدُّ النّاسِ الَّذين يُبتَلَون وأثقَلُهم بلاءً ومصائبَ وبلايا هم الأنبياءُ، «ثمَّ الأمثَلُ فالأمثَلُ»، أي: ثمَّ الصّالِحون فالصّالحون وأشبَهُهم بالأنبياءِ، «فيُبتَلى الرَّجلُ على حسَبِ دينِه»، أي: ويَكونُ البلاءُ على قدرِ دينِ المرءِ قوَّةً وضَعفًا، «فإن كان في دينِه صُلبًا اشتَدَّ بَلاؤُه»، أي: فإن كان دينُ المرءِ صُلبًا قويًّا، وإيمانُه شَديدًا كان البلاءُ شديدًا، والمصائبُ والبلايا كثيرةً، «وإن كان في دينِه رِقَّةٌ ابتُلِي على حسَبِ دينِه»، أي: وإن كان دينُ المرءِ ضَعيفًا رَقيقًا كان البلاءُ خَفيفًا والبلايا قليلةً، فكلُّ امرِئٍ يُبتَلى على قدرِ دينِه، «فما يَبرَحُ البلاءُ بالعبدِ»، أي: فلا يَزالُ البلاءُ نازِلًا على العبدِ والبلايا تُصيبُه، «حتّى يَترُكَه يَمْشي على الأرضِ ما عليه خَطيئةٌ»، أي: حتّى يَغفِرَ اللهُ للعبدِ المبتلى ذُنوبَه بهذا البلاءِ وتلك البلايا، فيَترُكُ البلاءُ العبدَ وقد غُفِرَت له ذنوبُه كلُّها، وليس عليه شيءٌ أبدًا، ويكونَ للمؤمنين المبتَلَيْن على ذلك الجزاءُ الحسَنُ يومَ القِيامةِ.

وفي الحديثِ: أنَّ البلايا والمصائِبَ كَفّاراتٌ للذُّنوبِ والخَطايا. وفيه: بيانُ أنَّ الابتِلاءَ مِن شأنِ الصّالحين.

فأبانوا عن زيف معدنهم، وفساد طينتهم؛ قال تعالى: {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} [آل عمران: ١٧٩].

- لبيان حقيقة صبرهم وتحملهم، حين يبتلون بالخوف بعد الأمن، والجوع بعد الشبع، والفقر بعد الغنى، والاستيحاش بفقد الأقرباء والأحبَّة بعد الأنسة؛ قال تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} [البقرة: ١٥٥].
- رفعًا لدرجاتهم، وتدليلًا على محبة الله لهم؛ قال صلى الله عليه وسلم: "مَن يُرِدِ اللَّهُ به خَيْرًا يُصِبْ منه" [٣٠١].
- يأتي الابتلاء بمثابة مكفِّر للخطايا، ومُرمِضٍ للسيئات، ومُوضِعٍ للآثام؛ قال صلى الله عليه وسلم: "ما يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِن نَصَبٍ ولا وصَبٍ، ولا هَمٍّ ولا حُزْنٍ ولا أذًى ولا غَمٍّ، حتّى الشَّوْكَةِ يُشاكُها، إلّا كَفَّرَ اللَّهُ بها مِن خَطاياهُ" [٣٠٢]، فقد تصيبك

---

٣٠١ حديثٌ صحيحٌ: صحيح البخاري ٥٦٤٥.

في هذا الحَديثِ بُشرى عظيمةٌ لكلِّ مؤمن وتعزيةٌ له فيما أصابه؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا، يُصِبْ مِنْهُ»، وقوله: يُصب، قُرئ بوجهينِ: بفَتْحِ الصّاد «يُصَب»، وكَسرِها «يُصِب»، وكلاهما صحيحٌ؛ أمّا (يُصِب منه)، فالمعنى: أنَّ الله يُقدِّر عليه المصائبَ حتّى يَبتليَه بها: أيصبِر أم يضجَر؟ وأمّا (يُصَب منه)، فهي أعمُّ؛ أي: يُصابُ من الله ومن غيره، وإنَّما كانتِ الإصابة خيرًا؛ لِما فيها من اللُّجوء إلى المَولى، ولِما فيها مِن تكفيرِ السيِّئات أو تحصيلِ الحَسنات، أو هما جميعًا.

٣٠٢ حديثٌ صحيحٌ: صحيح البخاري ٥٦٤١، {وفي رواية: "ما مِن مُصِيبَةٍ تُصِيبُ المُسْلِمَ إلّا كَفَّرَ اللَّهُ بها عنْه، حتّى الشَّوْكَةِ يُشاكُها" [حديثٌ صحيحٌ متفقٌ عليه: أخرجه البخاري (٥٦٤٠)، ومسلم (٢٥٧٢)]}.

نصب: تعب، وصب: مرض.

في هذا الحديثِ تَسليةٌ للمؤمنِ فيما يُصِيبُهُ من مصائبِ الدُّنيا ومن الأمراض؛ فكلُّ ما يُصيبُ المؤمنَ خيرٌ له؛ يقولُ صلى الله عليه وسلم: «ما مِن مُصيبةٍ»، وتنكيرُ كلمة (مصيبة) يُفيد العمومَ والشُّمول؛ أيْ: أيُّ مصيبةٍ، كبيرةً كانتْ أو صغيرة، أيًّا كان قدرُها؛ تُصيب المسلمَ إلّا كانتْ تكفيرًا لذُنوبه، وفي حديث آخَرَ تفصيلُ هذه الأشياءِ التي تصيبُه، سواءٌ كان تعبًا أو همًّا أو غمًّا أو حزنًا، فما من مصيبةٍ تُصيب العبدَ المؤمن إلّا ويَرفَع اللهُ

شوكة، فتزيلها بكل سهولة، ولأنك صبرت لها، وتحمَّلت ألمها في سبيل الله، تكون إزالتك لها مسحًا لذنب ارتكبته، أو دفعًا لضُرٍّ وقيته، وقد تعثر العثرة الخفيفة، فتعلم أنها ابتلاء من الله، فتحمده عليها، فيكفِّر الله بها من خطاياك.

- قد يكون الابتلاء تعجيلًا لهم للعقوبة على الذنب في الدنيا، لتسلم لهم آخرتهم؛ قال صلى الله عليه وسلم: "إذا أرادَ اللهُ بعبدِه الخيرَ عجَّلَ لهُ العقوبةَ في الدنيا، وإذا أرادَ بعبدِه الشرَّ أمسَكَ عنهُ بذنْبِه حتى يُوافَي به يومَ القيامةِ" [٣٠٣]، بل قد

بها درجتَه، ويحطُّ عنه خَطاياه ويُطهِّرُه بها مِن ذُنوبه ومعاصِيه، حتى لو كانتْ هذه المصيبةُ شوكةً تُصيب العبدَ.

٣٠٣ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ٣٠٨، {وفي رواية: "إذا أرادَ اللَّهُ بعبدِه الخيرَ عجَّلَ لَه العقوبةَ في الدُّنيا، وإذا أرادَ اللَّهُ بعبدِه الشَّرَّ أمسَك عنهُ بذنبِه حتّى يوافيَ بِه يومَ القيامة" [حديثٌ حسن صحيحٌ: أخرجهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترمذي ٢٣٩٦، وقال عنه: حسن صحيح؛ أخرجه الترمذي (٢٣٩٦) واللفظ له، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣١٦)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤٣٥) باختلاف يسير.

الإنسانُ لا يَخلو مِن خَطأٍ ومعصيةٍ وتقصيرٍ في الواجبِ، ومَن لَطَف اللهُ به وأرادَ به خيرًا عَجَّلَ له عُقوبةَ ذَنبِه في الدُّنيا؛ لأنَّ عذابَ الدُّنيا أهونُ عليه مِن عذابِ الآخِرَة. وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «إذا أراد اللهُ بعبدِه الخيرَ»، أي: إذا قضى وقدَّرَ رَحمتَه لِعبدٍ مِن عبادِه، «عجَّل له العقوبةَ في الدُّنيا»، أي: ابتَلاه بما يَسُوءُه، إمّا في مالِه، أو نفسِه، أو أهلِه؛ وذلك لأنَّ الابتلاءَ يكفِّرُ السَّيِّئاتِ، والمؤمنُ لا يَقْوى على عذابِ الآخرةِ؛ فذلك مِن عظيمِ رحمةِ الله بعبدِه المؤمنِ؛ فإنَّه يُوافي اللهَ يومَ القِيامةِ وليس عليه ذَنبٌ، قد طهَّرَتْه المصائبُ والبلايا. قال صلى الله عليه وسلم: «وإذا أراد اللهُ بعبدِه الشَّرَّ»، فالأمورُ كلُّها بيدِ اللهِ عزَّ وجلَّ وبإرادتِه؛ فإنَّه سبحانَه {فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ} [البروج: ١٦]، «أمسَك عنه بذَنْبِه»، أي: لم يُعجِّلْ عُقوبتَه على ما ارتكَبه مِن الذَّنبِ، وجمَع له ذنوبَه وسيِّئاتِه دون أن يُجازيَه بشيءٍ منها في الدُّنيا، «حتّى يُوافيَ به يومَ القيامةِ»، أي: حتّى يَلْقاه بها يومَ القيامةِ، فتكونَ عُقوبتُه مِن نارِ جهنَّمَ على قدرِ ما كانتْ عليه مِن سيِّئاتٍ. وبيانُ إرادةِ اللهِ تعالى الخيرَ والشرَّ بِعبادِه: أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ خلَقَ الخيرَ والشرَّ، وبيَّن الأمرَ لِعبادِه وعَرَّفهم الخيرَ والشرَّ، فإذا اختارَ العبدُ طريقَ الشرِّ بعدَ أنْ عرَّفَه، فقدِ اختارَ لنَفْسِه أمرًا ممّا أراده الله وخَلَقَه، ويعاقب عليه، وإرادتُه للشرِّ إرادةٌ قدريَّة؛ لِحكمةٍ يَعلَمُها، وعُقوبةُ مَن يستحقُّ العقوبةَ خيرٌ محضٌ إذ هو عينُ العدلِ والحِكمةِ، وذلك يكونُ شرًّا بالنسبةِ للخَلقِ، فالشرُّ وقَع في تَعلُّقِه بهم وقيامِه بهم، لا في فِعلِه القائمِ به سبحانَه وتعالى.

تكون للعبد منزلة عظيمة عند الله؛ لكن لم يبلغها بعمله، فيزيد الله في بلائه حتى يبلغه منزلته؛ قال صلى الله عليه وسلم: "إن العبد إذا سبقتْ له من اللهِ منزلةٌ لم يبلغها بعملهِ ابتلاهُ اللهُ في جسدِهِ أو في مالهِ أو في ولدِهِ ثم صبَّرهُ على ذلكَ حتى يبلغهُ المنزلة التي سبقتْ لهُ من اللهِ تعالى"[٣٠٤]، ومن الابتلاءات المكفرات، هذه الأمراض التي عمَّت وطمَّت، والتي يحوِّلها إيمان المسلم من محن إلى منح وفرص، تستوجب اللجأ إلى الله عز وجل الذي يختبر عبده الذي يحبه بمثل هذه الشدائد؛ قال تعالى عزَّ وجلَّ: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ} [محمد: ٣١]، قال شيخ الإسلام رحمه الله: "مصيبة تقبل بها على الله، خيرٌ من نعمة تُنسيك ذكر الله"[٣٠٥].

٦. الرضا بما يعطي الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ وبما يمنع: فلا تسخُّط، ولا تأفُّف، ولا تأوُّه؛ لأنّه أعطاك ليختبرك، ومنعك ليبتليك، وهو تعالى في الأمرين يحبُّك، فقابل تقديره بالقبول، وابتلاءه بالرضا، وقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: "وأسأَلُكَ الرِّضاءَ بعدَ القضاءِ"[٣٠٦]، ومن كلام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "لأن ألحَسَ جمرةً أحرقت ما أحرقت، وأبقت ما أبقت، أحبُّ إليَّ من أن أقول لشيء

---

٣٠٤ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الأَلْبَانِيُّ فِي صحيح أبي داود ٣٠٩٠.

الابتِلاءُ مِنَ حِكَمِ اللهِ تعالى ليَختبِرَ عباده، وفي الابتلاءِ خيرٌ للعَبدِ الصّابرِ الشّاكرِ؛ يَغفِرُ به اللهُ تعالى للعَبدِ ذُنوبَه، ويَزيدُ في درَجتِه ويَرْفَعُ مَنزِلَتِه في الجنَّةِ. وفي هذا الحديثِ يَقولُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «إنَّ العبْدَ إذا سَبَقت له مِنَ اللهِ مَنزِلةٌ»، أي: كتَبَ اللهُ له مِن قَبلِ خَلقِه درَجةً في الجنَّةِ «لَم يَبلُغْها بعمَلِه، ابتَلاه اللهُ في جسَدِه، أو في مالِه، أو في وَلَدِه، ثمَّ صَبَّرَه»، أي: رَزَقه الصَّبرَ «على ذلك»، فلَم يَكُنْ شاكِيًا مُتسخِّطًا، «حتّى يُبلِّغَه المنزِلةَ الَّتي سبَقَتْ له مِن اللهِ تعالى»، فيَكونُ هذا مِن توفيقِ اللهِ للعَبدِ إلى الطّاعاتِ، حتّى يُبلِّغَه المنزِلةَ الكريمةَ الَّتي أعَدَّها له سبحانه. {وفي الحديثِ: بَيانُ أَثَرِ الصَّبرِ على المَصائِبِ في رَفعِ الدَّرَجاتِ}.

٣٠٥ جامع الرسائل لابن تيمية ٩/٣٨٧.

٣٠٦ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الأَلْبَانِيُّ فِي صحيح النسائي ١٣٠٤؛ أخرجه النسائي (١٣٠٥) واللفظ له، وأحمد (١٨٣٢٥)، من حديث عمار بن ياسر.

كان: ليته لم يكن، أو لشيء لم يكن: ليته كان" [٣٠٧]، ولقد سأل رجل الفضيل بن عياض رحمه الله، فقال: يا أبا علي، متى يبلغ الرجل غايته من حبِّ الله تعالى؟ فقال له الفضيل: "إذا كان عطاؤه ومنعه إيَّاك عندك سواءً، فقد بلغت الغاية من حبِّه" [٣٠٨]، وذكر ابن الجوزي قصة أحد الصالحين، ابتلاه الله ليختبر حبَّه له، فجعله مكفوفًا، مجذومًا، مقعدًا، حتى جعل الزنبور يقع عليه فيقطع لحمه، فقال: "وعزَّتك وجلالك، لو قطعتني إرْبًا إرْبًا، أو صببت عليَّ البلاء صبًّا، ما ازددت إلَّا حبًّا" [٣٠٩].

٧. محبة كلام الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ، والانشغال بتلاوته وتدبُّره: فلا حب لله مع هجر كلامه، ولا حب لله مع عدم التلذُّذ بتلاوته، والتمتُّع بالاستماع إليه، فالقرآن الكريم جنة العابدين، وبُستان الزاهدين، وكنز المتلذِّذين، وبهجة مجالس المجتمعين؛ قال ابن القيم رحمه الله: "وكذلك محبَّة كلام الله، فإنّه من علامة حُبِّ الله، وإذا أردْتَ أن تعلم ما عندك وعند غيرك من محبة الله، فانظر محبة القرآن من قلبك، والتذاذك بسماعه أعظم من التذاذ أصحاب الملاهي والغناء المطرب بسماعهم" [٣١٠]، ورحم الله ابن القيم، فقد علم أنّ من الناس من ينشغل بالغناء والطرب، حتى يُلهيه ذلك عن كتاب الله، فينفق الساعات الطوال للسَّماع، ولا يجد نصف ساعة في اليوم يفتح فيها كتاب الله، يقرؤه، ويتدبَّره، ويقوي إيمانه بالتأمُّل في آياته، حتى إذا قرأ منه بعض آيات، لم يشعُر لها بلذَّة، ولم يستفد منها بومضة، قال سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [المطففين: ١٤]، قال ابن جزي رحمه الله: "أي: غطَّى على قلوبهم ما كسبوا من الذنوب، فطمس بصائرهم" [٣١١]. قال عثمان بن عفان رضي الله

---

٣٠٧ إيقاظ الهمم شرح متن الحكم؛ المؤلف: ابن عجيبة (٣٦/١).

٣٠٨ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، ج٨، ص١١٣.

٣٠٩ صفة الصفوة؛ عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج؛ (٦٠/٤).

٣١٠ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)؛ ابن قيم الجوزية؛ (1/170).

٣١١ التسهيل لعلوم التنزيل - ابن جُزَيّ.

عنه: "لو طهرت قلوبنا، ما شبعت من كلام اللّٰه" [٣١٢].

٨. القيام بالأعمال الحسنة، والاتِّصاف بالأخلاق الحميدة: إذ لا يجتمع حب اللّٰه {سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ} والكلام الفاحش، ولَمْ يَكُنْ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ فاحِشًا ولا مُتَفَحِّشًا، وإنَّه كانَ يقولُ: "إنَّ خِيارَكُمْ أحاسِنُكُمْ أخْلاقًا" [٣١٣]، ولا يجتمع حبُّ اللّٰه {سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ} مع الإساءة إلى الجار، والنبي صلى اللّٰه عليه وسلم يقول: "لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَن لا يَأْمَنُ جارُهُ بَوائِقَهُ" [٣١٤]، ولا يجتمع حُبُّ اللّٰه

---

٣١٢ البداية والنهاية، لابن كثير، ٧ / ٢١٤.

٣١٣ حديثٌ صحيحٌ متفق عليه؛ أخرجه البخاري ٦٠٣٥، ومسلم ٦٨ - ٢٣٢١، وفي رواية: {"إنَّ مِن خِيارِكُمْ أحْسَنَكُمْ أخْلاقًا" [حديثٌ صحيحٌ متفق عليه؛ أخرجه البخاري ٣٥٥٩، ومسلم ٦٨ - ٢٣٢١]}.
قال اللّٰهُ تعالى عن نَبيِّه صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: ٤]، فهو أكمَلُ النّاسِ أخْلاقًا؛ فقدْ أدَّبَه رَبُّه فأحسَنَ تأْديبَه. وفي هذا الحَديثِ يَرْوي عبدُ اللّٰهِ بنُ عَمرِو بنِ العاصِ رَضيَ اللّٰهُ عنهما أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ لم يكُنْ فاحشًا ولا مُتفحِّشًا، فلم يكُنْ ناطقًا بالفُحشِ ولا مُتكلِّفًا فيه، فلم يكُنِ الفُحشُ خُلقًا أصيلًا فيه ولا مُكتَسبًا، والفُحشُ: زِيادةُ الشَّيءِ على المألوفِ مِن مِقْدارِه. والمُتفحِّشُ: الَّذي يَتكلَّفُ ذلك ويَتعمَّدُه؛ لفَسادِ حالِه، وقد يكونُ المُتفحِّشُ الَّذي يَأْتي الفاحشةَ، فكان صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ لا يَصدُرُ منه الكَلامُ القَبيحُ طَبعًا، ولا تَطبُّعًا، ولا مُجاراةً لغَيرِه، فلا يَستفِزُّه السُّفهاءُ فيُجاريَهم في سفَهِهم؛ لأنَّه أملَكُ النّاسِ لغَرائزِه وانْفِعالاتِه النَّفْسيَّةِ، فإذا تجرَّأَ عليه سَفيهٌ بالشَّتيمةِ لا يرُدُّ عليه بمِثلِها امتِثالًا لأمرِ ربِّه الَّذي أدَّبَه بقَولِه: {وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} [الأعراف: ١٩٩]. وكان صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يَقولُ: «إنَّ مِن خِيارِكم أحسَنَكم أخْلاقًا»، يَعني: أفضَلُكم هو أحسَنُكم خُلُقًا. وحُسنُ الخُلقِ هو صِفةُ أنْبياءِ اللّٰهِ تعالى وأوْليائِه، وحَقيقةُ حُسنِ الخُلقِ بَذلُ المَعروفِ وكفُّ الأذى، وطَلاقةُ الوَجهِ، ومُخالَطةُ النّاسِ بالجَميلِ والبِشرِ، والتَّودُّدُ لهم، والإشْفاقُ عليهم، واحتِمالُهم، والحِلمُ عنهم، والصَّبرُ عليهم في المَكارِهِ، وتَرْكُ الكِبرِ والاستِطالةِ عليهم، ومُجانَبةُ الغِلْظةِ، والغَضبِ، والمؤاخَذةِ. {وفي الحَديثِ: الحثُّ على حُسنِ الخُلقِ. وفيه: بَيانُ كَمالِ خُلقِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ. وفيه: بَيانُ فَضيلةِ صاحِبِ الخُلقِ الحَسنِ}.

٣١٤ حديثٌ صحيحٌ؛ أخرجه مسلم ٧٣ - ٤٦.
يَحُثُّ الإسلامُ على إقامةِ حياةٍ مُجتمعيَّةٍ آمنةٍ وهادئةٍ ومستقِرَّة، وقَرَّر لتحقيقِ ذلك أوامرَ ونواهيَ كثيرة؛ لِضمانِ حُسْنِ العلاقةِ بين النّاسِ، ومِن ذلك: الأوامرُ بإحسانِ كلِّ جارٍ إلى جارِه، والوصيَّة به، والإهداء إليه، والنَّهي عن سُوءِ معاملتِه أو إلحاق الضَّرر به، وغير ذلك من الأوامرِ والنَّواهي. وهذا الحديثُ من أشدِّ الأحاديثِ في

{سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ} مع الكذب، تقول عائشة رضي الله عنها: "ما كانَ خلقٌ أبغضَ إلى رسولِ اللهِ صلّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ منَ الكذبِ ولقد كانَ الرَّجلُ يحدِّثُ عندَ النَّبيِّ صلّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ بالكذبةِ فما يزالُ في نفسِه حتّى يعلمَ أنَّهُ قد أحدثَ منها توبةً" [315]، ولا يجتمع حب الله {سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ} مع أخذ الرشوة، والراشي والمرتشي ملعونان في شريعتنا فقد "لعنَ رسولُ اللهِ صلّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ الرّاشي والمُرْتَشي في الحكمِ" [316]، ولا يجتمع حبُّ الله {سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ} مع الغش

عاقبةِ المُسيءِ إلى جيرانه؛ حيثُ قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: «لا يَدخُلُ الجَنَّةَ مَن لا يأمَن جارُه بوائقَه» والبوائِق: الظُّلمُ والجَورُ والتَّعدِّي، وقوله: «لا يَدخُل الجنة»، معناه أنَّه إذا كان مُسلِمًا وماتَ على التَّوحيدِ، فإنَّه لا يَدخُل الجَنَّة مع الدّاخلين الأوَّلين، ولكنَّه يُمنَع مِن دُخولها أولًا حتى يُحاسَب، ثمَّ يَدخُل الجَنَّةَ؛ لأنَّه شهِدَ بالتَّوحيد. {وفي الحديث: الزَّجرُ الشَّديدُ عن إيذاءِ الجيران}.

315 حديثٌ إسناده صحيح: قال عنه الشيخ الأَلْبَانِيُّ: إسناده صحيح؛ في صحيح الترمذي ١٩٧٣؛ أخرجه الترمذي (١٩٧٣) واللفظ له، وأحمد (٢٥١٨٣) باختلاف يسير.

الكذِبُ مِن الأخلاقِ المذمومَةِ، وهو مِن صِفاتِ المنافقين؛ ولذلك حذَّر منه النَّبيُّ صلّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ تحذيرًا شديدًا وكان يُبغِضُه بغضًا شديدًا أيضًا، كما تقولُ عائشةُ رَضِي اللهُ عَنها في هذا الحديثِ: «ما كان خُلُقٌ أبغَضَ إلى رسولِ اللهِ صلّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ »، أي: لا يُوجَدُ خلُقٌ ذَميمٌ كان يكرَه النَّبيُّ صلّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ أنْ يكونَ في الإنسانِ ويتخلَّق به أكْثَرَ «مِن الكَذِبِ»، أي: كان الكذِبُ مِن أكثَرِ ما يَكرَهُه النَّبيُّ صلّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ في الإنسانِ، والكذِبُ هو قَلبُ الحقائقِ والإخبارُ عنها بخِلافِ الواقِعِ. قالتْ رضِيَ اللهُ عنها: «ولقد كان الرَّجلُ يُحدِّثُ»، أي: يتَكلَّمُ، «عند النَّبيِّ صلّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ بالكَذْبَةِ»، أي: بكلامٍ فيه كذِبٌ، «فما يَزالُ في نَفسِه»، أي: يكونُ في قلبِ النَّبيِّ صلّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ ونفسِه مِن هذا الرَّجلِ شيءٌ، «حتّى يعلَمَ»، أي: النَّبيُّ صلّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ «أنَّه»، أي: الرَّجلَ، «قد أحدَث منها تَوبَةً»، أي: تاب مِن كذِبه هذا، ولن يعودَ إليه مرَّةً أخرى، وفي الصَّحيحينِ عن النبيِّ صلّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّه جعَل الكذِبَ مِن صِفاتِ المنافِقين فقال: «آيةُ المُنافِقِ ثَلاثٌ: إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا وَعَدَ أَخلفَ، وإذا اؤْتُمِنَ خانَ»؛ فيَنبغي أنْ يبتعِدَ عنه المسلِمُ الحقُّ. {وفي الحديثِ: بيانُ قُبحِ الكذِبِ}.

316 حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الأَلْبَانِيُّ في صحيح الترمذي ١٣٣٦.

الرِّشْوةُ هي ما يُعْطى ويُبذَلُ لإبطالِ حقٍّ، أو لإحقاقِ باطلٍ؛ وقد نهى النَّبيُّ صلّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ عنها وحذَّر منها تحذيرًا شديدًا، كما في هذا الحديثِ، حيثُ يقولُ أبو هريرةَ رَضِي اللهُ عنه: «لعَن رسولُ اللهِ صلّى اللَّهُ عليهِ

في العمل، فإنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ مَرَّ على صُبْرَةِ طَعامٍ فأدْخَلَ يَدَهُ فيها، فَنالَتْ أصابِعُهُ بَلَلًا فقالَ: "ما هذا يا صاحِبَ الطَّعامِ؟" قالَ أصابَتْهُ السَّماءُ يا رَسولَ اللهِ، قالَ: "أفَلا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعامِ كَيْ يَراهُ النّاسُ، مَن غَشَّ فليسَ مِنِّي" [٣١٧]، ولا

وسلَّمَ »، أي: دَعا النَّبيُّ صلّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ بالطَّردِ مِن رَحمةِ اللهِ عزَّ وجلَّ على مَن يَفعَلُ هذه الأفعالَ، وهذا يدلُّ على أنَّها مِن كَبائِرِ الذُّنوبِ، «الرّاشيَ»، أي: الدّافعَ للرِّشْوةِ، «والمرتشِيَ»، أي: الآخِذَ للرِّشْوةِ وقابِضَها، «في الحُكمِ»، أي: الَّتي يأخُذُها الحُكّامُ وأولياءُ الأمرِ لِقَضاءِ أمرٍ وإتمامِه على خِلافِ ما يَجِبُ أن يكونَ. ورُوِيَ «والرّائِشَ»، وهو الَّذي يَمْشي بينَ الرّاشي والمرتشِي كواسطةٍ، وهذا كلُّه على وَجهِ العُمومِ في التَّحريمِ. وقيل: ولا يَدْخُلُ في اللَّعنِ مَن رَشا لِيَصِلَ إلى حَقِّه الممنوعِ عنه، إذا اضْطُرَّ إلى ذلك، وأمّا المُرْتَشِي منه لِيُوصِلَه إلى حَقِّه، فهو داخلٌ في اللَّعنِ؛ لأنَّه يَأخُذُ العَطاءَ بلا حقٍّ له فيه؛ ليُوصِلَ الحقَّ لأصحابِه مع أنَّه مأمورٌ شرعًا بإيصالِ الحقوقِ لأصحابِها. وقيل: إنَّ الآخِذَ إذا أخَذ لِيَسعى في نَوالِ صاحبِ الحقِّ لحقِّه فلا بأسَ به، لكن هذا يَنْبغي أن يَكونَ في غيرِ القُضاةِ والوُلاةِ؛ لأنَّ السَّعيَ في إصابةِ الحقِّ إلى مُستَحِقِّه، ودفْعِ الظّالِمِ عن المظلومِ- واجبٌ عليهم، وإلّا فليسَ لهم الأخذُ عليه. {وفي الحديثِ: التَّرهيبُ الشَّديدُ مِن أخْذِ الرِّشوةِ ودَفْعِها}.

٣١٧ حديثٌ صحيحٌ؛ أخرجه مسلم ١٠٢. {وفي رواية: "مَنْ غشَّنا فليس منا" [أخرجه مسلم ١٦٤ – ١٠١]}.

الأمانةُ من مَحاسِنِ الأخلاقِ، والتَّعاملُ في التِّجارة والأمورِ المادِّيَّة يَستلزِمُ الأمانةَ؛ حتّى تتِمَّ الأمورُ والتَّعاملات بين النّاس بلا مُنازَعات، وبلا إثارةِ شُرورٍ في المُجتمَع، وعلى العكسِ مِن ذلك؛ فإنَّ الغِشَّ والخِداعَ يَجلِب على المجتمعِ الويلاتِ مع البَغضاء والتَّشاحُن بين النّاس. وهذا الحديثُ يُوضِّح أنَّ الغِشَّ ليس من الإسلام، وأنَّ الغشّاشَ على خَطرٍ عظيمٍ، وفيه: «أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ مَرَّ على صُبْرَة طَعامٍ»، الصُّبْرَة: هي الكَوْمةُ من الطَّعام، «فأدْخَل يدَه فيها، فنالتْ أصابعُه بَللاً»، أي: فوجَد بَللاً في أسفلِ الطَّعام، «فقال: ما هذا يا صاحبَ الطَّعام؟ قال أصابتْه السَّماءُ»، أي: سقَط عليه المطرُ فبلَّله، وهذا يعني أنَّه جَعَل الجافَّ الصَّحيحَ ظاهرًا، والمبلولَ الرَّديءَ في الأسفلِ، فقال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ له: «أفلا جعلتَه فوق الطَّعام كي يراه النّاسُ؟!»، أي: حتّى يراه النّاسُ، ويَعلموا بحالِه وما فيه العَطَب، وقد كانوا يَتبايَعون بالصُّبَرة كاملةً دون النَّظرِ إلى ما فيها، وقد عدَّ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ عملَ هذا التّاجِر غِشًّا، فقال: «مَن غشَّ فليس مِنّي»، أي: مَن خدَع النّاسَ بأيِّ صورةٍ فليس على هَدْي النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ وسُنَّته وطريقتِه، وهذا زَجْرٌ شديدٌ من النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، وفيه تهديدٌ لِمَن تَمادى في الغِشِّ بأنْ يَخرُج عن طريقةِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ. {وفي الحديث: الزَّجرُ والنَّهيُ عن الغِشِّ في كلِّ الأمور وفي المعاملاتِ خاصَّةً. وفيه: ضرورةُ تَبيينِ عيبِ السِّلعة للمُشتَري}.

يجتمع حُبُّ اللهِ {سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ} مع التحايُل على الناس في الخصومة، لأكل أموالهم بالباطل، أو سلب حقوقهم ومستحقَّاتهم، فهذا جزاؤه من الله السخط لا الحب؛ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "مَن حالَت شفاعتُهُ دونَ حدٍّ من حدودِ اللَّهِ فقَد ضادَّ اللَّهَ، ومَن خاصمَ في باطلٍ وَهوَ يعلمُهُ، لم يزَلْ في سَخطِ اللَّهِ حتّى ينزِعَ عنهُ، ومَن قالَ في مؤمنٍ ما ليسَ فيهِ أسكنَهُ اللَّهُ رَدغةَ الخبالِ حتّى يخرجَ ممّا قالَ" [٣١٨]، ويجمع التحذير من كل ذلك، حديث عبد الرحمن بن أبي قراد رضي الله عنه أنَّ النبيَّ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ توضأ يومًا؛ فجعل أصحابُه يتمسَّحون بوضوئه، فقال لهم النبي صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: "ما يحملكم على هذا؟!"، قالوا: حبُّ اللهِ ورسولِه! فقال صلى الله عليه وسلم: "فمن سرَّه أن يحبَّ اللهَ ورسولَه أو يحبُّه اللهُ ورسولُه؛ فلْيُصدق حديثَه إذا حدَّث، ولْيؤدِّ أمانته إذا اؤتُمن، ولْيحسنْ جوارَ من جاورَه" [٣١٩].

٩. الجمع بين خلوص التوحيد لله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ، وعبادته على الوجه الذي يرتضيه؛ فالمسلم يلهج بذكر الله في كل حين، ويراقب الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ في كل عمل، ويخاف من تجاوز حدوده في كل معاملة، فشأنه العمل لله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ، والالتجاء إليه، والعيش معه، والاستعانة به، بحيث تصير تردُّدات أنفاسه،

---

٣١٨ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح أبي داود ٣٥٩٧؛ أخرجه أبو داود (٣٥٩٧)، وأحمد (٥٣٨٥).

مَن استَخْدَم نِعَمَ اللهِ عزَّ وجلَّ في الباطِلِ، فقَد عرَّضَ نفسَه لعُقوبةٍ شديدةٍ، وفي هذا الحديثِ يُحذِّرُنا النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ مِن ذلك فيَقولُ: «مَن حالَت شَفاعتُه دُونَ حدٍّ مِن حدودِ اللهِ»، أي: مَن استَخْدَم وَساطتَه في تَعطيلِ إقامةِ حدٍّ مِن حُدودِ اللهِ، «فقد ضادَّ اللهَ»، أي: خالَفَ أمرَ اللهِ. «ومَن خاصَمَ في باطلٍ وهو يَعلَمُه»، أي: جادَلَ في أمرٍ يَعلَمُ أنَّه غيرُ حقٍّ، «لم يَزَلْ في سَخَطِ اللهِ حتّى يَنزِعَ عَنه»، أي: في غضَبٍ مِنَ اللهِ حتّى يَترُكَ هذه المُخاصَمةَ. «ومَن قال في مؤمنٍ ما ليسَ فيه»، أي: افتَرى عليه وذمَّه بالكَذِبِ، «أسكنَه اللهُ رَدْغةَ الخَبالِ»، والرَّدْغةُ: الوَحْلُ الكَثيرُ، والخَبالُ: الفاسِدُ، والمرادُ: أنَّ اللهَ يُعذِّبُه بِعُصارةِ أهلِ النّارِ وصَديدِهم، «حتّى يَخرُجَ ممّا قال»؛ وذلك بأَن يَتوبَ ويَستَحِلَّ ممَّن قالَ فيه ذلك.

٣١٩ حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي تخريج مشكاة المصابيح ٤٩٢٠.

ونبضات قلبه، وحركات جوارحه وقفًا لله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ} [الذاريات: ٥٠]، وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: "بيْنا أنا رَدِيفُ النَّبيِّ صلّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ ليسَ بَيْنِي وبيْنَهُ إلَّا أخِرَةُ الرَّحْلِ، فَقالَ: "يا مُعاذُ بنَ جَبَلٍ"، قُلتُ: لَبَّيْكَ رَسولَ اللَّهِ وسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سارَ ساعَةً، ثُمَّ قالَ: "يا مُعاذُ"، قُلتُ: لَبَّيْكَ رَسولَ اللَّهِ وسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سارَ ساعَةً، ثُمَّ قالَ: "يا مُعاذُ"، قُلتُ: لَبَّيْكَ رَسولَ اللَّهِ وسَعْدَيْكَ، قالَ: "هلْ تَدْرِي ما حَقُّ اللَّهِ على عِبادِهِ؟" قُلتُ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: "حَقُّ اللَّهِ على عِبادِهِ أنْ يَعْبُدُوهُ ولا يُشْرِكُوا به شيئًا"، ثُمَّ سارَ ساعَةً، ثُمَّ قالَ: "يا مُعاذُ بنَ جَبَلٍ"، قُلتُ: لَبَّيْكَ رَسولَ اللَّهِ وسَعْدَيْكَ، فَقالَ: "هلْ تَدْرِي ما حَقُّ العِبادِ على اللَّهِ إذا فَعَلُوهُ؟" قُلتُ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: "حَقُّ العِبادِ على اللَّهِ أنْ لا يُعَذِّبَهُمْ" [٣٢٠]، ولقد شبَّ بعض الناس على حبِّ الماديات، فساووا حبَّها بحبِّ الله أو أكثر، فصار المال قِبْلتهم، والجاه وجهتهم، والتفاخُر حياتهم، والاعتناء بالذات ديدنهم، والتجمُّل في المظهر هجيراهم، وربما قدموا ذلك على الصلاة فلم يصلُّوا، وإذا صلَّوا، فصلاة كسلان متثاقل، لا صلاة مستوفز مُحبٍّ، ولا عبادة متحفِّز متوثِّب، يخشى عليهم من مثل قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ

---

٣٢٠ حديثٌ صحيحٌ متفق عليه؛ أخرجه البخاري ٥٩٦٧، ومسلم ٤٨ - ٣٠.

يَحكِي مُعاذُ بنُ جَبَلٍ رضِي اللهُ عنه فيقول: «بَيْنا أنا رَدِيفُ النبيِّ صلّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ»، والرَّدِيفُ: هو الراكبُ خلفَ الراكبِ بإذنِه، «ليس بيني وبينَه إلا آخِرَةُ الرَّحْلِ، والرَّحْلُ للبَعِيرِ كالسَّرْجِ للفَرَس، وآخِرتُه: هي العُودُ الذي يُجعَل خلفَ الراكِبِ يَستَنِدُ إليه، وفائدةُ ذكرِه: المبالغةُ في شِدَّةِ قُربِه؛ ليكونَ أوقعَ في نفسِ سامِعِه أنَّه ضَبَط ما رواه. فقال صلّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ: «يا مُعاذُ» ثلاثَ مرّاتٍ، وفي كلِّ مَرَّةٍ يَرُدُّ مُعاذٌ رضِي اللهُ عنه عليه: لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ. ثُمَّ بَيَّنَ صلّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ حَقَّ الله على عبادِه: وهو أن يَعبُدوه ولا يُشرِكوا به شيئًا، وحَقَّ العِبادِ على الله إذا فَعَلوا ذلك: وهو ألّا يُعذِّبَهم. {وفي الحديث: تواضُع النبيِّ صلّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ؛ فإنَّ إردافَ الإمامِ والشَّريفِ لمَن هو دونه وركوبَه معه، مِن التواضُع وتَرْكُ التكبُّر. وفيه: تَكرارُ المُعلِّمِ أو الواعِظِ النِّداءَ؛ لتأكيدِ الاهتمامِ بما يُخبِر به، وليُكمُل تنبُّه المُتعلِّم فيما يَسمَعُه. وفيه: أنَّ مَن ماتَ على التوحيدِ دخَلَ الجنَّةَ قطعًا}.

اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} [البقرة: ١٦٥]، وأبغض إله عُبِد في الأرض هو الهوى، قال تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} [الجاثية: ٢٣].

١٠. التلذُّذ بمناجاة الله عز وجل، وأفضله قيام الليل ولو بركعتين، فذلك السبيل لمن أراد العزَّ والشرف؛ فعَنْ جابر بن عبد الله وسهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم: قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "أتاني جبريلُ، فقال: يا مُحَمَّدُ! عِشْ ما شِئتَ فإنَّك مَيّتٌ، وأحْبِبْ من شِئتَ فإنَّكَ مُفارِقُه، واعمَل ما شِئتَ فإنَّك مَجْزِيٌّ بهِ، واعلَم أنَّ شرفَ المؤمنِ قيامُه باللَّيلِ، وعِزُّه استِغناؤُه عن النّاسِ" [٣٢١]، كيف لا وقد أخبرنا الصادق المصدوق أنّه: "إذا مَضى شَطْرُ اللَّيْلِ، أوْ ثُلُثاهُ، يَنْزِلُ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالى إلى السَّماءِ الدُّنْيا، فيَقولُ: هلْ مِن سائِلٍ يُعْطى؟ هلْ مِن داعٍ يُسْتَجابُ له؟ هلْ مِن مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ له؟ حتّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ" [٣٢٢]، وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: سَمِعْتُ

---

٣٢١ حديث حسن: حسّنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع ٧٣.

٣٢٢ حديثٌ صحيحٌ متفق عليه؛ أخرجه مسلم ١٧٠ - ٧٥٨، وأخرجه البخاري ١١٤٥ بلفظ: "يَنْزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالى كُلَّ لَيْلةٍ إلى السَّماءِ الدُّنْيا حِينَ يَبْقى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يقولُ: مَن يَدْعُونِي، فأسْتَجِيبَ له؟ مَن يَسْأَلُنِي فأُعْطِيَهُ؟ مَن يَستَغْفِرُنِي فأغْفِرَ له؟".

الثلُثُ الأخيرُ منَ الليلِ أفضلُ أوقاتِ اللَّيلِ؛ تَصْفو فيه النُّفوسُ، وتَطيبُ فيه العِبادةُ، ويُستَجابُ فيه الدُّعاءُ، خصَّه اللهُ تعالى بالنُّزولِ فيه إلى السَّماءِ الدُّنيا، وتَفضَّلَ على عِبادِه فيه، وأفاضَ الخيرَ على مَن طلَبَه. وفي هذا الحَديثِ بيَّن النبيُّ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّ اللهَ تَبارَك وتعالى يَنزِلُ كلَّ لَيلةٍ حِينَ يَبْقى الثُّلُثُ الأخيرُ مِن اللَّيل، وهو نُزولٌ يَليقُ به جلَّ جَلالُه؛ فإنَّه يَجِبُ الإيمانُ بما ورَدَ في ذلك -وأمثالِه- عنِ اللهِ عزَّ وجلَّ مِن غَيرِ تَكْييفٍ ولا تَعْطيلٍ، ومِن غيرِ تحريفٍ ولا تمثيلٍ، فيَنزِلُ ربُّنا سُبحانَه إلى السَّماءِ الدُّنيا، وهيَ السَّماءُ الأُولى القَريبةُ منَ الأرضِ والعِبادِ، ويُنادي سُبحانَه في عِبادِه ويقولُ: مَن يَدْعوني فأسْتَجيبَ له؟ ومَن يَسألُني فأُعطيَه، ومَن يَستغفِرُني فأغفِرَ له؟، والدُّعاءُ، والسُّؤالُ، والاستغفارُ إمّا بمعنًى واحدٍ، فذِكْرُ الثَّلاثةِ للتَّوكيدِ. وإمّا لأنَّ طلَبَ العبْدِ لا يَخْلو مِن أنْ يكونَ طَلَبًا لدفْعِ المَضارِّ أو جَلْبِ المنافعِ، والمَضارُّ والمَنافعُ إمّا دُنيويَّةٌ وإمّا دِينيَّةٌ؛ فكرَّرَ

النبيَّ صَلّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يقولُ: "إنَّ في اللَّيْلِ لَساعَةً لا يُوافِقُها رَجُلٌ مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا مِن أَمْرِ الدُّنْيا والآخِرَةِ، إلّا أَعْطاهُ إيّاهُ، وَذلكَ كُلَّ لَيْلَةٍ" [٣٢٣]، فالمسلم المحبُّ لربِّه، يغتنم هدوء الليل، وصفاء النفس بانقطاع العوائق، وانصرام العلائق، فيأنس بربِّه، ويتنعَّم بمناجاته، ويتلذَّذ بالشوق إليه، وإدامة دعائه، وقد قيل لإبراهيم بن أدهم وقد نزل من الجبل: من أين أقبلت؟ فقال: "من الأنس بالله" [٣٢٤]، {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [السجدة: ١٦]، وقد سئل الحسن البصري رحمه الله: ما بال المتهجّدين بالليل من أحسن الناس وجوهًا؟ فقال: "لأنهم خلوا بالرحمن، فألبسهم من نوره" [٣٢٥]، وقال له شاب: أعياني قيام الليل،

الثَّلاثةَ لِتَشمَلَها جَميعَها. وخَصَّ اللهُ عزَّ وجلَّ الثُّلُثَ الأخيرَ مِن اللَّيلِ بالنُّزولِ فيه؛ لأنَّه وَقتُ خَلوةٍ وغَفلةٍ واستِغراقٍ في النَّومِ واستلذاذٍ به، ومُفارقةُ اللَّذَّةِ والرّاحةِ صَعبةٌ على العِبادِ؛ فمَن آثَرَ القِيامَ لمُناجاةِ ربِّه والتَّضرُّعِ إليه في غُفرانِ ذُنوبِه، وفَكاكِ رَقبتِه مِن النّارِ، وسَأَله التَّوبةَ في هذا الوقتِ الشّاقِّ، على خَلوةِ نفْسِه بلَذَّتِها، ومُفارقةِ راحتِها وسَكَنِها- فذلك دَليلٌ على خُلوصِ نيَّتِه، وصِحَّةِ رَغبتِه فيما عندَ ربِّه، فضُمِنت له الإجابةُ الَّتي هي مَقرونةٌ بالإخلاصِ وصِدقِ النِّيَّةِ في الدُّعاءِ؛ إذ لا يَقبَلُ اللهُ دُعاءً مِن قلْبٍ غافلٍ لاهٍ؛ فلذلك نبَّهَ اللهُ عِبادَه إلى الدُّعاءِ في هذا الوقتِ، الَّذي تَخْلو فيه النفْسُ مِن خَواطرِ الدُّنيا؛ لِيَستشعِرَ العبدُ الإخلاصَ لرَبِّه، فتَقَعَ الإجابةُ منه تعالى؛ رِفقًا مِن اللهِ بخَلقِه، ورَحمةً لهم. {وفي الحديثِ: بَيانُ فضْلِ الثُّلثِ الأخيرِ مِن اللَّيل، وفضلِ الصَّلاةِ، والدُّعاءِ فيه}.

٣٢٣ حديثٌ صحيحٌ؛ أخرجه مسلم ١٦٦ - ٧٥٧.

في هذا الحديثِ يَقولُ جابرٌ رَضيَ اللَّهُ عنه: سَمِعْتُ النَّبيَّ صَلّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يَقولُ: «إنَّ في اللَّيلِ لَساعَةً، أي: يُستَجابُ فيها الدُّعاءُ وَهيَ ساعَةٌ مُبهَمَةٌ كَساعَةِ الجُمُعَةِ، لا يُوافِقُها، أي: يُصادِفُها رَجلٌ مُسلمٌ يَسألُ اللَّهَ خَيرًا مِن أمرِ الدُّنيا والآخرَةِ، إلّا أعطاهُ إيّاه، أي: استَجابَ له، وذلكَ كُلَّ لَيلةٍ»، أي: ثابِتٌ كُلَّ لَيلةٍ. {في الحَديثِ: الحَثُّ عَلى الدُّعاءِ في اللَّيلِ، وتَحرّي تِلكَ السّاعةِ فيه والاِجتِهادِ فيها}.

٣٢٤ "إحياء علوم الدين" ص ٣٣٩، و"قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد" ص١٠٥.

٣٢٥ كتاب الأول من فوائد أبي الحسين بن غنائم ص ٢٩، أخرجه ابن أبي الدنيا في التهجد، ومحمد بن نصر في قيام الليل.

فقال له: "قيّدتك خطاياك" ٣٢٦.

١١. التلذُّذ بفعـل الطاعـة، واعتقـاد أنّها خير تسـرع إليه، وفضل ترتاح لفعله؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "حُبِّبَ إليَّ النساءُ، والطيبُ، وجعلَتْ قرةُ عَيني في الصلاةِ" ٣٢٧، وكان صلى الله عليه وسلم يقول: "يا بلالُ أقمِ الصلاةَ، أرِحْنا بها" ٣٢٨،

---

٣٢٦ كتاب موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق ص ١٧٧.

٣٢٧ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيـخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيـــح النسائي ٣٩٥٠؛ أخرجه النسائي (٣٩٤٠) واللفظ له، وأحمد (١٣٠٧٩)؛ {وفي رواية: "حُبِّبَ إلي منَ الدُّنيا، النساءُ، والطِّيبُ، وجُعِلَ قرةُ عيني في الصلاةِ" [حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيـخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيـــح النسائي ٣٩٤٩؛ أخرجه النسائي (٣٩٣٩) واللفـــظ لـــه، وأحمد (١٣٠٧٩)]}.

كان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أعبَدَ النّاسِ وأتْقاهم للهِ عزَّ وجلَّ؛ فلم يكُنْ يُحِبُّ مِن الدُّنيا إلّا الطَّيِّبَ، فأحَبَّ أزواجَه، وأحَبَّ الرَّوائحَ الطَّيِّبةَ؛ مِن مِسْكٍ وغيرِه، وحَثَّ عليه ورغَّبَ فيه، كما يقولُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم في هذا الحديثِ: «حُبِّبَ إليَّ مِن الدُّنيا»، أي: نَصيبي منها وما أتحصَّلُ عليه مِن مَتاعِها: «النِّساءُ»، أي: زَوْجاتُه رَضِي اللهُ عَنهنَّ، وهنَّ مِن أَوْلى مَن يدخُلُ في قولِه صلى الله عليه وسلم: «خيرُ مَتاعِ الدُّنيا المرأةُ الصّالحةُ»، «والطِّيبُ»، أي: العُطورُ ونَحوُها ممّا يُدَّهَنُ به، «وجُعِلَ قُرَّةُ عَيْني في الصَّلاةِ»، وهذا بيانٌ لعظيمِ محبَّتِه لها؛ وذلكَ لِما فيها مِن القُرْبِ مِن المولى عزَّ وجلَّ؛ فلا شيءَ يُسعِدُه ويُدخِلُ عليه السُّرورَ بمِثْلِ ما تُدخِلُ عليه الصَّلاةُ؛ فقُرَّةُ العينِ يُعبَّرُ بها عنِ المَسرَّةِ ورؤيةِ ما يُحِبُّه الإنسانُ. {وفي الحديثِ: الحَثُّ على التَّطيُّبِ بالرَّوائحِ الطَّيِّبةِ. وفيه: بَيانُ عِظَمِ قَدْرِ الصَّلاةِ عندَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، وأنَّها يَنبغي أنْ تكونَ الأَوْلى عندَ كلِّ مسلمٍ}.

٣٢٨ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيـخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيـــح أبي داود ٤٩٨٥.

الصَّلاةُ أعظمُ أركانِ الإسلامِ العَمليَّةِ، ولها أهمِّيَّتُها الخاصَّةُ في الشَّرعِ، وفيها مِن الرُّوحانيّاتِ والصِّلةِ باللهِ ما يَجْعَلُ القلبَ يَرْتاحُ ويَخْرُجُ مِنْ متاعبِ الدُّنيا إلى مَعِيَّةِ الحَقِّ سُبْحانَه، وقد جعلتْ قُرَّةُ عينِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم في الصَّلاةِ. وفي هذا الحَديثِ يقولُ رَّجُلٌ من خُزاعةَ: سَمِعتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقولُ: «يا بلالُ، أَقِمِ الصَّلاةَ، أَرِحْنا بها»، أي: ارْفَعْ أذانَ الصَّلاةِ وأَقِمْها؛ لِنَستريحَ بِها، وكأَنَّ دُخولَه فيها هو الرّاحةُ مِنْ تَعَبِ الدُّنيا ومَشاغِلِها؛ لِما فيها مِنْ مُناجاةٍ للهِ تعالى وراحةٍ للرُّوحِ والقَلْبِ، ولا عَجَبَ في ذلك؛ فإنَّه صلى الله عليه وسلم هو القائلُ: «وجُعِلتْ قُرَّةُ عَيْنِي في الصَّلاةِ»، وطَلَبُ الرّاحةِ في الصَّلاةِ يَصْدُرُ ممَّنْ كان خاشعًا فيها ومُحِبًّا لها، وإنْ كانت ثَقيلةً على البعضِ؛ كما قال اللهُ: {وَإِنَّها لَكَبِيرَةٌ إِلّا عَلَى الْخاشِعِينَ} [البقرة: ٤٥]. {وفي

وكذلك سائر العبادات من صيام، وصدقة، وقراءة للقرآن، وسير في حوائج الناس، ومن الناس مَنْ ينتظر الصلاة بعد الصلاة، تلذُّذًا بالمكوث في بيت الله، داعيًا، مُصلّيًا، باكيًا؛ قال صلى الله عليه وسلم: "أَلا أدُلُّكُمْ على ما يَمْحُو اللَّهُ به الخَطايا، ويَرْفَعُ به الدَّرَجاتِ؟" قالُوا بَلى يا رَسولَ اللهِ، قالَ: "إسْباغُ الوُضُوءِ على المَكارِهِ، وكَثْرَةُ الخُطا إلى المَساجِدِ، وانْتِظارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّباطُ". وليسَ في حَديثِ شُعْبَةَ ذِكْرُ الرِّباطِ. وفي حَديثِ مالِكٍ ثِنْتَيْنِ فَذَلِكُمُ الرِّباطُ، فَذَلِكُمُ الرِّباطُ [٣٢٩]، {والرباط: حبس النفس على هذه الطاعة}، وكان عطاء السليمي رحمه الله إذا فرغ من وضوئه، انتفض، وارتعد، وبكى بكاءً شديدًا، فيُقال له في ذلك، فيقول: "إني أريد أن أُقدِمَ على أمرٍ عظيمٍ، أريد أن أقوم بين يدي الله عز وجل" [٣٣٠].

١٢. الإحساس بالحسرة والأسى عند فوات الطاعة أو تركها، فإن فات المحب لربّه

الحَديثِ: أنَّ الصَّلاةَ راحةٌ للقَلْبِ مِنْ تَعَبِ الدُّنيا ومَشاغِلِها}.

٣٢٩ حديثٌ صحيحٌ؛ أخرجه مسلم ٤١ - ٢٥١.

كان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يَحرِص على أنْ يَدُلَّ أصحابَه رضِيَ اللهُ عنهم على الخيرِ، وفي هذا المعنى يقول النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم مُخاطِبًا أصحابه: أَلا أَدُلُّكم، أي: أَلا تُريدون أنْ أُخبِرَكم وأُطْلِعَكم، على ما يَمْحو اللهُ، أي: يَغفِر ويَستُر، به الخطايا أي: ما كان من ذُنوبٍ ومعاصٍ، ويَرفع به الدَّرجات، أي: ويكون سببًا في عُلُوِّ المَنزِلة في الدُّنيا والآخِرة؟ فقال الصَّحابةُ رضِيَ الله عنهم: بَلى يا رسولَ الله! أي: دُلَّنا يا رسولَ الله، على ذلك الخيرِ، فقال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: إسْباغُ الوضوء على المَكارِهِ، أي: إتْمامُه وإعْطاءُ كلِّ عُضوٍ حقَّهُ من الماءِ، والمَكارِهُ تَكونُ بِشدَّةِ البردِ وأَلَمِ الجِسمِ، فَيُكرِه الرَّجُلُ نَفسَهُ عَلى الوُضُوءِ فِي شِدَةِ البَرْدِ. وكَثْرةُ الخُطا إلى المساجِد، أي: والإكثارُ من الذِّهاب إلى المساجِد لإدراكِ الجماعاتِ، وانتظارُ الصَّلاة بعد الصَّلاة، أي: البقاءُ في المسجِد وانتظارُ الفرائِض بها لا يَقطعُه منها إلّا الحاجةُ، فَذَلِكُم، أي: هذه الأعمال الثَّلاثة هي: الرِّباط، أي: يكون صاحِبها في مَنزِلةُ مَنْ يُرابِط في سبيلِ الله تعالى، والمُرابِط في سبيلِ اللهِ تعالى هو الَّذي يُلازِم ثُغورَ بلادِ المسلمين مع بلادِ الكُفّار لحراستِها، وهذا من أَعظمِ الأعمال عند الله عزَّ وجلَّ. وقوله: (فَذَلِكُمُ الرِّباط، فَذَلِكُمُ الرِّباط)، أي: للإسْماعِ والتَّأكيدِ بما في تلكِ الأعمالِ من عِظَمِ أَجْرٍ.

٣٣٠ كتاب حياة السلف بين القول والعمل؛ أحمد الطيار ص ٥١٨، الحلية (تهذيبه) ٢/ ٣٢٠.

الاستيقاظ إلى صلاة الصبح، رأيته حزينًا كئيبًا، متألم القلب، كاسِفَ البال، قد فاته خيرٌ عظيمٌ، أعظم من فوات صفقة تجارية رابحة، أو سفر لقضاء حاجة ملحَّة؛ روي أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاتته صلاة العصر مع جماعة، فتصدَّق بأرض قيمتها مائة ألف درهم [331]، وعن نافع أنَّ ابنَ عُمَرَ رضي الله عنهما كان إذا فاتَتْه العِشاءُ في جَماعةٍ، أحيا بَقيَّةَ لَيلَتِه [332]، وهذا حاتم الأصم، فاتته صلاة العصر في جماعة، فصلَّاها في البيت، فجلس يبكي؛ لأنّ صلاة الجماعة قد فاتته [333].

١٣. الغيرة على محارم الله إذا انتُهكت، وحزن القلب لشعائر الله إذا هُجرت، وقلق النفس للمنكرات إذا تفشَّت، وضيق الصدر لحدود الله إذا تُعدِيَت؛ لأنّ المؤمن يحبُّ للناس ما يحبُّ لنفسه.

١٤. الهداية إلى السعي في مصالح العباد وحاجاتهم؛ قال صلى الله عليه وسلم: "أحبُّ الناسِ إلى اللهِ أنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وأحبُّ الأعمالِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ سُرُورٌ يدْخِلُهُ على مسلمٍ ، أوْ يكْشِفُ عنهُ كُرْبَةً، أوْ يقْضِي عنهُ دَيْنًا، أوْ تَطْرُدُ عنهُ جُوعًا، ولأنْ أَمْشِي مع أَخٍ لي في حاجَةٍ أحبُّ إِلَيَّ من أنْ اعْتَكِفَ في هذا المسجدِ، يعني مسجدَ المدينةِ شهرًا، ومَنْ كَفَّ غضبَهُ سترَ اللهُ عَوْرَتَهُ، ومَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، ولَوْ شاءَ أنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلأَ اللهُ قلبَهُ رَجَاءً يومَ القيامةِ، ومَنْ مَشَى مع أَخِيهِ في حاجَةٍ حتى تتَهَيَّأَ لهُ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يومَ تَزُولُ الأَقْدَامِ، [وإِنَّ سُوءَ الخُلُقِ يُفْسِدُ العَمَلَ، كما يُفْسِدُ الخَلُّ العَسَلَ] [334]،

[331] كتاب التهجد لعبد الحق الاشبيلي ص ٥٥، كتاب الصلاة والتهجد لابن الخراط ص ١٠٣.

[332] سير أعلام النبلاء ٢١٥/٣.

[333] دروس للشيخ نبيل العوضي - ندم الصالحين على فوات الطاعة ص ٤.

[334] حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الأَلْبَانِيُّ فِي السلسلة الصحيحة ٩٠٦؛ أخــرجه الطبــراني في المــعجم الأوسط ٦٠٢٦، وأبو الشيخ في «التوبيخ والتنبيه» (٩٧) باختلاف يسير.

كان الصَّحابةُ رضِيَ اللهُ عنهم -لحرصِهم على الطَّاعاتِ وما يُقرِّبُ مِن رِضا اللهِ عزَّ وجلَّ- كثيرًا ما يسألون النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عن أفضَلِ الأعمالِ، وأكثرِها قُربةً إلى اللهِ تَعالى، فكانت إجاباتُ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: "الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ ولا يُسْلِمُهُ، مَن كانَ في حاجَةِ أخِيهِ كانَ اللَّهُ في حاجَتِهِ، ومَن فَرَّجَ عن مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عنْه بها كُرْبَةً

وسلَّم تختلِفُ باختلافِ أشخاصِهم وأحوالِهم، وما هو أكثرُ نفعًا لكلِّ واحدٍ منهم. وفي هذا الحديثِ يقول النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: "أحَبُّ الناسِ إلى اللهِ أنفعُهم للناسِ"، أي: أكثَرُ مَن يَنتفِعُ الناسُ بهم، وهذا لا يَقتصِرُ على النَّفعِ المادِّيّ فَقَطْ، ولكنَّه يمتدُّ ليشمَلَ النَّفعَ بالعِلمِ، والنَّفعَ بالرَّأْيِ، والنَّفعَ بالنَّصيحةِ، والنَّفعَ بالمَشورةِ، والنَّفعَ بالجاهِ، والنَّفعَ بالسُّلطانِ، ونحوَ ذلك، فكُلُّ هذه من صُوَرِ النَّفعِ التي تجعَلُ صاحِبَها يشرُفُ بحُبِّ اللهِ له، "وأحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ سُرورٌ يُدخِلُه على مُسلِمٍ"، أي: أنَّ أحَبَّ الأعمالِ: هي السَّعادَةُ التي تُدخِلُها على قَلبِ المُسلِمِ، وهذا يَختلِفُ باختِلافِ الأحوالِ والأفرادِ، فقد يتحقَّقُ السُّرورُ في قلْبِ المُسلِمِ بسُؤالِ أخيه عنه، وقد يتحقَّقُ بزيارةِ أخيه له، وقد يتحقَّقُ بهدِيَّةِ أخيه له، وقد يتحقَّقُ بأيِّ شَيءٍ سِوى ذلك، الأصْلُ أنْ تُدخِلَ السُّرورَ عليه بأيِّ طريقةٍ استطعْتَ، "أو يَكشِفُ عنه كُربَةً"، والكُربَةُ: هي الشِّدَّةُ العظيمةُ التي تُوقِعُ صاحِبَها في الهَمِّ والغَمِّ، فمَنِ استطاعَ أنْ يَكشِفَ عن أخيه كُرُبَه، ويَرفَعَ عنه غَمَّه، فقد وُفِّقَ بذلك إلى أفضَلِ الأعمالِ، "أو يَقضي عنه دَينًا"، أي: تَقْضي عن صاحِبِ الدَّينِ دَينَه؛ وذلك فيمن يَعجَزُ عن الوفاءِ بدَينِه، "أو تطرُدُ عنه جُوعًا"، أي: بإطعامِه أو إعطائِه ما يقومُ مَقامَ الإطعامِ، "ولَأَنْ أَمشِيَ معَ أخٍ لي في حاجةٍ أحَبُّ إليَّ مِن أنْ أَعتكِفَ في هذا المسجِدِ، يعني: مسجِدَ المدينَةِ شَهرًا"، ففي قولِه هذا إشارةٌ إلى فضْلِ المشْيِ مع المُسلِمينَ في قَضاءِ حوائجِهم، وتَيسيرِ العَقَباتِ لهم، حتى جاوَزَ هذا الفضْلُ الاعتكافَ في مسجِدِ النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ولا يَدُلُّ هذا إلَّا على عَظيمِ فضْلِ السَّعيِ بين المُسلِمينَ لقَضاءِ حوائجِهم، "ومَن كَفَّ غَضَبَه سَتَرَ اللهُ عَورَتَه"، وفيه إرشادٌ إلى ما يَجِبُ أنْ يأخُذَ المُسلِمُ به نفسَه وقتَ الغَضَبِ، من كَفِّ الغَضَبِ وكَظْمِ الغَيظِ، وأنَّ عاقِبَةَ ذلك طَيِّبةٌ، وهي سَترُ اللهِ عزَّ وجلَّ لعَورَتِه، "ومَن كَظَمَ غيظَه، ولو شاءَ أنْ يُمضِيَه أمضاهُ مَلأَ اللهُ قلْبَه رَجاءً يومَ القيامَةِ"، وهذا فضْلُ مَن كَظَمَ غيظَه للهِ، مع استطاعَتِه أنْ يُمضِيَ غيظَه، ولكِنَّه كَظَمَه ومَنَعَه للهِ؛ ولأنَّ هذا الأمرَ عزيزٌ على النَّفسِ، فكان فضْلُه عظيمًا، "ومَن مَشى معَ أخيه في حاجَةٍ حتى تتهيَّأَ له"، أي: حتى تُقْضى له، "أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَه يوم تَزولُ الأقدامُ"، أي: ثبَّت اللهُ قَدَمَه يومَ القيامَةِ على الصِّراطِ. ثم قال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: "وإنَّ سُوءَ الخُلُقِ يُفسِدُ العَمَلَ، كما يُفسِدُ الخَلُّ العَسَلَ"، خَتَمَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بهذه العِباراتِ، وهذا الإرشادِ، بعدَ أنْ أرشَدَ السائِلَ إلى أحَبِّ الأعمالِ إلى اللهِ تَعالى، وكأنَّه أرادَ أن يقولُ له: إنْ فَعَلتَ هذه الأعمالَ الصالِحَةَ، فإيَّاك أنْ يَفوتَك حُسْنُ الخُلُقِ؛ فإنَّ سوءَ الخُلُقِ يُفسِدُ الأعمالَ الصالِحَةَ، فَسادًا عَظيمًا، كما يفسُدُ العَسَلُ إذا وُضِعَ عليه الخَلُّ، فعليكَ -إذنْ- أنْ تَجتنِبَ سوءَ الخُلُقِ؛ فإنَّ سوءَ الخُلُقِ يُحبِطُ الأعمالَ، ويُضيعُ الثَّوابَ. {وفي الحديثِ: الحثُّ على مَكارِمِ الأخلاقِ والتَّحذيرُ من سُوءِ الخُلُقِ}.

مِن كُرَبِ يَومِ القِيامَةِ، ومَن سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَومَ القِيامَةِ" [٣٣٥]، ومن بديع بشارات رسول الله صلى الله عليه وسلم، قوله: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُقْرِضُ مُسْلِمًا قَرْضًا مَرَّتَيْنِ، إِلاَّ كَانَ كَصَدَقَتِهَا مَرَّةً" [٣٣٦]، فإن أحببت أن ترفع من مقامك عند ربك، وأن تتقرب إليه

---

٣٣٥ حديثٌ صحيحٌ متفق عليه: صحيح مسلم ٥٨ - ٢٥٨٠؛ أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٥٨ - ٢٥٨٠).

بَنى الإسلامُ مُجتمَعَ المسلمين على أساسٍ مَتينٍ منَ الأُخوَّةِ والتَّآزُرِ فيما بيْنهم، فقال اللهُ سبحانه وتعالى عزّ وجلّ: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} [الحجرات: ١٠]، وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم بما يَنْبغي أنْ يكونَ عليه المُسلِمُ تُجاهَ أخيهِ المسلمِ، فيُبيِّنُ أنَّ المسلِمَ -سواءٌ كان حرًّا أو عبْدًا، بالغًا أو غيرَ بالِغٍ- أخُو المسلِمِ في الإسلامِ، لا يَقومُ بظُلمِه؛ فإنَّ اللهَ سُبحانه حرَّمَ قَليلَ الظُّلمِ وكَثيرَه، وفي الوقتِ نفْسِه لا يَترُكُه إلى الظُّلمِ دونَ أنْ يُعينَه، ولا يَترُكُه مع مَن يُؤذِيه دونَ أنْ يَحمِيَه قدْرَ استطاعتِه. ويُخبِرُ أنَّ مَن سَعى في قَضاءِ حاجةِ أخيه المسلِمِ، أعانَهُ اللهُ تعالى وسَهَّل عليه قَضاءَ حاجتِه. ومَن ساعَدَ مُسلِمًا في كُربةٍ نزَلَت به مِن كُرُباتِ الدُّنيا، أي: في غَمٍّ يُؤثِّرُ في نفْسِه، أو في مُصيبةٍ مِن مَصائبِ الدُّنيا حتّى يَزولَ غَمُّه ومُصِيبتُه؛ أزالَ اللهُ عنه مُصيبةً وهَوْلًا مِن أهْوالِ يومِ القيامةِ. ومَن اطَّلَع مِن أخِيه على عَوْرَةٍ أو زَلَّةٍ، فسَتَره ولم يَفْضَحْه، سَتَره اللهُ يومَ القيامةِ. ولا يَعني هذا أنْ يَسكُتَ عن مَعصيةٍ إنْ رآهُ مُتلبِّسًا بها، بلْ يَجِبُ عليه نُصْحُه والإنكارُ عليه بما شُرِعَ مِن وَسائلِ الإنكارِ حتّى يَنتهِيَ عن مَعصيتِه، فهذا مِن النَّصيحةِ الواجبةِ.

٣٣٦ حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح ابن ماجه ١٩٨٧؛ أخرجه ابن ماجه (٢٤٣٠) واللفظ له، وابن حبان (٥٠٤٠)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (١٥٩/٤).

حَثَّتْ شَريعةُ الإسلامِ الحكيمةُ على التَّراحُمِ والتَّعاوُنِ على البِرِّ والتَّقوى، وأنْ يُنَفِّسَ النّاسُ عن بعضِهم البعضِ في الكُرباتِ والمُلِمّاتِ، وأمَرَ الطَّرفينِ -الدّائنَ والمدينَ- بمعرفةِ حقِّ الطَّرَفِ الآخرِ. وفي هذا الحديثِ يُخْبِرُ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضِيَ اللهُ عنه، أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «ما مِن مُسلمٍ يُقرِضُ مُسلمًا قَرْضًا مرَّتينِ، إلّا كان كصدَقَتِها مرَّةً»، أي: إذا أقرَضَ مرَّتينِ، كان ذلك كما لو تصدَّقَ على المُقترِضِ مَرَّةً واحدةً، وله أجرُ الصَّدقةِ، وقد قال اللهُ تعالى: {مَنْ ذا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافًا كَثِيرَةً واللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [البقرة: ٢٤٥]، وفيه حَثُّ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم على الإقراضِ والمُعاونةِ، وقَضاءِ حاجةِ المُسلمِ، وتَفريجِ كُربتِه وسَدِّ فاقتِه، وقد قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم في فَضلِ التَّنفيسِ عن النّاسِ كما في صَحيحِ مُسلمٍ: «مَن نفَّسَ عن مُؤمنٍ كُربةً مِن كُرَبِ الدُّنيا، نفَّسَ اللهُ عنه كُربةً مِن كُرَبِ يومِ القِيامةِ، ومَن يسَّرَ على مُعسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عليه في الدُّنيا والآخِرةِ، ومَن ستَرَ مُسلمًا، ستَرَه اللهُ في الدُّنيا والآخرةِ...، الحديثَ». ولهذا الحديثِ قِصَّةٌ أورَدَها ابنُ ماجَه عندَ روايتِه للحديثِ: «كان سُليمانُ بنُ أُذْنانٍ يُقرِضُ عَلقمةَ ألفَ درهمٍ

بما به يحبك، فأعِن المسكين والملهوف وذا الحاجة، وسِرْ في قضاء حوائج الناس، بإدخال السرور على أخيك، أو قضاء دينه، أو طرد جوعته، أو كشف كُربته، أو مسح دمعته.

١٥. التوفيق إلى الإكثار من النوافل بعد الفرائض: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "إنَّ اللَّهَ قالَ: مَن عادى لي ولِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ" [٣٣٧].

١٦. التوفيق إلى صلاة الجماعة والصف الأول: فعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا الصُّبْحَ فَقَالَ: "أَشَاهِدٌ فُلاَنٌ؟"، قَالُوا: لاَ، قَالَ: "أَشَاهِدٌ فُلاَنٌ؟"، قَالُوا: لاَ، قَالَ: "إِنَّ هَاتَيْنِ الصَّلاَتَيْنِ {الصبح والعشاء} أَثْقَلُ الصَّلَوَاتِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأَتَيْتُمُوهُمَا وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الرُّكَبِ، وَإِنَّ الصَّفَّ الأَوَّلَ عَلَى مِثْلِ صَفِّ الْمَلاَئِكَةِ، وَلَوْ عَلِمْتُمْ مَا فَضِيلَتُهُ لاَبْتَدَرْتُمُوهُ، وَإِنَّ صَلاَةَ الرَّجُلِ مَعَ الرَّجُلِ أَزْكَى مِنْ صَلاَتِهِ وَحْدَهُ، وَصَلاَتُهُ مَعَ الرَّجُلَيْنِ أَزْكَى مِنْ صَلاَتِهِ مَعَ

إلى عَطائِه»، أي: إلى موعدِ أخْذِه للعطاءِ مِن الدِّيوانِ، «فلمّا خرَجَ عطاؤُه تقاضاها منه واشتَدَّ عليه»، أي: في طلَبِ قَضاءِ الدَّينِ، "فقضاه، فكأنَّ عَلقمةَ غضِبَ، فمكَثَ أشهُرًا ثمَّ أتاه، فقال: أقرِضْني ألفَ دِرهمٍ إلى عَطائي، قال: نعمْ، وكَرامةً! يا أُمَّ عُتبةَ، هلُمِّي تلك الخريطةَ المختومةَ الَّتي عندك، فجاءتْ بها، فقال: أمّا واللهِ إنَّها لَدراهمُك الَّتي قَضَيْتني، ما حرَّكْتُ منها دِرهمًا واحدًا. قال: فللهِ أبوكَ! ما حمَلَك على ما فعلْتَ بي؟ قال: ما سمِعْتُ منك، قال: ما سمِعْتَ مِنّي؟ قال: سمِعْتُك تذكُرُ عنِ ابنِ مسعودٍ، أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «ما مِن مُسلِمٍ يُقرِضُ... " ثم ذَكَر الحديثَ.

وفي الحديثِ: بيانُ فضْلِ القَرضِ مع الصَّبرِ على المُقترِضِ.

٣٣٧ حديثٌ صحيحٌ: صحيح البخاري ٦٥٠٢.

الرَّجُلِ، وَمَا كَثُرَ فَهُوَ أَحَبُّ إِلَى اللهِ تَعَالَى" ٣٣٨.

٣٣٨ حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح أبي داود ٥٥٤؛ أخرجه أبو داود (٥٥٤) واللفظ له، والنسائي (٨٤٣)، وأحمد (٢١٢٦٥).

الصَّلاةُ عمادُ الدِّينِ، وركنُ الإسلامِ الرَّكينُ، وقد حثَّنا الشَّرعُ على الإسراعِ إليها واللَّحاقِ بالصَّفِّ الأوَّلِ، وعدمِ التَّخلُّفِ عن الجماعةِ؛ لِمَا فيه مِن الثَّوابِ والأجرِ المضاعَفِ. وفي هذا الحديثُ يُخبِرُ أُبَيُّ بنُ كعبٍ رضِيَ اللهُ عنه: "أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم صلَّى يومًا صلاةَ الصُّبحِ"، أي: الفَجرِ، فقال: "أشَهِدَ فلانٌ الصَّلاةَ؟"، أي: هل حضَر فُلانٌ صلاةَ الفجرِ هذه، ولعلَّ أُبيًّا لم يَعرِفِ اسْمَ الرَّجُلَينِ، فكنَّى عنهما بفُلانٍ وفلانٍ، أو أبهَمَهما للسَّترِ عليهما، وسَببُ سؤالِ النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم عنهما، أنَّه رأى قِلَّةَ الحاضِرِين، كما بيَّنَته روايةٌ أخرى عندَ الإمامِ أحمدَ، وفيها: أنَّه "رأى مِن أهلِ المسجدِ قِلَّةً، فقال: "شاهِدٌ فُلانٌ؟." "قالوا: لا"، أي: لم يَحضُرْها، فقال النَّبيُّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: "ففُلانٌ؟"، أي: هل شَهِد وحضَر فلانٌ الصَّلاةَ هو الآخَرُ؟ "قالوا: لا"، قال النَّبيُّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: "إنَّ هاتَيْنِ الصَّلاتَين"، يَعني صَلاتَيِ الصُّبحِ والعِشاءِ، كما في الصَّحيحَينِ، أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال: "إنَّ أثْقلَ الصَّلاةِ على المنافِقين صلاةُ العِشاءِ وصلاةُ الفجرِ"؛ وذلك لغَلَبةِ كَسلِهم فيهما، وتَثْبيطِهم عَنهُما لِريائِهم؛ فإنَّهما في وقتِ نومِ النَّاسِ، ولا يَنتهِضُ للهِ عزَّ وجلَّ فيهما مِن فِراشِه عن لَذيذِ نومِه إلَّا مُؤمنٌ تقيٌّ. وقولُه: "مِن أثقَلِ الصَّلاةِ"، يَدُلُّ على أنَّ الصَّلَواتِ كلَّها ثقيلةٌ على المنافِقين، ولكنَّ الفجرَ والعِشاءَ هُما الأثقَلُ عليهم، كما يدُلُّ عليه قولُه تعالى: {وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى} [التوبة: ٥٤]، "ولو يَعلَمون ما فيهما لأتَوْهُما ولو حَبْوًا"، يَعني: لو يَعلَمُ المنافِقون ما أُعِدَّ لِمَن صلَّى هاتينِ الصَّلاتَينِ جماعةً في المسجدِ مِن الأجرِ والثوابِ الزَّائدِ على غَيرِهما مِن الصَّلواتِ؛ لِمَزيدِ المشقَّةِ فيهما، لجاؤوا إلى المسجدِ لِأدائِهما جماعةً، ولو كان المجيءُ زَحفًا على الرُّكَبِ وعلى اليدَينِ والبَطنِ. ثمَّ قال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم: "والصَّفُّ الأوَّلُ على مِثلِ صفِّ الملائكةِ"، يَعني أنَّ الصَّفَّ الأوَّلَ، الَّذي يَلِي الإمامَ في الفضلِ والقُربِ مِن اللهِ تعالى، والبُعدِ مِن الشَّيطانِ كمِثْلِ صفِّ الملائكةِ عِندَ ربِّهم، أو على أجْرٍ وفضلٍ مثلِ أجرِ صَفِّ الملائكةِ، أو فضلِه، "ولو تَعْلَمون فضيلتَه"، والفضيلةُ: الخيرُ الَّذي يَكونُ في الشَّيءِ، والمرادُ به الثَّوابُ المترتِّبُ على السِّباقِ واللَّحاقِ بالصَّفِّ الأوَّلِ "لابتَدَرْتُموه"، أي: لَسابقَ كلٌّ مِنكم أخاه لِتَحصيلِ هذا الفضلِ والأجرِ، ثمَّ انتقَل إلى بَيانِ فَضلِ كَثرةِ الجماعةِ بقولِه: "وصلاةُ الرَّجلِ مع الرَّجلِ أَزْكى مِن صلاتِه وحْدَه"، أي: أكثرُ ثَوابًا، أو أكثرُ طَهارةً وبُعدًا مِن رِجْسِ الشَّيطانِ، وتَسويلِه، وإنْ كانتْ صلاتُه مُنفرِدًا صَحيحةً أيضًا، "وصلاتُه مع الرَّجُلَين أَزْكى مِن صَلاتِه مع الرَّجُلِ، وما كانوا أكثرَ فهو أحَبُّ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ"، أي: كُلَّما كان المصلُّون جَماعةً أكثرَ كان أحَبَّ إلى اللهِ تعالى. {وفي الحديثِ: أنَّ صلاةَ الجماعةِ تَحصُلُ باثْنَينِ؛ إمامٍ ومأمومٍ، وأنَّ الجماعةَ تَتَفاوَتُ في الفَضلِ بكَثْرةِ حاضِرِيها. وفيه: أنَّه يَنبَغي لِإمامِ القومِ أن يتَفقَّدَ أحوالَ المأمومين، ويَسألَ عمَّن غاب منهم. وفيه: التَّرغيبُ في

١٧. كتابة القبول للعبد في الأرض؛ قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "إذا أحَبَّ اللَّهُ العَبْدَ نادى جِبْرِيلَ: إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فأحْبِبْهُ، فيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فيُنادِي جِبْرِيلُ في أهْلِ السَّماءِ: إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فأحِبُّوهُ، فيُحِبُّهُ أهْلُ السَّماءِ، ثُمَّ يُوضَعُ له القَبُولُ في الأرْضِ" [٣٣٩].

١٨. التوفيق إلى عمل صالح قبل الموت؛ قَالَ رَسُولُ صلى الله عليه وسلم: "إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا عَسَّلَهُ")، قَالوا: ما عسَّلَه يا رسولَ اللهِ؟ قَالَ: "يُوَفِّقُ لَهُ عَمَلا صَالِحًا بَيْنَ يَدَيْ أَجَلِهِ، حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ جِيرَانُهُ"، أَوْ قَالَ: "مَنْ حَوْلَهُ" [٣٤٠]، وفي رواية: "إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خيرًا استعمَلَهُ قِيلَ: كيفَ يَستعمِلُهُ؟ قال: يُوفِّقُهُ لعملٍ صالحٍ قبلَ الموْتِ ثمَّ يَقبِضُهُ عليهِ" [٣٤١].

صَلاةِ الجَماعةِ في العِشاءِ والفجرِ، وأنَّ مُلازمةَ صلاةِ الجماعةِ، وخاصَّةً في العِشاءِ والفجرِ مِن علاماتِ الإيمانِ. وفيه: أنَّ الصَّلاةَ ثَقيلةٌ على المنافِقين، وأثقَلُها صَلاةُ العشاءِ وصلاةُ الفجرِ. وفيه: بيانُ فضلِ الصَّفِّ الأوَّلِ، والتَّرغيبُ في المبادَرةِ إليه}.

٣٣٩ حديثٌ صحيحٌ متفق عليه: صحيح البخاري ٣٢٠٩؛ أخرجه البخاري (٦٠٤٠)، ومسلم (١٥٧ - ٢٦٣٧) • في هذا الحديثِ بَيانُ فَضلِ تَحصيلِ مَحبَّةِ اللهِ تعالى وما يَترتَّبُ عليها مِنَ الجزاءِ في الدُّنيا، فَضلًا على ما يَترتَّبُ عليها مِن نَعيمِ الآخِرةِ؛ فيُبيِّنُ النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم أنَّه سُبحانَه وتعالى إذا أحَبَّ عَبدًا -بسَببِ طاعَتِه له- نادى الحَقُّ تَبارَكَ وتعالى جِبريلَ عليه السَّلامُ، وقال: إنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلانًا، فأحْبِبْه، فيُحِبُّه جِبريلُ، ثمَّ يُنادي جِبريلُ في أهلِ السَّماءِ: إنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلانًا فأحِبُّوه، فيُحِبُّه أهلُ السَّماءِ، والمُرادُ بأهلِ السَّماءِ المَلائِكةُ، ثمَّ يُوضَعُ له القَبولُ في الأرضِ عِندَ أكثَرِ مَن يَعرِفُه مِنَ المُؤمِنينَ، ويَبْقى له ذِكرٌ صالحٌ، ويُقالُ: مَعناه: يُلقي في قُلوبِ أهلِها مَحبَّتَه مادِحينَ له، فتَميلُ إليه القُلوبُ وتَرضى عنه. وصِفةُ المَحبَّةِ ثابتةٌ للهِ سُبحانَه على ظاهِرِها على ما يَليقُ بجَلالِ اللهِ سُبحانَه وتعالى، وحُبُّ جِبريلَ والمَلائكةِ يَحتَمِلُ وَجهَيْنِ؛ أحَدُهما: استِغفارُهم له، وثَناؤُهم عليه، ودُعاؤُهم، والوَجْهُ الآخَرُ: أنَّ مَحبَّتَهم على ظاهِرِها المَعروفِ مِنَ المَخلوقينَ، وهو مَيلُ القَلبِ إليه، واشتياقُه إلى لِقائِه، وسَبَبُ حُبِّهم إيّاه كَونُه مُطيعًا للهِ تَعالى، مَحبوبًا منه.

٣٤٠ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الأَلْبَانِيُّ فِي الترغيب ٣٣٥٨.

٣٤١ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ٣٠٥؛ أخرجه الترمذي (٢١٤٢)، وأحمد (١٢٢٣٥) باختلاف يسير.

إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى (الرِّضَا) [٣٤٢]

ما الذي يُرْضِي اللهَ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ؟

الرِّضا: صفةٌ من صفات الله عزَّ وجلَّ الفعليَّة الخبريَّة الثابتة بالكتاب والسنة.

الدليل من الكتاب: قوله تعالى: {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} [المائدة: ١١٩]، وقوله تعالى: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ} [الفتح: ١٨].

الدليل مـــن السنّة: حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: فقَدْتُ رَسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَيْلَةً مِنَ الفِراشِ فالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي على بَطْنِ قَدَمَيْهِ وهو في المَسْجِدِ وهُما مَنْصُوبَتانِ وهو يقولُ: "اللَّهُمَّ أعُوذُ بِرِضاكَ مِن سَخَطِكَ، وبِمُعافاتِكَ مِن عُقُوبَتِكَ، وأَعُوذُ بكَ مِنْكَ لا أُحْصِي ثَناءً

حُسْنُ الخاتِمةِ مِن تَوفيقِ اللهِ سبحانه وتعالى للعبدِ، وإلهامُ العَبدِ أن يَعمَلَ صالِحًا قبلَ موتِه مِن البشائِرِ له ومِن إرادةِ اللهِ الخيرَ به، كما يقولُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم في هذا الحديثِ: «إذا أراد اللهُ بعبدٍ خيرًا استعمَلَه»، أي: إذا أراد أن يَزيدَ في حَسَناتِه، فيُدخِلَه الجنَّةَ، فاستفسَر الصَّحابةُ عن معنى «استعمَلَه»، «فقيل: كيف يَستعمِلُه يا رسولَ اللهِ؟»، أي: ما كيفيَّةُ استعمالِه الَّتي سيَنالُ بها الخيريَّةَ، فأجابهم النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم بقولِه: «يُوفِّقُه لعمَلٍ صالحٍ قبلَ الموتِ»، أي: يَجعَلُه يَقومُ بعمَلٍ صالحٍ قبلَ موتِه، ويَقبِضُ رُوحَه، وهو يُقيمُ هذا العملَ، أو عَقِبَ فِعْلِه له، كأنْ يُوفِّقَه للصَّلاةِ، ويَقبِضَه وهو يُصلِّي، أو الصِّيامِ، ونحوِ ذلك مِن أعمالٍ صالحةٍ، ويَقبِضَه وهو يَفعَلُها أو عَقِبَ فِعْلِها.

[٣٤٢] في كل ما ثبت لله جل جلاله من الأسماء والصفات؛ فإنّ ذلك كله لائق برب العالمين جل جلاله، يوصف به على وجه الكمال والجمال والجلال، لا يشبه في ذلك أحدا من خلقه، ولا يشبهه أحد من خلق؛ قال تعالى: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)) [الشورى: ١١]، فلا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل لصفات الله سبحانه، بل نثبتها كما جاءت في النصوص، ولا يجوز تأويلها عن ظاهرها ولا يجوز تشبيه الله بخلقه.

انظر: الهامش رقم ٤٠ ص ٥٢.

عَلَيْكَ أَنْتَ كما أَثْنَيْتَ على نَفْسِكَ" [٣٤٣]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ يَرْضى لَكُمْ ثَلاثًا، ويَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاثًا، فَيَرْضى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، ولا تُشْرِكُوا به شيئًا، وأَنْ تَعْتَصِمُوا بحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا ولا تَفَرَّقُوا، ويَكْرَهُ لَكُمْ: قيلَ وقالَ، وكَثْرَةَ السُّؤالِ، وإضاعَةِ المالِ". وفي رواية: مِثْلَهُ، غيرَ أنَّه قالَ: "ويَسْخَطُ لَكُمْ ثَلاثًا"، ولَمْ يَذْكُرْ: ولا تَفَرَّقُوا. [٣٤٤].

---

٣٤٣ حديثٌ صحيحٌ: صحيح مسلم ٢٢٢ - ٤٨٦.

كان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يَجتهِدُ في التقرُّبِ إلى اللهِ بقيامِ الليلِ، ويُكثِرُ الدُّعاءَ والتَّضرُّعَ، وفي هذا الحديثِ تقولُ عائشةُ رضي الله عنها: «فقَدْتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ليلةً مِن الفِراشِ»، أي: إنَّها كانت ليلتُها، فاستيقظَتْ من اللَّيلِ فلم تجِدِ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم في فراشِه، «فالتمَسْتُه»، أي: جعلتْ تَطلُبه بيدِها وتَبحَثُ أين هو، «فوقعَتْ يدي على بطنِ قدمَيْه وهو في المسجدِ وهما منصوبتانِ»، أي: لمستْ بيدِها قَدَمَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وهو في حالِ سُجودِه، ويدْعو ويقولُ: «اللَّهمَّ أعوذُ بِرِضاكَ مِن سَخَطِكَ»، أي: ألجأُ وأستجيرُ بما تَرضى به عنّي ممّا تَسخَط وتَغضَب به عليَّ «وبمُعافاتِك مِن عقوبتِك»، أي: أَلْجأُ وأستجيرُ بما تَعفُو به عنِّي ممّا يَقعُ به عقوبةٌ منك، «وأعوذُ بكَ منك»، أي: وأَلْجأُ وأستجيرُ بكُلِّ صفةٍ مرغوبٍ فيها مِن صفاتِ اللهِ، مِن كلِّ صفةٍ مرهوبٍ منها مِن صِفاتِ اللهِ، «لا أُحصي ثناءً عليكَ، أنتَ كما أثنَيْتَ على نفْسِكَ»، أي: لا أستطيعُ أن أُوفِّيَكَ الشُّكرَ والحمدَ على نِعَمِكَ وأَفضالِك، وأنتَ يا ربِّ، كما أَثنَيْتَ على نفسِكَ، وهذا اعترافٌ بالعجزِ عن أداءِ شُكرِ النِّعَمِ. {وفي الحديثِ: بيانُ هَدْيِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم واهتمامُه بالقِيامِ والصَّلاةِ للهِ في جَوفِ اللَّيلِ. وفيه: وقوعُ الغَيرةِ بينَ الضَّرائرِ؛ حتّى عند الفُضلياتِ الصّالحاتِ وأمَّهاتِ المُؤمنينَ. وفيه: إثباتُ صِفَتَيِ الرِّضا والسَّخَطِ للهِ تعالى؛ والاستعاذةُ بصِفاتِ اللهِ تعالى؛ فإنَّ الصِّفَةَ المُستعاذَ بها والصِّفَةَ المُستَعاذَ منها صِفتان لموصوفٍ واحدٍ وربٍّ واحدٍ، فالمُستعيذُ بإحْدى الصِّفتين من الأُخرى مُستعيذٌ بالمُوصوفِ بِهما منه}.

٣٤٤ حديثٌ صحيحٌ: صحيح مسلم ١٧١٥.

يُبيِّن النبيُّ صلى الله عليه وسلم أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى يَرضى لعبادِه ثلاثًا، ويَكره (وقيل: يَسخط) لهم ثلاثًا. فيَرضى لهم: أن يَعبُدوه ولا يُشرِكوا به شيئًا، لا شِركًا أكبرَ ولا شِركًا أصغَر. وأنْ يَعتصِموا بِحَبْلِ الله جميعًا ولا يَتفرَّقوا، وهو التمسُّكُ بكتابِه والاتِّباع له وعَدَمُ الاختِلافِ. ويَكرَهُ لهم: قِيلَ وقالَ، وهو فُضولُ ما يَتحدَّث به المُجالِسون مِن قولِهم: قِيلَ كذا، وقالَ كذا؛ فإنَّ ذلك مِن دَواعِي الكَذِبِ وعدمِ التثبُّتِ واعتِقادِ غيرِ الحقِّ،

قال أبو إسماعيل الصابوني: "وكذلك يقولون (أي: الإثبات) في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار الصحاح؛ من: السمع، والبصر، والعين... والرضا، والسخط، والحياة..." [٣٤٥]، وقد استشهد شيخ الإسلام ابن تيمية ببعض ما مضى على إثبات صفة الرضا لله تعالى على ما يليق به [٣٤٦].

يُعرَّف الرضا لغةً بقبول الشيء بسرورٍ وغبطةٍ، والاطمئنان له، وعدم الشعور بالمشقّة تجاهه، أمَّا اصطلاحاً: {رضا الله سبحانه وتعالى عن العبد: هو الحصول على محبّة الله لعبده وقبوله لفعله [٣٤٧]، بالإضافة إلى الأجر والثواب العظيم منه سبحانه وتعالى، ودخول الجنة بفضله، ونيل رضوانه، وهو أعلى ثواب ممكن أن يناله المسلم [٣٤٨]، بحيث يرى الله عبده مُطيعاً لأمره ونهيه، ويفعل كل ما أمره الله به، وينتهي عن كل ما نهاه الله عنه [٣٤٩]}، و{رضا العبد عن الله تعالى: وهو قبول العبد لقضاء الله تعالى وعدم السخط والاعتراض عليه [٣٥٠]}.

ومِن أسبابِ وُقوعِ الفِتَنِ وتَنافُرِ القُلوبِ، ومِن الاشتِغالِ بالأُمورِ الضّارَّةِ عن الأُمورِ النّافِعة، وقَلَّ أن يَسْلَمَ أحدٌ مِن شيءٍ من ذلك. وكثرةَ السُّؤالِ لِلنّاسِ أموالَهم، أو المَسائِلَ العِلميَّة الَّتي لا حاجَةَ إليها ولا تعني الإنسانَ. وإضاعةَ المالِ، أي: إنفاقَه فيما لا يَحِلُّ والإسرافَ فيه، أو بِتَرْكِ حِفْظِه حتّى يَضِيعَ. {في الحديثِ: إثباتُ الرِّضا لله عزَّ وجلَّ كما يَليقُ به. وفيه: إثباتُ الكُرْهِ لله عزَّ وجلَّ كما يَليقُ به. وفيه: إثباتُ السَّخَطِ للهِ عزَّ وجلَّ كما يَليقُ به. وفيه: الحثُّ على الجَماعةِ، والأمرُ بلزومِها. وفيه: تَرْكُ الخَوْضِ في أخبارِ النّاسِ وتَتَبُّعِ أحوالِهم وحِكايةِ أقوالِهم وأفعالِهم. وفيه: الحثُّ على الحِفاظِ على المالِ وعدمِ الإسرافِ فيه}.

٣٤٥ عقيدة السلف أصحاب الحديث؛ أبو إسماعيل الصابوني: ص: ٥.

٣٤٦ العقيدة الواسطية؛ ص ١٠٨، والتدمرية؛ ص ٢٦.

٣٤٧ خالد المصلح، شرح لمعة الاعتقاد، صفحة ١٨، جزء ٣. بتصرّف.

٣٤٨ موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة؛ مجموعة من المؤلفين، مصر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، صفحة ٣١٥. بتصرّف.

٣٤٩ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز؛ مجد الدين الفيروزآبادي، القاهرة (١٩٩٦): المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، صفحة ٧٧، جزء ٣. بتصرّف.

٣٥٠ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز؛ مجد الدين الفيروزآبادي، القاهرة (١٩٩٦): المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، صفحة ٧٧، جزء ٣. بتصرّف.

والله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ يَرْضى متى شاء وليس لذلك حصر، فتعالى وتبارك الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ أن يحيط أحد بمعرفته {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [سورة طه: ١١٠]، سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ {يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [سورة الرحمن: ٢٩]، ورضا الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ هو الغاية الأسمى لكلِّ مسلمٍ يسعى للوصول إليها، وقد وردت أدلة كثيرة من الكتاب والسنّة الصحيحة تدل على بعض هذه الأسباب والأعمال والمواطن الجالبة لرِضا الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ والعلامات الدّالة على ذلك؛ ومنها:

١. المَوْطِنُ الأَوَّلُ: **"الاستجابة لله سبحانه تعالى عزّ وجلّ وعبادته، وعدم الشرك به، والاعتصام بحبله، والاستجابة للرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه":**

الطالبون لرضى الله تعالى يستجيبون له ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وعلى قدر الاستجابة تكون الحياة، فكلما زاد العبد في طاعة الله وتنفيذ أوامره زاده الله سبحانه وتعالى هدىً وتوفيقًا، كما أنَّ الاستجابة سبب لرضى الله واستجابة الدعاء، وجزاء المستجيب الجنة، وهي من كمال العقل، قال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ} [سورة آل عمران: ١٧٤]، قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: "أي: اتبعوا ما يرضي الله عَزَّ وَجَلَّ، وذلك بالاستجابة لله ولرسوله، فإنّ الاستجابة لله ولرسوله سبب رضاء الله عَزَّ وَجَلَّ"، والله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ يَرضى لعبادِهِ ثلاثًا: أن يَعبُدوه ولا يُشرِكوا به شيئًا، لا شِركًا أكبَرَ ولا شِركًا أصغَر، وأنْ يَعتصِموا بِحَبْلِ الله جميعًا ولا يَتفرَّقوا، وهو التمسُّكُ بكتابِه والاتِّباع له وعَدَمُ الاختِلافِ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ صلى الله عليه وسلم: "إنَّ اللَّهَ يَرْضى لَكُمْ ثَلاثًا، ويَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاثًا، فَيَرْضى لَكُمْ: أنْ تَعْبُدُوهُ، ولا تُشْرِكُوا به شيئًا، وأَنْ تَعْتَصِمُوا بحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا ولا تَفَرَّقُوا، ويَكْرَهُ لَكُمْ: قيلَ وقالَ، وكَثْرَةَ السُّؤالِ، وإضاعَةِ المالِ"، وفي روايةٍ: مِثْلَهُ، غيرَ أنَّه قالَ: "ويَسْخَطُ لَكُمْ ثَلاثًا"، ولَمْ يَذْكُرْ: ولا

تَفَرَّقُوا. [٣٥١]، وورد عند الإمام أحمد بزيادة: "وأنْ تَنصَحوا لِمَن ولّاه اللّهُ أَمرَكم" [٣٥٢]، ففي هذا الحديث بيان لما يرضى الله من عباده، وهي ثلاثة أمور؛ عبادة الله وحده لا شريك له، والاعتصام بحبل الله، وألا يتفرّق المؤمنون.

٢. المَوْطِنُ الثَّانِي: "الموالاة والمعاداة في الله سبحانه وتعالى": الله سبحانه وتعالى يرضى عن المؤمنين الذين يُوالون فيه سبحانه ويعادون فيه، كما جاء في قوله عزّ وجلّ: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [سورة المجادلة: ٢٢].

---

٣٥١ حديثٌ صحيحٌ: صحيح مسلم ١٧١٥.

يُبيّن النبيُّ صلى الله عليه وسلم أنَّ اللّٰه سبحانه وتعالى يَرضى لعبادِه ثلاثًا، ويَكره (وقيل: يَسخط) لهم ثلاثًا. فيَرضى لهم: أن يَعبُدوه ولا يُشرِكوا به شيئًا، لا شِركًا أكبَر ولا شِركًا أصغَر. وأنْ يَعتصِموا بحَبْلِ اللّٰه جميعًا ولا يَتفرَّقوا، وهو التمسُّكُ بكتابِه والاتِّباع له وعَدَمُ الاختِلافِ. ويَكرَهُ لهم: قِيلَ وقالَ، وهو فُضولُ ما يَتحدَّث به المُجالِسون مِن قولِهم: قِيلَ كذا، وقالَ كذا؛ فإنَّ ذلك مِن دَواعِي الكَذِبِ وعدمِ التثبُّتِ واعتِقادِ غيرِ الحقّ، ومِن أسبابِ وُقوعِ الفِتَنِ وتَنافُرِ القُلوبِ، ومِن الاشتِغالِ بالأُمورِ الضّارَّةِ عن الأُمورِ النّافِعة، وقَلَّ أن يَسلَمَ أحدٌ مِن شيءٍ من ذلك. وكثرَةَ السُّؤالِ لِلنّاسِ أموالَهم، أو المَسائِلَ العِلميَّةَ الَّتي لا حاجَةَ إليها ولا تعني الإنسانَ. وإضاعةَ المالِ، أي: إنفاقَه فيما لا يَحِلُّ والإسرافَ فيه، أو بِتَرْكِ حِفظِه حتّى يَضِيعَ.

في الحديثِ: إثباتُ الرّضا للّٰه عزَّ وجلَّ كما يَليقُ به. وفيه: إثباتُ الكُرْهِ للّٰه عزَّ وجلَّ كما يَليقُ به.

وفيه: إثباتُ السَّخَطِ للّٰهِ عزَّ وجلَّ كما يَليقُ به.

وفيه: الحثُّ على الجَماعةِ، والأمرُ بلزومِها.

وفيه: تَرْكُ الخَوْضِ في أخبارِ النّاسِ وتَتَبُّعِ أحوالِهم وحِكايةِ أقوالِهم وأفعالِهم.

وفيه: الحثُّ على الحِفاظِ على المالِ وعدمِ الإسرافِ فيه.

٣٥٢ "وأنْ تنصَحوا لِمَن ولّاه اللّٰهُ أَمرَكم، وأنْ تعتَصِموا بحَبْلِ اللّٰهِ جميعًا، ولا تَفرَّقوا، وكَرِهَ لكم: قيلَ وقال، وكثرةَ السؤالِ، وإضاعةَ المالِ." [أخرجه الشيخ شعيب الأرنؤوط، في تخريج المسند ٨٧١٨؛ إسناده صحيح على شرط مسلم].

٣. المَوْطِنُ الثَّالِثُ: **"المسارعة في مرضاة اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، والالتزام بما أمر به، واجتناب كلِّ ما نهى عنه"**: قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى} [طه: ٨٣ - ٨٤]، قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه اللهُ: "والذي عجلني إليك يا رب: الطلب لقربك، والمسارعة في رضاك"، والمسلم لا ينتهي من طاعةٍ أو عملٍ خير إلا ويُتبعه بغيره من الخير الذي وفّقه اللهُ إليه، قال اللهُ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} [سورة محمد: ١٧]، وقال اللهُ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا} [الفتح: ٢٩]، قال العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه اللهُ: وصفهم كثرة الصلاة... ومقصودهم بلوغ رضا ربهم، وقال اللهُ سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا} [المائدة: ٢]، قال عبد اللهِ بن عباس رضي اللهُ عنه: "يترضَّون اللهَ بحجِّهم"، وقال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا} [الحشر: ٨]، قال الإمام البغوي رحمه اللهُ: "أي أُخرجوا إلى دار الهجرة طلبًا لرضا اللهِ عَزَّ وَجَلَّ"، وقال اللهُ سبحانه: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ} [البقرة: ٢٠٧]، قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه اللهُ: "أي يبيع نفسه في طلب رضا اللهِ عَزَّ وَجَلَّ"، وقال اللهُ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ} [البقرة: ٢٦٥]، والمسلم يبتعد عمّا يغضب اللهَ، ويتجنَّب الأعمال التي لا يرضاها اللهُ، ومنها: الكفر، والابتداع في الدين، والفسق {وهو الخروج عن طاعة اللهِ وعن طاعة رسوله}، قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ} [الزمر: ٧]، قال العلامة محمد بن صالح العثيمين

رحمه الله: "هل رضي الله من عباده الكفر؟ الجواب: لا، وهل رضي الله لعباده أن يبتدعوا في دينه ما ليس منه؟ الجواب: لا"، وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: {فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} [التوبة: ٩٦]، والعبدُ عندما يقوم بما يرضي الله من الأعمال، فقد يسخط عليه بعض الناس، فعليه ألا يهتمَّ ولا يبالي، فمن أرضى الله رضي الله عنه، وأرضى الناسَ عنه؛ فعن أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من التمس رِضا اللهِ بسخَطِ الناسِ؛ رضِيَ اللهُ عنه، وأرْضى عنه الناسَ، ومن التَمس رضا الناسِ بسخَطِ اللهِ، سخِط اللهُ عليه، وأسخَط عليه الناسَ" [٣٥٣].

٤. المَوْطِنُ الرَّابِعُ: **"الرضا بما يقضي الله من بلاء، مع الإكثار من قول الحمد لله في**

---

٣٥٣ أخرجهُ الشيــخ الأَلْبَانِيُّ في صحيح الترغيب ٢٢٥٠، وقال عنه: صحيح لغيره؛ أخرجه الترمذي (٢٤١٤) بنحوه، وعبد بن حميد في «المسند» (١٥٢٢)، وابن حبان (٢٧٧) باختلاف يسير. وفي رواية: "منِ التمسَ رضا اللَّهِ بسَخطِ النّاسِ كفاهُ اللَّهُ مؤنةَ النّاسِ، ومنِ التمسَ رضا النّاسِ بسخطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إلى النّاسِ"، [حديثٌ صحيحٌ: صحّحَهُ الشيــخ الأَلْبَانِيُّ في صحيح الترمذي ٢٤١٤؛ أخرجه الترمذي (٢٤١٤) واللفظ له، وعبد بن حميد في «المسند» (١٥٢٢) بنحوه، وابن حبان (٢٧٦) باختلاف يسير].

رِضا اللهِ عزَّ وجلَّ مِن أجَلِّ ما يَسْعى إليه كلُّ مؤمنٍ حَصيفٍ، فمَنْ رضِيَ اللهُ عنه غفَر له ورَحِمَه وأدخَله جنَّتَه، والفائزُ حقًّا هو مَن فاز برِضا اللهِ سبحانه وتعالى. وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «مَن الْتَمَس رِضا اللهِ بسَخطِ النّاسِ»، أي: أيُّما أحَدٍ سعى في الفوزِ برِضا اللهِ عزَّ وجلَّ وطلَب مَرْضاةِ اللهِ عزَّ وجلَّ ولو كلَّفه ذلك كُرْهَ النّاسِ له وعدَمَ رِضاهم عنه وسَخَطَهم عليه، «كفاه اللهُ مُؤْنةَ النّاسِ»، أي: حَفِظه اللهُ مِن سَخَطِ النّاسِ عليه وأرضى عنه النّاسَ، وكفاه همَّ ذلك، «ومَن الْتَمس رِضا النّاسِ بسخَطِ اللهِ»، أي: وأيُّما أحدٍ سعى في الفوزِ برِضا النّاسِ، ونَيْلِ مَرْضاتِهم بمعصيةِ اللهِ وعدَمِ المبالاةِ بما أمَر وما نهى، وعدَمِ الاحتِرازِ مِن سَخَطِ اللهِ، «وكَله اللهُ إلى النّاسِ»، أي: ترَك أمْرَه إلى النّاسِ، وسلَّطهم عليه، فلم يَرْضَوه ولم يَرضَوا عنه، وسَخِط اللهُ عليه، فمَن أرضاهم بسخَطِ اللهِ لم يَكُنْ مُوقِنًا لا بوَعدِه ولا برِزقِه؛ فإنَّه إنَّما يَحمِلُ الإنسانَ على ذلك إمّا ميلٌ إلى ما في أيديهم، فيَترُكُ القيامَ فيهم بأمرِ اللهِ لِما يَرْجونه مِنهم، وإمّا ضَعْفُ تصديقِه بما وعَد اللهُ أهلَ طاعتِه مِن النَّصرِ والتَّأييدِ والثَّوابِ في الدُّنيا والآخرةِ. {وفي الحديثِ: فضلُ مَن سعى في نَيلِ مَرْضاةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وأنَّ ذلك سَببٌ لكِفايَتِه مُؤنةَ النّاسِ}.

السرّاء والضرّاء وعند المصائب، وعدم التسخّط والاعتراض على قضاء الله وقدره، والشُّعور بالسَّكينة والطمأنينة في النَّفس": فالله عندما يبتلي الإنسان المسلم فهو يُحبّه، ويُحبّ أن يسمع دعائه دائمًا، وبقدر ما يصبر العبد ويحمد ربّه فإن الله سوف يُفرجها عليه ويرزقه من حيث لا يحتسب، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنَّ عِظمَ الجزاءِ مع عِظمِ البلاءِ، وإنَّ اللهَ إذا أحبَّ قومًا ابتَلاهم، فمَن رَضيَ فله الرِّضى، ومَن سخِط فله السَّخطُ" [٣٥٤]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وُلِدَ لي اللَّيلةَ غلامٌ فسمَّيتُهُ باسمِ أبي إبراهيمَ" فذَكَرَ الحديثَ ... قالَ أنسٌ: لقد رأيتُهُ يَكيدُ بنفسِهِ (أي يقارِبُ الموتَ) بينَ يدي رسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فدمَعَت عَينا رسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فقالَ: "تدمَعُ العينُ ويحزَنُ القلبُ، ولا نقولُ إلّا ما يرضي ربَّنا،

٣٥٤ حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَهُ الشيخ الأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترمذي ٢٣٩٦.

مِن حِكمةِ اللهِ تعالى أنَّه يَبتلي عِبادَه ويختبِرُهم؛ ليَعلمَ المؤمِنَ المطيع الراضي من العاصي الساخط، والبلاءُ يَكونُ بالسَّرّاءِ والضَّرّاءِ، وفي هذا الحديثِ يقولُ الرَّسولُ صلى الله عليه وسلم: «إنَّ عِظَمَ الجَزاءِ مع عِظَمِ البلاءِ»، أي: كلَّما كثُر وزاد البلاءُ زادَتِ الحسَناتُ في مُقابِلِ ذلك، ثمَّ بيَّن النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أسبابَ البَلاءِ، وأنَّها دَليلُ خيرٍ، إنْ قُوبِلَت بالرِّضا، فقال: «وإنَّ اللهَ إذا أحَبَّ قومًا ابتَلاهم»، أي: اختبَرهم بالمِحَنِ والمصائبِ، «فمَن رَضِيَ فله الرِّضا»، أي: مَن قابَل هذه البلايا بالرِّضا، فسيَرْضى اللهُ سبحانه وتعالى عنه، ويَجْزيه الخيرَ والأجْرَ في الآخِرَةِ، وقد يُفهَمُ منه أنَّ رِضا اللهِ تعالى مَسبوقٌ برِضا العبدِ، ومُحالٌ أن يَرضى العبدُ عن اللهِ إلّا بعد رِضا اللهِ عنه، كما قال: {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} [المائدة: ١١٩]، ومحالٌ أن يَحصُلَ رِضا اللهِ ولا يَحصُلَ رِضا العبدِ في الآخِرةِ، كما قال سبحانه وتعالى عزّ وجلّ: {يا أَيَّتُها النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً} [الفجر: ٢٧، ٢٨]؛ فعَن اللهِ الرِّضا أزَلًا وأبدًا، سابقًا ولاحقًا. «ومَن سَخِط فله السُّخطُ»، أي: مَن قابَل هذه البلايا بعَدَمِ الرِّضا؛ مِن كُرهٍ لوُقوعِها وسَخَطٍ، فإنَّه يُقابَلُ بمِثلِ ذلك، وهو أن يَغضَبَ اللهُ عليه، فلا يَرضى عنه، وله العِقابُ في الآخرةِ؛ وذلك أنَّ المصائِبَ والعِلَلَ والأمراضَ كفّاراتٌ لأهلِ الإيمانِ، وعُقوباتٌ يُمحِّصُ اللهُ بها مَن شاء مِنهم في الدُّنيا؛ ليَلقَوْه مُطهَّرين من دنَسِ الذُّنوبِ في الآخرةِ، وهي لأهلِ العِصْيانِ كُروبٌ وشَدائِدُ وعذابٌ في الدُّنيا، ومع عدَمِ رِضاهُم وتَسليمِهم لقضاءِ اللهِ فلا يكونُ لهم أجرٌ في الآخرةِ. {وفي الحديثِ: الحثُّ على الصَّبرِ والرِّضا إذا وقَع البلاءُ}.

إنّا بِكَ يا إبراهيمُ لمَحزونونَ" [355].

355 حديثٌ صحيحٌ: متفق عليه؛ أخرجه أبو داود (٣١٢٦)؛ أخرجه البخاري (١٣٠٣) بنحوه، ومسلم ٦٢ - ٢٣١٥، وأحمد (١٣٠١٤) باختلاف يسير، وأبو داود (٣١٢٦) واللفظ له. وفي رواية: {دَخَلْنَا مع رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ علَى أَبِي سَيْفٍ القَيْنِ، وكانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عليه السَّلَامُ، فأخَذَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إبْرَاهِيمَ، فَقَبَّلَهُ، وشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عليه بَعْدَ ذلكَ وإبْرَاهِيمُ يَجُودُ بنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ تَذْرِفَانِ، فَقالَ له عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عنْه: وأَنْتَ يا رَسولَ اللَّهِ؟ فَقالَ: "يا ابْنَ عَوْفٍ إنَّهَا رَحْمَةٌ"، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بأُخْرَى، فَقالَ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "إنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، والقَلْبَ يَحْزَنُ، ولَا نَقُولُ إلَّا ما يَرْضَى رَبُّنَا، وإنَّا بفِرَاقِكَ يا إبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ" [حديثٌ صحيحٌ: متفق عليه؛ صحيح البخاري ١٣٠٣؛ أخرجه البخاري (١٣٠٣)، ومسلم ٦٢ - ٢٣١٥].

البُكاءُ على المصيبةِ غريزةٌ إنسانيّةٌ لا يأثَمُ عليها المرءُ، طالَما أنَّه لم يَتخلَّلْ ذلك سَخَطٌ أو نَوْحٌ أو عدَمُ رِضًا بقَضاءِ اللهِ وقدَرِه. وهذه الروايةُ جُزءٌ مِن حَديثٍ طويلٍ -كما في صحيحِ مُسلمٍ- وفيه يَحْكي أنسُ رضِيَ اللهُ عنه قصَّةَ وَفاةِ إبراهيمَ ابْنِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مِن مارِيَةَ القِبْطيَّةِ، وهي أمُّ وَلدِه وليستْ زَوجَه، فيقولُ: "قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: وُلِدَ لِيَ اللَّيلةَ غلامٌ فسمَّيتُهُ باسمِ أبي إبراهيمَ ثم ساق الحديث. وفي هذا الحديثِ يحكي أنسُ رَضيَ اللهُ عنه قصَّةَ وفاةِ إبراهيمَ بنِ رَسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مِن ماريةَ القِبطيَّةِ، وكان مولدُه في ذي الحجَّةِ سنةَ ثمانٍ مِن الهِجرةِ، وتُوفِّيَ في السَّنةِ التاسِعةِ مِن الهِجرةِ وهو في مَرحلةِ الرَّضاعِ، فيقولُ أنسٌ رَضيَ اللهُ عنه: دخَلْنا مع رسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ على أبي سَيْفٍ القَيْنِ، أي: الحدَّادِ، واسمُه: البراءُ بنُ أَوْسٍ، وكان ظِئْرًا لإبراهيمَ وأبًا له مِن الرَّضاعةِ؛ لأنَّ زَوجتَه خَوْلةَ بنتَ المُنذِرِ قد أرضعَتْ إبراهيمَ رَضيَ اللهُ عنه، والظِّئْرُ هي الحاضِنُ، فأخَذ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إبراهيمَ فقبَّله وشَمَّه. قال أنسٌ رَضيَ اللهُ عنه: ثمَّ دخَلْنا عليه بعْدَ ذلك بمدَّةٍ مِن الزَّمن، وإبراهيمُ في حالِ النَّزعِ على وَشْكِ أن تَفيضَ رُوحُه، فجعَلَتْ عينَا رَسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ تَذْرِفانِ الدُّموعَ، فقال له عبدُ الرَّحمنِ بنُ عَوفٍ رَضيَ اللهُ عنه: وأنتَ يا رسولَ الله؟! فإنَّ النَّاسَ لا يَصبِرون عندَ المصائبِ ويَتفجَّعون، وأنت يا رسولَ الله تفعَلُ كفِعلِهم مع حثِّك على الصبرِ ونَهيِك عن الجزَعِ؟! فقال: يا ابنَ عَوفٍ، إنَّها رحمةٌ، أي: رِقَّةٌ في القَلبِ، تَجيشُ في النَّفْسِ عِندَ فِراقِ الأحبَّةِ، فتبعَثُ على حُزنِ القَلبِ، وبُكاءِ العَينِ، وهي غريزةٌ لا يُلامُ عليها، وليست مِن الجزَعِ في شَيءٍ، ثمَّ أَتْبَعَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ الدَّمعةَ الأُولى بالدَّمعةِ الثَّانيةِ، أو أَتْبَع الكلِمةَ الأُولى بكلمةٍ أخرَى، فقال: «إنَّ العينَ تدمَعُ، والقلبَ يحزَنُ" بمقتضى الغريزةِ الَّتي فطَر اللهُ عليها خَلْقَه، «ولا نقولُ إلَّا ما يُرضي ربَّنا»؛ مِن الحمدِ والاسترجاعِ، وسُؤالِ الخلَفِ الصَّالحِ، كقول: إنَّا للهِ وإنَّا إليه راجعونَ، اللهمَّ أجُرْني في مُصيبتي وأخْلِفْني خيرًا منها، «وإنَّا بفِراقِك يا إبراهيمُ لَمَحزونونَ» وليس الحزنُ مِن فِعلِنا، ولكنَّه أمرٌ أودَعه اللهُ فينا، وأوقَعه في قلوبِنا،

٥. المَوْطِنُ الخَامِسُ: **"شكر الله وحده":** الله سبحانه وتعالى يرضى عن المؤمنين الشاكرين الذين يشكرون نعمه، فالشكر شطر الدين، وسبب لدفع النقم وحصول النعم، ويعرف الشكر بأنّه المجازاة على ما يتحصل للعبد من إحسان، فيشكر بالثناء على المحسن، وبالإقرار باللسان، وباستعمال ما أُعطي من نعمة في رضى الله وطاعته، قال تعالى: {وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ} [سورة الزمر: ٧]، قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: "الشاكر ينال رضا ربه"، وللشكر أركان ثلاثة هي:

- شهادة القلب بأنَّ النعمة إنما هي من الله تعالى، مع محبته والخضوع له.
- شكر الله بالثناء عليه باللسان ونسب الفضل إليه.
- استعمال هذه النعمة في طاعة الله وليس في سخطه.

وقد بيّن الرسول صلى الله عليه وسلم أنّ أحدَ الأُمورِ الَّتي يَستَطيعُ المُسلِمُ أنْ يَحظى فيها بِرِضا اللهِ سبحانه وتعالى عزّ وجلّ بأن يقول الحمد لله عندما ينتهي من الأكل، ويقول الحمد لله عندما ينتهي من الشرب، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا"[٣٥٦]، بل جاء في الحديث؛ بأن يَغْفِرَ

فلا نُلامُ عليه إلَّا إذا قُلْنا أو فعَلْنا ما لا يُرضي ربَّنا. {وفي الحديثِ: أنَّ المؤمنَ لا يقولُ عندَ المصيبةِ ولا يَفعَلُ إلَّا ما يُرضي اللهَ عزَّ وجلَّ. وفيه: تقبيلُ الولدِ وشَمُّه. وفيه: مَشروعيَّةُ البُكاءِ برَحمةٍ على المَيتِ، مع عدَمِ الاعتراضِ على قضاءِ اللهِ تعالَى}.

٣٥٦ حديثٌ صحيحٌ: صحيح مسلم ٢٧٣٤.
رِضا اللهُ عزَّ وجلَّ غايَةُ كُلِّ مُسلِمٍ، وسَعْيُ الإنسانِ في طاعَةِ اللهِ واتِّباعِ رَسولِه يَكونُ سَببًا لنَيْلِ مَحبَّةِ اللهِ ورِضاهُ. وفي هَذا الحديثِ يُبَيِّنُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أحدَ الأُمورِ الَّتي يَستَطيعُ المُسلِمُ أنْ يَحظى فيها بِرِضا اللهِ، وهي قَولُهُ صلى الله عليه وسلم: إنَّ اللهَ لَيَرْضى عنِ العَبْدِ أنْ يَأكُلَ الأَكْلَةَ، وهِيَ المرَّةُ الواحدَةُ مِنَ الأَكْلِ كالغَداءِ والعَشاءِ، فيَحمَدَه عليها، أو يَشْرَبُ الشَّربَةَ فيَحمَدَه عليها، فالرِّضا منه تَعالى يَتَسَبَّبُ عن حَمْدِه المُتَسَبِّبِ عنِ الأَكْلَةِ والشَّرْبَةِ، سُبحانَه ما أَكْرَمَه أَعطى المَأكولَ وأَقْدَرَ على أَكْلِه وجَعَلَه سائغًا وساقَه إلى عَبْدِه، وأَوْجَدَه مِنَ العَدَمِ ثُمَّ أَقْدَرَه على حَمْدِه، وأَلْهَمَه قَولَهُ وعَلَّمَه النُّطْقَ به، ثُمَّ كان سَببًا لرِضائِه، وهَذا دَليلٌ على أنَّ رِضا اللهِ

اللهُ له ما تقدَّمَ من ذنبِه، فعن معاذ بن أنس رضي الله عنه: يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "مَنْ أكَلَ طعامًا ثُم قال: الحمدُ للهِ الّذي أطعمَنِي هذا الطعامَ، ورزَقَنِيهِ من غيرِ حولٍ مِنّي ولا قُوَّةٍ، غُفِرَ لهُ ما تقدَّمَ من ذنْبِهِ، ومَنْ لبِسَ ثوبًا فقال: الحمدُ للهِ الّذي كسانِي هذا، ورزَقَنِيهِ من غيرِ حولٍ مِنّي ولا قُوَّةٍ غُفِرَ لهُ ما تقدَّمَ من ذنْبِهِ وما تأخَرَّ" [357].

٦. المَوْطِنُ السَّادِسُ: **"الدعاء":** الطالبون لرضى الله تعالى يسألونه أن يوفقهم ويهديهم إلى الأعمال الصالحة التي تُرضيه عنهم، ويسارعون كذلك في مرضاته، وطلب قربه، وغاية أعمالهم الصالحة وقصدها هي طلب رضا الله سبحانه، قال الله سبحانه وتعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي

عزَّ وجلَّ قد يُنالُ بأَدْنى سَببٍ؛ فإنَّه يُنالُ بهذا السَّببِ اليَسيرِ وللهِ الحَمْدُ؛ يَرضى اللهُ عنِ الإنسانِ إذا انْتَهى مِنَ الأَكْلِ، قال: الحَمْدُ للهِ، وإذا انْتَهى مِنَ الشُّربِ قال: الحَمْدُ للهِ.

357 حديـثٌ حسنٌ: حَسَّنَهُ الشيـخ الأَلْبَانِيُّ في صحيح الجامع ٦٠٨٦؛ أخرجه أبو داود (٤٠٢٣) باختلاف يسير، والترمذي (٣٤٥٨)، وابن ماجه (٣٢٨٥)، وأحمد (١٥٦٣٢) مختصراً. وفي رواية: {من أكل طعامًا ثم قال: "الحمدُ للهِ الذي أطعمَني هذا الطعامَ ورزقنِيهِ من غير حولٍ مني ولا قوةٍ غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبِه [وما تأخَّرَ] ومن لبِس ثوبًا فقال: الحمدُ للهِ الذي كساني هذا [الثوبَ] ورزقنِيهِ من غيرِ حولٍ مني ولا قوةٍ غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبِه وما تأخَّرَ". [حديـثٌ حسنٌ: حَسَّنَهُ الشيـخ الأَلْبَانِيُّ في صحيح أبي داود ٤٠٢٣؛ حسن دون زيادة: "وما تأخر" في الموضعين]}.

يَنبغِي على العبدِ حَمدُ اللهِ وشُكرُه على نِعَمِه مِن مأكلٍ ومَلبَسٍ بابٌ لِغُفرانِ الذُّنوبِ؛ فإنَّ ذلك سببٌ لمَغفرةِ ذُنوبِه، وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «مَن أكَل طَعامًا ثمَّ قال»، أي: بعدَ أن فرَغَ مِنه: «الحَمدُ للهِ الَّذي أطعَمَني هذا الطَّعامَ ورزَقَنيه مِن غيرِ حولٍ منِّي ولا قوَّةٍ»، أي: لولا اللهُ عزَّ وجلَّ ما تيَسَّرَ لي هذا الطَّعامُ، ولولا اللهُ ما كنتُ أقدِرُ على أكلِه، «غُفِر له»، أي: مَحا اللهُ، «ما تَقدَّمَ مِن ذَنبِه»، أي: ما سَبَق مِن السَّيِّئاتِ والخَطايا، «ومَن لَبِس ثوبًا فقال»، أي: بعدَ الفَراغِ مِن لُبسِه: «الحَمدُ للهِ الَّذي كَساني هذا الثَّوبَ ورزَقَنيه مِن غيرِ حولٍ منِّي ولا قوَّةٍ»، أي: لولا اللهُ ما كان لي هذا الثَّوبُ، ولولا اللهُ ما كنتُ أَقدِرُ على لُبسِه، "غُفِر له ما تَقدَّمَ مِن ذَنبِه "، أي: مَحا اللهُ سيِّئاتِه الَّتي سبقَت.

أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ} [الأحقاف: ١٥]، وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: {فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ} [النمل: ١٩]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: أي عملًا تحبه وترضاه.

٧. المَوْطِنُ السَّابِعُ: **"محبة النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة رضي الله عنهم والترضِّي عنهم واقتفاء أثرهم"**: إنّ محبة النبي صلى الله عليه وسلم فرض على كل مسلم، على أن يكون هذا الحب خالصًا وصادقًا ومقروناً بالإتّباع، قال الله سبحانه وتعالى: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [سورة آل عمران: ٣١]، كما أنَّ حبّ الصحابة رضوان الله عليهم وسيلة يتقرب بها العبد من الله تعالى، ويحبهم المسلم لما لهم من فضائل وتضحيات بالمال والنفس والجهد، فهم أهل الإيمان الحق، والسير على نهجهم سبب لتحصيل رضا الله ودخول جنته، وهو دلالة على سلامة منهج الصحابة، وثباتهم على الإيمان، فمن تبعهم فله نصيب من جزائهم. قال الله سبحانه وتعالى عَزَّ وَجَلَّ: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا} [الفتح: ١٨]، وقال الله سبحانه وتعالى عَزَّ وَجَلَّ: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: ١٠٠]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتّبعوهم بإحسان، فيا ويلَ من أبغضهم أو سبّهم أو أبغض أو سبَّ بعضهم، ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم؛ أعني الصدّيق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه. .... وأما أهل السنّة، فإنهم يترضون عمَّن رضي الله عنه، ويسبُّون من سبه الله ورسوله، ويوالون من يوالي

اللّٰه، ويعادون من يعادي اللّٰه، وهم متبعون لا مبتدعون، ويقتدون ولا يبتدرون، وهؤلاء هم حزب اللّٰه المفلحون، وعباده المؤمنون"، وأهل السنّة يقتفون أثر من رضي اللّٰه عنهم؛ ومنهم (**المؤمنون الذين يعملون الصالحات**، قال اللّٰه عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ} [البينة: ٧ - ٨])، ومنهم (**المُهاجرون والمُجاهدون في سبيل اللّٰه بأنفسهم وأموالهم**، قال اللّٰه عَزَّ وَجَلَّ: {الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ} [التوبة: ٢٠ - ٢١])، ومنهم (**الصادقون في قصدهم وفي أفعالهم وفي أقوالهم**، قال اللّٰه عَزَّ وَجَلَّ: {قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [المائدة: ١١٩])، ومنهم (**المتقون**، قال اللّٰه عَزَّ وَجَلَّ: {قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} [آل عمران: ١٥]).

٨. المَوْطِنُ الثَّامِنُ: **"رِضى الرَّبِّ في رضا الوالِدَيْنِ، وسَخَطُه في سَخَطِهِما"**: عن عبد اللّٰه بن عمرو رضي اللّٰه عنهما عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم قال: "رِضى الرَّبِّ في رِضى الوالِدِ، وسَخَطُ الرَّبِّ في سَخَطِ الوالِدِ" [٣٥٨]، وفي رواية: "رضا الرَّبِّ في رضا الوالدَيْنِ، وسَخَطُه في سَخَطِهِما" [٣٥٩]، فـ"(رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدِ) وَكَذَا حُكْمُ الْوَالِدَةِ

---

٣٥٨ حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَهُ الشيخ الأَلْبَانِيُّ في السلسلة الصحيحة ٥١٦، أخرجه الترمذي (١٨٩٩)، والحاكم (٧٢٤٩) واللفظ لهما، وابن حبان (٤٢٩) باختلاف يسير.

٣٥٩ حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَهُ الشيخ الأَلْبَانِيُّ في صحيح الجامع ٣٥٠٧؛ صحيح [صححه الشيخ ثم تراجع وحسنه، "السلسلة الصحيحة" رقم: ٥١٦]، أخرجه الترمذي (١٨٩٩)، وابن حبان (٤٢٩)، والحاكم (٧٢٤٩) باختلاف يسير.

بَلْ هُوَ أَوْلَى، وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِلَفْظِ: (رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ وَسَخَطُهُ فِي سَخَطِهِمَا)" [360]، وقال المناوي في "فيض القدير": ("رضا الرب في رضا الوالد وسخط الرب في سخط الوالد"، لأنّه تعالى أمر أن يطاع الأب ويكرم فمن امتثل أمر الله فقد برَّ الله وأكرمه وعظّمه فرضي عنه ومن خالف أمره غضب عليه، وهذا ما لم يكن الوالد فيما يرومه خارجاً عن سبيل المتقين، وإلا فرضى الرب في هذه الحالة في مخالفته، وهذا وعيد شديد يفيد أنّ العقوق كبيرة، وقد تظاهرت على ذلك النصوص) [361].

٩. المَوْطِنُ التَّاسِعُ: **"الإيمان والتقوى والاستقامة على دين الله"**: "فمن استقام على دين الله وحافظ على ما أوجب الله عليه وترك ما حرم الله عليه عن إخلاص وعن صدق فذلك من علامات أن الله قد رضي عنه؛ لأنّه سبحانه يرضى عن المؤمنين ويرضى عن المتقين، فمن استقام على أمر الله وحافظ على حدود الله وابتعد عن معاصي الله فذلك من علامات أن الله جل وعلا قد رضي عنه وأحبه، متى كان مخلصًا لله صادقًا في ذلك" [362].

١٠. المَوْطِنُ العَاشِرُ: **"مَوَاطِنُ أُخرى"**: بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ العبد يتوصل إلى رضا الله بقيامه بأعمال كثيرة؛ فمن ذلك:

- **الصيام ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ؛** قالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "قالَ اللَّهُ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ له، إلَّا الصِّيَامَ؛ فإنَّه لي، وأَنَا أجْزِي به، والصِّيَامُ جُنَّةٌ، وإذَا كانَ يَوْمُ صَوْمِ أحَدِكُمْ فلا يَرْفُثْ ولَا يَصْخَبْ، فإنْ سَابَّهُ أحَدٌ أوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ. والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِن رِيحِ المِسْكِ. لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إذَا أفْطَرَ فَرِحَ، وإذَا

٣٦٠ "تحفة الأحوذي" بتصرف .

٣٦١ فيض القدير شرح الجامع الصغير - المناوي - ج ٤ - الصفحة ٤٤.

٣٦٢ نور على الدرب: علامات رضا الله عن العبد؛ الشيخ الإمام ابن باز رحمه الله.

لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بصَوْمِهِ" [٣٦٣].

٣٦٣ حديث صحيح: صحيح البخاري ١٩٠٤.

للصِّيامِ فضائِلُ عَظيمةٌ، وكَرامةُ اللهِ للصَّائمينَ لا تَنقطِعُ؛ فإنَّهم حَرَمُوا أنْفُسَهم الطَّعامَ والشَّرابَ والشَّهوةَ، فأَعْطاهم اللهُ سُبحانَه وتعالَى مِن واسِعِ عَطائِه، وفضَّلَهم على غَيرِهم. وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قال: «كلُّ عمَلِ ابنِ آدمَ له»، أي: فيه حَظٌّ ومَدخَلٌ لاطِّلاعِ النَّاسِ عليه؛ فقدْ يَتعجَّلُ به ثَوابًا مِن النَّاسِ، ويَحُوزُ به حَظًّا مِن الدُّنيا، إلَّا الصِّيامَ؛ فإنَّه خالِصٌ لي، لا يَعلَمُ ثَوابَه المُترتِّبَ عليه غَيري، «وأنا أَجْزي به»، أي: أتولَّى جَزاءَه، وأنْفَرِدُ بعِلمِ مِقدارِ ثَوابِه، وتَضعيفِ حَسَناتِه، وأمَّا غيرُه مِن العِباداتِ، فقدِ اطَّلَعَ عليها بعضُ النَّاسِ؛ فالأعمالُ قدْ كُشِفَت مَقاديرُ ثَوابِها للناسِ، وأنَّها تُضاعَفُ مِن عَشْرةٍ إلى سَبْعِمئةٍ، إلى ما شاء اللهُ، إلَّا الصِّيامَ؛ فإنَّ اللهَ يُثيبُ عليه بغَيرِ تَقديرٍ، كما جاء في رِوايةِ صَحيحِ مُسلِمٍ: «كلُّ عمَلِ ابنِ آدَمَ يُضاعَفُ، الحَسَنةُ عشْرُ أمثالِها إلى سَبْعِ مِئةِ ضِعفٍ، قال اللهُ عزَّ وجلَّ: إلَّا الصَّومَ؛ فإنَّه لي وأنا أَجْزي به»، ولَمَّا كان ثَوابُ الصِّيامِ لا يُحْصِيه إلَّا اللهُ تعالَى، لم يَكِلْه تعالَى إلى مَلائكتِه، بلْ تَولَّى جَزاءَه تعالَى بنفْسِه، واللهُ تعالَى إذا تَولَّى شَيئًا بنفْسِه دلَّ على عِظَمِ ذلك الشَّيءِ وخَطَرِ قَدْرِه. ثمَّ أخبَرَ أنَّ الصِّيامَ جُنَّةٌ، يعني: وِقايةٌ وحِصنٌ حَصينٌ مِن المَعاصي والآثامِ في الدُّنيا، ومِن النَّارِ في الآخِرةِ. ثُمَّ نَهى رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ الصَّائمَ عن الرَّفَثِ، وهو الفُحشُ في الكَلامِ، وكذا نَهاهُ عن الصَّخَبِ، وهو الصِّياحُ والخِصامُ، فإنْ شَتَمَهُ أحَدٌ أو قاتَلَهُ، فلْيَقُلْ له بلِسانِه: «إنِّي امْرُؤٌ صائِمٌ»؛ لِيَكُفَّ خَصْمُه عنه، أو يَستشْعِرْ ذلِك بقَلْبِه؛ لِيَكُفَّ هو عن خَصْمِه. والمرادُ بالنَّهيِ عن ذلك تَأكيدُه حالةَ الصَّومِ، وإلَّا فغَيرُ الصَّائمِ مَنهيٌّ عن ذلك أيضًا. ثمَّ أقْسَمَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بقولِه: «والذي نفْسُ محمَّدٍ بيَدِه»، أي: يُقسِم باللهِ الَّذي رُوحُه بيدِه؛ وذلك لأنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ هو الَّذي يملِكُ الأنْفُسَ، وكثيرًا ما كان يُقْسِمُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بهذا القَسَمِ، «لَخُلُوفُ»، أي: تَغيُّرُ رائحةِ فَمِ الصَّائمِ -لخَلاءِ مَعِدَتِه مِن الطَّعامِ- أطيَبُ وأزْكى عندَ اللهِ تعالَى يومَ القِيامةِ مِن رِيحِ المِسكِ الَّذي هو أطيبُ الرَّوائحِ، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ رُتبةَ الصَّومِ عَلِيَّةٌ على غَيرِه؛ لأنَّ مَقامَ العِنديَّةِ في حَضرةِ اللهِ تعالَى مِن أعْلَى المَقاماتِ. وإنَّما كان الخُلوفُ أطيَبَ عندَ اللهِ مِن رِيحِ المِسكِ؛ لأنَّ الصَّومَ مِن أعمالِ السِّرِّ التي بيْن اللهِ تعالَى وبيْن عبْدِه، ولا يَطَّلِعُ على صِحَّتِه غيرُه، فجَعَلَ اللهُ رائحةَ صَومِه تَنُمُّ عليه في الحَشْرِ بيْن النَّاسِ، وفي ذلك إثباتُ الكَرامةِ والثَّناءِ الحُسْنِ له. ثمَّ أخبَرَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنَّ للصَّائمِ الَّذي قامَ بحُقوقِ الصَّومِ، فأدَّاه بواجِباتِه ومُستحبَّاتِه؛ فَرْحتَينِ عَظيمتَينِ: إحداهما في الدُّنيا، والأُخرى في الآخِرةِ؛ أمَّا الأُولى: فإنَّه إذا أفطَرَ فَرِحَ بفِطْرِه، أي: لِزَوالِ جُوعِه وعَطَشِه حيثُ أُبيحَ له الفطْرُ، وهذا الفرَحُ الطَّبيعيُّ، أو مِن حيث إنَّه تَمامُ صَومِه وخاتِمةُ عِبادتِه. وفرَحُ كُلِّ أحدٍ بحَسَبِه؛ لاختلافِ مَقاماتِ النَّاسِ في ذلك. وأمَّا الثانيةُ: فإنَّه إذا لَقِيَ ربَّه فَرِحَ بصَومِه، يعني أنَّه يَفرَحُ وقْتَ لِقاءِ ربِّه بنَيلِ الجزاءِ، أو الفوزِ باللِّقاءِ، أو هو السُّرورُ بقَبولِ صَومِه، وتَرتُّبِ الجزاءِ

- **ذكر الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ؛** فعن أبي الدرداء رضي اللّٰه عنه أنَّ النبي صلى اللّٰه عليه وسلم قال: "ألا أنبِّئُكُمْ بِخيرِ أعمالِكُمْ وأَرضاها عندَ مليكِكُمْ، وأرفعِها في درجاتِكُمْ، وخيرٍ لَكُمْ من إعطاءِ الذَّهبِ والورِقِ، ومِن أن تلقوا عدوَّكُمْ فتَضرِبوا أعناقَهُم، ويَضرِبوا أعناقَكُمْ؟" قالوا: وما ذاكَ يا رسولَ اللَّهِ؟ قالَ: "ذِكْرُ اللَّهِ" [٣٦٤]،

الوافرِ عليه. والصَّائمُ الكاملُ صَومُه هو الَّذي صامتْ جَوارحُه عن الآثامِ، ولِسانُه عن الكذِبِ والفُحْشِ، وقَولِ الزُّورِ، وبَطْنُه عن الطَّعامِ والشَّرابِ، وفَرْجُه عن الرَّفَثِ، فإنْ تكَلَّمَ لم يتكلَّمْ بما يَجرَحُ صَومَه، وإنْ فَعَلَ لم يَفعَلْ ما يُفسِدُ صَومَه، فيَخرُجُ كَلامُه كلُّه نافعًا صالحًا، وكذلك أعمالُه، هذا هو الصَّومُ المشروعُ، لا مُجرَّدُ الإمساكِ عن الطَّعامِ والشَّرابِ؛ ففي صَحيحِ البُخاريِّ مِن حَديثِ أبي هُريرةَ رَضيَ اللهُ عنه: «مَن لم يَدَعْ قَولَ الزُّورِ، والعمَلَ به، والجهْلَ؛ فليس للهِ حاجةٌ أنْ يَدَعَ طَعامَه وشَرابَه»، وفي سُنَنِ ابنِ ماجه: «رُبَّ صائمٍ ليس له مِن صِيامِه إلَّا الجُوعُ»؛ فالصَّومُ الحقيقيُّ هو صَومُ الجوارحِ عن الآثامِ، وصَومُ البطْنِ عن الشَّرابِ والطَّعامِ، فكما أنَّ الطَّعامَ والشَّرابَ يَقطَعُه ويُفسِدُه، فهكذا الآثامُ تَقطَعُ ثَوابَه، وتُفسِدُ ثَمرتَه، فتُصيِّرُه بمَنزلةِ مَن لم يَصُمْ. {وفي الحديثِ: حَضُّ الصَّائمِ على تَرْكِ المُنكَراتِ والمُحرَّماتِ. وفيه: إثباتُ صِفةِ اليَدِ للهِ تعالَى على ما يَليقُ بجَلالِه. وفيه: إثباتُ صِفةِ الكلامِ للهِ تعالَى، وأنَّه يتكلَّمُ حيثُ يَشاءُ، ويُكلِّمُ مَن يَشاءُ بما يَشاءُ، وأنَّ كَلامَه ليس خاصًّا بالقرآنِ الكريمِ. وفيه: أنَّ العِباداتِ تَتفاوَتُ مِن حيثُ الثَّوابُ. وفيه: مَشروعيَّةُ القسَمِ لتَأكيدِ الكلامِ وإنْ كان السامعُ غيرَ مُنكِرٍ. وفيه: أنَّ مَن عَبَدَ اللهَ تعالَى وطَلَبَ رِضاهُ في الدُّنيا، فنَشَأَ مِن عَمَلِه آثارٌ مَكروهةٌ في الدُّنيا؛ فإنَّها مَحبوبةٌ له تعالَى وطَيِّبةٌ عندَه؛ لكَونِها نَشَأَت عن طاعتِه واتِّباعِ مَرْضاتِه}.

٣٦٤ حديث صحيح: صحَّحَه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه ٣٠٧٢. وفي رواية: "ألا أنبِّئُكُمْ بخيرِ أعمالِكُمْ، وأزكاها عندَ مليكِكُمْ، وأرفعِها في درجاتِكُمْ وخيرٌ لَكُمْ مِن إنفاقِ الذَّهبِ والورِقِ، وخيرٌ لَكُمْ من أن تلقوا عدوَّكُمْ فتضرِبوا أعناقَهُم ويضربوا أعناقَكُمْ؟" قالوا: بلَى. قالَ: "ذِكْرُ اللَّهِ تَعالى"، قالَ معاذُ بْنُ جبلٍ: ما شَيءٌ أنجى مِن عذابِ اللَّهِ من ذِكْرِ اللَّهِ. [حديث صحيح: صحَّحَه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي ٣٣٧٧].

لذِكرِ اللهِ تَعالَى فوائدُ كثيرةٌ؛ فهو يُطَمْئِنُ القلبَ، ويَرفَعُ الدَّرجاتِ، ويَمْحو اللهُ تعالى به السَّيِّئاتِ، وقد حثَّنا النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم على الإكثارِ مِن الذِّكرِ، وبيَّن لنا أنَّه يكونُ في كلِّ الأوقاتِ؛ كما في هذا الحديثِ، حيثُ يَقولُ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم لأصحابِه: "ألَا"، أي: هَل، "أُنبِّئُكم بخيرِ أعمالِكم"، أي: أُخبِرُكم وأُعْلِمُكم بأفضلِ أعمالِكم وأشرَفِها، "وأزْكاها"، أي: أَنْماها وأطهَرِها وأنقاها، عندَ "مَليكِكم"، المليكُ بمَعْنى المالكِ، وهو اللهُ عزَّ وجلَّ؛ فهو المَلِكُ والمالِكُ سبحانه وتعالى، "وأرفَعِها في دَرَجاتِكم"، أي: مَنازِلِكم في الجَنَّةِ يومَ القيامةِ، "وخيرٍ لَكُم مِن إنفاقِ"، أي: التَّصدُّقِ وبَذْلِ أموالِكم مِن "الذَّهبِ"، وهو المعدِنُ المعروفُ، "والوَرِقِ"، أي: الفِضَّةِ، "وخيرٍ

قال مُعاذُ بنُ جَبلٍ الأنصاريُّ الخزرجيُّ رَضِي اللهُ عَنه: "ما شيءٌ أنْجى"، أي: أعظَمُ الأشياءِ الَّتي يَنْجو بها العبدُ يومَ القيامةِ، "مِن عَذابِ اللهِ" وعِقابِه وسَخطِه ونارِه، "مِن ذِكْرِ اللهِ" تعالى في جميعِ الأوقاتِ وعلى جميعِ الهيئاتِ، وهذا مِن فَضلِ اللهِ على عِبادِه وتكرُّمِه عليهم؛ فإنَّ إدامةَ الذِّكرِ تَنوبُ عن التَّطوُّعاتِ، وتَقومُ مَقامَها، سواءٌ كانَت بدَنيَّةً أو ماليَّةً، وقد جاء ذلك صريحًا في صَحيحِ مسلمٍ مِن حديثِ أبي هُريرةَ رضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم قال: "أفَلا أُعلِّمُكم شيئًا تُدرِكون به مَن سبَقَكم، وتَسْبِقون به مَن بَعْدَكم، ولا يَكونُ أحَدٌ أفضَلَ مِنْكم إلَّا مَن صنَع مِثلَ ما صنَعتُم؟ قالوا: بَلى يا رسولَ اللهِ! قال: تُسبِّحون وتَحْمَدون وتُكبِّرون خَلْفَ كلِّ صلاةٍ"، الحديثَ، فجعَل الذِّكرَ عِوَضًا لهم عمَّا فاتَهم مِن الحجِّ والعمرةِ والجهادِ، وأخبَر أنَّهم يَسبِقونهم بهذا الذِّكرِ، فلمَّا سَمِع

لكم مِن أن تَلْقَوْا عدوَّكم" مِن الكُفَّارِ للقِتالِ، "فتَضْرِبوا أعناقَهم"؛ وذلك بأن تَقتُلوهم، "ويَضْرِبوا أعناقَكم؟" بأن يَقتُلوكم، وهذا بيانٌ لِبَذْلِ النُّفوسِ، "قالوا"، أي: صَحابةُ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم الحاضِرون معَه: "بلى"، أي: أخبِرْنا بهذا العمَلِ الَّذي له هذا الثَّوابُ العظيمُ، "قال" رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم: "ذِكْرُ اللهِ تعالى"، في كلِّ الأوقاتِ وعلى جميعِ الهيئاتِ والحالاتِ، "قال مُعاذُ بنُ جَبلٍ"، ابنِ عَمرِو بنِ أوسِ بنِ عائذِ بنِ عَدِيِّ بنِ كعبِ بنِ عمرٍو الأنصاريُّ الخزرجيُّ رَضِي اللهُ عَنه: "ما شيءٌ أنْجى"، أي: أعظَمُ الأشياءِ الَّتي يَنْجو بها العبدُ يومَ القيامةِ، "مِن عَذابِ اللهِ" وعِقابِه وسَخطِه ونارِه، "مِن ذِكْرِ اللهِ" تعالى في جميعِ الأوقاتِ وعلى جميعِ الهيئاتِ. وهذا مِن فَضلِ اللهِ على عِبادِه وتكرُّمِه عليهم؛ فإنَّ إدامةَ الذِّكرِ تَنوبُ عن التَّطوُّعاتِ، وتَقومُ مَقامَها، سواءٌ كانَت بدَنيَّةً أو ماليَّةً، وقد جاء ذلك صريحًا في صَحيحِ مسلمٍ مِن حديثِ أبي هُريرةَ رضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم قال: "أفَلا أُعلِّمُكم شيئًا تُدرِكون به مَن سبَقَكم، وتَسْبِقون به مَن بَعْدَكم، ولا يَكونُ أحَدٌ أفضَلَ مِنْكم إلَّا مَن صنَع مِثلَ ما صنَعتُم؟ قالوا: بَلى يا رسولَ اللهِ! قال: تُسبِّحون وتَحْمَدون وتُكبِّرون خَلْفَ كلِّ صلاةٍ"، الحديثَ، فجعَل الذِّكرَ عِوَضًا لهم عمَّا فاتَهم مِن الحجِّ والعمرةِ والجهادِ، وأخبَر أنَّهم يَسبِقونهم بهذا الذِّكرِ، فلمَّا سَمِع أهلُ الدُّثورِ بذلك عَمِلوا به فجمَعوا إلى صَدَقاتِهم وعِبادَتِهم بمَالِهم التَّعبُّدَ بهذا الذِّكرِ، فحازوا الفَضيلتَين. {وفي الحديثِ: فضلُ الذِّكرِ والحثُّ على الإكثارِ مِنه، وتَفاوُتُ الأعمالِ في الشَّرفِ. وفيه: أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يَتفضَّلُ بالثَّوابِ الكَبيرِ على العملِ اليسيرِ}.

أهلُ الدُّثورِ بذلك عَمِلوا به فجمَعوا إلى صَدَقاتِهم وعِبادَتِهم بمَالِهم التَّعبُّدَ بهذا الذِّكْرِ، فحازوا الفَضيلتَين.

- **الجهاد في سبيل الله**؛ فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن ربه عز وجل: "أيُّما عبدٍ من عبادي خرجَ مجاهدًا في سبيلِ اللهِ ابتغاءَ مرضاتي، ضمنتُ لَهُ أن أرجعَهُ، إن أرجعتُهُ بما أصابَ من أجرٍ أو غنيمةٍ، وإن قبضتُهُ غفرتُ لَهُ ورحمتُه" [٣٦٥].

---

٣٦٥ حديث صحيح: صحَّحه الشيخ الألباني في صحيح النسائي ٣١٢٦. وفي رواية: "تَضَمَّنَ اللَّهُ لِمَن خَرَجَ في سَبيلِهِ، لا يُخْرِجُهُ إلَّا جِهادًا في سَبيلِي، وإيمانًا بي، وتَصْدِيقًا بِرُسُلِي، فَهو عَلَيَّ ضامِنٌ أنْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أوْ أرْجِعَهُ إلى مَسْكَنِهِ الذي خَرَجَ منه، نائِلًا ما نالَ مِن أجْرٍ، أوْ غَنِيمَةٍ، والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، ما مِن كَلْمٍ يُكْلَمُ في سَبيلِ اللَّهِ، إلَّا جاءَ يَومَ القِيامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كُلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، ورِيحُهُ مِسْكٌ، والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، لَوْلا أنْ يَشُقَّ علَى المُسْلِمِينَ ما قَعَدْتُ خِلافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو في سَبيلِ اللهِ أبَدًا، ولَكِنْ لا أجِدُ سَعَةً فأحْمِلَهُمْ، ولا يَجِدُونَ سَعَةً، ويَشُقُّ عليهم أنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أنِّي أغْزُو في سَبيلِ اللهِ فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أغْزُو فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أغْزُو فَأُقْتَلُ". [حديث صحيح: متفق عليه: صحيح مسلم ١٠٣ - ١٨٧٦؛ أخرجه البخاري (٣١٢٣)، ومسلم ١٠٣ - ١٨٧٦].

الجِهادُ في سَبيلِ اللهِ لَهُ في الإسلامِ مَنْزِلةٌ عاليةٌ؛ لِمَا فيه مِن الفَضْلِ والأَجْرِ الذي يُفضَّلُ به على كثيرٍ من العِباداتِ، وفي هذا الحديثِ يَقولُ النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم: "تَضمَّنَ اللهُ"، أي: أَوْجَبَ اللهُ تعالى على نَفْسِه، "لِمَن خَرَج في سَبيلِهِ"، أي: يُريدُ الغزوَ والجِهادَ في سبيلِ اللهِ وضِدَّ أعداءِ اللهِ عزَّ وجلَّ، "لا يُخْرِجُهُ إلا جهادًا في سَبيلي"، أي: لا تكون نيَّتُه في الخُروجِ إلا للهِ عزَّ وجلَّ، "وإيمانًا بي، وتصديقًا بِرُسُلي"، أي: ومُؤمنًا بِرُسُلِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وبما أُرْسِلوا به بما ذَكَرَهم سُبْحانَه في كتابِه وبيَّنَتْه سُنَّةُ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، "فهو عليَّ ضَامِنٌ أنْ أُدْخِله الجَنَّةَ"، أي: كان جزاؤه عِنْد اللهِ تعالى أنْ يُدْخِلَه الجَنَّة، وذلك إنْ قُتِلَ في المَعْرِكةِ، "أو أَرْجَعَه إلى مَسْكنِه الذي خَرَج منه نائلًا ما نال من أَجْرٍ أو غَنيمةٍ"، أي: فإنَّ لم يُقْتَل جَعَل اللهُ عزَّ وجلَّ له أجرًا عظيمًا في الآخرة، ورَزَقَهُ الغنيمةَ في الدُّنيا، قال النبيُّ صلىَّ الله عليه وسلَّم: "والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده"، أي: يَحْلِفُ النبيُّ باللهِ عزَّ وجلَّ؛ وذلك لأنَّ اللهَ هو الذي يَمْلِكُ الأنفسَ، وكثيرًا ما كان يُقْسِمُ النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم بهذا القَسَمِ، "ما من كَلْمٍ يُكْلَمُ في سبيلِ اللهِ"، أي: ما مِن مُسلِمٍ يُصِيبُه جُرْحٌ أثناءَ القِتالِ، "إلَّا جاء يَومَ القيامةِ كهيئتِه حين كُلِمَ"، أي: إلَّا جَاء هذا الجُرْحُ الذي جُرِحَهُ في الدُّنيا، "لونُه لونُ دَمٍ وريحُه مِسْكٌ"، أي: تَفوحُ منه رائحةُ المِسْكُ، "والذي نَفْسُ محمدٍ بيدِه، لولا أنْ يَشُقَّ على المسلمين"، أي: لولا أنَّه صلَّى الله عليه وسلَّم

- **رضا الله يُدرك بكلمة حسنة يقولها المؤمن لأخيه المؤمن؛** فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِن رِضْوانِ اللَّهِ، لا يُلْقِي لها بالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بها دَرَجاتٍ، وإنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِن سَخَطِ اللَّهِ، لا يُلْقِي لها بالًا، يَهْوِي بها في جَهَنَّمَ" [٣٦٦]، [الحرص على قول كل ما هو طيّب وفيه خير].
- **الحرص على استخدام السواك؛** قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "السِّواكُ مَطهرَةٌ للفَمِ مَرضاةٌ للربِّ" [٣٦٧].

يَخْشى المشقَّةَ والتَّعَبَ على المسلمين، "ما قَعْدتُ خِلافَ سَرِيَّةٍ تَغْزو في سبيلِ اللهِ أبدًا"، أي: ما تَركتُ غزوًا إلَّا وخَرَجتُ إليه، والسَّرِيَّةُ: القِطْعَةُ من الجيشِ يَبْلُغُ أقصاها أَرْبَعَ مائةٍ، "ولكن لا أَجِدُ سَعَةً فأَحْمِلهم"، أي: ليس عند النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم مِن الدَّوابِّ التي تَحمِلُ المسلمين في السَّفرِ، وتَعْبُرُ بهم إلى الغَزْوِ، "ولا يَجِدونَ سَعَةً"، أي: وكذلك هم لا يَمْلِكُون من الدَّوابِّ التي تُعِينُهم وتَحْمِلُهم؛ ليَكونوا مع رَسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم، "ويَشُقُّ عليهم أنْ يتخلَّفوا عنِّي"، أي: ويعودُ عَجْزُهم عن اللَّحاقِ بي بالمشقَّة عليهم، سواءٌ اتَّبَعُوه وسارَوا معه مَشيًا على الأقدامِ، أو قَعَدوا وتَخلَّفُوا عنه حين يَخرُجُ، "والذي نَفْسُ مُحمَّدٍ بيدِه، لوَدِدتُ أنْ أَغْزُوَ في سبيلِ اللهِ فأُقْتَل، ثُمَّ أَغْزُو فأُقْتَل، ثُمَّ أَغْزُو فأُقْتل"، أي: أنْ يُبْعَثَ فيُقتَل مرَّاتٍ مُتكرِّرةً عَديدةً؛ وذلك لِما في الجهادِ والغزوِ من عظيمِ الفَضْلِ والأَجْرِ. {وفي الحديثِ: الحثُّ على الجِهادِ والخُروجِ في سبيلِ اللهِ تعالى. وفيه: بيانُ ما كان عليه النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم من شَفَقَةٍ ورَحْمةٍ بالمسلمين}.

٣٦٦ حديث صحيح: صحيح البخاري ٦٤٧٨.

بَيَّن النبيُّ صلى الله عليه وسلم أثرَ الكلمةِ وما يترتَّب عليها مِن أجرٍ أو وِزر، حتَّى إنَّ العبدَ لَيتكلَّم بالكلمةِ ممَّا يَرْضاه اللهُ ويحبُّه، لا يَلتفِت لها قلبُه وبالُه لِقِلَّةِ شأنِها عندَه؛ يَرْفَعه الله بها درجاتٍ في الجنَّةِ، وإنَّه لَيتكلَّم بالكلمةِ الواحدةِ ممّا يَسْخَطه ويَكْرَهه اللهُ ولا يَرْضاه، لا يَلتفِت بالُه وقلبُه لعِظَمِها؛ فيَهْوِي بها (أي: يَنزِل ويَسقُط بسببِها) في دَرَكاتِ جَهَنَّمَ. {وفي الحديثِ: أنَّ موضوعَ الكلامِ هو ما يُحدِّد أثرَه المترتِّب عليه، فقد يَخرُج المُسلِمُ من إسلامِه بسَببِ كلمةٍ، وقد يَنصُر اللهُ الإسلامَ بكلمةٍ}.

٣٦٧ حديث صحيح: صحَّحَه الشيخ الألباني في صحيح النسائي ٥؛ أخرجه النسائي (٥)، وأبو يعلى (٤٥٦٩)، وابن خزيمة (١٣٥)، وعلقه البخاري في «باب سواك الرطب واليابس للصائم».

لقد حَثَّ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم على النَّظافةِ والتَّطهُّرِ في البدَنِ كلِّه؛ حتَّى جعَل الطُّهورَ شَطْرَ الإيمانِ. وفي

- **الموحدون الصادقون {الذين استقامت أعمالهم وأقوالهم ونياتهم على الصراط المستقيم والهدْي القويم}؛** قال الله عَزَّ وَجَلَّ: {قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ} [سورة المائدة: ١١٩]، قال السعدي: "{قَالَ ٱللَّهُ} مبينا لحال عباده يوم القيامة، ومَن الفائز منهم ومَن الهالك، ومَن الشقي ومَن السعيد، {هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ} والصادقون هم الذين استقامت أعمالهم وأقوالهم ونياتهم على الصراط المستقيم والهدْي القويم، فيوم القيامة يجدون ثمرة ذلك الصدق، إذا أحلهم الله في مقعد صدق عند مليك مقتدر، ولهذا قال: {لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} والكاذبون بضدهم، سيجدون ضرر كذبهم وافترائهم، وثمرة أعمالهم الفاسدة"، وقال ابن كثير: "قال الضحاك، عن ابن عباس يقول: يوم ينفع الموحدين توحيدهم. (لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا) أي: ماكثين فيها لا يحولون ولا يزولون، رضي الله عنهم ورضوا عنه، كما قال تعالى: (ورضوان من الله أكبر) [التوبة: ٧٢]. وقد روى ابن أبي حاتم هاهنا

هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «السِّواكُ»، أي: العُودُ الَّذي تُدلَكُ به الأسنانُ لتنظيفِها، ويُصنَعُ مِن شَجرةِ الأَراكِ وغيرِها، «مَطْهَرَةٌ للفَمِ»، أي: مُنظِّفٌ للفَمِ مِن عوالِقِ الطَّعامِ وروائحِه الكريهةِ، وهذا مِن مُتطلَّباتِ النَّظافةِ الَّتي حَثَّ عليها الشّارعُ، «مَرْضاةٌ للرَّبِّ»، أي: استِعمالُه مُرْضٍ للهِ سُبحانَه وتعالى؛ وذلكَ لِما يُسبِّبُه مِن طَهارةٍ للفَمِ فيَجلِبُ رِضا اللهِ سبحانه الذي يُحبُّ الطَّهارةَ والنظافةَ، ولأنَّ الإتيانَ بالمأمورِ به مُوجِبٌ للثوابِ، وطِيبُ رائحةِ السِّواكُ قبلَ الصَّلاةِ- التي هي مناجاةُ الربِّ- يُحبُّها صاحِبُ المناجاةِ، ولعلَّ الاقتصارَ على ذِكرِ هاتَينِ الخَصلتَينِ فقط مع أنَّ للسِّواكِ فوائدَ أُخَرَ؛ لأنَّهما أفضلُها، أو لأنَّهما يَشملانِ غيرَهما؛ فإنَّ فوائدَه مُنحصِرةٌ في تَحصيلِ الطَّهارةِ الظاهريَّةِ والباطنيةِ والحِسيَّةِ والمعنويَّةِ في الدنيا، وفي تَكميلِ رِضا اللهِ سُبحانَه وتَعالى. {وفي الحديثِ: الحثُّ والتَّرغيبُ في استعمالِ السِّواكِ. وفيه: بيانُ ما في بَعضِ الأعمالِ القَليلةِ مِن كَثرةِ الأجرِ والثَّوابِ}.

حديثا فقال: حـدثنا أبو سعيـد الأشج، حدثنا المحـاربي، عـن ليث، عن عثمان -يعني ابن عمير أبو اليقظان- عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثم يتجلى لهم الرب تعالى فيقول: سلوني سلوني أعطكم". قال: "فيسألونه الرضا، فيقول: رضاي أحلكم داري، وأنالكم كرامتي، فسلوني أعطكم. فيسألونه الرضا"، قـال: "فيشهدهم أنه قد رضي عنهم". وقـوله: (ذلك الفوز العظيم) أي: هذا هو الفوز الكبير الذي لا أعظم منه، كما قـال تعالى: (لمثل هذا فليعمل العاملون) [الصافات: ٦١]، وكما قـال: (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) [المطففين: ٢٦].

- **مَنْ خشي الله واتقاه حق تقواه؛** قال الله عَزَّ وَجَلَّ: {رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ} [سورة البيّنة: ٨]، قال السعدي: "{جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ} أي: جنات إقامة، لا ظعن فيها ولا رحيل، ولا طلب لغاية فوقها، {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} فرضي عنهم بما قاموا به من مراضيه، ورضوا عنه، بما أعد لهم من أنواع الكرامات وجزيل المثوبات {ذَلِكَ} الجزاء الحسن {لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ} أي: لمن خاف الله، فأحجم عن معاصيه، وقام بواجباته"، وقال ابن كثير: (جزاؤهم عند ربهم) أي: يوم القيامة (جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا) أي: بلا انفصال ولا انقضاء ولا فراغ. (رضي الله عنهم ورضوا عنه) مقام رضاه عنهم أعلى مما أوتوه من النعيم المقيم (ورضوا عنه) فيما منحهم من الفضل العميم. وقوله: (ذلك لمن خشي ربه) أي: هذا الجزاء حاصل لمن خشي الله واتقاه حق تقواه، وعبده كأنه يراه، وقد علم أنّه إن لم يره فإنه يراه.
- توفيق الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ، للعبد ومعونته على الطاعة والزيادة في فعل الخير، وإلى التوبة، والرّبط على قلبه في المصائب، وعدم جزعه في

الأهوال، والصّبر على الشّدائد إذا أصابته أو ألمّت به، وحفظ الله له في جوارحه، ومباعدته عن المعصية، ودوام بقائه على الاستقامة؛ فلا يسمع إلا ما يرضي الله، ولا ينظر إلا لما يرضي الله، ولا يمشي إلا لما يرضي الله عنه، ودوام الطمأنينة والسّكينة والثّقة الدائمة بوعد الله تعالى ونصره وفرجه، وعدم القلق على الرّزق، والثّقة أنّه في ضمان الله تعالى، وأنَّ الله تعالى كافلٌ الرزق له ولن ينتهي أجله حتى يستوفي كلّ رزقٍ كُتب له، والحرص على طلب العلم وتسهيل طرقه أمام العبد المسلم، خاصةً العلم الشّرعي، ويجعل الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ مَحبّة العبد في قلوب الناس، ويكسبه رضا الخلق عنه.

قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: "إذا التمس العبد رضا الله بنية صادقة رضي الله عنه؛ لأنّه أكرمُ مِن عبده، وأرضى عنه الناس، وذلك بما يلقي في قلوبهم من الرضا عنه ومحبته؛ لأنّ القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلّبها كيف يشاء" [٣٦٨]، ورضا الله أكبر وأجلُّ وأعظم النعيم؛ فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنَّ اللَّهَ تَبارَكَ وتَعالى يقولُ لأهْلِ الجَنَّةِ: يا أهْلَ الجَنَّةِ، فيَقولونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنا وسَعْدَيْكَ، فيَقولُ: هلْ رَضِيتُمْ؟ فيَقولونَ: وما لنا لا نَرْضى وقدْ أعْطَيْتَنا ما لَمْ تُعْطِ أحَدًا مِن خَلْقِكَ؟ فيَقولُ: أنا أُعْطِيكُمْ أفْضَلَ مِن ذلكَ، قالوا: يا رَبِّ، وأَيُّ شَيءٍ أفْضَلُ مِن ذلكَ؟ فيَقولُ: أُحِلُّ علَيْكُمْ رِضْوانِي، فلا أسْخَطُ علَيْكُمْ بَعْدَهُ أبَدًا" [٣٦٩].

٣٦٨ الشيخ محمد بن صالح العثيمين / كتاب التوحيد: شرح كتاب التوحيد-٣٢.

٣٦٩ حديثٌ صحيحٌ: صحيح البخاري ٦٥٤٩.

أخبَر النبيُّ صلى الله عليه وسلم أنَّ الله تعالى يُكلِّم أهلَ الجنَّةِ، ويقول لهم: «يا أهلَ الجنَّةِ» فيردُّون عليه قائلين: «لَبَّيْكَ ربَّنا وسَعْدَيْكَ»، أي: إجابةً بعدَ إجابةٍ، وإسعادًا بعدَ إسعادٍ، فيقول لهم مَوْلاهم: «هل رَضِيتُم؟» فيقولون: «وما لنا لا نَرْضى وقد أَعْطَيْتَنا ما لم تُعطِ أحدًا مِن خَلْقِك؟!»، أي: بإدخالِهم الجنَّةَ

قال العلامة ابن عثيمـين رحمه الله: "قوله تعالى: {وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ} [آل عمران: ١٥]، هذا من أعظم شيء أنّ الله سبحانه وتعالى يحلُّ عليهم رضاه فلا يسخط عليهم بعده أبدًا، كما قال الله تعالى لمّا عدَّد نعيم أهل الجنة: {وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ} [التوبة: ٧٢]، وأعظم من ذلك النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى كما قال الله تعالى {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس: ٢٦]، فلا ألذَّ ولا أمتع ولا أحسن لأهل الجنة من النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى، فأعلى شيء هو النظر إلى وجه الله عَزَّ وَجَلَّ، والرضوان يليه، ثم المتع الجسدية في الجنة تلي هذا" [٣٧٠].

وعلى العبد وجميع أفراد المجتمع أن ينتبهوا إلى: أنّ النعم إذا جاءتهم وفيرة وهم مقيمون على معاصي الله، فهي ليست دليلًا على رضا الله عنهم؛ وإنّما استدراج لهم فلا يغتروا بها، وليعلموا أنّ هذا إملاء لهم، فقد يعقبها الخوف والجوع؛ قال الله سبحـانه وتعـالى عَزَّ وَجَلَّ: {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ} [الأعراف: ١٨٢ - ١٨٣]، وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢]، وعـن عقبة بن عامر رضي الله عـنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا رأيتَ اللهَ يُعطي العبدَ من الدنيا على مَعاصيه ما يُحِبُّ فإنما هو اسْتدراجٌ"، ثم تلا [رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم]: "{فَلَمّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ، حَتّى إذا فَرِحُوا بِما أُوتُوا أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً فَإِذا هُمْ

وإنقاذِهم من النارِ، وتنعُّمِهم بما في الجنَّةِ من أنواعِ النَّعِيمِ، فيقول سبحانه: «أنا أُعطِيكم أفضلَ من ذلك»، قالوا: «يا ربِّ، وأيُّ شيءٍ أفضلُ من ذلك؟» فيقول: «أُحِلُّ عليكم رِضْواني»، أي: أُنزِل عليكم رِضايَ، أي: دَوام رِضْواني؛ فإنَّه لا يَلزم مِن كثرةِ العطاءِ دوامُ الرِّضا؛ ولذا قال: «فلا أَسْخَطُ» أي: لا أَغْضَبُ «عليكم بعدَه أبدًا»، وقولُه تعالى: «أفضلُ مِن ذلك» هو كقولِه تعالى: {وَرِضْوانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ}. {وفي الحديثِ: كلامُ اللهِ عزَّ وجلَّ مع أهلِ الجنَّةِ. وفيه: أنَّ النَّعيمَ الذي حَصَلَ لأهلِ الجنَّةِ لا مَزيدَ عليه}.

٣٧٠ تفسير سورة آل عمران للشيخ ابن عثيمين.

مُبْلِسُونَ} [الأنعام: ٤٤]" [٣٧١]، وعن أبي موسى الأشعري رضي اللّٰه عنه، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه وسلم: "إنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ، حتّى إذا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ". قالَ: ثُمَّ قَرَأَ: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذا أَخَذَ الْقُرى وَهِيَ ظالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود: ١٠٢] [٣٧٢].

٣٧١ إسناده قوي: أخرجه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ٤١٣، وفي رواية: "إذا رأيتَ اللّٰهَ تعالى يُعطي العبدَ من الدنيا ما يُحبُّ، وهو مقيمٌ على معاصِيه؛ فإنَّما ذلك منه استدراجٌ" [حديث صحيح؛ صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع ٥٦١].

٣٧٢ حديث صحيح: صحيح البخاري ٤٦٨٦.

لا ينبغي لِلعبدِ أنْ يَغتَرَّ بحِلمِ اللهِ عليه؛ فقدْ يكونُ ما عليه مِنَ الأمنِ في المعصيةِ والظُّلمِ لِنفسهِ ولغيرِه، إنَّما هو استدراجٌ مِنَ اللهِ تعالى له، حتّى إذا سبَقَ الكتابُ أَخَذَهُ اللّٰهُ بما قدَّمَ مِن عَملٍ، فلا يَجِدُ له مِن دُونِه وَلِيًّا ولا نَصيرًا. وفي هذا الحديثِ يُحذِّرُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم مِنَ التَّمادِي في الظُّلمِ، ويُعْلِمُنا أنَّ اللّٰهَ تعالى يُملِي للظّالِمِ، ويُمهِلَ له حتّى يتمادى في ظُلمِه -والعياذُ باللهِ- فلا يُعالِجُه العُقوبةَ، حتّى إذا أخذَه لم يُفلِتْه، أي: لم يُطلِقْه، ولم يَنفلِتْ منه، ولا يُخَلِّصه؛ لكثرةِ مَظالِمه إنْ كان مُشركًا، أو لم يُخَلِّصه مُدَّةً طويلةً إنْ كان مُؤمنًا، ثُمَّ قرَأَ صلى اللّٰه عليه وسلم: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذا أَخَذَ الْقُرى وَهِيَ ظالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود: ١٠٢]، أي: ومِثْلُ ذلك الأَخْذِ أَخْذُ اللهِ الأُممَ السّالفةَ في حالِ كونِها ظالمةً، وأَخْذُه سبحانه وَجيعٌ صَعبٌ على المأخوذِ، وفي هذا تَحذيرٌ عظيمٌ مِن الظُّلْمِ -بالكُفرِ أو بغَيرِه- لِنفسِه أو لِغيرِه، وتحذيرٌ لكلِّ أهلِ قريةٍ ظالمةٍ. {وفي الحَديثِ: تسليةٌ للمظلومِ في الحالِ، ووعيدٌ للظّالِمِ لئلّا يغتَرَّ بالإمهالِ}.

إِنَّ اللهَ لَيَعْجَبُ (العَجَبُ) [٣٧٣]

ما الذي يُعْجِبُ اللهَ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ؟

التعجب والعَجَب: صفتان من صفات الله عزَّ وجلَّ الفعليَّة الخبريَّة الثابتة بالكتاب والسنة.

الدليل من الكتاب:

١. قوله تعالى: {بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ} [الصافات: ١٢]، قال ابن جرير: "قوله: بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ؛ اختلفت القرَّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرَّاء الكوفة: بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ؛ بضم التاء من عَجِبْتَ؛ بمعنى: بل عظم عندي وكبر اتخاذهم لي شريكاً وتكذيبهم تَنْزِيلي وهم يسخرون، وقرأ ذلك عامة قرَّاء المدينة والبصرة وبعض قرَّاء الكوفة عَجِبْتَ؛ بفتح التاء؛ بمعنى: بل عجبت أنت يا محمد ويسخرون من هذا القرآن. والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنّهما قراءتان مشهورتان في قرَّاء الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ؛ فمصيب. فإن قال قائل: وكيف يكون مصيباً القارئ بهما مع اختلاف معنييهما؟! قيل: إنّهما وإن اختلف معنياهما؛ فكلٌّ واحد من معنييه صحيح، قد عجب محمد مما أعطاه الله من الفضل، وسخر منه أهل الشرك بالله، وقد عجِب ربنا من عظيم ما قاله المشركون في الله، وسَخِر المشركونَ مما قالوه" [٣٧٤]، وقال أبو زرعة عبد الرحمن بن زنجلة: "قرأ حمزة والكسائي: بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ؛ بضم

---

٣٧٣ في كل ما ثبت لله جل جلاله من الأسماء والصفات؛ فإنّ ذلك كله لائق برب العالمين جل جلاله، يوصف به على وجه الكمال والجمال والجلال، لا يشبه في ذلك أحدا من خلقه، ولا يشبهه أحد من خلق؛ قال تعالى: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)) [الشورى: ١١]، فلا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل لصفات الله سبحانه، بل نثبتها كما جاءت في النصوص، ولا يجوز تأويلها عن ظاهرها ولا يجوز تشبيه الله بخلقه. {انظر: [الهامش رقم ٤٠ ص ٥٢]}.

٣٧٤ جامع البيان في تأويل القرآن.

التاء، وقرأ الباقون بفتح التاء..."، ثم قال: "قال أبو عبيد: قوله: بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ؛ بالنصب: بل عجِبتَ يا محمد من جهلهم وتكذيبهم وهم يسخرون منك، ومن قرأ: عَجِبْتُ؛ فهو إخبار عن الله عَزَّ وجلَّ" [٣٧٥]، وقد صحت القراءة بالضم عن ابن مسعود رضي الله عنه كما سيأتي.

٢. وقوله سبحانه وتعالى: {وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قولهمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} [الرعد: ٥]، نقل ابن جرير هذه الآيـة بإسناده إلى قتادة قوله: "قوله: وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ: إن عجِبتَ يا محمد؛ فَعَجَبٌ قولهمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ: عجِبَ الرحمن تبارك وتعالى من تكذيبهم بالبعث بعد الموت" [٣٧٦]، قال ابن زنجلة بعد ذكـر قراءة بَلْ عَجِبْتُ بالضم: "قال أبو عبيد: والشاهد لها مع هذه الأخبار قوله تعالى: وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قولهمْ، فأخبر جل جلاله أنه عجيب" [٣٧٧].

الدليل من السنة:

١. حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ - أوْ ضَحِكَ - مِن فُلانٍ وفُلانَةَ"، وفي رواية بلفظ: "قدْ عَجِبَ اللَّهُ مِن صَنِيعِكُما بضَيْفِكُما اللَّيْلَةَ" [٣٧٨].

---

٣٧٥ حجة القراءات؛ ص ٦٠٦.

٣٧٦ جامع البيان في تأويل القرآن.

٣٧٧ حجـة القراءات: ص ٦٠٧.

٣٧٨ حديث صحيح: متفق عليه؛ أخرجـه الإمام البخاري ٤٨٨٩، بلفظ: "عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَتَى رَجُلٌ رَسولَ اللَّهِ صَلّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، أصابَنِي الجَهْدُ، فأرْسَلَ إلى نِسائِهِ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُنَّ شيئًا، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ألا رَجُلٌ يُضَيِّفُهُ هذِه اللَّيْلَةَ، يَرْحَمُهُ اللَّهُ؟ فَقامَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصارِ فَقالَ: أنا يا رَسولَ اللَّهِ، فَذَهَبَ إلى أهْلِهِ، فَقالَ لِامْرَأَتِهِ: ضَيْفُ رَسولِ اللَّهِ صَلّى اللهُ عليه وسلَّمَ لا تَدَّخِرِيهِ شيئًا، قالَتْ: واللَّهِ ما عِندِي إلّا قُوتُ الصِّبْيَةِ، قالَ: فَإِذا أرادَ الصِّبْيَةُ العَشاءَ فَنَوِّمِيهِمْ، وتَعالَيْ فأطْفِئِي السِّراجَ ونَطْوِي بُطُونَنا اللَّيْلَةَ، فَفَعَلَتْ، ثُمَّ غَدا الرَّجُلُ على رَسولِ اللَّهِ صَلّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَقالَ: لقَدْ عَجِبَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ - أوْ ضَحِكَ - مِن فُلانٍ وفُلانَةَ فأنْزَلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: {وَيُؤْثِرُونَ على أنْفُسِهِمْ ولو كانَ بهِمْ خَصاصَةٌ}، وأخرجه مسلم ١٧٢ - ٢٠٥٤، بلفظ: "جاءَ رَجُلٌ إلى رَسولِ اللهِ صَلّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، فَقالَ: إنِّي مَجْهُودٌ، فأرْسَلَ

إلى بَعْضِ نِسائِهِ، فَقالَتْ: والَّذِي بَعَثَكَ بالحَقِّ، ما عِندِي إلّا ماءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إلى أُخْرى، فَقالَتْ مِثْلَ ذلكَ، حتّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذلكَ: لا، والَّذِي بَعَثَكَ بالحَقِّ، ما عِندِي إلّا ماءٌ، فَقالَ: مَن يُضِيفُ هذا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ؟ فَقامَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصارِ، فَقالَ: أنا، يا رَسولَ اللهِ، فانْطَلَقَ به إلى رَحْلِهِ، فَقالَ لِامْرَأَتِهِ: هلْ عِنْدَكِ شيءٌ؟ قالَتْ: لا إلّا قُوتُ صِبْيانِي، قالَ: فَعَلِّلِيهِمْ بشيءٍ، فَإِذا دَخَلَ ضَيْفُنا فأطْفِئِ السِّراجَ، وَأَرِيهِ أنّا نَأْكُلُ، فَإِذا أَهْوى لِيَأْكُلَ، فَقُومِي إلى السِّراجِ حتّى تُطْفِئِيهِ، قالَ: فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ، فَلَمّا أَصْبَحَ غَدا على النبيِّ صَلّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، فَقالَ: قدْ عَجِبَ اللَّهُ مِن صَنِيعِكُما بضَيْفِكُما اللَّيْلَةَ"، وأخرجه البخاري ٣٧٩٨، بلفظ: " أنَّ رَجُلًا أتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَبَعَثَ إلى نِسَائِهِ، فَقُلْنَ: ما معنَا إلَّا المَاءُ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: مَن يَضُمُّ -أوْ يُضِيفُ- هذا؟ فَقالَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ: أنَا، فَانْطَلَقَ به إلى امْرَأَتِهِ، فَقالَ: أكْرِمِي ضَيْفَ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَتْ: ما عِنْدَنَا إلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، فَقالَ: هَيِّئِي طَعَامَكِ، وأَصْبِحِي سِرَاجَكِ، ونَوِّمِي صِبْيَانَكِ إذَا أرَادُوا عَشَاءً، فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا، وأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا، ونَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فأطْفَأَتْهُ، فَجَعَلَا يُرِيَانِهِ أنَّهُما يَأْكُلَانِ، فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أصْبَحَ غَدَا إلى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَ: ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ -أوْ عَجِبَ- مِن فَعَالِكُما. فأنْزَلَ اللَّهُ: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: ٩]".

إنَّ مِن الأخْلاقِ الحَميدةِ، والمَعاني النَّبيلةِ، والصِّفاتِ الأصيلةِ الَّتي حَثَّ عليها القُرآنُ، وسَطَّرَها الصَّحابةُ الكِرامُ؛ خُلُقَ الإيثارِ. وفي هذا الحَديثِ يَحْكي أبو هُرَيْرةَ رَضيَ اللهُ عنه أنَّه أتَى رَجلٌ إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ونزَل ضَيفًا عليه يَشْكو حالَه وحاجَتَه، فبعَث النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إلى نِسائِه واحِدةً تِلوَ الأُخْرى: هلْ عندَها شَيءٌ؟ فكانَت كُلُّ واحِدةٍ تَقولُ: «ما مَعَنا إلَّا الماءُ»، وهذا كِنايةٌ على أنَّه ليس عندَهنَّ طَعامٌ يُضيِّفونَ به الضَّيفَ، فقالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لصَحابتِه الكِرامِ رِضْوانُ اللهِ عليهم أجْمَعينَ: «مَن يَضُمُّ -أو يُضيِّفُ- هذا» فيَأخُذُه، ويُطعِمُه، ويُكرِمُه في بَيتِه؟ فقال رَجلٌ منَ الأنْصارِ -قيلَ: هو أبو طَلْحةَ زَيدُ بنُ سَهلٍ الأنْصاريُّ رَضيَ اللهُ عنه، وقيلَ: أبو طَلْحةَ غيرُ زَيدِ بنِ سَهلٍ-: «أنا»، ثمَّ أخَذ الضَّيفَ، فانطَلَقَ به إلى بَيتِه، وقال لامْرأتِه: أكْرِمي ضَيفَ رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وإنَّما نسَبَه إلى رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؛ لبَيانِ قَدْرِه ومَنزِلتِه، وشَحْذِ همَّةِ زَوجتِه في التَّكلُّفِ له وإطْعامِه، فقالت: «ما عندَنا إلَّا قوتُ صِبْياني»، أي: ليس عندَهم إلَّا عَشاءُ تلك اللَّيلةِ الَّذي يَكْفي أطْفالَهم فقطْ، فقال لها: «هَيِّئي طَعامَكِ»، أي: أعِدِّيه على الهَيْئةِ الَّتي ستُقدَّمُ للضَّيفِ، «وأصْبِحي سِراجَكِ»، أي: أوْقِديه أو نَوِّريه، «ونَوِّمي صِبْيانَكِ»، أي: عَجِّلي بنَوْمِهم حتَّى لا يُدرِكَهمُ الجوعُ، وطلَبُ الطَّعامِ، فأطاعَتِ المَرأةُ زَوجَها، فهَيَّأتْ طَعامَها، وأعدَّتْه للضَّيفِ، وأضاءَت المِصباحَ، ونوَّمَتْ صِبْيانَها الصِّغارَ بغَيرِ عَشاءٍ، ثمَّ قدَّمَتِ الطَّعامَ للضَّيفِ، ثمَّ قامَتْ كأنَّها تُصلِحُ سِراجَها فأطْفأَتْه عن قَصدٍ فأظلَمَتِ البَيتَ، فجَعَلا يَتَظاهَرانِ أنَّهما يَأْكُلانِ بتَحْريكِ أسْنانِهما، ومدِّ أيْديهما؛

٢. حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ عن النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال: "عَجِبَ اللَّهُ مِن قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ في السَّلاسِلِ" [٣٧٩].

٣. عن أبي وائل شقيق بن سلمة؛ قال: "قرأ عبد الله (يعني: ابن مسعود) رضي الله عنه: بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ؛ قال شريح: إنَّ الله لا يعجب من شيء، إنما يعجب من لا

حتَّى يأكُلَ الضَّيفُ منَ الطَّعامِ حاجَتَه، وحتَّى لا يَشعُرَ أيضًا بقلَّةِ الطَّعامِ، فباتَا الزَّوْجانِ «طاوِيَينِ»، أي: جائِعَينِ مِن غَيرِ عَشاءٍ، فلمَّا أنْ أصبَحَ الأنْصاريُّ «غَدا»، أي: ذهَب إلى رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فقال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «ضَحِكَ اللهُ اللَّيلةَ -أو عَجِبَ- مِن فِعالِكما، فأنزَلَ اللهُ: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: ٩]، والمعْنى: أنَّ مِن أوصافِ الأنصارِ التي فاقُوا بها غَيرَهم، وتَميَّزوا بها على مَن سِواهم؛ خُلقَ الإيثارِ، وهو أكمَلُ أنواعِ الجُودِ، وهو الإيثارُ بمَحابِّ النَّفْسِ مِن الأموالِ وغيرِها، وبَذْلُها للغيرِ مع الحاجةِ إليها، بلْ مع الضَّرورةِ والخصاصةِ، وهذا لا يكونُ إلَّا مِن خُلقٍ زَكيٍّ، ومَحبَّةٍ للهِ تعالَى مُقدَّمةٍ على مَحبَّةِ شَهواتِ النَّفْسِ ولذَّاتِها، ومَن رُزِقَ الإيثارَ فقدْ وُقِيَ شُحَّ نفْسِه، وبذلك يَحصُلُ الفلاحُ والفوزُ له في الدُّنيا والآخرةِ. {وفي الحديثِ: بَيانُ حالِ رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وما هو عليه مِن شَظَفِ العَيشِ، وقلَّةِ ذاتِ اليَدِ. وفيه: أنَّه ليس مِن المَسْألةِ المَذْمومةِ عَرْضُ الضِّيافةِ على النَّاسِ. وفيه: أنَّ مِن أدَبِ الضِّيافةِ ألَّا يُرِيَ الرَّجلُ ضَيفَه أنَّه مانٌّ عليه، أو أنَّ الضَّيفَ مُضَيِّقٌ عليه، ومُحرِجٌ له. وفيهِ: مَنقَبةٌ لهذا الرَّجلِ الأنْصاريِّ وإيثارُه العَظيمُ. وفيه: إثْباتُ صِفةِ الضَّحِكِ والتَّعجُّبِ للهِ عزَّ وجلَّ على الوجْهِ الذي يَليقُ بجَلالِه وكَمالِه، مِن غَيرِ تَكْييفٍ، ولا تَحْريفٍ، ولا تَعْطيلٍ}.

٣٧٩ حديث صحيح: صحيح البخاري ٣٠١٠.

تَفضَّلَ اللهُ سُبحانَه على عِبادِه بالرَّحمةِ والعَطاءِ، وقدْ تكَفَّلَ لِمَن دَخَلَ في دِينِ الإسلامِ، وأخلَصَ في إيمانِه، وأطاعَ رَبَّه؛ بأنْ يُدخِلَه الجَنَّةَ، ومِن العَجيبِ أنَّ مِنَ النّاسِ مَن يَرفُضُ الإسلامَ، وقدْ يَدخُلُ فيه اضطِرارًا، ولكِنَّه بعْدَ ذلك يَحسُنُ إسلامُه، فيَنالُ الرِّضا مِنَ اللهِ، ويَدخُلُ جَنَّتَه في الآخِرةِ. وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بأنَّ اللهَ يَعجَبُ مِن قَومٍ يَدخُلونَ الجَنَّةَ في السَّلاسِلِ، ومَعناه: أنَّ هؤلاء القَومَ أُسِروا وقُيِّدوا، فلَمّا عَرَفوا صِحَّةَ الإسلامِ دَخَلوا طَوعًا فيه، فكان ذلك سَبَبًا في دُخولِهمُ الجَنَّةَ، وقيلَ: المَعنى: يُقادونَ إلى الإسلامِ مُكرَهينَ، فيَكونُ ذلك سَبَبَ دُخولِهمُ الجَنَّةَ، وقيلَ: يُحتَمَلُ أنْ يَكونَ المُرادُ المُسلِمينَ المأْسورينَ عِندَ أهلِ الكُفرِ، يَموتونَ على ذلك، أو يُقتَلونَ فيُحشَرونَ كذلك، وعَبَّرَ عنِ الحَشرِ بدُخولِ الجَنَّةِ؛ لِثُبوتِ دُخولِهم عَقِبَه. {وفي الحَديثِ: إثباتُ صِفةِ العَجَبِ للهِ سُبحانَه وتَعالى، وهو عَجَبٌ يَليقُ به سُبحانَه، ونُثبِتُه له كما أثبَتَه له نَبيُّه صَلّى اللهُ عليه وسلَّمَ، بلا تَحريفٍ أو تكييفٍ، أو تَشبيهٍ أو تَعطيلٍ}.

يعلم. قال الأعمش: فذكرت لإبراهيم، فقال: إنَّ شريحاً كان يعجبه رأيه، إنَّ عبد الله كان أعلم من شريح، وكان عبد الله يقرأها: بَلْ عَجِبْتُ" [380]، قال أبو يعلى الفراء رحمه الله تحت باب "إثبات صفة العَجب لربنا تبارك وتعالى"، بعد أن ذكر ثلاثة أحاديث في إثبات صفة العَجَب: "اعلم أنَّ الكلام في هذا الحديث (يعني: الثالث) كالكلام في الذي قبله، وأنه لا يمتنع إطلاق ذلك عليه وحمله على ظاهره؛ إذ ليس في ذلك ما يحيل صفاته، ولا يخرجها عما تستحقه؛ لأنّا لا نثبت عَجَباً هو تعظيم لأمر دَهَمَه استعظمه لم يكن عالماً به؛ لأنّه مما لا يليق بصفاته، بل نثبت ذلك صفة كما أثبتنا غيرها من صفاته" [381]، وقال الإمام قوّام السُّنَّة أبو القاسم الأصبهاني: "وقال قوم: لا يوصف الله بأنه يَعْجَبُ؛ لأنّ العَجَب ممَّن يعلم ما لم يكن يعلم، واحتج مثبت هذه الصفة بالحديث، وبقراءة أهل الكوفة: بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ؛ على أنّه إخبار من الله عزَّ وجلَّ عن نفسه" [382]، وقال ابن أبي عاصم: "باب: في تَعَجُّبِ ربنا من بعض ما يصنع عباده مما يتقرب به إليه" [383]، ثم سرد جملة من الأحاديث التي تثبت هذه الصفة لله عزَّ وجلَّ، وممن أثبت صفة العَجَب لله عزَّ وجلَّ شيخ الإسلام ابن تيمية [384] في العقيدة الواسطية، وشرح ذلك الهراس بقوله: "قوله: (عَجِبَ رَبُّنا...) إلخ؛ هذا الحديث يثبت لله عزَّ وجلَّ صفة العَجَب، وفي معناه قوله عليه الصلاة والسلام: (عجب ربك من شابٍّ ليس له صبوة)" [385]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

---

٣٨٠ رواه الحاكم ٤٦٦/٢، والبيهقي في "الأسماء والصفات" ٤١٥/٢. قال الحاكم: صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه. وقراءة ابن مسعود رضي الله عنه بالضم ثابتة في "صحيح البخاري" ٤٦٩٢؛ بدون كلام شريح.

٣٨١ إبطال التأويلات: ص ٢٤٥.

٣٨٢ "الحجة في بيان المحجة" ٤٩٠/٢.

٣٨٣ السنة: ٢٤٩/١.

٣٨٤ انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٨١/٤، ١٢٣/٦و١٢٤).

٣٨٥ شرح الواسطية: ص٢٠٢.

"وأما قوله: (التعجب استعظام للمتعجب منه)، فيقال: نعم؛ وقد يكون مقرونا بجهل بسبب التعجب، وقد يكون لما خرج عن نظائره. والله تعالى بكل شيء عليم، فلا يجوز عليه أن لا يعلم سبب ما تعجب منه؛ بل يتعجب لخروجه عن نظائره تعظيما له. والله تعالى يعظم ما هو عظيم؛ إما لعظمة سببه، أو لعظمته. فإنّه وصف بعض الخير بأنّه عظيم، ووصف بعض الشر بأنّه عظيم. ولهذا قال تعالى: {بل عجبتُ ويسخرون} على قراءة الضم، فهنا هو عَجِب من كفرهم مع وضوح الأدلة. وقال النبي صلى الله عليه وسلم للذي آثر هو وامرأته ضيفهما: (لقد عجب الله)، وفي لفظ في الصحيح: (لقد ضحك الله الليلة من صنعكما البارحة)" [٣٨٦].

والعَجَب نوعان:

- الأول: عجبٌ ناشئٌ عن جهل: وهو عجبُ الذهول عن السبب؛ لجهله وخفاء السبب على المتعجب، كأن يأتيه الأمر بغتةً، ولَم يتوقع حصول أمرٍ ما تعجب منه، وهذا النوع مستحيلٌ على الله تعالى لأنَّ الله بكلِّ شيء عليم.
- الثاني: عجب ناشئ عن علم: فالمتعجب لَم يخفَ عليه الأمرُ والسبب؛ ولكن لأنّ هذا الأمر خرج عن نظائره تعجب منه، فسبب التعجب هو أنّ المتعجب منه جاء على خلاف المعهود، لا عن جهل، وهذا النوع هو المراد في صفة التعجب لله جلّ وعلا.

والله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ يَعْجَبُ متى شاء وليس لذلك حصر، فتعالى وتبارك الله سبحانه عزَّ وجلَّ أن يحيط أحد بمعرفته {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [سورة طه: ١١٠]، سبحانه وتعالى {يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [سورة الرحمن: ٢٩]، وقد وردت أدلة من الكتاب والسنّة الصحيحة تدل على

٣٨٦ "مجموع فتاوى شيخ الإسلام" ٦/١٢٣-١٢٤.

بعض هذه الأسباب والأعمال والمواطن الجالبة لتَعَجّب وعَجَب الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ؛ ومن ذلك:

١. المَوْطِنُ الأَوَّلُ: "تَعَجُّب الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ، مع كمال علمه سبحانه وتعالى، من كفر إنسان وصبر الله سبحانه وتعالى عليه، فهذا الإنسان يستحق أن يعاقب عقوبة شديدة، ولكن الله سبحانه وتعالى يعجب وهو أعلم سبحانه وتعالى، أنّ هذا مصير هذا الإنسان إلى النار، فيعجب سبحانه ما يصنعه هذا الإنسان" [٣٨٧]، وأمثاله من الكفار والمشركين:

- قال الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ عن الكفار والمشركين: {بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ} [الصافات: ١٢]، مما تقوله لهم، وتذكرهم به. والآية: {بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ}، فيها قراءتان مشهورتان في قرَّاء الأمصار [٣٨٨]:

- قراءة الجمهور: {بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ}؛ قال السعدي: "{بَلْ عَجِبْتَ} يا أيها الرسول وأيها الإنسان، من تكذيب من كذب بالبعث، بعد أن أريتهم من الآيات العظيمة والأدلة المستقيمة، وهو حقيقة محل عجب واستغراب، لأنه مما لا يقبل الإنكار، {و} أعجب من إنكارهم وأبلغ منه، أنهم {يَسْخَرُونَ} ممن

---

٣٨٧ تفسير أحمد حطيبة؛ سورة الصافات: ١٢، {بتصرف}.

٣٨٨ قال ابن جرير الطبري رحمه الله: قوله: "{بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ} اختلفت القرَّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرَّاء الكوفة: {بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ} بضم التاء من {عَجِبْتَ}، بمعنى: بل عظُم عندي، وكبر اتخاذهم لي شريكاً، وتكذيبهم تَنْزيلي، وهم يسخرون، وقرأ ذلك عامة قرَّاء المدينة، والبصرة، وبعض قرَّاء الكوفة {عَجِبْتَ} بفتح التاء، بمعنى: بل عجبتَ أنت يا محمد، ويسخرون من هذا القرآن. والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان في قرَّاء الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ: فمصيب. فإن قال قائل: وكيف يكون مصيباً القاريء بهما مع اختلاف معنييهما؟! قيل: إنهما وإن اختلف معنياهما فكلّ واحد من معنييه صحيح، قد عجب محمد مما أعطاه الله من الفضل، وسخر منه أهل الشرك بالله، وقد عجِب ربنا من عظيم ما قاله المشركون في الله، وسَخِر المشركونَ مما قالوه" [تفسير الطبري؛ ٢١ / ٢٢، ٢٣].

جاء بالخبر عن البعث، فلم يكفهم مجرد الإنكار، حتى زادوا السخرية بالقول الحق".

- الضَّمُّ [٣٨٩]: {بَلْ عَجِبْتُ ويَسْخَرُونَ} [٣٩٠]؛ وعليه يكونُ المعنى: بَلَغ من عِظَمِ آياتي أنِّي عَجِبتُ منها، أي: استعظَمْتُها ومع ذلك يسخَرُ منها هؤلاء لفَرْطِ جَهْلِهم وعنادِهم. وكيف يسخرون مع قرب عذابهم الذي يأتيهم من الله سبحانه.

---

٣٨٩ قراءة حمزة والكسائي وخلف.

٣٩٠ عن شقيق بن سلمة: عَنْ عبدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ قالَ: {هَيْتَ لَكَ} [يوسف: ٢٣]. قالَ: وإنَّما نَقْرَؤُها كما عُلِّمْناها. وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: {بَلْ عَجِبْتُ ويَسْخَرُونَ} [الصّافات: ١٢] [حديث صحيح: صحيح البخاري ٤٦٩٢].
يسَّرَ اللهُ سُبحانَه وتعالى حِفظَ كِتابِه القُرآنِ الكَريمِ، وأنْزَلَه على سَبْعةِ أحْرُفٍ تَيسيرًا وتخفيفًا، وعلَّمه النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم لِأصْحابِه، فنَقَلَ كُلٌّ منهم ما تَعلَّمه مِن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وقَرَأ به. وفي هذا الحديثِ يَقومُ ابنُ مَسعودٍ رضِي اللهُ عنه بوَظيفةِ العلماءِ في البيانِ وتَبليغِ العلمِ، ويَذكُرُ فيه قِراءتَه رضِيَ اللهُ عنه لقولِ الله تعالى: {هَيْتَ لَكَ} [يوسف: ٢٣]، فقَرَأها بفَتحِ الهاءِ والتّاءِ، وقد ذُكِرَ أنَّه قرأها بكَسرِ الهاءِ وبضَمِّ التاءِ، وبعْدَ أنْ قرَأَها هكذا ذُكِرَ له أنَّ ناسًا يقرؤونها (هَيتِ لَكَ) بالكَسرِ، كما في روايةِ عبدِ الرَّزّاقِ في تفسيرِه، فقال: وإنَّما نَقْرؤُها كما عُلِّمْناها، وفي روايةِ عبدِ الرَّزّاقِ المتقَدِّمةِ، قال: «إني أن أقرَأَها كما عُلِّمْتُ أحَبُّ إليَّ»، إشارةً منه إلى أنَّه تَلقّاها مِنَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم هكذا، وهذا القولُ مِن ابنِ مَسعود يُبَيِّنُ تَمسُّكَه بما صَحَّ عِندَه وما تَعلَّمه مُباشَرةً مِن قِراءةِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، وليس ردًّا لِلقراءاتِ الأُخرى، وقد عُرِفتْ رِواياتُ القرآنِ كلُّها، وحُدِّدَ المتواترُ منها الذي تَصِحُّ القراءةُ به من غَيرِه، والقِراءةُ سُنَّةٌ مُتَّبعةٌ لا مَجالَ للاجتِهادِ فيها. وهذا الموضِعُ فيه أكثرُ مِن قِراءةٍ مُتواترةٍ عن رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، ومعناه: هَلُمَّ، أو تعالَ، أي: ها أنا ذا مُهَيَّئةٌ لكَ، فأسرِعْ في الإقبالِ عليَّ، وجاء في روايةِ عبدِ الرَّزّاقِ أيضًا أنَّه قال: «قد تسمَّعْتُ القُرّاءَ فسَمِعْتُهم متقاربينَ، فاقرَؤُوا كما عُلِّمْتُم، وإيّاكم والتنطُّعَ والاختلافَ». ومناسَبةُ ذِكرِ قَولِه تعالى: {بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ} [الصّافات: ١٢] هنا، قيل: هو لبيانِ أنَّ ابنَ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه يقرأُ التاءَ في {هَيْتَ} كما يقرؤُها في {عَجِبْتَ}، وفي تاءِ {عَجِبْت} قراءتان: الضَّمُّ، وعليه يكونُ المعنى: بَلَغ من عِظَمِ آياتي أنِّي عَجِبتُ منها، أي: استعظَمْتُها ومع ذلك يسخَرُ منها هؤلاء لفَرْطِ جَهْلِهم وعنادِهم. والفَتحُ، وعليه يكون المعنى: هو خِطابٌ للنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، أي: عَجِبْتَ مِن تكذيبِهم إيّاك وهم يسخَرون من تعَجُّبِك، أو عَجِبتَ مِن تكذيبِهم بالبَعْثِ وهم يسخَرون من أمْرِه. {وفي الحديثِ: جانِبٌ مِن عِلمِ ابنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه بقراءةِ القُرآنِ ومعانيه. وفيه: أنَّ قِراءةَ القُرآنِ إنما تكونُ بالتلَقِّي لا بالاجتهادِ}.

- قال الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ: {وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قولهمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} [الرعد: ٥]، نقل ابن جرير الطبَري في تفسيره هذه الآيـة بإسناده إلى قتادة قوله: "قوله: وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ: إن عجِبتَ يا محمد؛ فَعَجَبٌ قولهمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ: عجِبَ الرحمن تبارك وتعالى من تكذيبهم بالبعث بعد الموت"[٣٩١]، قال ابن زنجلة بعد ذكـر قراءة بَلْ عَجِبْتُ بالضم: "قال أبو عبيد: والشاهد لها مع هذه الأخبار قوله تعالى: وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قولهمْ، فأخبر جل جلاله أنه عجيب"[٣٩٢].

٢. المَوْطِنُ الثَّانِي: "تَعَجُّب الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ، مع كمال علمه سبحانه وتعالى، من إنسان يفعل صنيعاً وشيئاً طيباً وهو إنسان؛ والعجب هنا: عجبُ استحسان، لما يشتمل عليه هذا الصنيع من الفوائد العظيمة":

- الإيثار: {الإيثار: أن تُقَدِّم الغير على نفسك؛ أنت محتاج!، والغير محتاج!، فتقدم حاجة الآخر على حاجة نفسك!}: "وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ"؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال صَلّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ - أوْ ضَحِكَ - مِن فُلَانٍ وفُلَانَةَ"، وفي رواية بلفظ: "قدْ عَجِبَ اللَّهُ مِن صَنِيعِكُمَا بضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ"[٣٩٣]، قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: "والعجب هنا: عجبُ

---

٣٩١ جامع البيان في تأويل القرآن.

٣٩٢ حجـة القراءات: ص ٦٠٧.

٣٩٣ حديث صحيح: متفق عليه؛ انظر الهامش رقم ٣٧٨ ص ٢٤٧.

إنَّ مِن الأخْلاقِ الحَميدةِ، والمَعاني النَّبيلةِ، والصِّفاتِ الأصيلةِ الَّتي حَثَّ عليها القُرآنُ، وسَطَّرَها الصَّحابةُ الكِرامُ؛ خُلقَ الإيثارِ. وفي هذا الحَديثِ يَحْكي أبو هُرَيْرةَ رَضيَ اللهُ عنه أنَّه أتَى رَجلٌ إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ونزَل ضَيفًا عليه يَشْكو حالَه وحاجَتَه، فبَعَث النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إلى نِسائِه واحِدةً تِلوَ الأُخْرى: هلْ عندَها شَيءٌ؟ فكانَت كُلُّ واحِدةٍ تَقولُ: «ما مَعَنا إلَّا الماءُ»، وهذا كِنايةٌ على أنَّه ليس عندَهنَّ طَعامٌ يُضيِّفونَ به الضَّيفَ، فقالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لصَحابَتِه الكِرامِ رِضْوانُ اللهِ عليهم أجْمَعينَ: «مَن يَضُمُّ -

استحسان، استحسن عزّ وجلّ صنيعهما من تلك الليلة، لما يشتمل عليه من الفوائد العظيمة" [٣٩٤].

- قَوْمٌ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ في السَّلاسِلِ {هؤلاء القَومَ أُسِروا وقُيِّدوا، فكان ذلك سَبَبًا في دُخولِهِمُ الجَنَّةَ}؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أو يُضيِّفُ- هذا» فيَأخُذُه، ويُطعِمُه، ويُكرِمُه في بَيتِه؟ فقال رَجلٌ مِنَ الأنْصارِ -قيلَ: هو أبو طَلْحةَ زَيدُ بنُ سَهلٍ الأنْصاريُّ رَضيَ اللهُ عنه، وقيلَ: أبو طَلْحةَ غيرُ زَيدِ بنِ سَهلٍ-: «أنا»، ثمَّ أخَذ الضَّيفَ، فانطَلَق به إلى بَيتِه، وقال لامْرأتِه: أكْرِمي ضَيفَ رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وإنَّما نسَبَه إلى رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؛ لبَيانِ قَدْرِه ومَنزِلتِه، وشَحْذِ همَّةِ زَوجتِه في التَّكلُّفِ له وإطْعامِه، فقالت: «ما عندَنا إلَّا قوتُ صِبْياني»، أي: ليس عندَهم إلَّا عَشاءُ تلك اللَّيلةِ الَّذي يَكْفي أطْفالَهم فقطْ، فقال لها: «هَيِّئي طَعامَكِ»، أي: أعِدِّيه على الهَيْئةِ الَّتي ستُقدَّمُ للضَّيفِ، «وأصْبِحي سِراجَكِ»، أي: أوْقِديه أو نَوِّريه، «ونَوِّمي صِبْيانَكِ»، أي: عَجِّلي بنَوْمِهم حتَّى لا يُدرِكَهمُ الجوعُ، وطلَبُ الطَّعامِ، فأطاعَتِ المَرأةُ زَوجَها، فهَيَّأتْ طَعامَها، وأعدَّتْه للضَّيفِ، وأضاءَت المِصباحَ، ونوَّمَتْ صِبْيانَها الصِّغارَ بغَيرِ عَشاءٍ، ثمَّ قدَّمَتِ الطَّعامَ للضَّيفِ، ثمَّ قامَتْ كأنَّها تُصلِحُ سِراجَها فأطْفأَتْه عن قَصدٍ فأظلَمَتِ البَيتَ، فجَعَلا يَتَظاهَرانِ أنَّهما يأْكُلانِ بتَحْريكِ أسْنانِهما، ومدِّ أيْديهما؛ حتَّى يأكُلَ الضَّيفُ منَ الطَّعامِ حاجَتَه، وحتَّى لا يَشعُرَ أيضًا بقلَّةِ الطَّعامِ، فباتَا الزَّوْجانِ «طاوِيَينِ»، أي: جائِعَينِ مِن غَيرِ عَشاءٍ، فلمَّا أنْ أصبَحَ الأنْصاريُّ «غَدا»، أي: ذهَب إلى رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فقال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «ضحِكَ اللهُ اللَّيلةَ -أو عَجِبَ- مِن فِعالِكما، فأنزَلَ اللهُ: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: ٩]، والمعْنى: أنَّ مِن أوصافِ الأنصارِ التي فاقُوا بها غيرَهم، وتَمَيَّزوا بها على مَن سِواهم؛ خُلقَ الإيثارِ، وهو أكمَلُ أنواعِ الجُودِ، وهو الإيثارُ بمَحابِّ النَّفْسِ مِن الأموالِ وغيرِها، وبَذْلُها للغيرِ مع الحاجةِ إليها، بلْ مع الضَّرورةِ والخصاصةِ، وهذا لا يكونُ إلَّا مِن خُلقٍ زَكيٍّ، ومَحبَّةٍ للهِ تعالَى مُقدَّمةٍ على مَحبَّةِ شَهواتِ النَّفْسِ ولذَّاتِها، ومَن رُزِقَ الإيثارَ فقدْ وُقِيَ شُحَّ نفْسِه، وبذلك يَحصُلُ الفلاحُ والفوزُ له في الدُّنيا والآخرةِ. {وفي الحديثِ: بَيانُ حالِ رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وما هو عليه مِن شَظَفِ العَيشِ، وقلَّةِ ذاتِ اليَدِ. وفيه: أنَّه ليس مِن المَسْألةِ المَذْمومةِ عَرْضُ الضِّيافةِ على النَّاسِ. وفيه: أنَّ مِن أدَبِ الضِّيافةِ ألَّا يُرِيَ الرَّجلُ ضَيفَه أنَّه مانٌّ عليه، أو أنَّ الضَّيفَ مُضَيِّقٌ عليه، ومُحرِجٌ له. وفيهِ: مَنقَبةٌ لهذا الرَّجلِ الأنْصاريّ وإيثارُه العَظيمُ. وفيه: إثْباتُ صِفةِ الضَّحِكِ والتَّعجُّبِ للهِ عزَّ وجلَّ على الوجْهِ الذي يَليقُ بجَلالِه وكَمالِه، مِن غَيرِ تَكْييفٍ، ولا تَحْريفٍ، ولا تَعْطيلٍ}.

٣٩٤ "شرح رياض الصالحين" ٣ / ٤٢٠.

قَالَ: "عَجِبَ اللَّهُ مِن قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فِي السَّلاسِلِ" [٣٩٥].

- شابٌّ ليس له مَيلٌ إلى الهَوى والمَعصيةِ؛ فعَنْ عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إنَّ ربَّكَ ليعجبُ للشابِّ لا صبوةَ لهُ" [٣٩٦]؛ شابٌّ

٣٩٥ حديث صحيح: صحيح البخاري ٣٠١٠.

تَفضَّلَ اللهُ سُبحانَه على عِبادِه بالرَّحمةِ والعَطاءِ، وقدْ تكَفَّلَ لِمَن دَخَلَ في دِينِ الإسلامِ، وأخلَصَ في إيمانِه، وأطاعَ رَبَّه؛ بأنْ يُدخِلَه الجَنَّةَ، ومِن العَجيبِ أنَّ مِنَ النّاسِ مَن يَرفُضُ الإسلامَ، وقدْ يَدخُلُ فيه اضطِرارًا، ولكِنَّه بعْدَ ذلك يَحسُنُ إسلامُه، فيَنالُ الرِّضا مِنَ اللهِ، ويَدخُلُ جَنَّتَه في الآخِرةِ. وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ النَّبيُّ صَلّى اللهُ عليه وسلَّمَ بأنَّ اللهَ يَعجَبُ مِن قَومٍ يَدخُلونَ الجَنَّةَ في السَّلاسِلِ، ومَعناه: أنَّ هؤلاءِ القَومَ أُسِروا وقُيِّدوا، فلَمّا عَرَفوا صِحَّةَ الإسلامِ دَخَلوا طَوعًا فيه، فكان ذلك سَبَبًا في دُخولِهمُ الجَنَّةَ، وقيلَ: المَعنى: يُقادونَ إلى الإسلامِ مُكرَهينَ، فيَكونُ ذلك سَبَبَ دُخولِهمُ الجَنَّةَ، وقيلَ: يُحتَمَلُ أنْ يَكونَ المُرادُ المُسلِمينَ المأْسورينَ عِندَ أهلِ الكُفرِ، يَموتونَ على ذلك، أو يُقتَلونَ فيُحشَرونَ كذلك، وعَبَّرَ عنِ الحَشرِ بدُخولِ الجَنَّةِ؛ لِثُبوتِ دُخولِهم عَقِبَه. {وفي الحديثِ: إثباتُ صِفةِ العَجَبِ للهِ سُبحانَه وتَعالى، وهو عَجَبٌ يَليقُ به سُبحانَه، ونُثبِتُه له كما أثبَتَه له نَبيُّه صَلّى اللهُ عليه وسلَّمَ، بلا تَحريفٍ أو تَكييفٍ، أو تَشبيهٍ أو تَعطيلٍ}.

٣٩٦ إسناده جيد: أخرجه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ٢٨٤٣؛ وقال عنه: إسناده جيد. وفي رواية: "إنَّ اللهَ لَيَعجَبُ مِنَ الشابِّ ليست له صَبْوةٌ" [حسن لغيره: أخرجه الشيخ شعيب الأرنؤوط في تخريج المسند ١٧٣٧١؛ وقال عنه: حسن لغيره؛ أخرجه أحمد ١٧٣٧١ واللفظ له، والحارث في "المسند" ١٠٩٩، وأبو يعلى ١٧٤٩].

مرحلةُ الشَّبابِ هي القُوَّةُ والفُتُوَّةُ في الإنسانِ، وهي مَظِنَّةُ التهَوُّرِ والانغماسِ في شَهَواتِ الحياةِ الدُّنيا، فإذا تَغلَّبَ الشابُّ على شَهَواتِه، وأطاعَ اللهَ، وشغَلَ نَفْسَه بذلك؛ فهو دَليلٌ على قوَّةِ الإيمانِ، والاستِقامةِ على طريقِ الحقِّ. وفي هذا الحديثِ يقولُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ اللهَ ليَعجَبُ مِن الشابِّ ليستْ له صَبْوةٌ»، أي: ليس له مَيلٌ إلى الهَوى والمَعصيةِ؛ لحُسنِ اعتِيادِه للخَيرِ، وقوَّةِ عَزيمَتِه في البُعدِ عن الشَّرِّ في حالِ الشَّبابِ الذي هو مَظِنَّةٌ لضِدِّ ذلك. والعَجَبُ صِفةٌ من صِفاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الفِعليَّةِ الخَبَريَّةِ الثابتةِ له بالكِتابِ والسُّنةِ، وهو مِن اللهِ ليس كالتعجُّبِ مِن المَخلوقِينَ، ومَرْدودُ هذا العجَبِ منه سُبحانَه أنَّه يَستَحسِنُ عمَلَ هذا الشابِّ، فيَعظُمُ قَدرُه عِندَه، فيُجزِلُ له أجرَه؛ لكَوْنِه ليس له خَطيئةٌ ولا إصرارٌ على مَعصيةٍ، وخَصَّ الشابَّ؛ لكَونِه مَظِنَّةَ غَلَبةِ الشهوةِ؛ لِما فيه مِن قوَّةِ الباعِثِ على مُتابَعةِ الهَوى؛ فإنَّ مُلازَمةَ العبادةِ مع ذلك أشَدُّ، وأدَلُّ على غَلَبةِ التَّقْوى. وفي الحديثِ: بيانُ فَضلِ الشابِّ الذي ترَكَ المَعاصيَ، وشُغِلَ بطاعةِ ربِّه.

في قوته ونشاطه وشهواته لا يكون له ذنب، ولا يرْتَكِب كبيرة، فليس له ميل إلى الهوى لحسن اعتياده للخير وقوّة عزيمته في البعد عن الشر في حال الشباب الذي هو مظنة لضدّ ذلك.

- الرّاعي الَّذي يقِفُ بأعلى الجبَلِ أو قِطعةٍ منه، يُؤَذِّنُ بالصَّلاةِ ويُصلِّي، مُعظِّمًا لأمرِ الصَّلاةِ بالنِّداءِ؛ فعَنْ عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يَعجَبُ رَبُّكَ من راعي غَنَمٍ في رأسِ شَظِيَّةِ جبلٍ يُؤَذِّنُ بالصلاةِ ويُصلِّي فيقولُ اللّٰهُ عزَّ وجلَّ: انظروا إلى عبدي هو يُؤَذِّنُ ويُقيمُ الصلاةَ يَخافُ منّي قد غفرتُ لعبدي وأدخلتهُ الجنةَ" [٣٩٧]، فاللّٰه عز وجل يعجب لهذا الإنسان الذي هو في رأس

٣٩٧ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الألباني في إرواء الغليل ٢١٤؛ أخرجه أبو داود (١٢٠٣)، والنسائي (٦٦٦)، وأحمد (١٧٤٤٢) باختلاف يسير. وفي رواية: "يعجَبُ ربُّكَ من راعي غنمٍ، في رأسِ شظيَّةِ الجبلِ يؤذِّنُ بالصَّلاةِ ويصلِّي فيقولُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ انظروا إلى عبدي هذا يؤذِّنُ ويقيمُ الصَّلاةَ يخافُ منِّي قد غَفرتُ لعَبدي، وأدخلتُهُ الجنَّةَ" [حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الألباني في صحيح النسائي ٦٦٥؛ أخرجه أبو داود (١٢٠٣)، والنسائي (٦٦٦) واللفظ له، وأحمد (١٧٤٤٢)].

الخَوفُ الحَقيقيُّ مِن اللهِ تعالى- وكذا والرَّجاءُ الصَّحيحُ- يكونُ بعمَلِ الطّاعاتِ واجتِنابِ المعاصِي، وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صَلّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «يَعْجَبُ ربُّكَ»، العجَبُ عِند البشَرِ هو استِعظامُ الأمرِ وإكبارُه، وهو في حَقِّ اللهِ تعالى صِفةٌ من صِفاتِه الفِعليَّةِ الخبريَّةِ الثابتةِ له بالكِتابِ والسُّنَّةِ، لكِن بالكيفيَّةِ الَّتي تَليقُ بجَلالِه سبحانَه؛ وذلك أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يستحيلُ عليه التَّعجُّبُ الَّذي يَخفى على صاحِبِه معرفةُ الأسبابِ، واللهُ عزَّ وجلَّ عِندَه عِلْمُ الأسبابِ، «مِن راعي غَنَمٍ في رأسِ شَظِيَّةِ الجبَلِ»، أي: مِن الرّاعي الَّذي يقِفُ بأعلى الجبَلِ أو قِطعةٍ منه، وشَظِيَّةُ الجبَلِ: قِطعةٌ مِن رأسِ الجبَلِ، وقيل: هي الصَّخرةُ الخارجةُ منه، «يُؤَذِّنُ بالصَّلاةِ ويُصلِّي»، أي: مُعظِّمًا لأمرِ الصَّلاةِ بالنِّداءِ مع خُلُوِّ المكانِ مِن البشَرِ، وقيل: المراد بأَذانِه إعلامُ الملائكةِ والجِنِّ بدُخولِ الوقتِ؛ فإنَّ لهم صلاةً أيضًا مع شَهادةِ ما حولَه على تَوحيدِه للهِ تعالى، وقيل: إذا أذَّن وأقام تُصلِّي الملائكةُ معه، ويحصُلُ له ثوابُ الجماعةِ، «فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ»، أي: للملائكةِ ولِمَن عندَه في الملأِ الأعلى: «انظُروا إلى عَبدي هذا يُؤَذِّنُ ويُقيمُ الصَّلاةَ؛ يخافُ منِّي»، أي: يفعَلُ ذلك خوفًا مِن اللهِ عزَّ وجلَّ ومِن عذابِه، وطمَعًا في رَحمتِه، «قد غفَرْتُ لعبدي»، أي: محَوْتُ عنه ذَنْبَه وَسترْتُه ولم أُؤاخِذْه به، «وأدخَلْتُه الجنَّةَ»، أي: بمزيدِ أجرٍ وفَضلٍ مِن اللهِ عزَّ وجلَّ؛ وذلك أنَّ الحسناتِ يُذهِبْنَ السَّيِّئاتِ. {وفي الحديثِ:

جبل، ومع ذلك إذا جاء وقت الصلاة قام يؤذن وأقام الصلاة، مع أنّه يعلم أنّه لا أحد يأتيه في هذا المكان، ولكن خوفه من الله وحبه لله سبحانه جعله يؤذن في مكان لا أحد يأتي إليه فيه، أذن وأقام وصلى، فعجبت ملائكته من ذلك، وعجب الله عز وجل لأمره، فإذا عجب الله من مثل هذا أثابه سبحانه وتعالى.

- عَجِبَ ربنُّا سبحانه وتعالى من قنوطِ عبادِه وقربِ غِيَرِه ينظرُ إليكم أَزِلِينَ قَنِطِينَ فَيَظَلُّ يضحكُ يعلمُ أن فرجَكم قريبٌ؛ فعَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "عجِبَ ربنُّا من قنوطِ عبادِه وقربِ غِيَرِه ينظرُ إليكم أَزِلِينَ قَنِطِينَ فَيَظَلُّ يضحكُ يعلمُ أن فرجَكم قريبٌ" [٣٩٨]، وفي رواية بلفظ "ضحِك": فعَنْ أبي رزين العقيلي لقيط بن عامر

إثباتُ صِفةِ العَجَبِ للهِ عزَّ وجلَّ. وفيه: فضلُ العبادةِ في العُزْلةِ، فضلُ رَعْيِ الغَنَمِ، واعتزالِ أمورِ النّاسِ، وهو محمولٌ على أيّامِ الفِتَنِ؛ فرارًا بدِينِه مِن الفِتَنِ. وفيه: مشروعيَّةُ الأَذانِ والإقامةِ للمُنفردِ}.

٣٩٨ حَسَّنَهُ الشيخ ابن تيمية، في مجموع الفتاوى ١٣٩/٣.

قوله (أزلين) الْأَزْلُ - بِسُكُونِ الزَّايِ - الشِّدَّةُ . وَالْأَزِلُ عَلَى وَزْنِ كَتِفٍ هُوَ الَّذِي قَدْ أَصَابَهُ الْأَزْلُ، وَاشْتَدَّ بِهِ حَتَّى كَادَ يَقْنَطُ. ["زاد المعاد" (٣/ ٥٩٣)]، وقوله: (وقرب غِيَرِه) أي قرب تغييره الحال. وقال ابن منظور رحمه الله: "الأَزْلُ: الضَّيْقُ وَالشِّدَّةُ، والأَزْلُ: الحَبْسُ. وأَزَله يَأْزِلُه أَزْلًا: حبَسَهُ، والأَزْلُ: شِدَّةُ الزَّمَانِ، يُقَالُ: هُمْ فِي أَزْلٍ مِنَ الْعَيْشِ، وأَزْلٍ مِنَ السَّنَة، وآزَلَتِ السَّنَةُ: اشْتَدَّتْ .... وأَصبح الْقَوْمُ آزِلِينَ، أَي فِي شِدَّةٍ" انتهى من "لسان العرب" (١٣/١١).

قال ابن رجب رحمه الله: "وَالْمَعْنَى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَعْجَبُ مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ عِنْدَ احْتِبَاسِ الْقَطْرِ عَنْهُمْ وَقُنُوطِهِمْ وَيَأْسِهِمْ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَقَدِ اقْتَرَبَ وَقْتُ فَرَجِهِ وَرَحْمَتِهِ لِعِبَادِهِ، بِإِنْزَالِ الْغَيْثِ عَلَيْهِمْ، وَتَغْيِيرِهِ لِحَالِهِمْ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ، وَقَالَ تَعَالَى: فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ - وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ [الروم: ٤٨ – ٤٩] ... " [انتهى من "جامع العلوم والحكم" (٤٩١/١).]

وقال السندي رحمه الله: "الْمَعْنَى أَنَّهُ تَعَالَى يَضْحَكُ مِنْ أَنَّ الْعَبْدَ يَصِيرُ مَأْيُوسًا مِنَ الْخَيْرِ بِأَدْنَى شَرٍّ وَقَعَ عَلَيْهِ، مَعَ قُرْبِ تَغْيِيرِهِ تَعَالَى الْحَالَ مِنْ شَرٍّ إِلَى خَيْرٍ وَمِنْ مَرَضٍ إِلَى عَافِيَةٍ وَمِنْ بَلَاءٍ وَمِحْنَةٍ إِلَى سُرُورٍ وَفَرْحَةٍ." [انتهى من "حاشية السندي على سنن ابن ماجه" ١/ ٧٨.]

في الحديث إثبات صفة الضحك لله تعالى، وكذا صفة العجب، وهما صفتان ثابتتان لله تعالى على الوجه الذي يليق بذاته وجلاله. قال الشيخ محمد خليل هراس رحمه الله: "هَذَا الْحَدِيثُ يُثْبِتُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ صِفَةَ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "ضحِك ربُّنا من قُنوطِ عبادهِ وقُربِ غِيَرِهِ". قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ! أوَيضحكُ الربُّ؟ قال: "نعم". قلتُ: لن نعدِمَ من ربٍّ يضحَكُ خيرًا [٣٩٩]، قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى: ((قوله: "عَجِبَ ربُّنا من قنوط عباده" [٤٠٠]، وفي رواية: القنوط: أشد اليأس. يعجب الرب عزَّ وجلَّ من دخول اليأس الشديد على قلوب العباد. "وقُربِ غِيَرِه": الواو بمعنى (مع)، يعني: مع قرب غيره. و(الغير): اسم جمع غِيَرَة، كطِيَر: اسم جمع طِيَرَة، وهي اسم بمعنى التغيير، وعلى هذا؛ فيكون المعنى: وقرب تغييره. فيعجب الرب عزَّ وجلَّ، كيف نقنط وهو سبحانه وتعالى قريب التغيير، يغير الحال إلى حال أخرى بكلمة واحدة، وهي: كُنْ. فيكون. وقوله: "ينظر إليكم أَزِلين"؛ أي: ينظر الله إلينا بعينه. "أزِلين قَنِطين": الأزِل: الواقع في الشدة. و"قنطينَ": جمع قانط، والقانط: اليائس من الفرج وزوال الشدة. فذكر النبي صلى الله عليه وسلم حال الإنسان وحال قلبه، حاله أنه واقع في شدة، وقلبه قانط يائس مستبعد للفَرَجِ. "فيظل

العَجَب، .... وَهَذَا العَجَب الَّذِي وَصَفَ بِهِ الرسولُ ربَّه هُنَّا مِنْ آثَارِ رَحْمَتِهِ، وَهُوَ مِنْ كَمَالِهِ تَعَالَى، فَإِذَا تأخَّر الْغَيْثُ عَنِ الْعِبَادِ مَعَ فَقْرِهِمْ وشدَّة حَاجَتِهِمْ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِمُ الْيَأْسُ وَالْقُنُوطُ، وَصَارَ نَظَرُهُمْ قَاصِرًا عَلَى الْأَسْبَابِ الظاهرة، وحسبوا أن لا يَكُونَ وَرَاءَهَا فرجٌ مِنَ الْقَرِيبِ الْمُجِيبِ؛ فَيَعْجَبُ اللَّهُ مِنْهُمْ. وَهَذَا محلٌّ عجيبٌ حَقًّا؛ إِذْ كَيْفَ يَقْنَطُونَ وَرَحْمَتُهُ وَسِعَتْ كلَّ شَيْءٍ، وَالْأَسْبَابُ لِحُصُولِهَا قَدْ توفَّرت؟! فَإِنَّ حَاجَةَ الْعِبَادِ وَضَرُورَتَهُمْ مِنْ أَسْبَابِ رَحْمَتِهِ، وَكَذَا الدُّعَاءُ بِحُصُولِ الْغَيْثِ وَالرَّجَاءِ فِي اللَّهِ مِنْ أَسْبَابِهَا، وَقَدْ جَرَتْ عَادَتُهُ سُبْحَانَهُ فِي خَلْقِهِ أَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ الْيُسْرَ مَعَ الْعُسْرِ، وَأَنَّ الشِّدَّةَ لَا تَدُومُ، فَإِذَا انضمَّ إِلَى ذَلِكَ قُوَّةُ الْتِجَاءٍ وَطَمَعٍ فِي فَضْلِ اللَّهِ، وَتَضَرُّعٌ إِلَيْهِ ودعاء؛ فتح اللهم عَلَيْهِمْ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لَا يَخْطُرُ عَلَى الْبَالِ. ".. [انتـــهى من "شرح العقيدة الواسطية" (١٦٩-١٧١).]

٣٩٩ حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَهُ الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه ٧٨/١. وانظر: "يَضْحَكُ اللَّهُ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ، وَقُرْبِ غِيَرِهِ"؛ ص ٦٤.

٤٠٠ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "عِجِبَ ربُّنا من قُنوطِ عبادِهِ وقُربِ غِيَرِهِ"؛ [صَحَّحَهُ الشيخ ابن عثيمين، في تفسير الفاتحة والبقرة ٢٦٧/٢].

يضحك": يظل يضحك من هذه الحال العجيبة الغريبة؛ كيف تقنط من رحمة أرحم الراحمين الذي يقول للشيء: كنْ. فيكون؟. "يعلم أن فرجكم قريب"، أي: زوال شدتكم قريب. {{وفي هذا الحديث عدة صفات: -العجب، لقوله: "عجب ربنا من قنوط عباده"، وقد دلَّ على هذه الصفة القرآن الكريم، قال الله تعالى: {بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ} [الصافات: ١٢]؛ على قراءة ضم التاء. -وفيه أيضًا بيان قدرة الله عزَّ وجلَّ، لقوله: "وقرب غِيَره"، وأنه عزَّ وجلَّ تام القدرة، إذا أراد؛ غيَّر الحال من حال إلى ضدها في وقت قريب. -وفيه أيضًا إثبات النظر، لقوله: "ينظر إليكم." -وفيه إثبات الضحك، لقوله: "فيظل يضحك." -وكذلك العلم، "يعلم أن فرجكم قريب." -والرحمة؛ لأن الفرج من الله دليل على رحمة الله بعباده. وكل هذه الصفات التي دلَّ عليها الحديث يجب علينا أن نثبتها لله عزَّ وجلَّ حقًّا على حقيقتها، ولا نتأول فيها}}))[٤٠١].

- عَجِبَ ربُّنا تبارك وتعالى مِنْ رجلٍ قام مِنْ فِراشِه ولِحافِه إلى صلاتِهِ.
- عَجِبَ ربُّنا من رَجُلَيْنِ: {رجلٌ ثار عن وِطائِهِ ولِحافِهِ ....}، ورجلٌ غَزا في سبيلِ اللهِ، فانهزم مع أصحابِهِ، فَعَلِمَ ما عليه في الانهزامِ، وما له في الرجوعِ، فرجع حتى أُهَريقَ دَمُهُ؛ فعَنْ عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "عَجِبَ ربُّنا من رَجُلَيْنِ: رجلٌ ثار عن وِطائِهِ ولِحافِهِ من بينِ حِبِّهِ وأهلِهِ إلى صلاتِهِ، فيقولُ اللهُ لملائكتِهِ: انظُروا إلى عبدي؛ ثار عن فراشِهِ ووِطائِهِ من بينِ حِبِّهِ وأهلِهِ إلى صلاتِهِ، رغبةً فيما عندي، وشَفَقًا مما عندي، ورجلٌ غَزا في سبيلِ اللهِ، فانهزم مع أصحابِهِ، فَعَلِمَ ما عليه في الانهزامِ، وما له في الرجوعِ، فرجع حتى هُرِيقَ دَمُهُ، فيقولُ اللهُ – تعالى – لملائكتِهِ: انظُروا إلى عبدي، رجع رغبةً فيما عندي،

---

[٤٠١] شرح الواسطية العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى؛ ٢٦/٢-٣٠؛ دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية -الطبعة: السادسة، ١٤٢١ هـ.

وشَفَقًا مما عندي حتى هُرِيقَ دَمُهُ" [٤٠٢]، وفي رواية: "عَجِبَ ربُّنا عزَّ وجلَّ من رَجلٍ

٤٠٢ حديثٌ حسنٌ أو صحيحٌ؛ أخرجه الشيخ الألباني في تخريج مشكاة المصابيح ١٢٠٧؛ وقال عنه: حسن أو صحيح؛ أخرجه أحمد (٣٩٤٩)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٨٩٥/٢)، وابن حبان (٢٥٥٧) باختلاف يسير.
وفي رواية: "عجِب ربُّنا مِن رجُلينِ: رجلٍ ثار عن وِطائِه ولحافِه مِن بينِ حِبّه وأهلِه إلى صلاتِه فيقولُ اللهُ جلَّ وعلا لملائكتِه: انظُروا إلى عبدي ثار عن فراشِه ووِطائِه مِن بينِ حِبّه وأهلِه إلى صلاتِه رغبةً فيما عندي وشفقةً ممّا عندي، ورجلٍ غزا في سبيلِ اللهِ فانهزَم أصحابُه وعلِم ما عليه في الانهزامِ وما له في الرُّجوعِ فرجَع حتّى هُريقَ دمُه فيقولُ اللهُ لملائكتِه: انظُروا إلى عبدي رجَع رجاءً فيما عندي وشفقًا ممّا عندي حتّى هُريقَ دمُه" [حديثٌ صحيحٌ؛ صَحَّحَهُ الشيخ شعيب الأرنؤوط في تخريج صحيح ابن حبان ٢٥٥٨].

الخَوفُ مِنَ اللهِ تَعالى مِن أعمالِ القُلوبِ العَظيمةِ التي يَنبَغي على المُسلِمِ أنْ يَمتَلِئَ قَلبُه بها، فيَخافَ مِنَ اللهِ في كُلِّ وَقتٍ، فإذا تَمَكَّنَ ذلك مِن قَلبِه لم يُقَصِّرْ في طاعةٍ، ولم يَفعَلْ مَعصيةً. وفي هذا الحَديثِ يَقولُ النَّبيُّ صَلّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «عَجِبَ رَبُّنا مِن رَجُلَيْنِ»، أي: لِنَوعَيْنِ مِنَ الرِّجالِ، أو لِصِفةٍ في كُلِّ واحِدٍ منهما، وصِفةُ العَجبِ صِفةٌ مِن صِفاتِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ الفِعليَّةِ الخَبَرِيَّةِ الثابِتةِ له بالكِتابِ والسُّنَّةِ، ويُوصَفُ اللهُ تَعالى بها على ما يَليقُ بكَمالِه وجَلالِه، دونَ تَعطيلٍ أو تَحريفٍ، ودونَ تَمثيلٍ أو تَكييفٍ، وتَعَجُّبُه سُبحانَه هنا يَدُلُّ على الرِّضا عنِ العَمَلِ مع إعطاءِ الثَّوابِ عليه، فالنَّوعُ الأوَّلُ: «رَجُلٌ ثارَ عن وِطائِه»، أي: خَرَجَ مِن فِراشِه ومَكانِه الذي يَنامُ فيه، «ولِحافِه» وهو الثَّوبُ الذي يُغَطّى به النائِمُ «مِن بَينِ حِبِّه وأهلِه» وهذا أدْعى أنْ يَبقى العَبدُ في مَكانِ نَومِه يَستَمتِعُ بزَوجَتِه وما يُحِبُّه، ولكِنَّه تَرَكَ ذلك ثم قامَ «إلى صَلاتِه»؛ لِيُصلِّيَ تَقَرُّبًا للهِ، والمُرادُ بالصَّلاةِ: قيامُ اللَّيلِ، «فيَقولُ اللهُ جَلَّ وعَلا لِمَلائِكَتِه»؛ مُفاخِرًا ومُباهيًا بعَبدِه: «انظُروا إلى عَبدي، ثارَ عن فِراشِه ووِطائِه مِن بَينِ حِبِّه وأهلِه إلى صَلاتِه؛ رَغبةً فيما عِندي» مِنَ الثَّوابِ والأجْرِ والفَضلِ والجَنَّةِ والنَّعيمِ لِلطّائِعينَ، «وشَفَقةً ممّا عِندي» وخَوفًا ممّا عِندَ اللهِ مِنَ العِقابِ والعَذابِ لِغَيرِ الطّائِعينَ والغافِلينَ. والنَّوعُ الثّاني: «ورَجُلٌ غَزا في سَبيلِ اللهِ، فانهَزَمَ أصحابُه»، أي: انكَشَفوا لِلعَدوِّ حتى بَدَتِ الهَزيمةُ مُوشِكةً، «وعَلِمَ» هذا العَبدُ «ما عليه في الانهِزامِ» مِن حُرمةِ الفِرارِ ومِن عِقابِ اللهِ والذُّلِّ والعارِ «وما له في الرُّجوعِ» إلى المَعرَكةِ مع الكَرِّ والثَّباتِ في القِتالِ وعِظَمِ الثَّوابِ في ذلك، انتَصَرَ أو قُتِلَ، «فرَجَعَ حتى أُهريقَ دَمُه» والمُرادُ أنَّه كَرَّ وقاتَلَ بشَجاعةٍ، غَيرَ مُدبِرٍ، حتى قُتِلَ؛ لِيَفوزَ بالشَّهادةِ، «فيَقولُ اللهُ لِمَلائِكَتِه»؛ مُباهيًا به: «انظُروا إلى عَبدي، رَجَعَ رَجاءً فيما عِندي» مِنَ الأجْرِ والثَّوابِ «وشَفَقًا ممّا عِندي»، أيْ: خَوفًا مِنَ العَذابِ والعِقابِ «حتى أُهريقَ دَمُه» أُريقَ دَمُه وسالَ حتى قُتِلَ. وقدِ اجتَمَعَ لِهذَيْنِ الصِّنفَيْنِ مُعامَلةُ اللهِ سِرًّا فيما بَينَهما وبَينَه، مع الإخلاصِ والصِّدقِ، والمُحِبُّونَ للهِ يُحِبُّونَ ذلك أيضًا؛ عِلْمًا منهم باطِّلاعِه عليهم ومُشاهَدَتِه لهم، فهم يَكتَفونَ بذلك؛ لِأنَّهم عَرَفوه، فاكتَفَوْا به مِن بَينِ خَلقِه، وعامَلوه فيما بَينَه وبَينَهم مُعامَلةَ الشّاهِدِ غَيرِ

غزا في سبيلِ اللَّهِ فانهزَمَ يَعني أصحابَهُ فعَلِمَ ما علَيهِ، فرجعَ حتّى أُهَريقَ دمُهُ، فيَقولُ اللَّهُ تعالى لملائِكَتِهِ: انظُروا إلى عَبدي رجعَ رغبةً فيما عِندي، وشفقةً ممّا عِندي حتّى أُهَريقَ دمُهُ" [403].

- قال اللهُ تَبارَك وتعالى: عَجَبٌ لعَبْدي يَعلَمُ أنَّه لا يغفِرُ الذُّنوبَ غَيْري؛ فعـن عليِّ بنِ رَبيعةَ، قال: كُنتُ رِدْفَ عليٍّ رضِي اللهُ عنه، فلمّا وضَع رِجْلَه في الرِّكابِ قال: بسمِ اللهِ، فلمّا اسْتَوى قال: الحمدُ للهِ، {سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنا هَذا وَما كُنّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنّا إِلى رَبِّنا لَمُنْقَلِبُونَ} [الزخرف:١٣ - ١٤]، وقال أبو سعيدٍ مَوْلى بَني هاشمٍ: ثُم حمِد اللهَ ثلاثًا، واللهُ أكبرُ ثلاثًا، ثُم قال: سُبحانَ اللهِ ثلاثًا، ثُم قال: لا إلهَ إلّا أنتَ، ثُم رجَع إلى حديثِ وكيعٍ: سُبحانَكَ إنِّي ظلَمْتُ نفْسي، فاغفِرْ لي إنَّه لا يغفِرُ الذُّنوبَ إلّا أنتَ، ثُم ضحِك. قُلتُ: ما يُضحِكُكَ؟ قال: كُنتُ رِدْفًا لرسولِ

الغائِبِ، وهذا مَقامُ الإحسانِ. وفي الحديثِ: فَضلُ مَن باعَ نَفْسَه للهِ تَعالى. وفيه: فَضلُ قيامِ اللَّيلِ والتَّرغيبُ فيه. وفيه: فَضلُ الغَزوِ في سَبيلِ اللهِ، والكَرِّ على الأعداءِ.

٤٠٣ حديثٌ حسنٌ؛ حَسَّنَهُ الشيخ الألباني في صحيح أبي داود ٢٥٣٦.

الخوفُ مِن اللهِ تعالى من أعمالِ القُلوب العَظيمةِ التي يَنبَغي على المُسلمِ أنْ يَمتلئَ قلبُه بها، فيخاف من الله في كُلِّ وقتٍ وحِينٍ، فإذا تَمكَّنَ ذلك من قلبِه لمْ يُقَصِّرْ في طاعةٍ، ولمْ يفعلْ مَعصِيةً. وفي هذا الحديثِ يقولُ النبيُّ صَلّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «عَجِبَ رَبُّنا عزَّ وجلَّ من رَجُلٍ»، وصِفةُ العَجَبِ صِفةٌ من صِفاتِ الله عزَّ وجلَّ الفِعليَّة الخَبَرِيَّة الثّابتةِ له بالكتابِ والسُّنَّة، ويُوصَفُ اللهُ تعالى بها على ما يَليقُ بكَمالِه وجلالِه، دون تَعطيلٍ أو تحريف، ودونَ تَمثيلٍ أو تكييف. «غَزا في سبيل الله» أي: حاربَ أعداءَ الله، «فانْهَزَم»، أي: غُلِب وهرَب- يعني: أصحابه- «فَعَلِمَ» هذا الرَّجُل، «ما عليه» من حقِّ الله تعالى، ومن حُرْمَةِ الفِرار، «فَرَجَعَ» إلى قِتال الكُفّار وَحْدَه فقاتَل، «حتّى أُهْرِيقَ»، أي: أُرِيقَ وصُبَّ دَمُهُ، «فيقول اللهُ تعالى» مُباهِيًا به ملائكتَه: «انظُروا إلى عبْدِي»، أي: نَظَرَ تَعَجُّبٍ؛ «رَجَعَ» إلى قِتال الكُفّار بعدَما هَرَبَ، «رَغْبَةً فيما عندي» من الأجرِ والثواب، «وشَفَقَةً»، أي: خوفًا، «ممّا عندي»، أي: من العَذاب والعِقاب، «حتّى أُهْرِيقَ دَمُهُ»، أي: أُرِيقَ دَمُهُ وصُبَّ حتّى قُتِلَ. {وفي الحديثِ: فَضْلُ مَنْ باع نَفْسَه لله تعالى. وفيه: أنَّ خوفَ العبدِ ورجاءَه من الله فيه النَّجاةُ}.

اللّهِ صَلّى اللّهُ عليه وسلَّمَ ففعَل كالذي رأيْتَني فعَلْتُ، ثُم ضحِك، قُلتُ: يا رسولَ اللّهِ، ما يُضحِكُكَ؟ قال: قال اللّهُ تبارَك وتعالى: عَجَبٌ لعَبْدي يَعلَمُ أنَّه لا يغفِرُ الذُّنوبَ غَيْري. [٤٠٤]، وفـي روايـة: شَهدتُ عليًّا رضِيَ اللَّهُ عنهُ وأُتِيَ بدابَّةٍ ليَرْكبَها فلمّا وضعَ رِجلَه في الرِّكابِ قالَ بسمِ اللَّهِ فلمّا استوى على ظَهرِها قالَ الحمدُ للَّه ثمَّ قالَ {سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنا هَذا وَما كُنّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنّا إِلى رَبِّنا لَمُنْقَلِبونَ} ثمَّ قالَ الحمدُ للَّهِ - ثلاثَ مرّاتٍ - ثمَّ قالَ اللَّهُ أَكبرُ - ثلاثَ مرّاتٍ - ثمَّ قالَ سبحانَك إنِّي ظلمتُ نفسِي فاغفِر لي فإنَّهُ لا يغفِرُ الذُّنوبَ إلّا أنتَ ثمَّ ضحِك فقيلَ يا أميرَ المؤمنينَ من أيِّ شيءٍ ضحِكتَ قالَ رأيتُ النَّبيَّ صَلّى اللّهُ عليه وسلَّمَ فعلَ كما فعَلتُ ثمَّ ضحِك فقلتُ يا رسولَ اللَّهِ من أيِّ شيءٍ ضحِكتَ قالَ إنَّ ربَّكَ يعجَبُ من عبدِه إذا قالَ اغفِر لي ذنوبي يعلَمُ أنَّهُ لا يغفرُ الذُّنوبَ غيري [٤٠٥].

---

٤٠٤ حديثٌ حسنٌ لغيره؛ أخرجهُ الشيخ شعيب الأرنؤوط في تخريج المسند ١٠٥٦؛ وقال عنه: حسن لغيره؛ أخرجه أبو داود ٢٦٠٢، والترمذي ٣٤٤٦، والنسائي «السنن الكبرى» (٨٧٩٩) باختلاف يسير، وأحمد (١٠٥٦) واللفظ له.

٤٠٥ حديثٌ صحيحٌ؛ صَحَّحَهُ الشيخ الألباني في صحيح أبي داود ٢٦٠٢.

كان الصَّحابةُ رِضوانُ اللهِ عليهم يَحرِصونَ على اتباعِ النَّبيِّ صَلّى اللهُ عليه وسلَّمَ والاهتداءِ بهَدْيِه في كلِّ شُؤونِه، حتّى إنَّ أحَدَهُم كان يَتَّبِعُه في حَركاتِه وسكَناتِه، وفي ذلك أنَّ عليَّ بنَ أبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عنه أُتِي له بدابَّةٍ ليَرْكَبَها، فلمّا أنْ «وَضَع رِجلَه في الرِّكابِ»، الرِّكابُ: مَدْخلُ القَدَمِ مِنْ سَرْجِ الدّابَّةِ يُعينُه على امْتِطائِها ورُكوبِها، قال عليٌّ: «بِسْمِ اللهِ»، أي: مُستَعينًا باللهِ على رُكوبِها، «فلمّا اسْتوى»، أي: اسْتقرَّ، على ظَهْرِها «قال: الحمدُ للهِ، ثمَّ قال» دُعاءَ رُكوبِ الدّابَّةِ: «سُبْحانَ الَّذي سَخَّرَ لنا هذا»، أي: ذَلَّلَ لنا تلك الدَّوابَّ لرُكوبِها، «وما كُنّا له مُقْرِنينَ»، أي: مُطيقينَ وقادِرينَ على اسْتِعمالِه لولا تَسخيرُ اللهِ عزَّ وجلَّ إيّاهُ لنا، «وإنّا إلى ربِّنا لَمُنقلِبونَ»، أي: راجعونَ إليه، ثمَّ حَمِدَ اللهَ ثلاثًا، ثمَّ كبَّر اللهَ ثلاثًا، ويقولُها ثلاثًا؛ إشعارًا بعِظَمِ جلالِ اللهِ سُبْحانَه، «ثمَّ قال: سُبْحانَكَ إنِّي ظَلَمْتُ نَفْسي»، أي: بما فَعَلتُ من ذنوبٍ؛ «فاغْفِرْ لي؛ فإنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنوبَ إلّا أنتَ، ثمَّ ضَحِكَ» عليٌّ رَضِيَ اللهُ عنه، فقيل له: «مِن أيِّ شيءٍ ضَحِكتَ؟»، فقال عليٌّ رَضِيَ اللهُ عنه: «رأيتُ النَّبيَّ صَلّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَعَلَ كما فعلتُ»، أي: مِنْ ركوبِه للدّابَّةِ وحَمْدِه للهِ وتَكْبيرِه ودُعائِه، «ثمَّ ضَحِكَ»، فسأل عليٌّ النَّبيَّ صَلّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «يا رسولَ اللهِ، مِن أيِّ شيءٍ ضَحِكتَ؟» فأجابَه النَّبيُّ

- إنَّ اللهَ تبارك وتعالى لَيعجبُ من الصلاةِ في الجُمَعِ {من عباده وهم مجتمعون لأداء الصلاة، وهذا يدلّ على محبّة الله لها، ولمَن يُصلّيها}؛ فعَنْ عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إنَّ اللهَ لَيعجبُ من الصلاةِ في الجُمَعِ" [٤٠٦]، وفي رواية: "إنَّ اللهَ تبارك وتعالى لَيعجبُ من الصلاةِ في الجُمَعِ" [٤٠٧].
- إنَّ اللهَ لَيَعْجَبُ من مداعبةِ الرجلِ زوجتَه؛ فعَنْ أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إنَّ اللهَ لَيَعْجَبُ من مداعبةِ الرجلِ زوجتَه، ويكتبُ لهما بذلك أجرًا، ويجعلُ لهما بذلك رِزْقًا حلالًا" [٤٠٨].

صَلّى اللهُ عليه وسلَّمَ قائلًا: «إنَّ ربَّكَ يَعْجَبُ مِنْ عَبْدِه، إذا قال: اغْفِرْ لي ذُنوبي، يَعْلَمُ»، أي: العَبدُ، «أنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنوبَ غيري»، فاسْتَوجَبَ ذلك ضَحِكَ النَّبيِّ صَلّى اللهُ عليه وسلَّمَ وسُرورَه؛ لبُلوغِ العَبْدِ عَجَبَ اللهِ عزَّ وجلَّ منه. {وفي الحديثِ: بيانٌ لأهمِّيَّةِ استِغْفارِ اللهِ عزَّ وجلَّ. وفيه: فيه إثباتُ صِفةِ العَجَب للهِ عزَّ وجلَّ، وهو عَجبٌ يليقُ بذاتِه وكمالِه وجلالِه سبحانَه، وليس كعجبِ المخلوقين}.

٤٠٦ حديثٌ حسنٌ؛ حَسَّنَهُ الشيخ الألباني في صحيح الجامع ١٨٢٠.

٤٠٧ حديثٌ حسنٌ؛ حَسَّنَهُ الشيخ الألباني في صحيح الترغيب ٤٠٦.

٤٠٨ حديثٌ ضعيفٌ؛ ضَعَّفَهُ الشيخ الألباني في ضعيف الجامع ١٦٥٩.

إِنَّ اللهَ لَيَمْشِي وَيُهَرْوِلُ (المَشْيِ وَالهَرْوَلَةُ) [٤٠٩]

ما الذي يَجْعَلُ اللهَ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ يَمْشِي وَيُهَرْوِلُ؟

المَشْيِ وَالهَروَلَةُ: صفتان فعليتان خبريَّتان ثابتتان للهِ عزَّ وجلَّ بالأحاديث الصحيحة.

الدليل:

١. عَنْ أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يقولُ اللَّهُ تَعالى: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وأنا معهُ إذا ذَكَرَنِي، فإنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وإنْ ذَكَرَنِي في مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ في مَلَإٍ خَيْرٍ منهمْ، وإنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ بشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ ذِراعًا، وإنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ ذِراعًا تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ باعًا، وإنْ أتانِي يَمْشِي أتَيْتُهُ هَرْوَلَةً" [٤١٠].

٢. الحديث القدسي: "قال اللهُ عزَّ وجلَّ: يا ابنَ آدمَ! قُمْ إليَّ أَمْشِ إليكَ، وامْشِ إليَّ أُهَرْوِلْ إليكَ" [٤١١].

قال أبو إسماعيل الهروي: (باب الهَرْوَلَةِ لله عزَّ وجلَّ) [٤١٢]، ثم أورد الحديث، وقال أبو إسحاق الحربي بعد أن أورد حديث أبي هريرة: (قولـه: هَرْوَلَة: مشيٌ سريع) [٤١٣] ، وقال أبو موسى المديني في الحديث عن الله تبارك وتعالى: (من أتاني يمشي؛ أتيته هَرْوَلَة: وهي مشي

---

٤٠٩ في كل ما ثبت لله جل جلاله من الأسماء والصفات؛ فإنّ ذلك كله لائق برب العالمين جل جلاله، يوصف به على وجه الكمال والجمال والجلال، لا يشبه في ذلك أحدا من خلقه، ولا يشبهه أحد من خلق؛ قال تعالى: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)) [الشورى: ١١]، فلا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل لصفات الله سبحانه، بل نثبتها كما جاءت في النصوص، ولا يجوز تأويلها عن ظاهرها ولا يجوز تشبيه الله بخلقه. {انظر: [الهامش رقم ٤٠ ص ٥٢]}.

٤١٠ حديثٌ صحيحٌ: متفق عليه؛ أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢ - ٢٦٧٥) باختلاف يسير.

٤١١ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب ٣١٥٣ وفي صحيح الجامع ٤٣٤٠.

٤١٢ الأربعون في دلائل التوحيد؛ ص ٧٩.

٤١٣ غريب الحديث؛ ٢/٦٨٤.

سريع، بين المشي والعدو) [٤١٤]،وهذا إثبات منهما رحمهما الله للصِّفة على حقيقتها وهي المشي السريع، وقال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي: (وقد أجمعنا على أنّ الحركة والنزول والمشي والهرولة والاستواء على العرش، وإلى السماء قديم، والرضى، والفرح والغضب والحب، والمقت كلها أفعال في الذات للذات، وهي قديمة) [٤١٥]، وقال ابن القيم: (قال تعالى في آلهة المشركين المعطّلين: {أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا}، فجعل سبحانه عدم البطش والمشي والسمع والبصر دليلاً على عدم إلهية من عُدِمَتْ فيه هذه الصفات، فالبطش والمشي من أنواع الأفعال، والسمع والبصر من أنواع الصفات، وقد وصف نفسه سبحانه بضد صفة أربابهم وبضد ما وصفه به المعطلة والجهمية) [٤١٦]، وقد ورد في فتوى من فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالسعودية ما يلي: "(س: هل لله صفة الهَرْوَلَة؟ ج: الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه... وبعد: نعم؛ صفة الهَرْوَلَة على نحو ما جاء في الحديث القدسي الشريف على ما يليق به، قال تعالى: ((إذا تقرب إليّ العبد شبراً؛ تقربت إليه ذراعاً، وإذا تقرب إليّ ذراعاً؛ تقربت منه باعاً، وإذا أتاني ماشياً؛ أتيته هَرْوَلَة)). رواه البخاري، ومسلم. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم)" [٤١٧]، وقال الشيخ عبد العزيز بن باز: (... تقربه إلى عباده العابدين له والمسارعين لطاعته، وتقربه إليهم لا يشابه تقربهم، وليس قربه منهم كقربهم منه، وليس مشيه كمشيهم، ولا هرولته كهرولتهم، بل هو شيء يليق بالله لا يشابه فيه خلقه سبحانه وتعالى كسائر الصفات، فهو أعلم بالصفات وأعلم بكيفيتها عزَّ وجلَّ.... المعنى يجب إثباته لله من التقرب، والمشي والهرولة، يجب إثباته لله

٤١٤ المجموع المغيث؛ ٩٦/٣.

٤١٥ نقض الدارمي على المريسي؛٥٦١/١.

٤١٦ الصواعق المرسلة؛ ٩١٥/٣.

٤١٧ الفتوى (رقم ٦٩٣٢) من فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (١٤٢/٣). وقد وقَّعَ على هذه الفتوى كلٌّ من المشايخ: عبد العزيز بن باز، عبد الرازق عفيفي، عبد الله بن غديان، عبد الله بن قعود.

على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى، من غير أن يشابه خلقه في شيء من ذلك) [418]، وقال الشيخ محمد العثيمين: (صفة الهَرْوَلَة ثابتة لله تعالى؛ كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال: ((يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي به .... (فذكر الحديث، وفيه:) وإن أتاني يمشي؛ أتيته هَرْوَلَة))، وهذه الهَرْوَلَةُ صفة من صفات أفعاله التي يجب علينا الإيمان بها من غير تكييف ولا تمثيل؛ لأنه أخبر بها عن نفسه، فوجب علينا قبولها بدون تكييف، لأنَّ التكييف قول على الله بغير علم، وهو حرام، وبدون تمثيل؛ لأنَّ الله يقول: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}) [419]، وقال: (من المعلوم أن السلف يؤمنون بأنّ الله تعالى يأتي إتياناً حقيقياً للفصل بين عباده يوم القيامة على الوجه اللائق به، كما دلَّ على ذلك كتاب الله تعالى، وليس في هذا الحديث القدسي إلا أن إتيانه يكون هرولة لمن أتاه يمشي، فمن أثبت إتيان الله تعالى، حقيقة لم يشكل عليه أن يكون شيء من هذا الإتيان بصفة الهرولة على الوجه اللائق به. وأي مانع يمنع من أن نؤمن بأنّ الله تعالى يأتي هرولة، وقد أخبر الله تعالى به عن نفسه وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير. وليس في إتيان الله تعالى هرولة على الوجه اللائق به بدون تكييف ولا تمثيل شيء من النقص، حتى يقال: إنّه ليس ظاهر الكلام، بل هو فعل من أفعاله يفعله كيف يشاء) [420]، وقال: (أما قوله: "وإن أتاني يمشي أتيته هرولة" فهذا - أيضاً - اختلف فيه العلماء، هل هو على حقيقته، أو لا؟، فقيل: إنّه على حقيقته، ونحن إذا مشينا نعرف كيف نمشي، أما الله عزَّ وجلَّ فإننا لا نعرف كيفية مشيه، ولا مانع أن الله يمشي يقابل المتجه إليه، فيقابله إذا أتى يمشي بهرولة. ويقال: إن الذي يأتي سيأتي على صفة، ولا بد إذا كان الله يأتي حقيقة فإنّه لا بد أن يأتي على صفة،

---

٤١٨ فتاوى نور على الدرب؛ ٦٧/١.

٤١٩ الجواب المختار لهداية المحتار؛ ص ٢٤.

٤٢٠ مجموع الفتاوى والرسائل؛ ١٨٨/١.

هرولة أو غير هرولة، فإذا قال عن نفسه: "أتيته هرولة". قلنا: ما الذي يمنع أن يكون إتيانه هرولة إذا كنا نؤمن بإتيانه حقيقة، فإذا كان يأتي حقيقة فلا بد أن يكون إتيانه على صفة من الصفات، فإذا أخبرنا أنّه يأتي هرولة، قلنا: آمنا بالله) [٤٢١].

والله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ يَمْشِي وَيُهَرْوِلُ متى شاء وليس لذلك حصر، فتعالى وتبارك الله سبحانه عزَّ وجلَّ أن يحيط أحد بمعرفته {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [سورة طه: ١١٠]، سبحانه وتعالى {يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [سورة الرحمن: ٢٩]، وقد وردت أدلة من السنّة الصحيحة تدل على بعض هذه الأسباب والأعمال والمواطن الجالبة لمَشْيِ وَهَروَلَةِ الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ؛ ومن ذلك:

١. يقولُ اللَّهُ تَعالى: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، ... ، وإنْ أتانِي يَمْشِي أتَيْتُهُ هَرْوَلَةً؛ عَنْ أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يقولُ اللَّهُ تَعالى: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وأنا معهُ إذا ذَكَرَنِي، فإنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وإنْ ذَكَرَنِي في مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ في مَلَإٍ خَيْرٍ منهمْ، وإنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ بشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ ذِراعًا، وإنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ ذِراعًا تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ باعًا، وإنْ أتانِي يَمْشِي أتَيْتُهُ هَرْوَلَةً" [٤٢٢].

---

٤٢١ شرح صحيح البخاري؛ ٣٧٧/٨.

٤٢٢ حديثٌ صحيحٌ: متفق عليه؛ أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢ - ٢٦٧٥) باختلاف يسير.

يقول اللَّهُ سُبحانَهُ وَتَعالى: أنا عند ظَنِّ عبدي بي، يَعني: أنَّ اللَّهَ عِندَ ظَنِّ عَبدِه به، إنْ ظَنَّ بِه خَيْرًا فَلَه، وإنْ ظَنَّ بِه سِوى ذلك فَلَه، ولكِنْ مَتى يُحسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عزَّ وجلَّ؟

يُحسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ إذا فَعَلَ ما يُوجِبُ فَضْلَ اللَّهِ وَرَجاءَه، فَيَعمَلُ الصّالِحاتِ، ويُحسِنُ الظَّنَّ بأنَّ اللَّهَ تَعالى يَقبَلُه، أَمّا أنْ يُحسِنَ الظَّنَّ وهو لا يَعمَلُ، فهٰذا مِن بابِ التَّمَنِّي على اللَّهِ، وَمَن أَتْبَعَ نَفسَه هَواها، وتَمَنّى على اللَّهِ الأَماني فهو عاجِزٌ، وأنا مَعَه إذا ذَكَرَني، فإنْ ذَكَرَني بالتَّسبيحِ والتَّهليلِ أو غيرِها في نَفْسِه، أي: مُنفرِدًا عن النّاسِ، ذَكَرْتُه في نَفْسي، وإنْ ذَكَرَني في مَلَأٍ، أي: في جَماعةٍ مِن النّاسِ، ذَكَرْتُه في مَلَأٍ خَيرٍ مِنهُم، وهُم المَلَأُ الأعلى، وإنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ بِشِبرٍ تَقَرَّبْتُ إلَيهِ ذِراعًا، وإنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ ذِراعًا تَقَرَّبْتُ إلَيهِ باعًا، وإنْ أتاني يَمْشي

٢. قال اللّٰهُ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: يا ابنَ آدمَ! قُمْ إِلَيَّ أَمْشِ إليكَ، وامْشِ إِلَيَّ أُهَرْوِلْ إليكَ؛ ففي الحديث القدسي؛ عن شريح هو ابن الحارث قال سمعت رجلا من أصحاب النبي صلى اللّٰه عليه وسلم يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم: "قال اللّٰهُ عزَّ وجلَّ: يا ابنَ آدمَ! قُمْ إِلَيَّ أَمْشِ إليكَ، وامْشِ إِلَيَّ أُهَرْوِلْ إليكَ" [٤٢٣].

أَتَيْتُهُ هَرولَةً. في هذه الجُمَلِ الثَّلاثِ بَيانُ فَضْلِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وأنَّه يُعطي أكثَرَ ممَّا فُعِلَ مِن أجلِهِ، أي: يُعْطي العامِلَ أكثَرَ ممَّا عَمِلَ. {في الحديثِ: التَّرغيبُ في حُسْنِ الظَّنِّ باللهِ تَعالى. وفيه: إثباتُ أنَّ لِلَّهِ تعالى نَفْسًا وذاتًا. وفيه: فَضْلُ الذِّكْرِ سِرًّا وعَلانيةً. وفيه: أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُجازي العَبْدَ بِحَسبِ عَمَلِه}.

٤٢٣ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب ٣١٥٣ وفي صحيح الجامع ٤٣٤٠.

إِنَّ اللهَ لَيُبَاهِي (المُبَاهَاةُ) [٤٢٤]

ما الذي يَجْعَلُ اللهَ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ يُبَاهِي؟

المُبَاهَاةُ: صفةٌ فعلِيَّةٌ ثابتةٌ لله عزَّ وجلَّ بالسُّنَّة الصحيحة.

الدليل:

١. عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: خَرَجَ مُعاوِيَةُ على حَلْقَةٍ في المَسْجِدِ، فَقالَ: ما أَجْلَسَكُمْ؟ قالوا: جَلَسْنا نَذْكُرُ اللَّهَ، قالَ آللَّهِ ما أَجْلَسَكُمْ إلّا ذاكَ؟ قالوا: واللَّهِ ما أَجْلَسَنا إلّا ذاكَ، قالَ: أَما إنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وما كانَ أَحَدٌ بمَنْزِلَتي مِن رَسولِ اللهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ أَقَلَّ عنْه حَدِيثًا مِنِّي، وإنَّ رَسولَ اللهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ خَرَجَ على حَلْقَةٍ مِن أَصْحابِهِ، فَقالَ: "ما أَجْلَسَكُمْ؟" قالوا: جَلَسْنا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ على ما هَدانا لِلإِسْلامِ، وَمَنَّ به عَلَيْنا، قالَ: "آللَّهِ ما أَجْلَسَكُمْ إلّا ذاكَ؟" قالوا: واللَّهِ ما أَجْلَسَنا إلّا ذاكَ، قالَ: "أَما إنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتانِي جِبْرِيلُ فأخْبَرَنِي، أنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُباهِي بكُمُ المَلائِكَةَ" [٤٢٥].

---

٤٢٤ في كل ما ثبت لله جل جلاله من الأسماء والصفات؛ فإنّ ذلك كله لائق برب العالمين جل جلاله، يوصف به على وجه الكمال والجمال والجلال، لا يشبه في ذلك أحدا من خلقه، ولا يشبهه أحد من خلق؛ قال تعالى: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)) [الشورى: ١١]، فلا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل لصفات الله سبحانه، بل نثبتها كما جاءت في النصوص، ولا يجوز تأويلها عن ظاهرها ولا يجوز تشبيه الله بخلقه. {انظر: [الهامش رقم ٤٠ ص ٥٢]}.

٤٢٥ حديثٌ صحيحٌ: صحيح مسلم ٤٠ - ٢٧٠١.

في هذا الحَديثِ: خَرَجَ مُعاويَةُ رضِيَ اللهُ عنه على حَلْقَةٍ في المَسجِدِ اجْتَمَعوا على الذِّكْرِ فَسأَلَهُم: ما أَجْلَسَكُمْ؟ أي: ما السَّبَبُ الدّاعِي إلى جُلوسِكم على هَذه الهيئَةِ ها هُنا؟ فقالوا: جَلَسْنا نَذْكُرُ اللهَ، فاسْتَحْلَفَهم رضِيَ اللهُ عنه أنَّهم ما أَرادوا إلّا ذلك، فحَلَفوا له، فَقالَ: ما أَسْتَحلِفُكُمْ تُهْمَةً لكُمْ بالكَذِبِ؛ لأنَّه خِلافُ حُسْنِ الظَّنِّ بالمؤمنينَ، لكِنْ أَردتُ المُتابَعَةَ، أي: المُشابَهَةَ، فيما وَقَعَ له صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ مع الصَّحابةِ. (وما كانَ أَحَدٌ

٢. عن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: إنَّ رَسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "ما مِن يَومٍ أَكْثَرَ مِن أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فيه عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِن يَومِ عَرَفَةَ، وإنَّه لَيَدْنُو، ثُمَّ يُباهِي بهِمِ المَلائِكَةَ، فيَقولُ: ما أَرادَ هَؤُلاءِ؟" [٤٢٦].

قال الفضيل بن عياض: "ليس لنا أن نتوهم في الله كيف وكيف، لأن الله وصف نفسه فأبلغ فقال: {قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد}، فلا صفة أبلغ مما وصف الله عزَّ وجلَّ به نفسه، وكل هذا النزول والضحك وهذه المباهاة وهذا

بِمَنْزِلَتِي)، أي: بِمَنْزِلَةِ قُربي (مِن رَسولِ اللهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ)؛ لِكَوْنِهِ مَحرمًا لِأُمِّ حَبيبةَ أُخْتِهِ مِن أُمَّهاتِ المؤمنينَ، ولِكَونِه مِن كَتَبَةِ الوَحْيِ، ومعَ ذلك فقَدْ كانت رِوايتُه لِلحديثِ قَليلةً، لكِنَّ هذا المَنْظَرَ الَّذي رآه دَعاهُ لِروايةِ هذا الحديثِ، وهو أنَّ النَّبيَّ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ خَرَجَ يومًا على أصحابِه، فقالَ: (ما أَجْلَسَكُمْ هاهنا؟)، قالوا: جَلَسْنا نَذكُرُ اللهَ ونَحْمَدُه على ما هَدانا للإسلامِ، ومَنَّ بِه عَلَيْنا مِن بَيْنِ الأَنامِ، فاسْتَحْلَفَهم النَّبيُّ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: (ما أَجْلَسَكُمْ إلّا ذلك؟)، أي: دون غَيرِه مِنَ الأَعراضِ والأَغراضِ، فقالوا: واللهِ ما أَجْلَسَنا إلّا ذاك! قال: (أَمّا إِنِّي لم أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهمةً لكم، ولكِنَّه أَتاني جِبريلُ فَأَخبَرَني أَنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُباهي بِكُمُ الملائكَةَ)، ومَعْناهُ: يُظهِرُ فَضلَكُمْ لهم ويُرِيهم حُسنَ عَمَلِكم، ويُثْنِي عَليكُمْ عِندَهُم. {وفي الحَديثِ: فَضيلَةُ الاجتماعِ عَلى ذِكرِ اللهِ}.

٤٢٦ حديثٌ صحيحٌ: صحيح مسلم ٤٣٦ - ١٣٤٨.

فَضَّلَ اللهُ بعضَ الأيّامِ عَلى بعضٍ وَمِن تِلكَ الأيّامِ الفاضلَةِ يومُ عَرفةَ، فله فَضائلُ كثيرةٌ، ومرَّ بِه حَوادثُ عَظيمةٌ للإسلامِ. فلمّا كان الحجُّ عَرفةَ، والحجُّ يَهدِمُ ما قبلَه، كانَ ما في يَومِ عَرفةَ مِن الخَلاصِ عنِ العذابِ، والعِتقِ منَ النّارِ أَكثرَ ما يَكونُ في سائرِ الأيّامِ، وإنَّه سُبحانَه وتَعالى لَيدنو ثُمَّ يُباهي بمَنْ بِعرفةَ المَلائكةَ؛ فاللهُ سُبحانَه وتَعالى يُباهي بأَهلِ عَرفةَ المَلائكةَ، مَعناه: يُظهرُ فَضلَهم لهم وُيرِيهِم حُسْنَ عَملِهم ويُثني عَليهم عِندَهم، وأَصلُ البَهاءِ الحُسنُ والجَمالُ. فيقول: ما أَراد هَؤلاءِ؟ أي: أيُّ شيءٍ أَراد هَؤلاءِ حيثُ تَركوا أَهلَهم وأَوطانَهم وصَرَفوا أَموالَهم وأَتعَبوا أَبدانَهم؟ أي: ما أَرادوا إلّا المَغفرةَ والرِّضا، وَهذا يَدُلُّ عَلى أَنَّهم مَغفورٌ لَهم لأنَّه لا يُباهى بأَهلِ الخَطايا والذُّنوبِ إلّا مِن بَعدِ التَّوبةِ والغُفرانِ. {في الحَديثِ: إثباتُ صِفةِ الدُّنوِّ للهِ سُبحانَه وتَعالى كَما تَليقُ بجَلالِه وعَظمتِه. وَفيه: إثباتُ صِفةِ المُباهاةِ للهِ سُبحانَه وتَعالى كَما تَليقُ بِجلالِه وعَظمتِه}.

الاطلاع، كما شاء أن ينزل، وكما شاء أن يباهي، وكما شاء أن يطَّلع، وكما شاء أن يضحك، فليس لنا أن نتوهم أن كيف وكيف وإذا قال لك الجهمي: أنا أكفر برب ينزل عن مكانه، فقل أنت: أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء" [٤٢٧]، وقال ابن القـــيم: "إن الله عزَّ وجلَّ يباهي بالذاكرين ملائكته، كما روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: ... -وذكر الحديث المتقدم- ثم قال: فهذه المباهاة من الرب تبارك وتعالى دليل على شرف الذكر عنده ومحبته له وأن له مزية على غيره من الأعمال" [٤٢٨]، ومعنى المباهاة في اللغة المفاخرة. قال الحميدي: "المباهاة: الـمُفَاخَرَة، وَهِي من الله ثَنَاءٌ وتفضيل" [٤٢٩]، وقال النووي: "إن الله عزَّ وجلَّ يباهي بكم الملائكة معناه يظهر فضلكم لهم ويريهم حسن عملكم ويثني عليكم عندهم وأصل البهاء الحسن والجمال وفلان يباهي بماله أي يفخر ويتجمل بهم على غيرهم ويظهر حسنهم" [٤٣٠].

والله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ يُباهِي متى شاء وليس لذلك حصر، فتعالى وتبارك الله سبحانه عزَّ وجلَّ أن يحيط أحد بمعرفته {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [سورة طه: ١١٠]، سبحانه وتعالى {يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [سورة الرحمن: ٢٩]، وقد وردت أدلة من السنّة الصحيحة تدل على بعض هذه الأسباب والأعمال والمواطن الجالبة لمُبَاهَاةِ الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ؛ ومن ذلك:

١. إنّ الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ يباهي بالذاكرين ملائكته {يُظهرُ فَضلَهم لهم وُيريهم حُسْنَ عَمَلِهم ويُثني عَليهم عِندَهم}؛ فعن أبي سعـــيد الخـــــدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛

---

٤٢٧ درء تعارض العقل والنقل؛ ٢٤/٢.

٤٢٨ الوابل الصيب؛ ٧٤/١.

٤٢٩ تفسير غريب ما في الصحيحين؛ ٤١٩/١.

٤٣٠ شرح مسلم؛ ٢٣/١٧.

قال: خَرَجَ مُعاوِيَةُ على حَلْقَةٍ في المَسْجِدِ، فَقالَ: ما أَجْلَسَكُمْ؟ قالوا: جَلَسْنا نَذْكُرُ اللَّهَ، قالَ آللَّهِ ما أَجْلَسَكُمْ إلّا ذاكَ؟ قالوا: واللَّهِ ما أَجْلَسَنا إلّا ذاكَ، قالَ: أَما إنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَما كانَ أَحَدٌ بمَنْزِلَتي مِن رَسولِ اللهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ أَقَلَّ عنْه حَدِيثًا مِنِّي، وإنَّ رَسولَ اللهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ خَرَجَ على حَلْقَةٍ مِن أَصْحابِهِ، فَقالَ: "ما أَجْلَسَكُمْ؟" قالوا: جَلَسْنا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ على ما هَدانا لِلإِسْلامِ، وَمَنَّ به عَلَيْنا، قالَ: "آللَّهِ ما أَجْلَسَكُمْ إلّا ذاكَ؟" قالوا: واللَّهِ ما أَجْلَسَنا إلّا ذاكَ، قالَ: "أَما إنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتانِي جِبْرِيلُ فأخْبَرَنِي، أنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُباهِي بكُمُ المَلائِكَةَ" [431].

٢. إنّ الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ لَيدنو ثُمَّ يُباهي بمنْ بِعرفةَ {بأَهلِ عَرفةَ} المَلائكةَ؛ فيُظهرُ فَضلَهم لهم وُيريهِم حُسْنَ عَملِهم ويُثْني عَليهم عِندَهم؛ فعن عائشة أم المؤمنين

٤٣١ حديثٌ صحيحٌ: صحيح مسلم ٤٠ - ٢٧٠١.

في هذا الحَديثِ: خَرَجَ مُعاويَةُ رضِي اللهُ عنه على حَلْقَةٍ في المَسجِدِ اجْتَمَعوا على الذِّكرِ فَسألَهُم: ما أَجْلَسَكُمْ؟ أي: ما السَّبَبُ الدّاعي إلى جُلوسِكم على هَذه الهيئَةِ هاهُنا؟ فقالوا: جَلَسْنا نَذْكُرُ اللهَ، فاسْتَحلَفَهم رضِي اللهُ عنه أَنَّهم ما أَرادوا إلّا ذلك، فحلَفوا له، فَقالَ: ما أَسْتَحْلِفُكم تُهْمَةً لكُمْ بالكَذِبِ؛ لأنَّه خِلافُ حُسْنِ الظَّنِّ بالمؤمنينَ، لَكِنْ أَردتُ المُتابَعَةَ، أي: المُشابَهَةَ، فيما وَقَعَ له صَلّى اللهُ عليه وسلَّمَ مع الصَّحابةِ. (وما كانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي)، أي: بِمَنْزِلَةِ قُربي (مِن رَسولِ اللهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ)؛ لِكَوْنِهِ مَحرمًا لِأُمِّ حَبيبةَ أُخْتِهِ مِن أُمَّهاتِ المؤمنينَ، ولِكَونِه مِن كَتَبَةِ الوَحْيِ، ومعَ ذلك فقَدْ كانت رِوايتُه لِلحديثِ قَليلةً، لكِنَّ هذا المَنْظَرَ الَّذي رآه دَعاهُ لِروايةِ هذا الحديثِ، وهو أنَّ النَّبيَّ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ خَرَجَ يومًا على أَصحابِه، فقالَ: (ما أَجْلَسَكُمْ هاهنا؟ قالوا: جَلَسْنا نَذكُرُ اللهَ ونَحْمَدُه على ما هَدانا للإسلامِ، ومَنَّ بِه عَلَيْنا مِن بَيْنِ الأَنامِ، فاسْتَحْلَفَهم النَّبيُّ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: (ما أَجْلَسَكُمْ إلّا ذلك؟)، أي: دون غَيرِه مِنَ الأَعراضِ والأَغراضِ، فقالوا: واللهِ ما أَجْلَسَنا إلّا ذاكَ! قال: أَمّا إِنِّي لم أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهمةً لكم، ولكِنَّه أَتاني جِبريلُ فَأَخبَرَني أَنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُباهي بِكُمُ الملائكَةَ، ومَعْناهُ: يُظهِرُ فَضلَكُمْ لهم ويُرِيهم حُسنَ عَملِكم، ويُثْنِي عَليكمُ عِندَهُم. {وفي الحَديثِ: فَضيلَةُ الاجتماعِ عَلى ذِكرِ اللهِ}.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ **قالت: إنَّ** رَسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "ما مِن يَومٍ أَكْثَرَ مِن أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فيه عَبْدًا مِنَ النّارِ، مِن يَومِ عَرَفَةَ، وإنَّه لَيَدْنُو، ثُمَّ يُباهِي بِهِمِ المَلائِكَةَ، فيَقولُ: ما أَرادَ هَؤُلاءِ؟" [٤٣٢]، فقد فَضَّلَ اللّٰهُ بعضَ الأيّامِ عَلى بعضٍ، وَمِن تِلكَ الأيّامِ الفاضلَةِ يَومُ عَرفةَ؛ فلَهُ فَضائلُ كثيرةٌ. واللّٰهَ يُباهي بأهْلِ عَرَفاتٍ {المُرادُ بهم الحُجّاجُ الذين وَقَفوا بعَرَفَةَ: يوْمُ التاسِعِ من ذي الحِجَّةِ}، ويُفاخِرُ بهم، ويُظهِرُ فَضْلَهُم للمَلائِكَةِ ويُرِيهِم حُسْنَ عَمَلِهِم، ويُثْني عَليهم عِندَهُم.

٣. أنَّ اللّٰهَ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ يُباهي مَلائكتَه بمَن قَضى فَريضةً وجلَسَ يَنتَظِرُ أُخْرى {انْتظار الفريضةِ بعدَ الفريضةِ في المسجِدِ سَببٌ لمُباهاةِ اللّٰهِ ومُفاخرَتِه بعبادهِ لملائكتِه}؛ فعن عبد اللّٰه بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قَالَ: صلَّينا معَ رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المغربَ فرجعَ من رجعَ وعقَّبَ من عقَّبَ فجاءَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسرِعًا قد حفَزهُ النَّفسُ وقد حسرَ عن ركبتيهِ فقالَ: "أبشِروا هذا ربُّكم قد فتحَ بابًا من أبوابِ السَّماءِ يباهي بكمُ الملائكةَ يقولُ انظروا إلى عبادي قد قضَوا فريضةً وهم ينتظِرونَ أُخرى" [٤٣٣].

---

٤٣٢ حديثٌ صحيحٌ: صحيح مسلم ٤٣٦ - ١٣٤٨.

فَضَّلَ اللّٰهُ بعضَ الأيّامِ عَلى بعضٍ وَمِن تِلكَ الأيّامِ الفاضلَةِ يَومُ عَرفةَ، فَله فَضائلُ كثيرةٌ، ومرَّ بِه حَوادثُ عَظيمةٌ للإسلامِ. فلمّا كان الحجُّ عَرفةَ، والحجُّ يَهدِمُ ما قبلَه، كانَ ما في يَومِ عَرفةَ مِن الخَلاصِ عنِ العذابِ، والعِتقِ منَ النّارِ أَكثرَ ما يَكونُ في سائرِ الأيّامِ، وإنَّه سُبحانَه وتَعالى لَيدنو ثُمَّ يُباهي بمنْ بِعرفةَ المَلائكةَ؛ فاللّٰهُ سُبحانَه وتَعالى يُباهي بأَهلِ عَرفةَ المَلائكةَ، مَعناه: يُظهرُ فَضلَهم لهم وُيرِيهِم حُسْنَ عَمَلِهم ويُثْني عَليهم عِندَهم، وأَصلُ البَهاءِ الحُسنُ والجَمالُ. فيقول: ما أَراد هَؤلاءِ؟ أي: أيُّ شيءٍ أَراد هَؤلاءِ حيثُ تَركوا أَهلَهم وأَوطانَهم وصَرَفوا أَموالَهم وأَتعَبوا أَبدانَهم؟ أي: ما أَرادوا إلّا المَغفرةَ والرِّضا، وَهذا يَدُلُّ عَلى أَنَّهم مَغفورٌ لَهم لأنَّه لا يُباهى بأَهلِ الخَطايا والذُّنوبِ إلّا مِن بَعدِ التَّوبةِ والغُفرانِ. {في الحَديثِ: إثباتُ صِفةِ الدُّنوِّ للّٰهِ سُبحانَه وتَعالى كَما تَليقُ بجَلالِه وعَظمتِه. وَفيه: إثباتُ صِفةِ المُباهاةِ للّٰهِ سُبحانَه وتَعالى كَما تَليقُ بِجلالِه وعَظمتِه}.

٤٣٣ حديثٌ صحيحٌ: صحَّحَه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه ٦٦٠؛ أخرجه ابن ماجه (٨٠١) واللفــــظ له، وأحمد (٦٩٤٦).

٤. رَجلٌ غزا في سبيلِ اللَّهِ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ، فانهزَمَ يَعني أصحابَهُ فعَلِمَ ما علَيهِ، فرجعَ حتّى أُهَريقَ دمُهُ؛ فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قالَ: قالَ رَسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "عَجِبَ ربُّنا عزَّ وجلَّ من رَجلٍ غزا في سبيلِ اللَّهِ فانهزَمَ يَعني أصحابَهُ فعَلِمَ ما علَيهِ، فرجعَ حتّى أُهَريقَ دمُهُ، فيَقولُ اللَّهُ تعالى لملائِكَتِهِ: انظُروا إلى عَبدي {مُباهِيًا به ملائكتَه} رجعَ رغبةً فيما عِندي، وشفقةً ممّا عِندي حتّى أُهَريقَ دمُهُ" [٤٣٤]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعليقاً على هذا

الصَّلاةُ رُكنٌ مِن أركانِ الإسلامِ، ولها فضْلٌ عظيمٌ ومَنزلةٌ عُليا بين العِباداتِ، وهي صِلةٌ بين العبدِ وربِّه، وتَتكرَّرُ في اليومِ خمْسَ مرّاتٍ، وقد رغَّبَ الشَّرعُ في نَوافلِها، ووضَّحَت السُّنَّةُ النَّبويَّةُ أنَّ اللهَ يُباهي ملائكتَه بعِبادِه المُصلِّينَ والَّذين ينتظِرونَ أوقاتَها. وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ عبدُ اللهِ بنُ عمرِو بنِ العاصِ رضِيَ اللهُ عنهما ببعْضٍ مِن هذه المعاني، فيقولُ: «صَلَّينا مع رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المغرِبَ، فرجَعَ مَن رجَعَ»، أي: رجَعَ البعضُ إلى بُيوتِهم، «وعقَّبَ مَن عقَّبَ»، أي: وانتظَرَ البعضُ في المسجِدِ بعدَ انتهاءِ الصَّلاةِ؛ انتظارًا لصلاةِ العِشاءِ، «فجاء رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسرِعًا قد حفَزَه النَّفَسُ»، أي: أعجَلَه النَّفَسُ وتتابَعَت أنفاسُه، «وقد حسَرَ عن رُكبتَيْه»، أي: كشَفَ الثَّوبَ ورفَعَ عن رُكبتَيْه، فظهَرَتا؛ وذلك لسُرعَتِه في العَدْوِ والمشْيِ؛ لِما يحمِلُه مِن بُشْرى لهم، «فقال: أبْشِروا؛ هذا ربُّكم قد فتَحَ بابًا مِن أبوابِ السَّماءِ يُباهي بكم الملائكةَ»، أي: يُفاخِرُ بكم الملائكةَ، «يقولُ ربُّ العِزَّةِ: "انْظُروا إلى عِبادي قد قَضَوا فريضةً وهم ينتظِرونَ أُخرى» أي: إنَّ انْتظارَهم للفريضةِ بعدَ الفريضةِ في المسجِدِ سَببٌ لمُباهاةِ اللهِ ومُفاخرَتِه بهم لملائكتِه، وهذا دليل على فضل انتظار الصلاة بعد الصلاة، وقد روى مُسلِمٌ، أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «وانتظارُ الصَّلاةِ بعدَ الصلاةِ، فذَلِكُمُ الرِّباطُ، فذلِكُمُ الرِّباط، فذَلِكم الرِّباط»؛ فجعَلَ انتظارَها مِن الرِّباطِ في سبيلِ اللهِ عزَّ وجلَّ؛ فإنَّ مَن صلّى صلاةً ثم جلَس ينتظِرُ أُخرى، وداوَمَ على ذلك فقدِ استغرَقَ عُمرَه بالطاعةِ، وكان ذلك بمنزلةِ الرِّباطِ في سبيلِ الله عزَّ وجلَّ.

٤٣٤ حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَهُ الشيخ الألباني في أبي داود ٢٥٣٦.

الخوفُ مِن اللهِ تعالى من أعمالِ القُلوب العَظيمةِ التي يَنبَغي على المُسلِمِ أنْ يَمتلِئَ قلبُه بها، فيخاف من الله في كُلِّ وقتٍ وحِينٍ، فإذا تَمَكَّنَ ذلك من قلبِه لمْ يُقَصِّرْ في طاعةٍ، ولمْ يفعلْ مَعصِيةً. وفي هذا الحديثِ يقولُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجِبَ رَبُّنا عزَّ وجلَّ من رَجُلٍ»، وصِفةُ العَجَبِ صِفةٌ من صِفاتِ الله عزَّ وجلَّ الفِعليَّة الخَبَرِيَّة الثّابتةِ له بالكتابِ والسُّنَّة، ويُوصَفُ اللهُ تعالى بها على ما يَليقُ بكَمالِه وجلالِه، دون تَعطيلٍ أو تحريف، ودونَ تَمْثيلٍ أو تكييف. «غَزا في سبيل الله» أي: حاربَ أعداءَ الله، «فانْهَزَم»، أي: غُلِب وهرَب-

الحديث: "فهذا رجل انهزم هو وأصحابه، ثم رجع وحده فقاتل حتى قُتل، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الله يعجب منه، وعجب الله من الشيء يدل على عظم قدره، وأنه لخروجه عن نظائره يعظم درجته ومنزلته، وهذا يدل على أن مثل هذا العمل محبوب لله مرضي، لا يكتفي فيه بمجرد الإباحة والجواز حتى يقال: وإن جاز مقاتلة الرجل حتى يغلب على ظنه أن يُقتل فترك ذلك أفضل، بل الحديث يدل على أن ما فعله هذا يحبه الله ويرضاه، ومعلوم أن مثل هذا الفعل يُقتل فيه الرجل كثيراً أو غالباً" [٤٣٥].

٥. المجالس الإيمانية {وهي مجالس العلم أينما كانت؛ سواء كانت في المساجد، أو في دور العلم، أو في المنازل أو غير ذلك؛ مما يبتغى بها وجه الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ}؛ فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قالَ: كان عبدُ اللهِ بنُ رواحةَ إذا لقِيَ الرجلَ من أصحابِ رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال تعالى نؤمنْ بربِّنا ساعةً فقال ذاتَ يومٍ لرجلٍ فغضب الرجلُ فجاء إلى النبيّ صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ فقال يا رسولَ اللهِ ألا ترى إلى ابنِ رواحةَ يرغب عن إيمانِك إلى إيمانِ ساعةٍ فقال النبيُّ صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "يرحمُ اللهُ ابنَ رَواحةَ إنه يحبُّ المجالسَ التي تتباهى بها الملائكةُ" [٤٣٦].

يعني: أصحابه- «فَعَلِمَ» هذا الرَّجُل، «ما عليه» من حقِّ الله تعالى، ومن حُرْمَةِ الفِرار، «فَرَجَعَ» إلى قِتال الكُفّار وَحْدَه فقاتَل، «حتّى أُهْرِيقَ»، أي: أُرِيقَ وصُبَّ دَمُهُ، «فيقول اللهُ تعالى» مُباهِيًا به ملائكتَه: «انظُروا إلى عبْدِي»، أي: نَظَرَ تَعَجُّبٍ؛ «رَجَعَ» إلى قِتال الكُفّار بعدَما هَرَبَ، «رَغْبَةً فيما عندي» من الأجرِ والثواب، «وشَفَقَةً»، أي: خوفًا، «ممّا عندي»، أي: من العَذاب والعِقاب، «حتّى أُهْرِيقَ دَمُهُ»، أي: أُرِيقَ دَمُهُ وصُبَّ حتّى قُتِلَ. {وفي الحديثِ: فَضْلُ مَنْ باع نَفْسَه لله تعالى. وفيه: أنَّ خوفَ العبدِ ورجاءَه من الله فيه النَّجاةُ}.

٤٣٥ قاعدة في الانغماس في العدو وهل يباح؛ ٥٤ - ٥٥.

٤٣٦ حديثٌ ضعيفٌ: ضَعَّفَهُ الشيخ الألباني في ضعيف الترغيب ٩١٥؛ أخرجه أحمد (١٣٧٩٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٨٦/٢٨).

٦. إنَّ اللّٰهَ تعالى يُباهِي بالطائِفِينَ؛ فعن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ قالت: إنَّ رَسولَ اللّٰه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إنَّ اللّٰهَ تعالى يُباهِي بالطائِفِينَ" [٤٣٧]، وفي رواية: "إن اللّٰهَ يُباهِي بالطائِفِينَ ملائكتَه" [٤٣٨].

٧. إنَّ اللّٰهَ عزَّ وجلَّ يُباهي ملائكتَه بالذين يُطعِمونَ الطعامَ؛ فعن جعفر العبدي والحسن: إنَّ رَسولَ اللّٰه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إنَّ اللّٰهَ عزَّ وجلَّ يُباهي ملائكته بالذين يُطعِمونَ الطعامَ من عبيدِه" [٤٣٩].

٨. ثلاثةُ أصواتٍ يُباهِي اللّٰهُ بها الملائكةَ: الأذانُ، والتكبيرُ في سبيلِ اللّٰهِ، ورفعُ الصوتِ بالتلبيةِ؛ فعن جابرِ بن عبد اللّٰه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قالَ رَسولُ اللّٰه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ثلاثةُ أصواتٍ يُباهِي اللّٰهُ بها الملائكةَ: الأذانُ، والتكبيرُ في سبيلِ اللّٰهِ، ورفعُ الصوتِ بالتلبيةِ" [٤٤٠].

٩. إنَّ اللّٰهَ يُباهي المَلائكةَ بالعَبدِ إذا نامَ وهو ساجدٌ؛ فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قالَ رَسولُ اللّٰه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إنَّ اللّٰهَ يُباهي المَلائكةَ بالعَبدِ إذا نامَ وهو ساجدٌ، يَقولُ: انظُروا إلى عبْدي هذا، نفْسُه عِندي، وجَسَدُه في طاعَتي" [٤٤١].

اللهم وفقنا لأن نكون من عبادك الذين تباهي بهم ملائكتك، وتذكرهم في الملأ الأعلى كل حين.

---

٤٣٧ حديثٌ ضعيفٌ: ضَعَّفَهُ الشيخ الألباني في ضعيف الجامع ١٦٨٣.

٤٣٨ حديثٌ ضعيفٌ: ضَعَّفَهُ الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة ٣١١٤.

٤٣٩ حديثٌ ضعيفٌ: ضَعَّفَهُ الشيخ الألباني في ضعيف الترغيب ٥٥٨.

٤٤٠ حديثٌ ضعيفٌ: ضَعَّفَهُ الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة ٣٤٣٤؛ أخرجه ابن النجار والديلمي كما في "الجامع الصغير" للسيوطي (٣١٦/١)، وفي رواية: "ثلاثةُ أصواتٍ يباهى اللّٰهُ بهِن الملائكةَ: الأذانُ، والتكبيرُ في سبيلِ اللّٰهِ، ورَفْعُ الصوتِ بالتلبيةِ" [حديثٌ ضعيفٌ: ضَعَّفَهُ الشيخ الألباني في ضعيف الجامع ٢٥٧٤؛ أخرجه ابن النجار والديلمي كما في «الجامع الصغير» للسيوطي (٣١٦/١)].

٤٤١ حديثٌ ضعيفٌ: ضَعَّفَهُ الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة ٦٧٣٠.

إِنَّ اللهَ لَيَوَالِي (المُوَالاةُ) [442]

ما الذي يَجْعَلُ اللهَ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ يَوَالِي؟

الوَلِيُّ والمَوْلَى {الولاية والمُوَالاةُ}:

يوصف الله عزَّ وجلَّ بأنّه وَلِيُّ الذين آمنوا ومولاهم، و(الوَلِيُّ) و(المَوْلَى): اسمان لله تعالى ثابتان بالكتاب والسنة.

الدليل من الكتاب:

١. قولـه سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} [البقرة: ٢٥٧].

٢. قولـه سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ} [محمد: ١١].

والآيات في ذلك كثيرة جدًّا.

الدليل من السُنَّة:

٣. عن عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قالَ: لَمَّا وقَفَ الزُّبَيْرُ يومَ الجَمَلِ دَعَانِي، فَقُمْتُ إلى جَنْبِهِ فَقالَ: يا بُنَيِّ، إنَّه لا يُقْتَلُ اليومَ إلَّا ظَالِمٌ أَوْ مَظْلُومٌ، وإنِّي لا أُرَانِي إلَّا سَأُقْتَلُ اليومَ مَظْلُومًا، وإنَّ مِن أَكْبَرِ هَمِّي لَدَيْنِي، أَفَتُرَى يُبْقِي دَيْنُنَا مِن مَالِنَا شيئًا؟ فَقالَ: يا بُنَيِّ بِعْ مَالَنَا، فَاقْضِ دَيْنِي، وأَوْصَى بالثُّلُثِ، وثُلُثِهِ لِبَنِيهِ -يَعْنِي بَنِي عبدِ اللَّهِ بنِ

[442] في كل ما ثبت لله جل جلاله من الأسماء والصفات؛ فإنّ ذلك كله لائق برب العالمين جل جلاله، يوصف به على وجه الكمال والجمال والجلال، لا يشبه في ذلك أحدا من خلقه، ولا يشبهه أحد من خلق؛ قال تعالى: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)) [الشورى: ١١]، فلا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل لصفات الله سبحانه، بل نثبتها كما جاءت في النصوص، ولا يجوز تأويلها عن ظاهرها ولا يجوز تشبيه الله بخلقه. {انظر: [الهامش رقم ٤٠ ص ٥٢]}.

الزُّبَيْرِ- يقولُ: ثُلُثُ الثُّلُثِ، فإنْ فَضَلَ مِن مَالِنَا فَضْلٌ بَعْدَ قَضَاءِ الدَّيْنِ شيءٌ، فَثُلُثُهُ لِوَلَدِكَ، -قالَ هِشَامٌ: وكانَ بَعْضُ ولَدِ عبدِ اللَّهِ، قدْ وازَى بَعْضَ بَنِي الزُّبَيْرِ، خُبَيْبٌ، وعَبَّادٌ وله يَومَئِذٍ تِسْعَةُ بَنِينَ، وتِسْعُ بَنَاتٍ-، قالَ عبدُ اللَّهِ: فَجَعَلَ يُوصِينِي بدَيْنِهِ، ويقولُ: يا بُنَيِّ إنْ عَجَزْتَ عنْه في شيءٍ، فَاسْتَعِنْ عليه مَوْلَايَ، قالَ: فَوَاللَّهِ ما دَرَيْتُ ما أَرَادَ حتَّى قُلتُ: يا أَبَةِ مَن مَوْلَاكَ؟ قالَ: اللَّهُ، قالَ: فَوَاللَّهِ ما وقَعْتُ في كُرْبَةٍ مِن دَيْنِهِ، إلَّا قُلتُ: يا مَوْلَى الزُّبَيْرِ اقْضِ عنْه دَيْنَهُ، فَيَقْضِيهِ، فَقُتِلَ الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللَّهُ عنْه، ولَمْ يَدَعْ دِينَارًا ولَا دِرْهَمًا إلَّا أَرَضِينَ، منها الغَابَةُ، وإحْدَى عَشْرَةَ دَارًا بالمَدِينَةِ، ودَارَيْنِ بالبَصْرَةِ، ودَارًا بالكُوفَةِ، ودَارًا بمِصْرَ، قالَ: وإنَّما كانَ دَيْنُهُ الذي عليه، أنَّ الرَّجُلَ كانَ يَأْتِيهِ بالمَالِ، فَيَسْتَوْدِعُهُ إيَّاهُ، فيَقولُ الزُّبَيْرُ: لا ولَكِنَّهُ سَلَفٌ، فإنِّي أَخْشَى عليه الضَّيْعَةَ، وما ولِيَ إمَارَةً قَطُّ ولَا جِبَايَةَ خَرَاجٍ، ولَا شيئًا إلَّا أَنْ يَكونَ في غَزْوَةٍ مع النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، أَوْ مع أَبِي بَكْرٍ، وعُمَرَ، وعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عنْهمْ، قالَ عبدُ اللَّهِ بنُ الزُّبَيْرِ: فَحَسَبْتُ ما عليه مِنَ الدَّيْنِ، فَوَجَدْتُهُ أَلْفَيْ أَلْفٍ ومِئَتَيْ أَلْفٍ، قالَ: فَلَقِيَ حَكِيمُ بنُ حِزَامٍ عَبْدَ اللَّهِ بنَ الزُّبَيْرِ، فَقالَ: يا ابْنَ أَخِي، كَمْ علَى أَخِي مِنَ الدَّيْنِ فَكَتَمَهُ؟ فَقالَ: مِئَةُ أَلْفٍ، فَقالَ حَكِيمٌ: واللَّهِ ما أُرَى أَمْوَالَكُمْ تَسَعُ لِهذِه، فَقالَ له عبدُ اللَّهِ: أَفَرَأَيْتَكَ إنْ كَانَتْ أَلْفَيْ أَلْفٍ ومِئَتَيْ أَلْفٍ؟ قالَ: ما أُرَاكُمْ تُطِيقُونَ هذا، فإنْ عَجَزْتُمْ عن شيءٍ منه فَاسْتَعِينُوا بي، قالَ: وكانَ الزُّبَيْرُ اشْتَرَى الغَابَةَ بسَبْعِينَ ومِئَةِ أَلْفٍ، فَبَاعَهَا عبدُ اللَّهِ بأَلْفِ أَلْفٍ وسِتِّ مِئَةِ أَلْفٍ، ثُمَّ قَامَ: فَقالَ مَن كانَ له علَى الزُّبَيْرِ حَقٌّ، فَلْيُوَافِنَا بالغَابَةِ، فأتَاهُ عبدُ اللَّهِ بنُ جَعْفَرٍ، وكانَ له علَى الزُّبَيْرِ أَرْبَعُ مِئَةِ أَلْفٍ، فَقالَ لِعَبْدِ اللَّهِ: إنْ شِئْتُمْ تَرَكْتُهَا لَكُمْ، قالَ عبدُ اللَّهِ: لَا، قالَ: فإنْ شِئْتُمْ جَعَلْتُمُوهَا فِيما تُؤَخِّرُونَ إنْ أَخَّرْتُمْ؟ فَقالَ عبدُ اللَّهِ: لَا، قالَ: قالَ: فَاقْطَعُوا لي قِطْعَةً، فَقالَ عبدُ اللَّهِ: لكَ مِن هَاهُنَا إلى هَاهُنَا، قالَ: فَبَاعَ منها فَقَضَى دَيْنَهُ فأوْفَاهُ، وبَقِيَ منها أَرْبَعَةُ أَسْهُمٍ ونِصْفٌ، فَقَدِمَ علَى مُعَاوِيَةَ، وعِنْدَهُ عَمْرُو بنُ عُثْمَانَ، والمُنْذِرُ بنُ الزُّبَيْرِ، وابنُ زَمْعَةَ،

فَقالَ له مُعَاوِيَةُ: كَمْ قُوِّمَتِ الغَابَةُ؟ قالَ: كُلُّ سَهْمٍ مِئَةَ أَلْفٍ، قالَ: كَمْ بَقِيَ؟ قالَ: أَرْبَعَةُ أَسْهُمٍ ونِصْفٌ، قالَ المُنْذِرُ بنُ الزُّبَيْرِ: قدْ أَخَذْتُ سَهْمًا بمِئَةِ أَلْفٍ، قالَ عَمْرُو بنُ عُثْمَانَ: قدْ أَخَذْتُ سَهْمًا بمِئَةِ أَلْفٍ، وقالَ ابنُ زَمْعَةَ: قدْ أَخَذْتُ سَهْمًا بمِئَةِ أَلْفٍ، فَقالَ مُعَاوِيَةُ: كَمْ بَقِيَ؟ فَقالَ: سَهْمٌ ونِصْفٌ، قالَ: قدْ أَخَذْتُهُ بخَمْسِينَ ومِئَةِ أَلْفٍ، قالَ: وبَاعَ عبدُ اللَّهِ بنُ جَعْفَرٍ نَصِيبَهُ مِن مُعَاوِيَةَ بسِتِّ مِئَةِ أَلْفٍ، فَلَمَّا فَرَغَ ابنُ الزُّبَيْرِ مِن قَضَاءِ دَيْنِهِ، قالَ بَنُو الزُّبَيْرِ: اقْسِمْ بيْنَنَا مِيرَاثَنَا، قالَ: لَا، واللَّهِ لا أَقْسِمُ بيْنَكُمْ حتَّى أُنَادِيَ بالمَوْسِمِ أَرْبَعَ سِنِينَ: أَلَا مَن كانَ له علَى الزُّبَيْرِ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا فَلْنَقْضِهِ، قالَ: فَجَعَلَ كُلَّ سَنَةٍ يُنَادِي بالمَوْسِمِ، فَلَمَّا مَضَى أَرْبَعُ سِنِينَ قَسَمَ بيْنَهُمْ، قالَ: فَكانَ لِلزُّبَيْرِ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ، ورَفَعَ الثُّلُثَ، فأصَابَ كُلَّ امْرَأَةٍ أَلْفُ أَلْفٍ ومِئَتَا أَلْفٍ، فَجَمِيعُ مَالِهِ خَمْسُونَ أَلْفَ أَلْفٍ، ومِئَتَا أَلْفٍ. [٤٤٣]

---

٤٤٣ حديثٌ صحيحٌ: صحيح البخاري ٣١٢٩.

كان الصَّحابةُ رَضيَ اللهُ عنهم يَتوكَّلون على اللهِ حَقَّ تَوكُّلِه في كلِّ أُمورِ حَياتِهم، وظَهَرَ ذلك في تَسليمِ أمْرِهم للهِ عزَّ وجلَّ وعدَمِ الخَوفِ مِن الفقْرِ، بلْ كانوا يَأخُذون مِن الدُّنيا ما قدَّرَ اللهُ لهم بنفْسٍ راضيةٍ دونَ تَكالُبٍ عليها، فكان في حَياتِهم البَرَكةُ. وفي هذا الحديثِ يَرْوي عبدُ اللهِ بنُ الزُّبَيرِ رَضيَ اللهُ عنهما أنَّه لمَّا وَقَفَ الزُّبَيرُ بنُ العَوَّامِ يَومَ مَوقِعةِ الجَمَلِ -الَّتي كانتْ بيْن الزُّبَيرِ بنِ العَوَّامِ وطَلْحةَ بنِ عُبَيدِ اللهِ رضِيَ اللهُ عنهما ومَنْ معهما مِن جانبٍ، وعليٍّ رَضيَ اللهُ عنه ومَن معه مِن جانبٍ آخَرَ، على بابِ البَصْرةِ سَنةَ سِتٍّ وثَلاثينَ بعْدَ مَقتَلِ عُثمانَ- دَعا الزُّبَيرُ بنُ العَوَّامِ ابنَهُ عبْدَ اللهِ، فقام واقفًا إلى جَنْبِهِ، فَأَخبَرَهُ أنَّه لا يُقْتَلُ اليَومَ إلَّا ظالمٌ أو مَظلومٌ؛ وذلكَ لأنَّ كِلا الفَريقَينِ كان يَتأوَّلُ أنَّه على الصَّوابِ، وأخْبَرَه أنَّهُ يَظُنُّ أنَّه سَيُقتَلُ اليَومَ مَظلومًا؛ ولعلَّ ذلكَ لأنَّهُ لَم يَنْوِ قِتالًا ولا عَزَمَ عليه، فَأرادَ أنْ يُوصِيَ ابنَهُ بِقضاءِ دُيونِهِ، فأخبَرَه أنَّ مِنْ أكبَرِ هَمِّهِ الدَّيْنَ، ويَظُنُّ أنَّ دَيْنَهُ هذا لنْ يُبْقِيَ مِن مالِهِ شَيئًا؛ وذلكَ لكَثْرةِ ما عليه وإشْفاقًا مِن دَينِه، ثُمَّ طَلَبَ مِن عَبدِ اللهِ أنْ يَبيعَ مالَهُ ويَقضيَ دَينَهُ، ثُمَّ أوْصَى بالثُّلُثِ مِن مالهِ مُطلَقًا، ثُمَّ بثُلثِ الثُّلُثِ لأبناءِ عَبدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ خاصَّةً، وكان بَعضُ وَلدِ عَبدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ قدْ ساوَى بَعضَ أولادِ الزُّبَيرِ في السِّنِّ، فخَصَّ أولادَ عَبدِ اللهِ دونَ غَيرِهم؛ لِكَونِهم كَثُروا وتَأهَّلوا حتَّى ساوَوْا أعمامَهم في ذلكَ، فجَعَلَ لهم نَصيبًا مِنَ المالِ ليَتوفَّرَ على أبيهِمْ حِصَّتُهُ، وكان خُبَيبٌ وعَبَّادٌ هُما وَلَدا عبدِ اللهِ بن الزُّبَيرِ، ولمْ يَكُنْ له يَومئذٍ سِواهُما، وكان للزُّبَيرِ يومَ وَصيَّتِهِ تِسعةُ بَنينَ وتِسْعُ بَناتٍ، فجَعَلَ الزُّبَيرُ يُوصي ابنَهُ عَبدَ اللهِ بقَضاءِ دَينِه، ويَقولُ: يا بُنَيَّ، إنْ عَجَزْتَ عنهُ في شَيءٍ فاسْتَعِنْ عليه مَولاي، ولم يَعرِفْ عبدُ

اللهِ ما يَقْصِدُ الزُّبيرُ بمَولاهُ، فَسألَهُ: يا أبَتِ، مَنْ مَولاكَ؟ فأجابَهُ: اللهُ، وهذا مِن التَّسليمِ التَّامِّ للهِ والتَّوكُّلِ عليه، مع الثِّقةِ فيه سُبحانه؛ فهو سيِّدُه وناصرُه، ومُعِينُه في حَياتِه وبعْدَ مَماتِه. ويُقسِمُ عبدُ اللهِ بنُ الزُّبَيرِ رَضيَ اللهُ عنهما أنَّه لم يَقَعْ في كُرْبةِ أثناءِ قَضاءِ الدَّينِ، إلَّا استعانَ باللهِ ويَقولُ: «يا مَوْلَى الزُّبَيْرِ، اقْضِ عنْه دَيْنَهُ، فيَقْضِيهِ» اللهُ سُبحانه؛ استجابةً لدُعائِه. وقدْ وَقَعَ ما تَوقَّعَه الزُّبَيرُ؛ فقُتِلَ رضِيَ اللهُ عنه في هذه المَعركةِ، ولكنَّه ماتَ ولمْ يَدَعْ دِينارًا ولا دِرهمًا، وإنَّما تَرَكَ أرَضِينَ، منها الغابةُ، وهي أرضٌ عَظيمةٌ منْ عَوَالي المَدينةِ، وإحْدَى عَشْرةَ دارًا بالمَدينةِ، ودارَيْنِ بالبَصْرةِ، ودارًا بالكُوفةِ، ودارًا بمِصْرَ، وهذه الأُصولُ هي التي بِيعَت لسَدادِ دُيونِ الزُّبَيرِ رَضيَ اللهُ عنه. ثمَّ ذَكَرَ عبدُ اللهِ بنُ الزُّبَيرِ رَضيَ اللهُ عنهما سَببَ دُيونِ أبيهِ، فذَكَرَ أنَّ الرَّجُلَ كان يَأتيهِ بالمالِ ويَجعَلُه وَديعةً وأمانةً عِندَه، فيَقولُ الزُّبَيْرُ: لا أَقْبِضُهُ وَديعةً وَلكِنَّه قَرْضٌ في الذِّمَّةِ، حيثُ كانَ يَخْشَى عليه الضَّياعَ، وهذا أوثقُ لصاحبِ المالِ، وأبْقى لمُروءَةِ الزُّبَيرِ رَضيَ اللهُ عنه. ثمَّ ذَكَرَ عبدُ اللهِ مَصدَرَ أموالِ أبيهِ؛ فإنَّ الزُّبَيرَ رَضيَ اللهُ عنه ما وَلِيَ إمارةً قَطُّ، ولا جِبايةَ خَراجٍ، ولا شيئًا ممَّا يكونُ سَببًا لتَحصيلِ المالِ، وأراد بذلك أنَّ كَثرةَ مالِه لَيست مِن هذه الجِهاتِ التي يُظَنُّ فيها السُّوءُ بأصحابِها، ولكنْ ما حَصَلَ عليه مِن الأموالِ كان مِن الغنائمِ التي أخَذَها بعْدَ كلِّ غَزْوَةٍ مع النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، أو مع أبي بَكْرٍ، وعُمَرَ، وعُثْمَانَ رَضيَ اللهُ عنهم، فيَكْسِبُ مِنَ الغَنيمةِ، وما أفاءَ اللهُ عليه مِن الجِهادِ، وما أعطاهُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فبارَكَ اللهُ له في مالِه؛ لِطِيبِ أصْلِه. ثمَّ عَدَّ ابنُه عبدُ اللهِ ما عليه منَ الدَّيْنِ، فَوَجَدهُ أَلْفَيْ أَلْفٍ ومِئتَيْ أَلفٍ، أي: مِلْيونينِ ومِئتَيْ أَلْفِ دِرهَمٍ، فلَقِيَ حَكيمُ بنُ حِزامٍ عبدَ اللهِ بنَ الزُّبَيرِ، فَسَأَلَهُ: كَمْ على أبيكَ مِنَ الدَّيْنِ؟ فكَتَمَ عنه أصْلَ الدَّينِ، فأجابَهُ أنَّ الدَّينَ مِئةُ أَلْفٍ، وما كَذَبَ في قولِه؛ إذْ لمْ يَنفِ الزَّائدَ على المِئةِ، ومَفهومُ العددِ لا اعتبارَ له؛ لأنَّه صَدَقَ في البعضِ وكَتَمَ بَعضًا، وقِيل: إنَّما قال له: «مِئةُ أَلْفٍ» وكَتَمَ الباقي؛ لئلَّا يَستعظِمَ حَكيمُ بنُ حِزامٍ ما استَدانَه الزُّبَيرُ، فيَظُنَّ به عدَمَ الحَزْمِ، ويَظُنَّ بعبْدِ اللهِ عدَمَ الوَفاءِ بذلك، فيَنظُرَ إليه بعَينِ الاحتياجِ إليه، فقالَ حَكيمٌ: واللهِ ما أرَى أموالَكُمْ تَكفي لهذه الدُّيونِ، فقالَ له عبدُ اللهِ: أخبِرْني إنْ كانَتْ أَلْفَيْ أَلْفٍ ومئتَيْ أَلْفٍ. لمَّا رأَى عبْدُ اللهِ استعظامَ حَكيمٍ لأمرِ المِئةِ أَلْفٍ، احتاجَ أنْ يَذكُرَ له جَميعَ الدُّيونِ ويُعرِّفَه أنَّه قادرٌ على الوَفاءِ بها، فرَدَّ حَكيمٌ: ما أُراكُمْ تُطيقونَ وَفاءَ هذا، فإنْ عَجَزْتُمْ عن شَيءٍ منهُ فاسْتَعينوا بي. فباع عبْدُ اللهِ رَضيَ اللهُ عنه الغابةَ بألْفِ ألْفٍ وسِتِّ مئةِ ألْفٍ، أي: مِليونٍ وسِتِّ مئةِ ألْفِ دِرهمٍ، فنادَى عبدُ اللهِ في النَّاسِ: مَنْ كان له على الزُّبَيْرِ حَقٌّ، فَليَأْتِنا بالغابَةِ، فأتاهُ عبدُ اللهِ بنُ جَعْفَرِ بنِ أبي طالِبٍ رَضيَ اللهُ عنهما، وكان له على الزُّبَيرِ أربعُ مئةِ ألفٍ، فقال لعبدِ اللهِ بنِ الزُّبَيرِ: إنْ شِئْتُمْ تَرَكْتُها لكم تكرُّمًا وفضْلًا، فلا أستَرِدُّ دَيني، فَأَجابَهُ عبدُ اللهِ بنُ الزُّبيرِ: لا تَتْرُكْ دَيْنَكَ، فقال ابنُ جَعْفَرٍ: فإنْ شِئْتُم جَعَلتُموها فيما تُؤَخِّرُونَ إنْ أخَّرْتُم؟ يَطلُبُ أنْ يَجعَلَه في آخِرِ مَن يُسدَّدُ لهم الدَّينُ، فقال عبدُ اللهِ: لا تُؤَخِّرْ، فقال ابنُ جَعْفَرٍ: فاقْطَعوا لي قِطْعَةً مِن الأرضِ تكونُ سَدادًا لِدَيني. فحَدَّدَها له ابنُ الزُّبَيرِ تَحديدًا تامًّا، فَباعَ ابنُ الزُّبيرِ مِن أرضِ الغابةِ

٤. عن زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: لا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كما كانَ رَسولُ اللهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: كانَ يقولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بكَ مِنَ العَجْزِ، والْكَسَلِ، والْجُبْنِ، والْبُخْلِ،

والدُّورِ لا منَ الغابةِ وَحدَها، فَقضى دَينَ أبيهِ، فَأَوْفَاهُ جَميعَهُ وبَقِيَ مِنَ الغابةِ بِغيرِ بَيْعٍ أربعةُ أَسْهُمٍ ونِصفٌ، فجاء عبدُ الله بنُ الزُّبَيرِ إلى مُعاوِيةَ بنِ أبي سُفْيانَ دِمَشقَ، وكان عندهُ عَمْرُو بنُ عُثْمانَ بنِ عَفَّانَ، والمُنْذِرُ بنُ الزُّبَيْرِ بنِ العوَّامِ أخوهُ، وابنُ زَمْعَةَ، فقال له مُعَاوِيَةُ: كمْ قُوِّمَتِ الغابةُ؟ فَأَجابَه: كُلُّ سَهمٍ مِنْ أصلِ سِتَّةَ عَشَرَ سَهمًا بمِئةِ أَلْفٍ، فَسأَلَهُ: كمْ بَقِيَ؟ قالَ: أربعةُ أَسهُمٍ ونِصفٌ، قال المُنْذِرُ بنُ الزُّبَيْرِ: قدْ أخذْتُ سَهمًا بمِئةِ ألفٍ، وقال عَمْرُو بنُ عُثْمانَ: قدْ أخذتُ سَهْمًا بمِئةِ ألفٍ، وقال ابنُ زَمْعَةَ: قدْ أخذْتُ سَهمًا بمِئةِ ألفٍ، فَسَأَلَ مُعاويةُ: كمْ بَقِيَ؟ فقال: سَهمٌ ونِصفٌ. قال: أخذتُهُ بخَمسينَ ومئةِ ألفٍ. وبعْدَ أنْ حاز كُلُّ شَخصٍ مِن الدَّائنينَ حقَّه مِن الأرضِ، باعَ عبدُ اللهِ بنُ جَعْفرٍ نَصيبَهُ لِمُعاوِيةَ بِستِّ مئةِ ألفٍ، فرَبِحَ مِئتيْ ألْفٍ. ولمَّا فَرَغَ ابنُ الزُّبَيْرِ مِن قَضاءِ دَينِ أبيه، قال بَنُو الزُّبَيرِ: اقْسِمْ بيْنَنا مِيراثَنا. قال عبدُ اللهِ: لا واللهِ، لا أَقْسِمُ بيْنكم حتَّى أُنادي بالمَوْسِمِ أربعَ سِنينَ: أَلَا مَنْ كان له على الزُّبَيرِ، فَلْيأْتِنا فلنَقْضِهِ، وليس في ذلك منْعُ المُستحِقِّ مِن حقِّه -وهو القِسمةُ والتَّصرُّفُ في نَصيبِه-؛ لأنَّ عبْدَ اللهِ بنَ الزُّبَيرِ كان وَصيًّا على أموالِ الزُّبَيرِ، فتَصرَّفَ بما فيه مَصلحةُ الدُّيونِ أوَّلًا؛ لأنَّه ظنَّ بَقاءَ الدُّيونِ، والقِسمةُ لا تكونُ إلَّا بعْدَ وَفاءِ الدُّيونِ كلِّها عن الميِّتِ. وخَصَّصَ المُناداةَ بأربعِ سِنينَ؛ لأنَّ الغالِبَ أنَّ المسافةَ التي بيْن مكَّةَ وأقطارِ الأرضِ تُقطَعُ في ذلك الزَّمانِ في سَنَتينِ، فأراد أنْ تَصِلَ الأخبارُ إلى الأقطارِ، ثمَّ تَعودَ إليه، فيَكون بذلك قدِ استَبرَأَ ذِمَّةَ أبيهِ. فجَعَلَ كُلَّ سنةٍ يُنادي في مَوسِمِ الحجِّ، حيث يَجتمِعُ النَّاسُ مِن أنحاءِ الدَّولةِ الإسلاميَّةِ: أَلَا مَنْ كان له على الزُّبَيرِ دَيْنٌ، فَلْيأْتِنا نَقْضِهِ، فلمَّا مَضى أربعُ سِنينَ قَسَمَ بيْنهم، وكان للزُّبَيرِ أربعُ نِسْوَةٍ مات عنْهنَّ، وهنَّ أمُّ خالدٍ، والرَّبابُ، وزَينَبُ، وعاتكةُ بنتُ زَيدٍ، ورَفَعَ عبدُ اللهِ الثُّلُثَ المُوصَى بهِ الذي أَوصى به الزُّبَيرُ للمَساكينِ، فَأَصابَت كُلُّ امرأةٍ أَلْفَ أَلْفٍ ومِئتا أَلْفٍ، أي: مِليونًا ومِئتَي أَلْفٍ، وكان جَميعُ مالِهِ خَمسينَ مِليونًا ومِئتي أَلْفٍ. {وفي الحديثِ: أنَّ مِنْ هَدْيِ الصَّحابةِ رَضيَ اللهُ عنهم الوَصيَّةَ عندَ الحَربِ. وفيه: تأخيرُ قِسمةِ الميراثِ حتَّى تُقْضَى دُيونُ الميِّتِ وتُنَفَّذَ وَصاياهُ. وفيه: أنَّ منْ هَدْيِ الصَّحابةِ رضِيَ اللهُ عنهم الوَصيَّةَ لِلأحفادِ إذا كانَ هناكَ مَن يَحْجُبُهم. وفيه: أنَّ مِنْ هَديِ الصَّحابةِ رَضيَ اللهُ عنهم شِراءَ الوارِثِ مِنَ التَّركةِ، وكذلك شِراءُ الوصيِّ إذا كان بالقيمةِ. وفيه: بَيانُ جُودِ عبدِ الله بنِ جَعْفَرٍ؛ فلذلكَ سُمِّيَ بَحرَ الكَرَمِ. وفيه: فَضلُ عبدِ الله بنِ جَعْفرٍ وحَكيمِ بنِ حِزَامٍ رَضيَ اللهُ عنهم. وفيه: النَّهيُ عن الدَّيْنِ لِمَن لا وَفاءَ له أو لِمَن يَصْرِفُه في غَيرِ وجْهِه. وفيه: أنَّ مِن هَدْيِ الصَّحابةِ رضِيَ اللهُ عنهم النِّداءَ في دُيونِ من يُعْرَفُ بالدَّينِ. وفيه: النِّداءُ في المَواسِمِ؛ لأنَّها مَجْمَعُ النَّاسِ. وفيه: التَّرغيبُ والحثُّ على الثِّقةِ والتَّوكُّلِ على اللهِ عَزَّ وجلَّ. وفيه: مُبارَكةُ اللهِ سُبحانه للغازي والمجاهدِ في سَبيلِه في مالِه حيًّا وميِّتًا}.

والْهَرَمِ، وَعَذابِ، القَبْرِ اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْواها، وَزَكِّها أَنْتَ خَيْرُ مَن زَكّاها، أَنْتَ وَلِيُّها وَمَوْلاها، اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بكَ مِن عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لا يُسْتَجابُ لَهَا" [٤٤٤].

قال ابن جرير في تفسير قوله تعالى: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا} [البقرة: ٢٥٧]: "نصيرهم وظهيرهم؛ يتولاهم بعونه وتوفيقه".

---

٤٤٤ حديثٌ صحيحٌ: صحيح مسلم ٧٣ - ٢٧٢٢.

هذا حَديثٌ عَظيمٌ مِن أَعْمِدةِ الدَّعواتِ النَّبويَّةِ؛ فقَدْ جَمَعَ فيه النَّبيُّ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ التَّعوُّذَ من أُصولِ الخِصالِ المُثبِّطَةِ عنِ العَمَلِ، وسَأَلَ فيه أُصولَ الخِصالِ المُحَفِّزةِ للعَمَلِ. فاستِعاذَتُه منَ العَجْزِ والكَسَلِ، والجُبْنِ والبُخْلِ لِما فيهم مِنَ التَّقصيرِ عنْ أَداءِ الواجباتِ والقيامِ بِحُقوقِ اللهِ سُبْحانَه وتَعالى وإزالَةِ المُنْكَرِ؛ ولأنَّه بِشَجاعةِ النَّفْسِ وقُوَّتِها المعتدِلَةِ تَتِمُّ العِباداتُ ويَقومُ بنَصْرِ المَظْلُومِ، وبالسَّلامَةِ مِنَ البُخْلِ يَقومُ بِحُقوقِ المالِ ويَنْبَعِثُ للإنْفاقِ والجُودِ ولِمَكارِمِ الأَخْلاقِ وَيَمْتَنِعُ مِنَ الطَّمَعِ فيما لَيسَ لَه، واستِعاذَتُه صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ مِن هذه الأشياءِ لِتَكمُلَ صِفاتُه في كُلِّ أحوالِه وشَرْعِه أيضًا لتَعليمِ أُمَّتِه. وأَمّا الهَرَمُ فهُوَ كِبَرُ السِّنِّ الَّذي يُؤَدِّي إلى تَساقُطِ القُوى، وإنَّما استَعاذَ مِنه لِكونِه مِنَ الأدواءِ الَّتي لا دَواءَ لَها. ثُمَّ استَعاذَ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ من عَذابِ القَبْرِ وهُوَ أَوَّلُ مَنازِلِ الآخِرَةِ. وبَعدَ أنِ استَعاذَ بِما يَضُرُّ النَّفْسَ سَأَلَ اللهَ ما يُصلِحُ تِلك النَّفسَ، فقالَ: (اللَّهمَّ آتِ نَفْسِي تَقواها)، يَعني: تُيَسِّرُها لفِعْلِ ما يَقيها العَذابَ، (وزَكِّها)، يَعني: بطاعَةِ اللهِ، وطَهِّرْها مِن الرَّذائلِ والأَخْلاقِ الدَّنيئَةِ، كقَوْلِه تَعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها} [الشمس: ٩]، فَهُوَ مُطابِقٌ للدُّعاءِ؛ فإنَّ المرادَ مَن زَكّى اللهُ نَفْسَه، فالآيَةُ إخبارٌ بأنَّ المُفلِحَ مَن زَكّى اللهُ نَفْسَه، وهذا الحديثُ سُؤالٌ أنْ يُزَكِّيَ اللهُ نَفْسَ الدّاعي. وقَولُهُ: (أَنتَ وَلِيُّها) يَعني: سُلْطانُها والمُتَصَرِّفُ فيها، (ومولاها) مالِكُ أَمْرِها. ثُمَّ استَعاذَ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ مِن عِلمٍ لا يَكونُ نافِعًا في نَفْسِه كَعِلْمِ النُّجومِ والكَهانَةِ وكُلِّ ما لا يَنْفَعُ في الآخِرَةِ، أو يَكونُ نافِعًا لكن لا يَنتَفِعُ به صاحِبُه، واستَعاذَ أيضًا منَ القَلْبِ الَّذي لا يَخْشَعُ؛ لأنَّه يَكونُ قاسِيًا لا تُؤَثِّرُ فيه مَوعظَةٌ ولا نَصيحةٌ، ولا يَرْغَبُ في مُرغَّبٍ فيه، ولا يَرْهَبُ من مُرهَّب مِنه. واستَعاذَ مِنَ النَّفسِ الَّتي لا تَشْبَعُ لأنَّها تَكونُ مُتكالِبَةً على الحُطامِ مُتَجَرِّئَةً على المالِ الحَرامِ غَيرَ قانِعَةٍ بِما يَكفيها مِنَ الرِّزقِ، فلا تَزالُ في تَعَبِ الدُّنيا وعُقوبَةٍ في الآخِرَةِ، واستَعاذَ منَ الدَّعوةِ الَّتي لا يُستَجابُ لها؛ لأنَّ الرَّبَّ سُبحانَه هُو الَّذي يُعطي ويَمنَعُ، القابضُ الباسطُ، فإذا تَوَجَّهَ العَبْدُ إليه في دُعائِه ولم يَستَجِبْ دَعوتَه فَقدْ خابَ الدّاعي وخَسِرَ؛ لأنَّه طُرِدَ منَ البابِ الَّذي لا يُستَجْلَبُ الخَيرُ إلّا منه، ولا يُستَدْفَعُ الضُّرُّ إلّا به. {وفي الحديث: الحثُّ على الدُّعاءِ والاستعاذةِ مِن كلِّ الأشياءِ المذكورةِ وما في مَعناها، وأنَّه ليس في هذا نَقصٌ في الإيمانِ والتَّسليمِ بالقضاءِ والقَدَرِ}.

مَنْ هم أولياء الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ؟

الأولياء جمعُ "وَلِيّ"، والوَلِيُّ {وَلِيُّ اللّه} هو النَّصير الذي ينصر الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ، وينصر دينَه وشريعته، يقول الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [سورة يونس: ٦٢ - ٦٤]؛ وقد فسّر الإمام ابن كثير رحمه الله سبحانه وتعالى هذه الآيات فقال: "يُخبِر اللّهُ تعالى أنَّ أولياءَه هم الذين آمنوا بالله وكانوا يتقون، فكل من كان تقياً كان لله ولياً، وهم (الأولياء) لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون فيما يستقبلون من أهوال يوم القيامة، ولا يحزنون على ما وراءَهم من الدنيا ومَلَذَّاتِها ونعيمِها"، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: "المراد بوَلِيّ الله العالِمُ بالله تعالى المواظب على طاعته المخلص في عبادته" [٤٤٥]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فَكُلُّ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا تَقِيًّا كَانَ لِلَّهِ وَلِيًّا" [٤٤٦]، وقالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رحمه الله تعالى عزَّ وجلَّ: "أن ولاية الله تعالى نوعان عامة وخاصة: {فالعامة: ولاية كل مؤمن فمن كان مؤمنا لله تقيا كان له وليا وفيه من الولاية بقدر إيمانه وتقواه ولا يمتنع في هذه الولاية أن يقول: أنا ولي إن شاء الله كما يقول: أنا مؤمن إن شاء الله}. {والولاية الخاصة: إن علم من نفسه أنه قائم لله بجميع حقوقه مؤثر له على كل ما سواه في جميع حالاته قد صارت مراضي الله ومحابة هي همه ومتعلق خواطره يصبح ويمسي وهمه مرضاة ربه وإن سخط الخلق فهذا إذا قال: أنا ولي الله كان صادقا}" [٤٤٧]، وقال الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى، في تفسيره: "والمراد بأولياء الله خلقه المؤمنين كأنهم قربوا من الله سبحانه بطاعته واجتناب معصيته وقد فسر سبحانه هؤلاء الأولياء بقوله: {الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ} [يونس: ٦٣] أي يؤمنون بما يجب الإيمان به

٤٤٥ فتح الباري؛ ٣٥٠/١٠.

٤٤٦ مجموع الفتاوى؛ ٣١٦/٢٥.

٤٤٧ بدائع الفوائد ج ٣ ص ١٠٦.

ويتقون ما يجب عليهم اتقاؤه من معاصي الله سبحانه" [448]، "وولاية الله موافقته بأن تحب ما يحب وتبغض ما يبغض وتكره ما يكره وتسخط ما يسخط وتوالي من يوالي وتعادي من يعادي" [449]، وقال ابن القيم رحمه الله: "فالولاية هي عبارة عن موافقة الولي الحميد في محابه ومساخطه" [450]، وقال أيضاً رحمه الله: "فولي الله هو القريب منه المختص به" [451]، وقال ابن تيمية رحمه الله: "والولاية هي الإيمان والتقوى المتضمنة للتقرب بالفرائض والنوافل" [452]، وقال أيضاً رحمه الله: "فولي الله من والاه بالموافقة له في محبوباته ومرضاته وتقرب إليه بما أمر به من طاعته" [453]، فكل مسلم يؤمن بالله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ وبرسوله صلى الله عليه وسلم وينفذ أوامر الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ ويجتنب نواهيه ويتبع الرسول صلى الله عليه وسلم في الظاهر والباطن فهو ولي من أولياء الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ.

قال الشيخ بن عثيمين رحمه الله تعالى عزَّ وجلَّ: "والولاية سبق أنها النصرة والتأييد والإعانة، والولاية تنقسم إلى:

- ولاية من الله للعبد إذ يقول الله تعالى: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} [البقرة: ٢٥٧]، والولاية التي من الله للعبد تنقسم إلى: ولاية عامة، وولاية خاصة.
  - فالولاية العامة هي: الولاية على العباد بالتدبير والتصريف، وهذه تشمل المؤمن والكافر وجميع الخلق، فالله هو الذي يتولى عباده بالتدبير لشؤونهم وتصريفها ويستوي في ذلك مؤمن وكافر، فمن بيده مقاليد الأمور في هذا الكون إلا الله

٤٤٨ فتح القدير؛ ٤٥٧/٢.

٤٤٩ الاستقامة؛ ابن تيمية؛ ١٢٨/٢.

٤٥٠ الجواب الكافي؛ ص: ١٣٧، وانظر: شرح العقيدة الطحاوية؛ ص: ٧٠٥.

٤٥١ بدائع الفوائد؛ ١٠٦/٣.

٤٥٢ مجموع الفتاوى؛ ٤٤٠/١٠.

٤٥٣ مجموع الفتاوى؛ ٦٢/١١.

سبحانه وتعالى ومنه قوله تعالى: {ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ} [الأنعام: ٦٢].

- والولاية الخاصة: أن يتولى الله العبد بعنايته وتوفيقه وهدايته، فقد يكون هناك طريق خيرٍ وطريق شرّ، فيهدي الله العبد الصالح إلى طريق الخير ويُجنّد له الجنود لنُصرته وتأييده، وهذه خاصة بالمؤمنين، وهي درجة رفيعة يختص الله بها من يشاء ويحب من عباده، قال تعالى: {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} [يونس: ٦٢ - ٦٣]" [٤٥٤].

- وولاية من العبد لله: إذ يقول الله تعالى: {وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} [المائدة: ٥٦]، فـ"أَنَّ مَنْ وَثِقَ بِاَللَّهِ وَتَوَلَّى اللَّه وَرَسُوله وَالْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ كَانَ عَلَى مِثْل حَاله مِنْ أَوْلِيَاء اللَّه مِنْ الْمُؤْمِنِينَ، لَهُمْ الْغَلَبَة وَالدَّوَائِر وَالدَّوْلَة عَلَى مَنْ عَادَاهُمْ وَحَادَّهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ حِزْب اللَّه، وحزبُ الله هم الغالبون" [٤٥٥].

والولاية متفاوتة بحسب إيمان العبد وتقواه، فكل مؤمن له نصيب من ولاية الله ومحبته وقربه، ولكن هذا النصيب يتفاوت بحسب الأعمال الصالحة البدنية والقلبية التي يتقرب بها إلى الله، وعليه يمكن تقسيم درجات الولاية إلى ثلاث درجات:

١- الظالم لنفسه: وهو المؤمن العاصي، فهذا له من الولاية بقدر إيمانه وأعماله الصالحة.

٢- المقتصد: وهو المؤمن الذي يحافظ على أوامر الله، ويجتنب معاصيه، ولكنه لا يجتهد في أداء النوافل: وهذا أعلى درجة في الولاية من سابقه.

٣- السابق بالخيرات: وهو الذي يأتي بالنوافل مع الفرائض، ويبلغ بالعبادات القلبية لله عزّ وجلّ مبالغ عالية، فهذا في درجات الولاية العالية.

ولا شك أن النبوة هي أعلى وأرقى درجات الولاية لله عزّ وجلّ.

---

٤٥٤ القول المفيد على كتاب التوحيد؛ ج ٢ ص ٦٠.

٤٥٥ تفسير الطبري.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (الناس على ثلاث درجات: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات. {فالظالم لنفسه: العاصي بترك مأمور أو فعل محظور}. {والمقتصد: المؤدي الواجبات والتارك المحرمات}. {والسابق بالخيرات: المتقرب بما يقدر عليه من فعل واجب ومستحب، والتارك للمحرم والمكروه}. وإن كان كل من المقتصد والسابق قد يكون له ذنوب تمحى عنه: إما بتوبة {والله يحب التوابين ويحب المتطهرين}، وإما بحسنات ماحية، وإما بمصائب مكفرة، وإما بغير ذلك. وكل من الصنفين المقتصدين والسابقين من أولياء الله الذين ذكرهم في كتابه بقوله: {ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون}، فحد أولياء الله هم: المؤمنون المتقون. ولكن ذلك ينقسم: إلى "عام": وهم المقتصدون. و"خاص" وهم السابقون، وإن كان السابقون هم أعلى درجات كالأنبياء والصديقين. وقد ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم القسمين في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "يقول الله: من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي؛ ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه". وأما الظالم لنفسه من أهل الإيمان: فمعه من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه، كما معه من ضد ذلك بقدر فجوره، إذ الشخص الواحد قد يجتمع فيه الحسنات المقتضية للثواب، والسيئات المقتضية للعقاب، حتى يمكن أن يثاب ويعاقب، وهذا قول جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة الإسلام وأهل السنة والجماعة الذين يقولون: إنه لا يخلد في النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان) [٤٥٦]،

٤٥٦ مجموع الفتاوى؛ ١٠/٦.

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: "من كان مؤمناً تقيّاً كان لله وليّاً، ومَن لم يكن كذلك فليس بولي لله، وإن كان معه بعض الإيمان والتقوى كان فيه شيءٌ من الولاية" [٤٥٧]، وأولياء الله هم "أهل الله"؛ أهل القرآن، وأهل الطاعة، وأهل العبادة؛ فهم أولياؤُه وأحبابُه، والولاية ليست حكرا على أحد، وليست علامة مميزة لطبقة معينة من الناس، ولا تنال بالوراثة ولا بالأوسمة، بل رتبة ربانية تبدأ بالقلب محبة وتعظيما لله عز وجل، وتترجم إلى واقع عملي، فيكسب صاحبها حب الله تعالى وولايته، والولاية لا تبيح لصاحبها فعل المحرمات ولا ترك الواجبات، بل إن فعل ذلك فهو دليل على نقص ولايته لله، وكذلك لا تبيح لأحد أن يتوجه إلى من يسمون بالأولياء [وقد لا يكونون يستحقون ذلك] فيرفعونهم إلى مقام النبوة فلا يردون لهم أمرا ، ولا يناقشون لهم فكرا ولا رأيا، وهذا كله من الغلو الذي نهى الله تعالى عنه، ومن أعظم أسباب وقوع الشرك في الناس، وقد يتعدى بعض الناس هذا الحد فيقع في الشرك الأكبر بسبب الفهم الخاطئ للولاية ومنزلة الأولياء فتراه يدعوهم من دون الله ويذبح لهم ويقدم لهم القرابين ويطوف حول أضرحتهم.

وقد ورد في الكتاب والسنّة الصحيحة، بعض الأسباب والأعمال والمواطن التي تُنَالُ بها ولاية الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ؛ ومن ذلك:

١. الإيمان والتقوى [٤٥٨]؛ قال سبحانه وتعالى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ

---

٤٥٧ فتاوى مهمة؛ ص ٨٣.

٤٥٨ التقوى: هي "ألا يجدك الله حيث نهاك وألا يفتقدك حيث أمرك"، وهي "وصية جميع الرسل لأقوامهم؛ يقول الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ: {كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ} [الشعراء: ٦٠ - ٦١]"؛ وهي "اللباس الذي يستر عوراتنا الداخلية من حقد وحسد وأمراض قلوب أخرى؛ يقول الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ: {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ} [الأعراف: ٢٦]"، وهي "سبب النجاة من النار؛ يقول الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ: {ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا}"، فلنتقِ الله ما استطعنا حتى نكون من أوليائه سبحانه وتعالى.

لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [يونس: ٦٢ - ٦٤]، قال السعدي: "يخبر تعالى عن أوليائه وأحبائه، ويذكر أعمالهم وأوصافهم، وثوابهم فقال: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} فيما يستقبلونه مما أمامهم من المخاوف والأهوال. {وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} على ما أسلفوا، لأنهم لم يسلفوا إلا صالح الأعمال، وإذا كانوا لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ثبت لهم الأمن والسعادة، والخير الكثير الذي لا يعلمه إلا الله تعالى. ثم ذكر وصفهم فقال: {الَّذِينَ آمَنُوا} بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وصدقوا إيمانهم، باستعمال التقوى، بامتثال الأوامر، واجتناب النواهي. فكل من كان مؤمنًا تقيًا كان لله [تعالى] وليًا، و{لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}، أما البشارة في الدنيا، فهي: الثناء الحسن، والمودة في قلوب المؤمنين، والرؤيا الصالحة، وما يراه العبد من لطف الله به وتيسيره لأحسن الأعمال والأخلاق، وصرفه عن مساوئ الأخلاق. وأما في الآخرة، فأولها البشارة عند قبض أرواحهم، كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ}، وفي القبر ما يبشر به من رضا الله تعالى والنعيم المقيم. وفي الآخرة تمام البشرى بدخول جنات النعيم، والنجاة من العذاب الأليم. {لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ} بل ما وعد الله فهو حق، لا يمكن تغييره ولا تبديله، لأنه الصادق في قيله، الذي لا يقدر أحد أن يخالفه فيما قدره وقضاه. {ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} لأنه اشتمل على النجاة من كل محذور، والظفر بكل مطلوب محبوب، وحصر الفوز فيه، لأنه لا فوز لغير أهل الإيمان والتقوى. والحاصل أن البشرى شاملة لكل خير وثواب، رتبه الله في الدنيا والآخرة، على الإيمان والتقوى، ولهذا أطلق ذلك، فلم يقيده". قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: "وإذا كان أولياء الله هم المؤمنين المتقين فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى، فمن كان أكمل إيمانا وتقوى كان

أكمل ولاية لله. فالناس متفاضلون في ولاية الله عز وجل بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى" [٤٥٩].

٢. الاستقامة {الإيمان والاستقامة}: فهم عرفوا الله فاستقاموا على منهجه: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُون * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ} [فصلت: ٣٠ - ٣٢]؛ قال الإمام القرطبي رحمه الله: "قال أبو بكر رضي الله عنه: قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلم يلتفتوا إلى إله غيره ولم يلبسوا إيمانهم بشرك أولئك لهم الأمن وهم مهتدون. وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال على المنبر وهو يخطب: إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فقال: استقاموا والله على الطريقة لطاعته ثم لم يرغوا روغان الثعالب. وقال عثمان رضي الله عنه: ثم أخلصوا العمل لله. وقال علي رضي الله عنه: ثم أدوا الفرائض. وأقوال التابعين بمعناها. قال ابن زيد وقتادة: استقاموا على الطاعة لله. الحسن: استقاموا على أمر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته. وقال مجاهد وعكرمة: استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى ماتوا. وقال سفيان الثوري: عملوا على وفاق ما قالوا. وقال الربيع: أعرضوا عما سوى الله. وقال الفضيل بن عياض: زهدوا في الفانية ورغبوا في الباقية. وقيل: استقاموا إسرارا كما استقاموا إقرارا. وقيل: استقاموا فعلا كما استقاموا قولا. وقال أنس: لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم: هم أمتي ورب الكعبة. وقال الإمام ابن فورك: السين سين الطلب، مثل استسقى أي: سألوا من الله أن يثبتهم على الدين. وكان الحسن إذا قرأ هذه الآية قال: اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة. قلت: وهذه الأقوال وإن تداخلت فتلخيصها: اعتدلوا على طاعة الله عقدا وقولا وفعلا، وداموا على ذلك"، وقال السعدي: "يخبر

٤٥٩ مجموعة الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية - ج ١١ - التصوف ص ١٠٠.

تعالى عن أوليائه، وفي ضمن ذلك، تنشيطهم، والحث على الاقتداء بهم، فقال: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا} أي: اعترفوا ونطقوا ورضوا بربوبية الله تعالى، واستسلموا لأمره، ثم استقاموا على الصراط المستقيم، علمًا وعملاً، فلهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة. {تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ} الكرام، أي: يتكرر نزولهم عليهم، مبشرين لهم عند الاحتضار. {أَلَّا تَخَافُوا} على ما يستقبل من أمركم، {وَلَا تَحْزَنُوا} على ما مضى، فنفوا عنهم المكروه الماضي والمستقبل، {وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} فإنها قد وجبت لكم وثبتت، وكان وعد الله مفعولاً"، والاستقامة سبب في تيسير أمور الحياة كما قال الله تعالى: {وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا * لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ} [الجن: ١٦ - ١٧]؛ قال السعدي رحمه الله تعالى: "فإنهم {لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ} المثلى {لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا} أي: هنيئا مريئا، ولم يمنعهم ذلك إلا ظلمهم وعدوانهم. {لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ} أي: لنختبرهم فيه ونمتحنهم ليظهر الصادق من الكاذب"، وعن سفيان بن عبد الله الثقفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قالَ: قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، قُلْ لي في الإسْلامِ قَوْلًا لا أسْأَلُ عنْه أحَدًا بَعْدَكَ، وفي حَديثِ أَبِي أُسامَةَ غَيْرَكَ، قالَ: "قُلْ: آمَنْتُ باللَّهِ، ثم اسْتَقِمْ" [٤٦٠].

---

٤٦٠ حديثٌ صحيحٌ: صحيح مسلم ٦٢ - ٣٨.

كان الصَّحابةُ مِن أَحْرَصِ النّاسِ على سؤالِ النبيِّ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ عمّا يَنْفَعُهمْ في دُنياهم وآخِرتِهم، وفي هذا الحديثِ يَسأَلُ الصَّحابيُّ سُفيانُ بنُ عبدِ اللهِ الثَّقَفيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْه النبيَّ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ عن عَمَلٍ يُنْجيهِ ويَكْفيهِ عن الأعمالِ الأُخرى، فقال: قلتُ: «يا رَسولَ اللهِ، قُلْ لي في الإسلامِ قَوْلًا لا أَسْأَلُ عَنْه أحدًا بَعْدَكَ- وفي حديثِ أَبِي أُسامةَ، أي: رِوايتِهِ، وهو حَمّادُ بنُ أُسامَةَ: غَيْرَكَ»-، أي: أَعْلِمْني بقولٍ جامِعٍ وشامِلٍ في مَبادِئِ الإسلامِ وغاياتِه، يَكمُلُ به دِيني، ويُرْشِدُني إلى الحقِّ، ويَكْفِيني عَنْ غَيْرِه من الأعمالِ، ويَكون سببًا في نَجاتي، بحيثُ لا أسأَلُ أحدًا غَيْرَكَ أَوْ بَعْدَكَ عَنْ عَمَلٍ آخَرَ يَكونُ أَكْثَرَ شُمولًا، بل يكونُ قولُكَ هو القولَ الفَصْلَ فيه، فقال النبيُّ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: «قُلْ: آمَنْتُ باللهِ، فاسْتَقِمْ»، وفي رِوايةٍ أُخرى: «ثُمَّ اسْتَقِمْ»، أي: قُلْ وأَنْتَ مُوقِنٌ بقَلْبِكَ: آمنتُ باللهِ، ثُمَّ داوِمْ على هذا الإيمانِ وأَنْت مُسْتَقِيمٌ على هَدْيِهِ ومُقْتَضاهُ، والاسْتِقامةُ جامِعَةٌ للإتيانِ بجَمِيعِ الأَوامِرِ، والانْتِهاءِ عن جَميعِ المَناهي، وهذا كما قال اللهُ تعالى:

٣. الإخلاص لله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: فولاية الله لا تُنال إلا بالعبودية، قال ابن القيم: "وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه يقول: من أراد السعادة الأبدية فليلزم عتبة العبودية وقال بعض العارفين: لا طريق أقرب إلى الله من العبودية" [٤٦١]، ولا تنال الولاية إلا بطاعة الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ، "ومن مقتضيات ولاية الله: اتخاذ الله سبحانه وتعالى حكماً [٤٦٢]، وإفراد الله بالنسك [٤٦٣]، وتولية الله في جميع الشئون والأحوال [٤٦٤]، ومحبة أحباب الله [٤٦٥]، وتحمل الأذى في سبيل الله [٤٦٦]، وعدم اتخاذ أعداء الله أولياء [٤٦٧]، واحــذر كل الحــذر؛ فلا تكن وليا لله في العلانية وعدوه في السر" [٤٦٨]، وعبادة الله لا تقوم ولا تستقيم إلا بالإخلاص له، قال تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء} [سورة البينة: ٥]؛ فالإخلاص لله هو حقيقة الدين ولب العبادة وشرط قبول العمل، فهو بمنـزلة الأساس للبنيان وبمنـزلة الروح

{إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلّا تَخافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} [فصلت: ٣٠]، وقال عزَّ وجلَّ: {إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * أُولَئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ خالِدِينَ فِيها جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ} [الأحقاف: ١٣- ١٤]، فالمُعوَّلُ عليه هو الثَّباتُ على الإيمانِ مع الاسْتِمرارِ على العَمِلِ الصّالِحِ الذي يَهْدي صاحِبَهُ إلى الطَّريقِ المُستَقيمِ.

٤٦١ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين؛ ابن قيم الجوزية؛ ٤٣١/١.

٤٦٢ قال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {أَفَغَيْرَ الله أَبْتَغِي حَكَماً}، لا يمكن أن أتخذ غير الله حكماً يحكم في الأمور.

٤٦٣ قال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ}، فالذي يشرك مع الله في العبادة ليس يوالي الله عز وجل مطلقاً، إذ كيف يشرك معه وهو يواليه.

٤٦٤ إذا كانت ولايتك لله صحيحة فلا بد أن تتمسك بدين الله، وتترك ما أحدث الناس في الدين من البدع.

٤٦٥ أن تحب أحباب الله، أن تحب أولياء الله سبحانه وتعالى، وتعادي من عادى الله، ومن أبغض الله.

٤٦٦ لأنّ هذه الولاية ستكلفك أشياء عظيمة؛ قد تكلفك حياتك قد تكلفك مالك وابتعادك عن أرضك.

٤٦٧ قال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ}، وهناك كثير من المسلمين اليوم يسارعون في موالاة الكفار ومصادقتهم وعقد الأحلاف للنصرة فكيف يجتمعان في قلب عبد؟.

٤٦٨ كتاب هكذا كان الصالحون؛ كيف تنال ولاية الله؛ خالد الحسينان؛ ج١ ص٣١ [بتصرف].

للجسد، فلا عبادة ولا عبودية لمن لا إخلاص له، فنَخُصّ وجهَ الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ بأعمالنا، ونُفرده سبحانه وتعالى في العمل والعبادة والطاعة {سواء كانت قولية أو عملية، أو مادية أو معنوية}، وأن نتخذه سبحانه وتعالى حكماً إذ يقول الله تعالى على لسان نبيه: {أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً} [الأنعام: ١١٤]، ولا نشرك به سبحانه وتعالى أحدا، وأن نَجْتَنِبَ ونَتَجَنَّبَ الرياء والمفاخرة والمباهاة وحب الظهور ونحوِ ذلك، قال ابن القيم رحمه الله: "فإذا حدثتك نفسك بطلب الإخلاص فأقبل على الطمع أولاً فاذبحه بسكين اليأس، وأقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشاق الدنيا في الآخرة، فإذا استقام لك ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح سهل عليك الإخلاص" [٤٦٩]، وقال الله سبحانه وتعالى مخبراً عن أعمال الكفار التي لا إخلاص فيها ولا توحيد: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً} [الفرقان: ٢٣]، فهذا الإحباط للعمل والإبطال للسعي نصيب كل من لم يخلص لله تعالى في قوله وعمله، قال الله سبحانه وتعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [هود: ١٥ - ١٦]، فإنّ ربَّنا جل وعلا أغنى الشركاء عن الشرك؛ وهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "قالَ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالَى: أنا أغْنَى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَن عَمِلَ عَمَلًا أشْرَكَ فيه مَعِي غيرِي، تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ" [٤٧٠]، وَعَنْ أبي أمامة

٤٦٩ المجموع القيم من كلام ابن القيم في الدعوة والتربية وأعمال القلوب؛ ص ٢٣٧.

٤٧٠ حديثٌ صحيحٌ: صحيح مسلم ٢٩٨٥.

هذا الحديثُ مِن الأحاديثِ القُدسيَّة، والحديثُ القُدسيُّ هُو الَّذي يَرويه النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم عن رَبِّه، فيَقولُ: قال اللهُ تَعالى كذا؛ لأنَّ الأحاديثَ الَّتي تُروى عنِ الرَّسولِ صلى الله عليه وسلم إمّا أن يَنسُبَها الرَّسولُ صلى الله عليه وسلم إلى اللهِ، فتُسمّى أحاديثَ قُدسيَّةً، وإمّا ألّا يَنسُبَها إلى اللهِ فتُسمّى أحاديثَ نَبويَّةً. ويُخبِرُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم في هذا الحديثِ أنَّ اللهَ تبارَك وتعالى قال: أنا أغنى الشُّركاءِ عن الشِّرك؛ فاللهُ تَعالى

الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ في الحديث القدسي: "أَغْبَطُ أوليائي عندي: لَمُؤمنٌ خَفِيفُ الحاذِ ذو حظٍّ من الصلاةِ (أي: مواظب على أدائها)، أَحْسَنَ عبادةَ ربِّه، وأطاعه في السرِّ، وكان غامضًا في الناسِ (أي: ليس ذا شهرة أو حضور، بل هو من الأتقياء الأخفياء)؛ لا يُشارُ إليه بالأصابعِ، وكان رزقُه كَفافًا، فصبر على ذلك"، ثم نقد بيدِه ([وفي روايــة بلفظ: ثم نقرَ {رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم} بإِصْبَعَيْه]، [وفي رواية بلفظ: ثم نفض {رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم} بيدِه])، فقال: "عُجِّلَتْ مَنِيَّتُه، قَلَّتْ بَواكِيهِ، قَلَّ تُراثُهُ (أي: لم يُقَدَّر له حياةٌ طويلة، وليس وراءه قبيلة أو ذريّة تبكي عليه، وليس له ميراث ضخم يقتتل ورثته من بعده عليه)" [٤٧١]، وَعَنْ عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "قَدْ أَفْلَحَ مَن أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بما آتاه" [٤٧٢]، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْــهُ، أَنَّــهُ قَــــالَ

هُو الغنيُّ عن كُلِّ شيءٍ، غَنيٌّ عنِ العالمينَ، وأنَّه إذا عَمِلَ الإنسانُ عَمَلًا منَ الطّاعاتِ للهِ ولِغيرِ اللهِ تَرَكَه اللهُ، فلَو صلّى الإنسانُ للهِ ولِلنّاسِ لم يَقبَلِ اللهُ صَلاتَه؛ لأنَّ اللهَ سُبحانَه وتَعالى أَغنى الشُّركاءِ عنِ الشِّركِ، إذا عَمِلَ الإنسانُ عَملًا أَشرَكَ فيهِ مَع اللهِ غَيرَه فإنَّ اللهَ لا يَقبَلُه مِنه. {وفي الحديثِ: أنَّ الرِّياءَ إذا شارَكَ العِبادَةَ؛ فإنَّها لا تُقبَلُ}.

٤٧١ حديثٌ إسناده ضعيف جداً؛ أخرجــه الشـــيخ الألباني في تخريج مشكاة المصابيح ٥١١٧؛ أخــرجه الترمذي (٢٣٤٧) واللفظ له، وأحمد (٢٢٢٢١). {وفي رواية: "إن أغبطَ أوليائي عندي لمؤمنٌ، خفيفُ الحاذِ، ذو حظٍّ منَ الصلاةِ، أحسنَ عبادةَ ربِّه، وأطاعَه في السِّرِ، وكانَ غامضًا في النّاسِ، لا يُشارُ إليه بالأصابعِ، وكانَ رزقُه كَفافًا، فصبرَ على ذلك"، ثم نقرَ بإِصْبَعَيْه، فقال: "عُجِّلَتْ مَنِيَّتُه، قَلَّتْ بَواكِيه، قلَّ تُراثُهُ" [حديثٌ ضعيفٌ؛ أخرجه الشيخ الألباني في ضعيف الترمذي ٢٣٤٧]}، {وفي رواية: "إنَّ أَغبَطَ أوليائي عندي، لمؤمنٌ خفيفُ الحاذِ ذو حظٍّ من صلاةٍ، أحسنَ عبادةَ ربِّه، وأطاعه في السِّرِ، وكان غامضًا في الناسِ، لا يُشارُ إليه بالأصابعِ، وكان رزقُه كفافًا، فصبَر على ذلك ثم نفض بيدِه فقال: عُجِّلَت مَنِيَّتُه، قلَّت بواكيه، قلَّ تُراثُه" [حديثٌ ضعيفٌ؛ أخرجه الشيخ الألباني في ضعيف الترغيب ١٨٦٤]}.

٤٧٢ حديثٌ صحيحٌ: صحيح مسلم ١٢٥ - ١٠٥٤.

في هذا الحديثِ إرشادٌ مِنَ النبيّ صلى الله عليه وسلم لِأُمَّتِه إلى أنَّ طلَبَ الزيادةِ على الكَفافِ لا يَنبغِي أن يُتعِبَ الإنسانُ نفسَه في طَلَبِه؛ لأنَّ المحمودَ مِنَ الرِّزقِ ما حَصَلَتْ به القُوَّةُ على الطاعةِ، ويكونُ الاشتِغالُ به

لِأَصْحَابِهِ {وصايا رضي الله عنه لأصحابه وأتباعه ومَنْ حوله أن يكونوا من أهل الخفاء}: "كُونُوا يَنَابِيعَ الْعِلْمِ مَصَابِيحَ الْهُدَى أَحْلَاسَ الْبُيُوتِ {الأحلاس: جمع حلس: وهو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب، ومعنى: كونوا أحلاس البيوت، أي: الزموها (كقطعة جامدة في البيت لا حركة لها)} سُرُجَ اللَّيْلِ {السراج: المصباح (أي تسهرون الليل في طاعة الله تعالى)} جُدُدَ الْقُلُوبِ {جدد القلوب: كثيرو التوبة والاستغفار (قلوبكم ذاكرة لله سبحانه وتعالى)} خُلْقَانَ الثِّيَابِ {الخلق: القديم البالي (ثيابكم متواضعة ليس أثواب شهرة ولا أبّهة)} تُعْرَفُونَ فِي السَّمَاءِ وَتَخْفَوْنَ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ" [٤٧٣]، ورَسول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يقولُ: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العَبْدَ التَّقِيَّ، الغَنِيَّ، الخَفِيَّ" [٤٧٤]؛ فالتقي: الذي يتقي الله سبحانه وتعالى فهُو الآتي بِما يَجبُ عَليه

على قَدْرِ الحاجَةِ. فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «قد أَفْلَحَ مَن أَسْلَمَ»، أي: قد حاز الفَلاحَ وفاز به مَن أَسْلَمَ إسلامًا صحيحًا؛ لأنَّه خَلَص مِن الكُفرِ والشِّركِ، وهو الذَّنْبُ الذي لا يَغفِرُه الله، «ورُزِق كَفافًا»، أي: رُزِقَ الكِفايَةَ بلا زيادةٍ ولا نَقْصٍ، وما يَكُفُّ عن الحاجاتِ ويَدْفَعُ الضروراتِ والفاقاتِ، والمرادُ به: الرِّزقُ الحلالُ؛ لأنَّه لا فَلاحَ مع رزقٍ حرامٍ، وقولُه: «وقَنَّعَهُ اللهُ بما آتاهُ»، أي: رزَقه الله القَناعَةَ بما عندَه مِن الكَفافِ، فلم يَطلُبِ الزِّيادَةَ. {وفي الحديثِ: الفَوْزُ والفَلاحُ لِمَنْ أَسْلَمَ لله، ورَضِيَ بما قَسَمه الله له. وفيه: أنَّ القَناعَةَ مِن أسبابِ الفَلاحِ}.

٤٧٣ الجامع في بيان العلم وفضله لابن عبد البر؛ باب جامع في آداب العالم والمتعلم؛ حديث رقم ٥٩٠.

٤٧٤ حديث صحيح: رواه مسلم ١١ - ٢٩٦٥. {كانَ سَعْدُ بنُ أَبِي وَقّاصٍ في إبِلِهِ، فَجاءَهُ ابنُهُ عُمَرُ، فَلَمّا رَآهُ سَعْدٌ قالَ: أَعُوذُ باللَّهِ مِن شَرِّ هذا الرّاكِبِ، فَنَزَلَ فَقالَ له: أَنَزَلْتَ في إبِلِكَ وَغَنَمِكَ، وَتَرَكْتَ النّاسَ يَتَنازَعُونَ المُلْكَ بيْنَهُمْ؟ فَضَرَبَ سَعْدٌ في صَدْرِهِ، فَقالَ: اسْكُتْ، سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يقولُ: إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العَبْدَ التَّقِيَّ، الغَنِيَّ، الخَفِيَّ. [حديث صحيح؛ رواه مسلم ١١ - ٢٩٦٥].

في هَذا الحديثِ أنَّ سَعدَ بنَ أَبي وَقّاصٍ كانَ في إبِلِه يَرعاها فجاءَه ابنُه عُمرُ فلمّا رَآه سَعدُ، قال: أَعوذُ باللهِ مِن شَرِّ هَذا الرّاكبِ؛ حَذرًا إنْ كانَ آتيَه بأَمرٍ فيه شرٌّ لَه. فقال له ابنُه: أَنَزَلْتَ في إبِلكَ وغَنَمِك وتَركْتَ النّاسَ يَتنازَعون المُلكَ بَينَهم؟ فضَرَبَ سَعدٌ في صَدرِه وذَكَرَ لَه قَولَ النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، فَقال: سَمِعتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يَقولُ: (إنَّ اللهَ يُحبُّ العَبدَ التَّقيَّ الغنيَّ الخَفيَّ)، والتَّقيُّ هُو الآتي بِما يَجبُ عَليه المُجتنِبُ لِما يَحرُمُ عليه، والغَنيُّ، أي: غَنيُّ النَّفْسِ؛ فصاحِبُ القَناعةِ هُو الغَنيُّ ولَيس كَثيرَ المالِ؛ فإنَّ الغِنى

المُجتنِبُ لِما يَحرُمُ عليه، والغني: في نفسه فإنما الغنى غنى النفس فهو صاحِبُ القَناعةِ ولَيس كَثيرَ المالِ، والخفي: الذي لا يحب الشهرة، واكتفى من حياته أنه يقدم طاعةً لله سبحانه وتعالى، فهو المُنقطِعُ إِلى العِبادةِ والاشتِغالِ بأُمورِ نَفسِه.

٤. متابعة رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فمن اعتقد أن لأحد من الأولياء طريقاً إلى الله من غير متابعة محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر" [٤٧٥].

٥. التقرب إلى الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ بما يُحب {بالمحافظة على الفرائض، والتزوُّد بعدها النوافل [من صيامٍ وقراءةِ قرآنٍ وقيامِ ليلٍ وصدقاتٍ]، تقرُّباً إلى المولى سبحانه وتعالى}؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عبدي بشيء أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عبدي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شيء أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ" [٤٧٦]، فالولي

غِنى النَّفْسِ والخَفيُّ، أيِ: الخامِلُ المُنقطِعُ إلى العِبادةِ والاشتِغالِ بأُمورِ نَفسِه، والإشارَةُ بالخَفِيِّ إلى خُمولِ الذِّكْرِ والشُّهرةِ عندَ النّاسِ، فالغالِبُ عَلى الخامِلِ السَّلامَةُ.

٤٧٥ فتاوى شيخ الإسلام ج ١١ ص ١٧٠.

٤٧٦ حديثٌ صحيحٌ: صحيح البخاري ٦٥٠٢.

يَحكي أبو هُرَيرَة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ قال: مَن عادى؛ أي: آذى، لي وليًّا، وهو مَن يتولّى اللهُ سبحانه وتعالى أمْرَه ولا يَكِلُه إلى نفْسه لحظةً، بل يتولّى الحقُّ رعايتَه، أو هو الذي يتولّى عبادةَ الله وطاعته، فعباداته تَجري على التَّوالي من غير أنْ يتخلَّلها عصيان، فقد آذنتُه أي: أعلَمتُه بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضتُ عليه؛ أي: أوجبتُه عليه، وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنَّوافل مع الفرائض كالصَّلاة والصِّيام؛ حتى أُحبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعه الذي يَسمَع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطِش بها، ورِجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينَّه ما سأل، ولئِن استعاذني لأُعيذنَّه

هو من تقرّب إلى الله سبحانه وتعالى بعد الفرائض بالنوافل، ابتغاء مرضاته، حَتَّى يُحِبَّهُ الله سبحانه وتعالى.

٦. أن يكون من أهل القرآن، وأهل الطاعة، وأهل العبادة؛ فأولياء الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ هم "أهل الله"؛ أهل القرآن، وأهل الطاعة، وأهل العبادة؛ فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: "إنَّ للَّهِ أَهْلينَ منَ النّاسِ"، قالوا: يا رسولَ اللَّهِ، من هُم؟، قالَ: "هم أَهْلُ القرآنِ، أَهْلُ اللَّهِ وخاصَّتُهُ" [٤٧٧]،

ممّا يخاف، وما تردَّدتُ عن شيءٍ أنا فاعله تردُّدي عن نفْسِ المؤمن؛ وليس هذا التردد من أجل الشك في المصلحة، ولا من أجل الشك في القدرة على فعل الشيء، بل هو من أجل رحمة هذا العبد المؤمن، ولهذا قال في نفس الحديث: "يكره الموت، وأكره إساءته، ولابد له منه"؛ يَكره الموت؛ لِما فيه من الألمِ العظيم، وأنا أكره مَساءَتَهُ؛ لِما يَلْقى المؤمن من الموتِ وصُعوبته.

في الحديث: النَّهي عن إيذاء أولياء الله. وفيه: التَّرغيب في حبِّ أولياء الرَّحمن، والاعتراف بفضلهم. وفيه: أنَّ أحبَّ الأعمالِ فِعلُ الفرائض، وأفضلُ القُربات بَعدَها فِعلُ النَّوافل.

٤٧٧ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه ١٧٩.

القُرآنُ الكريمُ هو حبْلُ اللهِ المَتينُ؛ مَن قَرأَه أو حَفِظَه، وعمِلَ بما فيها بِنيَّةٍ صادقةٍ وقلْبٍ مُتيقِّنٍ، وجعَلَه إمامًا له؛ فإنَّ له جزاءً عظيمًا وخُصوصيةً عندَ اللهِ سُبحانَه وتعالى. وفي هذا الحديثِ يُخْبِرُ أنسُ بنُ مالكٍ رضِيَ اللهُ عنه، أنَّ النَّبيَّ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ قال: «إنَّ للهِ أَهْلِينَ مِن النّاسِ»، أي: أهلًا مِن النّاسِ هم أولياؤُه وأحبابُه؛ فـ«أهلين» هم الأهلُ، جُمِعَ بالواو والنون على غَيرِ قياسٍ، وجمعَه هنا إشارةً إلى كثرتِهم، فقال الصَّحابةُ رضِيَ اللهُ عنهم: «يا رسولَ اللهِ، مَن هم؟» فقال النَّبيُّ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: «هم أَهْلُ القُرآنِ»، أي: حَفَظَةُ القُرآنِ العامِلونَ به، الذين يتْلونَه آناءَ اللَّيلِ وأطرافَ النَّهارِ، وإنَّما يكونُ هذا في قارئِ القُرآنِ الَّذي انتفى عنه جَورُ القلْبِ، وذهَبَتْ عنه جِنايةُ نفْسِه، وتطهَّرَ مِن الذُّنوبِ ظاهرًا وباطنًا، وتزيَّنَ بالطّاعةِ؛ فلا يكفي مُجرَّدُ التِّلاوةِ؛ ليكونَ مِن أهْلِ القُرآنِ، حتّى يعمَلَ بأحكامِه، ويقِفَ عندَ حُدودِه، ويتخلَّقَ بأخلاقِه، كما قال تعالى: {الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} [البقرة:١٢١]، «أَهْلُ اللهِ وخاصَّتُه»، أي: هم أولياءُ اللهِ الَّذين اختَصَّهم بمحبَّتِه، والعنايةِ بهم؛ سُمُّوا بذلك تعظيمًا لهم، كما يُقال: بيتُ اللهِ، وذلك أنَّ اللهَ تعالى يَخُصُّ بعضَ عِبادِه، فيُلْهِمُهم العمَلَ بأفضَلِ الأعمالِ، حتّى يرفَعَ درجاتِهم فوقَ كثيرٍ مِن النّاسِ؛ {يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ واللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [البقرة: ١٠٥].

وفي الحديثِ: بيانُ فَضيلةِ حِفْظِ القُرآنِ، والقيامِ بما فيه مِن أحكامٍ وأوامِرَ ونَواهٍ.

فهم أولياؤه وأحبابُه؛ قال المناوي رحمه الله تعالى: "أي حفظة القرآن العاملون به هم أولياء الله المختصون به اختصاص أهل الإنسان به، سموا بذلك تعظيما لهم كما يقال: (بيت الله). قال الحكيم الترمذي: وإنما يكون هذا في قارئ انتفى عنه جور قلبه وذهبت جناية نفسه، وليس من أهله إلا من تطهر من الذنوب ظاهرا وباطنا، وتزين بالطاعة، فعندها يكون من أهل الله" [٤٧٨]، وقال الشيخ ابن جبرين رحمه الله تعالى: "الذين يقرؤون القرآن طوال عامهم، هم أهل القرآن، الذين هم أهل الله وخاصته. ويجب على المسلم أن يكون مهتماً بالقرآن، ويكون من الذين يتلونه حق تلاوته، ومن الذين يحللون حلاله ويحرمون حرامه، ويعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، ويقفون عند عجائبه، ويعتبرون بأمثاله، ويعتبرون بقصصه وما فيه، ويطبقون تعاليمه؛ لأن القرآن أنزل لأجل أن يعمل به ويطبق، وإن كانت تلاوته تعتبر عملاً وفيها أجر. فمن أحب أن يكون من أهل الذكر فعليه أن يكون من الذين يتلون كتاب الله حق تلاوته، ويقرأه في المسجد، و يقرأه في بيته، و يقرأه في مقر عمله، لا يغفل عن القرآن، ولا يخص شهر رمضان بذلك فقط. فإذا قرأت القرآن فاجتهد فيه، كأن تختمه مثلاً كل خمسة أيام، أو في كل ثلاثة أيام. والأفضل للإنسان أن يجعل له حزباً يومياً يقرأه بعد العشاء أو بعد الفجر أو بعد العصر، وهكذا. لا بد أن تبقى معك آثار هذا القرآن بقية السنة ويحبب إليك كلام الله، فتجد له لذة وحلاوة وطلاوة وهنا لن تمل من استماعه، كما لن تمل من تلاوته. هذه سمات وصفات المؤمن الذي يجب أن يكون من أهل القرآن الذين هم أهل الله تعالى وخاصته" [٤٧٩].

وفيه: ترغيبٌ كبيرٌ في أنْ يكونَ الإنسانُ مِن أهلِ القرآنِ، وفي هذا إشارةٌ إلى ذَمِّ مَن هجَرَ القُرآنَ ونَسِيَه؛ فهجرُ القُرآنِ عاقبتُه وخيمةٌ في الدنيا والآخِرةِ، وهجْرُه يَشملُ هجْرَ التلاوة والحفظِ، وهجْرَ التدبُّرِ والعَملِ، والتَّحكيمِ إليه، والاستِشفاءِ به.

٤٧٨ فيض القدير؛ ٣ / ٨٧؛ باختصار.

٤٧٩ فتاوى الشيخ ابن جبرين؛ ٥٩ / ٣١-٣٢.

٧. هم [خيارُ عبادِ اللهِ من هذه الأُمَّةِ] الذين إذا رُؤوا ذُكِر الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: فعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قالَ: قالَ رَسولَ اللهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: "أولياءُ اللهِ تعالى، الذينَ إذا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ تعالى" [٤٨٠]، وفي رواية: "إنَّ خيارَ عبادِ اللهِ من هذه الأُمَّةِ الذين إذا رُؤُوا، ذُكِرَ اللهِ تعالى، وإنَّ شرارَ عبادِ اللهِ من هذه الأُمَّةِ المشّاؤونَ بالنميمةِ، المُفرّقون بين الأحبَّةِ الباغونَ للبُرآءِ العنتَ" [٤٨١]، وفي رواية: "ألا أُخبِرُكُم بخِيارِكُم؟" قالوا: بَلى. قال: "فخِيارُكُمُ الذينَ إذا رُؤوا، ذُكِرَ اللهُ تعالى، ألا أُخبِرُكُم بشِرارِكُم؟". قالوا: بَلى. قال: "فشِرارُكُمُ المُفسِدونَ بينَ الأحِبَّةِ، المشّاؤونَ بالنَّميمَةِ، الباغُونَ البُرآءَ العَنَتَ" [٤٨٢]. قال الله سبحانه وتعالى: {سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ} [الفتح: ٢٩]، فيبدوا على وجوههم أثر وعلامة الطاعة، وإن للطاعة نوراً وإشراقاً وحلاوةً ولذةً تبدو على أهل الطاعات، قال عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "إنَّ للحسنة ضياءً في الوجه، ونوراً في القلب، وسعةً في الرزق، وقوةً في البدن، ومحبةً في قلوب الخلق، وإنّ للسيئة سواداً في الوجه، وظلمةً في القبر والقلب، ووهناً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبغضةً في قلوب الخلق" [٤٨٣]، قيل للحسن: ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوها؟، قال: "لأنهم خلوا بالرحمن، فألبسهم من نوره نورا" [٤٨٤]، والمعنى: "جعل النور ملازما لهم، كأنه من لباسهم؛ فالعرب تعبر باللبس عن

---

٤٨٠ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الألباني في صحيح الجامع ٢٥٨٧.

٤٨١ أخرجهُ الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ٢٨٤٩، عن أبي مالك الأشعري: [ذكر له شاهدا]؛ أخرجه الخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (١/١١٣).

٤٨٢ أخرجهُ الشيخ شعيب الأرنؤوط في تخريج المسند ٢٧٦٠١، عن أسماء بنت يزيد أم سلمة الأنصارية؛ وقال عنه: حسن بشواهده؛ أخرجه ابن ماجه (٤١١٩) مختصراً، وأحمد (٢٧٦٠١) واللفظ له.

٤٨٣ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي؛ ابن قيم الجوزية: ٣٥/١.

٤٨٤ أخرجه ابن أبي الدنيا في التهجد، ومحمد بن نصر في قيام الليل.

الملازم" [٤٨٥]؛ وأما قوله "من نوره" يعني من نور الله؛ فالله عز وجل ينور بنور وجهه السماوات والأرض؛ فهي من آثار نور وجهه؛ فلا مانع أن ينور وجه عبده المؤمن القائم له يصلي [٤٨٦]، وقال سعيد بن المُسيِّب رحمه الله: "إنّ الرجل ليصلي بالليل، فيجعل الله في وجه نورا يحبه عليه كل مسلم، فيراه من لم يره قط فيقول :إني لأحبُ هذا الرجل!!" [٤٨٧]؛ كانـــوا طـــوال الليل مع الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ في حالة ذكـــر، وسجـــود، وقيـــام، وركـــوع، وتـــلاوة، ودعاء واستغفار، فألبسهم الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ من نور عبادته، وأذاقهم من حلاوة طاعته، فظهر ذلك على وجوههم نوراً وسِيْما وعلامة يعرفهم بها الناس، فإذا رأوهم ذكروا الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ.

٨. هُمْ قومٌ تحابُّوا برُوحِ اللهِ، مُحبِّينَ مُتَّقينَ أولياءَ للهِ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ، تزاوَرُوا وتجالَسوا وأَحَبَّ بعضُهم بعضًا محبَّةً خالِصةً للهِ تعالى: قال اللهِ سبحانه وتعالى عزَّ

٤٨٥ قال تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} [الأعراف: ٢٦]؛ قال ابن عاشور: "ويجوز أن يكون المراد بالتقوى، تقوى الله وخشيته، وأطلق عليها اللباس إما بتخييل التقوى بلباس يلبس، وإما بتشبيه ملازمة تقوى الله، بملازمة اللابس لباسه، كقوله تعالى: {هن لباس لكم وأنتم لباس لهن} [البقرة: ١٨٧]، مع ما يحسن هذا الإطلاق من المشاكلة. وهذا المعنى، الرفعُ أليق به. ويكون استطرادا للتحريض على تقوى الله، فإنها خير للناس من منافع الزينة،...".

٤٨٦ قال ابن تيمية رحمه الله: "وفي قوله: {مثل نوره} وفيما رواه مسلم في صحيحه، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله خلق خلقه في ظلمة، وألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضل. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في دعاء الطائف: أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن ينزل بي سخطك، أو يحل علي غضبك. رواه الطبراني وغيره. ومنه قول ابن مسعود: إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار، نور السموات من نور وجهه. ..... وإذا كان كذلك، صح أن يكون نور السماوات والأرض، وأن يضاف إليه النور، وليس المضاف هو عين المضاف إليه" [دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية - ج ٣ ، ج ٤ - المائدة - الذاريات؛ ص ٤٧٧ - ٤٧٨].

٤٨٧ رهبان الليل؛ ج ٢ ص ٤٥٤.

وجلَّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [المائدة: ٦٤]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قالَ: قالَ رَسولَ اللهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: "إنَّ من عبادِ اللهِ عبادًا ليسوا بأنبياءَ، يغبِطُهم الأنبياءُ والشهداءُ". قيل: من هم؟ لعلنا نحبُّهم! قال: "هم قومٌ تحابَّوا بنور اللهِ، من غير أرحامٍ ولا أنسابٍ، وجوهُهم نورٌ، على منابر من نورٍ، لا يخافون إذا خاف الناسُ، ولا يحزنون إذا حزن الناسُ"، ثم قرأ: "{أَلا إِنَّ أَوْلِياءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ}" [488]، فهم قومٌ تحابوا في الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ من غير

---

٤٨٨ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الألباني في صحيح الموارد ٢١٢٦، وفي صحيح الترغيب ٣٠٢٣. {وفي رواية: "إنَّ مِن عبادِ اللهِ لَأُناسًا ما هم بأنبياءَ ولا شُهداءَ، يغبِطُهم الأنبياءُ والشُّهداءُ يومَ القيامةِ بمكانِهم مِن اللهِ تعالى"، قالوا: يا رسولَ اللهِ، تُخبِرُنا مَن هم؟ قال: "هم قومٌ تحابُّوا بِرُوحِ اللهِ على غيرِ أرحامٍ بَيْنَهم، ولا أموالٍ يتعاطَوْنَها، فواللهِ إنَّ وجوهَهم لَنُورٌ، وإنَّهم على نُورٍ، لا يخافونَ إذا خاف النّاسُ، ولا يحزَنونَ إذا حزِن النّاسُ"، وقرَأ هذه الآيةَ: "{أَلا إِنَّ أَوْلِياءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} [يونس: ٦٢]" [حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الألباني في صحيح أبي داود ٣٥٢٧]}.

في هذا الحديثِ يُبيِّنُ النَّبيُّ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ فَضْلَ المحبَّةِ في اللهِ، وأنَّها تُثْمِرُ الفلاحَ في الدُّنيا والآخرةِ، فيقول: (إنَّ مِن عبادِ اللهِ)، أي: مَنْ كَمَلَ إيمانُهم وإحسانُهم للهِ تعالى، وإضافتُهم للهِ إضافةَ تشريفٍ وتعظيمٍ، (لَأُناسًا)، أي: هُمْ جماعةٌ من أولياءِ اللهِ تعالى، الذين يُحِبُّونَ في اللهِ ويُعادونَ في اللهِ، (ما هُمْ بأنبياءٍ ولا شُهداءَ)، أي: إنَّ محبَّتَهم للهِ التي ترتَّبَ عليها هذا الخيرُ العظيمُ لا لأجْلِ أنَّهم أنبياءٌ أو شهداءُ، بل هُمْ بَشَرٌ كباقي البَشَرِ، وفي اقترانِ الشُّهداءِ بالأنبياءِ دليلٌ على فضْلِ الشَّهادةِ؛ حيث قُرِنَ بينها وبين مَقامِ النُّبوَّةِ، وهؤلاءِ: (يَغبِطُهم الأنبياءُ والشُّهداءُ يومَ القيامةِ؛ بمكانِهم من اللهِ تعالى)، أي: لقُرْبِهم من اللهِ تعالى يَتمنّى الأنبياءُ والشُّهداءُ أنْ يكونوا مَكانَهم، و«الغِبْطَةُ» تمنِّي المرءِ النِّعمةَ التي عِند غيرِه، من غيرِ تمنِّي زوالِها عنه؛ فهي تكون في الخيرِ، بخلافِ «الحسَدِ» فهو تمنِّي النِّعمةِ التي عِند غيرِه مع تمنِّي زوالِها عنه، فهو يكون في الشَّرِّ. فتعجَّبَ الصَّحابةُ لهم ولمكانتِهم ومنزلتِهم، فقالوا: يا رسولَ اللهِ، تُخبِرُنا مَنْ هُمْ؟ أي: صِفْهُمْ لنا، وهو طلَبٌ في غايةِ الأدَبِ، فقال: (هُمْ قومٌ تحابُّوا بِرُوحِ اللهِ)، أي: تزاوَرُوا وتجالَسوا وأَحَبَّ بعضُهم بعضًا في اللهِ، (على غيرِ أرحامٍ بينهم، ولا أموالٍ يَتَعاطَوْنَها)، أي: محبَّةُ بعضِهم بعضًا ليسَتْ للقَرابةِ والمنفعةِ والمصلحةِ؛ لأنَّها أغراضٌ مُفسِدةٌ للمحبَّةِ، وإنَّما هي

أموال ولا أنساب ولا مصالح يشتركون فيها، إنما كانت المحبة فيما بينهم خالصةً لوجه الله تعالى، يجتمعون على طاعة الله، ويتفرقون على طاعته، ويتعاونون على البِرّ والتقوى، روحهم روحٌ إيمانية، مجالسهم مجالس ذكر ووعظ وتلاوة للقرآن، لا يَفْتُرُون عن ذكر الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ ، حفظوا الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ في دنياهم، فحفظهم في الدنيا والآخرة، قومٌ ذاقوا طعم الإيمان؛ فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قالَ: قالَ رَسولَ اللهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: "ثَلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ بهِنَّ حَلاوَةَ الإيمانِ: مَن كانَ اللَّهُ ورَسولُهُ أحَبَّ إلَيْهِ ممّا سِواهُما، وأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلّا لِلَّهِ، وأَنْ يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ في الكُفْرِ بَعْدَ أنْ أنْقَذَهُ اللَّهُ منه، كما يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النّارِ" [489]، وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "أعمال القلب الأربعة التي لا تنال

خالِصةٌ للهِ تعالى، فالمرادُ تَحسينُ النِّيَّةِ. ثم أخْبَرَ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ عن جزائِهم ومَنزلتِهم قائلًا: (فواللهِ إنَّ وُجوهَهم لَنورٌ)، أي: مُنيرةٌ يَعْلوها النُّورُ، وهي مُبالَغةٌ من شِدَّةِ النُّورِ، (وإنَّهم على نورٍ)، أي: على مَنابِرَ من نورٍ، فهُمْ نورٌ على نورٍ، وهي بيانٌ لحالِهم ومنزلتِهم عِندَ اللهِ، (لا يَخافونَ إذا خافَ النّاسُ، ولا يَحزَنونَ إذا حزِنَ النّاسُ)، أي: يومَ القيامةِ، ثمَّ قرأ النَّبيُّ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ هذه الآيَةَ استشهادًا على قولِه الأخيرِ: {أَلا إِنَّ أَوْلِياءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} [يونس: ٦٢]، أي: إنَّ المُحبِّينَ المُتَّقينَ أولياءَ اللهِ تعالى لا خَوْفٌ عليهم من عقابٍ يَلْحَقُ بهم، ولا هُمْ يَحزَنونَ من فَواتِ ثَوابِهِمْ.

٤٨٩ حديثٌ صحيحٌ: متفقٌ عليه: صحيح مسلم ٤٣؛ أخرجه البخاري ١٦، ومسلم ٤٣. وفي رواية: "ثَلَاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ حَلَاوَةَ الإيمَانِ: أنْ يَكونَ اللَّهُ ورَسولُهُ أحَبَّ إلَيْهِ ممَّا سِوَاهُمَا، وأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلَّا لِلَّهِ، وأَنْ يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ في الكُفْرِ كما يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النَّارِ". [حديثٌ صحيحٌ: متفقٌ عليه: صحيح البخاري ١٦؛ أخرجه البخاري ١٦، ومسلم ٤٣].

هذا حَديثٌ عَظيمٌ، وأصلٌ مِن أُصولِ الإسلامِ، وفيه يُرشِدُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إلى ثِلاثِ خِصالٍ مِن أعْلَى خِصالِ الإيمانِ؛ مَن كمَّلَها فقدْ وجَدَ حَلاوةَ الإيمانِ؛ فالإيمانُ له حَلاوةٌ وطَعمٌ يُذاقُ بالقُلوبِ، كما تُذاقُ حَلاوةُ الطَّعامِ والشَّرابِ بالفَمِ، وكما أنَّ الجَسدَ لا يَجِدُ حَلاوةَ الطَّعامِ والشَّرابِ إلَّا عندَ صِحَّتِه، فكذلك القَلبُ إذا سَلِمَ مِن مرَضِ الأهواءِ المُضلَّةِ والشَّهواتِ المُحرَّمةِ، وجَدَ حَلاوةَ الإيمانِ، ومتى مَرِضَ وسَقِمَ لم يَجِدْ حَلاوةَ الإيمانِ، بلْ قدْ يَستحْلِي ما فيه هَلاكُه مِن الأهواءِ والمعاصي. ومَن وجَدَ حَلاوةَ الإيمانِ استلذَّ الطَّاعاتِ، وآثَرَها على أغراضِ الدُّنيا، وتحمَّلَ المشاقَّ في سَبيلِ اللهِ تعالَى. فالخَصلةُ الأُولى: أنْ يكونَ اللهُ ورسولُه أحَبَّ إليه ممَّا

ولاية الله إلا بها، ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا بها، وهي: الحب في الله، والبغض في الله، والولاء في الله، والعداء في الله. لا تنال ولاية الله إلا بها، فلو صلى الإنسان وصام ووالى أعداء الله؛ فإنه لا يناله ولاية الله"[٤٩٠].

سِواهما، ومَحبَّةُ اللهِ تَنشَأُ مِن مَعرفةِ أسمائِه وصِفاتِه، والتَّفكيرِ في مَصنوعاتِه، وما فيها مِن الحِكَمِ والعَجائبِ، وتَحصُلُ مِن مُطالَعةِ نِعَمِه على العِبادِ؛ فإنَّ ذلك كلَّه يدُلُّ على كَمالِه وقُدرتِه، وحِكمتِه وعِلمِه ورَحمتِه، ومَحبَّةُ العبدِ لِخالقِه سُبحانه وتعالَى تَقودُ العبْدَ إلى الْتزامِ شَريعتِه وطاعتِه، والانتهاءِ عمَّا نَهى عنه. ومَحبَّةُ الرَّسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ تابعةٌ لمَحبَّةِ اللهِ، ويَلزَمُ مِن تلك المحبَّةِ اتِّباعُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في أوامِرِه ونواهيه، كطاعةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، ويَجِبُ أنْ تكونَ مَحبَّةُ الرسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في قلْبِ كلِّ مسلمٍ أعظَمَ مِن مَحبَّتِه لنفْسِه، ومَحبَّتِه لأبيهِ وأُمِّه، وابنِه وبِنتِه، وزَوجتِه، وصَديقِه وأقارِبِه، والناسِ أجمعينَ. والخَصلةُ الثَّانيةُ: أنْ يُحِبَّ المرءَ لا يُحِبُّه إلَّا للهِ؛ فهذا حَثٌّ على التَّحابِّ في اللهِ، وهو مِن أَوثقِ عُرَى الإيمانِ، فليستِ المحبَّةُ مِن أجْلِ تَبادُلِ مَنافعَ وتَحصيلِ أغراضٍ دُنيويَّةٍ، وإنَّما جمَعَ بيْنَهما الحُبُّ في اللهِ، ويَلزَمُ مِن تلك المحبَّةِ نفْعُ المسلمِ لأخيه المسلمِ، وتَرْكُ إيذائِه، كما في حَديثِ الصحيحَينِ: «المُسلِمُ أخو المُسلِمِ، لا يَظلِمُه، ولا يُسْلِمُه، ومَن كان في حاجةِ أخيه كان اللهُ في حاجتِه، ومَن فرَّجَ عن مُسلِمٍ كُرْبةً، فرَّجَ اللهُ عنه كُربةً مِن كُرُباتِ يَومِ القيامةِ، ومَن ستَرَ مُسلِمًا ستَرَه اللهُ يَومَ القِيامةِ». والخَصلةُ الثَّالثةُ: أنْ يَكرَهَ المسلمُ أنْ يَعودَ في الكُفْرِ، كما يَكرَهُ أنْ يُقذَفَ في النَّارِ؛ فإذا رسَخَ الإيمانُ في القلْبِ، وتحقَّقَ به، ووجَدَ العبْدُ حَلاوتَه وطَعْمَه؛ أحَبَّه، وأحَبَّ ثَباتَه ودَوامَه، والزِّيادةَ منه، وكَرِهَ مُفارقتَه، وكانتْ كَراهتُه لمُفارقتِه أعظَمَ عندَه مِن كَراهةِ الإلقاءِ في النَّارِ، فإذا وجَدَ العبْدُ حلاوةَ الإيمانِ في قَلْبِه أحَسَّ بمَرارةِ الكُفرِ والفُسوقِ والعِصيانِ. قيل: وإنَّما قال النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ هذا تَحذيرًا وتَخويفًا للصَّحابةِ؛ لأنَّهم كانوا كُفَّارًا فأسلَموا، وكان في بَعضِ النُّفوسِ حُبُّ ما كان في الزَّمانِ الماضي، فبيَّنَ لهم صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنَّ العَودَ إلى الكُفْرِ كإلْقاءِ الرجُلِ نفْسَه في النارِ؛ لأنَّ عاقِبةَ الكُفَّارِ دُخولُ نارِ جهنَّمَ، ونقْضُ التَّوبةِ والرُّجوعُ مِنَ التَّوبةِ إلى المعصيةِ أيضًا كإلْقاءِ الرجُلِ نفْسَه في نارِ جهنَّمَ، وهذا مِن عِظَمِ ذَنبِ الكُفْرِ والعَودةِ إليه.

٤٩٠ القول المفيد على كتاب التوحيد؛ ابن عثيمين؛ ج٢ ص ٥٦ - ٦٠، ٦٣. {بتصرف}: ((عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان، وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئا". رواه ابن جرير؛ وهذا الأثر موقوف، لكنه بمعنى المرفوع؛ لأن ترتيب الجزاء على العمل لا يكون إلا بتوقيف، إلا أنّ الأثر ضعيف. قوله "من أحب في الله"؛ أي: من أجله،

٩. يجعلهم الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ مستجابي الدعوة، وقد يُجري سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ على أيديهم الكرامات (الخوارق للعادة) تأييداً وتكريماً لهم: فإجابة الدعاء منزلة عظيمة من مُنِحَها فلْيعلمْ أن الله تعالى قد اختصّه وأكرمه بها في الدنيا؛ فإذا أردت أن تكون من مستجابي الدعوة نفّذ وصية رسولَ اللَّهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ؛ فعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قالَ: قال النَّبيُّ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: "يا سعدُ! أَطِبْ مَطْعَمَكَ، تَكُنْ مستجابَ الدعوةِ، والذي نفسُ مُحَمَّدٍ بيدِهِ، إن العبدَ

أو: من أحب في ذات الله؛ أي: في دينه وشرعه، لا لعرض الدنيا. وقوله: "وأبغض في الله": البغض الكره؛ أي: أبغض في ذات الله، فإذا رأى من يعصي الله كرهه. وقوله: "ووالى في الله": الموالاة: هي المحبة والنصرة وما أشبه ذلك.

وقوله: "وعادى في الله": المعاداة ضد الموالاة؛ أي: يبتعد عنهم ويبغضهم ويكرههم في الله. وقوله: " فإنما تنال ولاية الله بذلك"؛ أي: يدرك الإنسان ولاية الله ويصل إليها؛ لأنه جعل محبته وبغضه وولايته ومعاداته لله. وقوله: "وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئا"؛ أي: أكثر مودة الناس ومصاحبتهم على أمر الدنيا، وهذا قاله ابن عباس، وهو بعيد العهد منا قريب العهد من النبوة، فإذا كان الناس قد تغيروا في زمنه؛ فما بالك بالناس اليوم؟ فقد صارت مؤاخاة الناس -إلا النادر- على أمر الدنيا، بل صار أعظم من ذلك، يبيعون دينهم بدنياهم.

فمعنى أثر ابن عباس رضي الله عنهما: أن الإنسان لا يجد طعم الإيمان وحلاوته ولذته؛ حتى يكون كذلك، ولو كثرت صلاته وصومه، وكيف يستطيع عاقل فضلا عن مؤمن أن يوالي أعداء الله، فيرى أعداء الله يشركون به، ويكفرون به، ويصفونه بالنقائص والعيوب، ثم يواليهم ويحبهم؟! فهذا لو صلى وقام الليل كله، وصام الدهر كله؛ فإنه لا يمكن أن ينال طعم الإيمان، فلا بد أن يكون قلبك مملوء بمحبة الله وموالاته، ويكون مملوءا ببغض أعداء الله ومعاداتهم، ولكثرة اليهود والنصارى والوثنيين صار في هذه المسألة خطر على المجتمع، وأصبح كثير من الناس الآن لا يفرق بين مسلم وكافر، ولا يدري أن غير المسلم عدو لله، فهم أعداء لنا ولو تظاهروا بالصداقة، فالآن أصبحنا في محنة وخطر عظيم؛ لأنه يخشى على أبنائنا وأبناء قومنا أن يركنوا إلى هؤلاء ويوادوهم ويحبوهم.

ويستفاد من أثر ابن عباس رضي الله عنهما: أن لله تعالى أولياء، وهو ثابت بنص القرآن، فلله أولياء يتولون أمره ويقيمون دينه، وهو يتولاهم بالمعونة والتسديد والحفظ والتوفيق)) [القول المفيد على كتاب التوحيد؛ ابن عثيمين رحمه الله؛ ج٢ ص ٥٦ - ٦٠، ٦٣. {بتصرف}].

لَيَقْذِفُ اللُّقْمَةَ الحرامَ في جَوْفِهِ ما يُتَقَبَّلُ منه عَمَلَ أربعين يومًا" [٤٩١]؛ [أَطِبْ مَطْعَمَكَ وتحرّى المال الحلال وأوقات إجابة الدعاء في جوف الليل وبين الأذان والإقامة وبعد كل طاعة لله واستحضر قلبك {فلا يكون الدعاء باللسان فقط} تكن مستجاب الدعوة بإذن الله]، وقد يُجري الله سبحانه وتعالى على أيدي أوليائه الكرامات (الخوارق للعادة) تأييداً وتكريماً لهم، فمن جملة هذه الكرامات التي أيّد الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ بها كثيراً من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، ما يُروى عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أنَّ أُسَيدَ بنَ حُضَيرٍ الأنصاريَّ، ورَجُلًا آخَرَ مِنَ الأنصارِ، تَحدَّثا عندَ النَّبيِّ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ في حاجةٍ لهما حتى ذهَبَ مِنَ الليلِ ساعةٌ في ليلةٍ شديدةِ الظلماءِ، ثم خَرَجا مِن عندِ رَسولِ اللهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يَنقَلِبانِ، وبيَدِ كلِّ واحدٍ منهما عُصَيَّةٌ، فأضاءَت عَصا أحدِهما لهما، حتى مَشَيا في ضَوئِها، حتى إذا افتَرَقَتْ بهما الطريقُ، أضاءَت للآخَرِ عَصاه، فمَشى كلُّ واحدٍ منهما في ضَوءِ عَصاه حتى بلَغَ أهلَه" [٤٩٢]، وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "أنَّ عمرَ وجَّهَ جيشًا ورأَّسَ

---

٤٩١ حديث ضعيف جداً: أخرجه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة ١٨١٢. وفي رواية: عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قالَ: تُلِيَتْ هذهِ الآيةُ عندَ رسولِ اللهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ {يا أَيُّها النّاسُ كُلُوا مِمّا فِي الْأَرْضِ حَلالًا طَيِّبًا} فقامَ سَعدُ بنُ أبي وقاصٍ فقال يا رسولَ اللهِ ادعُ اللهَ أن يجعلَني مُستجابَ الدَّعوةِ فقال لهُ النَّبيُّ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: "يا سَعدُ أطِبْ مطعمَك؛ تكُن مُستَجابَ الدَّعوةِ، والَّذي نَفسُ مُحمَّدٍ بيدِه إنَّ العَبدَ ليقذِفُ اللُّقمةَ الحرامَ في جوفِه ما يُتقبَّلُ منه عَملٌ أربعينَ يومًا، وأيُّما عَبدٍ نبتَ لحمُه من سُحتٍ [والرِّبا]؛ فالنّارُ أولى بهِ" [حديث ضعيف جداً: أخرجه الشيخ الألباني في ضعيف الترغيب ١٠٧١؛ أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٤٩٥)].

٤٩٢ حديثٌ إسناده صحيح: أخرجه الشيخ شعيب الأرنؤوط في تخريج شرح السنة ١٤/ ١٨٧.

يُكرِمُ اللهُ أولياءَه ببعضِ الكَراماتِ والفَضائلِ كما أكْرَمَ أنبياءَه عليهم السَّلامُ بالمُعجِزاتِ الخارقة التي تُثبِتُ صِحَّةَ نُبوَّتِهم، وخيرُ أولياءِ اللهِ بعدَ أنبيائِه هم صحابةُ نبيِّنا محمَّدٍ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ. وفي هذا الحديثِ بيان لبعض ذلك، حيثُ يَرْوي أنسُ بنُ مالِكٍ رضِيَ اللهُ عنه: «أنَّ أُسَيْدَ بنَ حُضَيْرٍ الأنْصاريَّ ورَجُلًا آخَرَ من الأنْصارِ»، وهو عبّادُ بنُ بِشْرٍ رضِيَ اللهُ عنه، «تحدَّثا عندَ النَّبيِّ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ في حاجَةٍ لهما حتى ذَهَبَ

عليهم رجلًا يقال له: (ساريةُ)، قال: فبينما عمرُ يخطبُ، فجعل يُنادي: يا ساريةُ الجبلَ، يا ساريةُ الجبلَ (ثلاثًا)، ثم قدم رسولُ الجيشِ فسأله عمرُ؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين! هُزِمْنا، فبينما نحنُ كذلك إذ سمعنا مناديًا: يا ساريةُ الجبلَ (ثلاثًا)، فأسنَدْنا ظُهورنا بالجبلِ، فهزمَهُمُ اللهُ. قال: فقيل لعمرَ: إنك كنتَ تصيحُ بذلكَ" [٤٩٣]، وما يُروى من الكرامات عن التابعين ما رُوِيَ عن يزيد بن الأسوَد الجرشي رحمه الله تعالى، وهو من سادة التابعين في الشام، أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي العِشَاءَ الآخِرَةَ بِمَسْجِدِ دِمَشْقَ، وَيَخْرُجُ إِلَى زِبْدِيْنَ، فَتُضِيْءُ إِبْهَامُهُ اليُمْنَى، فَلاَ يَزَالُ يَمْشِي فِي ضَوْئِهَا إِلَى القَرْيَةِ [٤٩٤]، وَعَنْ عَطَاءٍ الخُرَاسَانِيِّ: أَنَّ امْرَأَةَ أَبِي مُسْلِمٍ (أَبِي مُسْلِمٍ الخولاني) قَالَتْ: لَيْسَ لَنَا دَقِيْقٌ. فَقَالَ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: دِرْهَمٌ بِعْنَا بِهِ غَزْلاً. قَالَ: ابْغِيْنِيْهِ، وَهَاتِي الجِرَابَ. فَدَخَلَ السُّوْقَ، فَأَتَاهُ سَائِلٌ، وَأَلَحَّ، فَأَعْطَاهُ الدِّرْهَمَ، وَمَلأَ الجِرَابَ نُشَارَةً مِنْ تُرَابٍ، وَأَتَى وَقَلْبُهُ مَرْعُوْبٌ مِنْهَا، وَذَهَبَ، فَفَتَحَهُ، فَإِذَا بِهِ دَقِيْقٌ حُوَّارَى (الدقيق الحوارى: الابيض)، فَعَجَنَتْ، وَخَبَزَتْ. فَلَمَّا جَاءَ لَيْلاً، وَضَعَتْهُ، فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ هَذَا؟ قَالَتْ: مِنَ الدَّقِيْقِ. فَأَكَلَ، وَبَكَى [٤٩٥].

منَ اللَّيْلِ ساعةٌ»، أَيْ: وقْتٌ طَوِيلٌ، «في لَيْلةٍ شَديدَةِ الظُّلْماءِ»، أي: لا ضَوْءَ للقَمَرِ فيها، ولا يَظْهَرُ لهم معالِمُ الطَّريقِ فيها عندَ انصرافِهِم، «ثم خَرَجا»، أي: انْصَرَفا «من عندِ رسولِ اللهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يتقلَّبانِ»، أي: يَرْجعانِ إلى أهْلِهِما، «وبيَدِ كُلِّ واحدٍ منهما عُصَيَّةٌ»، وهي عَصاةٌ صغيرةٌ، «فأضاءَتْ عَصا أحَدِهما لهما» قيل: الْأَظْهَرُ أَنْ يَكُونَ هُوَ أَسْبَقَهُما إسْلامًا وهُو المُقَدَّمُ ذِكْرًا «حتى مَشَيا في ضَوئِها»؛ إكرامًا لهما، «حتى إذا افْتَرَقَتْ بهما الطريقُ» ليذْهَبَ كلُّ واحِدٍ إلى دارِهِ «أضاءَتْ للآخَرِ عَصاهُ، فمَشى كُلُّ واحِدٍ منهما في ضَوْءِ عَصاهُ حتى بَلَغَ أهْلَهُ»، أي: وَصَلَ كُلُّ واحِدٍ إلى أهْلِهِ ودارِهِ. {وفي الحديثِ: مَنْقبةٌ لأُسَيْدِ بنِ حُضَيرٍ وعبّادِ بنِ بِشْرٍ رضِيَ اللهُ عنهما. وفيه: بيانُ أَثَرِ الإيمانِ وبَرَكتُهُ للمُؤْمِنِ. وفيه: إثباتُ الكَرامةِ وأنَّها تقَعُ لِمَن شاءَ مِن عِبادِ اللهِ الصّالِحِينَ}.

٤٩٣ حديث إسناده جيد حسن: أخرجه الشيخ الألباني في الآيات البينات ٩٣.

٤٩٤ سير أعلام النبلاء ط الرسالة؛ شمس الدين الذهبي؛ ج٤ ص ١٣٧ [ابْنُ عَسَاكِرَ في تاريخه ١٨ / ١٢٠ ب].

٤٩٥ سير أعلام النبلاء ط الرسالة؛ شمس الدين الذهبي؛ ج٤ ص ١٢ [ابْنُ عَسَاكِرَ في تاريخه ٩ / ١٩ ب].

١٠. لهم البشرى في الحياة الدنيا والآخرة: قال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [سورة يونس: ٦٤]، قال السعدي رحمه الله تعالى عزَّ وجلَّ: "فكل من كان مؤمنًا تقيًا كان لله [تعالى] وليًا، و{لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} أما البشارة في الدنيا، فهي: الثناء الحسن، والمودة في قلوب المؤمنين، والرؤيا الصالحة، وما يراه العبد من لطف الله به وتيسيره لأحسن الأعمال والأخلاق، وصرفه عن مساوئ الأخلاق. وأما في الآخرة، فأولها البشارة عند قبض أرواحهم، كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ} البشرى بدخول جنات النعيم، والنجاة من العذاب الأليم. {لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ} بل ما وعد الله فهو حق، لا يمكن تغييره ولا تبديله، لأنّه الصادق في قيله، الذي لا يقدر أحد أن يخالفه فيما قدره وقضاه. {ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} لأنّه اشتمل على النجاة من كل محذور، والظفر بكل مطلوب محبوب، وحصر الفوز فيه، لأنّه لا فوز لغير أهل الإيمان والتقوى. والحاصل أن البشرى شاملة لكل خير وثواب، رتبه الله في الدنيا والآخرة، على الإيمان والتقوى، ولهذا أطلق ذلك، فلم يقيده"، قال الإمام القرطبي رحمه الله (في تفسير قول الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ} [فصلت: ٣٠]): "تتنزل عليهم الملائكة قال ابن زيد ومجاهد: عند الموت. وقال مقاتل وقتادة: إذا قاموا من قبورهم للبعث. وقال ابن عباس: هي بشرى تكون لهم من الملائكة في الآخرة. وقال وكيع وابن زيد: البشرى في ثلاثة مواطن: عند الموت، وفي القبر، وعند البعث. ألا تخافوا أي بـ"ألا تخافوا" فحذف الجار. وقال مجاهد: لا تخافوا الموت. وقال عطاء بن أبي رباح: لا تخافوا رد ثوابكم فإنه مقبول، وقال عكرمة ولا تخافوا إمامكم، ولا تحزنوا على ذنوبكم. ولا تحزنوا على أولادكم، فإن

الله خليفتكم عليهم. وقال عطاء بن أبي رباح: لا تحزنوا على ذنوبكم فإني أغفرها لكم. وقال عكرمة: لا تحزنوا على ذنوبكم. وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون" [٤٩٦]، فمكانة الأولياء مكانة رفيعة، وتستحق منا أن نسعى إلى بلوغ هذه الرتبة، وإلى نَيل تلك الدرجة التي جعلها الله سبحانه وتعالى لهم أماناً من الخوف والحزن يوم القيامة، ولهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، فأما البشرى في الحياة الدنيا فقد سأل عنها أبو الدرداء رضي الله عنه، رسولَ اللَّهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ؛ فـ[إنَّ رجُلًا مِن أهلِ مِصرِ سأَلَ أبا الدَّرداءِ عن معنى قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ {لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا]، قالَ: ما سألَني عنها أحدٌ منذُ سألتُ رسولَ اللَّهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ عنها، فقالَ: "ما سألَني عنها أحدٌ غيرُكَ منذُ أُنْزِلَت، هيَ الرُّؤيا الصّالحةُ يراها المسلِمُ أو تُرى لَهُ" [٤٩٧]، وعـــن

٤٩٦ وليس المقصود ألا يصيبهم خوف أو حزن، فلا بد من في هذه الدنيا من شدائد، وأكدار، تجعل المسلم يحزن، أو يخاف، قال عز وجل: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ} [البلد: ٤] قال السعدي: "يحتمل أن المراد بذلك ما يكابده ويقاسيه من الشدائد في الدنيا، وفي البرزخ، ويوم يقوم الأشهاد، وأنه ينبغي له أن يسعى في عمل يريحه من هذه الشدائد، ويوجب له الفرح والسرور الدائم. وإن لم يفعل، فإنه لا يزال يكابد العذاب الشديد أبد الآباد".

٤٩٧ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الألباني في صحيح الترمذي ٣١٠٦. {وفي رواية: سألتُ أبا الدَّرداءِ عن قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا فقالَ ما سألني عنْها أحدٌ غيرُكَ إلّا رجلٌ واحدٌ منذُ سألتُ رسولَ اللَّهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ فقالَ "ما سألني عنْها أحدٌ غيرُكَ منذُ أنزلت هيَ الرُّؤيا الصّالحةُ يراها المسلِمُ أو تُرى لَه" [حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الألباني في صحيح الترمذي ٢٢٧٣]}.

الرُّؤيا الصّالحةُ جزءٌ مِن ستَّةٍ وأربَعين جزءًا من النُّبوَّةِ، وقدْ جعَلها اللهُ تعالى بُشْرى لِصاحبِها في الدُّنْيا والآخِرةِ، وهي علامةٌ على صلاحِ العبدِ.

وفي هذا الحديثِ: أنَّ رجُلًا مِن أهلِ مِصرِ سأَلَ أبا الدَّرداءِ، وهو الصَّحابيُّ عويمرُ بنُ زيدِ بنِ قيسٍ الأنصاريُّ، عن معنى قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ: {لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا} [يونس: ٦٤]، فقال أبو الدَّرداءِ: «ما سأَلني عنها أحدٌ غيرُك»، أي: قبلَك، «إلّا رجلٌ واحدٌ»، سأَلني عن معنى هذه الآيةِ، «منذ سأَلتُ رسولَ اللهِ صَلّى اللهُ عليه وسلَّمَ » عنها، «سألتُ رسولَ اللهِ صَلّى اللهُ عليه وسلَّمَ » عن معنى هذه الآيةِ، «فقال: ما سألَني عنها»، أي: عن هذه الآيةِ «أحدٌ» من النّاسِ، «غيرُك»، أي: قبلَك، «مُنذ أُنزِلَت»، أي: مِن يومِ ما أنزَلها اللهُ

عبد اللهِ بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قالَ: كَشَفَ رَسولُ اللهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ السِّتارَةَ والنّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ، فَقالَ: "أَيُّها النّاسُ، إنَّه لَمْ يَبْقَ مِن مُبَشِّراتِ النُّبُوَّةِ إلّا الرُّؤْيا الصّالِحَةُ، يَراها المُسْلِمُ، أَوْ تُرى له، أَلا وإنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ القُرْآنَ راكِعًا، أَوْ ساجِدًا، فأمّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فيه الرَّبَّ عزَّ وجلَّ، وأَمّا السُّجُودُ فاجْتَهِدُوا في الدُّعاءِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجابَ لَكُمْ". قالَ أبو بَكْرٍ، حَدَّثَنا سُفْيانُ، عن سُلَيْمانَ [٤٩٨].

اللهم! اجعلنا من عبادك الأولياء الأتقياء الأخفياء، مِمَّنْ عرفوك فاستقاموا على طاعتك، ومِمَّنْ يتقرّبون إليك بالنوافل بعد الفرائض، ومِمَّنْ {لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}.

تعالى، فمَعْنى الآيةِ هي «الرُّؤيا الصّالحةُ» مِن اللهِ تعالى بُشْرى لعَبدِه المؤمنِ، «يَراها المسلِمُ» لنَفسِه، أو «تُرى» بصيغةِ المجهولِ أي: يَراها رجلٌ آخرُ، «له»، أي: لأجلِه.

٤٩٨ حديثٌ صحيحٌ: صحيح مسلم ٢٠٧ - ٤٧٩.

أمَر النبيُّ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ بتَخصيصِ الرُّكوعِ والسُّجودِ بالدُّعاء لا بقِراءةِ القرآنِ، وفي هذا الحديثِ يَحكي عبدُ اللهِ بنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ «كشَف السِّتارةَ»، أي: الحِجابَ الَّذِي يُوارِي بابَ الحُجرَةِ النَّبويَّةِ، فرفَعه النبيُّ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ «والنّاسُ صُفُوفٌ خلفَ أَبي بَكْرٍ»، أي: صافُّون خلفَه للصَّلاةِ؛ وذلك أنَّ رسولَ اللهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ كان في مَرضِ موتِه فناب أبو بكرٍ رضي الله عنه إمامةَ النّاسِ في الصَّلاةِ، ثُمَّ قال النبيُّ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ مبشِّرًا الناسَ: «إنَّه لم يَبْقَ مِن مبشِّرات النُّبوَّةِ أي: لم يَبقَ مِن بَعْد انقطاعِ الوحي بموتِ النبيِّ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ ، إلّا الرُّؤيا، أي: ما يرى الإنسانُ في منامِه، يراها المسلِمُ أو تُرى له»، أي: يُرِيها اللهُ لعبدِه رِفقًا به؛ وتكون واضحةً للعبدِ، وربَّما كان فيها بِشارةٌ أو تنبيهٌ عن غَفلةٍ، وما شابَه ذلك، وفي هذا إقرارٌ مِن النبيِّ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ وإعلامٌ بانقِطاعِ النُّبوَّةِ بعدَه، وأنَّه آخِرُ الأنبياءِ، ولكنْ بَقِيَتْ مِن مُبشِّراتِ النُّبوَّةِ الرُّؤيا الصّالحةِ. وقال صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: «نُهِيتُ أن أقرَأَ القُرآنَ راكعًا أو ساجدًا»، أي: نَهاني ربِّي عن قراءةِ القُرآنِ في الرُّكوع والسُّجودِ؛ وذلك لأنَّ الرُّكوعَ له ذِكر مخصوصٌ، وهو كما قال النبيُّ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: «فأمّا الرُّكوعُ فعظِّموا فيه الرَّبَّ»، أي: يُخصَّص الرُّكوعَ للتَّعظيمِ والثَّناءِ على اللهِ تعالى، وثبت أنه يقال فيه: سُبحانَ ربِّيَ العظيمِ، «وأمّا السُّجودُ فاجتهِدوا في الدُّعاءِ، أي: يُخصَّص السُّجودُ لدُعاءِ اللهِ عزَّ وجلَّ وطلبِ الحاجةِ، فقَمِنٌ أن يُستجابَ لكم»، أي: جَدِيرٌ وحَقِيقٌ وحريٌّ أن يُستجابَ لِمَن دَعا في سجودِه.

إِنَّ اللهَ لَيَعْتَبُ وَيَأْسَفُ وَيَسْخطُ وَيَغْضَبُ (العَتَبُ وَالأَسَفُ وَالسّخطُ وَالغَضَبُ)؛ [وَرَحْمَتُه تَغْلِبُ غَضَبَهُ [499]] [500]

ما الذي يَجْعَلُ اللهُ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ يَعْتَبُ وَيَأْسَفُ وَيَسْخطُ وَيَغْضَبُ؟

العتاب أو العَتَبُ: صفةٌ فعلِيَّةٌ ثابتةٌ لله عزَّ وجلَّ بالسُّنَّة الصحيحة. الدليل:

١. عن رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ: "قَامَ مُوسَى النبيُّ خَطِيبًا في بَنِي إسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أيُّ النَّاسِ أعْلَمُ؟ فَقالَ: أنَا أعْلَمُ، فَعَتَبَ اللَّهُ عليه، إذْ لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إلَيْهِ، فأوْحَى اللَّهُ إلَيْهِ: أنَّ عَبْدًا مِن عِبَادِي بمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ، هو أعْلَمُ مِنْكَ" [501].

---

٤٩٩ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قالَ: قالَ: رَسولُ اللهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: "لَمّا قَضى اللَّهُ الخَلْقَ كَتَبَ في كِتابِهِ فَهو عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ إنَّ رَحْمَتي غَلَبَتْ غَضَبِي" [حديثٌ صحيحٌ: متفق عليه؛ صحيح البخاري ٣١٩٤؛ أخرجه البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١)]، وفي رواية: "إنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتابًا قَبْلَ أنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ: إنَّ رَحْمَتي سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهو مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ" [حديثٌ صحيحٌ: صحيح البخاري ٧٥٥٤]، وفي رواية: "قالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: سَبَقَتْ رَحْمَتي غَضَبِي" [حديثٌ صحيحٌ: صحيح مسلم ٢٧٥١].

٥٠٠ في كل ما ثبت لله جل جلاله من الأسماء والصفات؛ فإنّ ذلك كله لائق برب العالمين جل جلاله، يوصف به على وجه الكمال والجمال والجلال، لا يشبه في ذلك أحدا من خلقه، ولا يشبهه أحد من خلق؛ قال تعالى: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)) [الشورى: ١١]، فلا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل لصفات الله سبحانه، بل نثبتها كما جاءت في النصوص، ولا يجوز تأويلها عن ظاهرها ولا يجوز تشبيه الله بخلقه.

انظر: الهامش رقم ٤٠ ص ٥٢.

٥٠١ حديثٌ صحيحٌ: متفق عليه؛ صحيح البخاري ١٢٢، وصحيح مسلم ١٧٠ - ٢٣٨٠.

رواه البخاري بلفظ: قُلتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إنَّ نَوْفًا البَكَالِيَّ يَزْعُمُ أنَّ مُوسَى ليسَ بمُوسَى بَنِي إسْرَائِيلَ، إنَّما هو مُوسَى آخَرُ؟ فَقالَ: كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ حَدَّثَنَا أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ عَنِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: قَامَ مُوسَى النبيُّ خَطِيبًا في بَنِي إسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أيُّ النَّاسِ أعْلَمُ؟ فَقالَ: أنَا أعْلَمُ، فَعَتَبَ اللَّهُ عليه، إذْ لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إلَيْهِ، فأوْحَى اللَّهُ إلَيْهِ: أنَّ عَبْدًا مِن عِبَادِي بمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ، هو أعْلَمُ مِنْكَ. قَالَ: يا رَبِّ، وكيفَ بهِ؟ فقِيلَ له: احْمِلْ حُوتًا في مِكْتَلٍ، فَإِذَا فقَدْتَهُ فَهو ثَمَّ، فَانْطَلَقَ وانْطَلَقَ بفَتَاهُ يُوشَعَ بنِ نُونٍ، وحَمَلَا حُوتًا في مِكْتَلٍ، حتَّى كَانَا عِنْدَ الصَّخْرَةِ وضَعَا رُؤُوسَهُما ونَامَا، فَانْسَلَّ الحُوتُ مِنَ المِكْتَلِ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ في البَحْرِ سَرَبًا، وكانَ لِمُوسَى وفَتَاهُ عَجَبًا، فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِما ويَومَهُمَا، فَلَمَّا أصْبَحَ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: آتِنَا غَدَاءَنَا، لقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هذا نَصَبًا، ولَمْ يَجِدْ مُوسَى مَسًّا مِنَ النَّصَبِ حتَّى جَاوَزَ المَكانَ الذي أُمِرَ به، فَقالَ له فَتَاهُ: (أَرَأَيْتَ إذْ أوَيْنَا إلى الصَّخْرَةِ فإنِّي نَسِيتُ الحُوتَ وما أنْسَانِيهِ إلَّا الشَّيْطَانُ) قَالَ مُوسَى: (ذلكَ ما كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا علَى آثَارِهِما قَصَصًا) فَلَمَّا انْتَهَيَا إلى الصَّخْرَةِ، إذَا رَجُلٌ مُسَجًّى بثَوْبٍ، أوْ قَالَ تَسَجَّى بثَوْبِهِ، فَسَلَّمَ مُوسَى، فَقَالَ الخَضِرُ: وأنَّى بأَرْضِكَ السَّلَامُ؟ فَقالَ: أنَا مُوسَى، فَقالَ: مُوسَى بَنِي إسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: هلْ أتَّبِعُكَ علَى أنْ تُعَلِّمَنِي ممَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا قَالَ: إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، يا مُوسَى إنِّي علَى عِلْمٍ مِن عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لا تَعْلَمُهُ أنْتَ، وأَنْتَ علَى عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ لا أعْلَمُهُ، قَالَ: سَتَجِدُنِي إنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا، ولَا أعْصِي لكَ أمْرًا، فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ علَى سَاحِلِ البَحْرِ، ليسَ لهما سَفِينَةٌ، فَمَرَّتْ بهِما سَفِينَةٌ، فَكَلَّمُوهُمْ أنْ يَحْمِلُوهُمَا، فَعُرِفَ الخَضِرُ فَحَمَلُوهُما بغيرِ نَوْلٍ، فَجَاءَ عُصْفُورٌ، فَوَقَعَ علَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، فَنَقَرَ نَقْرَةً أوْ نَقْرَتَيْنِ في البَحْرِ، فَقالَ الخَضِرُ: يا مُوسَى ما نَقَصَ عِلْمِي وعِلْمُكَ مِن عِلْمِ اللَّهِ إلَّا كَنَقْرَةِ هذا العُصْفُورِ في البَحْرِ، فَعَمَدَ الخَضِرُ إلى لَوْحٍ مِن ألْوَاحِ السَّفِينَةِ، فَنَزَعَهُ، فَقالَ مُوسَى: قَوْمٌ حَمَلُونَا بغيرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إلى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أهْلَهَا؟ قَالَ: ألَمْ أقُلْ إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا؟ قَالَ: لا تُؤَاخِذْنِي بما نَسِيتُ ولَا تُرْهِقْنِي مِن أمْرِي عُسْرًا - فَكَانَتِ الأُولَى مِن مُوسَى نِسْيَانًا -، فَانْطَلَقَا، فَإِذَا غُلَامٌ يَلْعَبُ مع الغِلْمَانِ، فأخَذَ الخَضِرُ برَأْسِهِ مِن أعْلَاهُ فَاقْتَلَعَ رَأْسَهُ بيَدِهِ، فَقالَ مُوسَى: أقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بغيرِ نَفْسٍ؟ قَالَ: ألَمْ أقُلْ لكَ إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا؟ - قَالَ ابنُ عُيَيْنَةَ: وهذا أوْكَدُ - فَانْطَلَقَا، حتَّى إذَا أتَيَا أهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَما أهْلَهَا، فأبَوْا أنْ يُضَيِّفُوهُمَا، فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أنْ يَنْقَضَّ فأقَامَهُ، قَالَ الخَضِرُ: بيَدِهِ فأقَامَهُ، فَقالَ له مُوسَى: لو شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عليه أجْرًا، قَالَ: هذا فِرَاقُ بَيْنِي وبَيْنِكَ قَالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، لَوَدِدْنَا لو صَبَرَ حتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِن أمْرِهِمَا.

ورواه مسلم بلفظ: عن أبي بن كعب: قُلتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إنَّ نَوْفًا البِكَالِيَّ يَزْعُمُ أنَّ مُوسَى عليه السَّلَامُ، صَاحِبَ بَنِي إسْرَائِيلَ ليسَ هو مُوسَى صَاحِبَ الخَضِرِ، عليه السَّلَامُ، فَقالَ: كَذَبَ عَدُوُّ اللهِ، سَمِعْتُ أُبَيَّ بنَ كَعْبٍ يقولُ: سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يقولُ: قَامَ مُوسَى عليه السَّلَامُ خَطِيبًا في بَنِي إسْرَائِيلَ فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقالَ: أَنَا أَعْلَمُ، قالَ فَعَتَبَ اللَّهُ عليه إذْ لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إلَيْهِ، فأوْحَى اللَّهُ إلَيْهِ: أنَّ عَبْدًا مِن

عِبَادِي بِمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ هو أَعْلَمُ مِنْكَ، قالَ مُوسَى: أَيْ رَبِّ كيفَ لي بِهِ؟ فقِيلَ له: احْمِلْ حُوتًا في مِكْتَلٍ، فَحَيْثُ تَفْقِدُ الحُوتَ فَهو ثَمَّ، فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقَ معهُ فَتَاهُ، وَهو يُوشَعُ بنُ نُونٍ، فَحَمَلَ مُوسَى عليه السَّلَامُ، حُوتًا في مِكْتَلٍ وَانْطَلَقَ هو وَفَتَاهُ يَمْشِيَانِ حتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ، فَرَقَدَ مُوسَى عليه السَّلَامُ وَفَتَاهُ، فَاضْطَرَبَ الحُوتُ في المِكْتَلِ، حتَّى خَرَجَ مِنَ المِكْتَلِ، فَسَقَطَ في البَحْرِ، قالَ وَأَمْسَكَ اللَّهُ عنْه جِرْيَةَ المَاءِ حتَّى كانَ مِثْلَ الطَّاقِ، فَكانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا، وَكانَ لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا، فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ يَومِهِما وَلَيْلَتَهُمَا، وَنَسِيَ صَاحِبُ مُوسَى أَنْ يُخْبِرَهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ مُوسَى عليه السَّلَامُ، قالَ لِفَتَاهُ: آتِنَا غَدَاءَنَا لقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هذا نَصَبًا، قالَ وَلَمْ يَنْصَبْ حتَّى جَاوَزَ المَكانَ الذي أُمِرَ به، قالَ: أَرَأَيْتَ إذْ أَوَيْنَا إلى الصَّخْرَةِ، فإنِّي نَسِيتُ الحُوتَ وَما أَنْسَانِيهُ إلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ في البَحْرِ عَجَبًا، قالَ مُوسَى: {ذلكَ ما كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا علَى آثَارِهِما قَصَصًا}، قالَ يَقُصَّانِ آثَارَهُمَا، حتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ، فَرَأَى رَجُلًا مُسَجًّى عليه بثَوْبٍ، فَسَلَّمَ عليه مُوسَى، فَقالَ له الخَضِرُ: أنَّى بأَرْضِكَ السَّلَامُ؟ قالَ: أَنَا مُوسَى، قالَ: مُوسَى بَنِي إسْرَائِيلَ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: إنَّكَ علَى عِلْمٍ مِن عِلْمِ اللهِ عَلَّمَكَهُ اللَّهُ لا أَعْلَمُهُ، وَأَنَا علَى عِلْمٍ مِن عِلْمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ لا تَعْلَمُهُ، قالَ له مُوسَى عليه السَّلَامُ: (هلْ أَتَّبِعُكَ علَى أَنْ تُعَلِّمَنِي ممَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا. قالَ: إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. وَكيفَ تَصْبِرُ علَى ما لَمْ تُحِطْ به خُبْرًا. قالَ سَتَجِدُنِي إنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لكَ أَمْرًا) قالَ له الخَضِرُ {فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فلا تَسْأَلْنِي عن شيءٍ حتَّى أُحْدِثَ لكَ منه ذِكْرًا}، قالَ: نَعَمْ، فَانْطَلَقَ الخَضِرُ وَمُوسَى يَمْشِيَانِ علَى سَاحِلِ البَحْرِ، فَمَرَّتْ بهِما سَفِينَةٌ، فَكَلَّمَاهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا، فَعَرَفُوا الخَضِرَ فَحَمَلُوهُما بغيرِ نَوْلٍ، فَعَمَدَ الخَضِرُ إلى لَوْحٍ مِن أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ فَنَزَعَهُ، فَقالَ له مُوسَى: قَوْمٌ حَمَلُونَا بغيرِ نَوْلٍ، عَمَدْتَ إلى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا {لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لقَدْ جِئْتَ شيئًا إمْرًا قالَ أَلَمْ أَقُلْ إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قالَ لا تُؤَاخِذْنِي بما نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِن أَمْرِي عُسْرًا}، ثُمَّ خَرَجَا مِنَ السَّفِينَةِ، فَبيْنَما هُما يَمْشِيَانِ علَى السَّاحِلِ إذَا غُلَامٌ يَلْعَبُ مع الغِلْمَانِ، فأخَذَ الخَضِرُ برَأْسِهِ، فَاقْتَلَعَهُ بيَدِهِ، فَقَتَلَهُ، فَقالَ مُوسَى: (أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بغيرِ نَفْسٍ لقَدْ جِئْتَ شيئًا نُكْرًا. قالَ أَلَمْ أَقُلْ لكَ إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) قالَ: وَهذِه أَشَدُّ مِنَ الأُولَى، {قالَ إنْ سَأَلْتُكَ عن شيءٍ بَعْدَهَا فلا تُصَاحِبْنِي، قدْ بَلَغْتَ مِن لَدُنِّي عُذْرًا، فَانْطَلَقَا حتَّى إذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَما أَهْلَهَا فأبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا، فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فأقَامَهُ} يقولُ مَائِلٌ، قالَ الخَضِرُ بيَدِهِ هَكَذَا فأقَامَهُ، قالَ له مُوسَى: قَوْمٌ أَتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُضَيِّفُونَا وَلَمْ يُطْعِمُونَا، لو شِئْتَ لَتَخِذْتَ عليه أَجْرًا، قالَ: هذا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ، سَأُنَبِّئُكَ بتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عليه صَبْرًا قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، لَوَدِدْتُ أنَّهُ كانَ صَبَرَ حتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِن أَخْبَارِهِما، قالَ: وَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: كَانَتِ الأُولَى مِن مُوسَى نِسْيَانًا، قالَ: وَجَاءَ عُصْفُورٌ حتَّى وَقَعَ علَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، ثُمَّ نَقَرَ في البَحْرِ، فَقالَ له الخَضِرُ: ما نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِن عِلْمِ اللهِ إلَّا مِثْلَ ما نَقَصَ هذا العُصْفُورُ مِنَ البَحْرِ. قالَ سَعِيدُ بنُ جُبَيْرٍ: وَكانَ يَقْرَأُ: وَكانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصْبًا وَكانَ يَقْرَأُ: ((وَأَمَّا الغُلَامُ فَكانَ كَافِرًا)).

في هذا الحديثِ يَحكي سَعيدُ بنُ جُبَيرٍ أنَّه سأَلَ عبدَ اللهِ بنَ عبَّاسٍ رَضيَ اللهُ عنهما عن مُوسى صاحبِ الخَضِرِ، وأنَّه قد زَعَمَ نَوْفٌ البِكاليُّ -وهو تابعيٌّ مِن أهلِ دِمَشقَ، فاضلٌ عالِمٌ، لا سيَّما بالإسرائيليَّاتِ، وكان ابنَ زَوجةِ كَعبِ الأحبارِ- أنَّه ليس بمُوسى رَسولِ بَني إسرائيلَ، فكذَّبه ابنُ عبَّاسٍ رَضيَ اللهُ عنهما، وأجاب سَعيدًا بأنَّه هو مُوسى النبيُّ المُرسَلُ إلى بني إسرائيل، ثمَّ أخبَرَه بحَديثٍ عن أُبيِّ بنِ كَعبٍ رَضيَ اللهُ عنه سَمِعَه مِن النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في قِصَّةِ مُوسى عليه السَّلامُ والخَضِرِ، فقد أخبَرَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنَّه بيْنَما نَبِيُّ اللهِ مُوسَى في جَماعةٍ مِن بَنِي إسْرائِيلَ، جاءَهُ رجُلٌ فسَأَلَه: هلْ تَعْلَمُ أحَدًا أعْلَمَ مِنْكَ في الأرضِ؟ فنَفى مُوسَى عليه السَّلامُ بظَنِّه أنْ يُوجَدَ أحدٌ أكثَرُ عِلمًا منه؛ لأنَّه نَبيٌّ ويُوحى إليه، فعَتَبَ اللهُ عليه إذ لم يَرُدَّ العِلمَ إليه، وقيل: جاء هذا تَنبيهًا لمُوسى صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وتَعليمًا لمَن بعْدَه، ولئلَّا يَقتدِيَ به غيرُه في تَزكيةِ نفْسِه والعُجبِ بحالِه، فيَهلِكَ، فأوْحَى اللهُ عزَّ وجلَّ إليه: أنَّه يُوجَدُ مَن هو أعلَمُ منك ممَّن آتاهُ اللهُ عِلمًا مِن عندِه غيرَ ما أوحاهُ لك، وهو عَبْدٌ اسمُه خَضِرٌ، وهو عندَ «مَجْمَعِ البَحرَينِ»: وهما بَحْرُ فارِسَ ممَّا يَلي المَشرِقَ، وبَحرُ الرُّومِ ممَّا يَلي المَغْرِبَ. وَقيلَ: مَجْمَعُ البَحرَينِ عِندَ طَنْجةَ في أقْصى بِلادِ المَغرِبِ. فسَأَلَ مُوسَى: كيف يَصِلُ إلَيْهِ؟ قال اللهُ تعالَى: اطْلُبْه على الساحلِ عندَ الصَّخرةِ، قال: يا ربِّ، كيف لي به؟ قال: تَأْخُذُ حُوتًا في مِكتَلٍ -وهو القُفَّةُ- فإذا فقَدْتَ الحُوتَ فارْجِعْ إلى مَوضعِ فقْدِه؛ فإنَّكَ سَتَلْقاهُ، فقِيل: أَخَذَ سَمَكةً مَملوحةً، وقال لِفتاهُ: إذا فقَدْتَ الحُوتَ فأَخْبِرْني. فلمَّا وَصَلا عِندَ الصَّخْرةِ على البحرِ، وضَعَا رُؤُوسَهُما وناما، فخَرَجَ الحُوتُ مِن الوِعاءِ في غَفلةٍ منهما، ودخَلَ في ماءَ البحرِ وذهَبَ، وكان ذلك لِمُوسَى وفَتَاهُ عَجَبًا، حيث إنَّ الحُوتَ رُدَّت إليه الرُّوحُ وانسَلَّ مِن الوِعاءِ ودخَلَ الماءَ، ثمَّ تَوقَّفَ الماءُ به، ثمَّ انْطَلَقا بَقِيَّةَ لَيْلَتِهما ويَومَهُما، فلمَّا أصْبَحَ قال مُوسَى لِفَتاهُ وخادِمِه يُوشَعَ بنِ نُونَ: آتِنَا غَداءَنا لنَأكُلَ؛ فقدْ وجَدْنا تَعَبًا بسَببِ السَّفرِ، ولَمْ يَجِدْ مُوسَى شُعورًا بالتَّعبِ حتَّى تَجاوَزَ المَكانَ الذي أُمِرَ به؛ ليَلْقى الخَضِرَ، فقالَ الخادمُ لِمُوسَى: {أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ}، وذلك أنَّهما بعدَ راحةٍ على البحرِ نَسِيَ الخادِمُ الحوتَ، ثمَّ سارا لفَترةٍ، فلمَّا تَذكَّرَ الفَتى الخادمُ ذلك أخبَرَ به مُوسى عليه السَّلامُ، فقالَ له: «ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا»، فرَجَعَا يَتتبَّعانِ الأثَرَ حتَّى وَصَلَا إلى المكانِ الذي فَقَدا فيه الحُوتَ، فوَجَدَا الخَضِرَ وهو مُغطًّى بثَوبِه، فسلَّمَ عليه مُوسى، فقال الخَضِرُ: «وأنَّى بأرْضِكَ السَّلَامُ؟ وهو استفهامُ استبعادٍ يدُلُّ على أنَّ أهلَ تلك الأرضِ لم يَكونوا إذ ذاك مُسلمينَ، وفي روايةٍ عندَ مُسلمٍ: «فقال مُوسى للخَضِرِ: السَّلامُ عليكمْ، فكَشَفَ الثَّوبَ عن وَجْهِه، وقال: وعليكمُ السَّلامُ»، ويُجمَعُ بيْن الرِّوايتينِ بأنَّه استَفْهَمَه بعْدَ أنْ رَدَّ عليه السَّلامَ. فطَلَبَ منه مُوسى عليه السَّلامُ أنْ يَتَّبِعَه؛ ليَتعلَّمَ مِن عِلمِه، ولكنَّ الخَضِرَ أوضَحَ له أنَّه لنْ يَستطيعَ أنْ يَصبِرَ على ما سَيراهُ؛ وذلك لاختلافِ العِلمِ الذي يَعلَمُه كلٌّ منهما، وكلُّه مِن عندِ اللهِ، فوَعَدَه مُوسى عليه السَّلامُ أنَّه سيَتحلَّى بالصَّبرِ، ولنْ يُعقِّبَ معه على شَيءٍ مِن أفعالِه، فمَشَيَا على ساحِلِ البَحْرِ، فمَرَّتْ بهِما سَفِينةٌ، فطَلَبَا مِن أصحابِها أنْ

يَحْمِلُوهما، فعَرَفوا الخَضِرَ فحَمَلُوهما بغَيرِ أُجرةٍ إكرامًا له.ثمَّ جاءَ عُصْفُورٌ، فجَلَسَ على حَرْفِ السَّفِينةِ، فنَقَرَ بِمنقارِه نَقْرَةً أوْ نَقْرَتَينِ، فأخَذَ مِن ماءِ البَحْرِ، وكان في ذلك مَثَلٌ أوضَحَه الخَضِرُ لمُوسى بأنَّ عِلمَ كلِّ واحدٍ منهما لا يُساوي في عِلْمِ اللهِ إلَّا كَنَقْرةِ هذا العُصْفُورِ في البَحْرِ، ثمَّ نزَعَ الخَضِرُ لَوْحًا مِن ألْوَاحِ السَّفِينةِ يَقصِدُ بذلك أنْ يَعيبَها، فتَعجَّبَ مُوسى عليه السَّلامُ مِن فِعلِه، خاصةً بعدَ إكرامِ أهْلِ السَّفينةِ لهما، وسَأَلَ الخَضِرَ عن سَببِ ذلك، فقال له الخَضِرُ: {أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا}؟ فاعتذَرَ مُوسى عليه السَّلامُ، فكانتِ المرَّةُ الأُولَى مِن مُوسَى نِسْيانًا، ثمَّ خَرَجَا مِن السَّفينةِ، فوَجَدا فتًى صَغيرًا يَلْعَبُ مع الغِلْمانِ، فأمسَكَ الخَضِرُ برَأْسِهِ مِن أعْلَاهُ، فاقْتَلَعَ رَأْسَهُ بيَدِهِ، دونَ سَببٍ أو جِنايةٍ واضحةٍ، وهنا تَعجَّبَ مُوسى أيضًا، وخرَجَ مِن شَرْطِ الصَّبرِ، وسَأَلَه مُتعجِّبًا عن ذلك؛ فقد قتَلَ نفْسًا بَريئةً بغَيرِ ذَنْبٍ وبغَيرِ قتْلٍ وقَعَ منها، وهذه المرَّةُ الثانيةُ لعَدَمِ صَبْرِه عليه السَّلامُ، ثمَّ مَشَيَا ودَخَلا قَريةً، فطَلَبوا الطَّعامَ والضِّيافةَ مِن أهْلِها، فرَفَضوا، ومع ذلك فإنَّ الخَضِرَ لمَّا وَجَد جِدارًا مائلًا قد قارَبَ على الوُقوعِ، أقامَهُ وعدَّلَ بِناءَه حتى لا يَسقُطَ، فقال له مُوسَى: لو شِئْتَ لَاتَّخَذتَ عليهِ أجْرًا نَظيرَ بِنائِه، وهذه المرَّةُ الثالثةُ لعَدَمِ صَبْرِ مُوسى عليه السَّلامُ، وكان هذا فِراقُ ما بيْنهما، فافتَرَقا بعْدَ أنْ بيَّنَ له الخَضِرُ الحِكمةَ مِن كلِّ ذلك، كما جاء في قولِ اللهِ تعالى: {أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا * وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا * وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا} [الكهف: ٧٩ - ٨٢]. ثمَّ قال النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، لَوَدِدْنا لو صَبَرَ» وهو بَيانٌ لرَغبتِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنْ يَلتزِمَ مُوسى عليه السَّلامُ بشَرْطِ الصَّبرِ مع الخَضِرِ حتَّى يُقصَّ عَلَيْنا مِن الأعاجيبِ والغرائبِ التي كانت ستُصاحِبُهما في رِحلتِهما. وقد تَبيَّنَ لمُوسى عليه السَّلامُ بعْدَ ذلك مَدى عِلمِ الخَضِرِ بما أعلَمَه اللهُ مِن الغُيوبِ وحَوادثِ القُدرةِ، ممَّا لا تَعلَمُ الأنبياءُ منه إلَّا ما أُعلِموا به مِن الخالقِ عزَّ وجلَّ.

وفي الحديثِ: احتمالُ المشقَّةِ في طَلَبِ العلمِ.

وفيه: الازديادُ في العِلمِ، وقصْدُ طلبِه، ومَعرفةُ حقِّ مَن عندَه زِيادةُ عِلمٍ، وفَضيلةُ طَلَبِ العلمِ، والأدبِ مع العالِمِ.

وفيه: لُزومُ التَّواضُعِ في طَلَبِ العلمِ، وخِدمةُ طالِبِ العِلمِ لمُعلِّمِه إذا كان أصغَرَ منه. وفيه: أصلٌ عَظيمٌ مِن الأُصولِ الشَّرعيَّةِ، وهو أنَّه لا اعتراضَ بالعقلِ على ما لا يُفهَمُ مِن الشَّرعِ، وأنْ لا تَحسينَ ولا تَقبيحَ إلَّا بالشَّرعِ.

وفيه: الاعتذارُ عندَ المُخالَفةِ. وفيه: الحُكمُ بالظَّاهرِ حتَّى يَتبيَّنَ خِلافُه. وفيه: أنَّ الكذِبَ هو الإخبارُ على خِلافِ الواقِعِ، عمْدًا أو سَهوًا. وفيه: إذا تَعارضَتْ مَفسدتانِ يَجوزُ دفْعُ أعظَمِهما بارتكابِ أخَفِّهما.

٢. عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " .... فَاعْتَزَلَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مِن أَجْلِ ذلكَ الحَديثِ حِينَ أَفْشَتْهُ حَفْصَةُ إلى عَائِشَةَ، وكانَ قدْ قالَ: ما أنَا بدَاخِلٍ عليهِنَّ شَهْرًا مِن شِدَّةِ مَوْجِدَتِهِ عليهِنَّ، حِينَ عَاتَبَهُ اللَّهُ .... " [٥٠٢].

٥٠٢ حديثٌ صحيحٌ: رواه البخاري ٢٤٦٨؛ ((عَنْ عبدِ اللَّهِ بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عنْهما، قالَ: لَمْ أزَلْ حَرِيصًا علَى أنْ أسْأَلَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عنه عَنِ المَرْأَتَيْنِ مِن أزْوَاجِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ اللَّتَيْنِ قالَ اللَّهُ لهمَا: {إنْ تَتُوبَا إلى اللَّهِ فقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} [التحريم: ٤] فَحَجَجْتُ معهُ، فَعَدَلَ وعَدَلْتُ معهُ بالإدَاوَةِ، فَتَبَرَّزَ حتَّى جَاءَ، فَسَكَبْتُ علَى يَدَيْهِ مِنَ الإدَاوَةِ فَتَوَضَّأَ، فَقُلتُ: يا أمِيرَ المُؤْمِنِينَ، مَنِ المَرْأَتَانِ مِن أزْوَاجِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ اللَّتَانِ قالَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ لهمَا: {إنْ تَتُوبَا إلى اللَّهِ فقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} [التحريم: ٤]؟ فَقالَ: واعَجَبِي لكَ يا ابْنَ عَبَّاسٍ، عَائِشَةُ وحَفْصَةُ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ عُمَرُ الحَدِيثَ يَسُوقُهُ، فَقالَ: إنِّي كُنْتُ وجَارٌ لي مِنَ الأنْصَارِ في بَنِي أُمَيَّةَ بنِ زَيْدٍ، وهي مِن عَوَالِي المَدِينَةِ، وكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ علَى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَيَنْزِلُ يَوْمًا وأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ مِن خَبَرِ ذلكَ اليَومِ مِنَ الأمْرِ وغَيْرِهِ، وإذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَهُ، وكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا علَى الأنْصَارِ إذَا هُمْ قَوْمٌ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَأْخُذْنَ مِن أدَبِ نِسَاءِ الأنْصَارِ، فَصِحْتُ علَى امْرَأَتِي، فَرَاجَعَتْنِي، فأنْكَرْتُ أنْ تُرَاجِعَنِي، فَقالَتْ: ولِمَ تُنْكِرُ أنْ أُرَاجِعَكَ، فَوَاللَّهِ إنَّ أزْوَاجَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لَيُرَاجِعْنَهُ، وإنَّ إحْدَاهُنَّ لَتَهْجُرُهُ اليومَ حتَّى اللَّيْلِ، فأفْزَعَنِي، فَقُلتُ: خَابَتْ مَن فَعَلَتْ منهنَّ بعَظِيمٍ، ثُمَّ جَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي، فَدَخَلْتُ علَى حَفْصَةَ، فَقُلتُ: أيْ حَفْصَةُ أتُغَاضِبُ إحْدَاكُنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ اليومَ حتَّى اللَّيْلِ؟ فَقالَتْ: نَعَمْ، فَقُلتُ: خَابَتْ وخَسِرَتْ أفَتَأْمَنُ أنْ يَغْضَبَ اللَّهُ لِغَضَبِ رَسولِهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَتَهْلِكِينَ لا تَسْتَكْثِرِي علَى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ولَا تُرَاجِعِيهِ في شيءٍ، ولَا تَهْجُرِيهِ، واسْأَلِينِي ما بَدَا لَكِ، ولَا يَغُرَّنَّكِ أنْ كَانَتْ جَارَتُكِ هي أوْضَأَ مِنْكِ، وأَحَبَّ إلى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - يُرِيدُ عَائِشَةَ - وكُنَّا تَحَدَّثْنَا أنَّ غَسَّانَ تُنْعِلُ النِّعَالَ لِغَزْوِنَا، فَنَزَلَ صَاحِبِي يومَ نَوْبَتِهِ فَرَجَعَ عِشَاءً، فَضَرَبَ بَابِي ضَرْبًا شَدِيدًا، وقالَ: أنَائِمٌ هُوَ، فَفَزِعْتُ، فَخَرَجْتُ إلَيْهِ، وقالَ: حَدَثَ أمْرٌ عَظِيمٌ، قُلتُ: ما هُوَ؟ أجَاءَتْ غَسَّانُ؟ قالَ: لَا، بَلْ أعْظَمُ منه وأَطْوَلُ طَلَّقَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ نِسَاءَهُ، قالَ: قدْ خَابَتْ حَفْصَةُ وخَسِرَتْ، كُنْتُ أظُنُّ أنَّ هذا يُوشِكُ أنْ يَكونَ، فَجَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي، فَصَلَّيْتُ صَلَاةَ الفَجْرِ مع النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَدَخَلَ مَشْرُبَةً له، فَاعْتَزَلَ فِيهَا، فَدَخَلْتُ علَى حَفْصَةَ، فَإِذَا هي تَبْكِي، قُلتُ: ما يُبْكِيكِ؟ أوَلَمْ أكُنْ حَذَّرْتُكِ، أطَلَّقَكُنَّ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، قالَتْ: لا أدْرِي هو ذَا في المَشْرُبَةِ، فَخَرَجْتُ، فَجِئْتُ المِنْبَرَ، فَإِذَا حَوْلَهُ رَهْطٌ يَبْكِي بَعْضُهُمْ، فَجَلَسْتُ معهُمْ قَلِيلًا، ثُمَّ غَلَبَنِي ما أجِدُ، فَجِئْتُ المَشْرُبَةَ الَّتي هو فِيهَا، فَقُلتُ لِغُلَامٍ له أسْوَدَ: اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ، فَدَخَلَ، فَكَلَّمَ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ثُمَّ خَرَجَ

فَقالَ: ذَكَرْتُكَ له، فَصَمَتَ، فَانْصَرَفْتُ، حتَّى جَلَسْتُ مع الرَّهْطِ الَّذِينَ عِنْدَ المِنْبَرِ، ثُمَّ غَلَبَنِي ما أجِدُ، فَجِئْتُ، فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَجَلَسْتُ مع الرَّهْطِ الَّذِينَ عِنْدَ المِنْبَرِ، ثُمَّ غَلَبَنِي ما أجِدُ، فَجِئْتُ الغُلَامَ فَقُلتُ: اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ، فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَلَمَّا ولَّيْتُ مُنْصَرِفًا، فَإِذَا الغُلَامُ يَدْعُونِي قالَ: أذِنَ لكَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَدَخَلْتُ عليه، فَإِذَا هو مُضْطَجِعٌ علَى رِمَالِ حَصِيرٍ ليسَ بيْنَهُ وبيْنَهُ فِرَاشٌ، قدْ أثَّرَ الرِّمَالُ بجَنْبِهِ مُتَّكِئٌ علَى وِسَادَةٍ مِن أدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ، فَسَلَّمْتُ عليه، ثُمَّ قُلتُ وأَنَا قَائِمٌ: طَلَّقْتَ نِسَاءَكَ، فَرَفَعَ بَصَرَهُ إلَيَّ، فَقالَ: لَا، ثُمَّ قُلتُ وأَنَا قَائِمٌ: أسْتَأْنِسُ يا رَسولَ اللَّهِ، لو رَأَيْتَنِي وكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا علَى قَوْمٍ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَذَكَرَهُ فَتَبَسَّمَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ثُمَّ قُلتُ: لو رَأَيْتَنِي، ودَخَلْتُ علَى حَفْصَةَ، فَقُلتُ: لا يَغُرَّنَّكِ أنْ كَانَتْ جَارَتُكِ هي أوْضَأَ مِنْكِ، وأَحَبَّ إلى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - يُرِيدُ عَائِشَةَ -، فَتَبَسَّمَ أُخْرَى، فَجَلَسْتُ حِينَ رَأَيْتُهُ تَبَسَّمَ، ثُمَّ رَفَعْتُ بَصَرِي في بَيْتِهِ، فَوَاللَّهِ ما رَأَيْتُ فيه شيئًا يَرُدُّ البَصَرَ غيرَ أهَبَةٍ ثَلَاثَةٍ، فَقُلتُ: ادْعُ اللَّهَ فَلْيُوَسِّعْ علَى أُمَّتِكَ، فإنَّ فَارِسَ والرُّومَ وُسِّعَ عليهم، وأُعْطُوا الدُّنْيَا وهُمْ لا يَعْبُدُونَ اللَّهَ، وكانَ مُتَّكِئًا فَقالَ: أوفي شَكٍّ أنْتَ يا ابْنَ الخَطَّابِ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لهمْ طَيِّبَاتُهُمْ في الحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، اسْتَغْفِرْ لِي، فَاعْتَزَلَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مِن أجْلِ ذلكَ الحَديثِ حِينَ أفْشَتْهُ حَفْصَةُ إلى عَائِشَةَ، وكانَ قدْ قالَ: ما أنَا بدَاخِلٍ عليهِنَّ شَهْرًا مِن شِدَّةِ مَوْجِدَتِهِ عليهِنَّ، حِينَ عَاتَبَهُ اللَّهُ فَلَمَّا مَضَتْ تِسْعٌ وعِشْرُونَ، دَخَلَ علَى عَائِشَةَ، فَبَدَأَ بهَا، فَقالَتْ له: عَائِشَةُ إنَّكَ أقْسَمْتَ أنْ لا تَدْخُلَ عَلَيْنَا شَهْرًا، وإنَّا أصْبَحْنَا لِتِسْعٍ وعِشْرِينَ لَيْلَةً أعُدُّهَا عَدًّا، فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: الشَّهْرُ تِسْعٌ وعِشْرُونَ، وكانَ ذلكَ الشَّهْرُ تِسْعًا وعِشْرِينَ، قالَتْ عَائِشَةُ: فَأُنْزِلَتْ: آيَةُ التَّخْيِيرِ فَبَدَأَ بي أوَّلَ امْرَأَةٍ، فَقالَ: إنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أمْرًا، ولَا عَلَيْكِ أنْ لا تَعْجَلِي حتَّى تَسْتَأْمِرِي أبَوَيْكِ، قالَتْ: قدْ أعْلَمُ أنَّ أبَوَيَّ لَمْ يَكونَا يَأْمُرَانِي بفِرَاقِكَ، ثُمَّ قالَ: إنَّ اللَّهَ قالَ: {يَا أيُّها النبيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ} [الأحزاب: ٢٨] إلى قَوْلِهِ {عَظِيمًا} [الأحزاب: ٢٩]، قُلتُ: أفِي هذا أسْتَأْمِرُ أبَوَيَّ، فإنِّي أُرِيدُ اللَّهَ ورَسوله والدَّارَ الآخِرَةَ، ثُمَّ خَيَّرَ نِسَاءَهُ، فَقُلْنَ مِثْلَ ما قالَتْ عَائِشَةُ)).

رُبَّما كان مِنْ نِساءِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مَنْ يَقَعُ منها في حَقِّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مِثْلُ ما يَقَعُ مِنَ النِّساءِ في حَقِّ أزواجِهِنَّ مِنَ الغَيرَةِ والمُضايَقاتِ وما شابَه. وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ رَضيَ اللهُ عنهما أنَّه كان حَريصًا على أنْ يَسأَلَ عُمَرَ بنَ الخطَّابِ رَضيَ اللهُ عنه عَنِ المَرْأَتَينِ مِن أزْواجِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ اللَّتَيْنِ قالَ اللهُ لهمَا: {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} [التحريم: ٤]. و«صَغَتْ»، أي: مالَتْ وانحَرَفَت عن الواجبِ، والمعْنى: إنْ تَتُوبَا إلى اللهِ، فَلِتوبتِكُما مُوجِبٌ أو سَببٌ؛ وهو أنْ قدْ مالَتْ قُلوبُكما عن الحقِّ، وانحَرَفَت عمَّا يَجِبُ عَليكما نَحْوَ الرَّسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؛ مِن كِتمانٍ لسِرِّه، وحِرصٍ على راحتِه، واحترامٍ لكلِّ تَصرُّفٍ مِن تَصرُّفاتِه. فظلَّ ابنُ عبَّاسٍ رَضيَ اللهُ عنهما حَريصًا على ذلك، إلَّا أنَّه مِن هَيْبتِه لعُمَرَ ما اسْتَطاعَ أنْ يَسألَهُ حتَّى جاءَت الفُرصَةُ عندَ خُروجِهِمْ للحَجِّ؛ وكان ابنُ عبَّاسٍ في رُفْقتِه، ويَحْكي ابنُ عبَّاسٍ

رَضيَ اللهُ عنهما أنَّه في أثناءِ عَودتِهم بعْدَ انقضاءِ حَجِّهم، أخَذَ عمَرُ بنُ الخطَّابِ رَضيَ اللهُ عنه جانِبًا عن الطَّريقِ المَسلوكةِ إلى طَريقٍ لا تُسلَكُ غالِبًا؛ لِيَقْضيَ حاجَتَه مِن البَولِ والغائطِ، وذهَبَ معه ابنُ عبَّاسٍ بالإدَاوَةِ -وهي إنَاءٌ صَغِيرٌ من جِلْدٍ يُتَّخَذُ للماءِ- فقضَى عمَرُ رَضيَ اللهُ عنه حاجَتَه، فلمَّا جاء سَكَبَ ابنُ عبَّاسٍ على يَديهِ الماءَ منَ الإدَاوةِ فَتوضَّأَ، ثمَّ سَأَلَه عَقِبَ وُضوئِه عن المَرأتينِ مِن أزواجِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ اللَّتينِ نَزَلَت فيهما الآيةُ، فتَعجَّبَ عمَرُ رَضيَ اللهُ عنه مِن ابنِ عبَّاسٍ كَيف خَفيَ عليه هذا الأمرُ مع شُهرتِه بيْنهم بعِلمِ التَّفسيرِ؟ وإمَّا لأنَّه رَأى في سُؤالِه حِرصًا لا يَتنبَّهُ له إلَّا الحريصُ على العِلمِ مِن تَفسيرِ ما أُبهِمَ في القرآنِ. وقيل: قال عمَرُ ذلك تَعجُّبًا، كأنَّه كَرِهَ ما سَأَله عنه. وأجابهُ إلى ما سَأَلَ بأنَّ المَرأتينِ هُما أمُّ المؤمنينَ حَفْصَةَ بنتُ عمَرَ بنِ الخطَّابِ رَضيَ اللهُ عنهما، وأمُّ المؤمنينَ عائِشةُ بنتُ أبي بَكرٍ رَضيَ اللهُ عنهما. ثُمَّ شَرَع عمَرُ رَضيَ اللهُ عنه يَروي الَّذي حدَثَ؛ فقال: إنِّي كُنتُ وجارٌ لي مِن الأنْصارِ -وهو: أوسُ بنُ خَوْلَى بنِ عبدِ اللهِ الأنصاريّ رَضيَ اللهُ عنه- نَسكُنُ في بَني أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ، وهمْ مِن عَوالي المَدينةِ، أي: القُرى الَّتي بِقُرْبِهَا مِن جِهةِ نَجْدٍ على بُعْدِ ثَلاثةِ أو أربعةِ أميالٍ مِن المدينةِ، وكُنَّا نَتَبادلُ الذَّهابَ إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؛ فَينزِلُ هو يَومًا، وأنزِلُ يَومًا، فإذا نَزَلْتُ جِئتُهُ مِن خَبرِ ذلك اليَومِ مِن الوَحْيِ أو الأوامِرِ الشَّرعيَّةِ وغَيرِ ذلك مِن الحَوادِثِ الكائنةِ عِندهُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وإذا نَزَلَ جاري فَعَلَ مِثلَ ذلك. قال: وكُنَّا -مَعْشَرَ قُرَيْشٍ- نَغْلِبُ النِّسَاءَ، أي: نَحْكُمُ عليهِنَّ ولا يَحْكُمْنَ عَلينا، فلَمَّا قَدِمْنا على الأنْصارِ -وهمْ أهلُ المَدينةِ- إذا هُمْ قَومٌ تَغْلِبهمْ نِساؤهُمْ، فَليسَ لهمْ شِدَّةٌ وَطْأةٍ وحكْمٍ عليهِنَّ، فصارت نِساءُ المهاجِرين يَأخُذنَ مِن أدَبِ نِساءِ الأنْصارِ، أي: مِن سِيرَتِهنَّ وطَرِيقَتِهنَّ مع أزواجِهنَّ، فَرَفَعْتُ صَوتي على امرأتي يَومًا، فرَدَّتْ عَلَيَّ الجوابَ، فَأَنْكَرْتُ أنْ تُراجِعَني، فَقالتْ: ولِمَ تُنْكِرْ عليَّ أنْ أُراجِعَكَ؟ فَواللهِ إنَّ أزواجَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لَيُراجِعْنَهُ، وإنَّ إحْداهُنَّ لَتَهْجُرُهُ اليَومَ حتَّى اللَّيلِ، وفي رِوايةٍ أُخرى في الصَّحيحينِ قالتْ: وإنَّ ابنَتَك -تَعني: أمَّ المؤمنينَ حَفْصةَ رَضيَ اللهُ عنها- لَتُراجِعُ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حتَّى يَظَلَّ يومَه غَضْبانَ، فأَفْزَعَني كَلامُها، فَقلتُ: خابَتْ وخَسِرت مَنْ فعَلَتْ مِنهُنَّ ذلك، وقد أَتَتْ بأمرٍ عَظيمٍ. ثمَّ أخبرَ عمَرُ رَضيَ اللهُ عنه أنَّه لَبِسَ ثِيابَه، ثُمَّ ذَهبَ رَضيَ اللهُ عنه إلى ابنتِه حَفْصَةَ، فلمَّا دَخَل عليها سَأَلَها: أتُغاضِبُ إحْداكُنَّ رَسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ اليَومَ حتَّى اللَّيلِ؟ فَأَجابَتْ: نَعمْ يَحدُثُ ذلك. فقالَ عُمرُ: خَابتْ وَخَسِرتْ مَنْ غاضَبَتْه؛ أَفَتَأْمَنُ الَّتي تُغاضِبهُ مِنكُنَّ أنْ يَغضَبَ اللهُ عليها لِغضَبِهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؟! فَتَهْلِكِينَ بهذا. وأَوصاها رَضيَ اللهُ عنه بألَّا تَطْلُبَ منهُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ الكَثيرَ، ولا تُراجِعَه في شَيءٍ، ولا تَهْجُرَه ولو هَجَرَها، وأن تَسْأَلَ عمَرَ ما بَدا لها، أي: تَطْلُبَ منه كلَّ ما تُرِيدُه وتَحتاجُه، ثمَّ قال: ولا يَغُرَّنَّكِ كونُ جَارتُكِ -أي: ضَرَّتُكِ، والعرَبُ تُطلِقُ على الضَّرَّةِ جارةً؛ لتَجاوُرِهما المَعنويّ، ولِكونِهما عندَ شَخْصٍ واحِدٍ- هي أجْمَلَ مِنكِ وأحبَّ إلى رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، يُرِيدُ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عنها. والمعْنى: إيَّاكِ أنْ تَغترِّي بكونِ عائشةَ رَضيَ اللهُ عنه تَفعَلُ ما نَهَيْتُكِ عنه، فلا يُؤاخِذُها رَسولُ اللهِ

صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بذلك؛ لاحتمالِ ألَّا تكوني عندَه في تلك المَنزلةِ، فلا يكونُ لك مِن الإدلالِ مِثلُ الَّذي لها. ثُمَّ يَقولُ عُمرُ: وكُنَّا تَحدَّثْنا -أي: كان عِندَهم خبَرٌ- أنَّ غَسَّانَ -وهمْ قومٌ مِن قَحْطانَ، نَزَلوا حِين تَفرَّقوا مِن سَدِّ مَأْرِبَ بماءٍ يُقالُ له: غَسَّانُ، فسُمُّوا بذلك، وسَكَنوا بطرَفِ الشَّامِ- تُنْعِلُ النِّعالَ، أي: تَصْنعُ الحَدِيدَ لأجْلِ حَوَافِرِ الخَيلِ، وتُعِدُّ خَيلَها ودَوابَّها. يُشيرُ بذلك إلى تجهُّزِهم لغَزْوِ المسلمينَ، فنَزَلَ صَاحِبي إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في يَومِه، فسَمِع اعتِزالَ رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ زَوجاتِه، فرَجَعَ إلى العَوالي عِشاءً، أي: في آخِرِ يَومِه ونِهايتِه، وضَرَبَ بابي ضَربًا شَديدًا، وقالَ: أنائمٌ هو؟ يَقولُ ذلك على سَبيلِ الاستخبارِ؛ وذلك لبُطْءِ إجابتِه له، فظَنَّ أنَّه نائمٌ. قال عمَرُ رَضيَ اللهُ عنه: ففَزِعْتُ، أي: خِفْتُ لأجْلِ الضَّربِ الشَّديدِ، فخَرَجتُ إليهِ، وقال: حَدَثَ أمرٌ عَظيمٌ. قُلْتُ: ما هو؟ أجاءَتْ غَسَّانُ؟ قال: لا، بَلْ أعظَمُ مِنهُ وأَزيَدُ؛ طَلَّقَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ نِساءَهُ. قال: «طلَّقَ» بالجزْمِ، فيَحتمِلُ أنْ يكونَ الجزْمُ وَقَعَ مِن إشاعةِ بَعضِ أهْلِ النِّفاقِ، فتَناقَلَه النَّاسُ، وأصْلُه ما وَقَعَ مِن اعتزالِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لِنسائِه بذلك، ولم تَجْرِ عادتُه بذلك، فظَنُّوا أنَّه طلَّقَهنَّ. قال عمَرُ بنُ الخطَّابِ رَضيَ اللهُ عنه: قَدْ خابَتْ حَفْصَةُ وخَسِرَتْ؛ كُنْتُ أظُنُّ أنَّ هذا يُوشِكُ أنْ يَحدُثَ؛ لأنَّ المُراجَعةَ قدْ تُفْضي إلى الغضَبِ المُفْضي إلى الفُرْقةِ. وخصَّ حَفْصةَ رَضيَ اللهُ عنها بالذِّكرِ لمَكانتِها منه؛ لكَونِها ابنتَه، ولكونِه كان قَريبَ العهْدِ بتَحذيرِها مِن وُقوعِ ذلك. فلَبِسَ عمَرُ رَضيَ اللهُ عنه ثِيابَه، وذَهَبَ إلى رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فصَلَّى الفَجْرَ مَعهُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ودَخَلَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مَشْرُبةً له، أي: غُرْفَةً مُرتَفِعةً له يُخزَّنُ فيها الطَّعامُ، فاعْتَزَلَ فيها صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ نِساءَه، فَدخَلْتُ على حَفْصَةَ، فإذا هي تَبْكي، قُلتُ: ما يُبْكِيكِ؟! أوَلَمْ أكُنْ حَذَّرْتُكِ؟ يعني: مِن أنْ تُغاضِبي رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أو تُراجِعيه أو تَهْجُريه. ثمَّ استَفْهَمَها عمَّا سَمِعَه، فقال: أطَلَّقَكُنَّ رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؟ قَالتْ: لا أدْري، هو ذَا في المَشْرُبَةِ، فخَرَجَ عمَرُ إلى المسجِدِ فوَجَدَ عندَ المِنبرِ رَهْطًا -دُونَ العَشرةِ مِن الرِّجالِ- يَبْكي بَعضُهمْ، فجَلَسَ مَعهمْ قَليلًا، قال: ثُمَّ غَلبَني ما أجِدُ، أي: شُغِلَ قَلْبُه ما بَلَغَه مِن تَطليقِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ نِساءَه، ومِن جُملتِهنَّ بِنتُه، وفي ذلك مِن المَشقَّةِ ما لا يَخْفى، فَجِئْتُ المَشْرُبةَ الَّتي هو صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فيها، فقُلْتُ لِغُلامٍ له أسْوَدَ -اسْمُهُ رَباحٌ-: استأْذِنْ لِعُمرَ، فدخَلَ فكَلَّمَهُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ثُمَّ خَرَجَ، فقالَ: ذَكَرتُكَ له فَصَمتَ ولمْ يَأْذَنْ في الدُّخولِ، فانْصَرفَ عُمرُ وجلَسَ مع النَّاسِ الَّذين عندَ المِنبرِ، وكَرَّرَ ذلكَ مَرَّتَيْنِ. فلمَّا وَلَّيْتُ مُنصَرِفًا في المرَّةِ الثَّالثةِ، فإذا الغُلامُ يَدعُوني، قال: أذِنَ لكَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في الدُّخولِ، فدَخَلتُ عليه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فإذا هو مُضْطَجِعٌ على رِمالِ حَصيرٍ، أي: على ما نُسِجَ مِن حَصيرٍ، لَيسَ بيْنهُ وبيْن الحصيرِ فِراشٌ، قَدْ أثَّرَ الرِّمالُ بجَنْبِهِ الشَّريفِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وهو مُتَّكِئٌ على وِسادَةٍ مِن أدَمٍ، أي: مِن جِلْدٍ مَدبوغٍ، حَشْوُها لِيفُ النَّخْلِ، فسَلَّمْتُ عليه، ثُمَّ قُلْتُ وأنا قائِمٌ: طَلَّقْتَ نِساءَكَ؟ فرَفَعَ بَصرَهُ إليَّ فقال: لا. ثُمَّ قُلتُ وأنا قائِمٌ: أسْتَأْنِسُ يا رَسُولَ الله -أي: أتَبَصَّرُ هَلْ يَعودُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إلى الرِّضا، أو أقولُ قَولًا أُطيِّبُ به قلْبَه

وأُسكِنُ غَضَبَه؟- لو رَأيْتَني وكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلمَّا قَدِمْنا على قَومٍ تَغْلِبُهمْ نِساؤُهمْ، ثُمَّ حَكَى له ما حدَثَ مع امرأتِه، فتَبَسَّم صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ثُمَّ ذَكَرَ له ما قالَه لِحَفْصَةَ: لا يَغُرَّنَّكِ أنْ كَانَتْ جَارَتُكِ -يعني عائشةَ رَضيَ اللهُ عنها- هي أوْضَأَ مِنْكِ، وأَحَبَّ إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فتَبَسَّمَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مَرَّةً أُخْرَى، فجَلَسَ عمرُ حِينَ رأى النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ تَبَسَّمَ، ثُمَّ نظَرَ عمَرُ في غُرفةِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ الَّتي يَجْلِسُ فيها، فيُقسِمُ عمَرُ: فَوَاللهِ ما رَأَيتُ فيه شَيئًا يَرُدُّ البَصَرَ غيرَ أَهَبَةٍ ثَلاثةٍ -جَمْعُ: إهَابٍ، وهو الجِلْدُ- وهذا كلُّه كِنايةٌ عن رَثاثَةِ هَيئةِ المكانِ الَّذي كان به النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وشِدَّةِ الحالِ الَّتي كان عليها النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقُلتُ: ادعُ اللهَ فَلْيُوسِّعْ على أُمَّتِكَ؛ فإنَّ فَارِسَ والرُّومَ -مَملكتانِ عَظيمتانِ في ذلك الزَّمنِ- وُسِّعَ عَليهمْ وأُعْطُوا الدُّنيا وهمْ لا يَعبُدونَ اللهَ، وكان صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مُتَّكِئًا فجَلسَ، فقال له على سَبيلِ الإنكارِ: أَوَفي شَكٍّ أنتَ يا ابنَ الخطَّابِ؟! يعني: أأنْتَ في شَكٍّ في أنَّ النَّعيمَ والسَّعةَ في الآخرةِ خَيرٌ مِن النَّعيمِ والسَّعةِ في الدُّنيا؟! أُولئِكَ -أي: فارِسُ والرُّومُ- قَومٌ عُجِّلَتْ لهم طَيِّباتُهم في الحَياةِ الدُّنيا. فَقلتُ: يا رَسولَ اللهِ، اسْتغفِر لي، أي: عن جَراءَتي بهذا القولِ في حَضْرتِك. واعْتَزَلَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مِنْ أجْلِ ذلك الحَديثِ حِينَ أَفْشَتْهُ حَفْصَةُ إلى عائشةَ، ولمْ يُفَسِّرِ هنا الحَديثَ الَّذي أَفْشَتْهُ حَفْصَةُ، وفي الصَّحيحَينِ: «أنَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كان يَشْرَبُ عَسَلًا عِندَ زَيْنَبَ بِنتِ جَحْشٍ، ويَمكُثُ عِندَها، فَتَوَاطَأْتُ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ على أنَّ أيَّتَهُما دَخلَ عَليها فَلتَقُلْ له: أأكَلْتَ مَغَافِيرَ؟ إِنِّي أجِدُ منكَ رِيحَ مَغافيرَ. فقال: لا، ولَكِنِّي كُنتُ أَشْرَبُ عَسلًا عِندَ زَيْنَبَ بنتِ جَحْشٍ ولَنْ أَعُودَ له، وقَدْ حَلَفْتُ فلا تُخبِري بذلك أحدًا»، وقيل: السَّبَبُ مجموعُ ما كان مِن أزواجِه مِن إغْضابِ رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وليس حَدَثًا بِعَيْنِهِ. وكانَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قدْ قالَ: ما أنا بِداخِلٍ عليهنَّ -أي: على نِسائِهِ- شَهْرًا؛ مِن شِدَّةِ غَضَبِهِ عليهنَّ حِينَ عاتَبَهُ اللهُ بِقولِهِ: {لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ} [التحريم: ١]. فلمَّا مَضَتْ تِسعٌ وعِشرونَ لَيلةً دَخلَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ على عائشةَ رَضيَ اللهُ عنها، فَبدَأَ بها، فقالَتْ له عائشَةُ: إنَّكَ أقْسَمْتَ ألَّا تدخُلَ علينا شَهرًا، وإنَّا أصْبَحْنا لِتِسعٍ وعِشرينَ لَيلةً أعُدُّها عَدًّا. فقال صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: الشَّهرُ -يعني: الَّذي آليتُ فيه- تِسعٌ وعِشرونَ لَيلةً. قَالتْ أمُّ المؤمنينَ عائشةُ رَضيَ اللهُ عنها: فأُنْزِلَتْ آيةُ التَّخْيِيرِ، والَّتي فيها يُخَيِّرُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أزواجَهُ بيْن الطَّلاقِ والفِراقِ، وأنْ يُعطِيَهُنَّ مُتعةً، وبيْن أنْ يَبْقَينَ زَوجاتٍ له ويَصبِرْنَ معه على شِدَّةِ العَيشِ، وهي قَـــــولُ اللهِ تعالَى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٢٨، ٢٩]، فَبدَأَ بي أوَّلَ امْرأةٍ مِن نِسائِه، فقال: إنِّي ذاكِرٌ لكِ أمرًا، ولا عَليكِ ألَّا تَعْجَلي حتَّى تَسْتَأْمِري أبوَيْكِ. أي: لا بَأْسَ عليكِ في عدَمِ التَّعجيلِ، أو «لا» زائدةٌ، والمعْنى: لَيس عليك التَّعجيلُ حتَّى تَسْتشيري أبَوَيكِ. قالتْ أمُّ المؤمنينَ عائشةُ رَضيَ اللهُ عنها: أعلَمُ أنَّ أبوَيَّ لمْ يَكونا يَأمُراني بفِراقِكَ، ثُمَّ

وفي (القاموس): "يطلق العتاب على الموجِدَة والسخط والغضب واللوم". قال أبو موسى المديني: "وفي حديث أبيٍّ في ذكر موسى حين سئل: أي الناس أعلم؟ قال: أنا {فعتب الله عليه}؛ العتبُ: أدنى الغضب" [٥٠٣]، وهذا منه رحمه الله إثباتٌ لهذه الصفة بمعناها، وهو أدنى الغضب.

الأَسف {بمعنى: الغضب}: صفةٌ فعليَّةٌ خبريَّةٌ ثابتةٌ لله عزَّ وجلَّ بالكتاب.

الدليل: قوله تعالى: {فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ} [الزخرف: ٥٥]، وقد استشهد بها شيخ الإسلام ابن تيمية في (العقيدة الواسطية)، وكل من شرحها بعد ذلك [٥٠٤]، قال ابن قتيبة: "{فَلَمَّا آسَفُونَا}؛ أي: أغضبونا، والأَسَف: الغضب، يُقال: أَسِفْتُ آسَفُ أَسَفاً؛ أي:

ذَكَرَ لها الآيتَينِ، فقالت عائشةُ رَضِيَ اللهُ عنها: أَفِي هذا أَسْتَأْمِرُ أبوَيَّ؟! فإنِّي أُريدُ اللهَ ورَسولَهُ والدَّارَ الآخِرةَ، ثُمَّ خَيَّرَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ نِساءَهُ، فَقُلْنَ مِثلَ ما قالتْ عائِشَةُ: نُريدُ اللهَ ورَسولَهُ والدَّارَ الآخِرةَ. {وفي الحديثِ: فَضيلةُ عُمرَ رَضيَ اللهُ عنه. وفيه: زُهْدُ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وفَضيلةُ الزُّهْدِ، والاكْتِفاءِ بالقليلِ منَ العَيشِ، وكَونُه مِن أخلاقِ النَّبيِّينَ. وفيه: أنَّ مَتاعَ الدُّنيا لا يَبقى، بخِلافِ نَعيمِ الآخِرةِ؛ فهو الَّذي له البقاءُ. وفيه: أنَّ المرأةَ تُعاقَبُ على إفشاءِ سِرِّ زَوجِها. وفيه: أنَّ المرأةَ الرَّشيدةَ لا بَأسَ أنْ تُشاوِرَ أبَوَيها أو ذَوِي الرَّأيِ مِن أهلِها في أمْرِ نَفسِها. وفيه: ضَحِكُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ التَّبَسُّمُ إكرامًا لِمَنْ يَضحَكُ إليه. وفيه: الحِرصُ على طَلَبِ العِلمِ، والتَّناوبُ في العِلمِ والاشْتِغالِ بهِ. وفيه: فضْلُ أمِّ المؤمنينَ عائشَةَ رَضِيَ الله تعالَى عنها}.

٥٠٣ المجموع المغيث؛ ٢/٤٠٠.

٥٠٤ قال السعدي: "{فَلَمَّا آسَفُونَا} أي: أغضبونا بأفعالهم {انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ}"، وقال ابن كثير: "قال الله تعالى: {فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين}، قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: {آسفونا}؛ أسخطونا. وقال الضحاك، عنه: أغضبونا. وهكذا قال ابن عباس أيضا، ومجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومحمد بن كعب القرظي، وقتادة، والسدي، وغيرهم من المفسرين"، وقال الطبري: "يقول الله تبارك وتعالى: {فَلَمَّا آسَفُونَا} يعني بقوله: آسفونا: أغضبونا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ((... عن ابن عباس، قوله {فَلَمَّا آسَفُونَا} يقول: أسخطونا. ... عن ابن عباس، {فَلَمَّا آسَفُونَا} يقول: لما أغضبونا. ... عن مجاهد {فَلَمَّا آسَفُونَا}: أغضبونا. ... عن قتادة، قوله: {فَلَمَّا آسَفُونَا} قال: أغضبوا ربهم. ... عن قتادة {فَلَمَّا آسَفُونَا} قال: أغضبونا.))".

غضبت" [٥٠٥]، ونقل هذا المعنى ابن جرير في (التفسير) بإسناده عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد، قال الهرّاس: "الأسف يُستعمل بمعنى شدة الحزن، وبمعنى شدة الغضب والسخط، وهو المراد في الآية" [٥٠٦].

السَّخط أو السُّخط: صفةٌ فعليَّةٌ خبريَّةٌ ثابتةٌ لله عزَّ وجلَّ بالكتاب والسُّنَّة الصحيحة.

الدليل من الكتاب:

١. قوله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ} [المائدة: ٨٠].

٢. قوله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللّٰهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ} [محمد: ٢٨].

الدليل من السُّنَّة الصحيحة:

١. عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قالَ: قالَ: رَسولُ اللّٰهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: "إنَّ اللَّهَ تَبارَكَ وتَعالى يقولُ لأهْلِ الجَنَّةِ: يا أهْلَ الجَنَّةِ، فيَقولونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنا وسَعْدَيْكَ، فيَقولُ: هلْ رَضِيتُمْ؟ فيَقولونَ: وما لنا لا نَرْضى وقدْ أعْطَيْتَنا ما لَمْ تُعْطِ أحَدًا مِن خَلْقِكَ؟ فيَقولُ: أنا أُعْطِيكُمْ أفْضَلَ مِن ذلكَ، قالوا: يا رَبِّ، وأَيُّ شَيءٍ أفْضَلُ مِن ذلكَ؟ فيَقولُ: أُحِلُّ علَيْكُم رِضْوانِي، فلا أسْخَطُ علَيْكُم بَعْدَهُ أبَدًا" [٥٠٧].

---

٥٠٥ تفسير غريب القرآن؛ ص ٣٩٩.

٥٠٦ شرح الواسطية؛ ص ١١١، وانظر: تهذيب اللغة؛ ١٣/٩٦.

٥٠٧ حديثٌ صحيحٌ: متفق عليه؛ صحيح البخاري ٦٥٤٩، ٧٥١٨، صحيح مسلم ٢٨٢٩. وفي رواية: "إنَّ اللَّهَ يقولُ لأهْلِ الجَنَّةِ: يا أهْلَ الجَنَّةِ، فيَقولونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنا وسَعْدَيْكَ والخَيْرُ في يَدَيْكَ، فيَقولُ: هلْ رَضِيتُمْ؟ فيَقولونَ: وما لنا لا نَرْضى يا رَبِّ وقدْ أعْطَيْتَنا ما لَمْ تُعْطِ أحَدًا مِن خَلْقِكَ، فيَقولُ: ألا أُعْطِيكُم أفْضَلَ مِن ذلكَ، فيَقولونَ: يا رَبِّ وأَيُّ شيءٍ أفْضَلُ مِن ذلكَ، فيَقولُ: أُحِلُّ علَيْكُمْ رِضْوانِي فلا أسْخَطُ علَيْكُمْ بَعْدَهُ أبَدًا" [صحيح البخاري ٧٥١٨]، وفي رواية: "إنَّ اللَّهَ يقولُ لأَهْلِ الجَنَّةِ: يا أهْلَ الجَنَّةِ فيَقولونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنا وسَعْدَيْكَ والخَيْرُ

٢. عن بريدة بن الحصيب الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قالَ: قالَ: رَسولُ اللهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: "لا تقولوا للمنافقِ سيد، فإنه إن يكُ سيدًا فقد أسخطتم ربَّكم عز وجل" [٥٠٨].

قال أبو إسماعيل الصابوني: "وكذلك يقولون في جميع الصفات (يعني: الإثبات) التي نزل بها القرآن ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع والبصر والعين ... والرضا

في يَدَيْكَ فيَقولُ: هلْ رَضِيتُمْ؟ فيَقولونَ: وما لنا لا نَرْضى؟ يا رَبِّ وقدْ أعْطَيْتَنا ما لَمْ تُعْطِ أحَدًا مِن خَلْقِكَ، فيَقولُ: ألا أُعْطِيكُمْ أفْضَلَ مِن ذلكَ؟ فيَقولونَ: يا رَبِّ وأَيُّ شيءٍ أفْضَلُ مِن ذلكَ؟ فيَقولُ: أُحِلُّ علَيْكُمْ رِضْوانِي، فلا أسْخَطُ علَيْكُمْ بَعْدَهُ أبَدًا" [صحيح مسلم ٢٨٢٩].

أخبَر النبيُّ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ أنَّ اللهَ تعالى يُكلِّم أهلَ الجنَّةِ، ويقول لهم: «يا أهلَ الجنَّةِ» فيردُّون عليه قائلين: «لَبَّيْكَ ربَّنا وسَعْدَيْكَ»، أي: إجابةً بعدَ إجابةٍ، وإسعادًا بعدَ إسعادٍ، فيقول لهم مَوْلاهم: «هل رَضِيتُم؟» فيقولون: «وما لنا لا نَرْضى وقد أَعْطَيْتَنا ما لم تُعطِ أحدًا مِن خَلْقِك؟!»، أي: بإدخالِهم الجنَّةَ وإنقاذِهم من النارِ، وتنعُّمِهم بما في الجنَّةِ من أنواع النَّعِيم، فيقول سبحانه: «أنا أُعطِيكم أفضلَ من ذلك»، قالوا: «يا ربِّ، وأيُّ شيءٍ أفضلُ من ذلك؟» فيقول: «أُحِلُّ عليكم رِضْوانِي»، أي: أُنزِل عليكم رِضايَ، أي: دَوام رِضْواني؛ فإنَّه لا يَلزم مِن كثرةِ العطاءِ دوامُ الرِّضا؛ ولذا قال: «فلا أَسْخَطُ» أي: لا أَغْضَبُ «عليكم بعدَه أبدًا»، وقولُه تعالى: «أفضلُ مِن ذلك» هو كقولِه تعالى: {وَرِضْوانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ}. {وفي الحديثِ: كلامُ اللهِ عزَّ وجلَّ مع أهلِ الجنَّةِ. وفيه: أنَّ النَّعيمَ الذي حَصَلَ لأهلِ الجنَّةِ لا مَزيدَ عليه}.

٥٠٨ حديثٌ صحيحٌ: صحَّحَهُ الشيخ الألباني في صحيح أبي داود ٤٩٧٧؛ أخرجه أبو داود (٤٩٧٧) واللفظ له، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٠٧٣)، وأحمد (٢٢٩٣٩).

الإسلامُ دِينٌ يقومُ على السُّموِّ والرِّفعةِ، وأساسُ التفاضُلِ والتقدُّم فيه هوَ التَّقوى والعملُ الصّالحُ، أما النِّفاقُ وسيِّئُ الأخلاقِ فإنَّهما محلُّ الصَّغارِ، فإذا ما تبدَّلتِ الأزمانُ والأحْوالُ فأصبحَ الناسُ يَعدُّون الكاذِبَ صادِقًا، والمنافقَ سيِّدًا؛ فإنَّ ذلك جالبٌ لسَخَطِ اللهِ عزَّ وجلَّ، كما أخبَر النبيُّ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ في هذا الحديثِ، حيثُ قال: «لا تَقولوا للمُنافِقِ سيِّدٌ»، أي: لا تَعدُّوا المنافِقَ المعلومَ النِّفاقِ سيِّدًا على الناسِ، ولا تُعطوهُ مِثلَ هذا القَدرِ، والمنافقُ هوَ مَن يُظهرُ غيرَ ما يُبطِنُ، فقد يُظهِرُ الإيمانَ والإسلامَ، ولكنَّه يُضمِر في داخلِه الكفرَ والشِّركَ، فإذا ما عُرِفَ نِفاقُه ابتُعِدَ عنه وعن تَعظيمِه، «فإنَّه إنْ يكُ سيِّدًا فقدْ أسخَطْتُم ربَّكمْ عزَّ وجلَّ»، أي: إنْ أصبحَ هذا مَنهجَكُم واتخذْتُم المنافقينَ سادةً لكُم وكبراءَ علَيْكم، وجَعلتُم لهم الكلمةَ فيما بَيْنكم؛ فقدْ أغضَبْتُم اللهُ مِنكم، واستحقَقْتم عدمَ رِضاهُ عَنكم.

وفي الحديثِ: النهيُ والتحذيرُ عن تَعظيمِ المنافقِ قَولًا وفِعلًا.

والسخط..." [٥٠٩]، وقال الشيخ محمد خليل الهرَّاس تعليقاً على بعض الآيات التي أوردها شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية لبعض صفات الله عزَّ وجلَّ الفعلية: "تضمنت هذه الآيات إثبات بعض صفات الفعل؛ من الرضا لله، والغضب، واللعن، والكره، والسخط، والمقت، والأسف، وهي عند أهل الحق صفات حقيقية لله عزَّ وجلَّ، على ما يليق به، ولا تشبه ما يتصف به المخلوق من ذلك، ولا يلزم منها ما يلزم في المخلوق" [٥١٠].

أَسْخَطَه: أَغْضَبَهُ، وباء بسخطٍ: رجع متلبِّسا بغضب شديد، وسخط الله عليهم: غضب عليهم بما فعلوا، وسَخِطَ عَلَيْهِ: غَضِبَ عَلَيْهِ وَنَقِمَ [٥١١]، والسخط: الغضب الشديد المقتضي للعقوبة، وهو من الله إنزال العذاب [٥١٢].

الغَضَب: صفةٌ فعلِيَّةٌ خبريَّةٌ ثابتةٌ لله عزَّ وجلَّ بالكتاب والسُّنَّة الصحيحة.

الدليل من الكتاب:

١. قوله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [النور: ٩].
٢. قوله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى} [طه: ٨١].
٣. قوله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ} [الممتحنة: ١٣].

---

٥٠٩ عقيدة السلف أصحاب الحديث؛ ص ٥.

٥١٠ شرح الواسطية؛ ص ١٠٨.

٥١١ معجم المعاني الجامع.

٥١٢ كتاب التوقيف على مهمات التعاريف؛ المناوي.

الدليل من السُّنَّة الصحيحة:

١. عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قالَ: قالَ: رَسولُ اللهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: "لَمّا قَضى اللَّهُ الخَلْقَ كَتَبَ في كِتابِهِ فَهو عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ إنَّ رَحْمَتي غَلَبَتْ غَضَبِي" [٥١٣].

٢. قالَ رَسولُ اللهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ {في حديث الشفاعة الطويل}: "إنَّ رَبِّي قدْ غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ" [٥١٤].

---

٥١٣ حديثٌ صحيحٌ: متفق عليه؛ صحيح البخاري ٣١٩٤؛ أخرجه البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١)، وفي رواية: "إنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتابًا قَبْلَ أنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ: إنَّ رَحْمَتي سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهو مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ" [حديثٌ صحيحٌ: صحيح البخاري ٧٥٥٤]، وفي رواية: "قالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: سَبَقَتْ رَحْمَتي غَضَبِي" [حديثٌ صحيحٌ: صحيح مسلم ٢٧٥١].

اللهُ سبحانَه وتعالى غَفُورٌ رَحِيمٌ، ورحمتُه سَبَقَتْ غَضَبَه؛ ومِن حِكمتِه سُبحانَه ورحمتِه العامَّةِ أنْ رَزَقَ الكافِرَ في الدُّنيا ونَعَّمه وخَوَّله مُدَّةَ عُمرِه، ومَكَّنَه مِن آمالِه ومَلاذِّه، مع أنَّه لا يَستحِقُّ بكُفرِه ومُعاندتِه غيرَ أَلِيمِ العذابِ؛ فكيف رحمتُه بِمَن آمَنَ به، واعترَف بذُنوبِه، ورَجا غُفرانَه، ودَعاه تضرُّعًا وخُفْيَةً؟!، وفي هذا الحديثِ: يقول النبيُّ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: «إنَّ اللهَ كَتَب كتابًا قبلَ أن يَخلُقَ الخَلْقَ»، أي: إنَّ اللهَ تعالى كَتَب المقادِيرَ قبلَ أن يَخْلُقَ الخلقَ، ومما كَتَب سبحانه وتعالى وهو عندَه فوقَ العَرْش: أنَّ رحمتَه تعالى سَبَقَتْ غَضَبَه؛ فهو سبحانه وتعالى الغَفُور الرَّحِيم، فكانتْ رحمتُه أسبقَ لعبادِه مِن الغَضَبِ؛ فهو قد ابْتَدَأَ خَلْقَه بالنِّعمَة بإخراجِهم مِن العَدَمِ إلى الوُجودِ، وبَسَطَ لهم- مِن رحمتِه- في قلوبِ الأَبَوَيْنِ على الأبناءِ مِنَ الصَّبرِ على تَرْبِيَتِهم ومباشرةِ أقذارِهم ما إذا تدبَّره متدبِّرٌ أَيْقَنَ أنَّ ذلك مِن رحمتِه تعالى، ومِن رحمتِه تعالى السابقةِ أنَّه يَرزُق الكُفّارَ ويُنعِّمهم، ويَدْفَع عنهم الآلامَ، ثُمَّ رُبَّما أَدْخَلَهم الإسلامَ- رحمةً منه لهم- وقد بَلَغوا مِن التمرُّد عليه والخَلْعِ لرُبوبيَّتِه غاياتٍ تُغضِبُه، فتَغلِب رحمتُه ويُدخِلهم- بعد إسلامِهم- جَنَّتَه، ومَن لم يَتُبْ عليه حتّى توفّاه فقد رَحِمَه مُدَّةَ عُمرِه بتَراخِي عُقوبتِه عنه، وقد كان له ألّا يُمْهِلَه بالعقوبةِ ساعةَ كُفرِه به ومعصيتِه له، لكنَّه أَمْهَلَه رحمةً له، فكلُّ ذلك مِن شَواهِدِ سَبْقِ رحمتِه تعالى لغَضَبِه، ومع هذا فإنَّ رحمةَ اللهِ السابقةَ أكثرُ مِن أن يُحِيطَ بها وصْفٌ. {وفي الحديثِ: دليلٌ على استواءِ اللهِ تعالى على عرشِه، وعُلُوِّه على خَلْقِه. ويَتَضَمَّنُ: سَعَةَ رحمةِ اللهِ، وكثرةَ فضلِه في حِلْمِه قبلَ انتِقامِه، وعَفْوِه قبلَ عُقوبَتِه}.

٥١٤ حديثٌ صحيحٌ: متفق عليه.

أخرجه البخاري ٤٧١٢؛ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رَسولَ اللهِ صَلّى اللهُ عليه وسلَّمَ أُتِيَ بلَحْمٍ فَرُفِعَ إلَيْهِ الذِّرَاعُ، وكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَشَ منها نَهْشَةً، ثُمَّ قالَ: أنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَومَ القِيَامَةِ، وهلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذلكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ

النَّاسَ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ في صَعِيدٍ واحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي ويَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ والكَرْبِ ما لا يُطِيقُونَ ولَا يَحْتَمِلُونَ، فيَقولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ ما قدْ بَلَغَكُمْ، أَلَا تَنْظُرُونَ مَن يَشْفَعُ لَكُمْ إلى رَبِّكُمْ؟ فيَقولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: علَيْكُمْ بآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عليه السَّلَامُ فيَقولونَ له: أَنْتَ أبو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بيَدِهِ، ونَفَخَ فِيكَ مِن رُوحِهِ، وأَمَرَ المَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إلى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إلى ما نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى إلى ما قدْ بَلَغَنَا؟ فيَقولُ آدَمُ: إنَّ رَبِّي قدْ غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وإنَّه قدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إلى غيرِي، اذْهَبُوا إلى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فيَقولونَ: يا نُوحُ، إنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إلى أَهْلِ الأرْضِ، وقدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إلى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إلى ما نَحْنُ فِيهِ؟ فيَقولُ: إنَّ رَبِّي عزَّ وجلَّ قدْ غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وإنَّه قدْ كَانَتْ لي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا علَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إلى غيرِي، اذْهَبُوا إلى إبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إبْرَاهِيمَ فيَقولونَ: يا إبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وخَلِيلُهُ مِن أَهْلِ الأرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إلى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إلى ما نَحْنُ فِيهِ، فيَقولُ لهمْ : إنَّ رَبِّي قدْ غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وإنِّي قدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ - فَذَكَرَهُنَّ أبو حَيَّانَ في الحَديثِ - نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إلى غيرِي، اذْهَبُوا إلى مُوسَى فَيَأْتُونَ، مُوسَى فيَقولونَ: يا مُوسَى أَنْتَ رَسولُ اللَّهِ، فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وبِكَلَامِهِ علَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إلى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إلى ما نَحْنُ فِيهِ؟ فيَقولُ: إنَّ رَبِّي قدْ غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وإنِّي قدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إلى غيرِي، اذْهَبُوا إلى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فيَقولونَ: يا عِيسَى أَنْتَ رَسولُ اللَّهِ، وكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلى مَرْيَمَ ورُوحٌ منه، وكَلَّمْتَ النَّاسَ في المَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا إلى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إلى ما نَحْنُ فِيهِ؟ فيَقولُ عِيسَى: إنَّ رَبِّي قدْ غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، ولَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إلى غيرِي اذْهَبُوا إلى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فيَقولونَ: يا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسولُ اللَّهِ وخَاتِمُ الأنْبِيَاءِ، وقدْ غَفَرَ اللَّهُ لكَ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وما تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إلى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إلى ما نَحْنُ فِيهِ، فأنْطَلِقُ فَآتي تَحْتَ العَرْشِ، فأقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عزَّ وجلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِن مَحَامِدِهِ وحُسْنِ الثَّنَاءِ عليه شيئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ علَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ فأرْفَعُ رَأْسِي، فأقُولُ: أُمَّتي يا رَبِّ، أُمَّتي يا رَبِّ، أُمَّتي يا رَبِّ، فيُقَالُ: يا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِن أُمَّتِكَ مَن لا حِسَابَ عليهم مِنَ البَابِ الأيْمَنِ مِن أَبْوَابِ الجَنَّةِ، وهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيما سِوَى ذلكَ مِنَ الأبْوَابِ، ثُمَّ قالَ: والذي نَفْسِي بيَدِهِ، إنَّ ما بيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِن مَصَارِيعِ الجَنَّةِ، كما بيْنَ مَكَّةَ وحِمْيَرَ - أَوْ كما بيْنَ مَكَّةَ وبُصْرَى-.

وأخرجه البخاري ٣٣٤٠؛ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنَّا مع النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في دَعْوَةٍ، فَرُفِعَ إلَيْهِ الذِّرَاعُ -وكَانَتْ تُعْجِبُهُ- فَنَهَسَ منها نَهْسَةً. وَقالَ: أَنَا سَيِّدُ القَوْمِ يومَ القِيَامَةِ، هلْ تَدْرُونَ بمَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ الأوَّلِينَ

والآخِرِينَ في صَعِيدٍ واحِدٍ، فيُبْصِرُهُمُ النَّاظِرُ ويُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وتَدْنُو منهمُ الشَّمْسُ، فيَقولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَلَا تَرَوْنَ إلى ما أَنْتُمْ فِيهِ إلى ما بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ إلى مَن يَشْفَعُ لَكُمْ إلى رَبِّكُمْ؟ فيَقولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَبُوكُمْ آدَمُ، فَيَأْتُونَهُ فيَقولونَ: يا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بيَدِهِ، ونَفَخَ فِيكَ مِن رُوحِهِ، وأَمَرَ المَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، وأَسْكَنَكَ الجَنَّةَ، أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إلى رَبِّكَ؟ أَلَا تَرَى ما نَحْنُ فيه وما بَلَغَنَا؟ فيَقولُ: رَبِّي غَضِبَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، ونَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إلى غيرِي، اذْهَبُوا إلى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فيَقولونَ: يا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إلى أَهْلِ الأرْضِ، وسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، أَما تَرَى إلى ما نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إلى ما بَلَغَنَا؟ أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إلى رَبِّكَ؟ فيَقولُ: رَبِّي غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، نَفْسِي نَفْسِي، ائْتُوا النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَيَأْتُونِي فأسْجُدُ تَحْتَ العَرْشِ، فيُقَالُ: يا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ، وسَلْ تُعْطَهْ. قالَ مُحَمَّدُ بنُ عُبَيْدٍ: لا أَحْفَظُ سَائِرَهُ.

وأخرجه مسلم ١٩٤؛ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أُتِيَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يَوْمًا بلَحْمٍ، فَرُفِعَ إلَيْهِ الذِّراعُ، وكانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْها نَهْسَةً فقالَ: أنا سَيِّدُ النَّاسِ يَومَ القِيامَةِ، وهلْ تَدْرُونَ بمَ ذاكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ يَومَ القِيامَةِ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ في صَعِيدٍ واحِدٍ، فيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، ويَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ والْكَرْبِ ما لا يُطِيقُونَ، وما لا يَحْتَمِلُونَ، فيَقولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ألا تَرَوْنَ ما أنتُمْ فِيهِ؟ ألا تَرَوْنَ ما قدْ بَلَغَكُمْ؟ ألا تَنْظُرُونَ مَن يَشْفَعُ لَكُمْ إلى رَبِّكُمْ؟ فيَقولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فيَقولونَ: يا آدَمُ، أنْتَ أبو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بيَدِهِ، ونَفَخَ فِيكَ مِن رُوحِهِ، وأَمَرَ المَلائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لنا إلى رَبِّكَ، ألا تَرَى إلى ما نَحْنُ فِيهِ؟ ألا تَرَى إلى ما قدْ بَلَغَنا؟ فيَقولُ آدَمُ: إنَّ رَبِّي غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وإنَّه نَهانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إلى غيرِي، اذْهَبُوا إلى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فيَقولونَ: يا نُوحُ، أنْتَ أوَّلُ الرُّسُلِ إلى الأرْضِ، وسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لنا إلى رَبِّكَ، ألا تَرَى ما نَحْنُ فِيهِ؟ ألا تَرَى ما قدْ بَلَغَنا؟ فيَقولُ لهمْ: إنَّ رَبِّي قدْ غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وإنَّه قدْ كانَتْ لي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بها علَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إلى إبْراهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فَيَأْتُونَ إبْراهِيمَ، فيَقولونَ: أنْتَ نَبِيُّ اللهِ وخَلِيلُهُ مِن أهْلِ الأرْضِ، اشْفَعْ لنا إلى رَبِّكَ، ألا تَرَى إلى ما نَحْنُ فِيهِ؟ ألا تَرَى إلى ما قدْ بَلَغَنا؟ فيَقولُ لهمْ إبْراهِيمُ: إنَّ رَبِّي قدْ غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وذَكَرَ كَذَباتِهِ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إلى غيرِي، اذْهَبُوا إلى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فيَقولونَ: يا مُوسَى، أنْتَ رَسولُ اللهِ فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسالاتِهِ، وبِتَكْلِيمِهِ علَى النَّاسِ، اشْفَعْ لنا إلى رَبِّكَ، ألا تَرَى إلى ما نَحْنُ فِيهِ؟ ألا تَرَى ما قدْ بَلَغَنا؟ فيَقولُ لهمْ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: إنَّ رَبِّي قدْ غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وإنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بقَتْلِها، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إلى عِيسَى صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فيَقولونَ: يا عِيسَى أنْتَ رَسولُ اللهِ، وكَلَّمْتَ

النَّاسَ في المَهْدِ، وكَلِمَةٌ منه ألْقاها إلى مَرْيَمَ، ورُوحٌ منه، فاشْفَعْ لنا إلى رَبِّكَ، ألا تَرَى ما نَحْنُ فِيهِ؟ ألا تَرَى ما قدْ بَلَغَنا؟ فيَقولُ لهمْ عِيسَى صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: إنَّ رَبِّي قدْ غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، ولَمْ يَذْكُرْ له ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إلى غيرِي، اذْهَبُوا إلى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونِّي فيَقولونَ: يا مُحَمَّدُ، أنْتَ رَسولُ اللهِ، وخاتَمُ الأنْبِياءِ، وغَفَرَ اللَّهُ لكَ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ، وما تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لنا إلى رَبِّكَ، ألا تَرَى ما نَحْنُ فِيهِ؟ ألا تَرَى ما قدْ بَلَغَنا؟ فأنْطَلِقُ، فَآتي تَحْتَ العَرْشِ، فأقَعُ ساجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ ويُلْهِمُنِي مِن مَحامِدِهِ، وحُسْنِ الثَّناءِ عليه شيئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقالُ: يا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فأرْفَعُ رَأْسِي، فأقُولُ: يا رَبِّ، أُمَّتي أُمَّتِي، فيُقالُ: يا مُحَمَّدُ، أدْخِلِ الجَنَّةَ مِن أُمَّتِكَ مَن لا حِسابَ عليه مِنَ البابِ الأيْمَنِ مِن أبْوابِ الجَنَّةِ، وهُمْ شُرَكاءُ النَّاسِ فِيما سِوَى ذلكَ مِنَ الأبْوابِ، والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، إنَّ ما بيْنَ المِصْراعَيْنِ مِن مَصارِيعِ الجَنَّةِ لَكما بيْنَ مَكَّةَ وهَجَرٍ، أوْ كما بيْنَ مَكَّةَ وبُصْرَى.

في هذا الحديثِ إثباتُ كَرامةِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ على ربِّه سُبحانَه، وإثباتُ الشَّفاعةِ العامَّةِ له صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، والشَّفاعةُ العامَّةُ هي شَفاعتُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لأهلِ المحشَرِ جميعًا أنْ يَبدَأَ الحِسابُ، فيَرْوي أبو هُريرةَ رَضيَ اللهُ عنه أنَّهم كانوا مع النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في دَعوةٍ وضِيافةٍ على طَعامٍ، فقَدَّمَ الدَّاعون إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ذِراعَ الشَّاة، وهي اليدُ الأماميَّةُ مِن الذَّبيحةِ مع الكتِفِ، وكانتْ تُعجِبُه؛ لنُضْجِها وسُرعةِ استِمرائِها، مع زِيادةِ لذَّتِها وحَلاوةِ مَذاقِها، وبُعدِها عن مَواضعِ الأذَى، فنهَسَ منها نَهْسةً، أي: قَطَع منها بأسنانِه، ثمَّ قال: أنا سيِّدُ القومِ يومَ القِيامةِ، والسيِّدُ هو الَّذي يفوقُ قومَه ويُفْزَعُ إليه في الشَّدائدِ، وخَصَّ يومَ القِيامةِ بالذِّكرِ لارتفاعِ سُؤدُدِه وتسليمِ جَميعِ الخَلْقِ له، ولكونِ آدَمَ عليه السَّلامُ وجميعِ ولَدِه تحتَ لِوائِه، وهذا لا يُنافِي السِّيادةَ في الدُّنيا؛ فهو صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ سيِّدُ ولَدِ آدمَ في الدُّنيا والآخِرةِ. ويُعلِّلُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بذلك بما يَحدُثُ يومَ القيامةِ؛ فإنَّ النَّاسَ يُجمَعون في صَعيدٍ واحدٍ -أي: أرضٍ واحدةٍ- بحيث إنَّ النَّاظرَ يَراهُم ببَصَرِه؛ لأنَّ الأرضَ تكونُ مُستويةً يومئذٍ، ولا حُجُبَ تَمنَعُ الرُّؤيةَ، ويُسمِعُهم الدَّاعي، فإذا صَرَخَ فيهم صارخٌ سَمِعوه جميعًا، وتَقترِبُ يومئذٍ الشَّمسُ مِن الرُّؤوسِ، فيَشتدُّ الموقفُ والهولُ على أهلِ المحشَرِ، ويَسأَلُ بَعضُهم بَعضًا عمَّن يَشفَعُ لهم عندَ اللهِ تعالَى ليَبدَأَ الحِسابُ، فيَقول بعضُهم: اذهَبوا لآدمَ، فيَأتونَه ويَقولون له: أنتَ أبو البشَرِ، خلَقَك اللهُ بيَدِه، ونفَخ فيك مِن رُوحِه، وإضافةُ النَّفخِ إلى رُوحِ اللهِ لتَشريفِه، وأمَرَ الملائكةَ فسَجَدوا لك، ويَطلُبون منه الشَّفاعةَ عندَ اللهِ، فيَقولُ آدمُ: إنَّ ربِّي غَضِب اليومَ غضَبًا لم يَغضَبْ قَبلَه مِثلَه، ولا يَغضبُ بعْدَه مِثلَه، وذلك ممَّا يَظهَرُ مِن انتقامِه سُبحانَه ممَّن عَصاهُ، وممَّا يُشاهِدُه أهْلُ الجمْعِ مِن الأهوالِ التي لم تكُنْ ولا يكونُ مِثلُها، ثمَّ يَذكُرُ لهم آدمُ ذَنْبَه، وأنَّه أكَلَ مِن الشَّجرةِ الَّتي نهاهُ اللهُ عنها، ويَنصَحُهم بالذَّهابِ إلى نُوحٍ عليه السَّلامُ، فيَذهَبون لنُوحٍ عليه السَّلامُ، ويقولونَ له: يا نوحُ، أنتَ أوَّلُ الرُّسُلِ إلى أهلِ الأرضِ، ويَذكُرُ النَّاسُ لنُوحٍ عليه السَّلامُ بعْضَ مَناقبِه وأنَّ اللهَ سمَّاهُ عبْدًا شَكورًا، ويَطلُبون منه الشَّفاعةَ،

وأهل السنة والجماعـة يثبتون صفة الغضب لله عزَّ وجلَّ بوجه يليق بجلاله وعظمته، لا يكيفون ولا يشبهون ولا يؤولون؛ كمن يقول: الغضب إرادة العقاب، ولا يعطلون، بل يقولون: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ، قال الطحاوي في (عقيدته) المشهورة: "والله يغضب ويرضى لا كأحدٍ من الورى"، قال الشارح ابن أبي العز الحنفي: "ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب والرضا والعداوة والولاية والحب والبغض ونحو ذلك من الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة" [٥١٥]، وقال قوَّام السُّنَّة الأصبهاني: "قال علماؤنا: يوصف الله بالغضب، ولا يوصف بالغيظ" [٥١٦]، وقال الحافظ ابن القيم: "والعذاب إنما ينشأ من صفة غضبه، وما سُعِّرت النار إلا بغضبه" [٥١٧]، وقال الشيخ ابن عثيمين: "غضب الله عزَّ وجلَّ صفة من صفاته الفعلية؛ لأنه يتعلق بمشيئته، وقد سبق لنا القول بأن كل صفة ذات سبب فإنها من الصفات الفعلية وهو حقيقي" [٥١٨].

فيَقولُ لهم مِثلَ ما قال آدمُ عليه السَّلامُ، ويَنصَحُهم بالذَّهابِ إلى نَبيِّنا صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، قيل: إنَّ نِسبةَ: «ائتُوا النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ» إلى نُوحٍ عليه السَّلامُ وهَمٌ، كما ذكَرَ محمَّدُ بنُ عُبيدٍ -أحدُ رُواةِ الحديثِ- في نِهايةِ الرِّوايةِ أنَّه لا يَحفَظُ باقِيَ الحديثِ، وإنَّما دلَّهم على إبراهيمَ، وإبراهيمُ دلَّهم على مُوسى، ومُوسى دلَّهم على عِيسى، وعِيسى دلَّهُم على النَّبيِّ محمَّدٍ عليهم جميعًا الصَّلاةُ والسَّلامُ، كما بيَّنَت الرِّواياتُ والأحاديثُ في الصَّحيحَينِ. فيَأتون نَبيَّنا صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ويَطلُبون منه الشَّفاعةَ، فيَذهَبُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ويَسجُدُ تحْتَ عَرْشِ الرَّحمنِ، ومِن فضْلِ اللهِ عليه في الآخرةِ أيضًا: أنَّه يُلْهِمُه ويُلْقِي في نفْسِه المحامِدَ الَّتي يُحِبُّها مِن عِبادِه، فتكونُ قُربةً إليه سُبحانَه، ثمَّ يُنادي عليه المولَى تَبارَك وتعالَى: يا محمَّدُ، ارفَعْ رأسَك مِن السُّجودِ، واشفَعْ تُشفَّعْ، أي: اطلُبِ الشَّفاعةَ لمَن شِئْتَ؛ فإنَّ شَفاعتَك مَقبولةٌ فيهم، وسَلْ تُعْطَهْ، أي: اطلُبْ ما شِئْتَ؛ فإنَّه مُجابٌ لك ما تُريدُه، فيَقبَلُ اللهُ شَفاعةَ نبيِّنا صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ. {وفي الحديثِ: شِدَّةُ هَولِ الموقِفِ يومَ القِيامةِ. وفيه: إثباتُ صِفةِ الغَضبِ للهِ عزَّ وجلَّ، وهي علَى ما يَليقُ به سُبحانَه. وفيه: إثباتُ عَرْشِ الرَّحمنِ الَّذي استوَى عليه جَلَّ جلالُه استواءً يَليقُ بجَلالِه، وهو أعْلَى المَخلوقاتِ وأكبرُها وأعظَمُها}.

٥١٥ العقيدة الطحاوية؛ ص ٤٦٣.

٥١٦ الحجة في بيان المحجة؛ ٢/٤٥٧.

٥١٧ حادي الأرواح؛ ص ٤٠٩.

٥١٨ شرح صحيح البخاري؛ ٨/٤٣١.

الرَّحمة: صفةٌ ثابتةٌ بالكتاب والسُّنَّة، و(الرحمن) و(الرحيم) من أسمائه سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ تكررا في الكتاب والسُّنَّة مراتٍ عديدة.

الدليل من الكتاب:

١. قوله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}.

٢. قوله سبحانه وتعالى: {أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللّهِ وَاللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [البقرة: ٢١٨].

الدليل من السُّنَّة الصحيحة:

١. تحية الإسلام: "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته"، وقد وردت في أحاديث صحيحة كثيرة [٥١٩].

٢. عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قالَ: قالَ: رَسولُ اللهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: "لَمّا قَضى اللَّهُ الخَلْقَ كَتَبَ في كِتابِهِ فَهو عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ إنَّ رَحْمَتي غَلَبَتْ غَضَبِي" [٥٢٠].

---

٥١٩ عن وائل بن حجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قالَ: صلَّيتُ معَ النَّبيّ صلّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ فَكانَ يسلِّمُ عن يمينِهِ "السَّلامُ عليكم ورحمةُ اللَّهِ وبرَكاتُهُ" وعن شمالِهِ "السَّلامُ عليكم ورحمةُ اللَّهِ" [حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الألباني في صحيح أبي داود ٩٩٧].

الصَّلاة عِمادُ الدِّينِ، وقد علَّمَنا النَّبيُّ كيفيّاتِها وهيئاتِها وأقوالَها وأفعالَها، ولا بدَّ للمُسلِمِ أن يُراعِيَ في الصَّلاةِ السُّننَ الصَّحيحةَ الواردةَ عنه صلّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ، ولا يتَساهَلَ في هذه الكيفيّاتِ. وفي هذا الحَديثِ يَقولُ وائلُ بنُ حُجْرٍ رَضِي اللهُ عَنْه: «صلَّيتُ معَ النَّبيّ صلّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ فكان يُسلِّمُ»، أي: فكان سَلامُه وانصرافُه مِن الصَّلاةِ «عَن يَمينِه»، أي: يَلتَفِتُ بوجهِه نحوَ الجِهَةِ اليُمْنى، ويَقولُ: «السَّلامُ علَيكُمْ ورحمةُ اللهِ وبرَكاتُه، وعن شِمالِه»، أي: ثمَّ يَلتَفِتُ بوجهِه للجهةِ اليُسْرى، ويقولُ: «السَّلامُ عليكُمْ ورحمةُ اللهِ»، وقد ضعَّف بعضُ العلماء زيادة وبركاته.

٥٢٠ حديثٌ صحيحٌ: متفق عليه؛ صحيح البخاري ٣١٩٤؛ أخرجه البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١)، وفي رواية: "إنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتابًا قَبْلَ أنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ: إنَّ رَحْمَتي سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهو مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ" [حديثٌ صحيحٌ: صحيح البخاري ٧٥٥٤]، وفي رواية: "قالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: سَبَقَتْ رَحْمَتي غَضَبِي" [حديثٌ صحيحٌ: صحيح مسلم ٢٧٥١].

والله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ يَعْتَبُ وَيَأْسَفُ وَيَسْخَطُ وَيَغْضَبُ، متى شاء وليس لذلك حصر {وَرَحْمَتُه تَغْلِبُ غَضَبَهُ}، فتعالى وتبارك الله سبحانه عزَّ وجلَّ أن يحيط أحد بمعرفته {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [سورة طه: ١١٠]، سبحانه وتعالى {يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [سورة الرحمن: ٢٩]، وقد وردت أدلة من الكتاب والسُّنَّة الصحيحة تدل على بعض هذه الأسباب والأعمال والمواطن؛ ومن ذلك:

١. عتاب وعَتَبُ اللهِ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ على أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام؛ ومنها:

- عَتَبَ اللَّهُ على موسى عليه السلام؛ فعن رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ: "قَامَ مُوسَى النبيُّ خَطِيبًا في بَنِي إسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أيُّ النَّاسِ أعْلَمُ؟ فَقالَ: أنَا أعْلَمُ، فَعَتَبَ اللَّهُ عليه، إذْ لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إلَيْهِ" [٥٢١].
- عاتَبَ اللهُ تعالى نَبيًّا مِن الأنبياءِ لَمّا أحرَقَ قَريةَ النَّملِ [وهو مَكانُ تَجمُّعِهم] بسَببِ أنَّ نَملةً قَرَصَتْه: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "نَزَلَ نَبِيٌّ مِنَ الأنْبياءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَلَدَغَتْهُ نَمْلَةٌ، فأمَرَ بجِهازِهِ فَأُخْرِجَ مِن تَحْتِها، ثُمَّ أمَرَ بها، فَأُحْرِقَتْ فأوْحى اللَّهُ إلَيْهِ، فَهَلّا نَمْلَةً واحِدَةً" [٥٢٢].

اللهُ سبحانَه وتعالى عزَّ وجلَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ، ورحمتُه سَبَقَتْ غَضَبَه؛ ومِن حِكمتِه سُبحانَه ورحمتِه العامَّةِ أنْ رَزَقَ الكافِرَ في الدُّنيا ونَعَّمه وخَوَّله مُدَّةَ عُمرِه، ومَكَّنَه مِن آمالِه ومَلاذِّه، مع أنَّه لا يَستحِقُّ بكُفرِه ومُعاندتِه غيرَ أَلِيمِ العذابِ؛ فكيف رحمتُه بِمَن آمَنَ به، واعترَف بذُنوبِه، ورَجا غُفرانَه، ودَعاه تضرُّعًا وخُفْيَةً؟! [انظر الهامش رقم ٥١٣ – ص ٣٢٤].

٥٢١ حديثٌ صحيحٌ: متفق عليه؛ صحيح البخاري ١٢٢، وصحيح مسلم ١٧٠ - ٢٣٨٠.

٥٢٢ حديثٌ صحيحٌ: متفق عليه؛ صحيح مسلم ٢٢٤١؛ أخرجه البخاري (٣٣١٩)، ومسلم (٢٢٤١)، وفي رواية: "نَزَلَ نَبِيٌّ مِنَ الأنْبِياءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَلَدَغَتْهُ نَمْلَةٌ، فأمَرَ بجَهازِهِ فَأُخْرِجَ مِن تَحْتِها، ثُمَّ أمَرَ ببَيْتِها فَأُحْرِقَ بالنّارِ، فأوْحى اللَّهُ إلَيْهِ: فَهَلّا نَمْلَةً واحِدَةً" [حديثٌ صحيحٌ: متفق عليه؛ صحيح البخاري ٣٣١٩؛ أخرجه البخاري (٣٣١٩)،

- عَاتَبَ اللَّهُ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ نبيه محمد صلى الله عليه وسلم:

- عند اعتزاله لنسائه؛ فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "فَاعْتَزَلَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ مِن أجْلِ ذلكَ الحَديثِ حِينَ أفْشَتْهُ حَفْصَةُ إلى عَائِشَةَ، وكانَ قدْ قالَ: ما أنَا بدَاخِلٍ عليهنَّ شَهْرًا مِن شِدَّةِ مَوْجِدَتِهِ عليهنَّ، حِينَ عَاتَبَهُ اللَّهُ" [٥٢٣]، فقال له سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {يا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ} [التحريم: ١ - ٣].
- عند سؤال الكفار له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الرُّوحِ، وَعن أَصْحَابِ الْكَهْفِ، وعن ذِي الْقَرْنَيْنِ، فَقَالَ لَهُمْ: سَأُخْبِرُكُمْ غَدًا، وَلَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَعَاتَبَهُ رَبُّهُ بِعَدَمِ تَفْوِيضِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ، فقال له: {وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ

ومسلم (٢٢٤١)]، وفي رواية: "سَمِعْتُ رَسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يقولُ: قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الأنْبِياءِ، فأمَرَ بقَرْيَةِ النَّمْلِ، فَأُحْرِقَتْ، فأوْحى اللَّهُ إلَيْهِ: أنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ!" [حديثٌ صحيحٌ: صحيح البخاري ٣٠١٩].

جاء الإسلامُ بالرَّحمةِ لكُلِّ الخَلْقِ؛ إنْسًا وجِنًّا، وحَيَوانًا وطَيرًا؛ فإنَّ رَحمَتَه تعَدَّدتْ لِجَميعِ المَخلوقاتِ، ونَهى عن القَتلِ عَبَثًا، أو مِن غَيرِ مَصلَحةٍ، وفي الوَقتِ ذاتِه حافَظَ على مَصالحِ النّاسِ مِنَ الضَّرَرِ والأذى، ولذلك عاتَبَ اللهُ تعالى نَبيًّا مِن الأنبياءِ لَمّا أحرَقَ قَريةَ النَّملِ -وهو مَكانُ تَجمُّعِهم- بسَببِ أنَّ نَملةً قَرَصَتْه، فأوْحى إليه: «أنْ قَرصَتْكَ نَملةٌ أحرَقتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسبِّحُ!» يَعني: مِن أجْلِ أنَّ نَملةً واحِدةً قَرصتْكَ تُحرِقُ أُمَّةً كامِلةً مِنَ النَّملِ تُسبِّحُ اللهَ! وهذا عِتابٌ على تَركِ الأفضلِ؛ فإنَّه لوِ اقتَصَرَ على مُعاقبَةِ النَّملةِ التي قَرصتْه وَحدَها، لَما حَدَثَت المُعاتَبةُ، ولكِنَّه عُوتِبَ لَمّا تَجاوَزَ ذلك إلى التَّجبُّرِ بحَرقِ قَريةِ النَّملِ كُلِّها. {وفي الحَديثِ: أنَّ العِقابَ يَكونُ على قَدْرِ الجُرمِ، ولا يَتعَدّى إلى غَيرِ فاعِلِه. وفيه: التَّغليظُ في أمْرِ حَرقِ ذَواتِ الأرواحِ بالنّارِ}.

٥٢٣ حديثٌ صحيحٌ: رواه البخاري ٢٤٦٨.

مِنْ هَذَا رَشَدًا} [الكهف: ٢٣ - ٢٤]؛ وكان سبب ذلك أَنَّ الْكُفَّارَ سَأَلُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الرُّوحِ، وَعن أَصْحَابِ الْكَهْفِ، وعن ذِي الْقَرْنَيْنِ، فَقَالَ لَهُمْ: سَأُخْبِرُكُمْ غَدًا، وَلَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَعَاتَبَهُ رَبُّهُ بِعَدَمِ تَفْوِيضِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ، وَعَدَمِ تَعْلِيقِهِ بِمَشِيئَتِهِ جَلَّ وَعَلَا فَتَأَخَّرَ عَنْهُ الْوَحْيُ، ثُمَّ عَلَّمَهُ اللَّهُ فِي الْآيَةِ الْأَدَبَ مَعَهُ، فِي قَوْلِهِ: {وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ}، ثُمَّ قَالَ لِنَبِيِّهِ: {وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ} يَعْنِي إِنْ قُلْتَ سَأَفْعَلُ كَذَا غَدًا، ثُمَّ نَسِيتَ أَنْ تَقُولَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ تَذَكَّرْتَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَاذْكُرْ رَبَّكَ، أَيْ قُلْ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، أَيْ لِتَتَدَارَكَ بِذَلِكَ الْأَدَبَ مَعَ اللَّهِ الَّذِي فَاتَكَ عِنْدَ وَقْتِهِ، بِسَبَبِ النِّسْيَانِ، وَتَخْرُجَ مِنْ عُهْدَةِ النَّهْيِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ}.[٥٢٤]

- حينما أذن لبعض المنافقين بالتخلف عن غزوة تبوك، فعاتبه ربه سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ بقوله: {عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ} [سورة التوبة: ٤٣].
- في عبد الله بن أم مكتوم الأعمى الفقير؛ الذي أعرض عنه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لانشغاله مع كبراء قريش، لعلهم يسلمون ويسلم معهم من يتبعهم، كما جاء في قوله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى * أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى * وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى * كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ} [سورة عبس: ١ - ١٢]؛ وهذا الفعل لم يقصد به النبي صلى الله عليه وسلم أي انحياز طبقي بين الغني أو الفقير، ولكنه ظن أنّ الغني سيكون مؤثرا في الدعوة إن أسلم أكثر من الأعمى

٥٢٤ الشنقيطي؛ أضواء البيان ٢٦٦/٧.

الفقير، ونزلت الآية تعاتب الرسول عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عتابا رقيقا حتى أنّ الله تعالى لم يوجه الخطاب مباشرة لرسوله الكريم تلطفا ورحمة به، وإنما جاء بصيغة المجهول {عَبَسَ وَتَوَلَّى}، ثم بعدها جاء ضمير المخاطب (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى) وهذا من حب الله تعالى لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولطفه به، لأنّه يعلم أنّه لم يعرض عن الأعمى تكبرا، وإنّما حرصه الشديد على إسلام صناديد قريش وزعمائها، رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم، وكان في إسلامهم إسلام من وراءهم من قومهم.

- على ترك الأولى وهو قتل الأسرى من كفار قريش في يوم بدر: فعن عبد الله بن عباس وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم: لَمَّا كانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ إلى المُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِئَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ القِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ برَبِّهِ: اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لي ما وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ ما وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إنْ تُهْلِكْ هذِه العِصَابَةَ مِن أَهْلِ الإسْلَامِ لا تُعْبَدْ في الأرْضِ، فَما زَالَ يَهْتِفُ برَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ، حتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عن مَنْكِبَيْهِ، فأتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فأخَذَ رِدَاءَهُ، فألْقَاهُ علَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ التَزَمَهُ مِن وَرَائِهِ، وَقالَ: يا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فإنَّه سَيُنْجِزُ لكَ ما وَعَدَكَ، فأنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بأَلْفٍ مِنَ المَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ} فأمَدَّهُ اللَّهُ بالمَلَائِكَةِ. قالَ أَبُو زُمَيْلٍ: فَحَدَّثَني ابنُ عَبَّاسٍ، قالَ: بيْنَما رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ يَومَئذٍ يَشْتَدُّ في أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ المُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الفَارِسِ يقولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فَنَظَرَ إلى المُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إلَيْهِ فَإِذَا هو قدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ، كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَّ ذلكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الأنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بذلكَ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه

وَسَلَّمَ، فَقالَ: صَدَقْتَ، ذلكَ مِن مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَقَتَلُوا يَومَئذٍ سَبْعِينَ، وَأَسَرُوا سَبْعِينَ. قالَ أَبُو زُمَيْلٍ، قالَ ابنُ عَبَّاسٍ: فَلَمَّا أَسَرُوا الأُسَارَى، قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ لأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ: ما تَرَوْنَ في هَؤُلَاءِ الأُسَارَى؟ فَقالَ أَبُو بَكْرٍ: يا نَبِيَّ اللهِ، هُمْ بَنُو العَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ منهمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً علَى الكُفَّارِ، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلإِسْلَامِ، فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: ما تَرَى يا ابْنَ الخَطَّابِ؟ قُلتُ: لا وَاللَّهِ يا رَسولَ اللهِ، ما أَرَى الذي رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِن عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِّي مِن فُلَانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ، فأضْرِبَ عُنُقَهُ، فإنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا، فَهَوِيَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ ما قالَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوَ ما قُلتُ، فَلَمَّا كانَ مِنَ الغَدِ جِئْتُ، فَإِذَا رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ، قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي مِن أَيِّ شيءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ؟ فإنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وإنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا، فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِن أَخْذِهِمِ الفِدَاءَ، لقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِن هذِه الشَّجَرَةِ، شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِن نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {ما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكونَ له أَسْرَى حتَّى يُثْخِنَ في الأرْضِ} إلى قَوْلِهِ {فَكُلُوا ممَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا} فأحَلَّ اللَّهُ الغَنِيمَةَ لهمْ. [٥٢٥]

---

٥٢٥ حديثٌ صحيحٌ: صحيح مسلم ٥٨ - ١٧٦٣.

حَكَى عُمرُ بنُ الخطَّابِ رضِي اللهُ عنه أنَّه لَمَّا كان يومُ بَدْرٍ نظر رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إلى المُشركينَ وهم ألفٌ، وأصحابُه ثلاثُ مئةٍ وتسعةَ عشَرَ رجُلًا، فاستقبَل نبيُّ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم القِبلةَ، ثمَّ مدَّ يدَيْهِ، فجعَل "يهتِفُ" بربِّه، أي: يستغيثُ به ويبتهِلُ إليه في الدُّعاءِ، اللَّهمَّ أنجِزْ لي، أي: أوْفِ وكمِّلْ، ما وعَدْتَني مِن نُصرةِ الإسلامِ وغلَبتِه، اللَّهمَّ آتِ ما وعَدْتَني، اللَّهمَّ إنْ تَهْلِكْ، أي: تُهزَمْ هذه العصابةُ، أي: الجماعةُ، مِن أهلِ الإسلامِ، لا تُعبَدْ في الأرضِ؛ لأنَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم خاتَمُ النَّبيِّينَ، وهؤلاء خاتَمُ الأُمَمِ، فإذا هلكوا لا يَبقى

مَن يعبُدُ اللهَ، فما زال يهتِفُ بربِّه، مادًّا يدَيْه، مُستقبِلَ القِبلةِ، حتَّى سقَط رداؤُه عن مَنكِبَيْهِ، فأتاه أبو بكرٍ رضِي اللهُ عنه، فأخَذ رِداءَه فألقاه على مَنكِبَيْهِ، ثمَّ التزَمه مِن ورائِه، وقال: يا نبيَّ اللهِ، كفاكَ "مُناشدتُك" ربَّكَ، والمُناشَدةُ: السُّؤالُ بصوتٍ مُرتفعٍ؛ فإنَّه سيُنجزُ لك ما وعدَكَ، فأنزَل اللهُ عزَّ وجلَّ: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ} [الأنفال: ٩]، فأمَدَّه اللهُ بالملائكةِ عونًا له وللمُسلِمين على أعداءِ اللهِ مِن المُشركين، ويَحكي ابنُ عبَّاسٍ رضِي اللهُ عنهما: بينما رجُلٌ، أي: أنصاريٌّ مِن المُسلِمينَ يومَئذٍ يشتَدُّ، أي: يُسرِعُ ويَعْدو في أَثَرِ رجُلٍ، أي: في عقِبِ رجُلٍ مِن المُشركين أمامَه، أي: واقعٌ قُدَّامَه، إذ سَمِعَ، أي: المُسلمُ، ضربةً، أي: صوتَ ضربةٍ بالسَّوطِ فوقه، أي: فوق المُشرِكِ، وصوتَ الفارسِ يقولُ: أقدِمْ، أي: اعزِمْ حَيْزومُ، أي: يا حَيْزومُ، وهو اسمُ فرَسِه، إذ نظَر المُسلمُ إلى المُشرِكِ أمامه خرَّ مُستلقيًا، أي: سقَط على قفاهُ، فإذا هو، أي: المُشركُ، قد "خُطِمَ أنفُه"، وهو الأثَرُ على الأنفِ، أي: كُسِرَ، فهو أثَرُه، وشُقَّ وجهُه، أي: قُطِعَ طُولًا، كضربةِ السَّوطِ، فاخضَرَّ ذلك أجمعُ، أي: صار موضعُ الضَّربِ كلُّه أخضرَ، أو أسودَ؛ فإنَّ الخُضرةَ قد تُستعمَلُ بمعنَى السَّوادِ، فجاء الأنصاريُّ، فحدَّث رسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقال: صدَقْتَ، ذلك مِن مَدَدِ السَّماءِ الثَّالثةِ، فقتَلوا، أي: المُسلِمون، يومَئذٍ سَبعين وأسَروا سبعين مِن المشرِكين.

ويَحكي عبدُ الله بنُ عبَّاسٍ رضِي اللهُ عنهما: فلمَّا أسَروا الأُسَارى، قال رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لأبي بكرٍ وعمرَ: ما ترَوْنَ في هؤلاء الأُسارى؟ أي: ماذا نفعَلُ فيهم؟ فقال أبو بكرٍ: يا نبيَّ اللهِ، هم بنو العَمِّ والعَشيرةِ، أرى أنْ تأخُذَ منهم فِديةً، أي: مالًا ونحوَه، فتكونَ لنا قوَّةً على الكفَّارِ، فعسى اللهُ أن يَهديَهم للإسلامِ، فقال رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ما ترى يا ابنَ الخطَّابِ؟ قال: لا، واللهِ! ما أرى الَّذي رأى أبو بكرٍ، ولكنِّي أرى أن تُمكِّنَّا فنضرِبَ أعناقَهم، أي: نقطَعَ رقابَهم، فتُمكِّنَ عليًّا مِن عَقيلٍ فيضرِبَ عُنقَه، وتُمكِّنِّي مِن فلانٍ (نسيبًا لعُمرَ)، أي: قريبًا له فأضرِبَ عُنقَه؛ فإنَّ هؤلاء أئمَّةُ الكفرِ "وصناديدُها"، أي: أشرافُها ورؤساؤُها، فهَوِيَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ما قال أبو بكرٍ، أي: أحَبَّ واستحسَنَ، ولم يَهْوَ ما قال عُمَرُ، فلمَّا كان مِن الغدِ جاء عمرُ فوجَد رسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وأبا بكرٍ قاعدَيْنِ يَبكيانِ، فسألهما: يا رسولَ اللهِ، أخبِرْني مِن أيِّ شيءٍ تَبكي أنتَ وصاحبُك، فإنْ وجَدْتُ بكاءً بكَيْتُ، وإنْ لم أجِدْ بكاءً تباكَيْتُ لبُكائِكما؟ فقال رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: أَبْكي للَّذي عرَض عليَّ أصحابُك مِن أخْذِهم الفِداءَ، لقد عُرِضَ عليَّ عذابُهم أدْنى مِن هذه الشَّجرةِ، أي: أقربَ منها، وأنزَل اللهُ عزَّ وجلَّ: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ} [الأنفال: ٦٧]، أي: يُكثِرَ القَتْلَ والقهرَ في العدوِّ، إلى قولِه: {فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا} [الأنفال: ٦٧ - ٦٩]، فأحَلَّ اللهُ الغنيمةَ لهم. {تُرِيدُونَ عَرَضَ الدّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخرة وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} عزيزٌ في قهر الأعداء، حكيمٌ في عتاب الأولياء؛ {لّوْلاَ كِتَابٌ مّنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} أي: لولا حكمٌ من الله سبق إثباته في اللوحِ المحفوظ وهو أن لا يُعاقب المخطئ في اجتهاده، أو أنْ لا يعذِّب

٢. إذا أرادَ اللّٰهُ بعبدٍ خيرًا عاتَبهُ في منامِهِ: فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قالَ رَسولُ اللّٰهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: "إذا أرادَ اللّٰهُ بعبدٍ خيرًا عاتَبهُ في منامِهِ" [٥٢٦].

٣. جَعْلُ المنافقينَ سادةً وكبراءَ ولهم الكَلِمةَ {سبب لسخط الله الذي يسخط لسخطه كل شيء}: فعن بريدة بن الحصيب الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قالَ: قالَ: رَسولُ اللّٰهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: "لا تقولوا للمنافقِ سيد، فإنه إن يكُ سيدًا فقد أسخطتم ربَّكم عز وجل" [٥٢٧].

٤. إرادة الكفر أو الغلول أو التولي في الحرب {فرار المجاهدين من ساح القتال في سبيل الله} والانكباب على المعاصي {سبب لسخط الله الذي يسخط لسخطه كل شيء}: قوله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [آل عمران: ١٦٢]، قال السعدي: "يخبر تعالى أنه لا يستوي من كان قصده رضوان ربه، والعمل على ما يرضيه، كمن ليس كذلك، ممن هو مكب على المعاصي، مسخط لربه، هذان لا يستويان في حكم الله، وحكمة الله، وفي فطر عباد الله"، وقال القرطبي: "قوله تعالى: أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير؛ قوله تعالى: أفمن اتبع رضوان الله يريد بترك الغلول والصبر على الجهاد. كمن باء بسخط من الله يريد بكفر أو غلول أو تول عن النبي

أهل بدر، أو قومًا لم يصرح لهم بالنهي عنه، أو أن الفدية التي أخذوها ستحل لهم؛ لمسهم ونالهم فيما أخذوا من الفداء عذابٌ عظيم؛ {فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا} [الأنفال: ٦٧ - ٦٩]، فأَحَلَّ اللهُ الغنيمةَ لهم. {في الحديثِ: فَضلُ أبي بكرٍ وعُمرَ رضِي اللهُ عنهما. وفيه: أنَّ مِن هَدْيِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم العَملَ بالشُّورى. وفيه: نصرُ اللهِ للمُسلِمين في غزوةِ بَدْرٍ. وفيه: فضلُ الدُّعاءِ وأهميَّتُه وآدابُه. وفيه: بيانُ بعضِ الكَراماتِ الَّتي حدَثَتْ في غزوةِ بَدْرٍ. وفيه: مواساةُ الأحبَّةِ والخِلَّانِ بالبُكاءِ والتَّباكي لبُكائِهم}.

٥٢٦ حديثٌ ضعيفٌ: ضَعَّفَهُ الشيخ الألباني في ضعيف الجامع ٣٣٢؛ أخرجه الديلمي في «الفردوس» (٩٤٣).

٥٢٧ حديثٌ صحيحٌ: صحَّحَهُ الشيخ الألباني في صحيح أبي داود ٤٩٧٧؛ أخرجه أبو داود (٤٩٧٧) واللفظ له، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٠٧٣)، وأحمد (٢٢٩٣٩).

صلى الله عليه وسلم في الحرب. ومأواه جهنم أي مثواه النار، أي إن لم يتب أو يعف الله عنه. وبئس المصير أي المرجع".

٥. الكفر والنفاق والفسوق والعصيان وموالاة الكفار ومحبتهم ونصرتهم {سبب لسخط الله الذي يسخط لسخطه كل شيء}: قوله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ} [المائدة: ٨٠]، قال السعدي: "{تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} بالمحبة والموالاة والنصرة. {لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ} هذه البضاعةَ الكاسدة، والصفقةَ الخاسرة، وهي سخط الله الذي يسخط لسخطه كل شيء، والخلود الدائم في العذاب العظيم، فقد ظلمتهم أنفسهم حيث قدمت لهم هذا النزل غير الكريم، وقد ظلموا أنفسهم إذ فوتوها النعيم المقيم"، وقول الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَـرِهُوا رِضْوَانَهُ} [محمد: ٢٨]. قال السعدي: "{ذَلِكَ} العذاب الذي استحقوه ونالوه {بـ} سبب {أنهم اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ} من كل كفر وفسوق وعصيان. {وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ} فلم يكن لهم رغبة فيما يقربهم إليه، ولا يدنيهم منه، {فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ} أي: أبطلها وأذهبها، وهذا بخلاف من اتبع ما يرضي الله وكره سخطه، فإنه سيكفر عنه سيئاته، ويضاعف أجره وثوابه".

٦. الكفر بالله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ والشرك به: [انصراف العبد عن عبادته وحـــده والتوجّه إلى غيره من الأوثان والأصنام، واتّخاذ القرابين والأوثان آلهةً من دون الله؛ كالأشجار والأحجار والجمادات وغيرها، وظنّ العباد أنّها تجلب لهم خيراً أو تدفع عنهم سوءاً من دون الله وعصيان الله بالاعتداء على أنبيائه ورسله وعلى سائر خَلقه أيضاً {كما فعــل بنو إســـرائيل من قبل، فحلّ عليهم سخط الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ}، والزعْم أنّ لله زوجةً وولداً، ....] والشـرك بـعمومه يجلب غضب الله على المشركين، فـ"إن أكبر وأعظم الأسباب التي تجر إلى غضب الله: الكفر بالله

والشرك به، وأظلم الظلم أن يشرك العبد بربه جل في علاه، وأن يصرف العبد العبادة لغير الله، وهو الذي يستحق هذه العبادة، والدليل قوله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [البقرة: ٢٥٤]. وقوله: عن الذين يقتلون الأنبياء ويكفرون بالله: {وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} [البقرة: ٦١]. فهذه الآية أثبتت أن الله غضب عليهم، وقال الله تعالى عن قوم عاد: {قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [الأعراف: ٧٠]، فأمر الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ نبيه أن يقول لهم: {قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ} [الأعراف: ٧١] وذلك لأنكم تسوون بين هذه الأسماء والأصنام وبين الله جل في علاه. إذاً: فأكبر وأعظم الأسباب التي تستجلب غضب الله: الكفر بالله والشرك به، علم الإنسان أو لم يعلم، لأننا بينا أن الشرك بالله حتى ولو كان صغيراً فإن الله لا يغفره فهو من أظلم الظلم" [٥٢٨].

٧. قتل المؤمن بغير حق: "فإن دم المؤمن محترم وعظيم عند الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ، وقد بينا أكثر من مرة موقوفاً ومرفوعاً أن ابن عباس كان يطوف بالكعبة ويقول: (أنت الكعبة شرفك الله وعظمك، وحرمة دم المسلم وعظمة دم المسلم عند الله أعظم منك وأشرف). وكما في السنن بسند صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لو أن أهل السماوات وأهل الأرض اشتركوا في دم امرئ مسلم لأكبهم الله في النار) فإذاً: قتل أو سفك دم المؤمن بغير حق من أظلم الظلم الذي يستلزم غضب الله، والدليل على ذلك قول الله تعالى: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} [النساء:٩٣]، فمن أسباب غضب

٥٢٨ شرح كتاب التوحيد لابن خزيمة؛ محمد حسن عبد الغفار؛ ج ٣٠ ص ٧.

الله جل في علاه التجرؤ على دم المؤمن المسلم إذ إنّ أولياء الله الصالحين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون" [٥٢٩].

٨. اليمين الكاذبة: فـ"من أسباب غضب الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ اليمين الكاذبة الفاجرة المنفقة للسلعة الممحقة للبركة، وأعظمها ظلماً في اللعان، كما قال الله تعالى مبيناً حال المرأة التي لاعنها زوجها: {وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [النور:٩] ولذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم أوقفها وقال: (اتقي الله فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب، فتلكأت ساعة وهمت بالاعتراف، ثم قالت: والله لا أفضح قومي، فشهدت في الخامسة {أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [النور:٩]) فهذا يستلزم غضب الله" [٥٣٠].

٩. أن يرزق الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ عبده النعم، ويحرمه شكرها، قال سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ} [الأعراف: ١٨٢ - ١٨٣]، فعن عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قالَ: قالَ: رَسولُ اللهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: "إذا رأيتَ اللهَ عز وجل يُعطي العبدَ منِ الدنيا على معاصيهِ ما يحبُّ؛ فإنما هوَ استدراجٌ"، ثم تلا رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: "{فَلَمّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتّى إِذا فَرِحُوا بِما أُوتُوا أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً فَإِذا هُمْ مُبْلِسُونَ}" [٥٣١]، وقال ابن كثير: "يقول تعالى: {والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون} ومعناه: أنه يفتح لهم أبواب الرزق،

---

٥٢٩ شرح كتاب التوحيد لابن خزيمة؛ محمد حسن عبد الغفار؛ ج ٣٠ ص ٨.

٥٣٠ شرح كتاب التوحيد لابن خزيمة؛ محمد حسن عبد الغفار؛ ج ٣٠ ص ٩.

٥٣١ إسناده جيد؛ أخرجه الشيخ الألباني في تخريج مشكاة المصابيح ٥١٢٩. وفي رواية: "إذا رأيتَ اللهَ تعالى يُعطي العبدَ من الدنيا ما يُحبُّ، وهو مقيمٌ على معاصِيه؛ فإنَّما ذلك منه استدراجٌ" [حديثٌ صحيحٌ: صحَّحَهُ الشيخ الألباني في صحيح الجامع ٥٦١].

ووجوه المعاش في الدنيا؛ حتى يغتروا بما هم فيه، ويعتقدوا أنهم على شيء، كما قـــــال تعالى: {فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون * فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين} [الأنعام: ٤٤ - ٤٥]، ولهذا قال تعالى: {وأملي لهم} أي: وسأملي لهم، أطول لهم ما هم فيه {إن كيدي متين} أي: قوي شديد".

١٠. اتصاف العبد بالظلم والطغيان والتمادي في الغيّ، وظلمة القلب والوِحشة والبُعد الذي يشعر به المسلم بينه وبين الله عزّ وجلّ، والحرمان من العلم الذي يعدّ نوراً للقلب، وحبّ ما يكرهه الله عزّ وجلّ وبُغض ما يحبّه الله، والحرمان من الطاعة وترك العبد للواجبات الشرعية التي افترضها الله عليه وصدّه عن أدائها، وارتكاب الإنسان للمَعاصي والمنكرات والذّنوب مع الإصرار عليها على اقترافها والمجاهرة بها، واجتناب أهل الإيمان والابتعاد عنهم وموالاة أهل العصيان ومرافقة من ضلّ عن سبيل الله عزّ وجلّ والتشبّه بهم، وبُعد الإنسان عن شريعة الرّحمن {فالله تعالى حينما يرضى عن عباده يوفقّهم لتطبيق شريعته وإقامة دينه وهذا دليلٌ على رضا سبحانه عن عباده، بينما ترى الإنسان الذي يغضب الله عليه بعيدًا عن شريعة الله تعالى وتطبيق أحكامه في الحياة}، والإعراض عن النّصيحة وكرهها وسد الأذنين عن الاستماع إليها، والحرمان من الرزق وانعدام بركته، وتعسير الأمور {فكلّ أمرٍ يسعى لتحقيقه العبد يُمنع منه بسبب ارتكابه للمعاصي التي تُغضب الله تعالى}، وسوء السيرة والذكر بين الناس في الحياة الدنيا والاتصاف بالصفات التي يُبغضها الله تعالى، ... ...

فعلى العبد أن يخلص في توحيده لربه جل في علاه، وإذا اقتحم محارم الله وتعدى على إخوانه أو ظلم نفسه فعليه أن يستغفر ربه ويعود ويئوب، ويستحضر هذا الحديث العظيم: "رحمتي سبقت غضبي"، فيتوسل إلى الله برحماته ألا يعاجله بالعقوبة، فإن الله يغضب،

لكن لا يعاجل بالعقوبة، وَرَحمته وسعت كل شَيْء وغضبه لم يسع كل شَيْء وَهُوَ سُبْحَانَهُ كتب على نَفسه الرَّحْمَة وَلم يكْتب على نَفسه الْغَضَب ووسع كل شَيْء رَحْمَة وعلما وَلم يسع كل شَيْء غَضبا وانتقاما فالرحمة وَمَا كَانَ بهَا ولوازمها وآثارها غالبة على الْغَضَب، فإذا فعل العبد ما يستلزم غضب ربه فعليه أن يسارع بالتوبة وبالأوبة وبالإنابة إلى الله جل في علاه، ولسان حاله يقول: {وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى} [طه: ٨٤]. [٥٣٢]

٥٣٢ كتاب الفوائد لابن القيم؛ ١٢٥، وشرح كتاب التوحيد لابن خزيمة؛ محمد حسن عبد الغفار؛ ج ٣٠ ص ٩ {بتصرف}.

إِنَّ اللهَ لَيَمْقُتُ وَيَبْغَضُ وَيَكْرَهُ (الْمَقْتُ وَالبُغْضُ وَالكُرْهُ) ٥٣٣

ما الذي يَجْعَلُ اللهُ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ يَمْقُتُ وَيَبْغَضُ وَيَكْرَهُ؟

الْمَقْتُ: صفةٌ فعلِيَّةٌ خبريَّةٌ ثابتةٌ لله عزَّ وجلَّ بالكتاب والسُّنَّة الصحيحة.

الدليل من الكتاب: قوله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ} [غافر: ١٠].

الدليل من السُّنَّة: عن عِيَاض بن حِمارٍ رضِي اللهُ عنه: أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، قالَ: "... وإنَّ اللَّهَ نَظَرَ إلى أَهْلِ الأرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إلَّا بَقَايَا مِن أَهْلِ الكِتَابِ ... " ٥٣٤.

---

٥٣٣ في كل ما ثبت لله جل جلاله من الأسماء والصفات؛ فإنّ ذلك كله لائق برب العالمين جل جلاله، يوصف به على وجه الكمال والجمال والجلال، لا يشبه في ذلك أحدا من خلقه، ولا يشبهه أحد من خلق؛ قال تعالى: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)) [الشورى: ١١]، فلا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل لصفات الله سبحانه، بل نثبتها كما جاءت في النصوص، ولا يجوز تأويلها عن ظاهرها ولا يجوز تشبيه الله بخلقه. {انظر: [الهامش رقم ٤٠ ص ٥٢]}.

٥٣٤ حديثٌ صحيحٌ: صحيح مسلم ٢٨٦٥؛ عن عِيَاض بن حِمارٍ رضِي اللهُ عنه: أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، قالَ ذَاتَ يَومٍ في خُطْبَتِهِ: أَلَا إنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ ما جَهِلْتُمْ، ممَّا عَلَّمَنِي يَومِي هذا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وإنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وإنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عن دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عليهم ما أَحْلَلْتُ لهمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بي ما لَمْ أُنْزِلْ به سُلْطَانًا، وإنَّ اللَّهَ نَظَرَ إلى أَهْلِ الأرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إلَّا بَقَايَا مِن أَهْلِ الكِتَابِ، وَقالَ: إنَّما بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لا يَغْسِلُهُ المَاءُ، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ، وإنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا، فَقُلتُ: رَبِّ إذًا يَثْلَغُوا رَأْسِي فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً، قالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كما اسْتَخْرَجُوكَ، وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ، وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ، وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ، وَقَاتِلْ بمَن

أَطَاعَكَ مَن عَصَاكَ، قالَ: وَأَهْلُ الجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ، قالَ: وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الذي لا زَبْرَ له، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لا يَبْتَغُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا، وَالْخَائِنُ الذي لا يَخْفَى له طَمَعٌ، وإنْ دَقَّ إلَّا خَانَهُ، وَرَجُلٌ لا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إلَّا وَهو يُخَادِعُكَ عن أَهْلِكَ وَمَالِكَ وَذَكَرَ البُخْلَ أَوِ الكَذِبَ وَالشِّنْظِيرُ الفَحَّاشُ. وَلَمْ يَذْكُرْ أَبُو غَسَّانَ في حَدِيثِهِ: وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ. وفي رواية: بهذا الإسْنَادِ، وَلَمْ يَذْكُرْ في حَدِيثِهِ: كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا، حَلَالٌ. وفي رواية: أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ خَطَبَ ذَاتَ يَومٍ، وَسَاقَ الحَدِيثَ. وَقالَ في آخِرِهِ: قالَ يَحْيَى: قالَ شُعْبَةُ: عن قَتَادَةَ، قالَ: سَمِعْتُ مُطَرِّفًا في هذا الحَدِيثِ. وفي رواية: قَامَ فِينَا رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ ذَاتَ يَومٍ خَطِيبًا، فَقالَ: إنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي وَسَاقَ الحَدِيثَ بمِثْلِ حَديثِ هِشَامٍ، عن قَتَادَةَ. وَزَادَ فيه وإنَّ اللَّهَ أَوْحَى إلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حتَّى لا يَفْخَرَ أَحَدٌ علَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ علَى أَحَدٍ وَقالَ في حَدِيثِهِ وَهُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لا يَبْغُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا. فَقُلتُ: فَيَكونُ ذلكَ؟ يا أَبَا عبدِ اللهِ قالَ: نَعَمْ، وَاللَّهِ لقَدْ أَدْرَكْتُهُمْ في الجَاهِلِيَّةِ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَرْعَى علَى الحَيِّ، ما به إلَّا وَلِيدَتُهُمْ يَطَؤُهَا.

يَحكي عِيَاضُ بنُ حِمارٍ رضِي اللهُ عنه أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال ذاتَ يومٍ في خُطبتِه: ألَا إنَّ ربِّي أمَرني أنْ أُعلِّمَكم ما جَهِلْتُم ممَّا علَّمَني يَومِي هذا، كلُّ مالٍ نحلْتُه عبدًا حلالٌ، أي: كلُّ مالٍ أعطيْتُه عبدًا مِن عبادي فهو له حلالٌ، وإنِّي خَلقْتُ عِبادي "حُنفاءَ كلَّهم" جمْعُ حَنيفٍ، وهو المائلُ عَنِ الباطلِ الْمُنقطِعُ لِلحقِّ، وإنَّهم أَتَتْهمُ الشياطينُ "فَاجتالَتْهم عَن دينهم"، أي: صرَفَتْهم وذهبَتْ بهم عَن دِينِهم إلى الأباطيلِ، وحرَّمَتْ عليهم ما أحللْتُ لهم، وأمرَتْهم أنْ يُشركوا بي ما لم أُنزلْ به سلطانًا، وإنَّ اللهَ نظرَ إلى أهلِ الأرضِ "فَمَقَتَهم"، أي: أَبغضَهم أشدَّ البغضِ، عربَهم وعجَمَهم، إلَّا بَقايا مِن أهلِ الكتابِ: وهمُ الَّذينَ لم يَزالوا مُتمسِّكينَ بِالحقِّ ولم يُبدِّلوا دِينَهم، وقال: إنَّما بَعثْتُك، أي: يا محمَّدُ لِأَبتَلِيَكَ، أي: لِأمتحِنَك وأَختبرَك وأَبتلِيَ بكَ مَنْ أرسلتُك إليهم، وأنزلتُ عليكَ كِتابًا لا يَغسلُه الماءُ، أي: لا يَمحوُه ولا يذهبُ به بل يبقى على مرِّ العصورِ؛ لكونِه محفوظًا في الصُّدورِ تقرؤُه نائمًا ويَقظانَ، وإنَّ اللهَ أمرني أنْ أَحرِقَ قريشًا، أي: أُهلِكَهم، فقلتُ: ربِّ إذًا "يَثْلغُوا رأسِي"، أي: يَشْدَخُوه ويَشجُّوه، فَيَدَعوُه خُبْزةً، أي: فيتركُوه مِثلَ الخبزةِ الَّتي تُشْدَخُ وتُكْسَرُ، قال: استخْرِجْهم كما استخرَجُوك، أي: أَخرِجْهم مِن ديارِهم كما أَخرَجُوك، واغْزُهم نُغزِكَ، أي: نُعينكَ على غزْوِهم، وأَنفِقْ فَسنُنفِقْ عليكَ، وابعثْ جَيشًا نَبعثْ خَمْسةً مِثلَه مِن جُيوشِ الملائكةِ، وقاتِلْ بِمَن أطاعَك مَن عَصاكَ، ثُمَّ قال صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: وأهلُ الجنَّةِ ثلاثةٌ، أي: ثلاثةُ أجناسٍ مِنَ الأشخاصِ، الأوَّلُ: ذو سلطانٍ، أي: حَكَمٌ مُقسِطٌ، أي: عادلٌ، مُتصدِّقٌ، أي: مُحسِنٌ إلى النَّاسِ، مُوفَّقٌ، أي: الَّذي هُيِّئَ له أسبابُ الخيرِ، وفُتِحَ له أبوابُ البِرِّ. والثَّاني: رجلٌ رَحيمٌ، أي: على الصَّغيرِ والكبيرِ رقيقُ القلبِ لكلِّ ذي قُربى خُصوصًا. ومُسلمٍ، أي: لكلِّ مُسلمٍ عمومًا. والثَّالثُ: عَفيفٌ، أي: مُجتَنِبٌ عمَّا لا يَحلُّ، مُتعفِّفٌ، أي: عَنِ السُّؤالِ، مُتوكِّلٌ على الملِكِ

في معنى قوله تعالى: {إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلاً} [النساء: ٢٢]؛ قال الزجاج: "المَقْتُ: أشد البغض" [٥٣٥]، وقد استشهد شيخ الإسلام لإثبات صفة (الْمَقْت) بقوله تعالى: {كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ}، وقال الشيخ محمد خليل الهرَّاس شارحاً هذه الآيات: "تضمنت هذه الآيات بعض صفات الفعل؛ من الرضا لله والغضب ... والمَقْت والأَسَف، وهي عند أهل الحق صفات حقيقية لله عزَّ وجلَّ، على

المتعالِ في أمْرِه، ذُو عِيالٍ، أي: لا يحمِلُه حُبُّ العيالِ ولا خوفُ رزقِهم على ترْكِ التَّوكُّلِ بارتكابِ سُؤالِ الخَلْقِ، وتحصيلِ المالِ الحرامِ والاشتغالِ بهم عَنِ العلمِ والعملِ ممَّا يجبُ عليه، ويُحتملُ أنَّه أشارَ بالعَفيفِ إلى ما في نَفْسِه مِنَ القوَّةِ المانعةِ عَنِ الفواحشِ، وبالمتعفِّفِ إلى إبرازِ ذلك بالفعلِ واستعمالِ تلكَ القوَّةِ؛ لإظهارِ العفَّةِ عَن نفسِه، ثُمَّ قال صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: وأهلُ النَّارِ خمسةٌ، الأوَّلُ: الضَّعيفُ الَّذي "لا زَبْرَ له"، أي: لا رَأْيَ ولا عقْلَ كاملًا يَعقلُه ويمنعُه عَنِ ارتكابِ ما لا ينبغي، الَّذينَ هم فيكم تَبعٌ يعني به الخَدَّامَ الَّذينَ يَكتفونَ بِالشُّبهاتِ، لا يَبغونَ أهلًا، أي: لا يَطلبونَ زوَجةً ولا سُرِّيَّةً، فَأَعرَضُوا عَنِ الحلالِ وارتكبوا الحرامَ، ولا مالًا، أي: ولا يَطلبونَ مالًا حلالًا مِن طريقِ الكدِّ والكسْبِ الطَّيِّبِ، وفي روايةٍ: فَيكونُ ذلك يا أبا عبدِ اللهِ وهو مُطرِّفُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ الشِّخِّيرِ راوي الحديثِ عَن عياضٍ؟ قال: نَعمْ، واللهِ لقد أدركْتُهم في الجاهليَّةِ، وإنَّ الرَّجلَ لَيرعى على الحيِّ، ما به إلَّا وَليدتُهم، أي: أَمَتَهم يَطؤُها، والمقصودُ أنَّه أَدركَ في الجاهليَّةِ قبْلَ الإسلامِ أنَّه كان الرَّجلُ في الجاهليَّةِ يَرعى على القومِ الغنَمَ ما به إلَّا وليدَتُهم، أي: أَمَتُهم، يُزانيها، يَطؤُها، أي: بِالزِّنَا، فَبِذلكَ يَرضَى مِن نَفسِه أنْ يكونَ ذليلًا راعيًا للغنمِ مِن أجل هذه الفاحشةِ نسألُ اللهَ السَّلامةَ والعافيةَ. والثَّاني: الخائنُ الَّذي لا يَخفَى له طمعٌ، أي: لا يَخفى عليه شيءٌ ممَّا يمكنُ أنْ يطمعَ فيه، وإنْ دَقَّ بِحيثُ لا يكادُ أنْ يُدْركَ إلَّا خانَه، أي: إلَّا وهو يَسعى في التَّفحُّصِ عنه، والتَّطلُّعِ عليه حتَّى يجدَه فَيخونَه، وهذا هو الإغراقُ في الوصفِ بِالخيانَةِ. والثَّالثُ: رجلٌ لا يُصبحُ ولا يُمسي إلَّا وهو يُخادعُكَ عَن أهلِكَ ومالِك، أي: بِسببِهما. الرَّابعُ: البُخلُ أوِ الكذبُ، أي: البخيلُ والكذَّابُ. والخامسُ: "والشِّنْظيرُ": السَّيِّءُ الخُلُقِ، الفاحشُ، أي: المكثِرُ لِلفُحشِ، والمعنى: أنَّه معَ سُوءِ خُلقِه فحَّاشٌ في كلامِه لِمَا بَينَهما مِنَ التَّلازُمِ الغَالِبِيِّ، وفي روايةٍ: وإنَّ اللهَ أَوحى إليَّ أنْ تَواضَعوا حتَّى لا يَفخرَ أحدٌ على أحدٍ، ولا يبغِيَ أحدٌ على أحدٍ، أي: لا يظلِمَه. {في الحديثِ: بيانُ صفةِ أهلِ الجنَّةِ وأهلِ النَّارِ. وفيه: أنَّ الجنَّةَ والنَّارَ مخلوقتانِ. وفيه: فضْلُ الوالي العادلِ القائمِ بطاعةِ اللهِ سبحانه وتعالى. وفيه: ثوابُ الواصِلِ والرَّحيمِ بِالمسلمِينَ. وفيه: فضْلُ المحتاجِ المتعفِّفِ. وفيه: النَّهيُ عَنِ الخيانةِ والبُخلِ وفُحشِ القولِ}.

٥٣٥ معاني القرآن وإعرابه؛ ٣٢/٢.

ما يليق به، ولا تشبه ما يتصف به المخلوق من ذلك، ولا يلزم منها ما يلزم في المخلوق" ٥٣٦، وقال شيخ الإسلام أيضاً: "وكذلك وصف نفسه بأنه يمقت الكفار، ووصفهم بالـمَقْت، فقال: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ... }، وليس المقت مثل المقت" ٥٣٧.

البُغْضُ: صفةٌ فعلِيَّةٌ خبرِيَّةٌ ثابتةٌ لله عزَّ وجلَّ بالسُّنَّة الصحيحة.

الدليل:

١. عن أبي هريرة رضِي اللهُ عنه: أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، قالَ: "... وإذا أبْغَضَ عَبْدًا دَعا جِبْرِيلَ فيَقولُ: إنِّي أُبْغِضُ فُلانًا فأبْغِضْهُ، قالَ فيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنادِي في أهْلِ السَّماءِ إنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلانًا فأبْغِضُوهُ، قالَ: فيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ له البَغْضاءُ في الأرْضِ" ٥٣٨.

---

٥٣٦ العقيدة الواسطية؛ ص ١٠٨.

٥٣٧ التدمرية؛ ص ٢٦.

٥٣٨ حديثٌ صحيحٌ: أخرجه مسلم (١٥٧ - ٢٦٣٧)، بلفظ: "إنَّ اللَّهَ إذا أحَبَّ عَبْدًا دَعا جِبْرِيلَ فقالَ: إنِّي أُحِبُّ فُلانًا فأحِبَّهُ، قالَ: فيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنادِي في السَّماءِ فيَقولُ: إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فأحِبُّوهُ، فيُحِبُّهُ أهْلُ السَّماءِ، قالَ ثُمَّ يُوضَعُ له القَبُولُ في الأرْضِ، وإذا أبْغَضَ عَبْدًا دَعا جِبْرِيلَ فيَقولُ: إنِّي أُبْغِضُ فُلانًا فأبْغِضْهُ، قالَ فيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنادِي في أهْلِ السَّماءِ إنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلانًا فأبْغِضُوهُ، قالَ: فيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ له البَغْضاءُ في الأرْضِ".

في هذا الحديثِ بَيانُ فَضلِ تَحصيلِ مَحبَّةِ اللهِ تعالى وما يَترتَّبُ عليها مِنَ الجَزاءِ في الدُّنيا، فَضلًا على ما يَترتَّبُ عليها مِن نَعيمِ الآخِرةِ؛ فيُبيِّنُ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ أنَّه سُبحانَه وتعالى إذا أحَبَّ عَبدًا -بسَببِ طاعَتِه له- نادى الحقُّ تَبارَكَ وتعالى جِبريلَ عليه السَّلامُ، وقال: إنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلانًا، فأحْبِبْه، فيُحِبُّه جِبريلُ، ثمَّ يُنادي جِبريلُ في أهلِ السَّماءِ: إنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلانًا فأحِبُّوه، فيُحِبُّه أهلُ السَّماءِ، والمُرادُ بأهلِ السَّماءِ المَلائِكةُ ...

وإذا أبغض الله أحدًا نادى جبريل: إني أبغض فلانًا فأبغضه. فيبغضه جبريل، {والبغض شدة الكره}، ثم ينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه، فيبغضه أهل السماء، ثم يوضع له البغضاء في الأرض؛ فيبغضه أهل الأرض.

٢. عن أبي هريرة رضِي اللهُ عنه: أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، قالَ: "أَحَبُّ البِلادِ إلى اللهِ مَساجِدُها، وَأَبْغَضُ البِلادِ إلى اللهِ أَسْواقُها" [٥٣٩].

يقول ابن القيم: "إن ما وصف الله سبحانه به نفسه من المحبة والرضا والفرح والغضب والبغض والسخط من أعظم صفات الكمال" [٥٤٠]، "وقال الليث: البغض: نقيض الحب" [٥٤١].

الكُرْهُ: صفةٌ فعلِيَّةٌ خبرِيَّةٌ ثابتةٌ لله عزَّ وجلَّ بالكتاب والسُّنَّة الصحيحة.

الدليل من الكتاب:

١. قول الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَلكِنْ كَرِهَ الله انْبِعَاثَهُمْ} [التوبة: ٤٦].

الدليل من السُّنَّة:

١. عن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ قالت: قالَ رَسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَن أَحَبَّ لِقاءَ اللهِ، أَحَبَّ اللَّهُ لِقاءَهُ، وَمَن كَرِهَ لِقاءَ اللهِ، كَرِهَ اللَّهُ لِقاءَهُ" فَقُلْتُ: يا

فمن أحبه الله أحبه أهل السماء والأرض، ومن أبغضه الله أبغضه أهل السماء والأرض. والعبرة في محبة الإنسان وبغضه إنما هي لأهل الفضل والخير، ولا يقدح في ذلك كراهية الفساق للرجل الصالح.

٥٣٩ حديثٌ صحيحٌ: صحيح مسلم ٢٨٨ - ٦٧١.

المساجدُ محلُّ نُزولِ رَحمةِ اللهِ عزَّ وجلَّ وفضلِه، وعلى العَكسِ مِن ذلكَ الأَسواقُ؛ فهيَ محلُّ أفعالِ الشَّيطانِ مِن الطَّمعِ والغَفلَةِ؛ لذا كانتِ المَساجِدُ أحبَّ البِلادِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ لأنَّها بيتُ الطّاعَةِ، ومَخصوصةٌ بالذِّكرِ، فَلا أحدَ أظلَمُ مِن رجلٍ منَعَ مساجدَ اللهِ أن يُذكَرَ فيها اسمُه، أُسِّستْ على تقوى اللهِ عزَّ وجلَّ يُقرأ فيها القُرآن، يُنشَر فيها العِلمُ، وقد أضافها اللهُ لنفسِه إضافةَ تَشريفٍ وتعظيمٍ، فقال: {وَأَنَّ الْمَساجِدَ لِلَّهِ} [الجن: ١٨]، وكانتِ الأسواقُ أبغضَ البِلادِ إلى الله عزَّ وجلَّ؛ لكَثرةِ الحَلِفِ الكاذِبِ فيها، والغشِّ والخِداعِ، والغَفلةِ عن ذكرِ اللهِ سُبحانه وتَعالى وإخلافِ الوَعدِ، وسُوءِ المُعامَلةِ، وغيرِ ذلكَ ممّا في مَعناه؛ فالمرادُ بمحبَّة المساجد محبَّةُ ما يقَعُ فيها مِن الطّاعاتِ، والمُرادُ ببُغضِ الأَسواقِ بغْضُ ما يقَع فيها مِن الذُّنوبِ والآثامِ.

٥٤٠ الصواعق المرسلة؛ ١٤٥١/٤.

٥٤١ تهذيب اللغة؛ ١٧/٨.

نَبِيَّ اللهِ أَكَراهيةُ المَوْتِ؟ فَكُلُّنا نَكْرَهُ المَوْتَ، فَقالَ: "ليسَ كَذَلِكِ، وَلَكِنَّ المُؤْمِنَ إذا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللهِ وَرِضْوانِهِ وَجَنَّتِهِ، أَحَبَّ لِقاءَ اللهِ، فأحَبَّ اللَّهُ لِقاءَهُ، وإنَّ الكافِرَ إِذا بُشِّرَ بعَذابِ اللهِ وَسَخَطِهِ، كَرِهَ لِقاءَ اللهِ، وَكَرِهَ اللَّهُ لِقاءَهُ" ٥٤٢.

٢. عن المغيرة بن شعبة رضِي اللهُ عنه: عن رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، قالَ: "إنَّ اللَّهَ حَرَّمَ علَيْكُمْ عُقُوقَ الأُمَّهاتِ، ومَنْعًا وهاتِ، ووَأْدَ البَناتِ، وكَرِهَ لَكُمْ: قيلَ وقالَ، وكَثْرَةَ السُّؤالِ، وإضاعَةَ المالِ" ٥٤٣.

---

٥٤٢ حديثٌ صحيحٌ: متفقٌ عليه؛ صحيح مسلم ١٥ - ٢٦٨٤؛ أخرجه البخاري معلقاً بعد حديث (٦٥٠٧)، وأخرجه موصولا مسلم (١٥ - ٢٦٨٤)، وفي رواية: "مَن أحَبَّ لِقاءَ اللَّهِ أحَبَّ اللَّهُ لِقاءَهُ، ومَن كَرِهَ لِقاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقاءَهُ. قالَتْ عائِشَةُ أوْ بَعْضُ أزْواجِهِ: إنّا لَنَكْرَهُ المَوْتَ، قالَ: ليسَ ذاكِ، ولَكِنَّ المُؤْمِنَ إذا حَضَرَهُ المَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوانِ اللَّهِ وكَرامَتِهِ، فليسَ شَيءٌ أحَبَّ إلَيْهِ ممّا أمامَهُ؛ فأحَبَّ لِقاءَ اللَّهِ، وأَحَبَّ اللَّهُ لِقاءَهُ، وإنَّ الكافِرَ إذا حُضِرَ بُشِّرَ بعَذابِ اللَّهِ وعُقُوبَتِهِ، فليسَ شَيءٌ أكْرَهَ إلَيْهِ ممّا أمامَهُ؛ كَرِهَ لِقاءَ اللَّهِ، وكَرِهَ اللَّهُ لِقاءَهُ" [حديثٌ صحيحٌ: صحيح البخاري ٦٥٠٧].

لا شكَّ أنَّ الدُّنيا دارُ فَناءٍ، وأنَّ الآخرةَ هي دارُ البقاءِ، وأنَّنا في الدُّنيا كعابرِ سبيلٍ، وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أحبَّ لقاءَ اللهِ أحبَّ اللهُ لقاءَه، ومَن كرِهَ لقاءَ اللهِ كرِهَ اللهُ لِقاءَه»، ومحبَّةُ اللِّقاءِ هي إيثارُ العبدِ الآخرةَ على الدُّنيا، وعدمُ حُبِّ طولِ القيامِ في الدُّنيا، والاستعدادُ لِلارتحالِ عنها، والمرادُ باللِّقاءِ: المصيرُ إلى الدّارِ الآخرةِ وطلَبُ ما عند اللهِ وليس الغرضُ به الموتَ؛ لأنَّ كُلًّا يكرَهُه فمَنْ تركَ الدُّنيا وأبغضَها أحبَّ لقاءَ اللهِ، ومَنْ آثَرَها وركَنَ إليها كَرِهَ لقاءَ اللهِ، وقدِ استشكلَتْ أُمُّ المؤمنينَ عائشةُ رضِي اللهُ عنها قولَ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أحبَّ لقاءَ اللهِ»؛ لأنَّ الموتَ لا يُحبُّه أحدٌ بِطبيعةِ خِلقةِ النّاسِ وما جُبِلوا عليه، فبيَّن لها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ المقصودَ ليسَ ذلك، بَلِ المقصودُ أنَّ المؤمنَ إذا جاءَه الموتُ فإنَّه يرى البُشرى مِنَ اللهِ سبحانه وتعالى لِما ينتظرُه عنده مِن حُسنِ الجزاءِ، فلا يكونُ شيءٌ أحبَّ إليه مِن ذلك، فأحبَّ لِقاءَ اللهِ وأحبَّ اللهُ لقاءَه، وأمّا الكافرُ فإنَّه إذا جاءَه الموتُ يرى ما وعدَه ربُّه مِنَ العذابِ والنَّكالِ حقًّا أمامَ عينَيْه، فلا يكونُ شيءٌ أكرَهَ إليه مِن ذلك، فكرِهَ لقاءَ اللهِ وكرهَ اللهُ لِقاءَه. {وفي الحديثِ: أنَّ المجازاةَ مِن جِنسِ العملِ؛ فإنَّه قابَلَ المحبَّةَ بِالمحبَّةِ والكراهةَ بِالكراهةِ}.

٥٤٣ حديثٌ صحيحٌ: صحيح البخاري ٥٩٧٥، وفي رواية: "إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ حَرَّمَ علَيْكُمْ: عُقُوقَ الأُمَّهاتِ، ووَأْدَ البَناتِ، ومَنْعًا وهاتِ، وكَرِهَ لَكُمْ ثَلاثًا: قيلَ وقالَ، وكَثْرَةَ السُّؤالِ، وإضاعَةَ المالِ. [وفي رواية]: غيرَ أنَّه قالَ: وحَرَّمَ علَيْكُمْ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ ، ولَمْ يَقُلْ: إنَّ اللَّهَ حَرَّمَ علَيْكُمْ" [حديثٌ صحيحٌ:

قال ابن كثير في تفسير قوله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ} [التوبة: ٤٦]: "يقول تعالى: {ولو أرادوا الخروج} أي: معك إلى الغزو {لأعدوا له عدة} أي: لكانوا تأهبوا له، {ولكن كره الله انبعاثهم} أي: أبغض أن يخرجوا معك قدرا، {فثبطهم} أي: أخرهم، {وقيل اقعدوا مع القاعدين} أي: قدرا".

والله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ يَمْقُتُ وَيَبْغَضُ وَيَكْرَهُ، متى شاء وليس لذلك حصر، فتعالى وتبارك الله سبحانه عزَّ وجلَّ أن يحيط أحد بمعرفته {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا

صحيح مسلم ١٣٧ - ٥٩٣]، وفي رواية: "إنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ كانَ يقولُ في دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ: لا إلَهَ إلّا اللَّهُ وحْدَهُ لا شَرِيكَ له، له المُلْكُ، وله الحَمْدُ، وهو على كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لا مانِعَ لِما أعْطَيْتَ، ولا مُعْطِيَ لِما مَنَعْتَ، ولا يَنْفَعُ ذا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ وكَتَبَ إلَيْهِ إنَّه كانَ يَنْهى عن قيلَ وقالَ، وكَثْرَةِ السُّؤالِ، وإضاعَةِ المالِ، وكانَ يَنْهى عن عُقُوقِ الأُمَّهاتِ، ووَأْدِ البَناتِ، ومَنْعٍ وهاتِ" [حديثٌ صحيحٌ: صحيح البخاري ٧٢٩٢].
كتَبَ معاويةُ إلى الْمُغيرةِ بنِ شُعبةَ رضِي اللهُ عنهما- وكان أميرَه على الكوفةِ- أنِ اكتُبْ لي بحديثٍ سمِعْتَه مِن رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ ، فكتبَ إليه المغيرةُ: إنَّ نبيَّ الله صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ كان يقولُ في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ، أي: بعدَها، «لا إلهَ إلّا اللهُ وحْدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، اللَّهمَّ لا مانعَ لِما أعطيْتَ ولا مُعطِيَ لما مَنعْتَ»، أي: لا يستطيعُ أحدٌ أنْ يمنعَ ما أردْتَ إعطاءَه لأحدٍ مِن خلْقِكَ، ولا يملِكُ أحدٌ أنْ يُعطِيَ مَن أردْتَ مَنْعَه، «ولا ينفعُ ذا الْجَدِّ منكَ الْجَدُّ» الْجَدُّ: هو الحظُّ والغِنى، أي: لا ينفعُ ذا الحظِّ حظُّه ولا ذا الغِنى غناه، وإنَّما ينفعُه العملُ الصّالحُ. ثُمَّ أَخبرَ المغيرةُ معاويةَ رضى الله عنهما أنَّه كان ينهى عَن «قِيلَ وقالَ»، أي: حِكايةُ أقاويلِ النّاسِ، «وكثرةِ السُّؤالِ وإضاعةِ المالِ»، أي: كثرةُ السُّؤالِ عَنِ المسائلِ الَّتي لا حاجةَ لها، وصرفُ المالِ في غيرِ مَحلِّه وحقِّه، وكان ينهى عَن «عُقوقِ الأمَّهاتِ»، أي: الإساءةِ إليهنَّ وعدَمِ الإحسانِ لهنَّ، وتخصيصُ العقوقِ بالأمَّهاتِ مع امتناعِه في الآباءِ أيضًا؛ لِأجْلِ شِدَّةِ حقوقِهنَّ ورُجحانِ الأمرِ بِبرِّهنَّ بِالنِّسبةِ إلى الآباءِ، وعَن «وأْدِ البناتِ» أي دفْنِهنَّ أحياءً، «ومنعَ وهاتِ»، أي: مَنْعُ ما شرَعَ اللهُ إعطاءَه، وطلبُ ما شرَع اللهُ مَنْعَه. والدُّعاءُ الواردُ في هذا الحديثِ اشتملَ على توحيدِ اللهِ، ونفْيِ الشَّريكِ معه، وإثباتِ الْمُلكِ المطْلَقِ، والحمدِ الكاملِ والقدرَةِ التّامَّةِ له سبحانه وتعالى، كما أنَّ فيه توحُّدَه بِالتَّصرُّفِ والقَهرِ، وأنَّ كلَّ شيءٍ بِيدِه، فقدْ جَمعَ توحيدَ الألوهيَّةِ والرُّبوبيَّةِ، والأسماءَ والصِّفاتِ.

يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [سورة طه: ١١٠]، سبحانه وتعالى {يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [سورة الرحمن: ٢٩]، وقد وردت أدلة من الكتاب والسُّنَّة الصحيحة تدل على بعض هذه الأسباب والأعمال والمواطن؛ ومن ذلك:

١. مَقْتُ الكفر {يشمل أنواع الكفر كلها، من الكفر بالله، أو بكتبه، أو برسله، أو بملائكته، أو باليوم الآخر، أو بالقدر}؛ قال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا} [فاطر: ٣٩]: قال السعدي: "يخبر تعالى عن كمال حكمته ورحمته بعباده، أنه قدر بقضائه السابق، أن يجعل بعضهم يخلف بعضا في الأرض، ويرسل لكل أمة من الأمم النذر، فينظر كيف يعملون، فمن كفر بالله وبما جاءت به رسله، فإن كفره عليه، وعليه إثمه وعقوبته، ولا يحمل عنه أحد، ولا يزداد الكافر بكفره إلا مقت ربه له وبغضه إياه، وأي: عقوبة أعظم من مقت الرب الكريم؟!، {وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا} أي: يخسرون أنفسهم وأهليهم وأعمالهم ومنازلهم في الجنة، فالكافر لا يزال في زيادة من الشقاء والخسران، والخزي عند الله وعند خلقه والحرمان"، قال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ} [غافر: ١٠]: قال السعدي: "يخبر تعالى عن الفضيحة والخزي الذي يصيب الكافرين، وسؤالهم الرجعة، والخروج من النار، وامتناع ذلك عليهم وتوبيخهم، فقال: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} أطلقه ليشمل أنواع الكفر كلها، من الكفر بالله، أو بكتبه، أو برسله، أو باليوم الآخر، حين يدخلون النار، ويقرون أنهم مستحقونها، لما فعلوه من الذنوب والأوزار، فيمقتون أنفسهم لذلك أشد المقت، ويغضبون عليها غاية الغضب، فينادون عند ذلك، ويقال لهم: {لَمَقْتُ اللَّهِ} أي: إياكم {إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ} أي: حين دعتكم الرسل وأتباعهم إلى الإيمان، وأقاموا لكم من

البينات ما تبين به الحق، فكفرتم وزهدتم في الإيمان الذي خلقكم الله له، وخرجتم من رحمته الواسعة، فمقتكم وأبغضكم، فهذا {أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ} أي: فلم يزل هذا المقت مستمرًا عليكم، والسخط من الكريم حَالًّا بكم، حتى آلت بكم الحال إلى ما آلت، فاليوم حلَّ عليكم غضب الله وعقابه حين نال المؤمنون رضوان الله وثوابه".

٢. مَقْتُ المُجَادَلَةِ فِي آيَاتِ اللَّهِ لدفعها وإبطالها بغير حجة وبرهان؛ قال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ} [غافر: ٣٥]: قال السعدي: "ثم ذكر وصف المسرف الكذاب فقال: {الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ} التي بينت الحق من الباطل، وصارت -من ظهورها- بمنزلة الشمس للبصر، فهم يجادلون فيها على وضوحها، ليدفعوها ويبطلوها {بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ} أي: بغير حجة وبرهان، وهذا وصف لازم لكل من جادل في آيات الله، فإنه من المحال أن يجادل بسلطان، لأن الحق لا يعارضه معارض، فلا يمكن أن يعارض بدليل شرعي أو عقلي أصلا، {كَبُرَ} ذلك القول المتضمن لرد الحق بالباطل {مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا} فالله أشد بغضًا لصاحبه، لأنه تضمن التكذيب بالحق والتصديق بالباطل ونسبته إليه، وهذه أمور يشتد بغض الله لها ولمن اتصف بها، وكذلك عباده المؤمنون يمقتون على ذلك أشد المقت موافقة لربهم، وهؤلاء خواص خلق الله تعالى، فمقتهم دليل على شناعة من مقتوه، {كَذَلِكَ} أي: كما طبع على قلوب آل فرعون {يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ} متكبر في نفسه على الحق برده وعلى الخلق باحتقارهم، جبار بكثرة ظلمه وعدوانه".

٣. مَقْتُ أن يقول العبد ما لا يفعل؛ قال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} [الصف: ٣]: قال السعدي: "فهل تليق بالمؤمنين هذه الحالة الذميمة؟ أم من أكبر المقت عند الله أن يقول العبد ما لا يفعل؟ ولهذا ينبغي

للآمر بالخير أن يكون أول الناس إليه مبادرة، وللناهي عن الشر أن يكون أبعد الناس منه، قال تعالى: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} وقال شعيب عليه الصلاة والسلام لقومه: {وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه}".

٤. مَقْتُ التَّزَوجِ من زوجة الأب وإن علا {كان هذا من عوائد الجاهلية، التي جاء الإسلام بالتنزه عنها والبراءة منها}؛ قال الله سبحـــــانه وتعـــــالى عزَّ وجلَّ: {وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا} [النساء: ٢٢]: قال السعدي: "أي: لا تتزوجوا من النساء ما تزوجهن آباؤكم أي: الأب وإن علا. {إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً} أي: أمرا قبيحا يفحش ويعظم قبحه {وَمَقْتًا} من الله لكم ومن الخلق بل يمقت بسبب ذلك الابن أباه والأب ابنه، مع الأمر ببره. {وَسَاءَ سَبِيلًا} أي: بئس الطريق طريقا لمن سلكه لأن هذا من عوائد الجاهلية، التي جاء الإسلام بالتنزه عنها والبراءة منها".

٥. مَقْتُ مَن باع عيبًا لم يُبَيّنْه؛ فعن واثلة بن الأسقع الليثي أبي فسيلة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قالَ: قالَ: رَسولُ اللهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: "مَنْ باعَ عَيْبًا لمْ يُبَيِّنْهُ، لمْ يَزَلْ في مَقْتِ اللهِ، ولمْ تَزَلِ المَلائِكَةُ تَلْعَنُهُ" [٥٤٤].

٦. مَقْتُ المعجَبُ؛ العُجْب كبيرة من كبائر الذنوب التي تستحق غضب الله، ومقته، وعذابه في الدنيا والآخرة، فعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قالَ: قالَ: رَسولُ اللهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: "النادمُ ينتظرُ من اللهِ الرحمةَ، والمعجَبُ ينتظرُ المقتَ، واعلموا عبادَ اللهِ أنَّ كلَّ عاملٍ سيقدمُ على عملِه، ولا يخرج من الدنيا حتى يرى حُسنَ

٥٤٤ حديث ضعيف جداً؛ ضَعَّفَه الشيخ الألباني في ضعيف ابن ماجه ٤٤٢ وفي ضعيف الترغيب ١٠٩٤ وفي ضعيف الجامع ٥٥٠١ وفي تخريج مشكاة المصابيح ٢٨٠٤ {باختلاف يسير}؛ أخرجه ابن ماجه (٢٢٤٧) واللفظ له، وأحمد (١٦٠١٣) بمعناه مطولاً.

عملِه وسُوءِ عملِه، وإنما الأعمالُ بخواتيمها، والليلُ والنهارُ مطيَّتانِ، فأَحسِنوا السيرَ عليهما إلى الآخرةِ، واحذَروا التسويفَ، فإنَّ الموتَ يأتي بغتةً، ولا يغترنّ أحدُكم بحِلم اللهِ عزَّ وجلَّ، فإنَّ الجنَّةَ والنّارَ أقربُ إلى أحدِكم من شِراك نعلِه"، ثم قرأ رسولُ اللهِ: "{فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}" [٥٤٥]، فالإعجاب بالنفس من المهلكات ومن الإشراك بالنفس وهو يحبط العمل ويفسده ويؤدي إلى غضب الله ومقته ويؤدي إلى الخذلان وحرمان التوفيق والتعرض للفتن، ويؤدي إلى اتباع الهوى ونسيان الذنوب، وقد يؤدي إلى سوء الخاتمة والتعرض للحساب الدقيق يوم القيامة ويؤدي إلى نفور الناس من صاحبه ويؤدي إلى الكبر وعدم القدرة على قبول الحق ومن ثم الخسران المبين [٥٤٦].

---

٥٤٥ حديث ضعيف؛ ضَعَّفَه الشيخ الألباني في ضعيف الترغيب ١٨٣٣ وفي السلسلة الضعيفة ٥٢٥٧؛ أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (١٦٤/١)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٤٣٠/٦) باختلاف يسير، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٢٥٤) مختصراً.

٥٤٦ لداء الإعجاب بالنفس تأثيرات سلبية، ومخاطر عظيمة على كل من يصاب به، ويكفي في بيان خطورته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدَّه من المهلكات، فقال صلى الله عليه وسلم: "ثلاثٌ مُهلِكاتٌ، وثلاثٌ مُنجِياتٌ، وثلاثٌ كفّاراتٌ، وثلاثٌ دَرَجاتٌ. فأمّا المهلِكاتُ: فشُحٌّ مُطاعٌ، وهَوًى مُتَّبَعٌ، وإعجابُ المرْءِ بنفْسِهِ. وأمّا المنْجِياتُ: فالعدْلُ في الغضَبِ والرِّضا، والقصْدُ في الفقْرِ والغِنى، وخشيةُ اللهِ تعالى في السِّرِّ والعلانيةِ. وأمّا الكفّاراتُ: فانْتظارُ الصلاةِ بعدَ الصلاةِ، وإسْباغُ الوُضوءِ في السَّبَراتِ، ونقلُ الأقدامِ إلى الجماعاتِ. وأمّا الدَّرجاتُ: فإطْعامُ الطعامِ، وإفْشاءُ السلامِ، والصلاةُ بالليلِ والناسُ نِيامٌ" [حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ٣٠٤٥]، فهو سجيَّة مذمومة، وطبع سيّئ مبغوض، قال ابن حزم: "إن العُجْب من أعظم الذنوب وأمحقها للأعمال. فتحفظوا، حفظنا الله وإيَّاكم من العُجْب والرياء" [رسائل ابن حزم؛ ١٨٠/٣]، بل عده ابن تيمية من باب الإشراك بالنفس فقال: "وكثيرًا ما يقرن الرياء بالعُجْب، فالرياء من باب الإشراك بالخلق، والعُجْب من باب الإشراك بالنفس، وهذا حال المستكبر، فالمرائي لا يحقق قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} والمعجب لا يُحقِّق قوله: {وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} فمن حقَّق قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} خرج عن الرِّياء، ومن حقَّق قوله: {وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} خرج عن الإعجاب" [الفتاوى الكبرى؛ ٢٤٨/٥]، والعُجْب يحبط العمل ويفسده: يقول النووي: "اعلم أن الإخلاص قد يعرض له آفة العُجب، فمن أعجب بعمله حبط عمله، وكذلك من استكبر حبط عمله" [شرح

الأربعين النووية؛ ص ١٠، وتعطير الأنفاس من حديث الإخلاص؛ ص ٥٨٤]، ويقول يحيى بن معاذ: "إياكم والعُجب، فإن العُجب مهلكة لأهله، وإن العُجب ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب .. فالذي يبيت نائمًا ويصبح نادمًا، خير ممن يبيت قائمًا ويصبح مُعجبا"، وقيل لابن المبارك: "ما الذنب الذي لا يغفر؟ قال: العُجب"، وكان الصالحون يرون: أنه يموت مذنبًا نادمًا أحب إليهم من أن يموت مُعجبا، والعُجْب يؤدي إلى غضب الله ومقته: قال صلى الله عليه وسلم: "مَنْ تعَظَّمَ في نفسِهِ، واختال في مِشْيَتِهِ، لَقِيَ اللهَ وهو عليْهِ غضبانٌ" [حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ٦١٥٧؛ أخرجه أحمد (٥٩٩٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٤٩)، والطبراني (٦٤/١٣) (١٣٦٩٢)]، والعُجْب يؤدي إلى الخذلان وحرمان التوفيق والتعرض للفتن، وانظر إلى ما حدث للمسلمين في غزوة حنين عندما اتكلوا على قوتهم وأعجبوا بها حيث كان الجيش الإسلامي كبيرًا لدرجة أن العُجب قد دخل إلى بعض النفوس، كما قال تعالى: {وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ} [التوبة: ٢٥]، ولقد بعث أبو بكر لخالد بن الوليد رضي الله عنهما رسالة بعد انتصاراته في العراق: "فليهنئك أبا سليمان النية والحظوة فأتم يتم الله لك. ولا يدخلنك عُجب فتخسر وتخذل، وإياك أن تدل بعمل فإن الله له المَنّ وهو ولي الجزاء" [تاريخ الطبري ٣ / ٣٨٥]، وقال الحسن: "ليس بين العبد وبين ألا يكون فيه خير إلا أن يرى أن فيه خيرًا"، والعُجْب يؤدي إلى اتباع الهوى ونسيان الذنوب: فالمُعجب ينظر لنفسه بعين الرضا، ولا ينظر إليها بعين الاتهام والحذر، فإذا ما رضي الإنسان عن نفسه انقاد لما تحبه، وتدعو إليه، لذلك يقول ابن عطاء: "أصل كل معصية وغفلة وشهوة: الرضا بالنفس، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة: عدم الرضا منك عنها، ولأن تصحب جاهلًا لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالمًا يرضى عن نفسه. فأي علم لعالم يرضى عن نفسه ؟! وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه ؟!" [الحكم العطائية]، ومن خطورة العُجب أنه يوقع العبد فيما حذر منه يوسف بن الحسين للجنيد عندما قال له: "لا أذاقك الله طعم نفسك فإن ذقتها لا تفلح. وفي رواية: فإنك إن ذقتها لم تذق بعدها خيرًا أبدًا" [سير أعلام النبلاء ١٤ / ٢٤٩]، والعُجْب قد يؤدي إلى سوء الخاتمة والتعرض للحساب الدقيق يوم القيامة: قال تعالى: "تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا" [القصص: ٨٣]، وقال صلى الله عليه وسلم: "لا يدخلُ الجنَّةَ منّانٌ {الَّذي يَمُنُّ على النّاسِ في عَطائِهِ؛ بذِكْرِهِ لهم، وإظهارِهِ في النّاسِ}، ولا عاقٌّ، ولا مُدمنُ خمرٍ" [حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح النسائي ٥٦٨٨]، قال عمر: "من قال إنه عالم فهو جاهل، ومن قال إنه في الجنة فهو في النار"، وقال قتادة: "من أعطى مالًا، أو جمالًا، أو علمًا، أو ثيابًا ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالًا يوم القيامة" [إحياء علوم الدين ٣ / ٥٢٨]، والعُجْب يؤدي إلى نفور الناس من صاحبه: فالناس لا تحب من يُشعرها بنقصها، ويحدثها من علٍ. والناس لا تحب من يُكثر الافتخار بنفسه والمباهاة بإنجازاته.. لذلك قد ترى المُعجب بنفسه كثير

٧. يَبْغَضُ اللهُ مَنْ يبغضُ ذكرَهِ سبحانه وتعالى عزّ وجلَّ: فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قالَ: قالَ: رَسولُ اللهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: "علامةُ حبِّ اللهِ حبُّ ذِكرهِ، وعلامةُ بغضِ اللهِ بغضُ ذكرِهِ" [٥٤٧].

٨. يَبْغَضُ اللهُ مَنْ قَذَفَ {سبحانه وتعالى عزّ وجلَّ} بُغْضَهُ فِي قلوبِ الآدَمِيّينَ: فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قالَ: قالَ: رَسولُ اللهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: "إذا أحبَّ اللهُ عبدًا قَذَفَ حُبَّهُ في قلوبِ الملائِكَةِ، وإذا أبْغَضَ اللهُ عبْدًا قذَفَ بُغْضَهُ في قلُوبِ الملائكَةِ، ثُمَّ يقذفُهُ فِي قلوبِ الآدَمِيّينَ" [٥٤٨].

٩. أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ يُبْغِضُ الإشراكَ به، وقطيعةَ الرَّحِمِ، والأمرَ بالمنكرِ والنهيَ عن المعروفِ؛ فعن رجل من

المعارف لكنه قليل الأصحاب والأصدقاء. يقول مصطفي السباعي: "نصف الذكاء مع التواضع أحب إلى قلوب الناس وأنفع للمجتمع من ذكاء مع الغرور" [هكذا علمتني الحياة لمصطفي السباعي]، والعُجْب يؤدي إلى الكبر وعدم القدرة على قبول الحق ومن ثم الخسران المبين، فإعجاب المرء بنفسه ورؤيتها بعين التعظيم يؤدي إلى رؤية الآخرين بعين النقص، وشيئًا فشيئًا ينمو هذا التصور داخله حتى يصير به متكبرًا، فالكبر إذن ثمرة طبيعية من ثمرات العُجب، أما خطورته فتفوقه بكثير، يقول صلى الله عليه وسلم: "لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَن كانَ في قَلْبِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ مِن كِبْرٍ" [حديث صحيح: صحيح مسلم ٩١]، ويلخص الدبوسي في كتابه "الأمد الأقصى" خطورة العُجب وما يسببه من هلاك وخذلان فيقول: "دمار العُجب يشمل الدارين، فكان عملًا بلا جدوى، وما هو إلا عمل الحمقى. ولا نرى مُعجبا إلا ممقوتًا بين الناس، فكيف حاله مع ربه وهو مشرك بعجبه" [الأمد الأقصى ص ١٥٦ - دار الكتب العلمية - بيروت]، وقال ضرار بن مرة يقول إبليس: "إذا استمكنت من ابن آدم ثلاث أصبت منه حاجتي: إذا نسي ذنوبه، واستكثر عمله، وأعجب برأيه"، ويقول الماوردي: "إن العُجب سيئة تحبط كل حسنة، ومذمة تهدم كل فضيلة، مع ما يثيره من حنق، ويكسبه من حقد" [أدب الدنيا والدين ص ٢٣٢].

٥٤٧ حديث ضعيف؛ ضَعَّفَه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة ٣٨٧١؛ أخرجه الختلي في «المحبة لله» (٣٠)، والديلمي في «الفردوس» (٤١٤١) واللفظ لهما، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤١٠) باختلاف يسير.

٥٤٨ حديث ضعيف جداً؛ ضَعَّفَه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع ٢٩٨؛ أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧٧/٣).

ختعم: قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ! أيُّ الأعمالِ أَحَبُّ إلى اللهِ؟ قال: "الإيمانُ باللهِ" قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ! ثم مَهْ؟ قال: "ثم صِلَةُ الرَّحِمِ" قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ! ثم مَهْ؟ قال: "ثم الأمرُ بالمعروفِ، والنهيُ عن المنكرِ" قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ! أيُّ الأعمالِ أبغضُ إلى اللهِ؟ قال: "الإشراكُ باللهِ" قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ! ثم مَهْ؟ قال: "ثم قطيعةُ الرَّحِمِ" قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ! ثم مَه؟ قال: "ثم الأمرُ بالمنكرِ، والنهيُ عن المعروفِ" [٥٤٩].

١٠. أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ يُبْغِضُ المختالُ الفخورُ {وفي رواية: الفقيرُ المخْتالُ}، والبخيلُ المنّانُ، والتاجرُ أو البائعُ الحلّافُ؛ فعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، قال: "ثلاثةٌ يُحبُّهمُ اللهُ، وثلاثةٌ يَشنَؤُهمُ اللهُ: الرجُلُ يلْقى العَدُوَّ في فِئَةٍ فيَنصِبُ لهُمْ نَحْرَهُ حتى يُقتَلَ أو يُفتَحَ لأصحابِهِ؛ والقوْمُ يُسافِرُونَ فيَطولُ سَراهُمْ حتى يُحِبُّوا أنْ يَمسُّوا الأرْضَ فيَنزِلُونَ؛ فيَتنحّى أحدُهمْ فيُصلّي حتى يُوقِظَهُمْ لِرحيلِهِمْ، والرجُلُ يَكونُ لهُ الجارُ يُؤذِيهِ جارُهُ فيَصبِرُ على أذاهُ حتى يُفرِّقَ بينهُما موتٌ أو ظَعْنٌ، والّذينَ يَشنؤُهمُ اللهُ: التّاجِرُ الحلّافُ، والفقيرُ المخْتالُ؛ والبَخيلُ المنّانُ" [٥٥٠]، وفي رواية: "إنَّ اللهَ يحبُّ ثلاثةً، ويُبغِضُ ثلاثةً فذكر الحديث إلى أن قال: قلتُ: فمن الثلاثةُ الذين يُبغِضُهم اللهُ؟ قال: المختالُ الفخورُ وأنتم تجدونه في كتابِ اللهِ المنَزّلِ: إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ والبخيلُ المنّانُ، والتاجرُ أو البائعُ الحلّافُ" [٥٥١].

٥٤٩ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترغيب ٢٥٢٢؛ أخرجه أبو يعلى (٦٨٣٩)، وفي رواية: "أَحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ إيمانٌ باللهِ، ثم صِلَةُ الرَّحِمِ، ثم الأمرُ بالمعروفِ والنَّهيُ عن المنكرِ. وأبغضُ الأعمالِ إلى اللهِ الإشراكُ باللهِ ثم قطيعةُ الرَّحِمِ" [حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَه الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ١٦٦؛ أخرجه أبو يعلى (٦٨٣٩)].

٥٥٠ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع ٣٠٧٤؛ أخرجه أحمد (٢١٣٧٨)، والبزار (٣٩٠٨)، والطبراني (١٥٢/٢) (١٦٣٧) باختلاف يسير.

٥٥١ حديثٌ صحيحٌ: صَحَّحَهُ الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الترغيب ١٧٩١.

١١. أنَّ اللّٰهَ سبحـــانه وتـــعـــالى عـــزَّ وجـــلَّ يُبْغِضُ البذيءَ الفاجرَ السّائلَ الملحَ؛ قال رَسولُ اللّٰهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "لا يُؤمنُ عبدٌ حتّى يأمنَ جارُهُ بوائِقَهُ، ومنْ كان يُؤمنُ باللّٰهِ واليومِ الآخرِ؛ فلْيُكرِمْ ضَيفَهُ، ومنْ كان يُؤمنُ باللّٰهِ واليومِ الآخرِ فلْيقلْ خيرًا أو ليسكُتْ، إنَّ اللّٰهَ يحبُّ الغَنيَّ الحليمَ المُتَعففَ، ويبغضُ البذيءَ الفاجرَ السّائلَ الملحَ" [٥٥٢].

كانَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يُرَبِّي أصحابَه على الفَضائِلِ والبُعدِ عنِ الرَّذائِلِ، وكَثيرًا ما كانَ يُحَذِّرُهم مِن سَيِّئِ الصِّفاتِ وقَبيحِ الأعمالِ، وكانَ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ شَديدَ الحِرصِ على كُلِّ ما يُقَرِّبُهم مِنَ الآخِرةِ. وفي هذا الحَديثِ يَقولُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: إنَّ اللهَ يُحِبُّ ثَلاثةً، ويُبغِضُ ثَلاثةً"، ثَلاثةَ أصنافٍ مِنَ الناسِ، «فذَكَرَ الحديثَ»، وتَمامُه كما عِندَ الطَّبَرانيِّ وغَيرِه أنَّه ذَكَرَ الثَّلاثةَ الذين يُحِبُّهم اللهُ، وهمُ: «الرَّجُلُ يَلْقى العَدوَّ في فِئةٍ»، في جَماعةٍ مِن أصحابِه المُقاتِلينَ المُجاهِدينَ «فيَنصُبُ لهم نَحرَه»، كأنَّه يَفدي أصحابَه برَقَبَتِه ورُوحِه؛ فيَتقَدَّمُ لِلعَدوِّ «حتى يُقتَلَ أو يُفتَحَ لِأصحابِه»، والصِّنفُ الثاني: «والقَومُ يُسافِرونَ فيَطُولُ سُراهم»، وهو سَيرُهم باللَّيلِ، «حتى يُحِبُّوا أن يَمَسُّوا الأرضَ»؛ لِلرّاحةِ والنَّومِ «فيَنزِلونَ» عن دَوابِّهم «فيَتَنَحّى أحَدُهم» ويَأخُذُ جانِبًا لِنَفْسِه «فيُصَلِّي» وهم نيامٌ، كأنَّه يَحرُسُهم، «حتى يُوقِظَهم» في الصَّباحِ، أو بَعدَ نَومِهم «لِرَحيلِهم» وذَهابِهم مِن ذلك المَكانِ، والصِّنفُ الثالِثُ: «والرَّجُلُ يَكُونُ له الجارُ» السُّوءُ «يُؤذِيه جارُه فيَصبِرُ على أذاهُ حتى يُفَرِّقَ بَينَهما مَوتٌ أو ظَعْنٌ»، بمعنى: حتى يُفَرِّقَ اللهُ بَينَه وبَينَ جارِه السَّيِّئِ بمَوتِ أحَدِهما أو تَرْكِه لِلمَكانِ إلى مَكانٍ آخَرَ. «قُلتُ: فمَنِ الثَّلاثةُ الذين يُبغِضُهمُ اللهُ؟» وهمُ الذين يَكرَهُهمُ اللهُ، ومَن كَرِهَه يُعذِّبُه ويُحِلُّه دارَ الهَوانِ، وأوَّلُ الذين يُبغِضُهمُ اللهُ: «المُختالُ الفَخورُ»، وهو المُتكَبِّرُ المُتغَطرِسُ الذي يَتكَبَّرُ على الخَلقِ بلا داعٍ، ولا رادِعٍ، «وأنتم تَجِدونَه في كِتابِ اللهِ المُنَزَّلِ: {إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ} [لقمان: ١٨]، "والبَخيلُ المَنّانُ»، وهو الذي يَبخَلُ بمالِه، ولا يُنفِقُ منه -كما يُحِبُّ اللهُ- بالصَّدَقاتِ وعَمَلِ البِرِّ، وإذا أنفَقَ منه شَيئًا فإنَّه يَمُنُّ على الآخِذِ، «والتّاجِرُ أوِ البائِعُ الحَلّافُ»، الذي يُكثِرُ الحَلِفَ على سِلعَتِه وهو كاذِبٌ، ولَفظةُ (الحَلّافُ)، صِيغةُ مُبالَغةٍ؛ فأفادَ ذلك أنَّه اعتادَ هذا الأمرَ وأكْثَرَ منه في تِجارَتِه؛ لِيُنفِقَ سِلعَتَه بالأيْمانِ؛ فيَتَهاوَنُ بأيْمانِ اللهِ، ويُغرِّرُ المشتَريَ. وفي الحَديثِ: إثباتُ صِفَتَيِ الحُبِّ والبُغضِ للهِ عَزَّ وجَلَّ. وفيه: بَيانُ فَضيلةِ الإحسانِ إلى الجارِ، والصَّبرِ على أذاه. وفيه: بَيانُ فَضلِ الجِهادِ والتَّضحيةِ بالنَّفْسِ في سَبيلِ اللهِ. وفيه: تَحذيرٌ مِنَ الأخلاقِ السَّيِّئةِ، مِثلَ البُخلِ والكَذِبِ والحَلِفِ الكاذِبِ.

٥٥٢ حديثٌ صحيحٌ لغيره: قال عنه الشيخ الألْبانِيُّ: صحيح لغيره، فِي صحيح الترغيب ٨١٩.

أوْصى النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ أُمَّتَه بمَكارِمِ الأخلاقِ والبُعدِ عنِ الرَّذائلِ والسَّفاسفِ، ومِن ذلك ما جاءَ في

١٢. أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ يُبْغِضُ الغَيْرَةَ في غَيرِ الرِّيبةِ والاختيالَ في البغيِ والفخرِ؛ قال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "إنَّ مِن الغَيْرةِ ما يُحِبُّ اللهُ، ومنها ما يُبغِضُ اللهُ، ومِن الخُيَلاءِ ما يُحِبُّ اللهُ، ومنها ما يُبغِضُ اللهُ، فأمّا الغَيْرةُ التي يُحِبُّ اللهُ؛ فالغَيْرةُ في رِيبةٍ، وأمّا التي يُبغِضُ اللهُ، فالغَيْرةُ في غَيرِ الرِّيبةِ، وأمّا الخُيَلاءُ التي يُحِبُّ اللهُ أنْ يتَخَيَّلَ العَبدُ بنَفْسِه للهِ عِندَ القِتالِ، وأنْ يتَخَيَّلَ بالصَّدَقةِ" [٥٥٣]، وقال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "أنَّ من الغيرةِ ما يُحبّ اللهُ ومن الغِيْرةِ ما يُبغض

هذا الحديثِ؛ حَيثُ يَروِي أبو هُريرةَ رضِيَ اللهُ عنه: أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ قال: «لا يُؤمِنُ عَبْدٌ حتّى يأمَنَ جارُه بوائقَهُ»، البَوائقُ: جَمْعُ بائقةٍ، وهي الغائِلةُ، والدّاهيةُ، والفَتْكُ، والشُّرورُ، والمُرادُ: أنَّ المُؤمِنَ لا يَبلُغُ الإيمانَ الكاملَ حتّى يمنَعَ أذاهُ وضرَرَهُ عن جارِه، «ومَن كان يُؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ»، أي: مَن كان يُؤمِنُ باللهِ الَّذي خَلَقَهُ إيمانًا كامِلًا اعتقادًا وعملًا، وذلك بأنْ يَشهَدَ أنَّه لا إله إلّا اللهُ، وأنَّ محمدًا رسولُ اللهِ، ويلتزِمَ بأركانِ الإيمانِ ومجموعِ خِصالِه مِن القولِ والعَملِ، ويُؤمِنُ باليومِ الآخِرِ الَّذي إليهِ مَعادُه، وفيه مُجازاتُه بعَمَلِه، وذلك يَتضمَّنُ: الإيمانَ بوُقوعِه، وأنَّ اللهَ تعالى يَبعَثُ مَن في القُبورِ، والإيمانَ بما ذُكِرَ في اليومِ الآخِرِ من الحَوضِ والشَّفاعةِ، والصِّراطِ، والجنَّة والنارِ، وأنَّ الناسَ يُحشَرونَ يومَ القِيامة حُفاةً عُراةً غُرلًا وغير ذلك. والمقصودُ بهذه الصِّيغةِ: الحثُّ والإغراءُ على التزامِ الأمرِ أو النَّهيِ الآتِي في الحديثِ، وهو قولُه: «فلْيُكرِمْ ضَيفَه»، وإكرامُ الضَّيفِ يكونُ بطَلاقةِ الوجْهِ، وطِيبِ الكَلامِ، والإطعامِ ثَلاثةَ أيّامٍ، بما حَضرَهُ مِن غَيرِ تكلُّفٍ؛ لئلّا يُثقِلَ عليه وعلى نفْسِه، وبعدَ الثلاثةِ يُعَدُّ مِن الصَّدقةِ. «ومَن كان يُؤمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ، فلْيَقُلْ خيرًا أو لِيَسكُتْ»، يعني: إذا أراد أنْ يَتكلَّمَ فَلْيتفكَّرْ قَبلَ كلامِه؛ فإنْ علِمَ أنَّه لا يترتَّبُ عليه مَفسدةٌ، ولا يجُرُّ إلى مُحرَّمٍ ولا مَكروهٍ، فَلْيتكلَّمْ، وإنْ كان مُباحًا فالسَّلامةُ في السُّكوتِ؛ لئلّا يجُرَّ المباحُ إلى مُحرَّمٍ أو مكروهٍ. ثم قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: «إنَّ اللهَ يُحِبُّ الغَنيَّ»، والمُرادُ به غَنِيُّ النَّفْسِ، «الحَليمَ»، أي: العاقِلَ، «المُتعفِّفَ»، أي: الَّذي لا يَطلُبُ حَرامًا، ولا يَسأَلُ النّاسَ حاجتَهُ، «ويُبغِضُ البذيءَ الفاجرَ»، أي: الَّذي لا حَياءَ له، أو فاحِشَ القَولِ وبَذيءَ اللِّسانِ، «السّائلَ المُلِحَّ»، أي: الَّذي يُلِحُّ في سُؤالِه النّاسَ، سواءٌ أُعطِيَ أو لم يُعْطَ.

وفي الحديثِ: الحثُّ على إكرامِ الضَّيفِ، وعلى التعفُّفِ والحِلمِ. وفيه: التحذيرُ من الفُحشِ والبَذاءةِ. وفيه: إثباتُ صِفةِ المحبَّة والبغض للهِ تعالى.

٥٥٣ حديثٌ حسنٌ لغيره: قال عنه الشيخ شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره، في تخريج المسند ٢٣٧٤٧؛ أخرجه أبو داود (٢٦٥٩)، والنسائي (٢٥٥٨)، وأحمد (٢٣٧٤٧) واللفظ له.

اللهُ ومن الخُيلاءِ ما يحبُ اللهُ ومنها ما يُبغضُ اللهُ فأما الغيرةُ التي يحبُ اللهُ فالغيرةُ على الرّيبةِ. وأما الغِيرةُ التي يُبغضُ اللهُ فالغيرةُ في غيرِ الريبةِ" [554]، وفي رواية: "منَ الغَيرةِ ما يحبُّ اللَّهُ ومِنها ما يُبغِضُ اللَّهُ، فأمّا الَّتي يحبُّها اللَّهُ فالغيرةُ في الرِّيبةِ، وأمّا الغيرةُ الَّتي يُبغِضُها اللَّهُ فالغَيرةُ في غيرِ ريبةٍ، وإنَّ منَ الخُيَلاءِ ما يُبغضُ اللَّهُ، ومنها ما يحبُّ اللَّهُ، فأمّا الخيلاءُ الَّتي يحبُّ اللَّهُ فاختيالُ الرَّجلِ نفسَهُ عندَ القتالِ، واختيالُهُ عندَ الصَّدَقةِ، وأمّا الَّتي يبغضُ اللَّهُ فاختيالُهُ في البغيِ والفخرِ" [555].

١٣. أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ كَرِهَ خروج المنافقين للجهاد مع المسلمين؛ قال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ} [التوبة: ٤٦]، قال السعدي: "يقول تعالى مبينا

---

٥٥٤ حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَه الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي إرواء الغليل ١٩٩٩.

٥٥٥ حديثٌ حسنٌ: حَسَّنَه الشيخ الْأَلْبَانِيُّ فِي صحيح أبي داود ٢٦٥٩.

بيَّن النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ لنا كلَّ ما يُشكِل علينا في أحكامِ دِينِنا، وأوضَح لنا أنَّ بعضَ الأُمورِ يَختلِف حُكمُها باختلافِ الأحوالِ والظُّروفِ، ومِن ذلك: الغَيْرَةُ، والخُيلاءُ. وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: «مِنَ الغَيْرَةِ»، أي: الحَمِيَّةُ والأَنَفَةُ «ما يُحِبُّ اللهُ، ومِنها ما يُبغِضُ اللهُ»، أي: هي نوعان: فمنها الحَسَنُ الَّذي يُحِبُّه اللهُ، ومنها القَبِيح الَّذي يُبغِضُه اللهُ، «فأمّا الَّتي يُحِبُّها اللهُ فالغَيْرَةُ فِي الرِّيبَةِ»، أي: يَغارُ الرَّجُلُ إذا رأى مِن محارِمِه أو غيرِهم فِعلًا مُحرَّمًا، فيَنزعِجُ مِن ذلك، ويَمنَعُهم منه، «وأمّا الغَيْرَةُ الَّتي يُبغِضُها اللهُ فالغَيْرَةُ في غيرِ رِيبَةٍ» كأَنْ يَغارُ الرجلُ إذا رأى أُمَّه تزوَّجَتْ أو غيرَ ذلك ممّا هو حلال، فيَنزعِج مِن ذلك، ويُرِيدُ مَنْعَه، «وإنَّ مِن الخُيَلاءِ»، أي: التكبُّرِ والفَخْرِ «ما يُبغِضُ اللهُ، ومنها ما يُحِبُّ اللهُ»، أي: هي نوعان: مِنها الحَسَنُ الَّذي يُحِبُّه اللهُ، ومنها القَبِيحُ الَّذي يُبغِضُه اللهُ، «فأمّا الخُيَلاءُ الَّتي يُحِبُّ اللهُ فاختِيالُ الرَّجُلِ بنفسِه عندَ القِتالِ»، أي: التَّبختُرُ والزَّهوُ عندَ مُلاقاةِ العَدُوِّ لإغاظتِهم وإخافتِهم وتثبيطِهم، «واختيالُه عندَ الصَّدَقةِ»، أي: يَفرَحُ بما يُعْطِيهِ لِلفَقيرِ مِنَ الصَّدقاتِ، والخُيلاءُ في الصَّدَقةِ أنْ تَهزَّهُ الأَرْيَحِيَّةُ والسَّخاءُ فَيُعطِيها طَيِّبةً بِها نفْسُه، فَلا يَسْتكْثِرُ كثيرًا ولا يُعطِي مِنها شَيئًا إلّا وهو يَحْسَبُه قَليلًا، «وأمّا الَّتي يُبغِض اللهُ فاختيالُه في البَغْيِ»، أي: يمجِّد نفسَه بظُلمِه غيرَه بأخذِ مالِه وغيرِ ذلك، «والفَخْرُ»، أي: أن يَذكُرَ المرءُ مِن صفاتِه ونَسَبِه ومالِه ونحوِ ذلك لِمُجرَّدِ الفَخرِ أمامَ النّاسِ. {وفي الحَديثِ: تربيةٌ نبويَّةٌ عظيمةٌ بوضعِ الأُمورِ في نِصابِها، والتصرُّفِ في كلِّ موقفٍ بما يُلائِمُه}.

أن المتخلفين من المنافقين قد ظهر منهم من القرائن ما يبين أنهم ما قصدوا الخروج للجهاد بالكلية، وأن أعذارهم التي اعتذروها باطلة، فإن العذر هو المانع الذي يمنع إذا بذل العبد وسعه، وسعى في أسباب الخروج، ثم منعه مانع شرعي، فهذا الذي يعذر. {و} أما هؤلاء المنافقون فـ {لَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً} أي: لاستعدوا وعملوا ما يمكنهم من الأسباب، ولكن لما لم يعدوا له عدة، علم أنهم ما أرادوا الخروج. {وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ} معكم في الخروج للغزو {فَثَبَّطَهُمْ} قدرا وقضاء، وإن كان قد أمرهم وحثهم على الخروج، وجعلهم مقتدرين عليه، ولكن بحكمته ما أراد إعانتهم، بل خذلهم وثبطهم {وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ} من النساء والمعذورين".

١٤. أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى يَكْرَهُ مَن يكرِه لِقاءَهُ عزَّ وجلَّ؛ قال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "مَن أحَبَّ لِقاءَ اللَّهِ أحَبَّ اللَّهُ لِقاءَهُ، ومَن كَرِهَ لِقاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقاءَهُ" [556].

---

٥٥٦ حديثٌ صحيحٌ: متفق عليه؛ أخرجه البخاري (٦٥٠٨)، ومسلم (١٨ - ٢٦٨٦).

وفي رواية: "مَن أحَبَّ لِقاءَ اللَّهِ أحَبَّ اللَّهُ لِقاءَهُ، ومَن كَرِهَ لِقاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقاءَهُ. قالَتْ عائِشَةُ أوْ بَعْضُ أزْواجِهِ: إنّا لَنَكْرَهُ المَوْتَ، قالَ: ليسَ ذاكِ، ولَكِنَّ المُؤْمِنَ إذا حَضَرَهُ المَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوانِ اللَّهِ وكَرامَتِهِ، فليسَ شَيءٌ أحَبَّ إلَيْهِ ممّا أمامَهُ؛ فأحَبَّ لِقاءَ اللَّهِ، وأَحَبَّ اللَّهُ لِقاءَهُ، وإنَّ الكافِرَ إذا حُضِرَ بُشِّرَ بعَذابِ اللَّهِ وعُقُوبَتِهِ، فليسَ شَيءٌ أكْرَهَ إلَيْهِ ممّا أمامَهُ؛ كَرِهَ لِقاءَ اللَّهِ، وكَرِهَ اللَّهُ لِقاءَهُ" [حديثٌ صحيحٌ: صحيح البخاري ٦٥٠٧].

لا شكَّ أنَّ الدُّنيا دارُ فَناءٍ، وأنَّ الآخرةَ هي دارُ البقاءِ، وأنَّنا في الدُّنيا كعابرِ سبيلٍ، وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: «مَنْ أحبَّ لقاءَ اللهِ أحبَّ اللهُ لقاءَه، ومَن كرِهَ لقاءَ اللهِ كرِهَ اللهُ لِقاءَه»، ومحبَّةُ اللِّقاءِ هي إيثارُ العبدِ الآخرةَ على الدُّنيا، وعدمُ حُبِّ طولِ القيامِ في الدُّنيا، والاستعدادُ لِلارتحالِ عنها، والمرادُ بِاللِّقاءِ: المصيرُ إلى الدّارِ الآخرةِ وطلَبُ ما عند اللهِ وليس الغرضُ به الموتَ؛ لأنَّ كُلًّا يكرُهه فمَنْ تركَ الدُّنيا وأبغضَها أحبَّ لقاءَ اللهِ، ومَنْ آثَرها وركَنَ إليها كَرِهَ لقاءَ اللهِ، وقدِ استشكلتْ أُمُّ المؤمنينَ عائشةُ رضِي اللهُ عنها قولَ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: «مَنْ أحبَّ لقاءَ اللهِ»؛ لأنَّ الموتَ لا يُحبُّه أحدٌ بِطبيعةِ خِلقةِ النّاسِ وما جُبِلوا عليه، فبيَّن لها صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ أنَّ المقصودَ ليسَ ذلك، بَلِ المقصودُ أنَّ المؤمنَ إذا جاءَه الموتُ فإنَّه يرى البُشرى مِنَ اللهِ سبحانه وتعالى لِما ينتظرُه عنده مِن حُسنِ الجزاءِ، فلا يكونُ شيءٌ أحبَّ إليه مِن ذلك، فأحبَّ لِقاءَ اللهِ وأحبَّ اللهُ لقاءَه، وأمّا الكافرُ فإنَّه إذا جاءَه الموتُ يرى ما وعدَه ربُّه مِنَ العذابِ والنَّكالِ

١٥. أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ يَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ؛ قال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العُطاسَ، ويَكْرَهُ التَّثاؤُبَ، فإذا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ، فَحَقٌّ على كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أنْ يُشَمِّتَهُ، وأَمّا التَّثاؤُبُ: فإنَّما هو مِنَ الشَّيْطانِ، فَلْيَرُدَّهُ ما اسْتَطاعَ، فإذا قالَ: ها، ضَحِكَ منه الشَّيْطانُ" [٥٥٧].

حقًّا أمامَ عينَيْه، فلا يكونُ شيءٌ أكرَهَ إليه مِن ذلك، فكرِهَ لقاءَ اللهِ وكرهَ اللهُ لِقاءَه. {وفي الحديثِ: أنَّ المجازاةَ مِن جِنسِ العملِ؛ فإنَّه قابَلَ المحبَّةَ بِالمحبَّةِ والكراهةَ بِالكراهةِ}.

وفي رواية: عن أبي هريرة: "مَن أَحَبَّ لِقاءَ اللهِ، أَحَبَّ اللَّهُ لِقاءَهُ، وَمَن كَرِهَ لِقاءَ اللهِ، كَرِهَ اللَّهُ لِقاءَهُ. قالَ: فأتَيْتُ عائِشَةَ، فَقُلْتُ: يا أُمَّ المُؤْمِنِينَ، سَمِعْتُ أَبا هُرَيْرَةَ يَذْكُرُ عن رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ حَدِيثًا إنْ كانَ كَذلكَ، فقَدْ هَلَكْنا، فَقالَتْ: إنَّ الهالِكَ مَن هَلَكَ بقَوْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، وَما ذاكَ؟ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: مَن أَحَبَّ لِقاءَ اللهِ، أَحَبَّ اللَّهُ لِقاءَهُ، وَمَن كَرِهَ لِقاءَ اللهِ، كَرِهَ اللَّهُ لِقاءَهُ، وَليسَ مِنّا أَحَدٌ إلّا وَهو يَكْرَهُ المَوْتَ، فَقالَتْ: قدْ قالَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، وَليسَ بالَّذِي تَذْهَبُ إلَيْهِ، وَلَكِنْ إذا شَخَصَ البَصَرُ، وَحَشْرَجَ الصَّدْرُ، واقْشَعَرَّ الجِلْدُ، وَتَشَنَّجَتِ الأصابِعُ، فَعِنْدَ ذلكَ مَن أَحَبَّ لِقاءَ اللهِ، أَحَبَّ اللَّهُ لِقاءَهُ، وَمَن كَرِهَ لِقاءَ اللهِ، كَرِهَ اللَّهُ لِقاءَهُ" [حديثٌ صحيحٌ: صحيح مسلم ١٧ - ٢٦٨٥]:

عِندَ الموتِ يَتلقّى المؤمنُ البِشارةَ مِنَ اللهِ بالجنَّةِ، ويَجِدُ الكافرُ ما تَوعَّده اللهُ بهِ منَ العَذابِ. وفي هَذا الحديثِ: أنَّه عندَ الخاتمةِ وحُضورِ الموتِ وكَشْفِ الغِطاءِ، فأَهلُ السَّعادةِ، يُبشِّرهم اللهُ سُبحانَه وتَعالى، بِما لَهم بَعدَ الموتِ، فيُحبُّونَ لِقاءَه. وأمّا أَهلُ الشَّقاوةِ قَد كُشِفَ لَهم عنْ حالِهم فكرِهوا الوُرودَ عَلى رَبِّهم لِما تَيقَّنوه مِن تَعذيبِه لَهم، واللهُ تَعالى قدْ أَبعدَهم عَنه، وَهُو مَعنى كَراهَتِه لِقاءَهم. أمّا قَولُه: (شَخَصَ البَصرُ)، أي: ارتفاعُ الأَجفانِ إلى فَوقُ، وَ(حَشْرَجَ الصَّدرُ)، أي: تَردَّد النَّفَسُ في الصُّدورِ، و(اقْشَعَرَّ الجلدُ)، أي: قامَ شَعَرُه، وتَشَنَّجتِ الأَصابعُ، أي: تَقبَّضتْ، وهَذه الأُمورُ هِي حالةُ المُحتَضَرِ.

٥٥٧ حديثٌ صحيحٌ: صحيح البخاري ٦٢٢٣.

في هذا الحديثِ يُخبرُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ أنَّ اللهَ يُحبُّ العُطاسَ ويَكره التَّثاؤُبَ؛ والسَّببُ في ذلك أنَّ العُطاسَ يدلُّ على النَّشاطِ والخفَّةِ؛ ولهذا تجدُ الإنسانَ إذا عطَسَ نَشِطَ، واللهُ سبحانه وتعالى يُحبُّ الإنسانَ النَّشيطَ الجادَّ، والتَّثاؤبُ إنَّما يَكونُ مع ثِقلِ البدنِ وامتلائِه وعند استرخائه لِلنَّومِ ومَيلِه إلى الكسلِ؛ ولأجلِ ذلك المعنى صار العُطاسُ محمودًا يُحبُّه اللهُ، والتَّثاؤبُ مذمومًا يكرهُه اللهُ تعالى؛ لأنَّ العُطاسَ يُعينُ على الطّاعاتِ، والتثاؤبَ يُثبِّطُ عَن الخَيراتِ وقضاءِ الواجباتِ. ثم أخبَر صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ أنَّ مِن حقوقِ المسلِمِ على المسلِمِ أنَّه إذا عَطَسَ أنْ يُشمِّتَه، وتَشميتُ العاطسِ أنْ يقولَ له: يَرحمُكَ اللهُ، أمّا التَّثاؤبُ فينبغي على

١٦. أنَّ اللّٰهَ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ يَكْرَهُ قيلَ وقالَ وكثرةَ السُّؤالِ وإضاعةَ المالِ؛ قال رَسولُ اللّٰهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "إنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلاثًا: قيلَ وَقالَ، وإضاعَةَ المالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤالِ" ٥٥٨.

المسلمِ أنْ يَكظِمَه ويَرُدَّه ما استطاع؛ لأنَّه إذا قال ها يَعني فَعلَ التَّثاؤبَ وفتَحَ فمَه به ضَحِك الشَّيطانُ منه؛ لأنَّهُ نالَ مقصودَه ورأى ثمرةَ تحريضِه على كثرةِ الأكْلِ والكسلِ.

٥٥٨ حديثٌ صحيحٌ: متفق عليه؛ صحيح البخاري ١٤٧٧، صحيح مسلم ١٢ - ٥٩٣.

كان النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يَأمُرُ بمَكارمِ الأخلاقِ ويُحذِّرُ ويَنْهى عن سَيِّئِها. وفي هذا الحديثِ أنَّ مُعاوِيةَ بنَ أبي سُفيانَ رَضيَ اللّٰهُ عنه كَتَبَ إلى المُغيرةِ بنِ شُعبةَ رَضيَ اللّٰهُ عنه بأنْ يَكتُبَ له شَيئًا سَمِعَه مِن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، فكَتَبَ له المُغيرةُ هذا الحديثَ، والذي يُبيِّنُ فيه النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ أنَّ اللّٰهَ سُبحانه وتعالى كَرِه لعِبادِه الوقوعَ في ثَلاثةِ أشياءَ: أوَّلُها: «قيل وقال»، أي: الإكثارُ مِن الكلامِ بلا ضَرورةٍ، أو حِكايةِ شَيءٍ لا يَعلَمُ صِحَّتَه، أو الكلامُ فيما يضُرُّ ولا يَنفَعُ. وثانيها: «إضاعةُ المالِ»، ومعناه: الإسرافُ فيه، ووَضْعُه في غيرِ مَوضعِه، وصَرْفُه في غَيرِ وُجوهِه الشَّرعيَّةِ، بإنفاقِهِ في المَعاصي. وثالثها: «كثرةُ السُّؤالِ»، أي: كَثرةُ سُؤالِ النّاسِ أموالَهُم مِن غيرِ حاجةٍ، أو كَثرةُ السُّؤالِ في العِلمِ عمّا في الدُّنيا أو الآخِرةِ، بالسُّؤالِ عن المُشكِلاتِ التي تُعبِّدْنا بظاهِرِها، أو عمّا لا حاجةَ للسّائلِ به، أو كَثرةُ سُؤالِ الناسِ عن أحوالِهم حتى يُوقِعَهم في الحرَجِ. {وفي الحديثِ: طَلَبُ كِتابةِ العِلمِ، والجوابُ عنه، وأخْذُ بَعضِ الصَّحابةِ عن بَعضٍ. وفيه: دَليلٌ على فَضْلِ الكَفافِ على الفقْرِ والغِنى؛ لأنَّ ضَياعَ المالِ يُؤدِّي إلى الفِتنةِ بالفقرِ وكَثْرةِ السُّؤالِ، وربَّما خُشِيَ مِن الغِنى الفِتنةُ}.

وفي رواية: "إنَّ اللَّهَ يَرْضى لَكُمْ ثَلاثًا، ويَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاثًا، فَيَرْضى لَكُمْ: أنْ تَعْبُدُوهُ، ولا تُشْرِكُوا به شيئًا، وأَنْ تَعْتَصِمُوا بحَبْلِ اللّٰهِ جَمِيعًا ولا تَفَرَّقُوا، ويَكْرَهُ لَكُمْ: قيلَ وقالَ، وكَثْرَةَ السُّؤالِ، وإضاعَةِ المالِ. وفي رواية: مِثْلَهُ، غيرَ أنَّه قالَ: ويَسْخَطُ لَكُمْ ثَلاثًا، ولَمْ يَذْكُرْ: ولا تَفَرَّقُوا". [حديثٌ صحيحٌ: صحيح مسلم ١٧١٥].

يُبيّن النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ أنَّ اللّٰهَ سبحانه وتعالى يَرضى لعبادِه ثلاثًا، ويَكره (وقيل: يَسخط) لهم ثلاثًا. فيَرضى لهم: أن يَعبُدوه ولا يُشرِكوا به شيئًا، لا شِركًا أكبرَ ولا شِركًا أصغَر. وأنْ يَعتصِموا بِحَبْلِ اللّٰه جميعًا ولا يَتفرَّقوا، وهو التمسُّكُ بكتابِه والاتّباعِ له وعَدَمُ الاختِلافِ. ويَكرَهُ لهم: قِيلَ وقالَ، وهو فُضولُ ما يَتحدَّث به المُجالِسون مِن قولِهم: قِيلَ كذا، وقالَ كذا؛ فإنَّ ذلك مِن دَواعِي الكَذِبِ وعدمِ التثبُّتِ واعتِقادِ غيرِ الحقِّ، ومِن أسبابِ وُقوعِ الفِتَنِ وتَنافُرِ القُلوبِ، ومِن الاشتِغالِ بالأُمورِ الضّارَّةِ عن الأُمورِ النّافِعة، وقَلَّ أن يَسْلَمَ أحدٌ مِن شيءٍ من ذلك. وكثرةَ السُّؤالِ لِلنّاسِ أموالَهم، أو المَسائِلَ العِلميَّة الَّتي لا حاجَةَ إليها ولا تعني الإنسانَ. وإضاعةَ المالِ، أي: إنفاقَه فيما لا يَحِلُّ والإسرافَ فيه، أو بِتَرْكِ حِفْظِه حتّى يَضِيعَ.

١٧. أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ يَكْرَهُ العُسرَ؛ قال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "إنَّ اللهَ تعالى رَضِيَ لهذه الأمةِ اليُسرَ، وكرِه لها العُسرَ" [559].

١٨. أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ يَكْرَهُ العَبثَ في الصَّلاةِ، والرَّفَثَ في الصِّيامِ، والضَّحِكَ عندَ المقابرِ، اللَّغوَ عِندَ القرآنِ، ورفْعَ الصَّوتِ في الدُّعاءِ، والتَّخصُّرَ في الصَّلاةِ، والْمَنَّ في الصدقَةِ، ودخولَ المساجِدِ وأنتم جنُبٌ، وإدخالُ العيونِ البيوتَ بغيرِ إذْنٍ؛ قال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "إنَّ اللَّهَ تعالى كَرِهَ لَكُمُ العَبثَ في الصَّلاةِ، والرَّفَثَ في الصِّيامِ، والضَّحِكَ عندَ المقابرِ" [560]، وقال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "إنَّ اللَّهَ كرِهَ لَكُمْ ثلاثًا: اللَّغوَ عِندَ القرآنِ، ورفْعَ الصَّوتِ في الدُّعاءِ، والتَّخصُّرَ في الصَّلاةِ" [561]، وقال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "إنَّ اللهَ تعالى كرِه لكم ستًّا: العبَثَ في الصلاةِ، والْمَنَّ في الصدقَةِ، والرفَثَ في الصيامِ، والضحِكَ عندَ القبورِ، ودخولَ المساجِدِ وأنتم جنُبٌ، وإدخالُ العيونِ البيوتَ بغيرِ إذْنٍ" [562].

في الحديثِ: إثباتُ الرِّضا للهِ عزَّ وجلَّ كما يَليقُ به.

وفيه: إثباتُ الكُرْهِ للهِ عزَّ وجلَّ كما يَلِيقُ به.

وفيه: إثباتُ السَّخَطِ للهِ عزَّ وجلَّ كما يَلِيقُ به.

وفيه: الحثُّ على الجماعةِ، والأمرُ بلزومِها. وفيه: تَرْكُ الخَوْضِ في أخبارِ النّاسِ وتَتبُّعِ أحوالِهم وحِكايةِ أقوالِهم وأفعالِهم. وفيه: الحثُّ على الحِفاظِ على المالِ وعدمِ الإسرافِ فيه.

٥٥٩ حديثٌ صحيحٌ؛ صَحَّحَهُ الشيخ الألباني في صحيح الجامع ١٧٦٩. وفي رواية: "إنَّ اللهَ رضيَ لهذه الأُمَّةِ اليُسْرَ، وكرِهَ لهم العُسْرَ، قالها ثلاثَ مراتٍ، وإنَّ هذا أخذ بالعُسْرِ، وترك اليُسْرَ" [إسناده صحيح رجاله ثقات أخرجه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ١٦٣٥].

٥٦٠ حديثٌ ضعيفٌ؛ ضَعَّفَهُ الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة ٣٠٧٩.

٥٦١ حديثٌ ضعيفٌ؛ ضَعَّفَهُ الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة ٣٠٧٨. وفي رواية: "إنَّ اللهَ تعالى كرِه لكم ثلاثًا: اللغوُ عندَ القرآنِ، ورفْعُ الصوتِ في الدعاءِ، والتخصُّرُ في الصلاةِ" [حديثٌ ضعيفٌ؛ ضَعَّفَهُ الشيخ الألباني في ضعيف الجامع ١٦٣٠].

٥٦٢ حديثٌ ضعيفٌ؛ ضَعَّفَهُ الشيخ الألباني في ضعيف الجامع ١٦٣١.

١٩. أنَّ اللّٰهَ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ يَكْرَهُ البيانَ؛ قال رَسولُ اللّٰهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللّٰهَ كرِهِ لكم البيانَ كلَّ البيانِ" [٥٦٣].

٢٠. أنَّ اللّٰهَ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ؛ قال اللّٰه سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ} [آل عمران: ٣٢]، قال السعدي: "وهذا أمر من اللّٰه تعالى لعباده بأعم الأوامر، وهو طاعته وطاعة رسوله التي يدخل بها الإيمان والتوحيد، وما هو من فروع ذلك من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة، بل يدخل في طاعته وطاعة رسوله اجتناب ما نهى عنه، لأن اجتنابه امتثالا لأمر اللّٰه هو من طاعته، فمن أطاع اللّٰه ورسوله، فأولئك هم المفلحون {فإن تولوا} أي: أعرضوا عن طاعة اللّٰه ورسوله فليس ثم أمر يرجعون إليه إلا الكفر وطاعة كل شيطان مريد {كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير} فلهذا قال: {فإن تولوا فإن اللّٰه لا يحب الكافرين} بل يبغضهم ويمقتهم ويعاقبهم أشد العقوبة، وكأن في هذه الآية الكريمة بيانا وتفسيرا لاتباع رسوله، وأن ذلك بطاعة اللّٰه وطاعة رسوله، هذا هو الاتباع الحقيقي"، وقال اللّٰه سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ} [البقرة: ٢٧٦]، قال السعدي: "ثم قال تعالى: {يمحق اللّٰه الربا} أي: يذهبه ويذهب بركته ذاتا ووصفا، فيكون سببا لوقوع الآفات فيه ونزع البركة عنه، وإن أنفق منه لم يؤجر عليه بل يكون زادا له إلى النار {ويربي الصدقات} أي: ينميها وينزل البركة في المال الذي أخرجت منه وينمي أجر صاحبها وهذا لأن الجزاء من جنس العمل، فإن المرابي قد ظلم الناس وأخذ أموالهم على وجه غير شرعي، فجوزي بذهاب ماله، والمحسن إليهم بأنواع الإحسان ربه أكرم منه، فيحسن عليه كما أحسن على عباده

---

٥٦٣ حديثٌ ضعيفٌ؛ ضَعَّفَهُ الشيخ الألباني في ضعيف الجامع ١٦٢٩. وفي رواية: "إنَّ اللّٰهَ عزَّ وجلَّ كَرِهَ لكمُ البيانَ، كلَّ البيانِ" [حديثٌ ضعيفٌ؛ ضَعَّفَهُ الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة ٧٠٨٧].

{والله لا يحب كل كفار} لنعم الله، لا يؤدي ما أوجب عليه من الصدقات، ولا يسلم منه ومن شره عباد الله {أثيم} أي: قد فعل ما هو سبب لإثمه وعقوبته"، وقال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ} [الروم: ٤٥]، قال السعدي: "جزاؤهم ليس مقصورا على أعمالهم بل يجزيهم الله من فضله الممدود وكرمه غير المحدود ما لا تبلغه أعمالهم. وذلك لأنه أحبهم وإذا أحب الله عبدا صب عليه الإحسان صبا، وأجزل له العطايا الفاخرة وأنعم عليه بالنعم الظاهرة والباطنة. وهذا بخلاف الكافرين فإن الله لما أبغضهم ومقتهم عاقبهم وعذبهم ولم يزدهم كما زاد من قبلهم فلهذا قال: {إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ}".

٢١. أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ؛ قال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} [آل عمران: ٥٧]، قال السعدي: "{وأما الذين آمنوا} بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت وغير ذلك مما أمر الله بالإيمان به {وعملوا الصالحات} القلبية والقولية والبدنية التي جاءت بشرعها المرسلون، وقصدوا بها رضا رب العالمين {فيوفيهم أجورهم} دل ذلك على أنه يحصل لهم في الدنيا ثواب لأعمالهم من الإكرام والإعزاز والنصر والحياة الطيبة، وإنما توفية الأجور يوم القيامة، يجدون ما قدموه من الخيرات محضرا موفرا، فيعطي منهم كل عامل أجر عمله ويزيدهم من فضله وكرمه {والله لا يحب الظالمين} بل يبغضهم ويحل عليهم سخطه وعذابه"، وقال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} [آل عمران: ١٤٠]، قال السعدي: "ثم سلَّاهم بما حصل لهم من الهزيمة، وبيَّن الحكم العظيمة المترتبة على ذلك، فقال: {إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله} فأنتم وإياهم قد تساويتم في القرح، ولكنكم ترجون من الله ما لا يرجون كما قال

تعالى: {إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجو} ومن الحكم في ذلك أن هذه الدار يعطي الله منها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، فيداول الله الأيام بين الناس، يوم لهذه الطائفة، ويوم للطائفة الأخرى؛ لأن هذه الدار الدنيا منقضية فانية، وهذا بخلاف الدار الآخرة، فإنها خالصة للذين آمنوا. {وليعلم الله الذين آمنوا} هذا أيضا من الحكم أنه يبتلي الله عباده بالهزيمة والابتلاء، ليتبين المؤمن من المنافق؛ لأنه لو استمر النصر للمؤمنين في جميع الوقائع لدخل في الإسلام من لا يريده، فإذا حصل في بعض الوقائع بعض أنواع الابتلاء، تبين المؤمن حقيقة الذي يرغب في الإسلام، في الضراء والسراء، واليسر والعسر، ممن ليس كذلك. {ويتخذ منكم شهداء} وهذا أيضا من بعض الحكم، لأن الشهادة عند الله من أرفع المنازل، ولا سبيل لنيلها إلا بما يحصل من وجود أسبابها، فهذا من رحمته بعباده المؤمنين، أن قيَّض لهم من الأسباب ما تكرهه النفوس، لينيلهم ما يحبون من المنازل العالية والنعيم المقيم، {والله لا يحب الظالمين} الذين ظلموا أنفسهم، وتقاعدوا عن القتال في سبيله، وكأن في هذا تعريضا بذم المنافقين، وأنهم مبغضون لله، ولهذا ثبطهم عن القتال في سبيله. {ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين}"، وقال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} [الشورى: ٤٠]، قال السعدي: "ذكر الله في هذه الآية، مراتب العقوبات، وأنها على ثلاث مراتب: عدل وفضل وظلم. فمرتبة العدل، جزاء السيئة بسيئة مثلها، لا زيادة ولا نقص، فالنفس بالنفس، وكل جارحة بالجارحة المماثلة لها، والمال يضمن بمثله. ومرتبة الفضل: العفو والإصلاح عن المسيء، ولهذا قال: {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} يجزيه أجرا عظيما، وثوابا كثيرا، وشرط الله في العفو الإصلاح فيه، ليدل ذلك على أنه إذا كان الجاني لا يليق العفو عنه، وكانت المصلحة الشرعية تقتضي عقوبته، فإنه في هذه الحال لا يكون

مأمورا به. وفي جعل أجر العافي على الله ما يهيج على العفو، وأن يعامل العبد الخلق بما يحب أن يعامله الله به، فكما يحب أن يعفو الله عنه، فَلْيَعْفُ عنهم، وكما يحب أن يسامحه الله، فليسامحهم، فإن الجزاء من جنس العمل. وأما مرتبة الظلم فقد ذكرها بقوله: {إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} الذين يجنون على غيرهم ابتداء، أو يقابلون الجاني بأكثر من جنايته، فالزيادة ظلم".

٢٢. أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ {والنهي يشمل أنواع الاعتداء كلها: ((مِن قتل مَن لا يقاتل [من النساء، والمجانين والأطفال، والرهبان ونحوهم والتمثيل بالقتلى، وقتل الحيوانات، وقطع الأشجار ونحوها]، لغير مصلحة تعود للمسلمين. ومقاتلة من تقبل منهم الجزية إذا بذلوها))، و((القول على الله الكذب، وكفر النعمة، واعتقاد الحلال الطيب حراما خبيثا))، و((سؤال الله مسائل لا تصلح، أو التنطع في السؤال، أو المبالغة في رفع الصوت بالدعاء))}؛ قال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} [البقرة: ١٩٠]، قال السعدي: "هذه الآيات، تتضمن الأمر بالقتال في سبيل الله، وهذا كان بعد الهجرة إلى المدينة، لما قوي المسلمون للقتال، أمرهم الله به، بعد ما كانوا مأمورين بكف أيديهم، وفي تخصيص القتال {فِي سَبِيلِ اللَّهِ} حث على الإخلاص، ونهي عن الاقتتال في الفتن بين المسلمين. {الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ} أي: الذين هم مستعدون لقتالكم، وهم المكلفون الرجال، غير الشيوخ الذين لا رأي لهم ولا قتال. والنهي عن الاعتداء، يشمل أنواع الاعتداء كلها، من قتل من لا يقاتل، من النساء، والمجانين والأطفال، والرهبان ونحوهم والتمثيل بالقتلى، وقتل الحيوانات، وقطع الأشجار [ونحوها]، لغير مصلحة تعود للمسلمين. ومن الاعتداء، مقاتلة من تقبل منهم الجزية إذا بذلوها، فإن ذلك لا يجوز"، وقال الله سبحـــانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

الْمُعْتَدِينَ} [المائدة: ٨٧]، قال السعدي: "يقول تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ} من المطاعم والمشارب، فإنها نعم أنعم الله بها عليكم، فاحمدوه إذ أحلها لكم، واشكروه ولا تردوا نعمته بكفرها أو عدم قبولها، أو اعتقاد تحريمها، فتجمعون بذلك بين القول على الله الكذب، وكفر النعمة، واعتقاد الحلال الطيب حراما خبيثا، فإن هذا من الاعتداء. والله قد نهى عن الاعتداء فقال: {وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} بل يبغضهم ويمقتهم ويعاقبهم على ذلك"، وقال الله سبحـــــانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} [الأعراف: ٥٥]، قال السعدي: "الدعاء يدخل فيه دعاء المسألة، ودعاء العبادة، فأمر بدعائه {تَضَرُّعًا} أي: إلحاحا في المسألة، ودُءُوبا في العبادة، {وَخُفْيَةً} أي: لا جهرا وعلانية، يخاف منه الرياء، بل خفية وإخلاصا لله تعالى. {إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} أي: المتجاوزين للحد في كل الأمور، ومن الاعتداء كون العبد يسأل الله مسائل لا تصلح له، أو يتنطع في السؤال، أو يبالغ في رفع صوته بالدعاء، فكل هذا داخل في الاعتداء المنهي عنه".

٢٣. أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ {الْفَسَادَ: العمل في المعاصي، والدعوة إلى الباطل، والتعويق عن الدخول في الإسلام، والتكبر، والاشتغال بالنعم عن المنعم}؛ قال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ} [البقرة: ٢٠٥]، قال السعدي: "{وَإِذَا تَوَلَّى} هذا الذي يعجبك قوله إذا حضر عندك {سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا} أي: يجتهد على أعمال المعاصي، التي هي إفساد في الأرض {وَيُهْلِكَ} بسبب ذلك {الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ} فالزروع والثمار والمواشي، تتلف وتنقص، وتقل بركتها، بسبب العمل في المعاصي، {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ} وإذا كان لا يحب الفساد، فهو يبغض العبد المفسد في الأرض، غاية البغض، وإن قال بلسانه قولا حسنا. ففي هذه الآية دليل

على أن الأقوال التي تصدر من الأشخاص، ليست دليلا على صدق ولا كذب، ولا بر ولا فجور حتى يوجد العمل المصدق لها، المزكي لها وأنه ينبغي اختبار أحوال الشهود، والمحق والمبطل من الناس، بسبر أعمالهم، والنظر لقرائن أحوالهم، وأن لا يغتر بتمويههم وتزكيتهم أنفسهم"، وقال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [المائدة: ٦٤]، قال السعدي: "يخبر تعالى عن مقالة اليهود الشنيعة، وعقيدتهم الفظيعة، فقال: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ} أي: عن الخير والإحسان والبر. {غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُواْ} وهذا دعاء عليهم بجنس مقالتهم. فإن كلامهم متضمن لوصف الله الكريم، بالبخل وعدم الإحسان. فجازاهم بأن كان هذا الوصف منطبقا عليهم. فكانوا أبخل الناس وأقلهم إحسانا، وأسوأهم ظنا بالله، وأبعدهم الله عن رحمته التي وسعت كل شيء، وملأت أقطار العالم العلوي والسفلي. ولهذا قال: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} لا حجر عليه، ولا مانع يمنعه مما أراد، فإنه تعالى قد بسط فضله وإحسانه الديني والدنيوي، وأمر العباد أن يتعرضوا لنفحات جوده، وأن لا يسدوا على أنفسهم أبواب إحسانه بمعاصيهم. فيداه سحاء الليل والنهار، وخيره في جميع الأوقات مدرارا، يفرج كربا، ويزيل غما، ويغني فقيرا، ويفك أسيرا ويجبر كسيرا، ويجيب سائلا، ويعطي فقيرا عائلا، ويجيب المضطرين، ويستجيب للسائلين. وينعم على من لم يسأله، ويعافي من طلب العافية، ولا يحرم من خيره عاصيا، بل خيره يرتع فيه البر والفاجر، ويجود على أوليائه بالتوفيق لصالح الأعمال ثم يحمدهم عليها، ويضيفها إليهم، وهي من جوده ويثيبهم عليها من الثواب العاجل والآجل ما لا يدركه الوصف، ولا يخطر على بال العبد، ويلطف بهم في جميع أمورهم، ويوصل إليهم من الإحسان،

ويدفع عنهم من النقم ما لا يشعرون بكثير منه، فسبحان من كل النعم التي بالعباد فمنه، وإليه يجأرون في دفع المكاره، وتبارك من لا يحصي أحد ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وتعالى من لا يخلو العباد من كرمه طرفة عين، بل لا وجود لهم ولا بقاء إلا بجوده. وقبّح الله من استغنى بجهله عن ربه، ونسبه إلى ما لا يليق بجلاله، بل لو عامل الله اليهود القائلين تلك المقالة، ونحوهم ممن حاله كحالهم ببعض قولهم، لهلكوا، وشقوا في دنياهم، ولكنهم يقولون تلك الأقوال، وهو تعالى، يحلم عنهم، ويصفح، ويمهلهم ولا يهملهم. وقوله {وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًاۚ} وهذا أعظم العقوبات على العبد، أن يكون الذكر الذي أنزله الله على رسوله، الذي فيه حياة القلب والروح، وسعادة الدنيا والآخرة، وفلاح الدارين، الذي هو أكبر منة امتن الله بها على عباده، توجب عليهم المبادرة إلى قبولها، والاستسلام لله بها، وشكرا لله عليها، أن تكون لمثل هذا زيادة غي إلى غيه، وطغيان إلى طغيانه، وكفر إلى كفره، وذلك بسبب إعراضه عنها، ورده لها، ومعاندته إياها، ومعارضته لها بالشبه الباطلة. {وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} فلا يتآلفون، ولا يتناصرون، ولا يتفقون على حالة فيها مصلحتهم، بل لم يزالوا متباغضين في قلوبهم، متعادين بأفعالهم، إلى يوم القيامة {كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ} ليكيدوا بها الإسلام وأهله، وأبدوا وأعادوا، وأجلبوا بخيلهم ورجلهم {أَطْفَأَهَا اللَّهُ} بخذلانهم وتفرق جنودهم، وانتصار المسلمين عليهم. {وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًاۚ} أي: يجتهدون ويجدون، ولكن بالفساد في الأرض، بعمل المعاصي، والدعوة إلى دينهم الباطل، والتعويق عن الدخول في الإسلام. {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} بل يبغضهم أشد البغض، وسيجازيهم على ذلك"، وقال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَاۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [القصص: ٧٧]، قال

السعدي: "{وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ} أي: قد حصل عندك من وسائل الآخرة ما ليس عند غيرك من الأموال، فابتغ بها ما عند الله، وتصدق ولا تقتصر على مجرد نيل الشهوات، وتحصيل اللذات، {وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} أي: لا نأمرك أن تتصدق بجميع مالك وتبقى ضائعا، بل أنفق لآخرتك، واستمتع بدنياك استمتاعا لا يثلم دينك، ولا يضر بآخرتك، {وَأَحْسَنُ} إلى عباد الله {كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ} بهذه الأموال، {وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ} بالتكبر والعمل بمعاصي الله والاشتغال بالنعم عن المنعم، {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} بل يعاقبهم على ذلك، أشد العقوبة".

٢٤. أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ؛ قال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا} [النساء: ١٠٧]، قال السعدي: "{وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ} "الاختيان" و"الخيانة" بمعنى الجناية والظلم والإثم، وهذا يشمل النهي عن المجادلة، عن من أذنب وتوجه عليه عقوبة من حد أو تعزير، فإنه لا يجادل عنه بدفع ما صدر منه من الخيانة، أو بدفع ما ترتب على ذلك من العقوبة الشرعية. {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا} أي: كثير الخيانة والإثم، وإذا انتفى الحب ثبت ضده وهو البُغْض، وهذا كالتعليل، للنهي المتقدم"، وقال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ} [الأنفال: ٥٨]، قال السعدي: "أي: وإذا كان بينك وبين قوم عهد وميثاق على ترك القتال فخفت منهم خيانة، بأن ظهر من قرائن أحوالهم ما يدل على خيانتهم من غير تصريح منهم بالخيانة. {فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ} عهدهم، أي: ارمه عليهم، وأخبرهم أنه لا عهد بينك وبينهم. {عَلَى سَوَاءٍ} أي: حتى يستوي علمك وعلمهم بذلك، ولا يحل لك أن تغدرهم، أو تسعى في شيء مما منعه موجب العهد، حتى تخبرهم بذلك. {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

الْخَائِنِينَ} بل يبغضهم أشد البغض، فلا بد من أمر بيّنٍ يبرئكم من الخيانة. ودلت الآية على أنه إذا وجدت الخيانة المحققة منهم لم يحتج أن ينبذ إليهم عهدهم، لأنه لم يخف منهم، بل علم ذلك، ولعدم الفائدة ولقوله: {عَلَى سَوَاءٍ} وهنا قد كان معلوما عند الجميع غدرهم. ودل مفهومها أيضًا أنه إذا لم يُخَفْ منهم خيانة، بأن لم يوجد منهم ما يدل على ذلك، أنه لا يجوز نبذ العهد إليهم، بل يجب الوفاء إلى أن تتم مدته"، وقال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ} [الحج: ٣٨]، قال السعدي: "هذا إخبار ووعد وبشارة من الله، للذين آمنوا، أن الله يدافع عنهم كل مكروه، ويدفع عنهم كل شر -بسبب إيمانهم- من شر الكفار، وشر وسوسة الشيطان، وشرور أنفسهم، وسيئات أعمالهم، ويحمل عنهم عند نزول المكاره، ما لا يتحملون، فيخفف عنهم غاية التخفيف. كل مؤمن له من هذه المدافعة والفضيلة بحسب إيمانه، فمستقل ومستكثر. {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ} أي: خائن في أمانته التي حمله الله إياها، فيبخس حقوق الله عليه، ويخونها، ويخون الخلق. {كَفُورٌ} لنعم الله، يوالي عليه الإحسان، ويتوالى منه الكفر والعصيان، فهذا لا يحبه الله، بل يبغضه ويمقته، وسيجازيه على كفره وخيانته، ومفهوم الآية، أن الله يحب كل أمين قائم بأمانته، شكور لمولاه".

٢٥. أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ؛ قال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ} [النحل: ٢٣]، قال السعدي رحمه الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: "{لَا جَرَمَ} أي: حقا لا بد {أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ} من الأعمال القبيحة {إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ} بل يبغضهم أشد البغض، وسيجازيهم من جنس عملهم {إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين}".

٢٦. أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا {متكبر فظ غليظ، معجب بنفسه، فخور بنعم الله، ينسبها إلى نفسه، وتطغيه وتلهيه}؛ قال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا} [النساء: ٣٦]، قال السعدي: "يأمر تعالى عباده بعبادته وحده لا شريك له، وهو الدخول تحت رق عبوديته، والانقياد لأوامره ونواهيه، محبة وذلا وإخلاصا له، في جميع العبادات الظاهرة والباطنة. وينهى عن الشرك به شيئا لا شركا أصغر ولا أكبر، لا ملكا ولا نبيا ولا وليا ولا غيرهم من المخلوقين الذين لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، بل الواجب المتعين إخلاص العبادة لمن له الكمال المطلق من جميع الوجوه، وله التدبير الكامل الذي لا يشركه ولا يعينه عليه أحد. ثم بعد ما أمر بعبادته والقيام بحقه أمر بالقيام بحقوق العباد الأقرب فالأقرب. فقال: {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} أي: أحسنوا إليهم بالقول الكريم والخطاب اللطيف والفعل الجميل بطاعة أمرهما واجتناب نهيهما والإنفاق عليهما وإكرام من له تعلق بهما وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا بهما. وللإحسان ضدان، الإساءةُ وعدمُ الإحسان. وكلاهما منهي عنه. {وَبِذِي الْقُرْبَى} أيضا إحسانا، ويشمل ذلك جميع الأقارب، قربوا أو بعدوا، بأن يحسن إليهم بالقول والفعل، وأن لا يقطع برحمه بقوله أو فعله. {وَالْيَتَامَى} أي: الذين فقدوا آباءهم وهم صغار، فلهم حق على المسلمين، سواء كانوا أقارب أو غيرهم بكفالتهم وبرهم وجبر خواطرهم وتأديبهم، وتربيتهم أحسن تربية في مصالح دينهم ودنياهم. {وَالْمَسَاكِينِ} وهم الذين أسكنتهم الحاجة والفقر، فلم يحصلوا على كفايتهم، ولا كفاية من يمونون، فأمر الله تعالى بالإحسان إليهم، بسد خلتهم وبدفع فاقتهم، والحض على ذلك، والقيام بما يمكن منه. {وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى} أي: الجار القريب الذي له حقان حق الجوار وحق

القرابة، فله على جاره حق وإحسان راجع إلى العرف. {و} كذلك {الْجَارِ الْجُنُبِ} أي: الذي ليس له قرابة. وكلما كان الجار أقرب بابًا كان آكد حقًّا، فينبغي للجار أن يتعاهد جاره بالهدية والصدقة والدعوة واللطافة بالأقوال والأفعال وعدم أذيته بقول أو فعل. {وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ} قيل: الرفيق في السفر، وقيل: الزوجة، وقيل الصاحب مطلقا، ولعله أولى، فإنه يشمل الصاحب في الحضر والسفر ويشمل الزوجة. فعلى الصاحب لصاحبه حق زائد على مجرد إسلامه، من مساعدته على أمور دينه ودنياه، والنصح له؛ والوفاء معه في اليسر والعسر، والمنشط والمكره، وأن يحب له ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه، وكلما زادت الصحبة تأكد الحق وزاد. {وَابْنَ السَّبِيلِ} وهو: الغريب الذي احتاج في بلد الغربة أو لم يحتج، فله حق على المسلمين لشدة حاجته وكونه في غير وطنه بتبليغه إلى مقصوده أو بعض مقصوده [وبإكرامه وتأنيسه] {وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ}: أي: من الآدميين والبهائم بالقيام بكفايتهم وعدم تحميلهم ما يشق عليهم وإعانتهم على ما يتحملون، وتأديبهم لما فيه مصلحتهم. فمن قام بهذه المأمورات فهو الخاضع لربه، المتواضع لعباد الله، المنقاد لأمر الله وشرعه، الذي يستحق الثواب الجزيل والثناء الجميل، ومن لم يقم بذلك فإنه عبد معرض عن ربه، غير منقاد لأوامره، ولا متواضع للخلق، بل هو متكبر على عباد الله معجب بنفسه فخور بقوله، ولهذا قال: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا} أي: معجبا بنفسه متكبرًا على الخلق {فَخُورًا} يثني على نفسه ويمدحها على وجه الفخر والبطر على عباد الله، فهؤلاء ما بهم من الاختيال والفخر يمنعهم من القيام بالحقوق"، وقال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} [لقمان: ١٨]، قال السعدي: "{وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ} أي: لا تُمِلْهُ وتعبس بوجهك الناس، تكبُّرًا عليهم، وتعاظما. {وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا} أي: بطرا، فخرا بالنعم، ناسيا المنعم، معجبا بنفسك. {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ}

في نفسه وهيئته وتعاظمه {فَخُور} بقوله"، وقال الله سبحـــانه وتعـــالى عزَّ وجلَّ: {لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} [الحديد: ٢٣]، قال السعدي: "فلا يأسوا ويحزنوا على ما فاتهم، مما طمحت له أنفسهم وتشوفوا إليه، لعلمهم أن ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ، لا بد من نفوذه ووقوعه، فلا سبيل إلى دفعه، ولا يفرحوا بما آتاهم الله فرح بطر وأشر، لعلمهم أنهم ما أدركوه بحولهم وقوتهم، وإنما أدركوه بفضل الله ومنه، فيشتغلوا بشكر من أولى النعم ودفع النقم، ولهذا قال: {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} أي: متكبر فظ غليظ، معجب بنفسه، فخور بنعم الله، ينسبها إلى نفسه، وتطغيه وتلهيه، كما قال تبارك وتعالى: {ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بل هي فتنة}".

٢٧. أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ {الفرحـــين بهذه الدنيا العظيمة، المنكبـــين على محبتها}؛ قال الله سبحـــانه وتعـــالى عـــزَّ وجـلَّ: {إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ} [القصص: ٧٦]، قال السعدي رحمه الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: "يخبر تعالى عن حالة قارون وما [فعل] وفُعِلَ به ونُصِحَ ووُعِظَ، فقال: {إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى} أي: من بني إسرائيل، الذين فُضِّلوا على العالمين، وفاقوهم في زمانهم، وامتن الله عليهم بما امتن به، فكانت حالهم مناسبة للاستقامة، ولكن قارون هذا، بغى على قومه وطغى، بما أوتيه من الأموال العظيمة المطغية {وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ} أي: كنوز الأموال شيئا كثيرا، {مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ} والعصبة؛ من العشرة إلى التسعة إلى السبعة، ونحو ذلك. أي: حتى أن مفاتح خزائن أمواله لتثقل الجماعة القوية عن حملها، هذه المفاتيح، فما ظنك بالخزائن؟ {إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ} ناصحين له محذرين له عن الطغيان: {لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ} أي: لا تفرح بهذه

الدنيا العظيمة، وتفتخر بها، وتلهيك عن الآخرة، فإن الله لا يحب الفرحين بها، المنكبين على محبتها".

٢٨. أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ؛ قال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۚ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ۖ وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأنعام: ١٤١]، قال السعدي: "لما ذكر تعالى تصرف المشركين في كثير مما أحله الله لهم من الحروث والأنعام، ذكر تبارك وتعالى نعمته عليهم بذلك، ووظيفتهم اللازمة عليهم في الحروث والأنعام فقال: {وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ} أي: بساتين، فيها أنواع الأشجار المتنوعة، والنباتات المختلفة. {مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ} أي: بعض تلك الجنات، مجعول لها عرش، تنتشر عليه الأشجار، ويعاونها في النهوض عن الأرض. وبعضها خال من العروش، تنبت على ساق، أو تنفرش في الأرض، وفي هذا تنبيه على كثرة منافعها، وخيراتها، وأنه تعالى، علم العباد كيف يعرشونها، وينمونها. {وَ} أنشأ تعالى {النخل وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ} أي: كله في محل واحد، ويشرب من ماء واحد، ويفضل الله بعضه على بعض في الأكل. وخص تعالى النخل والزرع على اختلاف أنواعه لكثرة منافعها، ولكونها هي القوت لأكثر الخلق. {وَ} أنشأ تعالى {الزيتون وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا} في شجره {وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ} في ثمره وطعمه. كأنه قيل: لأي شيء أنشأ الله هذه الجنات، وما عطف عليها؟ فأخبر أنه أنشأها لمنافع العباد فقال: {كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ} أي: النخل والزرع {إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ} أي: أعطوا حق الزرع، وهو الزكاة ذات الأنصباء المقدرة في الشرع، أمرهم أن يعطوها يوم حصادها، وذلك لأن حصاد الزرع بمنزلة حولان الحول، لأنه الوقت الذي تتشوف إليه نفوس الفقراء، ويسهل حينئذ إخراجه على أهل الزرع، ويكون الأمر فيها ظاهرا لمن أخرجها، حتى يتميز المخرج ممن لا يخرج. وقوله:

{وَلَا تُسْرِفُوا} يعم النهي عن الإسراف في الأكل، وهو مجاوزة الحد والعادة، وأن يأكل صاحب الزرع أكلا يضر بالزكاة، والإسراف في إخراج حق الزرع بحيث يخرج فوق الواجب عليه، ويضر نفسه أو عائلته أو غرماءه، فكل هذا من الإسراف الذي نهى الله عنه، الذي لا يحبه الله بل يبغضه ويمقت عليه. وفي هذه الآية دليل على وجوب الزكاة في الثمار، وأنه لا حول لها، بل حولها حصادها في الزروع، وجذاذ النخيل، وأنه لا تتكرر فيها الزكاة، لو مكثت عند العبد أحوالا كثيرة، إذا كانت لغير التجارة، لأن الله لم يأمر بالإخراج منه إلا وقت حصاده. وأنه لو أصابها آفة قبل ذلك بغير تفريط من صاحب الزرع والتمر، أنه لا يضمنها، وأنه يجوز الأكل من النخل والزرع قبل إخراج الزكاة منه، وأنه لا يحسب ذلك من الزكاة، بل يزكي المال الذي يبقى بعده. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم، يبعث خارصا، يخرص للناس ثمارهم، ويأمره أن يدع لأهلها الثلث، أو الربع، بحسب ما يعتريها من الأكل وغيره، من أهلها، وغيرهم"، وقال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأعراف: ٣١]، قال السعدي: "يقول تعالى - بعد ما أنزل على بني آدم لباسا يواري سوءاتهم وريشا: {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} أي: استروا عوراتكم عند الصلاة كلها، فرضها ونفلها، فإن سترها زينة للبدن، كما أن كشفها يدع البدن قبيحا مشوها. ويحتمل أن المراد بالزينة هنا ما فوق ذلك من اللباس النظيف الحسن، ففي هذا الأمر بستر العورة في الصلاة، وباستعمال التجميل فيها ونظافة السترة من الأدناس والأنجاس. ثم قال: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا} أي: مما رزقكم الله من الطيبات {وَلَا تُسْرِفُوا} في ذلك، والإسراف إما أن يكون بالزيادة على القدر الكافي والشره في المأكولات الذي يضر بالجسم، وإما أن يكون بزيادة الترفه والتنوق في المآكل والمشارب واللباس، وإما بتجاوز الحلال إلى الحرام. {إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} فإن السرف يبغضه الله، ويضر بدن الإنسان

ومعيشته، حتى إنه ربما أدت به الحال إلى أن يعجز عما يجب عليه من النفقات، ففي هذه الآية الكريمة الأمر بتناول الأكل والشرب، والنهي عن تركهما، وعن الإسراف فيهما".

٢٩. أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ لَا يُحِبُّ العُقُوقَ؛ قالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ: "إِنَّ اللهَ لا يحبُّ العُقُوقَ، وكأنَّهُ كَرِهَ الاسْمَ" ٥٦٤.

---

٥٦٤ حديثٌ صحيح بمجموع طرقه؛ أخرجه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ١٦٥٥. وفي رواية: "سُئلَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ عنِ العقيقةِ فقالَ لا يحبُّ اللَّهُ العقوق كأنَّهُ كرِهَ الاسمَ وقالَ من وُلِدَ لهُ ولدٌ فأحبَّ أن يَنسُكَ عنهُ فلينسُكْ عنِ الغلامِ شاتانِ مكافِئتانِ وعنِ الجاريةِ شاةٌ وسئلَ عنِ الفرَعِ قالَ والفرَعُ حقٌّ وأن تترُكوهُ حتَّى يكونَ بَكرًا شُغزُبًّا ابنَ مخاضٍ أو ابنَ لبونٍ فتعطيَهُ أرملةً أو تحملَ عليهِ في سبيلِ اللَّهِ خيرٌ من أن تذبحَهُ فيلزَقَ لحمُهُ بوبرِهِ وتكفأَ إناءَكَ وتولِهَ ناقتَكَ" [حديثٌ حسنٌ؛ حَسَّنَهُ الشيــخ الألباني في صحيح أبي داود ٢٨٤٢؛ أخرجه أبو داود (٢٨٤٢) واللفظ له مطولاً، والنسائي (٤٢١٢) باختلاف يسير، وأحمد (٦٧١٣) مطولاً]، وفي رواية: "سُئلَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ عنِ العَقيقةِ؟ فقالَ: لا يحبُّ اللَّهُ العقوق. كأنَّهُ كرِهَ الاسمَ وقالَ: من وُلِدَ لهُ فأحبَّ أن ينسُكَ عنهُ فلينسُكْ عنِ الغلامِ شاتانِ، وعنِ الجاريةِ شاةٌ" [حديثٌ إسناده حسنٌ؛ أخرجه الشيخ الألباني في تخريج مشكاة المصابيح ٤٠٨٤؛ أخرجه أبو داود (٢٨٤٢)، وأحمد (٦٧١٣) مطولاً، والنسائي (٤٢١٢) باختلاف يسير].

العَقيقةُ هي الذَّبيحةُ التي تُذبَحُ عنِ المولودِ في يَومِ سابِعِه، وفي هذا الحديثِ أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم سُئِلَ عن العَقيقَةِ، فقال: «لا يُحِبُّ اللهُ العُقوقَ»، كأنَّه كَرِهَ الاسْمَ، أي: إنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لم يُنكِرِ العَقيقَةَ نفْسَها، وإنَّما كَرِهَ اسْمَ "العَقيقَةِ"؛ لِمَا بينَه وبين العُقوقِ من تشابُهٍ في أصْلِ الكلمةِ؛ قيل: وما ذَكَره النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في هذا الحَديثِ تَنبيهٌ على أنَّ الذي يُبغِضُه اللهُ تعالى مِن هذا الباب هو العقوقُ لا العَقيقة. وقيل: يَحتمِلُ أنْ يكونَ السائلُ ظنَّ أنَّ اشتراكَ العقيقةِ مع العقوقِ في الاشتقاقِ ممَّا يُوهِنُ أمْرَها، فأَعْلَمه أنَّ الأمْرَ بخِلاف ذلِك. وقيل غيرُ ذلِك؛ لأنَّه قدْ ورَدَ عنِ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم ذِكرُ العَقيقةِ في عِدَّةِ أحاديثَ، ولو كان يَكرَه الاسمَ لعَدَلَ عنه إلى غَيرِه. وقال: «مَنْ وُلِدَ له وَلَدٌ فأَحَبَّ أنْ يَنْسُكَ عنه فَلْيَنْسُكْ؛ عن الغُلامِ شاتانِ مُكافِئَتانِ، وعن الجاريةِ شاةٌ»، أي: مَنْ وُلِدَ له ذَكَرٌ فَلْيَعُقَّ عنه بشاتَيْنِ مُتَكافِئَتَيْنِ، أي: مُتساويتَيْنِ في السِّنِّ، ومَنْ وُلِدَ له أُنْثى فَلْيَعُقَّ عنها بشاةٍ واحدةٍ. وسُئِلَ عن الفَرَعِ، قال: «والفَرَعُ حَقٌّ»، الفَرَعُ وَلَدُ النَّاقةِ، وهو أوَّلُ نِتاجِها، أي: يجوز ذبحُه وهو صغيرٌ؛ قُرْبَةً للهِ، «وأنْ تترُكُوه حتَّى يكونَ بَكْرًا شُغْزُبًّا ابنَ مَخاضٍ أو ابنَ لَبونٍ»، أي: والأفضَلُ أنْ تترُكوه حتَّى يَكْبَرَ فيَصيرَ بَكْرًا شُغْزُبًّا، أي: حتَّى يكونَ قويًّا غليظَ اللَّحمِ، وابنُ

٣٠. أنَّ اللّهَ سبحـــانه وتعالى عزَّ وجلَّ لَا يُحِبُّ الفاحشَ المتفحشَ {كلَّ فاحِشٍ مُتَفَحِّشٍ}؛ قالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ: "يا عائشةُ! إنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ الفاحشَ المتفحشَ" ٥٦٥.

المَخاضِ هو ما له سَنَةٌ، وابنُ اللَّبونِ هو ما له سَنَتَانِ، «فتُعطيَه أرملةً»، أي: تَتصدَّقَ به حيًّا على أرملةٍ فتنتفعَ به، «أو تحمِلَ عليه في سبيلِ اللهِ»، أي: تجعَلَه في سبيلِ اللهِ في الجهادِ يُرْكَبُ أو تُحْمَلُ عليه الأمتِعةُ، فهذا أفضَلُ، وهو «خيرٌ مِن أنْ تذبحَه فيَلْزَقَ لحمُه بوَبَرِه، وتَكْفَأَ إناءَك، وتُولِهَ ناقتَك»، هذا خيرٌ من أنْ تذبحَه صغيرًا ولحمُه رقيقٌ يَلْصَقُ بوَبَرِه، وليس فيه ما يكفي من اللَّحمِ، ثمَّ بعْدَ ذلك تَقْلِبُ الإناءَ الذي يُحْلَبُ فيه اللَّبنُ؛ لأنَّ النَّاقةَ الأُمَّ لا تُدِرُّ لبنًا بعْدَ فُقْدانِ وَلَدِها، ويَجِفُّ لَبَنُها، «وتُولِهَ ناقتَك»، أي: تُفْجِعُ النَّاقةَ بذَبْحِ ولدِها. وقولُ النَّبيِّ صلَّى اللّهُ عليه وسلَّم: "الفَرَعُ حَقٌّ" لا يَعني به ما كان يُذْبَحُ في الجاهليَّةِ للأصنامِ، ولكنَّه أخَذَ الاسْمَ فقط، ويَعني به الإخراجَ للهِ من نِتاجِ الإبلِ وغيرِها، سواءٌ بالذَّبحِ للهِ أو بالحَمْلِ عليه في سبيلِ اللهِ، أو بالتَّصدُّقِ به، وقيل: كان قد أُمِرَ بالفَرَعِ في أوَّلِ الإسلامِ، ثمَّ نُسِخَ، والذي على المسلمِ إخراجُه هو الزَّكاةُ.

٥٦٥ حديثٌ صحيحٌ؛ صَحَّحَهُ الشيخ الألباني في صحيح الجامع ٧٩٢٢؛ أخرجه أبو داود (٤٧٩٢) واللفظ له مطولاً، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٥٧١) في أثناء حـــديث. وفي رواية: "إنَّ اللّهَ: لا يُحِبُّ كلَّ فاحِشٍ مُتَفَحِّشٍ" [حديثٌ حسنٌ؛ حَسَّنَهُ الشيخ الألباني في صحيح الجامع ١٨٥٠]، وفي رواية: "إنَّ اللّهَ لا يحبُّ الفاحشَ المُتفحِّشَ" [حديثٌ إسناده حسنٌ؛ أخرجه الشيخ الألباني في إرواء الغليل ٢٠٨/٧].

الفُحْشُ مَذمومٌ كلُّه، وليس مِن أخْلاقِ المُؤمِنينَ؛ فيَنبَغي لِمَن ألْهَمَه اللّهُ رُشدَه أنْ يَجتنبَ الفُحشَ، وأنْ يُعوِّدَ لسانَه طيِّبَ القَولِ، وله في رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ أُسوةٌ حَسَنةٌ؛ فإنَّه كان لا يقولُ فُحْشًا، ولا يُحِبُّ أنْ يَسمَعَه. وهذا الحديثُ له سَبَبٌ وقِصَّةٌ، وفيه تَحكِي عائشةُ أُمُّ المُؤمِنينَ رضِيَ اللّهُ عنها: «أنَّه لَمّا استأذنَ عليه رَجُلٌ مَعروفٌ بِفُحْشِ القَولِ، قال صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "بِئْسَ أخو العَشيرةِ»، وأخو العَشيرةِ وابنُ العشيرةِ المُرادُ بهما أحَدُ أفْرادِ القَبيلةِ، وهي مِنَ الكلماتِ الشّائعةِ عندَ العربِ، «فلمّا دَخَلَ انبَسَطَ إليه رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ وكَلَّمَه»، أي: انشَرَحَ وابتَسَمَ له وتجاذَبَ معه الحديثَ، فلمّا غادَرَ الرَّجُلُ سألَتْ عائِشَةُ رضِيَ اللّهُ عنها النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ عَن هذا الفِعْلِ، وأنَّه قال على الرَّجلِ: بِئسَ أخو العَشيرةِ، ثُمَّ عامَلَه بهذه الطَّريقةِ؟! فقال لها النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: «يا عائشةُ، إنَّ اللّه لا يُحِبُّ الفاحِشَ المُتفحِّشَ»، والفُحْشُ والتَّفحُّشُ يُقصَدُ به التَّعدِّي في القَولِ والفِعْلِ، لا الفُحْشُ الذي هو مِن رَديءِ الكَلامِ. وفي روايةٍ في الصَّحيحِ: «يا عائِشَةُ، مَتَى عهِدْتِنِي فَحّاشًا؟! إنَّ شَرَّ النّاسِ عندَ اللهِ مَنزِلَةً يَومَ القيامةِ مَن ترَكَه النّاسُ؛ اتِّقاءَ شَرِّه»، والمُرادُ: أنَّه صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ لم يكُنْ لِيَسُبَّ الرَّجلَ أو يقولَ له كلامًا فاحشًا في مجلِسِه، ثُمَّ أخبَرَها

صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ بأَنَّ شَرَّ النّاسِ عندَ اللهِ مَنزِلةً الذي يَجتَنِبُه النّاسُ ويَترُكونَه؛ اتِّقاءَ شرِّه وفُحْشِه، وكان هذا الرَّجلُ منهم، ففَعَلَ معه النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ ذلكَ؛ مُداراةً اتِّقاءً لِشرِّه وفُحشِه، وليس فيه مُداهَنةٌ، والفَرْقُ بيْنَ المُداراةِ والمُداهَنةِ أنَّ المُداراةَ بَذْلُ الدُّنيا لصَلاحِ الدُّنيا أو الدِّينِ أو هُما معًا وهي مُباحةٌ، والمُداهَنةُ تَرْكُ الدِّينِ لصَّلاحِ الدُّنيا، والنَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ إنَّما بَذَلَ للرَّجُلِ من دُنياه حُسْنَ عِشرَتِه والرِّفْقَ في الكَلامِ، ولم يَمدَحْه بقَولٍ، فلم يُناقِضْ قَولُه فيه فِعلَه، فإنَّ قَولَه فيه حَقٌّ، وفِعلَه معه حُسنُ عِشْرةٍ. {وفي الحَديثِ: مَشروعيَّةُ غِيبةِ المُعلِنِ بالفِسْقِ أو الفُحْشِ ونَحوِ ذلك. وفيه: مَشروعيَّةُ مُداراةِ بعضِ الفَسَقةِ اتِّقاءً لشَرِّهم؛ ما لم يُؤَدِّ ذلك إلى المُداهَنةِ في دِينِ اللهِ تَعالى}.

يا ذا الجلالِ والإكرامِ [٥٦٦]...

اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ فعلَ الخيراتِ، وتركَ المنكراتِ، وحُبَّ المساكينِ، وأن تغفِرَ لي وترحَمَني، وإذا أردتَ فتنةً في قومٍ فتوفَّني غيرَ مفتونٍ، وأسألُكَ حبَّكَ وحبَّ من يحبُّكَ، وحبَّ عملٍ يقرِّبُ إلى حُبِّكَ [٥٦٧]...

اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ مِنَ الخيرِ كلِّهِ عاجلِهِ وآجلِهِ، ما عَلِمْتُ منهُ وما لم أعلَمْ، وأعوذُ بِكَ منَ الشَّرِّ كلِّهِ عاجلِهِ وآجلِهِ، ما عَلِمْتُ منهُ وما لم أعلَمْ، اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ من خيرِ ما سألَكَ عبدُكَ ونبيُّكَ، وأعوذُ بِكَ من شرِّ ما عاذَ بِهِ عبدُكَ ونبيُّكَ، اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ الجنَّةَ وما قرَّبَ إليها من قَولٍ أو عملٍ، وأعوذُ بِكَ منَ النَّارِ وما قرَّبَ إليها من قولٍ أو عملٍ، وأسألُكَ أن تجعلَ كلَّ قَضاءٍ قضيتَهُ لي خيرًا [٥٦٨]...

اللَّهمَّ! إنِّي أسألُك الثَّباتَ في الأمرِ، والعزيمةَ على الرُّشدِ، وأسألُك موجِباتِ رحمتِك، وعزائمَ مغفرتِك، وأسألُك شُكرَ نعمتِك، وحُسنَ عبادتِك، وأسألُك قلبًا سليمًا، ولسانًا صادقًا، وأسألُك من خيرِ ما تعلَمُ، وأعوذُ بك من شرِّ ما تعلَمُ، وأستغفرُك لما تعلَمُ؛ إنَّك أنت علّامُ الغيوبِ [٥٦٩]...

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
وَصَلَّي اللَّهُمَّ وسَلَّمَ وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجمعين.

---

٥٦٦ قالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ: "أَلِظُّوا بياذا الجلالِ والإكرامِ" [حديثٌ صحيحٌ؛ صَحَّحَهُ الشيخ الألباني في صحيح الجامع ١٢٥٠].

٥٦٧ حديثٌ صحيحٌ؛ صَحَّحَهُ الشيخ الألباني في صحيح الترمذي ٣٢٣٥؛ أخرجـــه الترمذي ٣٢٣٥ واللفظ له، وأحمد ٢٢١٦٢.

٥٦٨ حديثٌ صحيحٌ؛ صَحَّحَهُ الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه ٣١١٦؛ أخرجه مسلم (٢٧١٦) مختصراً.

٥٦٩ حديثٌ إسناده صحيح؛ أخرجه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ٣٢٢٨.

الفِهْرِسُ

صَدَرَ لِلمُؤَلِّفِ:

١. الخادم المحلّي Local Server. {أَحَد مساقات حَقِيبَةِ: "الوَجِيزُ فِي بَرْمَجَةِ المَوَاقِعِ"}.

https://jasimabed.com/books/?b=1

٢. خُطْوَةٌ خُطْوَةٌ فِي تَعْلِيمِ وتَعَلُّمِ اللُّغَةِ التُرْكِيَّةِ: الخُطْوَةُ الأُولَى: القِرَاءَةُ والكِتَابَةُ.

Adım Adım Türkçe Öğrenme ve Öğretme: Birinci Adım: Okuma ve yazma

https://jasimabed.com/books/?b=2

٣. "الأَرْبَعُونَ فِي مَبَانِي الإِسلَامِ وَقَوَاعِدِ الأَحكَامِ" المشهورة بـ "الأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّة". لِلإِمَامِ النَّوَوِيّ مَعَ زِيَادَةِ ابْنِ رَجَبِ الحَنْبَلِيّ؛ بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ وَالتُّرْكِيَّةِ وَالإِنْكِلِيزِيَّةِ.

"İslamın Temelinde ve Ahkam Kurallarında Kırk Hadis"; "NEVEVİ KIRK HADİSİ" olarak bilinir; Müellifi: İmam Nevevi، İbn-i Receb el-Hanbeli'nin eklemesiyle. Arapça، Türkçe ve İngilizce

"The Forty in the Buildings of Islam and the Rules of Judgments"; Which is famous as "An-Nawawi's Forty Hadiths"; By Al-Imam Al-Nawawi with the addition of Ibn Rajab al-Hanbali. Arabic، Turkish and English

https://jasimabed.com/books/?b=3

٤. الوَجِيزُ فِي تَصْرِيفِ الأَزْمِنَةِ فِي اللُّغَةِ التُّرْكِيَّةِ

Türkçede Zamanların Kısaca Özeti

https://jasimabed.com/books/?b=4

٥. الأَفْعَالُ الأَكْثَرُ اسْتِخْدَامًا فِي اللُّغَةِ التُّرْكِيَّةِ

Türkçede En Çok Kullanılan Fiiller

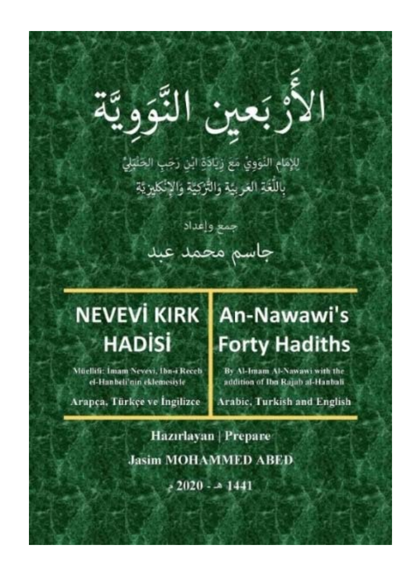
https://jasimabed.com/books/?b=5

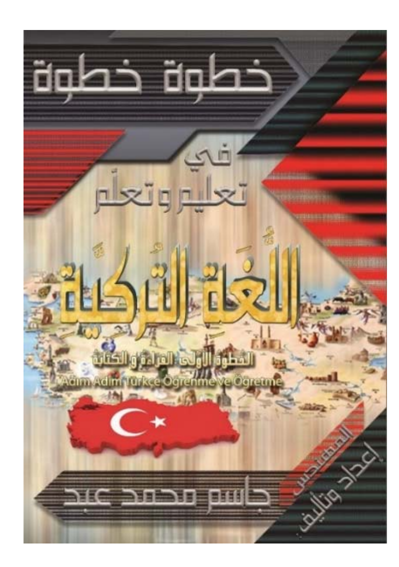
٦. سَنَابِلُ الحَسَنَاتِ. ﴿الأَعْمَالُ ذَوَاتُ الأُجُورِ المُضَاعَفَاتِ﴾.

https://jasimabed.com/books/?b=6

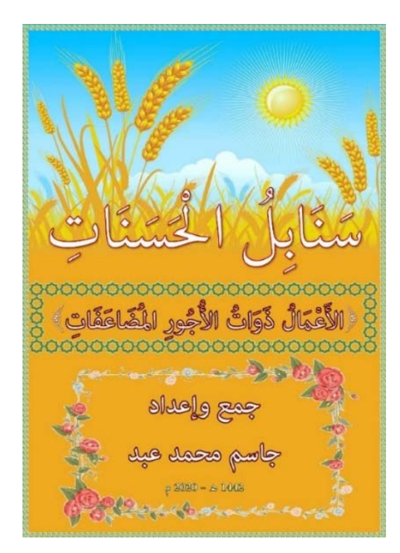
٧. إِنَّ اللهَ لَيَضْحَكُ، وَيَرْضَى، وَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى وَالصِّفَاتُ العُلَى.

https://jasimabed.com/books/?b=7

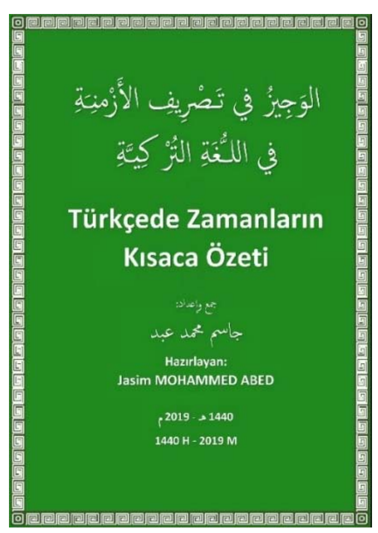


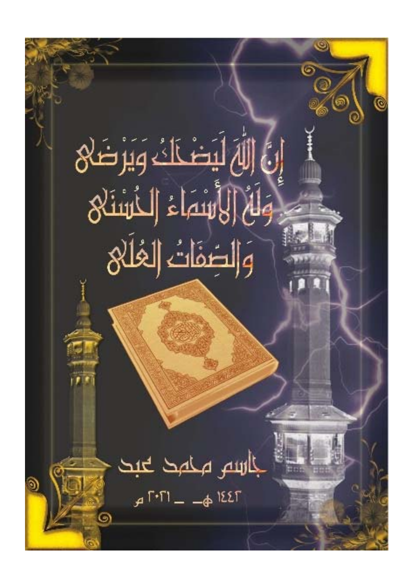






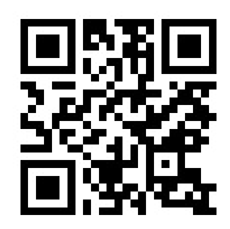








https://abs.jasimabed.com



https://www.jasimabed.com



https://youtube.com/c/JasimABED

https://youtube.com/channel/UC5OfvCW0AQZk_NZqTfMvVfg
https://youtube.com/channel/UCXfy0d_1R-cqkmdqtk095Rg
https://youtube.com/channel/UCR28-cJly_O0LsBQ9D6Yo1g
https://youtube.com/channel/UCJX2psTVlyyUfGcnQsg1T-A
https://youtube.com/channel/UC5S3zb4Zz0yr-EmBq8LPd7g
https://youtube.com/channel/UC_Zg0g9S0t4nZNxG1cbTf1g



alhudainfotech@gmail.com



https://www.facebook.com/jassem.abid.75

https://facebook.com/Learning.Teaching.Turkish.Language
https://facebook.com/groups/Learning.Teaching.Turkish.Language
https://facebook.com/DesignAndProgrammingOfWebsites
https://facebook.com/groups/DesignAndProgrammingOfWebsites
https://facebook.com/groups/quranandsciences
https://facebook.com/SunnahAndSciences
https://facebook.com/groups/ummatiqraa
https://facebook.com/alhudainfotech
https://facebook.com/groups/the.virtual.trip

	https://twitter.com/@jasimmabed https://twitter.com/@TurkishLanguag https://twitter.com/@and_websites https://twitter.com/@Learn1440 https://twitter.com/@AlHudaInfoTech
	https://t.me/Eng_JasimMohammedABED https://t.me/Arabic_Language_Learn https://t.me/TurkishLanguageTeachingLearning https://t.me/DesigningProgrammingWebsites https://t.me/SunnahAndSciencesArabic https://t.me/SunnahAndSciencesTurkish https://t.me/SunnahAndSciencesEnglish

قال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [طه: ٨]، وهذه سورة الفاتحة التي يُقرأ بها في الصَّلاة؛ هي توحيد من أولها إلى آخرها؛ سواء كان توحيد الرُّبوبيَّة أو توحيد الأُلوهيَّة أو توحيد الأسماء والصفات؛ وتوحيد الأسماء والصفات: هو الركن الرابع من أركان الإيمان بالله تبارك وتعالى سبحانه عزَّ وجلَّ، وهو القسم الثالث من أقسام التَّوحيد؛ ومعناه الإيمان والاعتقاد الجازم بأسماء الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ وصفاته الواردة في كتابه، وفي سنّة رسوله صلى الله عليه وسلم، والإيمان بمعانيها وأحكامها، على وجه يليق بجلاله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، ولا تشبيه، والقاعدة في كل ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]؛ وذكر أهل العلم أنَّه يورث العبد ثمرات وآثارًا عظيمة مباركة وفوائد جليلة، تجعل صاحبها يذوق حلاوة الإيمان، ويُنَزِّه الله سبحانه وتعالى عَزَّ وجَلَّ عن كلِّ عيبٍ ونقصٍ، ويزداد له محبةً وتعظيمًا وإجلالاً، ويثني عليه، ويخشاه، ويزداد أيمانا به، ويَمْتَلِئ قلبه من نور المعرفة بالله سبحانه وتعالى عَزَّ وجَلَّ، ويعبده على بصيرة، ويطيعه، ويبتعد عن معصيته، ولا ينازعه في صفاته، ويحرص على ألاَّ ينسى ربه ويترك ذكره، ويتعرف على الله سبحانه وتعالى عَزَّ وجَلَّ، ويستشعر صفاته؛ فيزداد إيمانه بالله يقينًا، ويقوي توحيده لله سبحانه وتعالى عَزَّ وجَلَّ، ويظل العبد دائم السؤال لربه سبحانه وتعالى عَزَّ وجَلَّ بأسمائه وصفاته؛ كما قال سبحانه وتعالى عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]؛ فيورثه ذلك؛ الفلاح والسعادة، وانشراح الصدر، والحياة الطيبة في الدنيا، ونعيم الجنة في الآخرة.



https://jasimabed.com/books/?b=7

https://abs.jasimabed.com